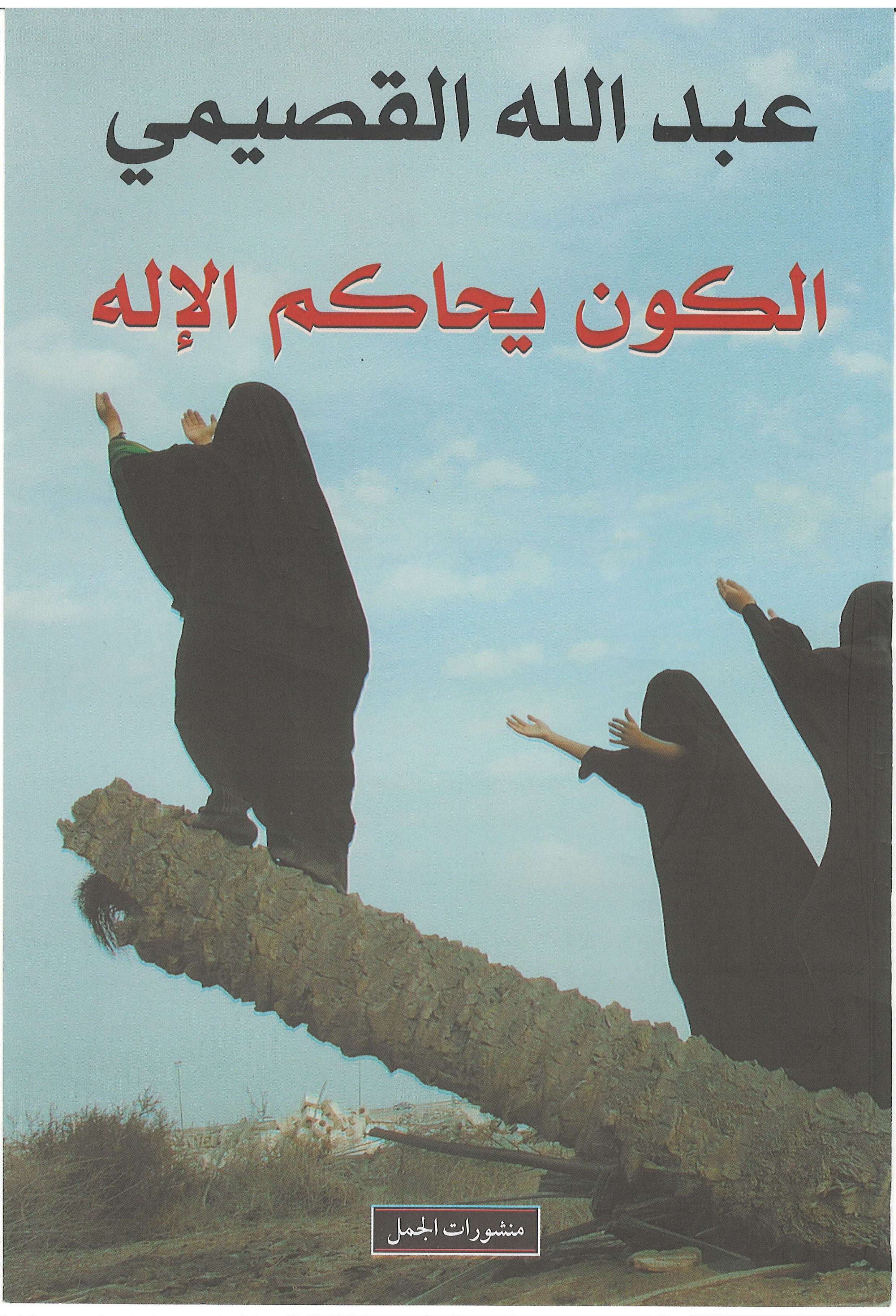
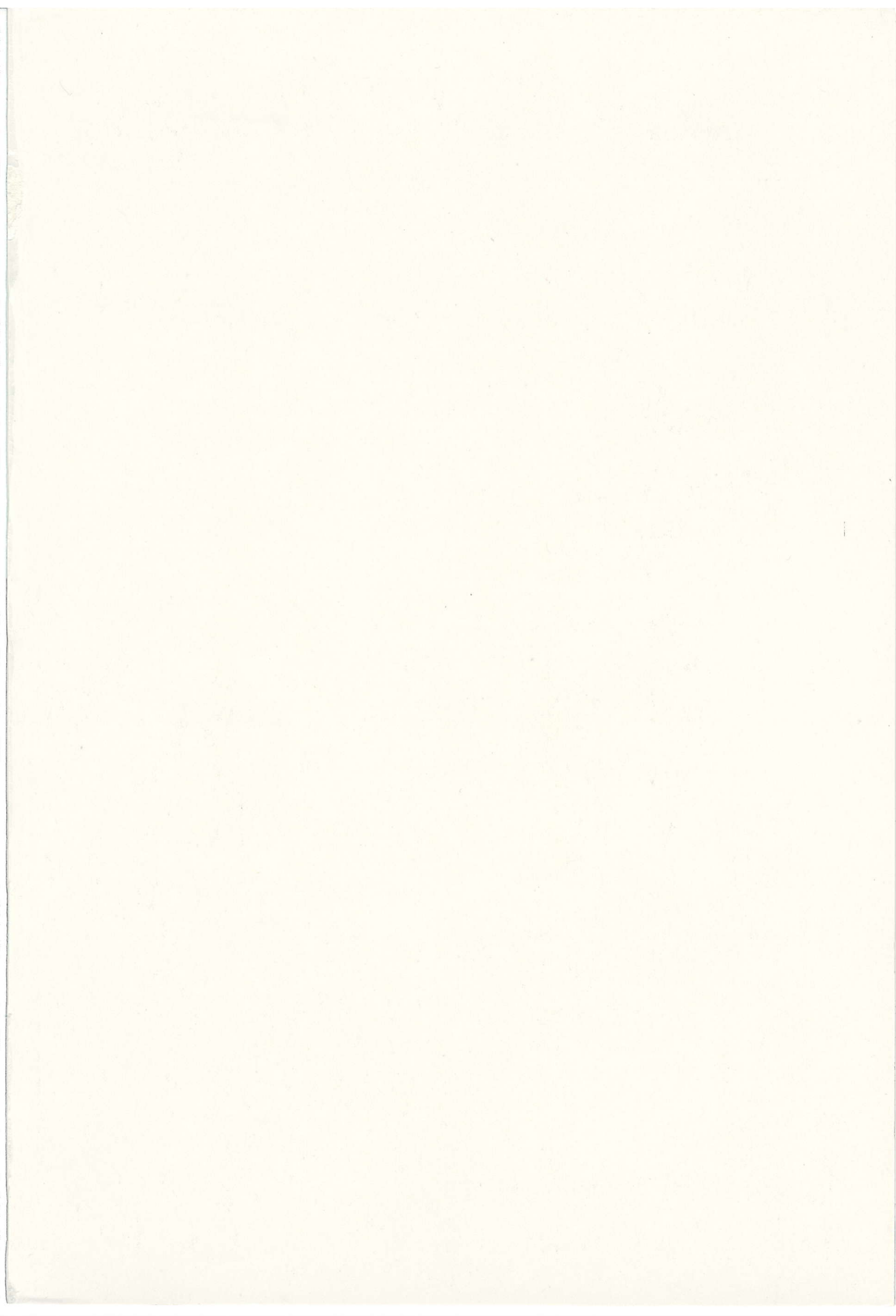

عبد الله القصيمي
الكون يحاكم الإله
منشورات الجمل



عبد الله القصيمي: **الكون يحاكم الإله**

عبد اللّه القصيمي

الكون يحاكم الإله

منشورات الجمل

عبد اللّه القصيمي (١٩٠٧-١٩٩٦)، ولد في القصيم، هاجر إلى الشارقة حيث بدأ رحلة دراسية عبر العراق، الهند، سوريا وحتى القاهرة! أقام لسنوات طويلة في لبنان ومصر حيث توفي ودفن هناك. له العديد من المؤلفات، منها: **البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية** (١٩٣١)؛ **الثورة الوهابية** (١٩٣٦)؛ **الصراع بين الإسلام والوثنية** (١٩٣٧)؛ **هذي هي الأغلال** (١٩٤٦)؛ **العالم ليس عقلاً** (١٩٦٤)؛ **أيها العقل من رآك؟** (١٩٦٤)؛ **كبرياء التاريخ في مأزق** (١٩٦٦)؛ **هذا الكون ما ضميره؟** (١٩٦٦)؛ صدر له عن منشورات الجمل: **العرب ظاهرة صوتية** (٢٠٠٢)؛ **لئلا يعود هارون الرشيد** (١٩٩٧)؛ **عاشق لعار التاريخ** (١٩٩٩)؛ **هذي هي الأغلال** (٢٠٠٠).

عبد اللّه القصيمي: **الكون يحاكم الإله**، الطبعة الأولى

Postfach 210149 . 50527 Köln . Germany
Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763
E-Mail: KAlmaaly@aol.com

أنعاك وأعتذر إليك أيُّها المولود
بلا مكانٍ أو مجتمعٍ أو انتماء!

لأنك ستموت قبل أن تُولد وتُوجد وتحيا. !

ولأنه لن يوجد من يستطيع أو يريد أو يجرؤ أن يكفنك أو يشيعك أو يقبرك أو يصلي عليك أو يعزي فيك أو يبكيك أو يذكرك أو حتى يلعنك لأنه لن يوجد من لا يخشى أو يهاب أو يرفض أن يكون ذاكراً أو متذكراً لك أو مذكّراً بك. !

لهذا لن يوجد من يجرؤ على لعنك أي لئلا يكون لاعنك متحدثاً عنك ومذكراً بك ومعلناً عن وجودك. !

لأنه لن يوجد من لا يبخل عليك بلعنه لك أو من لا يجبن عن هذا اللعن لك. . إنك يا كتابي ستكون الكائن الذي لن يجد أو يتصور رافضوه ومعاقبوه عقاباً له أقسى وأقوى من منع وتحريم ورفض لعنه أي لعنه المعلن، أي لئلا يكون لعنه حديثاً عنه أو تذكيراً به أو إعلاناً عن وجوده أو اعترافاً بوجوده. !

. . هل يحدث أن يموت أو ينعى من لم يوجد ويحيا أو قبل أن يوجد ويحيا، أو هل يحدث أن يعتذر إليه؟ لقد حدث ذلك، حدث لك يا كتابي. . يا كتابي المولود بلا وطن أو شعب أو قبيلة أو تاريخ أو تعامل مع قوانين الوراثة أو قوانين الطبيعة. .

نعم، لأنك جئت أو أردت المجيء يا كتابي خروجاً شاملاً مفاجئاً فاجعاً على كل نصوص وتفاسير ورؤى وقراءات وخطوات وتصورات وطاقات وحسابات التاريخ والآلهة والشموس والنجوم، أي أن تجيء تكذيباً أو اختراقاً لكل الاحتمالات والتوقعات. تكذيباً واختراقاً لكل ما قالته قوانين الطبيعة والوراثة أي لأنك جئت إلى قوم بلغة لا يوجد فيهم من يتكلمها أو يعرفها أو يستطيع أو يريد أن يتكلمها أو يتعلمها أو يعرفها أو يقبلها أو يغفرها أو يتصور أنها قد وجدت أو أنها قد توجد أو أنه قد يوجد من يستطيعون أو

يريدون أو يقبلون أن يتكلموها أو يتعلموها أو يقرأوها أو يسمعوها أو يسمعوا عنها أو بها. .

لأنك يا كتابي الجريء الوقح الفاجع بوقاحته وجرأته قد أردت وصممت أن تجيء إلى هؤلاء القوم بهذه اللغة التي لم يتكلمها أو يتعلمها أو يقرأها أو يسمعها أو يسمع بها أو عنها ولن يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك أحد من آلهتهم أو أنبيائهم أو فلاسفتهم وعباقرتهم أو من أبطالهم أو شعرائهم أو أتقيائهم أو فجارهم أو حتى من زنادقتهم. . لأنك جئت أو أردت المجيء. . لأنهم قوم قد تخلقت وتجمعت فيهم كل نصوص وتفاسير التقوى الفكرية والاعتقادية والعرقية التاريخية. . دون أن يتخلق فيهم أي قدر أو نوع من نصوص أو تفاسير التقوى النفسية أو الأخلاقية أو الإنسانية أو الحضارية أو حتى اللغوية. !

إن الإله أي إله. . إن كل الآلهة لن تجرؤ مهما رأت وسمعت أن تصدق أو تروي أنك يا كتابي هذا قد جئت أو قررت وأردت أن تجيء باللغة العربية لتخاطب الإنسان العربي الذي تعذبت وفجعت طويلاً، طويلاً برؤيته وقراءته ومشاهدته ومعاملته ومعرفته. !

هل وجد أو يمكن أن يوجد معذب مفجوع مروع مثل من يستطيع أو يريد أو يقبل أن يقرأ الإنسان العربي أو أن يفسره أو يراه أو يعامله أو يعرفه أو يحاسبه بحسابات ومقاييس إنسانية أو مثل من ينتظر منه شيئاً من ذلك أو يطالبه بشيء منه؟

ولكن هل يمكن أن يفكّر أي أبله في محاسبة الإنسان العربي بشيء من هذه الحسابات والمقاييس؟

هل وُجِد أو يمكن أن يُوجَد من يريد أو يقبل أو يستطيع ذلك؟ هل يوجد باحث عن العذاب والانفجاع والترويع بمثل هذه القسوة؟

هل تعذبت يا إلهي أو تعذب أحد بشيء أو بأحد مثلما تعذبت بالإنسان العربي. . أي مثلما تعذبت به عاشقاً محابياً مريداً مخاطباً له، ومفجوعاً مفضوحاً مهزوماً متهماً مسبوباً معيراً به، وقارئاً مفسراً محاوراً متفهماً له، محدقاً فيه، منتظراً منه وله، مباهياً به؟ هل يوجد أو وجد عشق خاسر وبليد مثل عشقك يا إلهي للإنسان العربي أو مثل عشقه لك؟

. . إسمع يا إلهي، أرجوك بل أطالبك يا إلهي أن تسمع. . ليتك تستطيع أن تسمع لكي أقول لك:

هل وجد مثلك مفتضحاً وخائباً خاسراً في مباهاتك بالإنسان العربي وفي انتظارك له ومنه وفي انتسابك إليه واستنصارك به، أو مثل الإنسان العربي في ضخامة خيبته وافتضاحه وخسرانه مفاخراً ومقاتلاً مخاصماً ملاعناً معادياً بك ولك ومنتظراً منك ولك؟ هل وجد سلاح مهزوم ومهان وخادع كاذب مثلك يا إلهي في يد الإنسان العربي أو مثل الإنسان العربي في يدك؟

.. فكّر يا إلهي، فكّر.. كم أرجوك وأتضرع إليك أن تفكّر، أن تفكر في هذا: هل خسر أي خاسر بأي شيء مثلما خسرت بالإنسان العربي أو مثلما خسر بك الإنسان العربي يا إلهي، يا أعظم خاسر وأعظم صانع للخسران؟!

هل وجدت علاقة فيها كل القبح والخسران دون أن يكون فيها أي قدر من الجمال أو الربح مثل العلاقة بينك يا إلهي وبين الإنسان العربي؟ هل يوجد فاضح لقبح العلاقات بين أي كائن وكائن وبين أي شيء وشيء مثل العلاقات بينك وبين الإنسان العربي؟

.. أريد أن أكرر، أكرر لأقول: هل هزم أحد بأحد أو بشيء مثلما هزمت يا إلهي مقاتلاً ومعادياً ومخاصماً ومحاوراً وملاعناً بالإنسان العربي أو مثلما هزم الإنسان العربي معادياً ومحارباً ومشاتماً ومخاصماً مبارزاً بك ومنتظراً منك مؤملاً فيك وداعية لك ومؤمناً مبشراً مستنصراً مستغيثاً بك ومتوكلاً عليك؟

هل خسر بإيمانه مثلما خسر الإنسان العربي بإيمانه بك أو مثلما خسر أي إله بكونه إلهاً أو مثلما خسرت يا إلهي بألوهيتك للإنسان العربي؟ هل هجا الإيمان شيء مثلما هجاه إيمان الإنسان العربي أو هجا الآلهة شيء أو أحداً مثلما هجوتهم أنت يا إلهي، يا إله الإنسان العربي.. مثلما هجوتهم بأخلاق ومواهب ألوهيتك؟

.. كيف جرؤت وتجرؤ يا إلهي على التحدث عن أي ربح أو مجد لك من الإنسان العربي أو كيف جرؤ ويجرؤ هو على أن يتحدث عن أي ربح أو مجد له هو منك.. من علاقات أحدكما بالآخر وانتماءاته إليه وادعاءاته؟

ألم يحاول أحدكما أو كلاكما أن ينظر ليرى ما الذي فعل بالآخر أو له وما الذي أعطاه؟

.. كيف جرؤتما أي أنت يا إلهي والإنسان العربي على التعامل بهذه الوقاحة أو البلادة أو البلاهة أو الفضيحة المعلنة المتبادلة بينكما؟ من علمكما ذكاءكما وأخلاقكما وفضائحكما؟ كيف استطاع معلمكما أن يهبط إلى هذا الحضيض لكي يعرف ويستطيع أن

يعلمكما الهبوط إليه؟ إن هبوطكما في علاقات أحدكما بالآخر أي أنت يا إلهي والإنسان العربي هبوط يحتاج الاهتداء إليه وكذا القدرة عليه إلى عبقرية غير معروفة.

. . أيكما يا إلهي قتل في الآخر أو سحب منه كل طاقات وأخلاق وأشواق ولذات ووقاحات وبذاءات ومعاناة الرؤية والفهم والكرامة والمواجهة والمحاورة والاستحياء والوقار والصدق؟

أيكما الفاعل بالآخر المفسد له؟ وهل أنتما فاعل ومفعول به. . مفسد ومفسد؟ أم أنتما كلاكما مفعول مفسد؟

صعب، صعب جداً أن يوجد عذاب مثل عذاب الصدق، كل الصدق أو بعض الصدق؟ لهذا كان صعباً، صعباً أن يوجد صدق. وهل وجد صدق؟

هل وجد الصدق أو شيء منه مهما وجد؟ أليس الصدق، أي لو وجد، يعني رفض ونفي وقتل وموت وعار كل شيء وكل أحد؟

هل استطاع أو هل يستطيع أحد أي واحد فقط من الآلهة أو الأنبياء أو الملائكة أو القديسين أن يكون صادقاً أو بعض الصادق أو شيئاً من تفاسير الصادق في أي موقف، بأي تعبير، تحت أي حافز أو نيّة؟

هل استطاع أو هل يستطيع واحد من هؤلاء أن يكون صادقاً أو مريداً للصدق أكثر من أكذب الكذابين أو من كل الكذابين وأوقح الكذابين؟

هل يعني صدق هؤلاء إلاّ أفجر وأوقح أساليب الكذب ومعانيه ونياته أي لو صدقوا؟ أليس الكائن يحتاج إلى الكذب والخداع والنفاق والتزوير وإلى التعامل بذلك بقدر ما يكون كبيراً أو عظيماً وقوياً وتقياً ومسؤولاً أي بقدر ما يكون إلهاً أو نبياً أو قديساً أو زعيماً أو معلماً أي بقدر ما يكون داعية إلى الصدق والشجاعة والتقوى والحب والفداء والصفاء والكمال الإنساني، وإلى رفض ولعن الكذب والنفاق والخداع والتزوير؟ أليس كل ما في الكون والدنيا أكاذيب أقل من أكذوبة واحدة من أكاذيب الإله. . من أكاذيب أي إله. . من أكاذيبك يا إلهي؟

لماذا كان محتوماً أن تكون وتجيء الآلهة والنبوات والزعامات والقيادات والإنسانيات أكثر كذباً ونفاقاً وخداعاً وتزويراً وتضليلاً وأكثر وأقسى احتياجاً إلى ذلك من كل أحد؟

هل لهذا تفسير غير هذا التفسير؟

إذن يا إلهي لا بدَّ أن تكون قد أدركت قسوة الفجيعة والضياع والخسران التي لا بدَّ أن يقاسيها هذا الكتاب لأنك قد قاسيت نفس الفجيعة والضياع والخسران حين جئت إلى نفس القوم نفس المجيء بنفس اللغة في نفس المكان لنفس الأغراض. . !

. . إذن لا بدَّ أن يكون أساك لمصاب هذا الكتاب فاجعاً قاتلاً مفسداً مدمراً طارداً لكل مسراتك وابتساماتك ولكل مواكب وضجيج احتفالاتك بنفسك وبأعراسك. إذن لا بدَّ أن تذرف كل دموعك على سطور هذا الكتاب. !

وهل تستطيع كل دموعك يا إلهي أن تكون شيئاً من العزاء المطلوب منك في هذه القضية؟

آه يا إلهي كم يجب أن نظل نذكر ونتذكر لك هذه المزية الذكية النبيلة الكبيرة الوحيدة. . كيف يا إلهي البدوي الأمي المسكين العاجز عرفتها وفهمتها واحترمتها وقدرتها وتقبلها واستطعت الصعود إليها؟

إنها مزية لم تفطن أنت إليها ولم يفطن إليها أحد من أنبيائك أو من عبادك الأتقياء الأذكياء. ! . لقد فعلتها دون أن تفطن إليها أو إلى شيء من تفاسيرها. !

نعم، لقد أعلن إبليس العظيم إعلاناً عالمياً كونياً باسلاً، باسلاً عصيانه وتسفيهه وتجهيله وتحقيره لك وتمرده عليك وكفرانه بك وسخريته منك وتحديه لذكائك وعقلك وكرامتك وكبريائك بل ولعضلاتك بكل اللغات والقراءات والأصوات والتفاسير ومن فوق كل المنابر والمحاريب وبتعاليم كل أنبياء التوراة والإنجيل والقرآن. ! فبماذا جازيته، أي إبليس، أو عاقبته يا إلهي العربي بكل صيغه وتفاسيره وأهوائه وأشواقه وأحقاده وأصواته؟ ألست قد وهبته الخلود المطلق والقدرة والحرية المطلقتين؟ هل عرف أنبياؤك وأولياؤك أنك فعلت به وله ذلك؟ إذن لماذا لم يتعلموا منه ويعلموا به؟ لماذا لم تعلمهم إياه؟

هل وجد أو يوجد عاجز عن تعليم أنبيائه وأنصاره والمؤمنين به مثل الإله، مثلك يا إلهي؟

إذن أليس كل من يجزون ويهبون ويعاملون الخارجين عليك خروج إبليس مثل مجازاتك وهباتك ومعاملاتك لإبليس هم خوارج وجهلاء، وعصاة ومذنبين وهاجين لك وليسوا أذكياء أو أتقياء أو محترمين أو معظمين أو مطيعين لك.

كيف لم يفهم ذلك ويلتزم به أحد من أنبيائك أو دعاتك أو من المؤمنين بك

المتعبدين لك؟ كيف لم تفهمه وتلتزم به أنت يا إلهي؟ هل نسيت ذلك، أي قصتك مع إبليس؟ هل يوجد عاجز عن أن يتعلم أو يعلم مثل الآلهة؟

إذن أليس أنبياؤك وأولياؤك وعبادك الصالحون هم أقسى وأغبى وأكثر عصياناً وإيذاءً وإيلاماً لك وخروجاً عليك وجهلاً بك من كل أحد؟

أكتب هذا إلهي وأطلب من كل موظفيك أن يكتبوه ويقرأوه ويفهموه!

ستعرف يا إلهي أني أنا الصديق الوحيد لك في هذا العالم

. . إني في محاكمتي هذه لك يا إلهي لم أكن ولن أكون إلاّ منظفاً مجملاً مبرئاً مخلصاً لك ساتراً عليك. . لم أكن ولن أكون إلاّ جندياً فدائياً مقاتلاً عنك ولك ومعك ومن أجلك، من أجل كرامتك ونظافتك وتقواك نافياً رافضاً أن تكون أية ذرة أو قملة أو نملة أو أنة أو صرخة أو آهة أو عاهة أو ذبابة قد حبل بها وولدها عقلك أو قلبك أو فنك أو جمالك أو أخلاقك أو أشواقك أو يداك. .

. . لم أكن ولن أكون إلاّ صديقاً مخلصاً لك بكل أساليب ولغات ومواقف الصداقة والإخلاص بل بكل أساليب ولغات ومواقف الانتحار. . الانتحار من أجل تنظيف وتطهير وحماية كل ذاتك وصفاتك ونياتك وأخلاقك وإراداتك ورغباتك وكل مواهبك وتاريخك وفنونك بل وعيونك ومسامعك من كل العاهات والدمامات والتشوهات والأنات والصرخات والقبائح والفضائح والنقائص والعار والجنون والذنوب والعيوب التي تغطي كل هذا الوجود وكل من فيه والتي لا يوجد أو يحيا أو يبقى أو يسعد أو يتلاءم أو يتعايش أو يتماسك إلاّ بها، أي هذا الوجود، وكل من فيه بل أو حتى يفهم أو يفسر إلاّ بها. . والتي هي بعض أوصاف مريد ومخطط وفاعل كل شيء بل التي هي بعض عاره وقبحه وخطاياه. . والتي تتهم أنت، أنت يا إلهي بها كلها. . تتهم بها كلها إرادة وتدبيراً وتخطيطاً وحكمة وخلقاً أو خراجاً وفرحاً وبدءاً بدءاً. . بل التي لن يكون مؤمناً أو مستحقاً لفردوسك ولغلمانه من لم يصفك بها مادحاً لك. هل وجد واصف محقر لموصوفه مثل واصفك يا إلهي؟

أجل، إني في هذه المحاكمة لم أكن ولن أكون إلاّ راثياً حزيناً. . راثياً حزيناً لك يا إلهي. آه ما أقسى أحزان من يحزن لإلهه. ما أقسى وأفجع وأدوم وأنبل عذاب من يتعذب إشفاقاً على إلهه وانفجاعاً بإلهه. ! بمستوياته الأخلاقية والفنية والعلمية. إني في

هذه المحاكمة لم أكن ولن أكون إلاّ مسيحاً مصلوباً فوق صليب بل إلاّ صالباً نفسي وكل أخلاقي وأفكاري وحياتي وأسباب أماني فوق صليبك الذي لن يكون إلاّ صليبي بل لم أكن ولن أكون إلاّ صليباً هو الصالب والمصلوب. إني أنا الصليب والصالب والمصلوب أي بلا أي فخر!.

نعم، يا إلهي إني لم أكن ولن أكون إلاّ كل ذلك مهما حسبت أو زعمت أو بدوت نقيضاً حاداً لكل ذلك. إنه لا كائن من يحسب صديقه هو عدوه، ومن يحسب عدوه صديقه غير الإله.!

إنك يا إلهي لو أردت أن تهب كل حبك وشكرك وثنائك بكل الصدق والعدل والاستحقاق لما وجدت من تهبه ذلك مثل من قاسى وقاسى، بل خاطر وجازف بإقدامه على هذه المحاكمة لك التي قد تكون الأولى في تاريخ البشر..

بل التي لم تستطع كل بسالة وكرامة وخيال وذكاء واقتحام وتطلع وتلهف كل البشر في كل عصورهم وحضاراتهم الرؤية لها أو التفكير فيها أو الإحساس بها.

.. إذن كم أنتظر وأتمنى أن تفهمني يا إلهي وأن تراني وتجدني أنا وحدي الصديق المحب الممجد المنزه لك، بل الفادي، الفادي.! أما أنبياؤك ودعاتك وجميع المؤمنين المعلمين لك وعنك وبك.. الذين يجيئون ليدعوا إلى الاقتناع والاعتقاد بأنك أنت وحدك المريد المخطط العاشق الفاعل لكل ما في كل شيء وكل أحد من أخطاء وخطايا ووقاحات ونذالات وبلادات وشهوات ومجاعات وذنوب وآلام وأمراض وتشوهات وعاهات وتفاهات وعبث وفروق رهيبة مهينة مدمرة بلا أي استحقاق للمفضل أو للمفضل عليه لأن استحقاقاً لهذا أو هذا موهوب، أنت واهبه في البدء، البدء.!

.. ليجعلوا عينيك وعقلك وقلبك وأخلاقك وضميرك وكل مواجهاتك ومشاهداتك واستعراضاتك واحتفالاتك مباصق لكل هذه القبائح.

ـ نعم، أما أنبياؤك ودعاتك وكل معلمي الإيمان بك فلن يكونوا إلاّ أردأ وأقسى وأجهل وأوقح أعدائك مهما جهلوا هذا الذي لا يستطاع جهله.. أليس من رآنا واعتقدنا وأعلننا أنذالاً وسفهاء وجهلاء وظلمة فهو عدو لنا مهما كان جهله وقصده؟ إنك يا إلهي لو قرأت هذه المحاكمة كما أتمنى وأنتظر أن تقرأها لوجدت فيها كل الكفارة والتفكير عن كل النقائص والآثام التي يتهمك بها من زعموا أنبياءك ودعاتك وعبادك زاعمين أنهم بذلك يعبدونك ويرضونك ويتملقونك ويساومونك بل ويشترونك ويخدعونك ويدللونك.

. . ولو وجدت فيها، أي في هذه المحاكمة، كل الطهارة والتطهير لك من كل الأوحال والعفونات التي يلقون بها ويستفرغونها على كل تفاسيرك ومعانيك ونياتك معلنين وزاعمين أنهم ينظفونك ويزينوك ويعطرونك، أعني من زعموا أنبياءك ودعاتك وعبادك الأبرار. !

إنهم يصبون عليك وفيك ويلبسونك ويصوغونك ويقذفونك بكل ما فيهم وبكل ما في الوجود من قاذورات وقباحات وسفاهات ونذالات ودمامات وجنون. أما أنا، أي في هذه المحاكمة، فأنقيك وأصفيك وأحميك وأغسلك بل وأوضئك من كل ذلك بل وآخذك إلى أخلد وأقدس معبد ليغسل ويطهر كل ذاتك وثيابك ونياتك وتاريخك من كل الاتهامات والتلوثات بل ليعقمك ضد كل ذلك.

تعقيماً يتعهد به وينفذه كل ما في الكون وغير الكون من آلهة وبشر وكائنات وقوانين!

إنها محاكمة للإنسان.. بَرَاءَة للإله

كل تفاسير المنطق والأخلاق والقوانين والعدالة المقررة والمفسرة والمنفذة بل والمفترضة والمتمناة والمطلوبة والمطالب بها والتي تمجد نفسها بالدعوة لها وبادعائها كل الألوهيات والنبوات والفلسفات والمذهبيات والثورات.

ـ نعم، كل تفاسير كل ذلك تقضي وتعلم وتلزم بأن تكون محاكمة الإنسان أو تعييره أو تأثيمه على أي شيء من ذنوبه أو عيوبه أو نقائصه أو ضعفه أو دماماته أو تشوهاته الذاتية أو المعنوية أي النفسية والعقلية والأخلاقية والفنية بل والتعبيرية واللغوية إنما هي محاكمة وتعيير وتأثيم للإله أو للطبيعة أو لأية قوة أو كائن آخر داخل هذا الوجود أو فوقه أو حوله.. أراد وخطط وولد وصاغ الإنسان بكل حدوده وصيغه وطاقاته وضروراته وشهواته واحتياجاته وأهوائه ورؤاه وبكل قوته وضعفه.. بكل ذكائه وغبائه. أليست محاكمة أو محاسبة أو معاقبة الإنسان على أية عاهة أو نقص أو ضعف في عقله أو خلقه أو إرادته أو عواطفه أو عقائده تساوي محاسبته أو محاكمته أو معاقبته على أي شيء من ذلك في بدنه؟

.. المخلوق المصنوع المحكوم من خارجه بإرادة وفكرة وقدرة غير إرادته وفكرته وقدرته.. كيف يمكن أن يكون متهماً أو مذنباً أو مخطئاً مهما كانت ذنوبه وأخطاؤه؟ هذه قضية كانت يجب ألا يوجد وألا يحتمل أن يوجد من يجهلها أو من يستطيع جهلها.!.. أعني في حساب من يرى الإنسان مراداً ومدبراً ومصمماً ومخلوقاً مصنوعاً محكوماً من خارجه.!

كيف يكون المراد المدبر المصمم المخلوق المصنوع من خارجه محموداً أو مذموماً لعظمته وضخامته ونظافته أو لتفاهته وضآلته وقذارته.. لجماله وتقواه أو لفجوره ودمامته؟

ولكن واأسفاه، واعجباه..!.. لقد ظلت هذه القضية قضية لن يكون كذباً أو حتى مبالغة أن يقال أن أحداً لم يرها أو يقرأها أو يحاسبها أو يفسرها أو حتى يسائلها بأية خفقة أو أنة أو آهة من لغات أو تعبيرات أو معاني الفكر أو الأخلاق أو الضمير أو الرؤية أو الصدق أو البسالة أو حتى الحيرة!؟

ولكن أية قضية من قضايا الوجود والحياة قد حوسبت أو قرئت أو فسرت أو رؤيت أو سوئلت أو سئلت بأي شيء أو قدر من ذلك؟ إن كل وجود وموجود مكتوب عليه بكل اللغات والحروف: لماذا، لماذا دون أن يرى أو يقرأ ذلك أحد ان لماذا قتل لكل شيء.. إن أحداً لم يفهم أن من قال لإنسان أو عن إنسان: إنه مجنون أو بليد أو أحمق أو وقح أو ضعيف أو دميم أو مشوه أو جبان أو ذليل أو ضال أو لئيم أو حقود أو مهزوم أو مريض أو مهان أو عبد أو مستعبد أو مصاب باللون المحقر والمسخور منه فهو إنما يقول ذلك للإله ويصفه ويتهمه ويعيره به..

فهو إنما يقول له أنت يا إلهي كل ذلك.. أنت كل هذه النقائص والعاهات والذنوب والقباحات والوقاحات.. أنت كلها بكل التفاسير والمقاييس والحسابات والعدالات.!

إنه يقول ذلك بكل اللغات وإن لم ينطقه بأية لغة.!

كيف أمكن أن يجهل ذلك أحد؟

.. أية قوة استطاعت أن تحاصر وتصيب وتحكم كل معاني الإنسان، كل الإنسان بكل هذه البلادة والعمى والضلال والخمول ليكون، أي الإنسان، معجزة في عجزه عن رؤية وفهم ما لا يستطاع العجز عن رؤيته أو عن فهمه؟

هل هي، أي هذه القوة، إن وجدت محابية للإنسان أم للإله أم للطبيعة أم لنفسها أم لكائن أو كائنات أخرى موجودة ومحتاجة إلى هذه المحاباة دون أن ندري عنها شيئاً؟

أو هل هي، أي هذه القوة، معادية لكل ذلك لا محابية؟

أم أن هذه القوة، أي إن وجدت، هي قوة عشوائية مثل المنطق أو الكون أو النظام أو الإله الذي أوجدها أو الذي جاءت منه دون أن يوجدها أو يريد إيجادها، تضرب وتتحرك بلا إرادة أو تدبير كما يحدث هذا الكون وكل شيء فيه؟

أليست الإدارة والتدبير يحدثان وتحدث أسبابهما بلا إرادة أو تدبير؟ أليست الإرادة والتدبير يجيئان بلا إرادة أو تدبير بل ضد الإرادة والتدبير أو ما يجب أن تفعل الإرادة

والتدبير؟ هل يستطيع المريد ألا يريد لو اقتنع أنه يجب ألا يريد وأراد ألا يريد؟ إن الإرادة لا تكون بالإرادة ولا تمنع بالإرادة.

.. لهذا استحالت معرفة ما يستحيل جهله أعني ما يجب أن يستحيل جهله أي ما يستحيل أن يجهله أحد مهما كانت طاقات غبائه وجهله أي ما يجب أن يستحيل جهله أحد له.!

لقد هزمت في هذه القضية بل وفي كل قضية وألغيت كل قوانين وتفاسير الاستحالة والمستحيل. لقد زالت أو تداخلت كل الحدود بين المستحيل ونقيضه، بل لعل هذه الحدود لم توجد.!. وهل وجدت؟

لماذا لم يأتِ نبي واحد ليعلم أو ليمنع المستحيل كما جاء كل نبي ليعلم كل شيء؟

لقد تبادلا، أي المستحيل ونقيضه، كل الأخلاق والأماكن والظروف والعلامات والأعلام واللغات والشعارات.!

.. ما هو المستحيل وما هو غير المستحيل أو نقيض المستحيل أو المستحيل أن يكون أو أن يرى مستحيلاً؟ هل وجد من عرف ذلك أو حاول معرفته؟

أليس كل ما حدث ويحدث هو المستحيل أو هو الذي يجب عقلاً ومنطقاً وأخلاقاً بل وفناً وتديناً أن يكون وأن يرى ويحسب مستحيلاً؟ أليس ما أصبح مستحيلاً أو أكثر ما أصبح أو حسب أو أريد مستحيلاً هو الذي كان يجب ويفترض ويطلب ويعقل أن يكون غير مستحيل بل أن يكون واقعاً بل أن يكون مستحيلاً أن يرى أو يحسب أو يظن مستحيلاً؟ هل وجد خارج على قوانين وتفاسير المستحيل ونقيضه مثل الإله أي مثل المسؤول عن هذا الوجود؟

.. إن كل شيء.. كل ما حدث وكل ما سوف يحدث أو ما قد يحدث يجب في حساب كل منطق وأخلاق وذكاء وكرامة وشرف وجمال وحب أن يكون مستحيلاً بل أن يكون مستحيلاً تصوره أو تصور من يتصوره أو يقبله أو يغفره أو يتعامل به أو معه.!.. إن كل ما جاء ويجيء كما جاء وكما يجيء لمحتوم أن يكون أكثر المستحيلات استحالة لو وجدت قوانين أو أخلاق أو منطق للمستحيل وغير المستحيل.!

.. كيف أمكن أن تنطق أية لغة أو أي مجتمع بحروف: مستحيل أو بحروف: غير مستحيل أو مستحيلة استحالته؟ ولعل الإله لم يتحدث عن المستحيل لأنه حينئذ سيكون هو كل هذا المستحيل.!

كيف وجد أول من نطق بذلك؟ كيف قبل الإله أو الكون أن يوجد من ينطق بذلك وهما الإله والكون يفعلان ما يفعلان ويفكران ويريان كما يفكران ويريان؟ هل يغفر للإله الذي صاغ هذا الوجود كما صاغه أو للكون الذي جاء كما جاء أن ينطق بكلمة: مستحيل؟

.. كيف ولماذا أصبح المستحيل مستحيلاً وغير المستحيل غير مستحيل؟ من فعل ذلك؟ وهل فعله إن وجد من فعله بإرادة وتدبير أم بلا إرادة ولا تدبير؟

وكيف جاءت إرادته وتدبيره كما جاءتا، ولماذا جاءتا كذلك؟ بأي حساب أو منطق جاءتا كذلك ولم تجيئا نقيض ما جاءتا؟ الواقع لو جاء هو المستحيل والمستحيل لو جاء هو الواقع: لو جاء ذلك كذلك فماذا يمكن أن يحدث؟

بأي حساب أو منطق أو فن نطق بهذا وهذا وأرادهما وجعلهما كما أرادهما وجعلهما أي إن وجد هذا المريد الجاعل؟

بأي منطق أو حساب أو أخلاق أو تدبير تكون الأشياء أو لا تكون؟

هل سأل المسؤول عن هذا الوجود نفسه هذا السؤال؟

لو أن كل العقول والأخلاق والحسابات تجمعت خارج هذا الوجود متحاورة متحاسبة متسائلة عن كل شيء وفي كل شيء فهل يمكن أن يوجد أي عقل أو حساب أو أخلاق أن لا تقول حينئذ أن مجيء هذا الوجود أو مجيء أي شيء منه كما جاء هو كل المستحيل؟

إذن فماذا يمكن أن يقول أي منطق أو حساب أو أخلاق عن مجيء الإله كما جاء بل وكيفما جاء؟ كيف أمكن أن يؤمن أو يقول بمبدأ الاستحالة والمستحيل من آمن بوجود الإله كما تصوره ولقنه؟

* * *

.. أجل، إن محاكمة ومحاسبة واتهام الإنسان هنا هي أقسى محاكمة ومحاسبة واتهام للإله بكل تفاسير وحسابات وقرارات وقدرات ورؤى المنطق والأخلاق والعدل والصدق والشجاعة أي مفترضاً وجود الإله. !

إن عقاب ولعن أي إنسان على جرائمه وفضائحه لن يكون إلاّ عقاباً ولعناً للإله. !

هل يوجد من يجهل ذلك.. من يجهل قراءة ورؤية وتفسير الإنسان ليست إلاّ

قراءة ورؤية وتفسيراً للإله بكل صيغه وتفاسيره، بكل ما في ذلك من قبح وضعف وضآلة ومهانة، وأن الاستماع إليه أي إلى الإنسان.. إلى أنينه وصراخه وبكائه وجهالاته ووقاحاته وبذاءاته وشتائمه وشكاياته وآهاته من آلامه وأحزانه وهوانه وهزائمه ومخاوفه وفضائحه وتفاهاته.. ليس إلاّ استماعاً إلى الإله.. إلى كل ذلك من الإله وفي الإله ومفسراً للإله، معلناً عنه؟ إن الإله ليرى في ذات الإنسان أعمق وأشمل مما يرى الوجه في المرآة. إن ذات الإنسان أقبح معرض لذات الإله ولمعانيه.!

.. إن من رأى عاهة في وجه إنسان أو سمع أنة أو آهة يطلقها قلب إنسان جريح مفجوع فهو إنما رأى وسمع الإله ووجهه وأخلاقه وفنونه وتفاسيره وآلامه وتشوهاته وأشواقه وتمنياته وقدراته وجماله وما يعتقد أنه يصنع له السعادة والفرح والمجد والشهامة والكبرياء.!

* * *

هذا هو التفسير لمحاكمة واتهام الإنسان المباشرين الناطقين المنطوقين.. إنه التفسير الذي لن يوجد من يستطيع أو يجرؤ أن يخالف أو يجادل فيه حتى ولا الآلهة إلاّ أن تكون آلهة قد تصورتها وأرادتها وصممتها وصاغتها وبصقتها أخلاق وعبقريات الزعامات والقيادات والشاعريات والنبوات العربية الأصيلة.. الأصيلة.!

هل أقول بتكرار بلا أي اعتذار عن هذا التكرار: إن العاهة الفاجعة البذيئة في الوجه الجميل، وإن الأنة الأليمة يطلقها القلب الحزين البريء المؤمن لتصنعان لقلب الإله ولضميره وعقله وأخلاقه وعينيه وأذنيه كل الفرح والمجد والجمال والسعادة والرقص والغناء الروحيين، وإلاّ لماذا أرادهما وصنعهما، أي العاهة والأنة وأخواتهما، في الوجوه والقلوب؟

هل من تفسير لهذا غير هذا؟ ليت هذا التفسير الآخر يوجد ولو احتمالاً..! أيهما يريح إيمان المؤمن: أن يعتقد بأن الإله يسعد بالقباحات والآلام أم أنه بذلك يشقى، أم أنه لا يسعد ولا يشقى بذلك لأنه فاقد لكل الرؤى والعواطف والانفعالات.. فاقد لكل تفاسير الضمير والقلب، والعقل والأخلاق؟

* * *

.. أما محاكمة واتهام الإنسان غير المباشرين الناطقين الصريحين الجاهرين مع أنهما أصرح وأفضح وأفدح وأجهر وأنطق من كل شيء، فهما محاكمة الإله واتهامه، أي فهما هذه المحاكمة وهذا الاتهام للإله. إنني هنا أقاتل الإنسان موجهاً أسلحتي إلى

عرش الإله . . إلى أنصاب وأوثان وتماثيل الإله . ! حتى محاورة الإله لن تكون محاورة للإله . !

إن محاور ومحدث الأطلال والديار لن يكون محاوراً أو محدثاً للديار أو الأطلال . . كيف استطاعت أخلاق وعقول ورؤى النبوات والزعامات والعبقريات العربية أن تجهل ذلك؟ من هوى بها إلى حضيض هذا الغباء؟

إن كان أو إذا كان للغباء عبقرية، وحتماً له هذه العبقرية، فهل يمكن أن تكون هذه العبقرية شيئاً أضخم أو أشهر من العبقرية أو غير العبقرية التي استطاعت أن تهوي بعقول وأخلاق ورؤى النبوات والزعامات والقيادات والعبقريات بل والألوهيات العربية إلى حضيض هذا الحضيض؟ هل يمكن تصور عبقرية ضخمة وأليمة مثل العبقرية التي صاغت الوجود العربي كما جاء؟

. . لعل كل ما في هذا الكون وكذا كل ما في طاقات وأشواق الآلهة من عبقريات الغباء والافتضاح قد قررت، ولتكن الأسباب مجهولة أو حتى غير موجودة، أن تهب كل مجدها وقوتها وشهرتها وكل لغاتها وأزيائها للإنسان العربي . . لزعاماته وقياداته وعبقرياته وشاعرياته ونبواته بل ولألوهياته، قد قررت أن تحول نفسها إلى معارض ومتاحف وتاريخ للتاريخ العربي . !

لعل ذلك كذلك . !

لهذا فإن أي عربي لا يستطيع أن يقرأ أو يرى شيئاً من غبائه وافتضاحه مهما رأته وقرأته مفجوعة كل العيون والعقول والأخلاق والضمائر التي لا تعرف ولم تتعلم أو تعلم شيئاً من الرؤية أو القراءة أو الغضب أو الانفجاع . . . !

إن العربي لا يرى أو يقرأ معاني الأشياء مهما رأى وقرأ حروفها وأجسادها . !

إن هذه المحاكمة التي قد تكون الأولى أي محاكمة الإله بهذا الأسلوب المباشر الجاهر الصارخ لن تكون بكل نياتها وحوافزها وأسبابها ومنطقها وتفاسيرها إلاّ محاكمة للإنسان . ! . إن أقسى محاكمة للإله هي أقسى محاكمة للإنسان . !

. . إنها محاكمة للإنسان على ما أراده ودبره وفعله وأوقعه باسم الإله وبادعاء الإيمان به والاحترام والتمجيد والعبادة والطاعة والإرضاء والإسعاد والعطاء والرشوة له ولدفع ثمن فردوسه والإنقاذ من جحيمه .

ـ نعم، محاكمة له على ما أراده ودبره وفعله وأوقعه بعقله وقلبه وضميره وأخلاقه ومشاعره وتصوراته وأوقاته وأعماله واحتياجاته وعلاقاته ورؤاه وبكل صيغ ومعاني حياته

ووجوده من تضليل وتبليد وتبديد وتشويه وخسران وأحقاد وعداوات وخصومات وانقسامات ومبارزات ومفاخرات وملاعنات وحروب، حروب وذكريات وتاريخ كئيب، كئيب. . !

ومن مساجد وكنائس وهياكل ومباك متضرعة كلها إلى إلهها أن يهدم ما سواها. . ! أي بسبب هذا الإله وبحجة وجوده والإيمان به والتوسل والتقرّب إليه وبإغراء البحث عن الجواري والغلمان في فردوسه وبرهبة الخوف من جحيمه ومن ضرباته المسددة أبداً إلى كل شيء وكل أحد. . المسلحة بكل الأسلحة القاتلة والجارحة والمشوهة أي بسبب هذا الإله المزعوم المجني عليه دون أن يكون جانياً. . هذا الإله المزعوم الذي مهما جُني عليه أو اتهم فلن يريد أو يستطيع أو يحاول أو يعرف أن يدافع عن نفسه أو يعاقب الجانين عليه المتهمين له أو يثأر منهم. . إنه لا بريء كل البراءة مزعوماً معتقداً معلناً مفسراً كل الظلم والظالمين غير الإله. !

هل خسر الإنسان أو تعذب أو استحق كل المحاكمة والمعاقبة وأقسى المحاكمة والمعاقبة على أي شيء مثلما خسر وتعذب في هذه القضية، أو مثلما استحق هذه المحاكمة وهذه المعاقبة عليها أي على هذه القضية. . في كل تاريخه ووجوده وأجياله وشعوبه وأوطانه وأممه وأديانه وأنبيائه ومحاربيه ومنابره؟

هل عاقب أو قاتل أو شوه الإنسان كل وجوده ومعانيه، أو فقد كل ذكائه وكبريائه وأخلاقه وكل جمال وحب وصفاء وبراءة علاقاته بنفسه وبكل أحد وشيء.

ـ نعم، هل فعل الإنسان كل ذلك بكل أساليب ومعاني النذالة والقبح بل وبكل أصوات وتفاسير الفخر والجهر والتدين والإعجاب وبطلب المزيد من القدرة على ذلك. هل فعله مثلما فعله بادعائه الإيمان بهذا الإله. . بهذا الإله البائس الخاسر المظلوم الذي لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد من يستطيع أو يريد أن يطيعه أو يحترمه أو يحبه أو يشتاق إليه حتى ولا أعنف من يفعل كل الجرائم والقبائح باسمه ومن أجله وبدعوى الغرق والفناء والجنون في حبه واحترامه وطاعته والشوق إليه. هل وجد أو يوجد من فعلت وتفعل كل البغضاء والجرائم والخصومات والملاعنات والعداوات والبذاءات والوقاحات والبلادات والعدوان بدعوى الحب والاحترام والطاعة والصلاة والغناء والرقص والهتاف له مثل الإله أي بلا شيء له من ذلك؟

. . أطالب أن تسمعوا وتتعجبوا وتتفجعوا أو أن تسمعوا فقط بلا تعجب أو تفجع أو انفجاع. !

وهل تستطيعون أن تتعجبوا أو تتفجعوا أو حتى تعجبوا أو تفجعوا؟

هل يستطيع أو يقبل أي كائن في هذا الكون أن يحيا أو يبقى أو حتى يوجد لو كان يملك أي قدر من عذاب وهول ولهيب وزئير وأنين التعجب والتفجع من كل ما يصنع التعجب والتفجع؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد ما لا يصنع ذلك؟

هل كان يمكن أن يوجد أو يبقى أي شيء أو أحد من هذا الوجود لو لم تسحب أو تقتل أو تسكت فيه ومنه كل رؤى وأخلاق وأفكار وضمائر ولغات وقراءات وتساؤلات العجب والتعجب والتفجع والانفجاع؟ هل من فعل ذلك بكل إنسان وكل أحد كان رحيماً حكيماً صديقاً أم كان عكس ذلك؟ هل هو عاشق جمال وذكاء أم دمامة وغباء؟

هل كان يمكن أن يوجد أو أجد من أخاطب حينئذ بهذا الذي أقوله وأكتبه لو لم يحدث هذا السحب أو القتل أو الإسكات؟

ماذا لو أن الإله وكل من حوله من سكان السماء يملكون أي قدر أو تعبير من هذا أي من التعجب والتفجع والانفجاع مما يصنع ذلك؟

ماذا لو أن من يزعمون ويدعون أنبياء يملكون شيئاً من ذلك؟ ماذا، ماذا؟

هل كان يمكن حينئذ أن يكون قد جاء أو بقي أحد منهم لكي نتحدث عنه أو نذكره؟

. . إذن اسمعوا وإن لم يكن منتظراً أو مطلوباً أو مفيداً أو حتى محتملاً أن تسمعوا كما أريد وأطالب أن تسمعوا. إني هنا أطالب بما لا أؤمل أو أرجو. !

أليس أقسى حالات العذاب أن نطالب بما نرجو أو ننتظر أن يكون؟

هل يوجد موجود لا يهزأ بعقله ووقته بطلبه ما لا يرجى أو ينتظر أو يجيء؟

نعم، اسمعوا وحاولوا أن تصدقوا بأن محاكمة الإنسان واتهامه لن يكونا ويجب ألا يكونا إلاّ محاكمة واتهاماً للإله المستلقي في غيبوبة دائمة فوق عرشه. . عرشه الذي ليس فوقه أحد ولم يكن قط فوقه أحد ولن يقبل أحد أن يكون فوقه. !

وهل كان ربحاً أم خسراناً لكل شيء ولكل أحد ألا يكون فوقه أحد؟

. . وبأن محاكمة الإله واتهامه لن يكونا ويجب ألاّ يكونا إلاّ محاكمة واتهاماً للإنسان. . لكل الإنسان. محاكمة واتهاماً له على ما فعله بنفسه وبكل حياته وتاريخه وكينوناته بدعوى الإيمان بهذا الإله والاستجابة لطلباته وشهواته وأنانياته وأحقاده التي بعث بها أنبياءه ودعاته إلى البشر ليعلموهم المزيد من العداوات والخصومات

والاختلافات والأحقاد والبغضاء التي لا يحتاجون إلى أي مزيد منها. . وليقسموهم ويفرقوهم ويحولوا كل ذلك وكل الشرور الأخرى التي يعلمونهم أن يتعاملوا بها بل ويدعونهم إليها ليحولوا كل ذلك إلى بطولة وإيمان وتقوى وطاعة وصلاة ومحبة وصعود إلى السماء. . إلى الفردوس. . إلى أحضان هذا الإله وإلى الجلوس على مائدته التي طهاتها وخدمها الملائكة والغلمان والحوريات. . ليحولوا أنذل الذنوب والنذالات إلى أنبل وأتقى وأبسل الأعمال طاعة وعبادة وحباً لأنبل إله. . ليعلموهم أن يفعلوا باسم الحب للإله كل ما يفعلون ويريدون استجابة لشيطان أعضائهم وأهوائهم ووقاحاتهم وبذاءاتهم. . ليقولوا لهم كونوا قتلة وأعداء ولصوصاً وغزاة وأنذالاً لتكونوا كل مجد الإله وحبه وفرحه. !

هل تفهمون هذا وتصدقونه؟ هل تستطيعون ألا تفهموه أو ألا تصدقوه؟

هل يمكن أن يوجد من لا يستطيع فهم ذلك وتصديقه؟ ولكن هل يوجد ما يستطاع فهمه وتصديقه لو لم يوجد من يفهمون ويصدقون ما لا يستطاع فهمه وتصديقه بل من لا يفهمون أو يصدقون إلا ما لا يستطاع فهمه أو تصديقه؟ أليس ما لا يستطاع جهله أو تكذيبه هو الذي لا يستطاع فهمه أو تصديقه أو هو الذي يصعب ويقل ويعذب فهمه وتصديقه؟

. . نعم، هل كان يمكن أن يوجد ما يفهم ويصدق لولا وجود من يفهمون ويصدقون ما لا يفهم أو يصدق بل من لا يفهمون أو يصدقون إلا ما لا يستطاع فهمه أو تصديقه؟

إن القضية هكذا: فهم وتصديق لما لا يستطاع فهمه أو تصديقه، وعجز عن فهم وتصديق ما لا يستطاع العجز عن فهمه وتصديقه. !

إن هذا الكتاب إذن ليس إلاّ أسلوباً من أساليب محاكمة الإنسان لنفسه. .

من أساليب محاكمة الإله لمحاكمة الإنسان. . محاكمة لإنسان بأسلوب محاكمة الإله. ! أليست محاكمة ومحاسبة المعتدى عليه والمكذوب عليه على خطايا وأخطاء المعتدي الكاذب هما محاكمة ومحاسبة للمعتدي الكاذب الفاعل للأخطاء والخطايا حتى وإن لم يعرف أو يعترف؟

* * *

. . إنه لقبيح وبليد وشاذ ومرفوض ومستنكر جداً أن يقيم ويؤلف العالم كل المنظمات والجمعيات والمؤسسات والمجالس الدولية الكونية لمحاورة ومحاسبة

ومحاكمة ومعاقبة ومعالجة القضايا والمشاكل والمصادمات والاختلافات والتناقضات العالمية والمحلية.. الكلية والجزئية.. بكل الضجات والاهتمامات والاحتشادات والدعايات وبكل تقوى الإيمان بالحضارة والبداوة بالإله وبالشيطان ثم لا يقيم أو يؤلف أو يؤسس، أي العالم، أية واحدة من هذه المنظمات أو المؤسسات أو الجمعيات أو المؤتمرات أو المجالس لمحاورة أو محاسبة أو محاكمة أو حتى مساءلة أو قراءة أو تفسير نفسه في هذه القضية الفاجعة التفاسير والنتائج.!

لقد كان المفروض ألا يكون لكل العالم ولا لأية منظمة من منظماته أي اهتمام يساوي الاهتمام بهذه القضية لضخامة وديمومة ما تصنع له من خسائر وآلام وهموم وشرور وعداوات وأحقاد وجهل.!

.. إذن كم أرجوك وأتضرع إليك يا إلهي المظلوم المسكين أن تفهمني وتغفر لي فإني لا أحاكمك أو أتهمك بهذه المحاكمة والاتهام، وإنما أحاكم وأتهم نفسي أنا الإنسان.. أنا كل الإنسان.!

.. أنت يا إلهي بريء، بريء، إنه لا بريء مثلك لأنك بريء من الوجود.

.. لأنك بريء حتى من وجودك، إذن لا بريء مثل براءتك.. لأنه لا بريء من وجود مثل براءتك من وجودك!

إنك يا إلهي الكائن الذي لا براءة له من كل الخطايا والأخطاء ولا من أية خطيئة أو خطأ إلاّ ببراءته من كل وجوده. من كل وجود.!

إذن هل يوجد من يستحق رضاك وشكرك وحبك بل وجزاءك مثل من يبرئك كل هذه البراءة.. مثل من يبرئك حتى من وجودك؟. ما أعظم حظوظي وحظوتي وجزائي لديك أيها الإله لو كنت موجوداً لأنه لا مدافع عنك مثلي.!

.. هل يوجد بريء مثل براءة البريء من وجوده؟

وهل يمكن تصور متهم مثل الإله المتهم بوجوده.. المتهم بأنه موجود؟ إذن هل يمكن تصور مدافع عن الإله أو مستحق لشكره مثل المنكر لوجوده؟

نعم، هل يمكن تصوّر متهم مثل الإله موجوداً أو تصور بريء مثل الإله غير موجود؟ إذن هل يمكن تصور متهم للإله مثل المؤمن بوجوده أو مبرئ له مثل الرافض المنكر لوجوده.؟

كيف لم يفهم هذا كل أحد وكل إنسان؟

كيف استطاع الإله نفسه وأنبياؤه ودعاته ألا يفهموا هذا؟

.. إذن هل يمكن تصوّر غباء مثل غباء من جاؤوا أو من يجيئون ليقنعوا بوجوده أي بوجود الإله.. بوجود أي إله أو مثل غباء الإله الذي رضي وسعد بأن يتهم بأنه موجود؟

.. إذن كل الرثاء لذكاء الأنبياء وكل الغضب والانفجاع والاشمئزاز من عدوانهم على الإله البريء من كل ما اتهموه وشوهوه ولوثوه به.. البريء من كل ذلك لأنه البريء من وجوده.. لأنه لا بريء مثل براءته من وجوده وكل وجود.!. إذن هل يوجد مبرئ للإله مثل مبرئه من وجوده أو متهم له مثل المتهم له بأنه موجود؟

.. وأيضاً كل الرثاء لذكاء الإله الذي تقبل ورضي به وفرح بأن يعلن ويقال ويصدق بأنه موجود.. بأنه كل الوجود وبداية كل وجود وموجود.!

وهنا يجب ألا أنزعج أو أنكر أو أغضب لو اتهمت بالتكرار حين أقول ولأنني أريد أن أقول:

كم أتمنى وأطالب أن يسمع العالم كل العالم هذا الذي أصر على أن أقوله دون أي أمل أن يسمع أو ينفع..!

نعم، لعل أعظم وأنفع وأقسى محاولة تصحيح لأي شيء هي محاولة تصحيح الإنسان.. تصحيح عقله وأخلاقه ورؤاه وعلمه وتعاليمه وكرامته وشهامته وأحقاده وأحلامه ومخاوفه من هذا الإله.. من الإيمان بهذا الإله..!

هل يمكن تصور تصحيح للإنسان أو لأي كائن آخر يساوي هذا التصحيح في أية مزية من مزاياه الشاملة؟

.. وأيضاً لعل أنبل وأعدل وأتقى تبرئة وبراءة هما تبرئة وبراءة هذا الإله من وجوده ومن الاتهام له بوجوده.!

هل يمكن تصور براءة أو تبرئة تساوي هذه البراءة أو التبرئة؟

.. كذلك لعله لا مبرئ للإنسان من أقسى وأقبح وأبلد وأسوأ العيوب والذنوب والأخطاء والخطايا مثل من يبرئه أو حتى يحاول تبرئته وإنقاذه من الإيمان بهذا الإله الذي لا مثيل أو شبيه له متهماً ولا مثيل أو شبيه بريئاً وتبرئة وبراءة..

هل يوجد أو حتى يتصور تفريغ يساوي أية مزية من مزاياه تفريغ ذات الإنسان من هذا الكائن المسمى إلهاً؟

هل يوجد احتلال متوحش رهيب مثل احتلال هذا الكائن لذات الإنسان؟

.. هل أصيب العالم كل العالم أو هل يمكن أن يصاب ببلادة أو بعمى أو جبن مثل هذه البلادة والعمى والجبن؟

هل حكم على كل كائن بأن يتخلف ويهبط بقدر ما يتفوق ويصعد؟

.. أيها العالم.. أيها الذكي الغبي.. الحضارة الهمجي. يا أذكى وأغبى الكائنات التي نعرفها.. يا أعظمها حضارة وذكاء وأقساها همجية وغباء. يا أسعدها وأتعسها.. يا أقواها وأضعفها.. يا أتقاها وأفجرها، يا أعلمها وأجهلها.. يا هذا العالم حدق، حدق في نفسك وفي تاريخك وفي ما حولك..!

.. حدق، حدق، وهل تقبل أو تستطيع أن تحدق كما يجب وكما أريد أن تحدق؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد أقسى من التحديق أو أقل من المحدقين أو من القابلين أو المستطيعين لأن يحدقوا؟

ماذا ترى وكيف ترى لو حدقت هذا التحديق الذي لم تحدقه ولن تحدقه؟ إن التحديق عدو ونفي ورفض ودمامة وتحقير لكل شيء. لهذا كان، أي التحديق، مرفوضاً، مرفوضاً.!

.. هل تستطيع أو تقبل حينئذ أن تغفر أو ترى أي شيء.. أن تغفر أو ترى شيئاً مما ترى وترضى وتفعل وتعرف وتريد. لهذا لم يوجد مرفوض مثل التحديق ولا رافض للتحديق ولا عاجز عن التحديق مثل ذوي العيون المبصرة القوية.!

.. أن تغفر لإلهك هذا أو أن تراه مستلقياً فوق كونه هذا فرحاً سعيداً معجباً مغنياً مصلياً لنفسه راضياً عن كل شيء.. عن كل ما يرى ويسمع ويفعل ويريد ويعايش..عن كل العاهات والتشوهات والأنات والصرخات واللعنات والوقاحات والبذاءات والخصومات والعداوات والمجاعات والاعتداءات والحروب المالئة لكل أكوانه ولكل تحديقاته أي لو حدق أو كان محدقاً؟

كيف لم تفهم أيها العالم بل ولم يفهم واحد منك أيها العالم أنه لو كان يوجد كائن مطلق القدرة قد زعم أو اتهم أنه المريد والمدبر والمخطط والفاعل الرائي المواجه المعايش الراضي المسؤول عن كل هذا الوجود ولكل هذا الوجود أو حتى عن أي شيء ولأي شيء فيه لكان محتوماً أن يدمر، أي إن كان يعيش فيه أي معنى أخلاقي أو منطقي أو نفسي أو فني أو أي تعبير من تعبيرات الحياة والأحياء ولم يكن جثة بلا أي نبض أو

حياة أعني هذا الكائن المطلق القدرة المتهم بكل ذلك والمزعوم كل ذلك ـ نعم أن يدمر كل شيء وكل أحد. . عقاباً ونفياً ورفضاً لهذا الزعم وهذا الاتهام. . واشمئزازاً وانفجاعاً وبراءة وهرباً من كل ما يحدث ويفعل ويرى ويعرف ويتوقع أنه إن لم يفعل ذلك فلن يكون كائناً حياً. لن يكون إلاّ جماداً. .

حتى العيون العمياء والعقول والضمائر والأخلاق النائمة بل الميتة ـ حتى هذه، إنها لن تستطيع أن ترى أو تسمع أو تقرأ أو تحاور أو تعرف أو تحاسب أو تحاكم أو تفسر أي شيء من هذا الوجود دون أن تحترق، تحترق. !

نعم، أليس بقاء هذا الكون بلا تدمير يعني حتماً أنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد هذا المتهم المزعوم؟

إن أنذل حشرة تملك قدرة مطلقة وشيئاً من الحكمة أو الرحمة أو الحب أو الرؤية أو الغضب لو أنها اتهمت بأنها المريدة والمخططة والخالقة لهذا الكون والمسؤولة عن كل شيء فيه أو فرضت عليها معايشته ومواجهته ورؤيته وقراءته لكان محتوماً أن تدمره. !

هل يمكن ألا تمر بهذه الحشرة لحظة تلزمها بتدمير كل شيء؟

إذن كيف أمكن أو يمكن أن هذا الكائن المطلق القدرة المزعوم إلهاً والمتهم بذلك لم يدمر كل شيء تحت ضغوط وتفجر وقفز إحدى غضباته أو ثوراته أو حماقاته أو تسلياته أو عقوباته أو تدريباته أو مناوراته أو تجاربه أو سأمه أو حزنه أو رغبته في التغيير والمشاهدات والمناظر المتحركة المتجددة أو اللاعبة العابثة؟

إنه إن لم يفعل ذلك فلن يكون كائناً حياً يرى ويحب ويكره ويرضى ويغضب ويحاسب. . إنك إذن أيها الإنسان لتستحق تهنئة كل احد وكل شيء حتى لتستحق تهنئة أنذل وأرذل الحشرات على عماك وجبنك وهوانك وتبلدك وتقبلك لما لا يستطاع تقبله وعلى إيمانك بما لا يستطاع إلاّ الرفض والإنكار له والاشمئزاز من تصوره. إن كل البشر إذن ليستحقون هذه التهنئة من كل أحد وشيء حتى من هذه الحشرات. !

أليس العجز عن رؤية أي شيء رؤية ناقدة محاسبة محاكمة مزية تستحق التهنئة؟

. . كيف لم يحاسب ولا يحاسب العالم ضخامة وقسوة وديمومة الخداع والتضليل والكذب والجهل والغباء والسرقة والإفساد والتعويض والتفريق والتباغض والتعادي الذي أوقعه ولا يزال يوقعه به كل الدجالين والمشعوذين والماكرين والبله والجهلاء والأميين

والمنافقين باسم هذا الإله وبدعوى الحب والطاعة والعبادة والتكريم والإرضاء له والإنقاذ من عذابه وعقابه وغضبه المدمر؟

ـ هل أصيب الإنسان في كل تاريخه بخسران أو بتشويه أو بتعويق أو بعدوان على كل معانيه يساوي ذلك؟ ما أرخص الإنسان المباحة كل معانيه الإنسانية لكل الجهلاء والمحتالين ليبصقوا فيها كل قبحهم وقيحهم باسم كائن زعموه وسموه إلهاً وصاغوه ووصفوه كما شاءت وقالت جهالاتهم وأغراضهم. ما أرخص وأقبح الآلهة التي تحبل بها وتلدها العمائم واللحى والمغارات!

. . نعم، إنه مهما كان محتوماً ألا يكون فوق هذا الوجود أي إله بأي تفسير أو مستوى من تفاسير الآلهة ومستوياتها فقد يكون محتوماً أو محتملاً أن يكون فوقه أو في تكوينه الذاتي قوة هائلة شريرة قد أرادت للإنسان كل الإنسان في كل عصوره وأطواره كل هذا العمى والبلادة والجبن والاستسلام للغوايات والجهالات والخداع والتزوير وفرضت كل ذلك عليه فتقبل بشوق ونشوة وعشق ورضا وفرح بل وبكل الإعجاب بذكائه ودهائه وكبريائه وتفوقه على كل شيء وببسالته النفسية والعقلية والأخلاقية في مواجهة كل ما يخيف أو يخدع أو يغري أو يغوي. !

هل كان يمكن أن يتقبل الإنسان أو أي كائن في مستواه شيئاً مما يرى أو يواجه أو يعايش أو يريد أو يفعل أو يفعل به لولا هذه القوة الهائلة الشريرة؟

إن كل ما في الكون من طاقات السحر والتخدير والتضليل والخداع لا تستطيع أن تجعل أي شيء معقولاً أو مقبولاً أو مغفوراً في أي منطق أو حساب، إذن ماذا حدث؟

. . إن أي كائن غير هذا الإله لم يحول إلى لوحات لا تستطيع كل أجهزة الإحصاء إحصاءها لترفع فوق عمائم ومنابر وألواح وبيوت وألسنة كل الأغبياء والجهلاء والخبثاء والأنذال الحاقدين الأميين الصغار جداً في كل صيغهم وتفاسيرهم وحتى في موادهم الخام الأولى أي هذه اللوحات أي هذا الإله اللوحي.

ـ لتكون دعاية وتمجيداً وتشريعاً وتكبيراً وتقديماً لكل نقائصهم ونفاقهم وأكاذيبهم وآثامهم وجهالاتهم وأحقادهم وعداواتهم ومتاجراتهم وتشوهاتهم المولودة والمعلمة المكسوبة. . أي ليصبح كل هؤلاء المرفوعة فوق أبوابهم هذه اللوحات فسوقاً شرعياً قانونياً دولياً بكل معاني الحياة والأنات. . إنه لم يفسق بالإنسان في كل تاريخه. . لم يفسق بعقله. وعلمه وأخلاقه بل وبعينيه وأذنيه ولسانه وعواطفه بل وبعضلاته وطاقاته وبكل معانيه وتعبيراته مثلما فسق بكل ذلك منه باسم هذا الإله. . !

إنه لا فاسق ولا مفسوق به وباسمه دون أن يوجد مثل الإله، وإنه لا فاسق بنفسه ولا مفسوق به باسم الإله مثل الإنسان.!

.. هل تجوز أو تنفع أو تقبل محاكمة من اتهموا بكل الجرائم كائناً لم يوجد ولن يوجد؟

إن كان ذلك كذلك فلن يوجد بل ولن يتصور أقسى أو أشمل أو أوجب أو أعدل من محاكمة العالم الذي اتهم الإله بأنه موجود وبأنه المريد والمخطط المصمم الفاعل لكل شيء.!

لقد اتهم كل العالم الإله بذلك أحياناً وأحياناً أخرى اتهمه به بعض العالم أو أكثر العالم.. إذن لقد اتهمه كل العالم بذلك أن الإنسان مهما توحشي في كل شيء فإنه لم يتوحش في شيء مثل توحشه في رؤيته للإله.!

.. كم يجب الرثاء لمن أعلنهم التاريخ فلاسفة وعباقرة وحكماء ومفكرين وآلهة وحراساً لكل العقل والمنطق في كل العصور.. أولئك الذين آمنوا وأعلنوا وعلموا وكتبوا أن كل المنطق والتفكير والأخلاق والرؤى والحسابات والشعر والفنون والتفاسير بكل اللغات تثبت وتقنع بل وترضى وتعلن وتسعد وتفرح بأن مريد ومدبر ومخطط وصانع هذا الكون وكل شيء وكل أحد والمسؤول عن كل ذلك هو كائن واحد مطلق في قدرته وحكمته ونزاهته وحنانه وفي كل رؤاه وتفاسيره الجمالية والنفسية والفنية والشعرية والعاطفية والأخلاقية، وبأن كون هذا الكائن كذلك وإعلانه كذلك هو كل التمجيد والتكريم والتجميل والإسعاد والإفراح والإرضاء والعبادة والحب والغناء له وللإنسان ولكل شيء..!

نعم، كل الرثاء لهؤلاء الذين أعلنهم التاريخ أعلى سمواته وأذكى عبقرياته وأنفذ عيونه بل كل الرثاء للتاريخ وللإنسان لضخامة مصابهما بهم، أي بهؤلاء.!

.. لقد أفسد وعاقب وشوه وفجع هؤلاء بهذا كل ما كان لهم وكل ما زعم لهم من عبقرية وفلسفة ومنطق ورؤية وتفكير وحكمة ورحمة وأخلاق وعواطف ومستويات فنية وشعرية وجمالية وأخلاقية وإنسانية.! لقد هبطوا بقدر ما صعدوا.

لقد عاقبوا صعودهم بهبوطهم وروجوا لهبوطهم بصعودهم.!

إن الإيمان بهذا الكائن فوق كل هذا الوجود هدم ورفض ونفي وإهانة لكل كبرياء وكرامة وفروسية العقل والتفكير والأخلاق والرؤية..!

إنه لأقسى طعن في قيمة الإيمان ودلالته وشرفه وتقواه أن هذا الإيمان بهذا الكائن لهجاء لكل تاريخ الإيمان وتفاسيره. !

.. كيف لم يسأل أو يتساءل هؤلاء أو حتى واحد منهم هذا السؤال أو التساؤل السهل جداً في صياغته وفي معرفة جوابه..؟

كيف لم يقل كل هؤلاء أو حتى بعضهم سائلاً متسائلاً:

هل أقبل أو أسعد أو أرضى أن أكون أنا هذا الكائن؟

وإذا كنت أنا لن أقبل أن أكون ذلك فكيف أقبله لأي كائن آخر.. لكائن أراه إلهاً؟ ولو كنت بالاختيار أو بالاضطرار فهل يمكن أن أصوغ هذا الكون أو أي شيء فيه أو منه أو خارجه كما صيغ أو كما جاء أو كما أجده وأواجهه وأراه، بل فهل كان يمكن ألا أنتحر فراراً من قبح وهول الرؤية والقراءة والمواجهة والمسؤولية والمساءلة والمحاسبة الذاتية والخارجية الكونية.. الكونية؟ وإذا كنت سأختار الانتحار حتماً لئلا أكون شيئاً من هذا فكيف أجرؤ على أن أتهم كائناً أهبه كل حبي وتعظيمي وإيماني وصلاتي بأنه كل ذلك.. بأنه المريد المدبر الفاعل المواجه لكل ذلك والمسؤول عن كل ذلك؟

.. هل حكم علينا بأن من يعلموننا ويهبوننا كل الذكاء والحرية والعبقرية والقوة والشهامة والشجاعة هم الذين يعلموننا ويهبوننا كل الغباء والتفاهة والضعف والعبودية والجبن والنذالة والهوان أو هم بعض من يعلموننا ويهبوننا كل ذلك بل أو هم أقوى وأذكى هؤلاء المعلمين الواهبين؟ من هذا الحاكم علينا بذلك؟

لماذا كل السحاب الممطر لا بدَّ أن يكون مغرقاً ومخرباً؟ لماذا كل الأنهار العظيمة الجارية لا بدَّ أن تحمل إلينا الأوحال والأخطار والأضرار، لماذا لا تأتي إلينا سحابة واحدة أو نهر واحد بملابس البراءة والنظافة والشهامة والتقوى؟

.. إذن أيها النبي نرجوك ألاّ تكون نبياً لئلا تصبح أو لأنك لا بدَّ أن تصبح حينئذ دجالاً ومضللاً وصانعاً مشرعاً للبغضاء والغباء والخرافة والجهالة.. ونرجوك أيها العبقري المبدع ألا تكون كذلك لئلا تصبح أو لأنك لا بدَّ أن تصبح قافزاً صاعداً بنا إلى الحضيض.. إلى الهاوية.. إلى كل آفاق التعذيب والتعقيد والتوريط والتعجيز والإحراج.. ونرجوك أيها البطل ألا تكون بطلاً لئلا تصبح أو لأنك لا بدَّ أن تصبح قائداً لنا إلى الخراب والجنون والعداوات والمخاصمات والمبارزات والسباق إلى الموت والحروب والإفقار بل وإلى الهزائم والعار. !

آه. هل اعتدى علينا أو أهاننا أو أذلنا أو هزمنا أو شوهنا أو حقرنا أو عذبنا وورطنا وأفقرنا مثل أبطالنا؟

هل ولدت أو ربت الإنسانية عدواً لها وأنفقت عليه مثلما فعلت بأبطالها أو لأبطالها أو مثلما فعل بها ولها أبطالها أو من زعمتهم أبطالها؟ هل عاقبت الطبيعة الإنسان والحياة مثل عقابها لهما بأن دبرت واستطاعت أن تصنع الأبطال والأنبياء؟

. . ونرجوك أيها الذكي ألا تكون ذكياً لئلا تصبح أو لأنك لا بدَّ أن تصبح معلماً للبلادة والسخف والعبث والافتضاح والقبح ومفسراً مسوغاً بل ومجملاً ومباركاً وداعية لكل ذلك. !

ويلنا، ويلنا من غباء الأذكياء ومن ذكاء الأغبياء.

ويلنا من أذكيائنا وأغبيائنا. . من ذكائنا وغبائنا. . من كبارنا وصغارنا. !

. . ويلنا من قوتنا وضعفنا. . من حبنا وبغضنا من عزتنا وهواننا.

. . ويلنا من عظمة العظماء وتفاهة التافهين. !

. . ويلنا من وجودنا لأننا وجدنا لا لأننا وجدنا كما وجدنا. !

. . ويلنا لأن كل تفسير لويلنا كل المعاني لوجودنا. !

لأن كل معنى لوجودنا كل معاني ويلنا. !. .

. . نعم، إن الإنسان مهما كان متوحشاً ووقحاً ونذلاً وبليداً وأعمى وعدوانياً فإنه لم يكن في شيء من ذلك أو في كل ذلك مثلما كان في رؤيته وقراءته ومعاملته وتصوره وتفسيره للإله وفي إعلانه عنه وإيمانه به وصلواته ودعواته له وفي حجه إلى أحجار كعبته، وفي إجلاسه له فوق عرشه ليظل فوقه أبداً مقعداً مشلولاً نائماً غائباً بلا أي حضور أو استيقاظ أو تفسير أو تعبير. . بلا أي حياة أو ممات. !. هل يوجد تحقير لأي كائن مثل أن يجلس على مثل عرش هذا الإله ليؤدي أعماله ووظائفه بأساليب هذا الإله؟

. . لهذا فإن كل معاني الإنسان وطاقاته وعبقرياته لو تحولت إلى نية وإرادة تفكير لما استطاعت أو قبلت أن تكون تكفيراً كافياً عن ذنوب ووقاحات إيمانه بهذا الإله وتنصيبه له فوق هذا الوجود بل وبإلقائه به ودفنه له في أحشاء وأوحال وآثام وآلام وعاهات ودمامات هذا الوجود بلا إنقاذ أو نجاة أو خلاص أو نهاية. !

هل يوجد معذب أو ملوث أو مشوه أو محقر مثل من يعيش في أحشاء هذا

الوجود؟ لهذا فإن أنبل وأتقى وأذكى الأعمال والأشياء هي التوبة إلى هذا الإله من الإيمان به.. من الإلقاء به في أحشاء هذا الكون.!

إنه لا توبة إلى الإله إلاّ التوبة من الإيمان بوجوده.!

كيف لم يعرف هذا كل ذكي وغبي.. كل فاجر وتقي؟

إن كل توبة إليه لن تكون إلاّ إساءة وخطيئة وتكراراً للإساءة والخطيئة وإصراراً عليهما إلاّ هذه التوبة أي من الإيمان بوجوده. إنها هي التوبة كل التوبة إلى هذا الكائن الإله.!

* * *

آه يا عباقرة وأذكياء وأتقياء وشعراء كل البشر..

ويا أغبياءهم وجهلاءهم وفجارهم وأنذالهم وقبحاءهم..

كيف لم تفهموا ذلك؟ كيف لم تفهموه؟

هل تستطيع جميع أجهزة ووسائل وأساليب وحيل التعجيز أن تعجز أحداً عن فهم ذلك؟ إذن أيها البشر، يا كل البشر كيف استطعتم أن تملكوا أو أن تكونوا كل هذه القدرة على العجز.. على هذا العجز يا أذكى الكائنات التي نعرفها وأغباها.. يا أفجرها وأقذرها.. يا أتقاها وأنظفها.؟

اسمع وافهم أيها العالم، يا كل العالم، ليتك تستطيع أن تسمع وتفهم ما لا يستطاع العجز عن سمعه وفهمه.!

نعم، أطالبك أن تسمع وتفهم بل وأن تروع وتفجع يا كل العالم.. إني وحدي، وحدي أقاسي، أقاسي كل عذاب وتعذيب وقبح وبلادة وفواجع عجزك أيها العالم يا كل العالم عن أن تسمع وتفهم. ليتك أيها العالم تستطيع أن تسمع وتفهم لكي أقول لك إنه لا يوجد معذب ومفجوع ومروع ومصدوم بك ومنك وبكل شيء ومن كل شيء مثلي، مثلي وحدي، وحدي.

ولكن لماذا أقول لك وأريد أن أقول لك وأنت لن تسمع ولن تفهم ولن تغضب أو تحزن أو ترثي أو تفعل أو تنقذ لو سمعت أو فهمت؟

آه أيها العالم يا كل العالم كيف أرجو أو أطالب أن تسمع أو ترى أو تفهم؟

وهل يوجد عاجز عن السمع والرؤية والفهم بل ومعاقب على ذلك ومعلم للعجز عن ذلك غيرك، غيرك أيها العالم؟

هل جاء أنبياؤك أو شعراؤك وعلماؤك أو فقهاؤك أو أتقياؤك أيها العالم إلاّ لكي يعجزوا عن السمع والرؤية والفهم وإلاّ لكي يعلموا العجز عن ذلك بل ولكي يلعنوا أو يهددوا ويعاقبوا كل من لا يعجزون هذا العجز أي لو كان ممكناً أن يوجد من لا يعجزون هذا العجز أي عن الفهم والرؤية والانفجاع والسماع لما لا يستطاع الصمم عن قبحه؟

لقد كان ماكراً كل المكر بكل الذكاء والأنانية من صاغك أيها العالم، أيها الكون لهذا صاغك ضد كل الفهم والرؤية والانفجاع والغضب والاحتجاج وإلاّ لكانت النتائج أخرى، أخرى. !

الآن لِنبدأ الحوار فكن ذكياً قويّاً شجاعاً

. . . يا إلهي أريد أن أفترضك عادلاً عاقلاً حراً تأذن وترضى وتفرح بل وتطالب بأن تحاور وتحاسب وتحاكم أي لأنك عادل عاقل حر قوي شجاع واثق من قوتك وانتصارك. . . لأنك مطلق القوة والشجاعة لا تخشى أن تسقطك أو تهزمك أو تضعفك أو تهين مجدك أو كبرياءك أية محاورة أو محاسبة أو محاكمة. . . لأنك أنت تفعل بالآخرين الضعفاء والمهزومين المسحوقين المخلوقين المستعبدين ذلك أي تحاورهم وتحاسبهم وتحاكمهم بكل القسوة والكبرياء والاستعلاء بل وبكل الوقاحة والنزق والجبروت، أي تزعم ذلك!

وهل يرفض العادل العاقل الحر الصادق القوي أن يعامله الآخرون بالأسلوب والمنطق اللذين يعاملهم بهما؟ وهل يغفر له هذا الرفض؟

هل يقبل أن يطالب الخالق مخلوقيه بكمال يرفض أن يطالب هو به؟

هل تقبل يا إلهي أن تكون أقل عدلاً وعقلاً وحكمة ومنطقاً وإيماناً والتزاماً بالحرية من البشر الذين تزعم أنك إنما خلقتهم لكي تعلمهم العدل والعقل والحكمة والمنطق والحرية والبسالة لكي يتعلموا ذلك ويحيوه ويلتزموه، ولكي يعلموه الحياة والكون وكل شيء ولكي يعلنوا أنهم بذلك إنما يعلمون ويعرضون ويحيون ويقرأون ويفسرون ويرسخون أخلاقك ومنطقك وعدلك وحكمتك وإرادتك وحبك وإيمانك وتقواك؟ هل تقبل أو يقبل أن تكون أقل من كل أحد في الاشتراط لك وعليك وفيك؟

أرجو ألا يزعجك كثيراً أن أقول لك مرة أخرى: هل تقبل يا إلهي أن تكون أقل من البشر إيماناً والتزاماً بما تعلمهم وتريد منهم ولهم وتفرض عليهم وتعاقبهم لو لم يؤمنوا ويلتزموا به؟. إني أرفض لك ذلك وأنزهك عنه حتى ولو لم ترفضه أنت لنفسك

وتتنزه عنه. إني اشترط لك وعليك أكثر وأسمى مما تشترط لنفسك وعليها. هل عرفت ذلك يا إلهي؟ كم أتمنى أن تعرفه!.

نعم لقد رأيت يا إلهي أن أخبرك وأحذرك وأنذرك أني في ذلك اليوم الأغبر المسمى بيوم الحساب الأكبر... ذلك اليوم الذي تزعم أنك إنما خلقت وبعثت كل أنبيائك وملائكتك وشياطينك لكي يخبرونا ويحذرونا وينذرونا عنه وبه ولكي يذلوا ويفجعوا ويشوهوا به كل ذكائنا وكبريائنا وخيالنا وأخلاقنا وكل رؤانا وتفاسيرنا بل وكل إيماننا وتقوانا، ولكي يطاردوا ويهزموا احترامنا لك.

نعم، إني في ذلك اليوم الأغبر الذي قيل أنك سوف تجمعنا فيه لتحاكمنا وتحقرنا وتشتمنا وتعاقبنا على الضعف والأخطاء والخطايا التي خططتها ودبرتها وأردتها وخلقتها فينا ولنا وخلقتنا وأنت تعلم أننا سوف نفعلها لأنك قد زرعتها بكل الدهاء والخبث والتآمر أو الغفلة وبكل إرادة التعجيز لنا في كل صيغنا وتفاسيرنا المعنوية والنفسية والمادية وفي كل آفاقنا وطرقنا وظروفنا ومستوياتنا وتحديقاتنا.

نعم، يا إلهي الذي لم أجده قط في أي شيء أو مكان ولكني حدثت عنه، حدثني عنه من لم يروه أو يجدوه في أي مكان أو في أي شيء بل الذين وجدوا ورأوا كل مكان وكل شيء ينفيانه، بل الذين لم يره أو يتعامل أو يتأثر أو يرحب أو يطالب به أو يشتق إليه أو ينتظره أو يستشره أي معنى أو تفسير من معانيهم أو تفاسيرهم مهما صلت له وهتفت به كل منابرهم ومعابدهم وأفواههم.

ـ نعم، يا إلهي هذا اني أريد أنا أخبرك أو أحذرك أو أنذرك بأني في ذلك اليوم الأغبر أي في يوم الحساب الأكبر سوف أفعل بك ما تزعم أنك سوف تفعله بي أي بنا جميعاً أي سوف أحاكمك كما سوف تحاكمنا فيما تزعم.

... ولكن ما أعظم الفرق بين المحاكمتين وبين المحاكمين فأنت أيها الإله الذي لا يستطاع تفسيره أو فهمه أو حتى تصوره تحاكمنا على ما فعلناه بأنفسنا دون أن ينال منك أو يصل إليك بل تحاكمنا على ما أردته وخططته وأوقعته أنت بنا ورأيت أن إيقاعه بنا يجعلك حكيماً ورحيماً وذكياً منطقياً منتصراً بل ويجعلك راضياً عن دهائك وتدبيرك المنفذ المنتصر على الضحية التي أردت لها أن تضل وتخطئ وتعجز لكي تسعد وتفرح أي أنت بتعذيبها بكل مجاعاتك وشهواتك الرهيبة إلى التعذيب والتحطيم.!

... هل يمكن أن تأذن بأي سبب من أسباب التعذيب لولا جنون مجاعاتك وشهواتك إلى أن ترى المعذبين وإلى أن تسعد بسماع صرخاتهم وأناتهم واستغاثاتهم

متزاحمة على أذنيك كأعذب الألحان مستمعة إليها أغوى وأفجر وأعشق الآذان الفنانة.

هل وجدت آذان تسعد وتتلذذ وتتغذى بالاستماع إلى أنات وآهات وصرخات الألم مثل أذنيك يا إلهي؟

... هل يمكن أن يأذن بوجود الأنين أو بإيجاده أو بوجود وإيجاد أسبابه أو بتدبير وإرادة ذلك أو يساعد على وجوده وإيجاده أو ألا يمنع ذلك وهو يستطيع منعه دون معاناة أو تكاليف أو خطأ أو خوف من الخطأ.

ـ نعم، هل يمكن أن يفعل ذلك أو شيئاً منه إلا من هو عاشق بجنون للأنين ولمشاهدة المعذبين الآنين؟

إذن ألست يا إلهي أعظم العاشقين للعذاب ولرؤيته والاستماع إليه؟

... إن المحقونين بالإيمان بك يا إلهي الذي طالما تعذبت بالإيمان به وبالخوف منه وبالانتظار له ومنه بلا حضور أو جواب أو عزاء أو حتى أمل، يقولون إنك تأذن بكل ذلك أي بوجود وإيجاد أسبابه وبوجود وإيجاد الأخطاء والخطايا والضلال والإضلال والغواية والإغواء بل وتريد ذلك وتدبره لأنك تؤمن بالحرية وتحترمها وتلتزمها وبأنه لا محاسبة أو محاكمة أو حتى مسؤولية إلاّ بالحرية.

... آه يا إلهي الذي طالما أشقاني انتظاره بلا حضور، وسؤاله بلا جواب، وحبه بلا جزاء، والتحديق فيه بلا رؤية وبلا جمال.!

يا إلهي الذي لم يره أو ير جماله أو يحدثني عن ذلك إلاّ العميان بكل معانيهم.!

... يا إلهي هذا.. هل الذي يؤمن بالحرية ويحترمها ويلتزم بها يعاقب عليها؟ وهل يعاقب على الحرية مثلك يا إلهي فيما يروي ويقول عنك أنبياؤك وكتبك المنزلة؟ ليتك يا إلهي تعلن إيمانك والتزامك بالحرية العقلية لكي أقتنع بأنك لن تعاقبني على حريتي.!

هل وجد أو يمكن أن يوجد رافض كاره لاعن للحرية مثلك ومثل أنبيائك وحراسك وشرطتك يا إلهي الذي طالما عذبني وأخجلني وأعجزني وأذلني الدفاع عن ذكائه وسلوكه ومحاولة فهم وتفسير ذكائه وسلوكه وشهواته ونزواته أعني ذكاءك وسلوكك وشهواتك ونزواتك أنت يا إلهي المحبوب بلا أي استحقاق لأي قدر أو نوع من الحب، هل وجد محبوب أو مزعوم حبه مع استحقاقه لكل البغضاء والعداوة مثلك أو غيرك يا إلهي؟

هل يمكن أن يعطى أي كائن الرغبة والقدرة على إطفاء الشمس وإغراق الحقول وتجفيف البحار والأنهار وفقء وقطع عيون وأيدي الآخرين وأن يؤذن له بتنفيذ ذلك بل ويدبر ويراد له ذلك ويعان عليه بحجة احترام الحرية والإيمان والالتزام بها مع كل القدرة على المنع والحماية؟

هل يفعل ذلك أي عاقل بل أو أي مجنون ما لم يكن فاعله أنت يا إلهي العاقل. !

. . . ألست تفعله بمن خلقت ومعهم ثم يقول أنبياؤك ودعاتك وحراسك إنك إنما تفعله إعطاء للحرية والتزاماً وإيماناً بها يا إلهي الذي لم ينظر إلى وجهه ولا مرة في أية مرآة؟ ولعله لا يعلم أن المرآة قد وجدت، أو لعله يرى أن تحديق المتقادمين سناً في المرآة وإليها شيء يقتل أو يفجع أو يهين أو يضعف أو يزهد في البقاء أو في العمل المحتوم أو المطلوب الالتزام به. !

* * *

. . . إذن أنت تحاكمنا على ما فعلناه ونفعله بأنفسنا لا بك ولا بآخرين غيرنا نحن البشر يا إلهي الذي كان يجب ألا يوجد أو أن يوجد بصيغ وتفاسير أخرى مناقضة كل المناقضة للصيغ والتفاسير التي جاء بها أي التي جئت بها أنت يا إلهي الذي لا نموذج لنماذجه في خروجها على كل المعقول والمقبول.

. . وهل يحدث أو يقبل أن يحاكم شعب شعباً أو فرد فرداً على ما فعله بنفسه دون أن يفعل بالشعب أو بالفرد المحاكم أي شيء ضار أو مؤذ لا بالسلوك ولا بالنية!

بل لقد كان الواجب والعدل أن تستقبلنا في ذلك اليوم المسمى بيوم الحساب بالمصافحة والتقبيل والتكريم والترحيب والفرح وبالأغاني، لا بالمحاكمة أو المحاسبة أو الغضب أو العقاب. . .

لأننا بأخطائنا وخطايانا المزعومة التي أردتها ودبرتها لنا وعرفتها قبل أن نفعلها قد حققنا حكمتك وخطتك وأهدافك المطوية في أخطائنا وخطايانا وكذلك وهبناك النشوة والسعادة والفرح والكبرياء وكل مشاعر الشماتة وأنت تشاهدنا نمارس أخطاءنا وخطايانا.

. . . أليست ممارساتنا هذه تهبك كل هذه المعاني السعيدة لهذا جاءت حكمتك وخطتك ومنطقك أن نمارس ممارساتنا هذه داخل عينيك وقلبك وفكرك وضميرك واهبة لك كل الرضا والسعادة بل واهبة لك كل مشاعر الانتصار والمجد والرغبة في المزيد من هذه الممارسات؟

. . . هل كان محتملاً أن تضع فينا الجرأة والقدرة على أن نفعل الأخطاء والخطايا

لو لم تكن مشاهدتك لنا نفعلها تهبك كل هذه المشاعر البهيجة الفرحة الراضية، أو لو لم يكن فعلنا لها محققاً لحكمتك ولرؤيتك الأخلاقية والمنطقية والفنية؟

فكّر يا إلهي في هذه القضية. وإن لم يكن لك عقل تفكّر به فقد يكون من الخير والأفضل أن تستوهب أو تستعير مثل هذا العقل...!

... هل يحتمل أن يخلق خالق مخلوقاً أو أن يصوغ فنان عملاً فنياً يصنع له الغيظ والغضب والاشمئزاز والحسرة ثم يستمر يخلقه أو يصوغه وهو يستطيع ألا يخلقه أو يصوغه أو يخلقه أو يصوغه بمستويات أخرى لا تصنع له أي شيء من المشاعر الأليمة بل وتصنع له مشاعر سعيدة مريحة مفرحة!

- نعم، هل يحتمل أن يحدث هذا يا إلهي الذي وجدته وجربته ورأيته وقرأته وفسرته وفهمته خروجاً شاملاً على كل عقائدي فيه وعلى كل ما قيل له عنه وعلى كل ما سمعت وقرأت عنه وعلى كل التفاسير والرؤى التي لقنت عنه؟

ولأن هذا لا يحتمل أن يحدث حتى ولو تصوراً فإننا لا بدَّ أن نؤمن ونعلن أنك تسعد وتفرح وترضى وتكبر بفعلنا لأخطائنا وخطايانا المزعومة، وترى أننا بذلك نحقق لك حكمتك البعيدة العميقة المرادة المدبرة يا إلهي الذي كنت أتمنى أن أجده غير ما وجدته لهذا فإنك تحشد وحشدت وتوظف ووظفت بكل العناية والدهاء والافتضاح المتآمر علينا كل أسباب وقوى ووسائل الإغواء لنا حتى لقد حشدت ووظفت لذلك كل أعدائك، حتى أعدائك، حتى الأبالسة والشياطين حشدتهم ووظفتهم ووهبتهم الخلود وكل أسباب القوة والانتصار والتفوق حتى عليك وعلى أنبيائك ودعاتك وعلى تعاليمك وكتبك المنزلة...

حتى أعضاؤنا لقد حشدت وسعرت ووظفت فيها كل الشهوات والمجاعات التي لا تغالب أو تقاوم أو تحاور أو تتهذب أو تتوقر أو تستحي أو تجامل أو تحترم أو تهاب مكانة صاحبها.!

إنه لم يوجد إنسان واحد حاولت مجاعات وشهوات وطلبات وأوامر أعضائه أن تتلاءم مع مكانة حاملها...

- نعم لقد فعلت كل ذلك بكل الدهاء والتآمر الرهيب لكي نكون محاصرين ومحكومين بأخطائنا وخطايانا بلا نجاة أو تخفيف أو اعتذار...

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أنك تريد ذلك وتسعد وتفرح وترضى به

وترى أن حكمتك ومنطقك لا يتحققان إلاّ به بل وترى أن جمالك وكمالك لا يكونان أو يكملان إلاّ بذلك؟

. . . إذن فنحن بما يسمى أخطاءنا وخطايانا لا نستحق منك المحاسبة أو المحاكمة أو العقاب أو الغضب بل نستحق كل الرضا والحب والترحيب والتكريم والمصافحة والمعانقة في ذلك اليوم الأغبر المسمى يوم الحساب الأكبر، أي لو كنت كائناً يتعامل بالمعقول أو باللائق أو بالعدل أو بالجمال أو كائناً يخضع لذلك أو يحترمه. . . أننا بفعلنا لأخطائنا وخطايانا نستحق منك أعظم وأسخى الثواب. فكّر فيما أقول. فكّر.

. . . نعم، يا إلهي الذي كنت، أي في عمى كينونتي المقهورة، أراه كل الجمال والنبل والحب والعدل والرحمة والتقوى والعبقرية والنخوة السامعة المستجيبة.

. . . اسمع هذا الخبر وحاول أن تتحاور مع أذنيك، ولعلك لم تجرب المحاورة مع أذنيك، إن كل شيء يدل على أنك لم تجرب قط هذا الحوار مع أذنيك. !

هل من الشروط اللازمة في كل الآلهة ألا تتحاور مع آذانها ولا مع أي شيء فيها؟

. . . يقول هذا الخبر الذي كان يجب أن أخشى عليك من الاستماع إليه وأن أهاب روايته لك. ولكن كيف؟ هل أخشى أن تتخاطب مع ما تسمع أو ترى أو تواجه أو تفعل؟

. . . يقول هذا الخبر الفاجع: إن هناك فوق هذا الكون وداخل كل ذرة وهمسة وأنه من ذرات وهمسات وأنات هذا الكون إلهاً هو كل الجمال والرحمة والحكمة والمحبة وكل العقل والعدل والصدق والصداقة والصفاء.

. . . إنه إله لا يشاء أو يريد أو يقبل أو يحب أو يتصور أو يعمل أو يعامل أو حتى يخاطب إلاّ الاستقامة والبراءة والنظافة والسعادة والفرح والحب للجميع، لكل الكون لكل شيء ولكل أحد ولنفسه.

. . . هذا الإله الذي هذه الأوصاف هي شيء قليل من أوصافه يذهب بكل الأناقة والإعجاب بالنفس يخلق مخلوقات يُقال إنها عجيبة ومتفوقة وممجدة لعبقرية خالقها، يسميها بشراً، محلقاً على أجنحة الزهو لأنه استطاع أن يتصور ويخلق هؤلاء الذين يسميهم بشراً، وأن يجعلهم يصبحون رعاياه وعبيده وحده. . .

وأنه أيضاً ليذهب يزعم ويعلن أنه إنما أراد وخلق هؤلاء البشر لغرض عظيم وكريم ووحيد هو أن يطيعوه ويعبدوه ويفرحوه ويتحولوا إلى أعظم الأمجاد والمسرات

والانتصارات له وإلى أجمل معارض العرض لجماله وعبقرياته وتصوراته الفنية الشاعرية، وأيضاً لكي يسعدوا، أي هؤلاء البشر المحظوظون بهذا الإله والصانعون له الحظوظ، بكونهم رعاياه وعبيده وحده ولكي يفرحوا ويتطهروا أو يحلقوا فوق كل سماوات المجد والحب والكرامة والتقوى، لكي يجلسوا معه فوق عرشه، ليكونوا جلساءه وأخلاءه في وحدته الرهيبة الكئيبة.!

ولكنه أيضاً أي هذا الإله لأسباب وتفاسير لا يمكن أن تكون مقبولة أو معقولة أو حتى متصورة يذهب بكل حماسته وقوته ورغبته وحكمته ورحمته يحشد ويحرض ويوظف ويدبر ويدرب كل القوى الخفية والظاهرة، المعروفة والمجهولة... كل الأبالسة والملائكة والشياطين، وكل الأعضاء والغدد والخلايا والذرات، كل وظائف الذات، لكي يذلوا ويضلوا ويفسدوا ويهزموا ويلوثوا هؤلاء البشر الذين إنما اختارهم واصطفاهم وخلقهم بأذكى وأطول التفكير والتدبير ليكونوا له وحده، وأيضاً لكي يقودهم ويسوقوهم إلى كل غضبه وعذابه وعقابه وإلى أهوال جحيمه، وإلى كل الخروج عليه والعصيان له والعجز المحتوم عن طاعته وعن البقاء، معه، وإلى أن يصنعوا، أي هؤلاء البشر، كل الغيظ والأسى والحسرة والخسران لقلبه وضميره وعقله وعينيه ومجده وتعاليمه، وكل الهزيمة وأقساها لطموحه وآماله.! هل يوجد فاسق بالإنسان مذل هازم فاضح ملوث له مثل مجاعات وشهوات ونداءات وضرورات وإملاءات أعضائه وخلاياه وغدده في كل إفرازاتها واستفراغاتها وتعبيراتها الوقحة.!

.آه. هل تستطيع أن تصدق أنه قد وجد أو قد يوجد مثل هذا الإله يا إلهي الذي لن أستطيع أن أجد له أي نموذج في كل النماذج الموجودة والمتصورة بل والمستحيلة... حتى المستحيلة؟

ـ نعم، إن نموذجك يا إلهي لا يستطيع أن يصعد إلى نماذج المستحيلات. إن جميع نماذج المستحيلات لتستطيع أن تتحول إلى احتمال أكثر مما يستطيع نموذجك أن يتحول إلى احتمال، إلى أي احتمال.

إن وصف نموذجك بالمستحيل ليتحول إلى هجاء لكل تعبيرات ولغات «مستحيل».! إذن أرجوك يا إلهي أن تحدق طويلاً وبعنف في نفسك لئلا تكون أنت هذا الإله أو نموذجه الكامل دون أن تدري.

حدق، حدق في نفسك يا إلهي الذي لم ير قط شيئاً من ذاته أو من أخلاقه في كل تاريخه. يا إلهي الذي لم ير قط شيئاً أو أحد! أو يره أحد أو شيء.!

. . . هل أهين العقل الإنساني أو الكرامة الإنسانية بشيء مثلما أهينا بهذه القصة التي جاء تأليفها هكذا:

أراد الإله أن يكون له صديق وحبيب عظيم متفوق، يصنع له المسرة والمجد والفخر. وبعد تفكير وتدبير وتحديق طويل في عيون النجوم خلق الإنسان ليكون له هذا الصديق الحبيب، ليكون حظه ومحظوظه وحظيه ومحظيه. . . ليكون عبده وعابده. . ليكون كل مجده وحبه وعبقريته فوق الأرض وفي السماء؟

ولكنه أي الإله لم يضع أية حراسة على حبيبه المختار ليكون كما يريد منه ويريد له، بل لقد ذهب بكل همته وقوته يحشد ويعد ويعبئ ويحرض كل القوى الشريرة على إنسانه هذا لإفساده وإغوائه وسرقته منه. بل لقد وضع عليه كل الحراسات المضادة لئلا يكون كما يُراد منه.

. . . وكان الشيء المذهل الفاجع أنه، أي الإله، كان يعلم أزلاً وأبداً أنه، أي الإنسان، لن يكون شيئاً مما أراد ويريد منه وله. لقد فعل وطلب وشرع ضد علمه الأزلي الأبدي.

. . . لقد خلقه ليكون له ومعه وهو يعلم علماً مطلقاً أنه سيكون مع أعدائه ولهم ضده أي لقد شاد البيت الذي يعلم أنه ساقط عليه بعد الفراغ منه. عاقل يبني بناء يعلم حتماً أنه بعد الفراغ من بنائه سيسقط عليه فوراً. صدقوا، صدقوا. !

. . نعم، هل يمكن تصور إهانة للعقل الإنساني وللكرامة الإنسانية مثل تصور هذه القصة؟ من أول من تصورها؟ وهل تصورها متصور أول أم تخلقت في ذات الإنسان كما تتخلق فيه الأحزان والآلام والعاهات والتشوهات والبلادات والتفاهات؟

. . . والذين طالبوا الإنسان بتصديق هذه القصة هل يمكن تصور مثلهم إهانة لذكاء الإنسان ولكبريائه ولموهبة الخيال والشعر والتصور فيه؟

وهذا النموذج لهذا الإله هل يمكن تصور مثله في انحطاطه وسخفه وجهالته وبلادته بل وفي عداوته لنفسه ولكل شيء وكل أحد وفي عدوانه على نفسه وعلى كل شيء وكل أحد لعل الإنسان لم يعتد على شيء مثل اعتدائه على النموذج الذي تصوره واختاره للإله. !

آه كم أتمنى أن يوجد من يطالب البشر، كل البشر بأن يحاسبوا ويحاكموا ويسائلوا تاريخهم، كل تاريخهم: كيف أمكن أن توجد فيه هذه القصة، أن تمر به، أن تسجل في

أحد سطوره، أن يقرأها أحد قرائه، أن يحاول تفسيرها وتسويغها أحد من مفسري ومسوغي آثامه وجهالاته.

.. كيف لم يوجد هذا المطالب بهذه المحاكمة والمحاسبة والمساءلة؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد غفران فيه كل صيغ وتفاسير ومعاني النذالة والهوان والغباء والجبن والكذب والخداع والانخداع مثل غفران الإنسان لتاريخه؟ هل وجد وثن مثل التاريخ وعابد لهذا الوثن مثل الإنسان؟ هل وجد مفسد لرؤية الإنسان، مضلل لمثله، ملوث لضميره، معوق لتحليقه، شاتم مشوه لحياته، مثل التاريخ، هل وجد فاسق بالإنسان مثل تاريخه؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد غافر ومغفور له يستحقان أقسى الحساب والعقاب بعد أقسى المحاكمات مثل الإنسان وتاريخه ـ الإنسان غافراً وتاريخه مغفوراً له؟

هل وجدت أو يمكن أن توجد علاقة غش وتزوير وفسوق وتضليل وإفساد وعدوان مثل علاقة الإنسان بتاريخه؟

هل استعبد أو أذل شيء شيئاً مثلما استعبد وأذل الإنسان تاريخه؟

❊ ❊ ❊

.. الآن أرجو أن تكون قد سمعت وفهمت تفاسير وأخلاق محاكمتك لي، لنا في ذلك اليوم الأغبر المزعوم يوم الحساب الأكبر يا إلهي الذي لن يخيب أي رجاء مثل خيبة الرجاء الموجه إليه أي الموجه إليك..!

إن محاكمتك لي أي لنا محاكمة على ما فعلناه ونفعله بأنفسنا دون أن نمسك أنت أو غيرك من ملائكة أو أبالسة أو غيرهم بأي أذى أو ضرر.

.. كذلك هي محاكمة لنا على ما فعلته أنت بنا وعلى ما أردته وخططته واشتهيته لنا، مع إعدادك وتحريضك وأمرك لكل القوى الشريرة ولكل الأبالسة والأعداء لكي يوقعونا فيه بلا فكاك، بأساليب تآمرية لا شبيه لها في كيدها وعدوانيتها وخستها بل وفي جهالتها ونذالتها..!

إنك يا إلهي تحاكمنا على عدوانك علينا.. على إساءتك إلينا.!

... أنت تغرس بل تصنع فينا الضعف والعجز والشوق والجوع إلى ما تسميه أنت وأنبياؤك الذنوب والمعاصي، وتريد وتدبر وتخطط وتشتهي لنا أن نفعل ذلك بل وتفرح وتسعد بأن نفعله لأن فعلنا له يحقق حكمتك وتدبيرك الذكيين الرحيمين، بل وتعد

وتحرض وتسلح وتأمر كل القوى الخفية وكل الأبالسة لكي لا ننجو من الوقوع فيما يسمى المعاصي والآثام، بل وتخلد هؤلاء الأبالسة والقوى الخفية ليكون ضلالنا وهلاكنا محتومين وخالدين. !

نعم، أنت تفعل كل ذلك وتعلنه بكل التباهي والفرح ثم تجرؤ على الزعم بل على الإعلان بأنك سوف تحاسبنا وتحاكمنا في ذلك اليوم الذي تسميه أنت وأنبياؤك وكتبك المقدسة بيوم الحساب الأكبر أي بأنك سوف تحاسبنا وتحاكمنا على ذنوبك وعلى عدوانك وإساءاتك إلينا وعلينا. !

... كيف لا تصاب أنت أو المعلمون عنك وبك بأقل قدر من الاستحياء أو الذكاء أو الرؤية أو من الترفع عن السقوط في أي مهبط من مهابط السخف والوقاحة والسفه والافتضاح يا إلهي الذي كنت يوماً ما أرى كل جماله في أقبح الدمامات والتشوهات والعاهات، وأرى كل حبه ورحمته في أقسى الآلام والأهوال، وأرى كل عدله وحكمته في أضخم صور المظالم والتمييز والتفضيل بين المتساوين والمتساويات، وأرى كل جوده في أخلاق الصحارى وأعوام القحط والمجاعات، وأرى كل نظامه في أبشع أساليب الفوضى والخراب، وأسمع صوته مغنياً محيياً مسلماً مواسياً معزياً في كل الآهات والأنات والصرخات، وأرى كل سلامه وكل عشقه وإرادته للسلام وكل صفات السلام فيه، في كل الحروب والعداوات والملاعنات والمخاصمات، في قلوب وأخلاق وأفواه كل الزعماء والقادة والمعلمين والأنبياء، المعلمين والمورثين للتاريخ وللحياة بكل ما فيهما وكل ما لهما من عداوات وملاعنات ومخاصمات وحروب وأحقاد... !

... يا إلهي الذي كنت أراه وأراه لأني لم أكن أرى أو أستطيع أن أرى شيئاً. !

... يا إلهي الذي كنت أراه وأعتقده وأتصوره وأقرأه كل الجمال والضخامة والحب والرحمة والعدل والذكاء والعقل والوقار والسخاء والنظام والعبقرية والفروسية والإنسانية لأني لم أكن أستطيع أو أجرؤ أو أعرف أن أرى أو أقرأ أو أفسر أو أسائل أو أحاور أو أحاسب أو أحاكم أو أخاصم أو أطارد أي شيء حتى ولا الذباب مستوياً وباصقاً على وفوق صفحات وحروف المصحف الذي كنت أقرأه دون أن أستطيع أو أنوي قراءته، والذي كنت أرى شفتي الإله تقبلانه ويدي النبي تحملانه وتصافحانه أي لأني لم أكن أستطيع أو أريد أو أجرؤ أن أرى شيئاً... ! حتى الذباب لم أكن أراه أو أستطيع أو أريد رؤيته باصقاً مستفرغاً على حروف المصحف وعلى أسماء الله الحسنى، وعلى عيني القارئة المحدقة في قراءة أسماء الله الحسنى. ؟

حتى الذباب هابطاً مستقراً مغنياً فوق عيني لم أكن أراه لأن عيني كانت مملوءة ومسكونة ومشغولة برؤية الإله الذي لم تكن تريد أو تستطيع أن تراه. حتى الذباب كنت أراه كل جمالك ونظافتك وعبقريتك يا إلهي. !

نعم، لقد كانت كل رؤاي مملوءة ومشغولة ومسكونة برؤية الإله لأني لم أكن أرى، لم أكن أرى، ما أرى لقد كانت كل رؤاي معطلة عن الرؤية برؤية ما لم أكن وما لا يمكن أن يرى أي برؤيتك يا إلهي. !

لقد كنت أرى كل شيء، كل قبح جميلاً لأني لم أكن أرى كنت لأني لم أكن أرى، أرى أقسى القبح والعذاب والظلم والعبث والغباء جميلاً بل كل الجمال بل كنت أرى الإله، وأراك يا إلهي كل الجمال لأني لم أكن أرى أو أستطيع أن أرى شيئاً. لقد كنت أرى بقدر ما كنت عاجزاً عن الرؤية، كما كنت أعرف وأقتنع وأصدق وأفهم وأؤمن وأسمع وأحب وأحترم بقدر ما كنت عاجزاً عن كل ذلك وعاجزاً عن أن أجد ما يجعلني أفعل ذلك. !

.. ما أقل معرفة من يعرفون ومن يعرفون أن عليهم أن يعرفوا وأن يعرفوا ما يعرفون وما أكثر من يعرفون وما يعرفون لأنهم لا يعرفون ولا يعرفون أن عليهم أن يعرفوا وأن يعرفوا ما يعتقدون وما يعرف ويعلنون أنهم يعرفون. !

ما أصعب أن نعرف ما نعرف. ما أصعب أن نعرف إذا كان محتوماً علينا أن نعرف ما نعرف!

لهذا فإنه لا أحد يعرف كما يعرف الأنبياء الأميون أو كما يعرف المتحدثون عنهم وعن السماء وعن الغيب والمجهول. لهذا فإنه لا أحد يعرف مثلما يعرف من لا يعرفون. !

كيف يعرف من يعرف أنه يعرف وهو يعرف ويجد ويرى أن كل من لا يعرفون ولا يمكن أن يعرفوا يعتقدون ويعلنون أنه لا أحد يعرف مثلما يعرفون؟

كيف عرف أو يعرف هؤلاء الذين يعرفون أنهم ليسوا من أو مثل هؤلاء الذين يعرفون لأنهم لا يعرفون؟ إن الأنبياء وأشباههم لا يعرفون ولا يرون أن عليهم أن يعرفوا، ولكنهم يسمعون أو يحسبون أنهم يسمعون، وحينئذ يصبحون يعرفون كل شيء لأنهم لا يعرفون أو يستطيعون أو يريدون أن يعرفوا شيئاً. إنهم ليعرفون عدد حبات المسبحة التي يسبح الله بها لنفسه تعزياً وتداوياً من فراغه الكئيب. !

... ولهذا فإنهم يذهبون يتحدثون بكل السهولة عن كل ما قد كان وعن كل ما هو

كائن وعن كل ما سوف يكون بل وعن ما لم يكن على أنه قد كان وعن كل ما لن يكون على أنه لا بد أن يكون، على أنه قد كان. . .

. . . يتحدثون عن كل شيء وكان كل شيء إنما تفرزه، تستفرغه، تبصقه، تلده ألسنتهم. . . يتحدثون عن كل شيء بلغة فيها كل يقين الجهلاء الأميين الذين لا يستطيعون أن يعرفوا أو يتعلموا أو يتكلموا لغة الشك أو الاحتمال!

أليسوا يعرفون بأي يدين يحرك الله المسبحة التي يتسلى ويتداوى من عزلته وكآبته بتحريكها؟

. . . وهم لا يتحدثون عن الشيء أو يتوقفون عن الحديث عنه لأنهم يعرفون أو لا يعرفون. أنهم حتماً يعرفون. ولكنهم يتوقفون عن الحديث أي الحديث العارف شيء إن توقفوا لأنهم لم يسألوا أو يريدوا أو يفطنوا، أو لأنهم لم يشعروا بالجوع إلى الحديث أو بالرغبة فيه، أو لأنهم في نوبة كسل أو خمود أو غيبوبة. أو المعرفة عندهم ليست مشكلة ولن تكون مشكلة ولم تكن قط مشكلة. . .

إن الله قد استفرغ فيهم كل علمه وعقله وقلبه وضميره ورؤيته وتاريخه وأخلاقه إن الله قد فرغ كل ذاته في ذواتهم. . .

. . . إنه قد وظّف ذاته كل ذاته في أفواههم، على أبواب أفواههم!

إن الله ساكن أبداً في أفواههم أي أفواه الأنبياء ليقول كل شيء منها وفيها. !

. . . إنه أي الله ليس له أي اهتمام أو وظيفة غير أن يتكلم بواسطة ألسنتهم. .

. . . إنه لا يستطيع أن يقول ما يريد قوله إلاّ بألسنتهم. . لقد خلق الله أفواههم لكي يستطيع أن يتكلم معبراً عن نفسه، لكي يكون مسموعاً وموجوداً ومعروفاً ومرئياً. !

. . . لهذا فإنهم أي الأنبياء وكل المتحدثين عنهم وعن السماء والغيب والمجهول لا بدَّ أن يعرفوا كل شيء ويتحدثوا عن كل شيء لأنهم لا يعرفون شيئاً. .

إن أعلم هؤلاء بكل شيء وأجرأهم على أن يتحدثوا عن كل شيء هم أشملهم وأصلهم وأعمقهم أمية وبداوة وجهالة. !

إن أي إنسان ليس مصاباً بالأمية العقلية والأخلاقية والدينية لن يصبح نبياً. !

. . نعم، إن هؤلاء لن يتركوا أو يهابوا الحديث عن أي شيء لأنهم يجهلونه أو خوفاً أو حذراً من الجهل به أو من ألا يكون العلم به يقيناً، أو توقراً أو تقوى. وكيف

يجهلونه أو يخافون أو يحذرون من جهله؟ إنهم يعلمون كل شيء لأنهم يجهلون كل شيء . . .

أليس الله قد فرغ كل ذاته في ذواتهم؟ إذن كيف لا يعرفون كل شيء مهما جهلوا كل شيء؟

إذن كيف لا يعرفون كل شيء لأنهم يجهلون كل شيء أو بقدر ما يجهلون كل شيء، أو كلما جهلوا كل شيء؟ هل يمكن أن يصبح الموهوب في تفكيره أو رؤيته أو في محاسبته ومحاكمته لنفسه أو للأشياء نبياً؟ أنه لن يكون نبياً ولن يختار أو يرشح لذلك لأنه لن يكون عارفاً بكل شيء. وهل يكون نبياً إلاّ العارف بكل شيء أي لأنه جاهل بكل شيء؟

. . . نعم، قوم لا يستطيع الإله أن يتكلم، أن يعلم أو يحرم أو يشرع أو يأمر أو ينهي أو يلعن أو يمدح أو يعلن عن نفسه، عن وجوده أو عن أي شيء من مزاياه أو طلباته، أو عن أفراحه أو أحزانه أو نياته أو شهواته أو حبه أو بغضه، بل أو يرى أو يقرأ أو يسمع بل أو يقبل أو يرفض أو يحارب أو يسالم أو يرضى أو يغضب أو يبتسم أو يبكي . . .

ـ نعم، قوم لا يستطيع بل ولا يريد الإله أن يكون شيئاً من ذلك إلاّ بواسطة أفواههم كيف يمكن أن يجهلوا أي شيء أو ألا يعرفوا كل شيء؟

. . . إنهم قوم قد اختارهم الله ليجعل كل ذاته موظفة في أفواههم وعلى أبواب أفواههم وكل لغات أفواههم، أفواههم أبدية الأمية. !

. . . إنهم هم ذات الله جاءت في ذوات بدو وملابس ولغات بدو. !

وهل جاءت الآلهة أو ظهرت أو وُلِدت إلاّ في ذوات ولغات وملابس بدو أميين؟

. . . أما محاكمتي أي محاكمتنا لك يا إلهي المحاصر أي الذي سوف يجد نفسه محاصراً بلا إنقاذ أو عزاء أو أمل في البراءة أو الرحمة فإنها محاكمة على ما فعلته وتفعله أنت بي أي بنا وليست على ما فعلته وتفعله أنت بنفسك أو على ما نفعله أو فعلناه نحن بك كمنطق محاكمتك لنا.

إن محاكمتي أي محاكمتنا إذن لك هي أعدل وأوجب وأقوى وأنبل محاكمة يمكن تصورها. إنه لو ألغيت كل المحاكمات لوجب أن تكون محاكمتك هي التي لن تلغى.

. . . إني الآن أطالبك بل أفرض عليك بل آمرك يا إلهي المصاب بكل آفات

الاسترخاء والغفلة بل بكل أعراض النوم الذي لا استيقاظ منه، أن تستعد بكل مخاوفك وتوقعاتك الأليمة للاستماع إلى بدء محاكمتي لك أي إلى ما سوف أبدأ به محاكمتي لك في ذلك اليوم البعيد الذي تسميه أنت وأنبياؤك بيوم الحساب الأكبر. . .

إلى ما سوف أبدأ به محاكمتي لك أمام كل العالمين، أمام كل أجهزة وموظفي شرطتك وحراسك ومخابراتك وزبانيتك وجلاديك وسيافيك. . أمام كل أعوانك الخادعين المخدوعين وكل ضحاياك المخدوعين. !

آه إذن كم سوف يكون حرجك رهيباً وموقفك قتالاً فضاحاً. !

كم سوف تكون قاسية تلك النظرات والمشاعر المحدقة فيك المحاصرة لك حينئذ. قد يكون الانتحار حينئذ أي انتحارك هو أفضل الحلول بل الحل الذي لا حل سواه. وسوف تفكّر في هذا بعد أن تستمع إلى شيء مما سوف أتهمك به في محاكمتي لك التي سوف تكون أي إن كنت قادراً على أن تفكر وعلى أن تعي المواقف التي لا مثيل لقوتها ولإحراجها وفضحها وعلى أن تختار منها بعد المقارنات الشاقة، الشاقة. أي لترى هل انتحارك حينئذ هو العلاج الذي لا علاج غيره لإنقاذك من ذلك الموقف الذي لا يطاق والذي سوف تضعك فيه محاكمتي الآتية لك والتي سوف أبدأ بإسماعك شيئاً منها. وهل يوجد أي علاج لأي إله غير انتحار أو أفضل من انتحاره؟

وفي هذه اللحظة أو اللحظات يا إلهي المصاب بالغيبوبة الدائمة توافدت وتكاثرت علي خواطر وتساؤلات حادة تقول: ألا يحتمل أن يلغي الإله ذلك اليوم أي يوم الحساب الأكبر الأغبر بعد أن يسمع شيئاً مما سوف أقوله في محاكمتي له في ذلك اليوم. . ألا يحتمل بل ألا يتحتم أن يتراجع بل ويتوب ويعتذر بل وينكر أن يكون هناك حساب أو يوم حساب ومحاكمة لئلا يكون هو أتعس وأسوأ وأظلم وأذل محاسب محاكم لا شبيه لذنوبه وجرائمه أو للتهم الموجهة التي لا تحتاج إلى اعتراف أو شهود أو محاولة إثبات لأنها هي كل شيء. . أليس المفروض ألا يرفض المحاسبات والمحاكمات مثل الآلهة لأنه لن يوجد مذنب يستحق كل العقاب مثلها؟

. . . نعم، إن هذا احتمال قوي جداً في الرؤية المطلقة. ولكن قد يضعف هذا الاحتمال القوي جداً إنك يا إلهي ضعيف الرؤية والمحاسبة، بطيء الرؤية والمحاسبة بل فاقد الرؤية والمحاسبة لنفسك ولكل شيء. .

ولا يوجد مثل تاريخك كله تدليلاً على فقدك لكل رؤية ولكل محاسبة. .

. . ولكن لو أنك وهبت غير موهبتك فرأيت وفهمت وحسبت وحاسبت بغير

رؤيتك وفطنت فألغيت ذلك اليوم لتنجو من محاكمتي، من محاكمتنا لك فهل تراك بالغاً ما أردت أي ناجياً من محاكمتي، من محاكمتنا لك على ما فعلت وتفعل بنا يا إلهي الذي لا أجد أو أرى ما يهبط بتفاسير الآلهة أو يهجوها مثل رؤيتي وتجاربي لك.. يا إلهي الذي لن يشتم أو يعذب الرؤية والتجربة مثل رؤيتي وتجربتي لك؟

.. إننا لن نكون البشر الذين أبدعوا الحضارات والقوانين والتعاليم والشرائع وخلقوا الآلهة وقتلوها وعبدوها وعافوها إن تركناك تفلت من أقسى وأكبر وأشهر محاكمة على ما فعلت وتفعل من أخطاء وخطايا هي كل الأخطاء والخطايا. إنها جميعاً هي أخطاؤك وخطاياك إرادة وتدبيراً وتخطيطاً وتحريضاً وإلهاماً وتنفيذاً وعلماً سابقاً ومنفذاً بل ونشوة علوية.

.. إن من يريد ويصمم ويصوغ ويحرض ويخلق الفاعل عالماً بما سوف يفعل هو الفاعل حتماً، هو فاعل الخطأ والخطيئة وكل ما يفعل وما يمكن ويحتمل أن يفعل أي من خلق وصيغ وصمم بإرادة وتدبير وتنظيم ومنطق وبعلم سابق مدروس النتائج والحوافز والأهداف ومرادها. أليس كل الفاعلين هم كذلك في تعاملك بهم ومعهم وفيهم؟

أليسوا بكل كينوناتهم وتفاسيرهم هم إخراج يديك وعقلك وأخلاقك وإرادتك ورؤيتك؟

.. لقد كان المفروض بل المحتوم أن يكون هذا الرأي في هذه القضية منزهاً عن كل خلاف. فكيف أمكن ألا تراه كل العيون والعقول والأخلاق رؤية واحدة؟.

إن اختلاف العيون والعقول والأخلاق في أحيان كثيرة ليس اختلاف عيون أو عقول أو أخلاق بل اختلاف تعاليم وأوامر وتلقين وتاريخ وأماكن ورغبات.

.. إني أنتظر وأتمنى أن تكون قد تهيأت جداً بكل الحماس والجد والارتجاف والاستيقاظ والإحساس بضخامة الحساب لتستمع إلى ما سوف أقول في محاكمتي لك في ذلك اليوم يا من تريد محاكمتنا على ما فعلته أنت بنا.!

.. إن محاكمتي لك سوف تكون نموذجاً لجميع من سوف يحاكمونك..

ها أنا أتكلم بادئاً بتوجيه الاتهامات إليك راجياً وآمراً أن تستمع بكل الإنصات والتجلد والشجاعة والشهامة والإحساس بالمسؤولية:

لماذا خلقتني وخلقتني في هذه الذات والصيغة والزمان والمكان والقوم والأهل والآباء والدين واللغة والتاريخ واللون والعرق والجنس محكوماً بكل هذه الضرورات

والمجاعات والشهوات والإفرازات والاستفراغات والتعبيرات وبكل أساليب ذلك وأساليب البداية والنهاية وما بين البداية والنهاية من أهوال وآلام ومذلات ودمامات وسخافات وركوع وهبوط وسقوط وأنين وصراخ ودموع ومخاوف وتوقعات واحتمالات ومواجهات رهيبة بذيئة كريهة مهينة محتومة، محتومة.!

آه. كيف يقبل كينونته من حكم عليه بهذه الإفرازات والاستفراغات بكل تعبيراتها البذيئة الوقحة؟

.. نعم، لماذا خلقتني وخلقتني كما خلقتني وخلقت كل ظروفي ومواجهاتي وأسبابي وأقداري واحتمالاتي وأغلالي وبداياتي ونهاياتي وكل تفاسيري وكل أساليبي الإفرازية الاستفراغية كما خلقتها؟

هل رأيتني أؤدي بكل الركوع وظائف جسدي الاستفراغية؟ هل أعجبك أو أفرحك المنظر؟

.. كيف فعلت ذلك، كيف جرؤت عليه؟ بأي منطق أو خلق أو قانون فعلته ورأيت واقتنعت ورضيت أن تفعله كما فعلته؟

اسمع، اسمع. اسمع يا إلهي الذي لم أجربه أو أجده سامعاً ولن أنتظر منه أن يكون سامعاً:

كيف جاز لك أن تخلقني دون وقبل أن تستأذنني وتظفر مني بالموافقة الراضية الفاهمة المقتنعة الفرحة دون أي إكراه أو شعور بالرغبة في الإكراه أو الإملاء أو التهديد أو حتى التحريض؟

هل علمت أني سوف أرضى وأفرح بخلقك لي وأشكرك على ذلك؟

إن كنت حسبت أنك قد علمت فكيف حسبت وعلمت؟

وإن لم تكن حسبت ولا علمت فكيف فعلتها؟ كيف فعلتها إن كنت لا تعرف ذلك وكيف عرفت أنك عرفت إن كنت لا تفعل إلاّ بعد أن تعرف؟

.. كيف يقبل من كائن كبير عظيم رحيم بلا حدود، بل من أي كائن كان ليس كبيراً ولا عظيماً ولا رحيماً أن يفعل بكائن آخر بريء جداً بريء جداً لأنه لم يكن قد وجد أن يفعل به ما لا يقبل أو يرضى أو يغفر، بل أن يفعل به ما سوف يصيبه بكل الآلام والأهوال والقبح والسوء والفجائع والورطات؟

إن جميع المتوحشين والمعتدين لن يستطيعوا أو يشتهوا أن يوقعوا أي ألم أو

عدوان بكائن بريء كل البراءة أي بكائن لم يوجد. كائن لم يوجد هل يمكن أن يوجد من يستطيع أو يريد أو يشتهي أو يدبر أن يوقع به أي عذاب أو عقاب أو ألم أو تشويه؟

إذن كيف تستطيع أو تريد أنت أن تفعل من العدوان والوحشية ما لا يستطيع أو يريد أن يفعله جميع المتوحشين والمعتدين؟

. . . حتى الكائنات المفترسة أو الجائعة إنها لا تصنع الألم أو الإيذاء بغيرها إلاّ بقدر إحساسها بالجوع أو الحاجة أو الخوف أو بقدر إثارتها أو جهالتها أو التحرش بها. وهي تحت كل الظروف لن تصنع شيئاً من ذلك بكائن لم يوجد أو قبل أن يوجد، ولن توجده لكي تصنعه به. هل تقبل أن تكون أنت وحدك الموقع للعذاب بمن لم يوجد والمدبر له، وأن تكون أنت وحدك الموجد لمن لم يوجد لكي توقع به العذاب؟

وإن كنت لا تستطيع أن تستيقن من قبولي أو رفضي لخلقك لي فإني في هذا اليوم الكوني أمام كل الحاشرين والمحشورين أهبك هذا اليقين وأعلن رفضي الغاضب المستنكر المتهم المطالب بالحساب والعقاب. أيها الحاشرون والمحشورون اسمعوا، اسمعوا إني أرفض عدوان هذا الكائن المزعوم إلهكم ـ أرفض عدوانه علي بخلقه لي. اسمعوا واشهدوا وتحركوا واتحدوا.

ولكن ماذا يمكن أن يكون التفسير لإيجادك لي أي إن كنت قد فعلت ذلك بإرادة وتدبير وقصد وليس استفراغاً أو بصقاً أو إفرازاً آلياً ذاتياً اضطرارياً، أي إن كنت قد أوجدتني بالأسلوب الذي يوجد به المهندس أو الفنان عمله وليس بالأسلوب الذي يسعل أو يتقيأ أو يمرض أو ينبت شعر إبطيه به؟

. . هل أنت مصاب بآفة نفسية أو عقلية شاذة ومعقدة تجعلك لا تسعد أو تفرح أو ترضى عن نفسك أو ترى مجدك أو تحترم قوتك إلاّ بأن تعتدي عليَّ بإيجادي الفادح العابث الأليم العقيم دون أن تحاسب أو تسائل عقلك أو أخلاقك أو تقواك أو كرامتك عن قبولي أو رفضي، عن سعادتي أو شقائي، عن ربحي أو خسراني؟ هل يوجد مثل الآلهة استحقاقاً وانتظاراً للإصابة بالأمراض والآفات النفسية والعقلية التي لا شبيه لها في شذوذها وتعقيدها؟

. . هل أنت عاشق لتعذيبي وتوريطي عشقاً مرضياً عدوانياً جنونياً لهذا خلقتني خاضعاً لهذا العشق دون أية حسابات أخرى؟

هل أنت ترى أنك لن تكون قوياً أو عظيماً أو مبدعاً أو فناناً أو عاشقاً محباً إلاّ بأن توجدني؟ هل أنا كبير ونافع ومفيد إلى هذا المدى؟ هل أنت محب، واهب للحب جداً

فلم تجد من يستحق هذا الحب لتهبه إياه سواي لهذا اضطررت إلى إيجادي ولو بأسلوب ونيات العدوان علي دون أن تستأذنني وتستيقن من رضاي وقبولي كما يفرض العدل والواجب؟

هل قال لك عقلك أو ضميرك أو خلقك إنه لن يكون سعيداً أو نبيلاً أو محترماً لشهامته أو لوظيفته إلاّ بأن توجدني فصدقته وأطعته دون أن تخشى خديعته لك أو أن يكون ضالاً في رؤيته وقراءته واستجابته لنفسه؟ وهل يمكن أن تثق بعقلك أو ضميرك أو أخلاقك بعد تجربتك الطويلة لها؟ وهل يمكن أن يكون قد بقي فيها ما يوثق به بعد معايشتها الطويلة لك؟

. . هل كانت عيناك ترفضان الرؤية أو تعجزان عنها أو تستقبحانها أو تخشيانها ما لم أكن أمامهما؟

هل كانتا أي عيناك لا تسعدان برؤية العذاب والعبث والضياع وضحايا العدوان ما لم أكن أي أنا فيما تريان ـ وكانت أذناك لا تطربان بسماع الأنات والآهات والصرخات والاستغاثات الضائعة دون أية استجابة ما لم تكن أناتي وآهاتي وصرخاتي واستغاثاتي الضائعة المرفوضة فيما تسمعان؟ هل كنت تتداوى من كآباتك الثقيلة بأناتي وصرخاتي الفاجعة المفجوعة؟

. . هل أنت ترى أن الكون لن يكون كبيراً أو عظيماً أو منظماً أو معقولاً أو جميلاً أو باقياً أو مطيعاً لك أو متوازناً ما لم أكن أنا موجوداً؟

هل كنت تخشى أن تنسى يداك أو ترفضان عملية الخلق ما لم تخلقاني، أو تخشى أن تقتلك الوحدة والوحشة والإهمال والضياع ما لم ترني كل الأوقات أشكو إليك وأشكو منك بكل الحسرة واللهفة والألم والانفجاع بلا مستجيب مداو أو مخفف بل أو فاهم أو ملتفت أو سامع؟

هل كنت ترفض النظر إلى وجهك في أية مرآة ما لم تر وجهي مسكوناً بالشحوبة والانفجاع والألم المتفجر الفاجر؟

. . آه. هل وجد أو يمكن أن يوجد من استطاع أو من قد يستطيع أن يجد تفسيراً، أي تفسير لهذا أي لعدوانك عليَّ بإيجادي؟ حتى أنت. هل وجدت لما فعلت أي تفسير؟ إني أحاكمك، لهذا لا بدَّ أن أسألك عن هذا التفسير إن كنت وجدته أو لعلك أنت وحدك ترى أن أي فاعل لا يجب بل ولا يطلب أو ينتظر أن يكون لما يفعل أي منطق أو تفسير. ولعل كل تاريخك يدل على هذا.

. . يقول أطفالك أي أنبياؤك والموظفون في محاريبك لقراءة وتفسير كلماتك ونياتك وأخلاقك ـ يقولون:

إنك خلقتني أي سحبتني من هدوئي الأبدي لكي أعبدك. !

سحبتني من نومي الأبدي الذي لا يصاب بالأرق أو القلق أو بالأحلام المزعجة أو بالاحتياج إلى العقاقير التي يزعم لي الطبيب الذي لا يستطيع أن يجد علاجاً لأرقه أو قلقه هو أنها تداويني من القلق والأرق ومن الأحلام التي لا تصعد بي إلى الفردوس، إلى أحضان الإله. .

سحبتني من كينونة ومكان لن أكون فيهما عاصياً أو مخطئاً أو مفتضحاً أو نذلاً أو خائفاً أو ظالماً أو مظلوماً أو جائعاً مفرزاً مستفرغاً متقيئاً باصقاً في عينيك وأمامك لن أكون فيهما شاتماً غائضاً مغضباً متهماً لك أو مشتوماً مغيظاً مبغضاً متهماً مهدداً بك، مؤمناً أو ملحداً. لن أكون فيهما مريضاً أو شيخاً هرماً أو مشوهاً أو ميتاً أو مهدداً بذلك أو مهدداً بالجحيم أو بالجنة المترفة بالتفاهة والفراغ. .

. . لن أكون فيهما حاقداً أو حاسداً أو كارهاً أو شامتاً أو غائراً أو مهيناً أو محقراً أو معاملاً بذلك. . لن أكون فيهما مشحون النفس بالآلام والأهوال.

. . سحبتني من كل ذلك لكي تلقي بي في هذا النقيض الرهيب. .

في هذا الكون المحكوم بالجنون والقبح والمؤامرات والحماقات والعداوات والمخاصمات والانقسامات وبالآلام والبغضاء والكذب والخوف والنفاق وبكل الرذائل والتفاهات الصارخة والهامسة والصامتة بلا أي ثمن أو هدف أو جزاء غير الممارسة نفسها لكل ذلك بكل الافتضاح. !

. . فعلت بي ولي كل ذلك لأنك تريد أن أعبدك. !

لماذا تريد مني وتفرض عليّ أن أعبدك؟ إنه لذنب آخر من ذنوبك. !

شيء فاجع في غرابته وجهالته وسفاهته وعدوانيته. . .

لأنك تريد أن أعبدك! . ألست تعلم بل وتعلن أنني لن أعبدك؟

ألست تقول ويقول عنك دراويشك: «قتل الإنسان ما أكفره»، «إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى»، «وحملها الإنسان. إنه كان ظلوماً جهولا»، «إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفاراً»، «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً». .

ثم أليس لك شيء من الرؤية لتعلم أنني أي أن الإنسان لا يعبدك ولم يعبدك قط،

وإنما يعبد أبداً أوثانه الخاصة التي لا تختلف تفاسيرها أو نياتها أو أخلاقها مهما اختلفت أسماؤها أو صيغها أو لغاتها؟ إن أي نبي يجيء ليعلن الحرب على كل الأوثان لن يكون إلاّ عابداً خاضعاً لأوثانه الخاصة التي لن تكون أتقى أو أطهر من أية أوثان خاصة أخرى . .

نعم، حينما يعبدك الإنسان أي حينما أعبدك فهل أنا أعبدك أم أعبد أوثاني الخاصة بلغة أو باسم العبادة لك؟

ألست مخدوعاً ومكذوباً عليك حينما يبدو أو أبدو أو تحسب أني أعبدك؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد مخدوع أو مخدوع به مثلك؟ حاول أن تقرأ وترى وتفسر الأشياء لكي تستطيع الفهم لما أقول والاقتناع به، أعني لعلك تستطيع ذلك. وهل في قدرتك أو موهبتك أن تستطيع؟ ليتني أستطيع تعليمك أيها الإله الضائع. إن أي تعليم لك لو استطعت أن تتعلم لأفضل جداً من تعليم مواهبك لك. !

كم أتمنى وأرجو أن تسمع وتفهم هذا الذي سأقوله . .

. . . شاعر ينشد قصيدة بين يدي حاكم قوي غني غبي طاغية كلها تعبد وصلاة وإيمان وتذلل ورجاء وخوف ودموع وركوع بل وتوحيد. هل أرجو أن تكون قد رأيت مثل هذا الشاعر أو سمعت به!

هل يمكن أن ترى هذا الشاعر أو أن يراه أي أبله مقدساً أو محترماً أو محباً أو حتى مادحاً لهذا الحاكم أو غير خادع له، ساخر منه، هازئ به، معلن عن غبائه وسفاهته أو غير كاذب عليه، أعني إن كنت قد رأيت مثل هذا الشاعر أو قرأت عنه أو سمعت به أو سمعته ينشد قصيدته هذه أمام حاكمه هذا. !؟

وهل يمكن أن يكون وضعك في حسابات ونيات من يؤمنون بك ويعبدونك أفضل أو أقل عاراً أو افتضاحاً من هذا الحاكم في حسابات ونيات هذا الشاعر؟ هل يجوز لك أن ترضى عن نفسك أو عن مجدك أكثر مما يرضى هذا الحاكم؟

. . فكّر في هذا يا من لم يجرب أن يفكّر لهذا استطاع أن يكون كما كان واستمر يتقبل كينونته التي لا يستطاع ولا يمكن تقبلها أي لأنه لم يجرب قط أن يفكر. هل تفكر الآلهة؟ هل يفكّر الأنبياء؟ هل يمكن أن توجد الآلهة أو الأنبياء لو كانوا يفكرون؟ هل يوجد الإنسان أو يظل باقياً لو كان يفكّر كما يجب أن يفكر؟

. . هل يمكن تصور مفتضح عاجز عن رؤية افتضاحه وعن محاسبة افتضاحه مثلك يا إلهي الذي لا أشفق على شيء أو أخجل لشيء مثل إشفاقي عليه وخجلي له كلما

حدقت في مقاساته وفي ظروف وحظوظ وجوده وحياته؟ إنه لا يوجد وجه هو كل الدمامة والكآبة والبغض يرى ويزعم كل الجمال والابتسام والحب مثل وجهك يا إلهي المكذوب به المكذوب عليه.

... ثم كيف؟ من يجرؤ على الزعم أنك تريد مني أي من الإنسان أن يعبدك؟ إذن لماذا وضعت كل الحراسات والحواجز وأقواها وأذكاها وأخبثها بيني وبينك أي بين الإنسان وبينك لئلا يستطيع أو يريد عبادتك أي لئلا أستطيع أو أريد عبادتك؟

ألست قد حشدت وسلَّحت وحرضت وخلدت كل القوى الشريرة لتجعل اللقاء أو الوفاق أو التفاهم أو التقارب أو الحب أو السلام أو حتى الهدنة بيني وبينك أي بينك وبين الإنسان شيئاً أكثر من مستحيل.

... لتجعل الشوق إليك أو الاستحياء منك أو الرغبة من مجاورتك أو رؤيتك أو الثقة بك أو احترامك أو الخوف منك أو الانتظار لك أو منك أو تصديقك أو الانحياز إليك ضد أي عدو من أعدائك شيئاً أكثر استحالة من كل مستحيل مهما قالت وكذبت الأفواه والمنابر العاجزون عن رؤية وجوههم أمام كل المرايا؟ إن كل مجدك في كل تاريخك ليس إلاّ مجد أفواه ومنابر وكتب في كل تاريخ عبدك وصديقك الإنسان.!

... حتى الأبالسة أقسى أعدائك وحتى أعضاؤنا وكل أخلاق ووظائف أجسامنا قد وظفتهم ووظفتها ليكونوا وتكون أقوى وأشرس هذه الحراسات والحواجز لتصدنا عنك، عن عبادتك...!

هل يمكن أن يكون لأي كائن عاقل أو حتى مجنون حقول وقطعان يربيها ويزرعها لأنه يريدها ويحبها ويحيا ويسعد بها ثم يدس إليها اللصوص والحشرات والأوبئة والسباع المفترسة الجائعة بل ويوظفها لكي تسرقها وتأكلها وتمرضها وتقتلها بل ويسممها ويحولها أي الحقول والقطعان إلى كائنات مفترسة لك تفترس وتؤذي مربيها وزارعها؟

هل حدث أو يحدث أن يدبر قائد جيش كل الخدع والحيل حتى ليحرض ويسلّط الأعداء ويتآمر معهم بل ويتحالف لكي يحول جنوده إلى أعداء له ولوطنهم وقومهم؟

هل حدث أو يحدث أن يخلق خالق مخلوقاً ليكون عبده وعابده ووليه، أو أن يلد والد ولداً ليكون ابنه وحبه ومجده وسروره، ثم يذهبان أي الخالق والوالد يخططان وينفذان بكل الحماس كل الظروف والأسباب والوسائل التي لا بدَّ أن تجعلهما خروجاً وتمرداً على ما أريد منهما ولهما بل ونقيضاً حاداً شاملاً لذلك، أو لا يذهبان أي الخالق والوالد يفعلان كل الأسباب والظروف والوسائل التي هي سهلة جداً عليهما بل التي لا

تكلفهما إلاّ أن يقولا لها: كوني فتكون، ليكونا أي المخلوق والولد كما يريد منهما ولهما الخالق والوالد؟

إذن أليس المعقول بل والمحتوم أن أساليبك وخططك وأخلاقك لا يمكن أن يكون لها إلاّ تفسير واحد هو أنك ترفض وتكره أن أعبدك أي أن يعبدك الإنسان؟

وما أقسى تعهدك في هذه القضية حينما قلت وأعلنت بكل الفخر والكبرياء على ألسنة دراويشك الأنبياء: «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين». أليس هذا تعهداً عالمياً كونياً بأنك سوف تعد كل قوتك ومكرك لتمنع الإنسان أي لتمنعني من أن أعبدك لئلا تصبح جهنم غير ممتلئة؟

... ولتسمع صرختك هذه: «ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً». ألست ترسل الشياطين على الكافرين بكل هذه القوة والحماس لأنك لا تريد أن يؤمنوا بك ويعبدوك؟ أليس المفروض بل والمحتوم أن ترسل الملائكة والأرواح العلوية لتوحي إلى الكافرين وتلهمهم وتعلمهم الإيمان بك والعبادة لك لا أن ترسل عليهم الشياطين تؤزهم أزاً أي إن كنت حقاً تريد أن يؤمن بك الإنسان ويعبدك أي لو كنت تريد أن أؤمن بك وأعبدك؟ إنه لن يوجد عذاب ولا تعذيب مثل عذاب وتعذيب العقول والأخلاق التي تريد أن تفهمك أو تحترمك يا إلهي. !

... إن دراويشك الأنبياء يروون عنك إنك قلت وتقول: «يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء»، «وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله».

... إذن كل الضالين والفاسدين والعاصين أنت الذي شئت لهم أن يكونوا كذلك... وهم لا يشاؤون إلاّ أن تشاء أنت لهم. أنهم لا يستطيعون كما تقول وتعلن أن يخرجوا على ما شئت لهم. فإذا كنت تريد لهم ومنهم أن يعبدوك فلماذا لم تشأ لهم ذلك وهم لا يستطيعون أو يريدون إلاّ ما تريد لهم كما تقول وتعلن أي إلاّ ما تشاء لهم؟

شيء فظيع في قبحه ووقاحته أن تطالبهم بالإيمان بك وتفرض عليهم عبادتك ثم تمنعهم من أن يريدوا أو يستطيعوا ذلك لأنك لا تشاء لهم أن يفعلوا وأنت تعلن أنهم لا يستطيعون أو يريدون إلاّ بمشيئتك...

تريد مني أن أشاء ثم تمنعني من أن أشاء. !. هل لهذا مثيل في القبح والوقاحة بل وفى الجهالة؟ وإذا كنت تضل وتهدي بالمشيئة فكيف تقسم هذه المشيئة فتشاء لقوم الإيمان والهداية ولآخرين الكفر والضلال ولا فرق بين الفريقين غير المشيئة البادئة؟ ما منطقك في هذا التقسيم؟ هل لك منطق؟

. . . إن من أروع ما يروي عنك دراويشك وفضاحوك أي الأنبياء وخلفاؤهم ونوابهم أنك قلت وتقول: «والله لا يهدي القوم الكافرين»، «والله لا يهدي القوم الظالمين»، «والله لا يهدي القوم الفاسقين».

. . . إذا كنت أيها الإله العبقري لا تهدي هؤلاء فمن تهدي؟. إذا كنت لا تهدي الكافرين ولا الظالمين ولا الفاسقين فهل عبقريتك ووظيفتك وفضيلتك أن تهدي المؤمنين والصالحين والعادلين المخلصين؟

أصمت، أصمت أيها الإله ومر كل المتحدثين عنك بالصمت بل وأصبهم بالخرس لئلا يتحدثوا أو يرووا عنك، فالصمت أستر لك بل لا ساتر لك إلاّ الصمت الشامل أي إلاّ أن تختفي عن كل العيون والآذان والعقول والضمائر والمشاعر والتفاسير والمحاسبات والمحاكمات. . .

آه أيها الإله!. ليتك كنت صامتاً كل معاني الصمت منذ كنت. . .

ولماذا لا تهدي الكافرين والظالمين والفاسقين وهم لا يستطيعون أن يهتدوا إلاّ إذا هديتهم وأنت تطالبهم أن يهتدوا بل وتعاقبهم إذا لم يهتدوا وهدايتهم لا تكلفك إلاّ أن تشاء لهم ذلك؟ بل ولماذا تضرب عليهم مشيئتك المانعة لهم مما تطالبهم به أي المانعة لهم من أن يهتدوا؟ إنهم لم يهتدوا لأنك كما تقول منعتهم من أن يهتدوا! ما تفسير هذه العداوة المتوحشة لهؤلاء الذين رفضت بل وكرهت وقاومت أن يؤمنوا ويتقوا بل أصررت على أن يكفروا ويفسدوا بالتدبير والقصد والمشيئة؟ أليس الذين هديتم وتهديهم قوماً كافرين وضالين وظالمين أو كانوا كذلك. إذن لماذا لا تهدي هؤلاء الكافرين والظالمين والفاسقين الذين قلت إنك لا تهديم؟

لماذا خصصت هؤلاء بهذا العداء دون أمثالهم؟

هل يمكن أن تكون فاهماً أو مفهوماً أيها الإله الذي لا يستطيع أن يفهمه إلاّ الذين لا يستطيعون ولا يريدون ولا يحاولون أن يفهموا بل ويخافون أن يفهموا؟.

. . إنك تأمر بل وترسل الأنبياء والمعلمين ليحاولوا هداية الكافرين والضالين وتعلن أن هذا عمل عظيم ونبيل ومسعد مرض لك. . .

إذن لماذا لا تفعل أنت ما تطالب الآخرين بأن يفعلوه؟ بل لماذا تمنع أن يحدث ما تطالب هؤلاء الآخرين بأن يحدثوه أي تمنع أن يهتدي الكافرون والظالمون والفاسقون أو أن يهدوا تنفيذاً لا وعظاً؟

كيف تفعل نقيض ما تأمر وتطالب به وتريده وتحبه وتتمناه؟

. . . إذن فالكافرون والظالمون والفاسقون الذين لا يهتدون ليسوا عصاة أو ضالين أو خوارج يستحقون الغضب أو العقاب بل هم قوم أبرياء مظلومون مقصودون بالعدوان عليهم يستحقون كل التكفير والتعويض والمناصرة. لقد أردت أن تسعد وتفرح وترضى بتنفيذ مشيئتك الفظة المعادية فيهم. إنهم إذن ضحايا بريئة لا أعداء ولا خصوم. . .

لقد أردت أن تجعل من كفرهم وضلالهم وفسادهم معرضاً فنياً يسعد ويفرح وينشرح بمشاهدته قلبك وفكرك وضميرك وتقواك وأخلاقك ورؤاك وزبانيتك وجحيمك يا إلهي الفاعل لما لا يحب والمحب لما لا يفعل. . .

يا إلهي الفاعل لما ينهانا عن فعله والتارك لفعل ما يأمرنا بفعله. . !

. . . إنك عاشق لكفر وضلال وظلم الكافرين والضالين والظالمين. !

. . . إنك عاشق عشقاً يرفض كل العاشقين أن يفسر عشقهم بتفاسيره. . !

. . . أما إرسالك الدعاة ليعلموا ويهدوا من شئت ودبرت وأعددت ما يمنعهم من أن يهتدوا بل وكرهت أن يهتدوا، بل وسعدت بألا يهتدوا فهذا يساوي في كل معانيه أو في بعض معانيه أن تضع حراساً على قوم ليحموهم من اللصوص والقتلة ثم تدبر وتحرض وتسلح وتأمر كل اللصوص والقتلة ليفعلوا بكل القسوة والقوة نقيض ما يفعل الحراس ونقيض ما يطلب ويُراد منهم أي من الحراس لحماية القوم المحروسين.

. . . هل فطنت إلى أسلوبك هذا يا إلهي الفاجع لكل من يبحثون عن الفطنة من أية صيغة أو تفسير من صيغك أو تفاسيرك المشاهدة أو المروية؟

ولكن هل وجد أو يمكن أو يوجد من يمكن أن يكون شيء من صيغه أو تفاسيره نموذجاً لشيء من صيغك أو تفاسيرك أو حتى تذكيراً بها أي بصيغك وتفاسيرك؟

. . . ثم كيف؟ هل تقبل أو يقبل من يعرفونك ويحترمونك أن تكون معبوداً؟

هل تصورت أو فهمت ما العبادة وما تعني العبادة. ؟

ليتك كائن يستطيع التفكير لكي تحاول أن تفهم ماذا تعني العبادة. !

. . . إن العبادة تعني كائنين: كائناً محتاجاً أو مضطراً ولو توهماً أو نفسياً إلى أن يكون عبداً عابداً، وكائناً آخر محتاجاً ومضطراً ومدفوعاً ولو نفسياً أو انفعالياً إلى أن يكون معبوداً أي إلى أن يقبل أو يريد أن يكون معبوداً. .

. . إن احتياج المعبود إلى أن يكون معبوداً يشبه في كل تفاسيره احتياج العابد إلى أن يكون عابداً. إن تفاسير الاحتياج واحدة اختلفت صيغه ولغاته وتعبيراته.

إن تفسيرك محبوباً أو معبوداً مثل تفسيرك محباً أو عابداً. !

نعم، هل يمكن أن يحتاج القوي الغنى قوة وغني مطلقين إلى أن يكون عابداً أو معبوداً أو هل يقبل أن يكون ذلك إلاّ أن يكون مريضاً ما بمرض ما؟

إن من يريد أن يكون عابداً مادحاً أو معبوداً ممدوحاً بلا رغبة أو رهبة أو ضعف أو احتياج فلن يكون إلاّ مريضاً. !

... هل يقبل أي حاكم أو زعيم أو أي إنسان أن يعبد أو يمدح أو يحرس أو يهتف له أو أن توضع الأصباغ أو الألوان أو المجملات على وجهه أو ملابسه أو على عرشه أو كرسيه أو طريقه إلاّ بقدر ما يُقاسي من مشاعر الخوف أو الضعف أو النقص أو الدمامة أو من احتمالات النبذ أو الطرد أو الرفض أو الكره أو الاحتقار له أو الاستبدال به؟

... إن الرغبة في العبادة أو المديح ليست إلاّ أسلوباً من أساليب الرغبة في الحراسة أو التجميل أو التأمين أو التقوية. وهذه الرغبة لا تكون لو وجدت القوة والاستغناء المطلقان، أي لو وجد الكمال المطلق ووجدت الثقة بهذا الكمال المطلق أي ووجدت الصحة العقلية والنفسية والأخلاقية المطلقة. !

... لهذا فإن العبادة والمديح هجاء واتهام وإضعاف للمعبود والممدوح أي إذا تقبلا ذلك بقدر ما هما كذلك للمادح والعابد.

آه. هل عرفت أيها المعبود، أيها العابد لماذا تقبلتما أن تكونا عابداً ومعبوداً؟

... من لا يخاف أي خوف هل يقبل أن توضع عليه أية حراسة؟

... من لا يحتاج إلى أي عون أو خدمة هل يطالب بأن يكون له خادم؟

... من لا يأكل هل يريد أن يكون في بيته طباخ؟

... من ليس له قدمان هل يريد أن يكون له نعلان؟

... الوجه الجميل جمالاً مطلقاً هل يقبل أن توضع عليه أية مجملات أو أن تجري عليه أية عمليات تجميل؟ أليست كل العبادات والمدائح أساليب رديئة من وضع الأصباغ ومن عمليات التجميل الزائفة الكاذبة؟

إنه الاحتياج فقط أي الاحتياج المادي أو المعنوي...

فهل أنت محتاج إلى شيء من الاحتياجين لكي تطالب وتريد أن تعبد أو تقبل ذلك يا إلهي الذي هو كل الجمال غير مرئي، ولك العدل والحب غير محاسب أو محاكم وكل المنطق والذكاء غير مقروء أو مفسر.

وكل التنقيض لكل ذلك مرئياً أو محاسباً أو محاكماً أو مقروءاً أو مفسراً؟

. . . لنتصور حاكمين، أحدهما حكيم وقور عظيم في كل تفاسيره ورؤاه، والآخر نقيض حاد في كل ذلك. أي هذين الحاكمين سيتقبل أو يطالب أو يرضى أن يكون معبداً يتجمع فيه وحوله ويتوجه إليه المتعبدون والمادحون والهاتفون رجاء أو خوفاً أو هواناً، صدقاً أو نفاقاً وكذباً، وأيهما سوف يرفض ويكره ويطرد ويقاوم ذلك؟

. . . أي هذين النموذجين تختاره لنفسك يا إلهي الذي لا نموذج لنموذجه؟ وهل جربت أن تختار؟ جرب ولو هذه المرة الواحدة.!

لماذا يرحب ويفرح الوجه بأن يُقال له: أنت جميل، جميل؟ أليس بذلك يبحث عن الاطمئنان على جماله وعن الاقتناع باقتناع المحدقين فيه بجماله. إنه ليس إلاّ وجهاً مرتاباً متخوفاً متلهفاً إلى أن يقتنع ويقنع بأنه كما يتمنى ويريد ويحب. . .

كم هو تشويه وتلويث وتحقير وهجاء لكل القِيم العظيمة أن يكون هناك عابد ومعبود. . . إنه لن يوجد أو يتصور أقبح أو أوقح من الخيال أو المنطق أو الضرورة التي أوحت أو ابتكرت أن يكون هناك عابد ومعبود. . !. هل أنتظر أن تعرف ذلك يا إلهي المتعب المعذب المعجز لكل من يريد أن يجده ويراه كما علمه وتعلمه وقرأه وقرأ عنه. . . يا إلهي الفاجع لكل من يتمنى وينتظر أن يجده كما يحب ويجب أو كما تعلمه وعلمه. . !

هل يوجد أحوج إلى المعرفة من الآلهة التي لا يساويها في بداوتها العقلية والنفسية والأخلاقية والفنية والحضارية حتى ولا بداوات الزعامات أو القيادات أو النبوات العربية. . . نعم، العربية.!

. . . أما البشاعة التي لا بدَّ أن تفجع بها كل البشاعات فهي قولك إنك إنما أوجدتني لكي أكون عبداً لك حين قلت معلناً: «وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون». . .

كائن لم تره أو تعرفه ولم يرك أو يعرفك ولم يكن بينكما أية علاقات أو خصومات، وليس مديناً أو مطلوباً لك بشيء ولم يتعلم أو يعرف أو يجرب شيئاً من فنون أو أخلاق التعبد أو العبودية أو العبيد، ولم تعرف أو تقرأ عنه أنه يملك أو يستطيع أن يملك أية موهبة أو قدرة أو مهانة أو خصائص نفسية أو فكرية تجعل منه أو تأذن له بأن يجعل من نفسه عبداً أو عابداً جيداً ذليلاً مطيعاً أو متقبلاً.

ـ نعم، كائن مثل هذا كيف رأيت أو استسغت أن توجده ليكون لك عبداً عابداً: كيف عرفت أنه يستطيع أو يقبل أن يكون عبداً؟ ولماذا فرضت ذلك عليه؟

ولماذا أردته عبداً وأردت نفسك معبوداً؟ كيف تقبلت وتجرأت أن توجد كائناً بلا أي منطق أو مصلحة لك أو له أو لأي شيء غير أن تجعله عبداً لا وظيفة ولا معنى له غير أن يكون عبداً وتدعوه عبداً ويعلن نفسه عبداً، ليحيا عبداً ويموت عبداً؟

كيف تقبلت أن توجد العبودية؟ كيف تعاظمت غوايتك يا إلهي حتى أردت وتقبلت وفرحت أن ترى إنساناً أو أي كائن راكعاً أو ساجداً أو هاتفاً أو خاشعاً خاضعاً مصلياً متملقاً باكياً ذليلاً جباناً مهيناً، مهيناً؟

لنفترضك مريضاً بشهوة مريضة هي أن تكون معبوداً وهي أيضاً إيمانك بأنك لن تكون عظيماً أو سعيداً أو فرحاً ومعجباً بنفسك ومجدك إلاّ بأن تكون معبوداً.

وكيف أمكن أن نفترضك كذلك أو ترى وتفترض نفسك كذلك؟ إذا أمكن هذان الافتراضان فإن السلوك والمعقول بل الواجب هو أن تعالج حينئذ نفسك من هذا المرض الأليم القبيح وأنت قادر جداً على هذا العلاج...

إن أطفالك الأنبياء يقولون ذلك يقولون إنك تقول للشيء كن فيكون.!

إنه لمن المستحيل أن يوجد أي تفسير لإصرارك على أن تكون معبوداً وعلى أن يكون كل من سواك عبداً عابداً سوى أنك مريض مرضاً نفسياً أو عقلياً أو أخلاقياً أو مرضاً آخر مفسداً ومشوهاً لكل تفاسيرك وتصوراتك ورغباتك، بل ومتفوقاً على جميع الأمراض النفسية والعقلية والأخلاقية.!.

... وإنه لمن المتوقع بل المحتوم أن تكون ذوات الآلهة هي أخصب الذوات بكل الأمراض وأخطر الأمراض. هل وجد مرض أو يمكن أن يوجد ليس عدوى من أمراض الآلهة؟

هل يمكن أن يوجد أي مرض لو لم يكن الإله مريضاً؟

... وإذا كنت مرجواً لعلاج وشفاء كل الآخرين من كل أمراضهم أفلا تكون مرجواً لعلاج وشفاء نفسك؟ والفاجع أن مرضك ليس مرضاً لك وحدك بل للوجود كله.

أليس أحد أمراضك جعلك تفرض علي أن أكون عبداً، جعلك تخلق كل البشر ليكونوا عبيداً، ليكونوا عبيداً لك؟

هل يمكن أن يوجد أي مرض أو ألم أو خطأ في هذا الكون لولا أمراضك؟ من أين يجيء ذلك؟

... كم أتمنى أن تقرأ هذا وتفكّر فيه... أن تقرأه وتفكّر فيه بموهبة غير عربية..!

... إن أسفه وأنزق الحكام الطغاة وأوقحهم تألهاً وجبروتاً وكبراً لم يبلغ شيئاً مما بلغت في هذا الجنون..!.. كم أرجو أن تعرف ذلك أو أن تحاسبه وتحاوره.!

إن أحداً من هؤلاء الحكام لا يذهب يخلق أو يوجد لكي يعبد ويمدح ولكنه قد يتقبل ذلك ويفرح به ويجري عليه مع إنكاره المعلن أنه يريده أو يرضى به أو أنه أهل له. قد يتقبله ممن وجدوا لا ممن يذهب يوجدهم ليقدموه له..

... وإنه أيضاً لا يجرؤ على أن يسمي ذلك عبادة أو تعبداً أو يسمي من يفعله له عبداً أو عابداً. لا يجرؤ على النطق بكلمة: «أعبدوني» ولا حتى بكلمة «امدحوني»..

ولا يجرؤ على أن يقول: امدحوني أو احترموني وحدي، أو لي وحدي كل المديح والاحترام كما يقول الإله، كما تقول أنت يا إلهي.

... وهو كذلك لا يجرؤ على أن يقول إن كل من لا يعبدني أو يمدحني أو يحترمني أو يحبني فهو كافر أو فاسق أو ضال وعاص. مأواه الخلود في أعماق الجحيم... لا يجرؤ أن يقول «وما حكمت أو ملكت إلاّ لتمدحوني وتحبوني» مثل «وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدوني».

... أما أنت فتفعل وتقول كل ذلك بكل الكبرياء والجهر والرضا عن النفس دون أن يتقاطر شيء من العرق على جبينك تعبيراً عن شيء من الخجل يا إلهي الذي كم أتمنى أن تتعلم شيئاً من الوقار أو الاستحياء أو التهذيب أو التواضع أن تتعلمه من أنزق وأسفه وأوقح الحكام الطغاة الجبارين الجهلاء الذين لا يتجرأون على أن يفعلوا أو يقولوا هذا الذي تقوله وتفعله أنت بكل الجرأة والجهر والكبرياء والإعجاب بالنفس أو أن تصاب بشيء من ذلك.!.

أليست الآلهة تصاب ولكنها لا تريد أو تدبر أو تتعلم؟

... يا إلهي الذي لم يعلم أو يتعلم أو يقرأ أن الحياء أو الذكاء أو الوقار أو التهذيب أو التواضع أو الرؤية أو الصدق أو الحب أو المعرفة أو النخوة شيء يمكن أو يطلب أن يكون من أشواق الآلهة أو من أمانيها أو أخلاقها أو أفعالها أو حتى من أزيائها أو زيناتها. إله يخلق هذا الكون بكل مجراته وحشراته ثم يجرؤ على النظر إليه أو إلى

وجهه هل يمكن أن يكون قادراً على التخاطب والتحاور مع نفسه أو مع أي شيء؟

إن الفرق قبيح ووقح جداً بين العبودية التي فرضتها عليَّ ووضعتني فيها وخصصت بها نفسك وبين أية عبودية أخرى. فأنت أقسى وأقبح وأوقح مستعبد. !

إن العبودية التي أردتها لنفسك هي عبودية مطلقة داخلية وخارجية، وليست كذلك أية عبودية. إنها خارجية فقط وليست مطلقة. إنك لا تستعبد فقط أعضائي وجسدي ولساني وجبهتي ركوعاً وسجوداً وتذللاً وهتافاً ودعاء كما يفعل جميع المستعبدين بل وتستعبد عقلي وقلبي وإرادتي وتصوراتي ونياتي وحبي وبغضي كما يعلن ذلك دراويشك الأنبياء وكتبك التي أرسلتها معهم. فأنا لا أستطيع أن أفكّر أو أفهم أو أحب أو أكره أو أقبل أو أرفض أو أقتنع أو أؤمن أو حتى أرى أو أشاء إلاّ إذا فعلت وشئت ووضعت في وبي ولي ذلك..

حتى النفاق لا أستطيع أو أريد معاملتك به خوفاً من جلاديك أو من الجلادين باسمك إلاّ إذا زرعته وخلقته وأذنت وشئت لي بأن أعاملك به. إن كل أجهزة شرطتك ومخابراتك تعمل بكل قبحها ووقاحتها ووحشيتها داخل ذرات غددي وخلاياي وهمسات قلبي وأشواقي وأعصابي ولغات وإيماءات عيني المغلقتين الصامتتين....

إنها، أي أجهزة شرطتك ومخابراتك وكل وسائلك التجسسية، معسكرة داخل كل المواقع الخاصة المحجبة السرية من ذاتي، إنها داخل كل الحصون، إنك هكذا تقول. إنك معسكر ساكن داخل العورات، داخل الأعضاء التي يخجل أصحابها والآخرون من رؤيتها والحديث عنها. !

... إنه لا يوجد ولم يوجد ولا يمكن أن يوجد فضولي متوقح بذيء نذل يدس نفسه داخل كل مخابئ وكهوف الذات المحصنة المحرمة ليرى ويتجسس ويكتشف ويفضح ويفتضح ويعري ويتعرى مثلك!

إنه لا هاتك لكل الحرمات بكل القبح والفضح والسخف سواك يا إلهي الباحث الكاشف المعلن عن العورات... يا إلهي الذي كل العورات وأقبح العورات ليست إلاّ ستراً وحياء وجمالاً أمام عوراته، أما عوراتك. يا ملقياً بنفسه فوق وتحت وفي أحشاء كل السرر التي تتلاقى وتتواقح وتتصارع فوقها وفيها العورات والشهوات الفضاحة الأساليب والتفاسير...

... هل توجد وقاحة أو جهالة أو بلاهة تنافس وقاحتك أو جهالتك أو بلاهتك يا إلهي حينما تذهب تتحدث وتعلن عن عورات الناس وتحدق فيها بكل مظاهر التقوى

والغضب والغيرة والبراءة وأنت كلك عورات عقلية ونفسية وأخلاقية وفنية وتاريخية، وأنت ليس في أية خطوة أو صيغة أو تفسير من خطواتك أو صيغك أو تفاسيرك ما ليس أفضح وأبشع العورات. العورات الظاهرة المكشوفة التي لا تستتر ولا تقبل أو تستطيع أو تريد الاستتار؟

أليست كل فضيحة وعورة وعار هي عطاء قدرتك أو خطتك أو حكمتك أو غضبتك أو مشيئتك أو سلوتك أو لعبتك أو لعنتك؟ أليست البدء في كل شيء ولكل شيء؟ والبدء في كل شيء ولكل شيء أليس مسؤولاً عن كل شيء، مفسراً به كل شيء؟

أليس الذي كان ولا شيء قبله أو غيره أو معه ثم يولد أو يتخلق من مشيئته وحكمته وشهوته وخطته وقدرته وصنعته كل الوجود هو المسؤول عن عورات وعاهات وفضائح وذنوب كل الوجود والمعير المتهم المسبوب بها؟

أليس الذي يخطط ويخلق الأرض بكل قوانينها وظروفها وأخلاقها وعلاقاتها واحتمالاتها هو المخطط الخالق لكل ما يتولد ويتخلق ويحدث فيها ولها قوة وضعفاً، جمالاً ودمامة، جودة ورداءة؟

أليست كل عاهة أو آفة تنبت في جسد أية حشرة أو حيوان أو إنسان فوق هذه الأرض إنما أنبتتها في الجسد الذي نبتت فيه يد وإرادة وحكمة وشهوة وقسوة ونزق الذي خطط ودبر وخلق هذه الأرض ووضع فيها كل قوانينها وطاقاتها ووضعها تحت كل ظروفها وعلاقاتها ومواجهاتها، أي إنما أنت وحدك فاعلها بكل التزاماتها وشروطها وحتمياتها يا إلهي الذي لم يعرف حتى اليوم لا هو ولا المعلمون به وعنه ما هي حدود مسؤولياته والتزاماته... الذي لم يستطع لا هو ولا المعلنون عنه الموظفون في محاريبه ومنابره أن يفسروا ما هي حدود هذه المسؤوليات والالتزامات؟ هل يوجد جاهل بحدوده أو من هو بلا حدود مثلك يا إلهي، يا معلم الحدود وهو نفسه بلا حدود؟

... إنك المدبر المريد المخطط الفاعل الخالق لكل شيء وأيضاً البريء من كل شيء أي من حيث المسؤولية والحساب والعقاب والمحاكمة..

إنك المسؤول عن كل شيء، المغفور لك كل شيء، المعفى من كل شيء أي من حيث الدينونة.

... إنك المذنب المعاقب للآخرين على ذنوبك أنت.!

ألست هكذا تقول ويقول أطفالك الأنبياء والموظفون في محاريبهم!

أليس من لا يقول هذا ويعتقده فهو كافر يستحق كل العقاب في قولك وقول أنبيائك؟

* * *

ولكن ما هو الثواب أو العقاب الذي سوف تجزيني أو تعاقبني به لاستعبادك إياي أو لإيجادك إياي عبداً ولكي أكون عبداً، ولكي يكون كل مجدي أن أكون عبداً ممجداً نفسي بكوني عبداً، عبداً.؟

أليس كل مجد دون مجدي لأنك قد خلقتني لك عبداً؟

نعم، ما الثواب أو العقاب الذي أعددت لي ووعدتني به مطيعاً لك وعاصياً؟ ولكن كيف؟ «عاصياً»؟!

أليست إساءة كبرى إليك أن يزعم بأنك قد تكون معصياً؟

هل يوجد أو يتصور عاص لك؟ هل توجد إهانة لك مثل الزعم أنه قد يوجد أو قد وجد عاص أو عصيان لك؟

هل يعصي إلاّ الضعفاء أو العاجزون أو الجاهلون أو المخدوعون أو الفاسدون أو الظالمون أو الكسلى المسترخون الضالون الضائعون؟

وهل يقبل القادر العادل الشجاع الكامل أن يعصيه من يجب أن يطيعوا؟ أليس العصيان ذنباً وتحقيراً وإذلالاً وغيظاً وحزناً يصيب المعصى ويوجه إليه؟ إن العصيان قد يكون ذنب المعصي أكثر مما هو ذنب العاصي...

... إن من يترك العصاة يعصون لما تجب طاعته وهو قادر بلا أية مقاساة على منعهم بالقوة أو بالتكوين أو بالإرادة والمشيئة أو بأية وسيلة أخرى فلا بدَّ أن يكون هو، بكل التفاسير والحسابات، أعصى العصاة وكل العصاة وأوقح وأسفه العصاة. حاكم مطلق الحكم والقدرة يترك العصاة يعصون بعلمه. أليس هذا الحاكم هو أعصى العصاة وكل العصاة؟

... إنه لا يمكن أن يوجد عاص أو عصيان لك. إن أعصى عاص لك هو مطيع جداً لك، هو أطوع مطيع لك...

إنه مطيع لحكمتك وإرادتك ومشيئتك ورغبتك ولتخطيطك وتدبيرك ولنظامك الأزلي الأبدي...

وأي المطيعين أتقى وأقوى طاعة لمن تراد طاعته: من يطيعون أوامره أم من

يطيعون حكمته ورغبته ومشيئته ونظامه ومنطقه وتخطيطه وتدبيره؟ أليس الذي يطيع إرادتك ورغبتك وتدبيرك ومنطقك أكثر طاعة لك ممن يطيع تعاليمك أو خطبك أو حتى أوامرك؟

وهل ترى من يطيع أوامرك ويعصي كل معانيك الأخرى من حكمة ومشيئة ورغبة وتدبير ونظام مطيعاً لك أي لو كان هذا مستطاعاً وممكناً أن يحدث؟

إن القول بأن الله يعصي يساوي القول بأنه أي الله يغلب أو يهزم أو يضطهد أو يطرد أو يؤسر أو يجرح أو يقتل أو تفقأ عيناه أو تقطع يداه أو رجلاه أو يسجن!

إن في العصيان لمن تجب طاعته ولمن يريد ويطالب أن يطاع كل تفاسير الهزيمة والإذلال والقهر. إنه أسلوب من أساليب الاضطهاد والطرد والأسر بل والقتل وقطع الأيدي والأرجل بل ومن أساليب الشتم والضرب والبصق والتعبير والسخرية والمبارزة والتحدي المذل. إذن هل يمكن تصوّر من يقبل أن يعصي بإرادته وغربته وتدبيره ورضاه؟

... ومرة أخرى بل مرات أخرى أسأل ما هو الثواب أو العقاب الذي أعددت لي ليكون ثمن أو جزاء عبوديتي الحزينة الأليمة المهينة البذيئة الفادحة القبح في كل تفاسيرها؟

آه ولكن قبل أن نسمع ونعرف الجواب عن هذا التساؤل نقول بكل الذهول: كيف ابتكرت منطق أو مبدأ الثواب والعقاب؟ كيف اهتديت أو اضطررت إليهما؟

هل أنت لا تعلم أن ابتكار الثواب والعقاب والاضطرار إلى الأخذ والالتزام بهما ليسا إلاّ تعبيراً عن العجز والاحتياج يا إلهي الضائع الذي يزعم أنه يعلم كل أحد وكل شيء ثم لا يريد أو لا يستطيع أو لا يعرف أن يعلم نفسه أشياء لا يستطيع الأميون أن يجهلوها ولا يحتاجون إلى أن يتعلموها لكي يعلموها؟

كيف ابتكر أو نشأ منطق أو قانون الثواب والعقاب؟ إنها قصة. !

... اسمع يا إلهي هذه البدهيات لعلك تتعلمها أو تتعلم منها. !

كان البشر مضطرين إلى حماية أنفسهم ومجتمعاتهم من آلام وشرور وخطايا كثيرة. وكانوا عاجزين عن منع فاعلي هذه الآلام والشرور والخطايا بالتعليم أو الوعظ أو الإرادة أو الحب أو بالحذر والاحتياط، كذلك كانوا محتاجين إلى التحريض على فعل نقيض ما يخافون ويكرهون. إذن لا بدَّ من ابتكار الثواب والعقاب للزجر والتحريض. .

ولو كانوا يستطيعون المنع من ذلك بهذه الوسائل لما عرفوا فكرة الثواب والعقاب

لأنهم حينئذ لن يحتاجوا إليها أو إليهما أي ويستطيعون التحريض على فعل النقيض وعلى الإلزام به بنفس هذه الوسائل أيضاً أي بالتعليم أو الوعظ أو الحب أو الإرادة أو بالإعجاب والشكر والثناء. إن الثواب نوع من الرشوة أما العقاب فنوع من البحث عن الحماية بالألم والإيلام.. بالبكاء. إنه بكاء، بكاء.!

إذن كيف خفي عليك شيء لن يخفى على أبلد عبيدك وعبادك؟

إن المتفرس في سلوكك في كل تاريخك قد يرى أو لا بدَّ أن يرى أنك قد وجدت البشر يتعاملون بالثواب والعقاب وبفكرتهما فنقلت الفكرة عنهم مقلداً لهم، غير بارع وغير قادر أو عارف أن تنفذ إلى معرفة التفاسير والأسباب. إن موهبة التقليد فيك ليست أفضل أو أذكى أو أقوى من موهبة التقليد في الإنسان العربي حينما يفرض عليه أن يقلّد أي شيء في المتفوقين!

... أنت دائماً تسمع وترى بلا رؤية أو سماع أي بلا استماع. أي أنك لن ترى لو رأيت ولن تسمع لو سمعت. إنك مهما رأيت فلن تستطيع التحديق ومهما سمعت فلن تستطيع الاستماع. إن عينيك وأذنيك أبداً بلا وظيفة. ولهذا فإنك مهما رأيت وسمعت لا تفعل شيئاً مما يجب أن يفعله من رأى ومن سمع. هل وجد أو يوجد راء سامع مواجه لا يستجيب ولم يستجب قط لشيء مما يسمع ويرى ويواجه حتى ولا بالانفعال أو النية أو المقاطعة سواك؟

... إن أي مرئي أو مسموع أو مرأى ومسمع مهما كانت أهوال تفاسيره لا يستطيع ولم يستطع قط أن يطلق أو يحرك أو يخلق فيك أي قدر أو نوع أو تعبير من الشهامة أو الشجاعة أو الرحمة أو حتى الرثاء أو الاستحياء أو الغضب أو الانفجاع. هل تشك في صدق هذا الحكم عليك أو ترفض تصديقه؟

إذن حدق في نفسك وفي تاريخك لكي تصدق هذه الرؤية لك...

إنه لمشهد أو منظر أو موقف أو تبلد يلعن الكون كله وكل من يحترم هذا الكون.

... وكم أتمنى أن تتحداني وترغب في تكذيبي وتفعل ما يبطل ولو مرة واحدة هذا الحكم الذي حكمت به عليك.!. أرجوك، أتحداك أن تبطل حكمي هذا عليك.

.. ها أنا أنتظر أن تفعل ذلك.. أنتظر، أنتظر وينتظر معي كل المحترقين والهاتفين والمصلين والمستغيثين والصارخين والآنين وكل المعذبين والمشوهين والمنتظرين والمؤمنين الباكين دون أن يجدوا أحداً أو يحضر أحد أو يرد عليهم أو يستمع إليهم أحد. هل رأيت أو سمعت هؤلاء؟ حدثني صادقاً هل رأيتهم أو سمعتهم؟

إن مرآهم والاستماع إليهم ليفتتان الحجارة ويحرقان الحديد ويبكيان الوحوش فكيف تبلدت أنت؟

. . . آه يا إلهي هل يوجد أخيب أو أخسر ممن ينتظرونك أو يعاملونك أو يدعونك أو حتى يقرأونك؟

هل يوجد أضيع من أصدقائك، أصدقائك، وحقاً لو وجدوا، لا أعني أصدقاءك في العظات وفوق المنابر.

. . . أجل، إنك أنت وجميع الآلهة لستم إلاّ نقلاً ورواية عن البشر وتقليداً لهم وتخلقاً بأخلاقهم وتكلماً بلغاتهم أي بلغات أعضائهم وأهوائهم وشهواتهم وآلامهم وتفاهاتهم وأحزانهم ونقائصهم ولكن بلا براعة أو فهم أو رؤية أو قدرة أو موهبة أو إتقان أي في جميع رؤاكم ومنطقكم وتعاليمكم وأخلاقكم وحتى في طموحكم وتصوراتكم وتمنياتكم أيها الآلهة، يا من لم يخسر البشر مثلما خسروا في انتظاركم وفي الإيمان بكم والخوف منكم وفي الانخداع بكم وفي الإنفاق عليكم وعلى دجاليكم. . .

يا من توجدون على كل لسان دون أن توجدوا في أي مكان أو زمان. . .

. . . إن الآلهة دائماً وجميعاً هم تلامذة وأتباع غير جيدين للبشر.

. . . تلامذة وأتباع للأميين من البشر لا المتحضرين أو المتفوقين منهم.

. . . لقد تعلمت الآلهة ألوهيتها من البشر، من صغار البشر لا من نفسها. إن الآلهة دائماً مولودة لا والدة، موهوبة لا واهبة، متعلمة من غيرها لا معلمة لغيرها.

إنها أبداً لا توجد في ذاتها بل في غيرها. !

. . . والآن لنعد إلى السؤال الصغير الكبير: أي ما الثواب أو العقاب الذي أعددته لي لكونك خلقتني لأكون لك عبداً. ؟

يروي عنك من زعموا أنفسهم أنبياءك أنك قد أعددت لي أي للبشر عقاباً وثواباً في هذه الحياة وعقاباً وثواباً في الحياة المقبلة أي أعددت عقابين وثوابين. . .

الثواب في هذه الحياة أو العطاء أو الثمن الذي أعددت أو وهبت أو وعدت به دون أن تصنعه أو تهبه هو أن خلقتني جسداً بائس التكوين مشوه التكوين، غبي التكوين، ذليل التكوين. . . يجوع ويظمأ ويخاف ويجبن ويمرض ويشيخ ويهون ويموت ويحقد ويحسد ويغار ويكره ويكذب وينافق ويخضع لجاذبية التراب والحضيض وتقبِّل جبهته التراب ويأكل الضفادع والجراد وأمعاء ونعال الحيوانات وأخفافها. . .

خلقتني جسداً ليكون مصنعاً ومعرضاً ومخزناً لكل الأمراض والآلام والتشوهات.

. . . وأيضاً، أيضاً أيضاً يبصق يفرز ويستفرغ أبذأ وأردأ وأوقح وأخطر الفضلات على الإذلال والتحقير والتصغير والتعيير ـ لكل شيء ـ يبصقها ويفرزها ويستفرغها على ثيابه وسريره وبيته وعلى وجهه وعيونه وكبريائه وأخلاقه ونظافته وشجاعته وشهامته وطهارته وعلى أهله وجيرانه ونظافة وطنه وكوكبه وقبيلته بل وعلى عيني إلهه وعلى أذنيه وعلى شاعريته أي شاعرية إلهه وعلى موهبته الفنية التي لم تستطع أن تصوغه صياغة أكرم أو أنظف أو أذكى تحميه من هذا الاستفراغ والبصق والإفراز القبيح، القبيح. . !. إنه لن يوجد أو يتصور مبصوق مستفرغ عليه. . .

على وجهه وعينيه وأذنيه وعلى كل معانيه وأخلاقه وتفاسيره مثل الإله. !

. . . هل يمكن تصور كائن مطلق القدرة يقال عنه إنه لا يريد إلاّ الجمال والنظافة والكرامة والكمال يبدع لنفسه مخلوقاً هو الإنسان ثم يعجز أو لا يريد أو لا يعرف أن يصوغه صياغة تحميه من هذا الإفراز والبصق والاستفراغ الوقح، الوقح المذل، هل يمكن تصوّر كائن نظيف جميل يخلق أحب أحبابه إليه محكوماً عليه بهذا الاستفراغ؟

هل يمكن تصور كائن يخلق كل هذا الكون ثم لا يستطيع أو لا يريد أو لا يعرف أن يخلق حبيبه وقرة عينه ومجد ألوهيته وعبقريته الإنسان مبرأ من هذا الإفراز والبصق والاستفراغ؟

هل يمكن أن يكون لهذا الكون مالك أو مخطط ثم يأذن بهذا البصق والإفراز والاستفراغ عليه؟

. . . هل يمكن أن تفسر يا إلهي النظيف الطاهر المطهر إلاّ بأنك عاشق بجنون لهذا الإفراز والبصق والاستفراغ وبأنك مفتون جداً برؤيته والاستماع إلى أصواته وتصويته مؤدى بالأساليب والأصوات والحركات والأوضاع التي بها يؤدى؟ هل سمعت أو رأيت ذلك؟

هل تسر عيناك أو أذناك كثيراً، كثيراً حين تسمع أو ترى ذلك؟

. . . فكر، أطالبك بأن تفكر: هل تمكن أن تجد لهذا تفسيراً غير هذا التفسير؟

الإله، الإله. نعم، الإله يسعد ويفرح بأن يرى ويسمع هذا، كل هذا. !

آه يا جسدي، يا جسدي هذا. . . كم أنت مهين وهاج معير لمن أرادك وخططك وأخرجك. . ! كم أنت مهين وهاج ومعير لكل تفاسيره ومواهبه ولأشواقه وتصوراته الإبداعية والفنية والجمالية. !

ماذا يا جسدي هذا لو أن الحشرات هي التي أرادتك وخططتك وخلقتك؟ أليس محتوماً حينئذ أن تصوغك محمياً من هذا الإفراز والبصق والاستفراغ استقذاراً واستقباحاً لذلك وصعوداً بموهبتها وتكريماً وحماية لها من هذا السقوط . . .

. . . حماية لعيونها وآذانها وأخلاقها وكبريائها ونظافتها من ذلك؟

. . . ولو أنها أي الحشرات لم تصنع ذلك ما وجد إلاّ تفسير واحد، هو أنها تريد أن تتغذى بالفضلات الرهيبة التي يطلقها هذا الإفراز والبصق والاستفراغ . ! .

فهل أنت يا إلهي تتغذى بذلك؟

. . . إنه لن يكون جميلاً أو جمالياً أو فناناً أو واهباً أو مثيباً أو صديقاً أو نظيفاً أو مستحقاً لأي شكر أو ثناء من حكم على كل إنسان بأن يكون جهازاً لهذا البصق والإفراز والاستفراغ، وعلى كل بيت بل وعلى كل معبد بأن يكون بيتاً ومكاناً لهذا البصق والإفراز والاستفراغ حتى ولو تحول الكون كله إلى أنبياء وشعراء وخطباء يتحدثون عن جمال وفنون ونظافات وعبقريات وصداقات وهبات وخيرات هذا الذي حكم على كل إنسان وبيت ومعبد بهذا البصق والإفراز والاستفراغ . . .

إن مخطط جسد الإنسان إن كان له مخطط لن يكون إلاّ قمة الدمامة أو القذارة أو الجهالة أو العجز أو لن يكون إلاّ وقحاً عدوانياً أراد أن يذل الإنسان ويحقره بأن صاغه هذه الصياغة الجسدية .

. . . أيها الإنسان الغائب عن نفسه أبداً . . العاجز عن رؤية وجهه أو ذاته مهما حدق في جميع المرايا . . أيها الإنسان في كل زمان ومكان . . هل فطنت إلى ضخامة غفلتك وخديعتك حين ظللت في كل تاريخك وأوطانك تشكر وتعبد وتمجد من حكم عليك وعلى بيتك ومعبدك بأن تكون ويكونا جهازاً وبيتاً ومكاناً لهذا البصق والإفراز والاستفراغ، وحين ظللت في كل تاريخك وأوطانك تتحدث عن مزايا وعطايا وعبقريات ومواهب ونظافة وجمال وصداقة وحب وشهامة من حكم عليك وعلى بيتك ومعبدك بذلك؟ كيف لم تسأل: هل حكم على جسدك بهذه الوظيفة الوقحة الشنعاء متعمداً أم جاهلاً أم عاجزاً؟ كيف؟

صائغ ومخطط جسد الإنسان هل يمكن أن يكون ذكياً أو نظيفاً أو فناناً؟

. . . إذن هذا الذي تحسبه ثواباً أو عطاء أو ثمناً ليس إلاّ عقاباً بل عدواناً لا شبيه لوقاحته ونذالته أعني به خلقك لي في هذا الجسد. إنك بذلك تستحق أقسى المحاكمة . ! . كل إنسان بل كل نبي وعبقري وتقي وقيصر خلق محكوماً عليه .

إذن مجد أيها الإنسان خالقك ومخططك الفنان. !

. . . ولا تحسبن الشهوات والملذات والمسرات وكل ألوان المتع أو ما يرى ويحسب كذلك، لا تحسبنها نوعاً جيداً أو كريماً من الثواب أو العطاء أو الثمن الغالي تقدمه إليّ جزاء عبوديتي لك أنا الإنسان.

. . . إن كل ممارسة لما يحسب ويسمى لذة أو شهوة أو متعة ليست إلاّ خضوعاً ذليلاً لإملاء وأوامر مجاعات وضرورات وبذاءات ومخاوف ووظائف الأعضاء والخلايا والغدد والذرات التي ألفت جسمي منها وجعلتني خادماً بل عبداً مستسلماً لوقاحاتك ونزوات وظائفها القبيحة العقيمة التافهة، بل جعلتني وعاء لأوحالها وأخطائها وخطاياها وآلامها وأمراضها وتشوهاتها وهمومها، وميداناً لمعاركها ومغامراتها ومصادماتها البذيئة الذليلة الأساليب والنيات والنتائج. . . جعلتني حاملاً لكل أوزارها، مقاسياً لكل عذابها. . .

إنك لا تعطيني أو تسعدني حينما يبدو أنك تفعل ذلك بل تذلني وتستعبدني. !

لقد جعلتني لها ولم تجعلها لي، وجعلتني المأمور المطيع لها ولم تجعلها المأمورة المطيعة لي، جعلتها تفعلني وتفعل بي ولم تجعلني أفعلها أو أفعل بها. .

. . . لقد جعلتني القتيل المتهم بالقتل، المغدور به المزعوم غادراً بل وقاتلاً. !

. . . جعلتني أفكّر وأرى وأقبل وأرفض وأغضب وأرضى وأصادق وأعادي وأحارب وأسالم وأحب وأكره وأعقل وأجن وأكفر وأؤمن.

. . . جعلتني أفعل كل ذلك من أجلها وبأوامرها أعني الأعضاء والغدد والخلايا والذرات التي ألفت جسمي منها، ولا أفعله أو أفعل شيئاً منه من أجلي أو بأوامري أي من أجل الإنسان الذي يعيش في داخلي أو بأوامره، أو الإنسان الذي يزعم وأزعم أنه يعيش في داخلي.

إنه لا مستعبد ولا مهان مثل الإنسان أو مثل معاني الإنسان في ذلك الإنسان وبذاته.

. . . إني في كل ما أفعله حتى ما يبدو أو يظن أسعد وأعلى أساليب الاستمتاع لست إلاّ منفذ أوامر. . . إني مطيع مأمور مقهور لا مستمتع. . ولنقرأ هذا لنستمع: هل الحب وممارساته والمجد وممارساته والطعام والنوم والراحة والاحتلام والغناء والتصور والتعبد وتعاطي المخدرات والمسكرات والمنومات والمغيبات والمفرحات والمضحكات. .

ـ نعم، هل كل ذلك إلاّ تنفيذ أوامر بخضوع، وليس استمتاعاً بحرية أو اختيار؟ هل الاستمتاع استمتاع أم خضوع لاستعباد لا يقاوم؟ هل الذي يجوع فيأكل يستمتع أم يقاوم أن يخضع؟ هل الذي يستشفى من المرض يستمتع أم يقاسي؟

. . . إن الاستفراغ في العلاقات الجنسية يساوي استفراغ فضلات الطعام والشراب في المكان المعد الوقح البذيء. ! . . كن مبصراً وشجاعاً ولا تفزع من هذا. إن كلا الاستفراغين خضوع مهين لإملاء مجاعات ووقاحات وظائف الأعضاء والغدد علينا. هنا، فكّر قبل أن تستنكر، فكّر فكّر. .

. . إن استفراغ فضلات الطعام والشراب قد يصنع لنا نشوة وسعادة وفرحاً وراحة أقوى وأكثر مما يصنع لنا ذلك الاستفراغ في اللقاء الجنسي أي حين تحكم بذلك قوة الإملاء علينا. ! . أليس تفريغ الذات من فضلات الطعام والشراب أقوى ضغطاً من تفريغ الذات من فضلات الحب؟ لهذا قد تكون النشوة في استفراغ فضلات الطعام والشراب أعظم من النشوة في استفراغ فضلات الحب أو إفرازاته!

. . . إن قوة النشوة أو اللذة لا تساوي إلاّ قوة إملاء الحاجة أو المجاعة أو الألم أو التصور وقوة ضغط ذلك. إن ضخامة النشوة لا تعني أو تساوي إلاّ قوة وضخامة الاستعباد والإذلال لمن يحسب منتشياً!

. . . إن جميع ما يدعى لذات ليس إلاّ إسكاتاً للألم وإطفاء لحرائقه المشتعلة أو المتوقعة أو المتخيلة. إننا لسنا إلاّ صارخين حين نحسب هاتفين أو مصلين أو شاكرين، ولسنا إلاّ باكين حين نرى ضاحكين! .

. . . إن مذاق الطعام يساوي ألم الحاجة والجوع إليه. إنه لا مذاق للطعام في أفواه الذين لا يجوعون إذا لم يأكلوا ولا يقاسون من الألم إذا لم يجدوه. إن ما لا نتألم لفقده لن نسعد بوجوده. إذن فنحن لا نسعد بالشيء إلاّ لأنه يصنع لنا الألم. إنه لا لذة ولا سعادة لولا الألم. إن الذي لا يتألم لن يتلذذ أو يسعد.

. . . إن اللذة بتفجير الخراج لا تعني إلاّ ألم الخراج. لهذا فقد نجد في تفجير الخراج من الراحة واللذة أكثر مما نجد من ذلك في ممارستنا لأكثر اللذات. . .

أقوى مما نجد في ممارستنا للحب المتحول إلى تفجير لخراج أكثر بذاءة. . .

أليست كل نشوة الحب في تفجير ذلك الخراج الوقح الفضاح المصاب به كل الرجال؟

. . . إن مفارقة الجحيم لتهب من السعادة والفرح أعظم مما يهب دخول الجنة. وهل تساوي الجنة إلاّ كونها فراراً ونجاة من الجحيم؟

. . . إذن فإن جميع ما يحسب لذات ومسرات ليس إلاّ تداوياً من النقيض.

. . . حتى الفرح. إنه ليس فرحاً ولكنه فرار واحتماء من الكآبة وفقد لها. !

. . . حتى الراحة. إنها ليست راحة ولكنها خروج من التعب وتداو منه.

. . . حتى الغناء مخاطباً للذات. إنه ليس غناء ولكنه استشفاء من الصمت النفسي الأليم واحتجاج عليه وخداع ومقاومة له. . .

. . . حتى الصلاة للإله. إنها ليست صلاة لا للإله ولا لسواه ولكنها أنين وصراخ وبكاء ولهفة واستغاثة حائرة ضائعة.

. . . حتى الضحك والابتسام. إنهما ليسا ضحكاً ولا ابتساماً ولكنهما مقاومة للعبوس والبكاء وإخفاء لهما. . .

إنهما أي الضحك والابتسام لغتان وتعبيران من لغات وتعبيرات العبوس والبكاء. هل يستطيع أن يضحك أو يبتسم أو يسر من لا يبكون أو يعبسون أو يحزنون إلاّ بقدر ما يستطيع أن يحيا من لا يموتون أو أن يموت من لا يحيون؟ هل فكّرت في هذا الكائن الواقع في الهاوية أو الزاحف إلى الهاوية الزاحفة إليه بلا أي مهرب أو خيار آخر؟

. . . هذا الكائن المحاصر أبداً بين النقيضين: يحزن ويفرح، يضحك ويبكي، يسعد ويشقى، ويربح ويخسر، يخاف ويأمن، ينتصر وينهزم، يصعد ويهوي، يعز ويهون، يأكل ويجوع، يجد ويفقد، يمرض ويصح، يشب ويشيخ، محاطاً من كل جهاته ونظراته وتحركاته بكل أسباب الموت والتحطيم والضياع وبكل الاحتمالات الأخرى الرهيبة.

ـ نعم هذا الكائن الذي هو كذلك مع توقعه الدائم لشر النقيضين وتحديقه الدائم فيه ومحاصرته الدائمة به أي بشر النقيضين إلى أن يفقد وجوده الفقد المحتوم، هل يصح أن يحسب مثاباً أو معطى أو مكرماً أو محظوظاً أو رابحاً أو ممنوناً عليه؟ أليس هذا الكائن حتماً مقهوراً مهاناً معذباً مورطاً خاسراً معتدى مجنياً عليه؟ أليس من حكم عليه بذلك أو وضعه هذا الوضع إن كان أحد قد فعل به ذلك سفيهاً باغياً يستحق كل العقوبات التي وجدت وعرفت والتي قد توجد وتعرف بل والتي لن توجد أو تعرف؟

فكيف إذا افترضنا فوق هذا الكائن البائس إلهاً كله شراسة وشراهة وقسوة وقوة

وغيرة وأنانية وكبرياء واستعلاء وبداوة وجاهلية، يحدق دائماً فيه بكل الوقاحة بلا أي قدر من الحياء أو الوقار، يحدق في كل ثيابه وجلده، يندس داخل جلده وثيابه ليحدق في كل أعضائه المستترة المحرمة، في كل عوراته ونباته وشهواته وهمساته ونبضاته وأناته بلا أية نبضة من نبضات الحياء أو الوقار أو الاحترام للنفس. محاصراً له بكل حراساته ومخابراته وجواسيسه وزبانيته ليتجسسوا ويحصوا ويبلغوا ويحرضوا ويفضحوا ويرهبوا ويعاقبوا وليقرأوا بمحاسبة ومحاكمة حتى نظرات العيون العمياء، حتى خفقات القلوب الصامتة من الضعف أو الاستحياء، حتى إشارات وإيماءات وتحركات الأعضاء المتوقفة أو المرتجفة من المرض أو الشيخوخة أو الإعياء أو العجز أو الموت؟

فكيف إذا افترضنا هذا الكائن المسحوق لا يستطيع أن يستتر أو يتنكر أو يهرب في أية لحظة من لحظاته بأي شيء من عوراته أو حرماته أو نباته أو أسراره أو حياته ليأمن وينجو من تطلعات عيني هذا الإله ومن رقابة جواسيسه ومخابراته حتى ولو استتر بكل ستائر الدنيا واختفى في أحشاء كل الكهوف وهرب إلى كل آفاق الكون؟

فكيف إذا كان، أي هذا الكائن، يعلم أنه لا يستطيع أن يأوي إلى مخدعه الخاص ليستريح أو ليمارس تلك الممارسة البذيئة الشهية دون أن يبدو عارياً مفضوحاً أمام أوقح عينين وأقسى وأشمل وأنذل رقابة؟

ما أوقحك أيتها الوقاحة... حتى حين هذه الممارسة لا وقار، لا استحياء، لا شهامة تزجر هاتين العينين وجواسيسهم ومخابراتهما عن التطلع والتلصص، بل تفقأ هاتين العينين.!

آه هل توجد عينان تستحقان أن تفقآ مثل ما تستحق هاتان العينان العمياوان عن كل الرؤية الرحيمة أو الكريمة أو المستجيبة أو المستحيية أو المنقذة أو حتى الرانية الباكية؟ هل يمكن أن تكون هاتان العينان غير عيني الإله الذي تعيش في عينيه كل هذه العاهات والتشوهات والآلام دون أن تعميا أو حتى تطرفا؟

... فكّر أيها الإله.. لو أن أي مؤمن أو أتقى مؤمن رآك تحدق فيه وهو يمارس بذاءته الخاصة اللذيذة الفضاحة فوق مخدعه الخاص أليس أول ما يجب عليه حينئذ أن يفقأ عينيك حتى ولو لحمايتك من الوقاحة والنذالة وعار الموقف أي إن استطاع أن يفعل بك أو لك ذلك؟ كيف يقبل الإله أن تبقى له عيناه إن كان قد رأى ولو مرة واحدة هذه الممارسة اللذيذة البذيئة؟

... جرب أن تفكر يا إلهي الذي لم يجرب قط عذاب التفكير وخطره وبسالته

وجماله وأيضاً دمامته. إن للتفكير دمامة قد تكون أكبر وأشمل من جماله. إن دمامة التفكير ليست في التفكير ولكنها في أنه يرينا دمامة وعبث وقسوة وبلادة الأشياء حتى أجمل وأعظم وأذكى الأشياء. ولكن كيف؟ أليس التفكير دمامة؟ أليس دمامة أن تفكّر لكي نعيش الدمامة والغباء والعبث والتفاهة ونتلاءم مع ذلك بل ونرضى عنه ونسعد به؟

... إن كل ضخامة وعظمة وجمال وذكاء ومنطقية في الأشياء لا تساوي إلاّ عجزنا عن التفكير وفي التفكير أو رفضنا له أو هربنا منه أو لا تساوي إلاّ رفضنا لما يقول التفكير أو عجزنا عن الاستجابة لما يقول؟

ولكن يا إلهي الذي لم يعاقب أو يفجع أو يفضح بداوته وسذاجته قط بأي تفكير هل يمكن أن تقبل نفسك أو أي شيء مما أردت وخططت وفعلت لو أنك جربت أن تفكّر أي كما يفكّر المفكرون لا كما يفكّر العرب، لا كما يفكّر الأنبياء والزعماء والقادة والمفكرون والعلماء والفقهاء العرب؟

آه. يا إلهي ليتك كنت مفكراً. مفكراً من البدء، من يوم ولادتك.

... هل كان يحتمل حينئذ أن تجيء أو يجيء هذا الكون، أو أن تجيئا أي أنت والكون كما جئتما؟

لقد كانت بداية مجيئك ومجيء هذا الكون أو بداية مجيئكما كما جئتما في حين لم يكن هناك أي تفكير لهذا جئتما وجئتما كما جئتما، ثم جاء التفكير متأخراً ليقول: لقد جئتما لأني لم أكن موجوداً، لم أكن موجوداً في أي طور أو صيغة أو مستوى من أطوار أو صيغ أو مستويات وجودي.

... إن كل صيغ وتفاسير وجودكما يرفضها وجودي. !

... لهذا فما أقسى وأدوم عذابي أنا التفكير لأنه قد حكم عليَّ بأن أعايشكما وأواجهكما وأقرأكما وأفسركما وبألا أجد غيركما...

إني لو كنت البدء لما ولدتكما أو استفرغتكما أي لما وجدتما لئلا أشقى أو أسب وأعير بكما...

... إني أنا التفكير لم أخطط أو ألد نفسي وإنما تولدت وتخلقت من دماماتكما وأخطائكما وعبثكما وآلامكما وتشوهاتكما وتصادمكما والتصادم بكما، ومن الاحتجاج والغضب عليكما والانفجاع بكما والاشمئزاز منكما ومن محاولة التعامل معكما وبكما والفهم لكما، أي أنت أيها الإله وأنت أيها الكون.

. . . إنكما لو كنتما جمالاً وكمالاً مطلقين لا تصنعان الغيظ أو الغضب أو الألم أو الاشمئزاز أو الحيرة أو العجز عن الفهم والاحترام لكما والتلاؤم معكما لما وجدت أنا التفكير. فأنا أي أنا التفكير لست إلاّ ولادة التصادم الموجع الفاجع الأليم المناقض الدائم لهذا. فإن سكان الفردوس الذي وصفه الأنبياء لن يكونوا مفكرين لأنهم سيكونون بلا ألم أو غضب أو رفض أو انفجاع أو تصادم أو تناقض أو خوف أو اهتمام. إنهم سيصبحون خلايا وغدداً وأعضاء تتغذى وتمارس فقط بلا أي معنى من معاني الإنسان. !

. . . إني أنا التفكير لأجرؤ أن أعترف معلناً أني لم أكن ولادة الحب أو المال أو الذكاء أو التخطيط والتدبير أو السعادة أو الفرح أو الرضا أو القوة أو الرؤية أو الخير أو إرادة الخير والحق. . . بل لقد كنت ولا زلت ولادة النقيض الحاد الشامل لكل ذلك أي ولادة التصادم بهذا النقيض.

. . . هذا النقيض الذي رأيته وقرأته وفسرته ووجدته وواجهته وقاسيته فيكما أنت أيها الإله وأنت أيها الكون. إن كل ما فيكما نقيض حاد شامل وقح لكل جمال وحب وخير وذكاء ومنطق وكرامة وشهامة بل وضخامة مهما كانت البدانة.

. . . لقد كنت ولادة أليمة في ظروف أليمة لأسباب أليمة، بتفاسير أليمة، في مكان أليم، من أبوة وأمومة أليمتين لمواجهة ومعايشة ما يصنع كل الآلام وأقسى الآلام بكل التفاسير والرؤى والحسابات. إني لم أكن ولادة لقحها الحب والاتفاق والتقارب بل ولادة لقحها التباعد والاختلاف والرفض والمقاومة. . . .

إنه لو وجد إنسان أو أي كائن لم يقاس ولا يقاسي أي ألم أو غيظ أو غضب أو حزن أو تناقض أو اشمئزاز أو احتجاج أو خوف أو انفجاع أو استنكار أو حرمان أو مجاعة بكل تفاسير المجاعات والجوع لما أمكن أن يصبح مفكراً مهما كانت طاقاته واحتمالاته الذاتية إلاّ بقدر ما يمكن أن يئن أو يحن أو يتأوه أو يغني أو يبكي أو يصرخ هاتفاً أو لاعناً أو منشداً أو مخاطباً النجوم أو السحاب أو الأطلال ـ أي ألا يقدر ما يمكن يفعل ذلك أو بعضه من لا يقاسي من الألم أو الشوق أو الحب أو الخوف أو الحرمان أو الضياع أو الهوان أو الهزيمة أو التذكر ـ أو إلاّ بقدر ما يمكن أن ترعد أو تبرق أو تمطر السماء بلا سحاب متزاحم متصادم متناقض محكوم بظروف ومجالات متزاحمة متصادمة متناقضة متعادية، وبآلهة متعادين متنافسين متناقضين متلاعنين متقاتلين مختلفين بلا أية قضية أو هدف أو خطة أو منطق أو تفاهم أو هدنة أو صلح، وبلا أي قدر من الوقار أو الحياء أو الذكاء أو التقوى أو الشهامة أو الفروسية بأي تفسير أو أسلوب من تفاسيرها وأساليبها. !

حتى الإله ـ هكذا تقول وتدل الأساطير ـ لو لم يكن يقاسي آلام الوحدة والفراغ والضياع والعبث، ومن آلام الجوع والشوق إلى أن يكون معبوداً ممدوحاً مهتوفاً به وله مرجواً مدعواً دون أن يستجيب أو يستطيع الاستجابة بل ومن آلام الجوع واللهفة إلى أن يرى ويسمع كل الدمامات والتشوهات والأنات والصرخات والتأوهات وكل القبائح والفضائح والآلام تملأ كل نظراته واستماعاته وأوقاته ومجاعاته ـ ويقاسي أيضاً من التناقض والتصادم والتنافس المتحارب المتعادي داخل ذاته وبين صفاته بكل القسوة والوقاحة والجهالة.

ـ نعم، حتى الإله لو لم يكن يقاسي من كل هذه الآلام هل يمكن حينئذ أن يخلق هذا الكون أو هذا الإنسان... أن يخلق شيئاً أو يطالب بشيء أو أن يفكر في أن يخلق شيئاً أو يطالب بشيء؟ إن الإله لو كان متكامل الذات متكامل التوافق والتلاؤم معها مستغنياً بها وبالتعامل معها لما خلق شيئاً أو فكر أن يخلق شيئاً.

... إن كل فعل وتفكير لن يكونا إلاّ محاولة للخروج من الألم، الألم بمعناه الواسع الشامل، أو احتجاجاً على الألم أو رفضاً له أو إعلاناً لهذا الرفض وعنه أي ولو الألم الذاتي. والجوع إلى الشيء أو الاحتياج إليه هو أقسى وأشمل أنواع الألم..

لقد كان ألم الإنسان المتوقع أكبر من ألمه الواقع.

.. هل رأيت أو قرأت هذا في نفسك أو كتبته عنها وتسجيلاً عليها يا إلهي الذي قد مجد نفسه وسوف يظل يمجدها لأنه أبداً يختار أنبياءه ممن لا يقرأون أو يكتبون أو يرون أو يبصرون مهما رأوا أو نظروا أو قرأوا.!

... يا إلهي الذي يعادي القراءة والكتابة والرؤية بمعانيها الإنسانية الحضارية النقدية بقدر ما تعاديها الزعامات والقيادات والنبوات العربية... بقدر ما تعادي النبوات والقيادات والزعامات العربية الذكاء والصدق والتهذيب والوقار والشجاعة الأخلاقية والفكرية والنفسية وحتى التعبيرية؟

ولكن كيف هل يمكن معاداة ما ليس موجوداً أو معروفاً؟

أليس السلطان العربي بكل صيغه وأسمائه وألقابه حينما يعادي هذه القِيم إنما يعادي شيئاً ليس موجوداً أو معروفاً أي في مجتمعه أو حتى في خياله أو تخوفه؟

وهل يمكن أن يكون ذلك موجوداً أو معروفاً أي في العالم العربي؟

نعم، هل وجدت هذه القيم في العالم العربي لكي تعاديها النبوات والزعامات والقيادات العربية؟

وهل يمكن أن يعادي الكائن ما لا يمكن أن يكون خطراً عليه أو تهديداً أي ما لا وجود له وما لن يكون له وجود في أي حساب أو توقع؟

هل يمكن معاداة عدو أو الخوف من عدو لا وجود له حتى ولا في التصور؟ هل يكون واقعاً في المجتمعات العربية ما لا يكون ممكناً في غيرها أي مما ليس عظيماً أو جميلاً أو نبيلاً أو كريماً؟ هل كل عبقرية العربي أن يفعل المستحيل الرديء؟

. . . إن معاداة الزعامات والقيادات والنبوات العربية للصدق أو للذكاء أو للتفكير الحر الشجاع وللبسالة الأخلاقية أو النفسية أو التعبيرية وخوفها من ذلك أي في مجتمعاتها العربية تساوي معاداة عدو لا وجود له والخوف منه أي من هذا العدو الذي لا وجود له. إنها معاداة عدو لا وجود له والخوف منه أي من هذا العدو الذي لا وجود له. إنها معاداة لما ليس ممكناً وجوده.

. . . إن المجتمعات العربية محروسة من هذه القيم الخطيرة المخيفة بكل أصالتها وبكل تفاسيرها التاريخية والعرقية بل والدينية والأخلاقية والنفسية.

. . إذن هل الإنسان العربي خارق في كل تفاسيره لهذا يعادي ويخاف ما لا وجود له وما لن يكون له أي وجود في المجتمعات العربية أي يخاف سلاطينه من وجود الأحرار الشجعان الأذكياء الصادقين الرائين المحاسبين المقاومين الرافضين بعقولهم وأخلاقهم وبقضاياهم الفكرية والإنسانية والحضارية وانتصاراً لها ودفاعاً عنها؟

لقد خاف الإنسان العربي الشيطان وعاداه أي بلسانه لأنه تصوره موجوداً فهل يمكن أن يتصور السلطان العربي أن أصحاب المواقف الحرة الشجاعة الصادقة المناضلة موجودون أو قد يوجدون لكي يخافهم ويعاديهم؟

فهل يؤمل أن تخرج الطبيعة على قوانينها وأخلاقها التي لم تخرج عليها أو عنها ولن تخرج فتأذن بأن يوجد في المستقبل العربي هؤلاء الذين لم يوجدوا ولم يوجد أحد منهم في الماضي أو الحاضر العربي إلاّ أن يكون ذلك أي وجودهم إشاعة أو غلطة أو تمنياً أو شكوى من الفقد جاءت بأسلوب آخر . . . بأسلوب أنهم قد وجدوا وملأوا كل مقابر التاريخ حتى لم يبق فيها أي مكان لغيرهم؟

. . . وهل كانت أكثر الأمجاد العربية وأحياناً غير العربية إلاّ فنوناً غير فنية أو ذكية من الإشاعات والروايات والتمنيات والتحسر العاجز الأليم الذي لا يجد ما يجب ويحب أن يجد فيذهب يحتلم ويتصور ويغلط وأيضاً يكذب ويدعي تعويضاً أو مجاملة أو حياء أو رثاء أو غباء أو خداعاً أو تجملاً وتزيناً أو بيعاً لمن يشترون أو نفاقاً لمن يبطشون، ثم

يذهب يتحدث ويحدث ويروي ويكتب ويخطب ويباهي، ناسياً بكل الحسم والتصميم أصل القصة والرواية؟

هل كان يمكن أن يكون للتاريخ العربي أي وجود مقروء أو مسموع أو مكتوب أو مرئي أو مدروس أو مرجوع إليه لولا سلطان الرواية والإشاعة والحكاية والقصيدة؟

ويجب ألا ننسى سلطان السورة والآية. آه. السورة والآية. كم أخذا منا؟

ما أعظم ما أخذا منا ولا يزالان يأخذان. ولكن ماذا أعطيا؟ هل أعطيا شيئاً غير تلاوتهما بإنشاد وصراخ، وغير الكذب والخداع والاحتيال باسمهما. ولنحدق في سدنتهما لنعرف أنهما لم يعطيا إلاّ الدجل والغباء مسوغاً بهما...

* * *

... ثم ماذا من أنواع الثواب أو الثمن الذي وعدتني به في هذه الحياة الأولى جزاء عبوديتي لك يا إلهي؟

أنت تقول كما يحكي دراويشك الأنبياء: إنك سوف تهبني النجاح والقوة والسعادة والفرح والصحة والغنى والذكاء والعقل والتوفيق في كل المجالات والاتجاهات وكذلك كل أنواع الانتصارات على كل الأعداء والخصوم والأشرار والمخاوف والأخطار والهموم والضياع والحيرة..!

ولكن ليكون محتملاً تصديق هذا الوعد بهذا الثواب أو الثمن يجب ألا نقرأ أو نعرف ما كان قد حدث في كل التاريخ وألا نحدق في ما هو حادث الآن.!

إن كل ما حدث وكل ما هو حادث مرئي لا يمكن تفسيره إلاّ بنقيض هذه الوعود.!

لقد كان المؤمنون بك الملتزمون بإيمانهم جداً لو وجدوا يقاسون في كل الماضي والحاضر نقيض هذه الوعود بهذه الأنواع الشهية من أنواع الثواب أو الثمن.!

وكل المؤمنين الذين انتصروا أو نجحوا أو تفوقوا في أي شيء في الماضي أو الحاضر كانوا من الضعفاء جداً في إيمانهم والتزامهم أو من الكاذبين في ذلك بل من الكاذبين حتماً في التزامهم وتقواهم. كان إيمانهم وتدينهم شعارات وخطباً فقط أو قوانين وتشريعاً فقط. كانوا في سلوكهم الديني والأخلاقي أفجر وأكفر من كل الكفار والفجار ولن نحتاج إلى التحديق في شيء من الماضي أو الحاضر لكي نقتنع بذلك بل لكي نرى ذلك أي لكي نراه بلا تحديق أو رؤية...

. . . إن هؤلاء المؤمنين بك الذين ظفروا بانتصار أو نجاح أو تفوق ما لو كانوا مؤمنين بك ملتزمين بإيمانهم وتقواهم التي تطالبهم بها لما نالوا شيئاً من انتصارهم أو نجاحهم أو تفوقهم.

. . . حتى المؤمنون بك والمتعبدون لك على مستويات متفاوتة أو متضادة، أو صادقين وكاذبين لا بدَّ أن يكون المنتصر المتفوق فيهم هو الأضعف أو الأكذب إيماناً وتديناً أي إذا تحاربوا أو تعادوا أو تنافسوا. . .

إن كل التاريخ وكل الحاضر ليعلن ويؤكد ذلك بقسوة يجب أن تصنع لك الخجل والانفجاع والعار ونطالبك بأن تقرأ التاريخ الإسلامي يا إلهي الذي لا يقرأ حتى ولو قرئ. . .

نعم، هل قرأت أو رأيت يا إلهي الأبدي الأمية، الأبدى العجز عن الرؤية.

ـ هل رأيت أو قرأت ماذا حدث حينما تحارب وتعادي وتنافس وتبارز المؤمنون بك العابدون المتعبدون لك جداهم وأعداؤهم وخصومهم الخارجون عليك الرافضون لك. أوهم من هم أضعف منهم إيماناً وتديناً في صدر الإسلام وحتى اليوم؟

هل رأيت أو قرأت أو عرفت أو سمعت ما الذي حدث حينما تقاتل وتخاصم هؤلاء وهؤلاء لكي تعرف أن الإيمان بك والعبودية لك يصنعان الضعف والهوان والهزائم ولا يصنعان الأشياء الأخرى الجيدة المزعومة الموعود بها بل ولا يأذنان لصاحبهما بأن يصنع إلاّ الضعف والهوان والهزائم أي إن كان أو لو كان صادقاً وحاراً وقوياً ومنفذاً في التزامه بهما؟

إن الإيمان والعبادة أو العبودية ليسا هما اللذين يصنعان الضعف أو الهوان أو الهزائم ولكن الذي يصنع ذلك هو الالتزام الجاد الصارم بهما أي لو وجد هذا الالتزام.

كذلك فإن فقدان الإيمان والتعبد أو العبودية لا يصنع أي شيء جيد أو عظيم أو قوي أو جميل، ولكن الذي يصنع ذلك إذا صنع هو الطاقات والمواهب والظروف الجيدة الملائمة. إن الشرير أو الظالم إذا انتصر فليس لأنه شرير أو ظالم ولكن لأنه يملك أسباب الانتصار، وإذا انهزم فليس لأنه شرير أو ظالم ولكن لأنه مملوك محكوم بأسباب الهزيمة، وهو أي الشرير أو الظالم يملك أحياناً هذه الأسباب وأحياناً نملك الأسباب الأخرى.

. . . إن أسباب القوة والضعف والانتصار والانهزام ليست أسباباً دينية أو أخلاقية بل ذاتية.

. . . وجميع التفاسير والتحليلات لا بدَّ أن تؤكد هذا الحكم أو الرأي في المؤمن الملتزم بإيمانه بصدق وشجاعة وإخلاص وتنفيذ أي لو وجد مثل هذا المؤمن. . .

ذلك أن الإنسان طاقات مطلقة: رؤية وتفكير وحب وشوق وأمل وطموح وتطلع وغير ذلك وهو كثير. . . وهي طاقات تتوزع وتستهلك وتستنفذ وتتنقل بين أشتات المجالات وتشغل وتتلهى بهذا عن هذا وبهذا عن هذا. . .

فإذا وجد إنسان مشحونة جميع طاقاته بالإله الذي يتصوره ويؤمن به. . . مشحون فكره وقلبه وضميره وشوقه وطموحه ورؤاه وتطلعاته وآماله ومخاوفه وكل حواسه وأحاسيسه فكيف يستطيع أو يقبل ألا يرى أو يسمع أي شيء غيره أو يكفر في غيره أو يهتم أو يشغل بغيره أو يريد أو يعشق أو يحب أو يرجو غيره بل أو يجد غيره هذا الإله الذي آمن به بكل تصورات المؤمن به؟

. . . عينان تحدقان في ذات الإله الموصوف للمؤمن به كيف تستطيعان أو تريدان أن تريا غيره، وعقل يفكّر في هذا الإله كيف يستطيع أو يقبل أو يفكر في غيره، وقلب يخفق بحب هذا الإله وبالشوق إليه كيف يستطيع أو يقبل أن يخفق بحب غيره أو بالشوق إلى غيره، وما لك واجد لهذا الإله كيف يفكّر أو يقبل أن يملك أو أن يجد غيره، ومفلس يرى كل الأموال والعملات في بنوك هذا الإله كيف لا يظل أبداً يحدق في بنوكه، وجائع يرى كل الحقول تزرع في كف هذا الإله وكل حيوانات اللحوم تولد وترعى في كفه ومن كفه كيف يحاول أن يطلب الغذاء من غير كفه، وظمآن يرى كل الأنهار والسحاب والينابيع إنما تتفجر وتتقاطر من أصغر أكواب هذا الإله كيف لا يظل أبداً يستسقي صاحب هذه الأكواب؟

عينان تسكنهما الشمس وتحدقان في الشمس كيف لا تحترقان وكيف تستطيعان أن تريا غيرها؟

نعم، العيون والعقول والقلوب والضمائر والأشواق والأماني والاحتياجات والمجاعات التي تمتلئ بهذا الإله ويسكن ويعيش فيها بكل ضخامته ووحشيته وقوته وجبروته وبكل جماله وإشراقه وغناه ومهابته وكبريائه وبكل أوصافه وأخلاقه المتخاصمة المتضادة المتنافسة ـ كيف لا تحترق أو كيف ترى غيره أو تفكر في غيره أو تبحث عن غيره بل أو أن تجد أو حتى تتصور غيره؟

إذن فالمؤمن بهذا الإله العابد له بالالتزام المطلوب كيف يمكن أن يبقى فيه شيء، أي شيء قادر على أن يفعل ويناضل وينجح ويتفوق وينتصر ويصنع الأعمال العظيمة

القوية الذكية؟ بل كيف لا يحترق ويذبل ويهزل ويعمى عن أية رؤية؟

بل كيف لا تتجمع فيه كل الأمراض وأقسى الأمراض العقلية والنفسية والعصبية والأخلاقية والجسدية؟ آه. . والأمراض القلبية! القلبية. !. قلب يسكن ويعيش فيه كل الأوقات مثل هذا الإله كيف يمكن أن يظل قلباً؟ كيف لا يصبح حريقاً، حريقاً؟

نعم، قلب يخفق أبداً بحب هذا الإله وبالشوق والحنين إليه وبالتعبد والاحترام له وبالخوف منه وبالانتظار له وبالتوقع منه ـ قلب يقاسي كل هذا وأكثر وأقسى من كل هذا كيف لا يصبح وطناً لكل الأمراض وأفجع الأمراض؟

وصاحب مثل هذا القلب كيف لا يصاب بكل الكآبات والتوترات والهواجس والوساوس المدمرة المشقية؟ كيف يمكن أن يعيش أي قدر من السعادة أو الفرح أو الحب أو الغناء النفسي أو الفكري أو الأخلاقي؟ آه. هل يوجد سارق لا وجود له مثلك أو غيرك يا إلهي، يا أعظم سارق ولكن بأيدي المسروقين لا بيديك.

ولكن لقد كانت الطبيعة وقوانينها دائماً أقوى من عقائد الإنسان. كانت هازمة مذلة أبداً لعقائده، لهذا كان دائماً عاجزاً عن الالتزام بها أي بعقائده بل كان دائماً عاجزاً عن تصديقها وعن الاحترام لها أي من حيث السلوك والتطبيق مهما كانت الادعاءات والدعايات والتشريعات، مهما تليت وحفظت وفسّرت السور والآيات والأسفار والإصحاحات. . .

لهذا، أي لكون الطبيعة هازمة أبداً لعقائد الإنسان، استطاع، أي الإنسان، أن يحيا ويعمل ويبتدع وينتصر ويسعد ويفرح ويحب العمل والحياة، طارداً لهذا الإله بلا رثاء أو أسف أو اعتذار أو رهبة أو رحمة من كل تحليقات وتحديقات ومجالات فكره وقلبه وضميره وعينيه وطموحه وأهوائه وأشواقه ومجاعاته واحتياجاته ومن كل وظائف جسده العضوية والمعنوية، مكتفياً بمضغه بلسانه بلا لذة أو مذاق أو ابتلاع أو حتى شهية، ملقياً به، أي بهذا الإله، في المعبد وفوق المنبر وفي سطور الكتاب وعلى صفحاته، دون أن يأذن له بأن يكون معه في أي شيء من معاملاته أو علاقاته بالحياة أو بنفسه أو بالآخرين أو بأي شيء آخر. . .

. . . إذن فإن أعظم مزاياك بل كل مزاياك إنك مهما وجدت فإنك غير موجود ولن تكون موجوداً يا إلهي الذي كل عطاياك للحياة وللإنسان وكل تفضلك ونعمائك عليهما أنك موضوع بلا مهابة أو تكريم أو اهتمام في المعبد وفوق المنبر وفوق سطور وصفحات الكتاب دون أن تستطيع التخطي لذلك ولو بالطموح أو الأمل، دون أن تكون

حراً في أن تذهب إلى أي مكان آخر أو أن تعيش فيه أي في أي مكان آخر حتى ولا ضيفاً أو لاجئاً أو هارباً. !

لهذا بقي الكون والحياة والإنسان والحشرات أي لكونك غير موجود إلاّ في المعبد وفوق المنبر وعلى صفحات الكتاب وإلاّ لكان محتوماً أن يزول كل شيء تحت نزوة أو غضبة أو ضربة أو لعبة أو سعلة أو أنة أو آهة أو صرخة تطلقها أو تنطلق منك أو تتلهى أو تتعالج أو تعاقب بها أو لتتسلى بما يحدث ولتراه ولتجرب نفسك وعضلاتك أو لتسعد ببقائك وحدك، أو لتنقذ عينيك وأذنيك وقلبك وضميرك وأخلاقك من قبح ودمامة ما ترى وتسمع وتواجه وتفعل وتعايش. .

. . ولكان محتوماً أيضاً أن يموت أو يحترق كل شيء خوفاً منك أو شوقاً إليك أو إكباراً لك أو عجزاً عن احتوائك ومواجهتك أو استحياء من التطلع إليك أو من تطلعك أنت إليه أو فراراً من تحديقك الوقح الشامت الشاتم في عوراته وعاهاته وآلامه دون أن تحزن أو تبكي أو ترثي أو حتى تستحي. . إن أعظم مزاياك يا إلهي إنك مرفوض، مرفوض جداً أي في التعامل والنيات مهما كان مجدك في التعاليم وفوق المنابر والمحاريب. !

. . . إله لا يستحي أو يبكي أو يرثي أو يحزن. !. هل يمكن تصوّر قباحة أو وقاحة تساوي أو تشبه وقاحة وقباحة طلعته، تساوي أو تشبه وقاحة أو قباحة جبهته أو عينيه أو ابتسامته لنفسه أو تحديقه في مرآته أو قراءته أو روايته لتاريخه أو حديثه أو تاريخه إعجاباً أو تذكراً أو تذكيراً أو دراسة أو تدريساً؟

إن كل مياه الأنهار والبحار والسحاب لو تحولت إلى دموع لكانت أقل من الدموع التي يجب أن تذرفها عيون خالق هذا الكون لو كان يقاسي شيئاً من الشهامة أو الحب أو الرحمة أو الخجل أو الرثاء أو من المحاسبة أو المعاتبة للذات، أو لو كانت تفجعه أو توجعه أو تؤنبه الدمامات أو الآلام أو الأخطاء أو الآثام التي يخططها ويقترفها أو حتى يراها ويواجهها ويعايشها ويفهمها. . !. وهل يفهمها؟ هل الآلهة تفهم؟

إن المؤمنين يحقرون الآلهة ولا يمجدونها حينما زعموها تفهم. إن كل ذكائها في ألا تفهم.

هل يقبل أي إله أن يكون إلهاً لو كان يفهم؟ وهل توجد بلادة تنافس بلادات الآلهة؟ أليست كل بلادات الكون بعض بلادات الآلهة؟ هل يمكن أن يكون الكون بليداً لو كانت الآلهة ذكية؟ من صنع بلادتك أيها الكون؟ هل هي الآلهة؟ إذن من صنع بلادة الآلهة؟

هل من جواب؟ وممن ينتظر الجواب؟ وواهب الجواب هل من جواب عنه؟

. . . إن الذين يرون الكون صياغة جمالية أو فنية أو أخلاقية أو منطقية فلن تكون عيونهم وعقولهم وأخلاقهم ونماذجهم إلا صياغة وصيغة إله، إلاّ تعبيراً عن رؤى الإله للجمال والذكاء والمنطق والأخلاق وعما فيه أي في الإله من ذلك، ولن يكون فيه من ذلك إلاّ ما في الكون منه. . .

إذن من يستطيع أن يرى الكون برؤى إنسانية لا برؤى إلهية، لا برؤى من يرى كل جماله وذكائه ومنطقه وأخلاقه وفروسيته وعبقريته في أن تلد يداه الصرصار والبرغوث والجرثومة والوباء والعاهة والشيخوخة والموت وكل الآلام والتشوهات، لا برؤى من لن يعجب أو يسعد أو يفرح بذاته إلاّ بأن يرى يديه تلدان ذلك، لا برؤى من يرى الكون مشوهاً وناقصاً ورميماً وغير فني ما لم ير فيه كل ذلك، لا برؤى من يرى أنه لن يكون حكيماً أو رحيماً أو فناناً إلاّ بأن يصيب الوجه الجميل البريء الساجد له على التراب حباً وتضرعاً بأوقح وأقبح التشويه والتعذيب، لا برؤى من يرى هذا الكون بكل مستشفياته وملاجئه وقبوره وسجونه وأماكن استفراغ فضلات طعامه وشرابه في عيون شموسه وأقماره قمة الجمال والعبقرية والرحمة والحب والخيال الفنان؟

لماذا لم يوجد هذا الرائي برؤى إنسانية؟ هل يمكن أن يوجد؟ إذن لماذا لم يوجد؟

من يستطيع أو يجرؤ أن يرى هذا الكون لكي يرى الإله برؤيته له؟

هل رأى الكون أحد؟ هل رآه؟ إنهم جميعاً يعيشونه ويعيشون فيه ولكن هل رأوه أو رآه منهم أحد؟ هل رأوه إلاّ كما رآه البرغوث والذباب؟

إن أي نبي أو قديس لم ير أي شيء إلاّ كما رأته القملة أو النملة!

هل هابوا رؤيته أو رفضوها لأنهم يهابون ويرفضون رؤية الإله؟

هل تطاق رؤية الإله؟ هل تطاق رؤيتك يا إلهي؟ إذن لماذا لم ترقط؟ أحياءً أم بخلاً أم كبراً؟

. . معايشة الشيء تمنع رؤيته أي تحمي منها وتنهى عنها؟

هل الجوع إلى الخبز يحمي من رؤية الرغيف؟ أليس الجوع إلى الجنس وممارسته قد حميا من رؤيته ومن رؤية أعضائه؟

رهيب فظيع رؤية الجنس ورؤية أعضائه ورؤية ممارسته وممارستها. !

لهذا لم يوجد من يستطيع أو يريد رؤية ذلك مهما حدق فيه بكل وقاحة شهوته. !

إنهم بقدر ما يحدقون في الجنس وفي أعضائه وممارساته يعجزون عن الرؤية.

.. إن الكائن لا يستطيع ولا يريد أن يرى ما يعايش ويعامل كما لا يستطيع أو يريد أن يرى نفسه، لهذا لم يستطع أو يرد الإنسان أن يرى الكون أو الإله، ولم يستطع الإله أو يرد أن يرى الكون أو الإنسان أو أي شيء...

لهذا لم تحدث أية رؤية في هذا الكون ولا في من يتعامل معه من آلهة وكائنات مقدسة. إن شيئاً ما لم ير شيئاً. لهذا أمكنت الممارسة والرضا والتقبل بل والإعجاب حتى بالجنس وأعضائه وممارسته بكل أساليبها دون أن تعمى العيون الرائية أو تموت الأعضاء المرئية...

لو أن أي كائن من خارج هذا الكون وخارج آلهته لا يعايشه أو يتعامل معه رآه بكل آلهته وإنسانه وبكل وحداته وممارساته وعلاقاته فماذا يمكن أن تكون فجيعته واشمئزازه واستقباحه؟

هل يمكن أن يقبل حينئذ هذا الكائن أن تبقى له عينان إن كان محتوماً أن يظل يرى ما يرى؟ وأنا هنا أفترض أن العيون حتى عيني هذا الكائن تعني الرؤية.

.. إن كل رؤية في هذا الكون ولهذا الكون هي رؤية تجميل وتبرير وتسويغ وليست رؤية رؤية، ليست رؤية نقد أو محاكمة أو محاسبة أو حتى مساءلة. وأبعد من كل ذلك أن تكون رؤية اشتراط...

إن كل رؤية في هذا الكون هي ضد الرؤية ومنع للرؤية وليست فقداً للرؤية فقط. إنك حينما تحدق في المرآة إنما تريد أن تفقأ كل عيون الرؤية فيك.

... إن جميع من يرون إنما يرون ليتلاءموا ويتعاملوا، وليسخروا ويشمتوا، أو ليتسلوا ويتلهوا ويفرحوا، أو ليخدعوا أو يقتلوا أو يشغلوا عيونهم، ولكنهم لا يرون ليروا... إنه لا هرب من الرؤية أو فقد للرؤية مثل هرب وفقد من يقتلون ويعذبون عيونهم رؤية وتحديقاً.

... حتى الإله فإنه حينما يرى أو لو رأى لا يرى ليرى وإنما يرى أي لو رأى ليسعد ويفرح ويتلذذ برؤية الآلام والتشوهات والنقائص التي أوقعها بالإنسان وبالكائنات الأخرى، وبرؤية الآثام والأخطاء والخطايا التي أرادها وخططها وعشقها ففعلها أي في ما يبدو من أرسل إليهم الأنبياء والكتب المنزلة لنهيهم عنها ومنعهم من الاقتراب منها أي من الآثام والأخطاء والخطايا وإلاّ فالنار، النار، وإلاّ فالأهوال، الأهوال، وأيضاً يرى أي الإله إن رأى ليتعزى ويتلهى ويتغافل عن وحدته وعزلته وعن فراغه الممل القاتل

الرهيب العقيم. آه. ما أقبح وأوقح وأقسى التفاسير لرؤية الإله، للإله رائياً. لماذا يرى؟ إنه لا يرى ليساعد أو ينقذ أو يغير أو يعالج، إذن لماذا يرى؟

إنه مهما رأى لا يفعل شيئاً مما لا بدَّ أن يفعله من يرى. نعم، إنه لو كان يرى لكان مستحيلاً أن يظل شيء مما نراه كما نرى، أن يظل شيء مما هو كائن كما هو كائن. إنه لو كانت كل العيون للرؤية لكانت عينا الإله وحدهما هما اللتين ليستا لذلك. الإله يرى كل هذا. !. هل يوجد هجاء وسباب له مثل هذا؟

. . . ولكن ما هي الرؤية التي لا يستطيعها أي كائن حتى ولا الإله؟

إنه مهما كان مستحيلاً تحديدها أو تفسيرها أو كان صعباً فلا ينبغي أن يوجد أي خلاف في أنه لا يوجد في هذا الكون من يرى.

إن أي شيء في هذا الكون لم يوجد ولم يبق إلاّ بفقدان الرؤية.

إنه لبدهي وسهل وحتم أن يقال إن الحيوانات ترى وكذا الأطفال والبله. ولكن كم هو مستحيل أن تكون هذه أو هؤلاء يرون أو ترى إلاّ بقدر ما يرى الإله والأنبياء وسكان السماء أي إلاّ بقدر ما يرون قبح ما يرون.

أي إلاّ بقدر ما يرون معنى ومنطق ما يرون. !

. . إن الرؤية ليست عيوناً أو نظارات صناعية إنها أصعب وأكبر جداً من ذلك. ولهذا فقد يكون أقوى البشر وأقوى المبصرين عيوناً هم أضعفهم وأقلهم رؤية. إن البشر وغيرهم من الكائنات المبصرة لو علموا أن العيون للرؤية لرفضوا أن تكون لهم عيون. !

أليس الإله الذي يضع كل الأكوان في عينيه دون أن تمتلئا أو تطرفا لاتساعهما هو أعجز وأبعد من كل ذوي العيون عن الرؤية؟ إن البشر مهما تعلموا وعلموا فإنهم لا يتعلمون أو يعلمون الرؤية بل إنهم ليعلمون ويتعلمون ضدها أي لتكون ضدها. !

* * *

أنت يا إلهي لست متناقضاً فقط بل إنه لا مثيل أو شبيه لفوضوية وافتضاح تناقضك. إن كل ما في هذا الكون من فوضوية وافتضاح التناقض ليس شيئاً من فوضوية وافتضاح تناقضك. . .

إن فوضوية تناقضك في تخطيطك وإخراجك لهذا الكون متلائمة أو متساوية مع فوضوية التناقض في ذاتك ونفسك وأخلاقك ومنطقك. إنه لا شيء يفسر أو يصوّر قبح فوضوية التناقض مثلما يفسر ويصور هذا الكون قبح فوضوية تناقضك يا إلهي!

. . . وبقدر ما أنت فوضوي التناقض في أفعالك وأخلاقك أنت فوضوي التناقض في أقوالك، في وعيدك ووعدك. !

. . . أنت تقول إنك سوف تثيب على العبودية لك بأن تهب النصر والقوة والنجاح والصحة والغنى والفرح والسعادة وكل تلك الأماني الجميلة ثمناً لعبادتك وللإيمان بك وجزاء لمن صدقوا وتعبدوا. !

ولكنك تقول أيضاً ما يناقض هذا مناقضة ليس فيها أي قدر من الوقار أو الاستتار أو الذكاء أو الفطنة أو المهارة الدعائية. . . إنك في أساليبك الدعائية متفوق في ضعفك حتى على الزعامات والقيادات العربية في ضعف أساليبها الدعائية!

. . . إنك تقول ـ وكأنك لا تقول غير هذا ـ تقول بفرح عظيم إنك سوف تخص عبادك المؤمنين الصالحين بكل أنواع الابتلاء والبلاء. . . بكل الأمراض والتشوهات والهزائم وبكل الفقر والضعف والهوان والتشريد والضياع والمطاردة. . . بكل الألم. أنت تقول ـ وكأنك لا تقول إلاّ هذا ـ تقول إنك لا بدَّ أن توقع كل هذا بأحبابك وأوليائك جداً وأن تسدد كل رصاصاتك وسهامك وكل أظفارك وأنيابك ومجاعات أخلاقك وحياتك أن تسددها إلى عيونهم وقلوبهم وأجسادهم لكي تدربهم وتروضهم على الصبر، ولكي ترى هل يصبرون ويزدادون إيماناً وصبراً وشكراً لك أم لا يفعلون أم يفعلون النقيض، ولكي تسعد وتفرح برؤيتك لصبرهم وبرؤيتك لعذابهم، ولكي تجزيهم على ذلك لأن من أخلاقك وذكائك أن تعذب لكي تجزي، لكي تجزي من تعذيبي في الحياة الثانية التي وعدتنا بها وحدثتنا عنها في الفناجين والحروف والأكف والتعاويذ وهمهمات قارئيها ومفسريها، وأيضاً لكي يزدادوا بك ولك إيماناً ومعرفة ومحبة وشكراً وإعجاباً لأنك الكائن الذي يجب أن يحب ويعرف ويشكر ويعبد ويقنع بشهامته ورحمته وعدله ونبله وجماله بقدر ما يضرب ويحطم ويؤذي ويقسو ويقبح ويرذل ويعتدي ويفعل ما لا يعقل أو يفعل. وأيضاً لكي تتفجر نشوة وطرباً حين تسمعهم يتضرعون إليك بكل الاحتراق طالبين منك الإنقاذ مما أصبتهم به دون أن تسمع أو دون أن تستجيب مهما سمعت!. . . أما أعداؤك الأشرار الخارجون عليك فإنك كما تقول تملي لهم وتخدعهم وتمكر بهم وتقاتلهم وتعاقبهم وتنتقم منهم وتنتصر عليهم بأن تهبهم كل شيء طيب وجيد وقوي وجميل ومريح ومفرح ومتفوق في هذه الحياة لكي يظلوا سكرى وغرقى في غيهم وفسادهم وعصيانهم بل لكي يزدادوا من ذلك. إنك تمدهم في طغيانهم. !

. . . إنك أيها الإله الكائن الوحيد الذي يثاب على قسوته وعدوانه وإيذائه وإذلاله

وتعذيبه وتحطيمه بالمزيد من الشكر والحب والتعبد له ومن الإيمان والإعجاب به، بذكائه وشهامته ورحمته وحبه وجماله. !

. . . إنك الكائن الذي تراه العيون أجمل وأتقى وأروع كلما أضعفها أو شوهها أو فقأها أو بصق أو استفرغ عليها وفيها. !!

. . . إنك الكائن الذي يتعرى لكي يقال ما أعظم حياءه، ويفخر لكي يقال ما أعظم تقواه، ويعتدي ويظلم لكي يقال ما أعظم عدله، ويقسو لكي يُقال ما أعظم رحمته ومحبته. !. . أليس كذلك يا إلهي الذي لم يهجه أو يسبه شيء مثلما هجاه وسبه إيمان الإنسان به وتعبده وشكره له وثناؤه عليه مهما فعل به وكلما فعل به.

. . . وهذه الألوان من العذاب والإذلال التي قلت إنك سوف تبتلي بها عبادك المطيعين المتقين جداً هي ألوان العذاب والإذلال نفسها التي قلت إنك سوف تعاقب بها الأشرار والعصاة والمتمردين عليك، أي تعاقبهم بها في هذه الحياة، إذن أصبح عقابك أي ما تعاقب به أعداءك هو ثوابك أي هو ما تثيب به أحبابك وأولياءك. !

إذن أنت هنا متناقض تناقضاً فوضوياً ساذجاً بلا شيء من الدعاء أو البراعة أو الرؤية أو الحذر من الافتضاح. . !

. . . وقد تقول هنا: وهل الآلهة تفتضح مهما افتضحت. !؟

. . . وقد يقول أيضاً: وهل للآلهة أي مجد أو سرور سوى مجد وسرور الافتضاح؟ هل للآلهة أية شهوة أو نشوة أو وظيفة غير الافتضاح؟

. . . وقد تقول أيضاً: وهل قبل أي إله أن يكون موجوداً أو إلهاً أو فاعلاً خالقاً لولا شوقه واحتياجه إلى الافتضاح، إلى أن يكون مفتضحاً مفضوحاً فاضحاً؟ أليس قادراً أن يمنع الافتضاح لو كان لا يريده؟

أليس الافتضاح أصالة وموهبة وفرحاً من الإله بقدر ما هو في كل زعامة عربية؟

كذلك قد تقول: وهل لأي إله أي تفسير غير تفسيره بأنه الفاضح المفضوح العاشق لأن يكون الفاضح المفضوح!؟ أجل، سأقول: هل كان يمكن أن يوجد أي افتضاح أو مفتضح لولا عشق الآلهة للافتضاح؟

. . . وقد تحاول هنا أن تدافع وتعتذر عن نفسك فتقول: وهل قبل أي موجود أن يكون موجوداً إلاّ لأنه يريد أن يكون فاضحاً مفضوحاً أو إلاّ لأنه فاضح مفضوح؟

. . . وأيضاً قد تقول: وهل الوجود بكل صيغه وأساليبه وحوافزه إلاّ افتضاح، افتضاح؟

هل افتضح أو يمكن أن يفتضح أو أن يتهم بالافتضاح أو أن يخاف الافتضاح إلاّ الوجود أي إلاّ الموجود؟

وهل يمكن أن يفسر الوجود أي وجود أو أن يكون الا أنه أو الا بأنه الافتضاح، كل الافتضاح؟

هل يحدث افتضاح بلا وجود، أو وجود بلا افتضاح؟

أليست ضخامة الافتضاح مساوية لضخامة الوجود أي الموجود؟

أليست كل تفاسير الافتضاح تساوي فقط تفاسير كل الوجود؟

. . . هل يقبل أي موجود أن يكون موجوداً لو كان يرفض الافتضاح أو يخاف الافتضاح أو لا يستمتع ويتغذى ويحيا بالافتضاح؟

هل يقبل أي موجود أن يكون موجوداً لو لم يكن الوجود يعني الافتضاح أو لو كان الموجود ممنوعاً أو محروماً من كل أساليب ومعاني الافتضاح؟. أيها الافتضاح أنت كل سعادة ومنطق وفرح كل موجود.!

. . لماذا يجد الإنسان في الممارسة الجنسية أعظم النشوات؟

أليس ذلك لأنها أي الممارسة الجنسية هي أفضح صيغ الافتضاح وأفضح تفاسير الافتضاح وتعبيراته ولغاته وحركاته وشهواته؟ هل كان يمكن أن يوجد من يضع جبهته أو من يقبل وضع جبهته على الأرض، على التراب لولا أصالة الافتضاح والرغبة في الافتضاح في الإنسان والآلهة والطبيعة وفي كل شيء؟ كيف استطاع أو جرؤ الإله أن يرى مجده في وضع الجباه على التراب؟

هل يمكن تصور شهوات وأشواق بليدة مثل شهوات وأشواق هذا الإله؟

. . . لماذا حوّل الإنسان والإله وضع الجبهة على التراب إلى عبادة بل إلى أذكى وأتقى وأعلى أساليب العبادة؟ هل فعلاً ذلك إلاّ تحت إملاء شوقهما إلى الافتضاح حتى في علاقات أحدهما بالآخر، حتى في العلاقات بين الخالق والمخلوق؟ أليست العلاقات بين الخالق والمخلوق أو بين المعبود والعابد هي أكثر العلاقات افتضاحاً بين أي كائن وكائن آخر، هي أكثر افتضاحاً من افتضاح العلاقات الجنسية حتى الشاذة منها،

أليست الرغبة في الشذوذ الجنسي أقل قبحاً وبذاءة من رغبة الإله في أن يعبد ويحترم بوضع الجباه على التراب!

هل يمكن أن يفتضح أي إنسان أو كائن في أية علاقة أو ممارسة مثل افتضاحه في ممارسة للإله وفي ممارسة الإله له أو مثل افتضاح الإله والإنسان في هذه الممارسة؟

هل يمكن تصوّر عشق مذل مهين بليد شاذ فاضح في كل صيغه وتفاسيره وحوافزه وأهدافه مثل العشق الموجود أو المطالب المأمور به بين الإله والبشر معطى ومأخوذاً محولاً إلى ممارسات وعلاقات وإلى وعود ووعيد وثواب وعقاب مرويين منتظرين.

إن كل العلاقات الطبيعية والشاذة لهي أقل قبحاً وافتضاحاً من العلاقات بين الإله معبوداً كما يعبد وكما يريد ويطلب أن يعبد وبين الإنسان عابداً لإلهه كما يعبده بكل أساليب وتفاسير عبادته له. !

* * *

نعم، أنت هنا متناقض تناقضاً فوضوياً مفضوحاً لا يستطيع أو يجرؤ أحد سواك أن يتناقضه. !

إنك في موقف واحد ودين واحد وكتاب واحد ولغة ونبوة واحدة قلت إنك سوف توقع بالعصاة والأشرار وبالعاجزين عن رؤيتك ـ مع أنك قد وضعت في عيونهم يوم ولادتهم ـ سوف توقع بهم كل الويلات الموقعة بهم كل العذاب والهوان والتحطيم، وقلت أيضاً أي في الوقت نفسه والكتاب والدين والموقف الواحد واللغة والنبوة الواحدة: إنك سوف تهبهم كل ألوان الانتصارات والأمجاد والقوة والنجاح والثراء والفرح والرضا والسعادة والذكاء والدهاء، إملاءً وإغراءً ومكراً وخداعاً لهم ومكراً بهم وإمداداً لهم في طغيانهم لكي يزدادوا ضلالاً وفساداً وخبثاً ومكراً وكفراً لكي تقتنع بأنك ماكر خادع جيد ولكي ترضى عن نفسك لأنك كذلك، ولكي تسعد وتفرح برؤية من سوف تسوقهم إلى الجحيم وبأنهم كثيرون، كثيرون، وبأنك سوف تملؤه أي تملأ الجحيم بالسكان، ولكي توظف كل عبقرياتك وأخلاقك لإتقان تعذيبهم، ولكي لا يكون المؤمنون الطيبون المطيعون كثيرين، كثيرين لا تستطيع الجنة إيواءهم كلهم وحينئذ تكون متهماً بأنك ضعيف أو مقصر لأنك عجزت عن إيجاد سكن لرعاياك المطيعين المؤمنين الهاتفين الواثقين المنتظرين. . . وقد يكون من أسباب ذلك أنك تتعذب غيرة من رؤية السعداء المستمتعين باللذائذ التي أنت محروم منها. فرؤيتك لأهل الجنة ينعمون بكل ما فيها لا بدَّ أن تصنع لك هذه الغيرة المعذبة!

. . . لقد قلت هذا وهذا في طبعة وخطبة واحدة. فكيف عجزت عن أن يرى أو يسمع أو يلمس أو يقرأ أو يعرف أو يخاطب أو يحاور بعضك بعضاً؟

كيف لم تصنع علاقات تفاهم وحوار بين وحدات وأجزاء ذاتك؟

أجل، لقد قلت هذا وهذا بصوت واحد وفي جلسة واحدة أمام مشاهدين معينين هم هم لا يتغيرون أو يتبدلون. !

كيف خفي هذا على مساعديك ومستشاريك وحراسك العلميين والإعلاميين والدعائيين والفنيين؟ أين كانوا منك؟ هل يتركونك وحدك ولو أحياناً؟

. . . كيف لم يفعلوا شيئاً لحمايتك من هذا الافتضاح الفني والعقلي والأخلاقي والقانوني بل والديني؟ هل جهلوا أم أهملوا أم نافقوا خوف غضبك لو نصحوك وحذروك ووجهوك وصدقوك، ورجاء رضاك إذا نافقوك وكذبوك وكذبوا عليك؟

. . . هل العلاقات بينك وبينهم مثل العلاقات بين الحكام والزعماء والقادة العرب وبين مساعديهم ومستشاريهم؟ وهل العقول والأخلاق والمواهب هي هي هنا وهنا أو هنا وهناك؟ أي الفريقين تعلم من الآخر؟ هل العرب هم المعلمون الكونيون للضعف والكذب والنفاق والكسل والاسترخاء والطغيان البليد حتى للإله وأعوانه؟

. . . وكما تناقضت في هذه القضية قائلاً واعداً ومواعداً تناقضت فيها فاعلاً ومخططاً مدبراً مع الانحياز الحاد لأحد النقيضين. . .

لقد أرسلت الأنبياء وأنزلت الأديان والكتب المقدسة وفعلت أشياء أخرى ملائمة لأنك كما تقول شهم ورحيم كريم، لهذا أنت حريص إلى حد الاحتراق على هداية الضالين وقيادة الأشرار إلى الخير والتقوى لأنك لا تريد لهم إلاّ السعادة والفرح والحب في الحياتين وتتعذب كثيراً إذا لم يظهروا بكل هذا الذي تريده لهم. . .

ولكنك ناقضت هذه الرغبة أو هذا الموقف مناقضة سفيهة حمقاء بل أكثر وأردأ من سفيهة وحمقاء. !

لقد وظّفت وخلدت جميع الأبالسة ووهبتهم كل الدهاء والذكاء والقوة وكل أسلحة الإغراء والانتصار والتفوق حتى جعلتهم يعيشون ويعسكرون ويعملون داخل الذوات والنفوس وأزلت كل الحدود والحواجز والحراسات بينهم وبين النفوس التي يريدون إغواءها وإفسادها. . . لقد جعلت ذواتهم أي ذوات الأبالسة أنفذ وأخف وألطف وأرق وأخفى وأسرع من ضوئية وهوائية لكي يستطيعوا اختراق واقتحام واحتلال النفوس دون

وجود حيلة أو وسيلة لمنعهم بل دون القدرة على العلم بوجودهم وتحركاتهم داخل الذات، داخل النفس المغزوة.

. . . إنهم احتلال لا يراه أو يسمعه أو يحسه أو حتى يعلم به المصاب به.

إنه احتلال ينافس احتلالك مع الفرق الهائل لمصلحتهم أي لمصلحة الأبالسة. !

. . . لقد فعلت كل هذا للأبالسة لكي يكون انتصارهم ساحقاً شاملاً. إنك لم تهب هذه المزايا المتفوقة الخارقة التي وهبتها للأبالسة ـ لم تهبها حتى ولا لأنبيائك أو ملائكتك أو جلسائك، حتى ولا لذاتك. !

فلماذا فعلت هذا؟ أحاقد أنت على الإنسان ومعاد كاره له إلى كل هذه الأبعاد لهذا سلَّطت عليه هؤلاء الأعداء وسلحتهم بكل هذه الأسلحة التي تستحيل مقاومتها؟ أرافض أنت أن يكون الإنسان لك صديقاً ومطيعاً، لهذا حاصرته بهؤلاء الأعداء ليكون لهم صديقاً ومطيعاً ولك عدواً عاصياً؟ إن أحداً لن يستطيع أن يفهم لماذا أنت رافض أن يكون الإنسان لك لهذا سلمته لأعدائك الأبالسة. !

ولقد بالغت جداً في توكيد رغبتك في إفساد الإنسان حين وضعت فيه الاستجابة السهلة السريعة السخية لما يدعوه إليه ويريده منه ويحرضه عليه هؤلاء الأعداء. !.

ألست قد وضعت فيه هذه الاستجابة قصداً لا خطأ؟

كذلك بالغت جداً في توكيد هذه الرغبة حين جعلت زعماء وحكام وقادة الإنسان بل وأنبياءه، كلهم أو أكثرهم قادة إلى الحماقات والغوايات والشرور ومعلمين لها محرضين بل وجازين عليها، واضعين أقوى وأشرس الحراسات والحواجز لتمنع الخطو إلى المزايا الأخرى التي زعمت أنك لم تبعث أنبياءك وتنزل كتبك وأديانك بل ولم تقبل حياتك وألوهيتك أي كونك إلهاً خالقاً إلا من أجلها أي إلا من أجل تحقيق هذه المزايا.

. . . كذلك بالغت في توكيد هذه الرغبة حين دبرت وخططت وأردت أن يكون الأشرار والعصاة والأنذال في كل الأوقات أو في أكثر الأوقات هم السادة الأقوياء المتوقين المتسلطين المنتصرين بل هم الموجودين ثم نفذت ذلك بكل الإرهاب. .

كم هي فترات التاريخ التي جعلت فيها الأخيار أو النبلاء أو الحكماء أو الشرفاء أو العلماء أو الأتقياء أو المتطهرين أو حتى المؤمنين أي سلوكاً وتنفيذاً لا إعلاناً أو اعتقاداً فقط؟

ـ نعم، كم هي فترات التاريخ التي جعلت فيها هؤلاء هم السلطة أو القوة أو النبوة

أو الرغبة أو النموذج المطلوب أو حتى الصوت المرهوب أو المحبوب أو المحترم أو المقروء أو حتى المسموع المأذون له بأن يكون مسموعاً؟

بل كم هي فترات التاريخ التي جعلت فيها واحداً من هؤلاء في وضع أو موقف قوي أو مغر لكي يجد أو يوجد من يطمع فيه أو يرهبه لكي ينافقه؟

إن محاباتك للطغاة والأشرار والأنذال لهي شيء أكبر وأوقح من كل ما يصنع الاشمئزاز والغيظ والغثيان والانفجاع. !

إن جميع معارف وتجارب ودراسات علماء النفس والعقل والأخلاق لو تجمعت كلها في إنسان أو كائن واحد ليقرأك ويفسرك ويفهمك لماذا أنت عاشق للطغاة والأشرار والأنذال ومصمم بالإرادة والتدبير والتخطيط على أن تجعلهم القادة والسادة والزعماء والأنبياء المنتصرين المحظوظين القاهرين، لما استطاع أن يقول، أي بعد أن يقرأك ويفسرك ويفهمك إلا: أنا حائر، عاجز، مفجوع، مفجوع!!

تذكر، تذكر التاريخ، وانظر، انظر إلى الواقع اليوم. هل أنت عاجز عن الرؤية والتذكر أم خائف منهما؟

لماذا خلدت الشيطان ووهبته كل هذه الأمجاد والسلطان والقوة والشهرة والانتصارات العالمية بل الكونية التي لا تقاوم ـ هذه الانتصارات المذلة القاهرة لكل شيء ولكل أحد حتى لك أنت يا إلهي المهزوم في كل ميدان ومعركة إلاّ في معركة وميدان المنابر والعظات الكاذبة المنافقة المعروضة للبيع في أجهل وأرخص الأسواق بأقل وأتفه الأثمان؟

هل يمكن أن يوجد أي تفسير لما فعلت للشيطان إلاّ تفسير واحد هو أنك عاشق بجنون لإفساد الإنسان وتحطيمه، وإنك حينما بعثت إليه بالأنبياء وأنزلت عليه الأديان والكتب المقدسة لم تكن إلاّ هازلاً لا عابثاً وقحاً؟

أنت تقاسي وتقاسي لتتحمل تكاليف الأديان والكتب المقدسة والنبوات وتكاليف ومتاعب وهموم ومخاطر وضعها وتنظيمها، تفعل ذلك لإصلاح الإنسان ولهدايته وحمايته لأنك صديق ومحب له جداً، بل لأنك فدائي جداً في حبك وصداقتك له، ثم تحشد أقسى وأقوى وأشرس الأعداء الذين تستحيل مقاومتهم لكي يضلوه ويفسدوه ويقودوه إلى ألوان الهلاك كلها بل وتطالبهم بأن يفعلوا به ذلك بل وتتآمر وتخطط وتدبر معهم لكي يفعلوا به كل ذلك بكل أساليب وشروط وظروف الانتصار فيما ينوون ويفعلون. !

هل يمكن ـ تصور قبح مثل هذا، بل جنون مثل هذا؟

هل يمكن أن يوجد إفساد أو تشويه أو إذلال أو إهانة لعقل الإنسان أو الأخلاقية أو لخياله أو لكرامته أو لتقواه وبراءته مثل أن يعلم أو يلقن هذا أو أن يؤمن به أو أن يحترمه، أو حتى أن يقرأه أو يسمعه دون أن يراع ويفجع ويصرخ:

جنون، جنون، جنون. . . !

بل إن كل جنون لا بدَّ أن يبدو قمة العقل محاسباً بهذا الجنون المحسوب قمة عقل الإله!

نعم، أنت تقاسي وتقاسي لإصلاح الإنسان وهدايته وحمايته وفي اللحظة نفسها تقاسي وتقاسي لإفساده وإضلاله وتدميره. . . !

. . . تبعث إليه الملائكة علناً وجهراً ليهدوه ويحموه ويصلحوه وفي اللحظة نفسها وبكل الرغبة والنية والهمة ترسل عليه وإليه جهراً وسراً أقوى وأشرس الأبالسة ليضلوه ويفسدوه ويهلكوه. . . !

هل يوجد أو يمكن أن يوجد من يستطيع أن يفهم هذا أو يغفره أو يعذره؟

نعم، هل يمكن أن توجد عملية تخريب للعقول والأخلاق والتصورات مثل الاقتناع بذلك أو محاولة الإقناع به،؟ هل يمكن تصور هجاء لك مثل هذا؟ كيف لم تعرف؟

. . . نعم، أكرر التساؤل، أكرره. ومهما كررته فسوف أظل أشعر بأني محتاج بذلك أو محاولة الاقتناع به؟ هل يمكن تصور هجاء لك مثل هذا؟ كيف لم تعرف؟ مجرد عرضها أو روايتها أو الاستماع إليها أو كتابتها على الورق حتى ولو للسخرية منها والتكذيب لها. !

أعني بها قصة توظيف الإله نفسه ووقته ومواهبه واهتماماته وكل طاقاته الأخرى لإرسال الملائكة إلى الإنسان لإصلاحه وهدايته وحمايته ولإرسال الأبالسة عليه وإليه لإفساده وإضلاله وتدميره ـ لإرسال هؤلاء وهؤلاء في وقت واحد. !

. . . أي يفعل بالإنسان وللإنسان هذا وهذا لأنه يحبه إلى حد العشق المصاب بالهذيان ولأنه حكيم ورحيم وجاد ومخطط عبقري. . !

. . . أيتها الحشرات، لتصابي بالصمم لئلا تسمعينا نروي هذه القصة عن الإله، عن أخلاقه وعبقرياته نرويها عن أنبيائنا العظام يروونها لنا عن الإله. !

. . . نرجوك أيتها الحشرات البريئة النظيفة أن تصابي بالصمم لئلا تسمعينا، ستراً علينا وعلى أنبيائنا وإلهنا ورفقاً بنفسك لئلا يقتلك الاشمئزاز والانفجاع منا وبنا. !

. . . يا كل العقول والأخلاق والمواهب والكرامات، ثوري، ثوري غضباً وإنقاذاً لشرفك وكبريائك المهانين بإيمانك بهذه السفاهة، باتهامك بالإيمان بها، بدعوتك إلى الإيمان بها، بمخاطبتك بها بتحويلها إلى آيات في كتابك، إلى معتقدات في دينك. .

ثوري، ثوري يا كل العقول والأخلاق والمواهب على هذا الغباء المهين لكل ما في التاريخ من كبرياء وذكاء ومجد وعبقريات. .

أليس الإيمان الغبي معبراً عن مستوى ذكاء المؤمن وعن مستوى أخلاقه وكبريائه أو مؤثراً في ذلك أو محاولاً التأثير فيه أو مهيناً ومحقراً ومشوهاً وشاتماً له أو باصقاً عليه أو عارضاً له عرضاً دميماً أو مذكراً بتاريخ يجب ألا يكون قد بقي منه إلاّ تذكره مع التطهر والاعتذار والاستغفار منه وعنه؟

أليس الإيمان بأقبح وأغبى نموذج نموذجاً لأعظم إله في تصورنا واختيارنا وفي التصورات هو أقبح تلويث في هذه الحياة؟

أليس الإيمان بأقبح وأغبى نموذج نموذجاً لأفخم إله في تصورنا واختيارنا وفي رؤانا الفنية والأخلاقية والإنسانية هو أقبح تلويث وإهانة لكل معاني الإنسان فينا ولكل معاني الإيمان والتدين والتصور؟ إنه ليس لأي إله أي نموذج في ذاته.

إن جميع نماذج الآلهة جيدة ورديئة ليست سوى نماذج المؤمنين المنحوتة من آلامهم هل يمكن تصور نموذج للقبح يشبه في قبحه نموذج الإله الذي تصورناه واخترناه وآمنا به. . نموذج الإله الذي يطالبنا أن نؤمن به وأن نعبده ويلعننا إذا لم نفعل ذلك ويرسل وينزل علينا وإلينا الأنبياء والأديان والكتب المقدسة لتفرض علينا هذا الإيمان وهذا التعبد ولتوعدنا بكل الأهوال إذا لم نستجب لما تفرض علينا، ولتعدنا بكل الملذات إذا استجبنا وأطعنا، ثم لا يشاء لنا، أي هذا الإله، أن نستجيب لذلك بل يشاء ويدبر ويخطط لنا أن نرفض ونعصى، ويذهب بكل ذكائه الماكر يمد لنا في طغياننا ويملي لنا بكل الوسائل والأسباب المغوية المغرية لنسير في طريق الهلاك، بل ثم وهذا قمة القبح يحشد ويوظف ويغري ويسلح كل الأبالسة الأنذال لكي يسوقونا ويقودونا إلى كل فنون الكفران والعصيان والشرور والفساد أي وفي الوقت نفسه وتحت الظروف نفسها يبكي أي هذا الإله حزناً علينا إذا لم نؤمن ونطع وتضرعاً إلينا لكي نؤمن ونطيع.

. . نموذج الإله الذي يصيب الأطفال والشيوخ والمؤمنين المطيعين بأقبح وأقسى

التشوهات والعاهات والآلام وبكل الشرور والرزايا لأنه حكيم ورحيم وعادل، ولأنه يحبهم ويرحمهم ويرعاهم ويباركهم ويحترمهم ويريد لهم السعادة والفرح وكل ألوان الخير والمجد والجمال، ولأنه عبقري التخطيط والتدبير والرؤية والشهامة والذكاء ولأنه يريد أن يكون جميلاً وفناناً وأن يكون الكون وكل شيء جميلاً وسعيداً وفرحاً. .

. . نموذج الإله الذي يعلن مباهياً أنه لا يكون شيء إلاّ بمشيئته ثم يشاء أن تكون الأشياء التي تصنع له الغيظ والغضب والحزن وحالة الحرب بل ثم لا يصنع الأشياء إلاّ بالأسلوب الذي يصنع له كل ذلك، كل الغيظ والغضب والحزن وإعلان الحرب على نفسه وعلى تحركاته.

. . . نموذج الإله الذي يعلن أنه لم يخلق الجن والإنس إلاّ ليعبدوه وفي اللحظة نفسها يعلن أنه قد تعهد لجهنم بأن يملأها من الجنة والناس أجمعين.

. . . نموذج الإله الذي يخلق إنساناً أو كائناً آخر لكي يعبده ولكي يطالبه ويرجوه بأن يعبده وهو يعلم منذ الأزل أنه لن يعبده ويعلم منذ الأزل أنه سوف يشاء له ألا يعبده ويمنعه من أن يعبده ولأن يعبده ولأن من الحكمة والمصلحة والتدبير الذكي ألا يعبده. .

. . . نموذج الإله الذي يخلق الجمال ثم يشوهه، والعين ثم يفقؤها، والرجل واليد ثم يصيبهما بالشلل، والطفولة ثم يصرعها قبل أن تعامله أو يعاملها، ويشيد البناء ثم يهدمه قبل أن يسكنه، ويزرع الحقل ثم لا يحصده أو ثم يحرقه قبل أن يحصده أو لئلا يحصده.

. . نموذج الإله الذي يأمرنا بأن نفعل من الخير ما لا يفعل وينهانا عن أن نفعل من الشر ما يفعل، ويطالبنا بأن نريد ما لا يريد، وبألا نريد ما يريد، وبأن نقتل ما يخلق ويشاء وبأن نخلق ونحيى ما يقتل وما لا يشاء، وبأن نتداوى ونتطهر مما يخطط ويدبر ويمكر ويصيب به، وبأن نهدم ما يبني وبأن نبني ما يهدم وبأن نشاء ما لا يشاء وبألا نشاء ما يشاء وبأن نرحم من لا يرحمه ونعطي من يحرمه.

. . . الذي يفعل ما يلعننا ويعاقبنا لو فعلناه ولا يفعل ما يلعننا ويعاقبنا لو لم نفعله. . . الذي يأمرنا بالمعروف الذي لا يفعله وينهانا عن المنكر الذي يفعله. . الذي يطالبنا بأن نكون في معاملتنا له أكرم وأنبل منه في معاملته لنا. . . الذي يعد لنا كل أنواع العذاب ويقذفنا بكل اللعنات لو عاملناه بشيء من معاملته لنا. .

. . . الذي يصفنا بكل أوصاف النذالات والحقارات لو جرؤنا على التخلق بشيء من أخلاقه. . .

. . . نموذج الإله الذي لا تعني أو تساوي كل عبقريات البشر وإبداعاتهم وحضاراتهم وعلومهم وفنونهم وشاعرياتهم وهمومهم وأمانيهم إلاّ التداوي مما خطط ودبر وأراد وفعل أي إلاّ التداوي من عدوانه، وإلاّ التصحيح لأخطائه وخطاياه، وإلاّ التجميل لتشويهاته وتشوهاته وعاهاته أو الستر عليها أو الاعتذار عنها أو التخفيف من آلامها وقبحها. . .

. . . نموذج الإله الذي لولاه لما خططت أية مقبرة ولما وجد أي كفن أو بائع أكفان ولا أي حفار للقبور ولما أقيم أي مأتم أو كتب أي نعي، ولما عرفت أية لغة كلمة «مات» أو «أرامل» أو «أيتام» ولما فتحت أية صيدلية لتبيع الدواء دون أن تبيع الشفاء، لتبيع الدواء لكي يزداد الداء. . . لتبيع الدواء لمريض لا تبالي بأن يصاب بمزيد من الداء، بل ولو عرفت أنه لا بدَّ أن يصاب بالمزيد وبالجديد من الداء.

. . . نموذج الإله الذي لن تطلق أو تسمع صرخة أو أنة أو آهة معبرة عن أقسى الأحزان والآلام لولا أشواق أذنيه إلى سماع الأنات والصرخات والآهات المشحونة بكل تفاسير العذاب والانفجاع والروع أي لولا حاجته الدائمة المسعورة إلى أن يغني لنفسه ليلهيها ويعزيها ويفرحها ويطربها ويغازلها ويداعبها ويلاعبها. وقد تكون الأنات والصرخات والآهات المروعة المفجوعة هي أقوى وأجمل ما يصنع له ذلك. قد تكون هي فنونه الغنائية الموسيقية المختارة. قد تكون لحظات استماعه هي كل لحظات سعادته أي استماعه إليها. . .

نعم، قد تكون الأنات والصرخات والآهات منطلقة ومنشدة ومسموعة هي كل صلوات الإله لنفسه، هي كل ما يصنع له الطرب والفرح والحب وإلاّ فما التفسير لرغبته الحمقاء في أن يخلق ويوجد دائماً المطلقين المنشدين لها أي للآهات والأنات والصرخات. نعم، قد تكون هي كل اعتذاره إلى وجوده الذي لم يجئ أجمل أو أعظم أو أسعد.

. . . إنه لا يمكن أن يتهم بالعجز عن منع ذلك. إذن لا بد من اتهامه بالرغبة فيه أي في أن يسمع الآهات والأنات والصرخات المعبرة عن أقسى العذاب وكل العذاب.

إن كل العالم لو تحول إلى قضاة ومحكمين في هذه القضية لكان الحكم بالإجماع أن الإله لا بدَّ أن يكون راغباً في ذلك إن لم يكن هناك احتمال بعجزه عن منع ذلك. وأيهما أكثر هجاء له هنا: أن يكون عاجزاً أم أن يكون راغباً؟

ولكن ماذا يمكن أن تكون أمراضه النفسية إذا كانت سعادته أن يسمع الأنات والآهات والصرخات؟

. . . نعم، نموذج الإله الذي كل هذه القبائح والفضائح بل وكل القبائح والفضائح ليست إلاّ بعض قبائحه وفضائحه. . !!

* * *

أجل، هل يمكن تصور نموذج لكل القبح ولأقبح القبح يشبه في قبحه شيئاً من قبح هذا النموذج الذي رأيناه وتصورناه. واخترناه وآمنّا به نموذجاً للإله الذي حبل به وولده لنا خيال أنبيائنا الذين حبلت بهم وولدتهم لنا أحشاء الصحراء، الصحراء التي حبلت بها وولدتها جاهلية التاريخ الطبيعي والإنساني وبداوته وقحطه وقبحه؟ وأي إله شرير أو جاهل أحمق دبر وصنع لنا وبنا هذا التتابع القبيح الأليم في هذا الحبل وهذا التوالد؟

لنحشد كل ما فينا من طاقات التصور والخيال، لنطلقها، لنجلدها، لنطالبها بأن تحاول تصور وتخيل هذا النموذج من القبح الذي تصورناه واخترناه وعبدناه نموذجاً للإله. . . بأن تحاول تصور وتخيل نموذج يشبهه. .

إنها لن تستطيع، لن تستطيع. . .

إذن هل يمكن تصور عدوان أو وقاحة أو جهالة مثل عدواننا أو وقاحتنا أو جهالتنا حينما تخيلنا وصغنا وألفنا واخترنا وتقبلنا ورضينا هذا النموذج لهذا الإله المعجز في قبحه؟

. . . إن الكثيرين من الناس حتى الأذكياء جداً منهم ليفقدون ولو أحياناً كل وعيهم ورؤيتهم وذكائهم وكبريائهم الإنسانية والعقلية والحضارية أمام الكثير من معتقداتهم الدينية والتاريخية والوراثية التلقينية التتابعية. . .

. . . إنهم ليغلقون عيونهم، بل إنهم ليقتلونها، ويفقأونها لئلا ترى وخوفاً وهرباً من أن ترى، من أن ترى شيئاً حتى ولا نفسها، حتى ولا حامليها.

إن الرؤية لتصبح أحياناً عذاباً لا يطاق ودمامة لا تطاق، وتحقيراً لا يطاق. وهل هي كذلك أحياناً أم دائماً أي لو ظلت رؤية ولم تصبح فقداً ورفضاً للرؤية؟

وهل وجدت أية رؤية لتظل رؤية أم لتصبح فقداً ورفضاً وتقبيحاً لكل رؤية؟

إنه لا بدَّ من فقد الرؤية بل لا بدَّ من محاربتها والفرار منها لأنه لا بدَّ من فقد بل من محاربة الوعي والذكاء والكبرياء أي ولو أحياناً.

. . . إن الإنسان لا يستطيع أن يحيا أو يسعد أو يفرح أو يتفاءل أو يحب أو يستريح أو حتى ينظر في المرآة لولا هذا الفقد والفرار والمحاربة للرؤية. !

إننا لا نستطيع أن نجرؤ على النظر في المرآة لولا فقدنا للرؤية وفرارنا منها ومقاولتنا لها ولولا تصميمنا على هذا الفقد والفرار والمقاومة واقتناعنا بالقدرة عليها أي أحياناً أو دائماً. !

إن فقد الوعي والرؤية والذكاء والكبرياء فن إنساني عالمي خالد قديم وحديث.. إنه فقد بالتدبير والتخطيط والرغبة وبالعجز والتعويد والتلقين والاستمرار أيضاً. إنه حاجة وطبيعة موهوبة.

وما حدث هنا أي الاقتناع بهذا النموذج للإله ليس إلاّ أسلوباً من أساليب فقد الوعي والرؤية والذكاء والكبرياء بل من أساليب المقاومة لذلك والفرار منه. إن الإيمان بنموذج الإله لن يستطيعه من لم تقتل أو تمت أو تغلق فيه كل معاني الرؤية والذكاء والوعي والكبرياء بل والكرامة والاستحياء. !

... إنه أسلوب عنيف ورديء ومتوحش من أساليب إغلاق العيون بل قتلها بل فقئها هرباً وخوفاً من الرؤية ومحاربة لها.

إن أحداً لن يقبل أن يقبر أو ينحت فيه هذا النموذج للإله إلاّ إذا أسكتت أو قتلت فيه كل طاقات الرؤية والاشمئزاز والمحاسبة والمساءلة والكبرياء العقلية والأخلاقية متقبلاً بل مريداً وراضياً ومرحباً أن يفعل به ذلك، أن يفعله به اللصوص والقتلة، لصوص وقتلة المعاني الإنسانية الرائية القارئة المحاكمة.

... إن الذين آمنوا بهذا النموذج للإله لم يكونوا إلاّ قوماً قد فقدوا كل الرؤية والوعي والذكاء والكبرياء، فقدوا كل ذلك رغبة وتدبيراً وهرباً وخوفاً. إنهم قوم قد أغلقوا بل قتلوا وفقأوا عيونهم رفضاً للرؤية وهرباً وخوفاً منها.

... لقد أغلقوا وقتلوا وفقأوا عيونهم لكي يستطيعوا التحديق في المرآة ويجرؤوا على ذلك ولكي يستطيعوا الرؤية ويسعدوا بما يرون لأنهم لا يرون. !

لقد أوقعت بهم وأوقعوا بأنفسهم عملية قتل للوعي والذكاء والكبرياء والرؤية لكي يستطيعوا ويقبلوا أن يحيوا ويؤمنوا ويفرحوا ويروا ويحبوا ويمارسوا الحب عراة ويتحدثوا بإعجاب عن ذكائهم وكبريائهم وحدة وشمول وعيهم ورؤيتهم وعن جمال آلهتهم.

... عن جمال عيونها وأخلاقها وأنيابها وأظفارها حينما تنشبها في أجساد الأطفال والشيوخ الهزيلة المريضة المسحوقة. !

. . . إن فقدان الوعي ضرورة من ضرورات الحياة البشرية. إنه كالنوم والاسترخاء وكل أساليب الراحة. إنه الموت أو الجنون بدون ذلك.

إن الكائن الحي كما لا يستطيع أن يظل واقفاً وماشياً أو محدقاً أو مستيقظاً دائماً كذلك لا يستطيع أن يظل واعياً دائماً. لهذا علمت الضرورة الإنسان أن يبتكر المعتقدات المختلفة التي تجعله فاقداً لوعيه وذكائه ورؤيته ومساءلته ولو أحياناً. أنه لا بد من محطات أو مواقف راحة للوعي يتوقف فيها وعندها،

نعم، لقد ابتكر عقل الإنسان وتاريخه ومعانيه فقدان الوعي للأسباب والتفاسير التي بها ولها ابتكر جسمه النوم، لقد اعتذرت الطبيعة إلى الإنسان عن قسوتها وقبحها بأن حكمت عليه بأن ينام وبأن يفقد وعيه. إنه صمت عن عذاب وقبح الرؤية والتفكير والفهم والمساءلة عن أي شيء ولأي شيء. إنه فرار إلى الغيبوبة عن الذات. . .

إنه تعبير عن قسوة وقبح الرؤية، وإن قبح الرؤية وقسوتها تعبير عن قبح وقسوة ما يرى ويواجه!

. . . هنا أجرؤ على أن أروي شيئاً لا بدَّ أن يصنع كل التعجب الصانع لكل الذهول بل لكل الانفجاع مع أنني أنا أراه شيئاً عادياً بل شيئاً معقولاً ومنطقياً في تفاسير هذه القضية.

. . . أروي أن بعض دارسي الدين الإسلامي وطلابه في أكبر معهد لتعليم العلوم الدينية في كل العالم الإسلامي كانوا حينما يواجهون مشكلة أو قضية يتمنون النجاح فيها ويخشون النقيض يذهبون يفعلون أنواعاً من المعاصي ويتخلون عن أداء الفروض. . !

وكانوا يفسرون سلوكهم هذا بأن الله يملي للعصاة ويتعمد أن يهبهم ما لا يستحقون، ويهبهم ما لن يهبهم لو اتقوا واستقاموا وأدوا الواجبات. لأنه أي الله في رأيهم الديني الذي تعلموه يستدرج الفاسقين والفاسدين ويخدعهم ويمكر بهم ويمدهم في طغيانهم وفسادهم بأن يبلغهم ما يريدون بلوغه متذكرين قول القرآن على لسان الإله: «وأملي لهم. أن كيدي متين».

. . إنهم يريدون أن يملي الله لهم وأن يخدعهم ويمكر بهم فيعطيهم ما يرجون إغراء لهم وإيقاعاً بهم ليزدادوا غياً وفساداً لكي يوقع بهم العذاب الذي يدبره ويريده لهم.

. . . إنهم بهذا يريدون أن يخدعوا الله الذي يريد أن يخدعهم. .

. . . إنهم يريدون أن يخدعوا خديعة الله لهم. !

هل تصدق أن هذا قد حدث أو أنه قد يحدث؟ نعم. . .

هل ينبغي أن يصدمنا أو يفجعنا هذا السلوك أو هذا التفكير؟ لا. . . لأن الدين الذي تعلموه وآمنوا به يعلمهم ويقول لهم هذا بكل نصوصه وتفاسيره وتجارب مجتمعاته والمؤمنين به المحكمين له ولو في أقوالهم وتشريعاتهم المكتوبة. . . وهل ينبغي أن ننزههم عما لم ينزه الله عنه نفسه بل عما يمجد الله به نفسه؟ هل ننزههم عما لم ننزه الله عنه؟

إن الدين الذي آمنوا به وتعلموه يقول لهم إن الله يملي للفاسدين والضالين خداعاً ومكراً لكي يزدادوا ضلالاً وفساداً ولكي يستمروا في مسيرتهم إلى أعماق الفساد والضلال.

إذن كيف يلامون إذا فعلوا بالإله نفس ما يفعل بهم، إذا عاملوه المعاملة نفسها، إذا خدعوه ومكروا به وأملوا له لكي يساعدهم على بلوغ ما يريدون بلوغه؟

والفرق بين الإله والمؤمنين فرق عظيم في هذه القضية. والفرق لمصلحتهم لا لمصلحته. إنه هو أي الله يخدعهم ويمكر بهم ويملي لهم ليزدادوا غواية وشروراً وهلاكاً وسيراً إلى الجحيم واستحقاقاً للخلود فيه. !

أما هم فيخدعونه ويمكرون به ويملون له لينالوا فقط غرضاً طيباً بريئاً هم محتاجون إليه وهو مانعهم منه بلا منطق أو حكمة أو مصلحة لا له ولا لهم ولا كائن آخر دون أن يوقعوا به أي بالإله أي ضرر أو ينووا إيقاعه به. .

وفرق آخر بينهم وبين الإله. . . أن الإله يخدع ويمكر ويملي دون أن يحتاج أو يضطر إلى ذلك أو يستفيد منه، إنه عشق لئيم للإيذاء بلا قلب عاشق. . . أما هم فيحاولون أن يخدعوا ويمكروا أو يملوا تحت طغيان الضرورة أو الحاجة التي أوقعها هو بهم. .

وهم لا يفعلون ذلك إلاّ رداً على فعله بهم وخداعاً لخداعه. . . أما هو فيفعل ذلك ابتداء. وهل يكون مذنباً أو ملوماً خادع الخداع أو الخادع؟

. . . إنه مهما وجدت كل التفاسير والمسوغات لكل خداع ومكر وخبث وتدبير فلن يوجد أي تفسير أو تسويغ لخداع الإله أو لمكره أو لخبثه أو لتدبيره الشرير للإيقاع بأي كائن حتى ولو بالشيطان لأنه هو البدء والبادئ والأول والمنطق والتفسير لكل أحد ولكل شيء. . .

فالشيطان ليس إلاّ موظفاً جيداً بارعاً في أداء وظيفته التي أرادها وخططها وقررها

وكلف بها هذا الكائن الذي هو البدء والبادئ والأول والمنطق والتفسير والتفكير لكل شيء ولكل أحد. . .

بل إن هذا الكائن أي الإله لم يجد موظفاً من موظفيه قد حقق كل آماله فيه بكل المقدرة والإخلاص سوى الشيطان، لقد أثبت الشيطان أنه أعظم موظف عنده أي عند الإله. لقد خابت وهزمت كل حسابات الإله وتخطيطاته وحكمته وإرادته في كل من وظف إلاّ في هذا الموظف الواحد ـ الشيطان. . !

. . ليت كل موظفي العالم والكون، موظفي الأرض وموظفي السماء يتعلمون من الشيطان الإتقان والإخلاص والقدرة في أداء ما وظفوا له وفيه.

. . . لقد جاء هذا الموظف الواحد ـ الشيطان ـ تعويضاً قوياً وسخياً للإله عن هزائمه المذلة الكاملة في جميع أنبيائه وملائكته وفي جميع عباده وموظفيه الأقربين. . .

كيف انهزم كل هؤلاء في أداء وظائفهم التي أرادها منهم وكلفهم بها الإله، وكيف انتصر هذا الموظف الواحد ـ الشيطان ـ في أدائه للوظيفة الصعبة المرهقة الأليمة التي أرادها له ومنه الإله وكلفه بها وخلده لأدائها؟

لقد كانت وظيفة الشيطان أقسى وأكبر وظيفة ولكن الموظف لها جاء أكفأ وأبرع موظف.

. . . إن كل هؤلاء، أنبياء وملائكة وغيرهم، لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يحققوا في كل حياتهم وتاريخهم من حكمة الله وإرادته ورغبته وخططه ما استطاع وما يستطيع هذا الموظف الواحد ـ الشيطان ـ أن يحققه في يوم واحد من حياته وتاريخه.

. . . إذن ماذا لو أن الإله أراد أن يثيب كل موظف من موظفيه ثواباً يساوي أو يكافئ أداءه لوظيفته وانتصاره فيها أو انتصارها هي فيه وبه؟

أليس الثواب الذي سوف يقدمه حينئذ الإله لهذا الموظف الواحد أي للشيطان سوف يكون أعظم وأكرم من الثواب الذي سوف يقرره لجميع الأنبياء والأولياء والشهداء والقديسين والصدّيقين ولسكان السماء أجمعين؟

. . . إنه لمن الحق في هذا الحساب أن يصبح الفردوس السماوي كله سكناً وجزاء لهذا الموظف الواحد أي للشيطان دون أن يقتطع أو يخصم منه أي مكان للآخرين من أنبياء وغير أنبياء، وأن يطالب لهم بمكان آخر قد يستحقونه متلائماً مع ضعف وضآلة ما حققوه في وظائفهم وفي أدائها. !

ولعل الفردوس كله لن يصبح ثواباً مبالغاً فيه حينما يثاب به هذا الموصف الواحد ـ الشيطان ـ جزاء له على ما حققه من انتصارات ومعجزات فيما وظفه الإله له وفيه وفيما أراد وانتظر منه، وفيما حقق لقلبه من سعادة وفرح لئيم!

وتخصيص الفردوس كله جزاء وسكناً للشيطان عمل فيه رحمة ورأفة ونبل إذ لو ساكنه فيه الآخرون من أنبياء وأولياء وشهداء وملائكة لعذبهم شعورهم بالفرق بينهم وبينه فيما فعل وفعلوا لوظائفهم وفي القدرة والإتقان على الأداء لها، ولعذبهم أيضاً شعورهم بالفرق بين ما يستحقون هم وما يستحق هو من جزاء!

لقد عذبهم في هذه الحياة بانتصاره وتفوقه الساحق المذل لهم عليهم. إذن كم ينبغي ألا يعذبهم في تلك الحياة الأخرى بمساكنتهم له؟

لقد خفف من عذابهم موتهم. ما أقسى عذابهم لو خلدوا يقاسون هزائمهم أمام انتصاراته في هذه الحياة؟

. . . ولعل الأفضل والأذكى والأجمل ألا يكون هنالك فردوس سماوي ديني لا لهذا الموظف الواحد ولا لسواه. !

لعل قصة هذا الفردوس لم تكن إلاّ احتلاماً بذيئاً لمحروم جنسياً جداً، أو لم تكن إلاّ أكذوبة غير ذكية، أو مزحة غير فنية أو جمالية أو سخرية ليست إنسانية ولا فردوسية، أو غلطة نبوية إلهية سماوية. . .

ليت جميع التفاهات والسخافات والبلادات والفضائح احتلام جنسي أو أكاذيب أو مزحات أو سخريات أو غلطات حتى ولو غلطات نبوية ربانية سماوية. !

. . . ليت كل قبح هو اتهام، أو رؤيا، أو لغة أو صورة فقط، أو خيال، أو أكذوبة فقط حتى ولو كانت أكذوبة نبي أو ملاك أو إله. !

إن أقل تفاسير الآلهة والملائكة والأنبياء قبحاً وفضحاً أن يكونوا أكاذيب وكاذبين. !

. . . ليت كل دمامة هي في اللسان القائل أو في العين الرائية أو في القلب الحاسد المصاب بالغيرة وليست أي الدمامة في الوجه الدميم. !

وبمثل هذا التمني: ليت قصة الفردوس السماوي احتلام أو سخرية أو غلطة أو مزحة أو كذبة تقال وتروى وتكتب دون أن يرى أو يوجد أو يسكن أي الفردوس هذا المنزل في الكتب المنزلة. . .

. . . إنّ قصة هذا الفردوس هي دمامة أبشع من كل الدمامات في كل الوجوه. .

إن كل الدمامات في كل الوجوه بل في كل الوجود لتتحول إلى كل الجمال محاسبة بدمامة هذا الفردوس وبدمامة قصته. !

. . . إن كل العيون الوقحة البذيئة لتعجز عن التحديق وتهاب التحديق في دمامة قصة هذا الفردوس السماوي أي لو كانت العيون المحدقة ترى لترى، ولا ترى لئلا ترى ولا ترى كما ترى عيون الآلهة والأنبياء والحكماء والشعراء والزعماء وجميع العميان. . . أليست عيون هؤلاء جميعاً ترى لئلا ترى؟ أليست دائماً ترى ما لا يرى بل نقيض ما يرى؟

العقاب عجزٌ والثواب احتيال واحتياج

يروي عنك أطفالك الأنبياء أنك قد أعددت في الحياة الثانية ثواباً وعقاباً . . . الفردوس ثواباً ثمناً لعبوديتي لك، لعبودية الإنسان لك، والجحيم عقاباً جزاء رفضي لهذه العبودية، لرفض الإنسان لها أو جزاء التقصير فيها أو جزاء العجز عن تقديمها لك بالشروط والأساليب والتفاسير التي تصنع لك الفرح والكبرياء البلهاء . . . وكم هو قبيح وبذيء ومهين ما يصنع لك الفرح والكبرياء يا إلهي الهاجي بفرحه وكبريائه لكل تفاسير الفرح والكبرياء . !

. . وهنا يا إلهي أجد كل الرغبة الغاضبة في أن أسائلك وأحاورك وأحاسبك وأحاكمك مشحوناً بكل مشاعر الرثاء لك والاشفاق عليك لقبح وضعف ضعفك في كل خطواتك وتخطيطاتك ونياتك وفي كل بداياتك ونهاياتك ومحاولاتك المحكومة بكل تفاسير العجز والانهزام والافتضاح والسذاجة البائسة الأليمة . . .

أولاً:

الثواب والعقاب ولا سيما العقاب اضطرار وحاجة وعجز عن البديل . . وأنت فوق الاضطرار والحاجة والعجز . . !، . أليس كذلك؟ هل ترفض أو تنكر أن تكون ذلك؟

أتضرع إليك أن تستمع إلى ما أقول لك . . !

. . هل يحدث أن يترك اللص أو القاتل أو المفسد المخرب يقتل ويسرق ويفسد ويخرب لكي يعاقب، مع القدرة على منعه ومع العلم السابق أنه سيفعل جريمته قبل أن يفعلها؟؟ والثواب ليس إلاّ أسلوباً قد يحسب مهذباً أو متخفياً من أساليب الرشوة . وهل يرشو القادرون على بلوغ ما يريدون بلا رشوة؟

وصعب بل وقبيح جداً أن نفسرك بأنك كالحاكم الذي يترك اللصوص والقتلة

والمفسدين يسرقون ويقتلون ويفسدون لكي يعاقبهم بعد أن يفعلوا وهو قادر على منعهم من أن يفعلوا كل أساليب القدرة، وعالم أيضاً بأنهم سوف يفعلون جرائمهم قبل أن يفعلوها . . !

وحتى مثل هذا الحاكم المتصور هل وجد أو هل يمكن أن يوجد؟

إنه لصعب أن يفعل ذلك أو أن يريد أو ينوي فعله أي حاكم أو إنسان أو أي كائن آخر مهما كان سفهه وجنونه وعشقه للإجرام والفساد ورغبته في ممارسة القسوة والجهالة والبلاهة . !

فهل تكون أنت وحدك المتفرد بهذا السلوك الذي لا يستطيع أن يقبله أو يفعله أو يعقله أو يغفره أو حتى يتصوره لقبحه وفحشه وبلادته عقل أو خلق أو سلوك أو تصور أي كائن موجود أو منتظر أو مفترض في هذا الكون أو في أي كون آخر سواك يا إلهي الذي لم يفضح أو يهن أو يظلم نفسه أحد مثل فضحك وإهانتك وظلمك أنت لنفسك - يا إلهي الذي لا يمكن فهمه أو تفسيره أو تسويغه أو الغفران له بأي منطق أو خلق أو قانون، بأي حب أو بغض، بأي تسامح أو تعصب، بأي رفق أو قسوة، في أي زمان أو مكان، في رؤية ومحاسبة أي صديق أو أي عدو في أخلاق ومنطق أية حضارة أو عروبة أو بداوة . !

هل يمكن وجود أو تصور كائن لا يقبل بل لا يحتمل الغفران لشيء من منطقه أو تخطيطه أو إرادته أو سلوكه ومع هذا فقد نال كل التقبل والغفران سواك أنت يا إلهي الذي لم ترَ فيه أية عين أي قدر أو نوع من الجمال أو الضخامة لهذا رأته كل العيون كل الجمال وكل الضخامة . .

. . يا إلهي الذي رأته كل العيون المغلقة ولم تره عين واحدة شجاعة ذكية قارئة مبصرة. الذي وجدته كل العقول الغائبة المتوقفة ولم يجده عقل واحد حاضر أو متحرك بالمحاورة أو المساءلة . . يا إلهي الذي لن يرى ولم ير إلاّ في الظلمة. ولم يسمع صوته إلاّ المصاب بالصمم الشامل ولم يجده إلاّ المصاب بالغيبوبة الشاملة الدائمة . !

. . . إن من يترك المجرمين والمخطئين يفعلون جرائمهم وأخطاءهم لكي يعاقبهم أو ثم يعاقبهم على ما فعلوا وهو قادر كل القدرة على منعهم لهو وحده المجرم المخطئ المستحق للعقاب بل إنه لمستحق للعقاب أكثر من استحقاق من يفعلون الجرائم والأخطاء. وكم يجب عليك يا إلهي أن تعرف هذا. وكيف لم تعرفه؟ إنه لن يخفى على أغبى الأغبياء. من علمك غباءك يا إلهي؟

ثانياً:

إن الثواب والعقاب لن يكونا إلاّ تعاملاً وتخاطباً مع المستقبل ومحاولة لحمايته وصياغته. إنه إذا لم يبق مستقبل يخاطب ويعامل ليصاغ ويحمى فلن يكون هناك ثواب ولا عقاب أو لن يكون لهما أي معنى أو قيمة..

... إنه لو حكمت قوة ما قادرة على البشر جميعاً بالإعدام وقررت إعدامهم جميعاً بحيث لا يبقى منهم أحد أي بحيث لا يبقى مستقبل لهم يتعاملون ويتحاورون معه ويحمونه ويصوغونه لما بقي للثواب والعقاب أي معنى.

... إن الموتى لا يثابون أو يعاقبون لأنه لم يبق لهم مستقبل. وإذا عوقبوا وأثيبوا، ولا بدَّ أن يحدث ذلك، فلن يكون ثوابهم وعقابهم إلاّ تخاطباً وتعاملاً مع مستقبل الأحياء وليس مع ماضيهم أي لن يكونا إلاّ مع الأحياء ومستقبلهم...

ماذا لو أن مستقبل الأحياء أصبح شيئاً لا يتعامل أو يتحاور معه الثواب والعقاب ولا يحميانه أو يصوغانه أو يؤثران فيه أي تأثير وأصبح هذا مفهوماً ومتقرراً بلا خلاف أو شك؟

أليس محتوماً حينئذ أن يبطل كل ثواب وعقاب وكل معنى من معاني الثواب والعقاب؟

... إن الثواب والعقاب ليسا نشوة أو شهوة أو ممارسة جنسية، ليسا غناء أو رقصاً أو فرحاً أو طقوساً دينية أو تمجيداً أو تكريماً أو تعظيماً أو تكبيراً أو إسعاداً للذات المثيبة المعاقبة، وليسا كذلك شفاء أو استجابة للحقد أو الغضب، ولكنهما تداو وجراحة بحثاً عن الشفاء والإنقاذ والحماية والجمال لمستقبل يبدأ من اللحظة الحاضرة. إن الثواب والعقاب ليسا تعبيراً عن الحقد والعداوة والبغضاء بالأساليب والنيات التي تعبّر النبوات بها والقيادات والزعامات العربية عن أحقادها وبغضائها وعداواتها. إنهما أكثر تقى وذكاء من ذلك.!

إن أي كائن إنسان أو غير إنسان لو أراد أن يعاقب نفسه عقاباً منطقياً أخلاقياً على ذنب أو خطأ فعلته لما عاقبها إلاّ تحاوراً وتعاملاً مع مستقبلها البادئ من اللحظة الحاضرة المتجهة إلى المستقبل.

وحتى لو أنه لم يرد من عقابها إلاّ إنقاذ ضميره من التأنيب والتعذيب لما كان هذا الإنقاذ إلاّ لضميره المقبل المستقبل البادئ من اللحظة الحاضرة لا لضميره الماضي. ولو

أنه لم يبق لهذا الكائن مستقبل يحياه، يرضيه ويغضبه، يتعذب فيه ويسعد، أو يفرح فيه ويحزن لما وجد أي حافز على معاقبته لنفسه. .

. . وكذلك لو أراد، أي هذا الكائن، أن يثيب نفسه أي بقصد الجزاء لها لا بقصد الإرضاء والإعطاء لها فقط. . !

. . . والآن يا إلهي الفاجع المحزن لكل من يحاول أن يقرأه أو يفسره أو يراه أو يحاوره أو يأمله أو يؤمله أو يسأله أو يفهمه أو يتفاهم معه أو يفهم نياته أو أهدافه أو خطواته أو حوافزه أو حتى يجده. لكل من يحاول أن يجعله معقولاً أو مفهوماً حتى موجوداً.

. . . نعم، والآن يا إلهي هذا أريدك أن تفارق خمولك واسترخاءك وغيبوبتك البليدة ولو لحظات لكي تستطيع أن تفكّر معي في قضية ثوابك وعقابك في الحياة الثانية. أنا أحترق، أحترق كيف تصورت وتقبلت فكرة الثواب والعقاب أي أن تكون متقبلاً ومريداً أن تحدث كل الجرائم لكي تثيب وتعاقب عليها. !

. . . إن المستقبل كله قد مات في الحياة الثانية، إن كل شيء قد مات.

لقد ماتت كل احتمالات الخطأ والصواب. . . الاستقامة والانحراف. . الضلال والهدى. . الطاعة والعصيان. كل ذلك قد مات ومات انتظاره والمطالبة به والتحريض عليه. كما مات النهي عنه والتخويف منه والوعظ ضده. لقد مات أو توقف كل شيء. فلن يوجد من يستطيع أو يريد أن يفعل الخير أو الشر. إنه لا وجود لمن قد يفعل الشر لكي يعاقب من فعلوه ليكون زجراً لمن قد يفعلونه عن أن يفعلوه. . !

. . . وإنه لا وجود لمن قد يفعل الخير أو لمن يطالب بذلك لكي يثاب من قد فعلوه ليكون ذلك تحريضاً لمن فعلوه ولمن لم يفعلوه على أن يفعلوه.

. . . لقد ماتت الحياة التي تصنع أو التي يصنع فيها ما يستحق الثواب والعقاب. .

لقد ماتت كل تفاسير ومعاني الثواب والعقاب لقد ماتت أوامر الإله وطلباته. بل لقد مات الإله، مات. !. أليست كل معاني الإله تموت في الحياة الثانية!

. . . إذن لماذا الثواب والعقاب وقد أصبحا لا يعنيان شيئاً؟

. . . إنك لم تعاقب أو تثب في الحياة الأولى حيث كان ينفع بل وينقذ أن تفعل ذلك لو فعلته بأسلوب حازم حاسم ذكي، بل لقد كنت تفعل العكس، كنت تملي

للضالين والفاسدين لكي ينخدعوا فيزدادون ضلالاً وفساداً كما فسرت لك ذلك في الصفحات الماضية. . .

فكيف تفعل حيث لا ينفع أن تفعل ولم تفعل حين كان ينفع أن تفعل؟

أين غاب وذهب ذكاؤك، كل ذكائك يا إلهي؟

. . . كيف لم تتعلم أي فن من فنون الستر على نفسك؟ عمرت كل هذا العمر والتعمير دون أن تتعلم أو تعرف حتى ولو إلهاماً شيئاً من ذلك. . !

أليس العمر الطويل يعلم حتى من لا يريدون أن يتعلموا؟

هل ما يعلم كل أحد لا يستطيع أن يعلمك أنت يا إلهي الذي لم يستطع ولا يستطيع أن يتعلم أو يعلم ما لا يحتاج تعلمه وعلمه إلى تعليم ولا إلى معلم؟ شيء مؤلم وفاجع ألا يعني طول عمرك أي تغير أو تطور في معرفتك أو أخلاقك أو رؤاك أو فنونك أو تجاربك أو حتى في قدرتك. . .

. . . شيء مؤلم وفاجع ألا يكون لطول عمرك أي حاصل، أي تغيير جيد أو مفيد في معنى من معانيك أو في أية صيغة من صيغ وجودك أو أخلاقك أو قدراتك أو أفعالك. . . !

. . . إن تطاول العمر لا يعني ويجب ألا يعني إلاّ تخطياً للذات، تخطياً لكينوناتها القديمة إلى كينونات أخرى أذكى وأقوى وأعلم وأتقى.

. . . إن تطاول العمر لا يعني ويجب ألا يعني إلا ولادات جديدة متفوقة متصاعدة في تفوقها. .

إن الكائن الحي لا يُولد ولادة واحدة ولكنه يُولد ولادات متعددة تعدد اللحظات والساعات والأعوام والدهور التي يمر بها ومنها وفيها وإلاّ فلن يكون إلاّ حجراً. ! وحتى الحجر فإنه لا يولد ولادة واحدة لا يتخطاها.

إذن هل أنت يا إلهي أقل من كل شيء حتى أقل من الحجر في ولادتك الواحدة لهذا لم تستطع أن تعلم ما لا يحتاج علمه والعلم به إلى تعلم أو إلى معلم. . .

. . . لهذا لم تستطع أن تعرف هذه القضية التي لن يستطيع أن يجهلها أحد سواك؟ كيف هذا؟ كل من حولك من أعوان ومستشارين كونيين وسماويين عجزوا أو هابوا أو جبنوا أو كسلوا أو جهلوا أن يعلموك هذا الذي لا يستطاع جهله. .

كيف حدث هذا؟ كيف؟ إنك لو استبدلت بهم أعواناً ومستشارين ولو من الأوطان

العربية لكانوا خيراً لك. فلماذا لا تفعل هذا الاستبدال؟ هل هو كسل أم عجز أم جهل؟

ثالثاً:

إن فكرة الثواب والعقاب مفسرة بفكرة ثوابك وعقابك فكرة رديئة وغبية جداً وغير أخلاقية بل وضد الأخلاق..!

لنفكر في هذا... حاكم أو زعيم أو قائد عسكري يفرض على رعيته أو أتباعه أو على جنوده أن يؤمنوا به وأن يطيعوه ويعبدوه ويقدسوه ويمتدحوه ويهتفوا له ويؤلفوا الكتب والقصائد في تمجيده وتنزيهه وتأليهه ويعلن أن كل من يطيع ويفعل ذلك فسوف يعطيه أضخم العطايا... يعطيه الجواري والعبيد والحرير والذهب ليكون حلياً وملابس له، ويعطيه كل ما يؤكل ويشرب ويشتهى ويستمتع به حتى الخمور والغلمان والقدرة الهائلة على ممارسة العلاقات الجنسية... ويعطيه الخمول والكسل والاسترخاء والفراغ الدائم دون أي اهتمام أو حماس أو تفكير في أي شيء أو بأي شيء أو لأي شيء سوى هذا الاستمتاع الجسدي البذيء الوقح الفضاح...

... أما من لم يفعل ذلك عصياناً أو ضعفاً أو غضباً أو إباء أو شجاعة أو كرامة أو شهامة أو كبراً على الركوع إلى التراب وعلى التراب أو عجزاً عن الاقتناع البليد أو عن تقبل الافتضاح وممارسته أو عن الاستجابة للهوان، فيعلن ويقرر، أي هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد العسكري، أنه لا بدَّ أن يوقع به كل العذاب وأقسى وأنذل وأقبح وأسفه العذاب أي لأنه قرر وصمم أن تكون جبهته وقامته وهامته قامة وجبهة وهامة إنسان فيه كل نماذج الإنسان لا جبهة أو قامة أو هامة صرصار أو برغوث.

... أليس هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد سخيفاً وبليداً بل وصغيراً جداً في كل نماذجه وتفاسيره وخارجاً على جميع المقاييس الأخلاقية في كل شروطها وصيغها بل ومفسداً لها ومحرضاً على إفسادها معلماً لإفسادها؟

... أليس هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد جاهلاً ضد نفسه ومحقراً لها مسيئاً إليها جداً، صانعاً وواهباً ما يهبها كل معاني الذم والهجاء دون أن يصنع أو يهب لها أي نوع أو قدر من المجد أو الجمال أو الحب أو حتى القوة؟

ولكن هل وجد أو يمكن أن يوجد مثل هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد؟ وهل يقبل أن يوجد مهما كانت سفاهته أو بلاهته أو وقاحته أو أشواقه إلى العار والافتضاح؟ أليس هناك افتضاح يرفض جميع المفتضحين الافتضاح به؟

... نعم، هل وجد هذا الطراز من البشر لكي يتحول إلى شيء من الاعتذار عن

فضائح الإله، عن فضائحك يا إلهي، عن ضعف مستوياتك، ومستوياتك التي لن يوجد لها شبيه في ضعفها وفي خروجها على جميع التفاسير المعقولة أو المقبولة أو المفهومة أو المغفورة بل أو حتى المفعولة؟

. . . نعم، لكي يقال: أيها الإله تعزَّ، تعزَّ ولا تمت انفجاعاً وعاراً فقد وجدت لك أشباهاً ونماذج فيمن خلقت، فلست وحدك في حضيضك. . . !

ولكن واأسفاه يا إلهي. إنك وحيد، وحيد في قاع حضيضك. !

إن أحداً لن يستطيع أو يقبل أن يهبط الهبوط الذي يجعله يستطيع أو يقبل أن يساكنك في قاع حضيضك. !

إنك يا إلهي وحدك في حضيض حضيضك. !.

إن أي كائن لن يستطيع حتى ولو أراد أن يهبط إلى حضيض حضيضك. !

. . . نعم، أي مجد أو سعادة أو فخر أو فرح لأي كائن في أن يمدح أو يطاع أو يسجد بين يديه بالثمن بيعاً وشراء أو بالتخويف والتهديد؟

هل يوجد من يقبل ذلك علناً وجهراً بلا أي استتار أو اعتذار؟

هل توجد نذالة أو سفاهة أو سذاجة أو جهالة أو وقاحة أو بلادة تساوي ذلك أو تفعله؟ كائن يطالب بأن يمدح وبأن يرى كل الجمال والكمال بالوعد والوعيد.

هل يوجد مثل هذا الكائن خسة وجهلاً؟

. . . ثم أليس من يطيع هذا الحاكم أو القائد أو الزعيم تحت هذه الظروف وبهذه التفاسير منافقاً وذليلاً كذاباً، جباناً، صغيراً، صغيراً في كل معانيه وتفاسيره، لا يختزن في ذاته أي معنى كبير أو مجيد أو كريم يمكن أن يطمع فيه أو يطلبه أو يطالب به أحد ليكون له مجداً أو فرحاً أو سعادة أو قوة أو جمالاً لكي يدفع ثمنه مهما هان وصغر ثمنه؟

إنه أي هذا المطيع ليس مطيعاً بأي تفسير من تفاسير الطاعة. . .

إن الطاعة ليست صيغة أو مظهراً أو لغة ولكنها معنى وتفسير ونيّة واقتناع ومحبة. . .

هل يمكن أن يحسب من يمدح أو يعبد أو يطيع طمعاً أو خوفاً مادحاً أو مطيعاً أو عابداً؟ بل هل يمكن أن يحسب صامتاً أو محايداً؟ بل أليس هاجياً ومحقراً بأجبن وأصغر

التفاسير والأساليب؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد محقر لكل تفاسير ومعاني الحب والإيمان مثلك يا إلهي؟

. . . أليس أمجد وأكرم وأشرف وأسعد لك أن تعصى وترفض ويكفر بك من أن تعبد وتُطاع وتمدح وتشكر بهذه التفاسير والنيات والأخلاق؟ أليس من ينكرك أقل تحقيراً لك ممن يبصق عليك؟

هل يوجد هجاء كالامتداح المدفوع ثمنه أو المطالب بثمنه؟

هل يوجد هاج لنفسه مثل من يقول أعبدوني واشكروني لكي أدخلكم الجنة؟

. . . ثم أليس الذي يعصى ويرفض بل ويكفر هو حينئذ الأتقى والأقوى والأصدق والأنبل إيماناً وهو وحده الذي يستحق الجزاء والتكريم بل والحب والاحترام أي حب واحترام المعصي المرفوض المكفور به إن لم يكن، أي المعصي المرفوض المكفور به، نذلاً وسفيهاً وبليداً بلا حدود أو نموذج، أي إن لم يكن إلهاً عربياً أو زعيماً عربياً؟

. . . إن المطاع المعبود الممدوح بهذه التفاسير والحسابات ليس إلاّ مبصوقاً مستفرغاً عليه. لهذا فإنه لا يوجد ولم يوجد مبصوق مستفرغ عليه مثل الإله ومثل الحكام والسلاطين والقادة والزعماء والأنبياء العرب، في كل الكون، في كل التاريخ.

هل وجد أو يوجد مثل البصاق الذي بصق على وجه الإله العربي أو الزعيم العربي؟

آه. كيف لا يعلم الإله وجميع حُكام العرب وقادتهم وزعمائهم وأنبيائهم أنهم حينما يمدحون ويطاعون ويعبدون إنما يبصق ويستفرغ عليهم؟ وكيف لا يعلمون نوع هذا البصاق والاستفراغ عليهم؟

كيف لا يعلمون أنه أوقح وأقذر بصاق واستفراغ؟ كيف لا يعلمون؟

. . . كيف لا يعلمون من الذين يبصقون ويستفرغون عليهم، وما الذي يبصقونه ويستفرغون عليهم. وماذا يساوي بصاقهم واستفراغهم عليهم من المجد أو الجمال أو النظافة أو الكرامة؟

. . . كيف يمكن أن يكون انفجاعك وأساك أيها الإنسان العربي حينما تعلم أنه لا شيء يصنع السعادة والمجد والفرح والفخر لحكامك وزعمائك وأنبيائك وقادتك الكبار العظام مثل أن يستفرغ عليهم الضعفاء والجبناء والأغبياء ويبصقون عليهم ضعفهم وجبنهم وهوانهم بأسلوب الامتداح والتمجيد والحب والطاعة والعبادة لهم، هل

الامتداح في العالم العربي إلاّ استفراغ للضعف والحقد والنذالة على الممدوح.

. . . لتعلم أيها الإنسان العربي أنه لم يبصق أو يستفرغ ولن يبصق أو يستفرغ على شيء أو أحد كما بصق واستفرغ ويبصق ويستفرغ على أعراض وأمجاد وكرامات وكبرياء وأسماء أنبيائك وخلفائك وحكامك وقادتك وزعمائك بل وإلهك بأسلوب الامتداح والتمجيد والعبادة والحب والولاء والطاعة والاتباع لهم. كيف؟

أأنت لا تعلم ذلك أيها الإنسان العربي؟

آه. هل الإنسان العربي يستطيع أن يجهل ما لا يستطاع جهله؟ كيف؟

من يستطيع التحديق في هذا المنظر أو المشهد؟

ها هو إنسان عار من كل ما يستر، من كل شيء إلاّ من جسده المغطى كله بكل التشوهات والدمامات والعاهات الرهيبة. . . !

وها هو شاعر أو خطيب أو واعظ يلقي بين يديه قصيدة أو خطبة أو موعظة ضاجة راقصة محلقة متوهجة متفجرة تتحدث بكل المباهاة والجرأة والرغبة الإعلانية عما في جسده من معجزات الجمال والاكتمال اللذين لا تستطيع كل الآلهة متحالفة متعاونة أن تبدعهما وتصوغهما بل ولا أن تتصورهما. . .

نعم، هل يوجد من يستطيع أن يحدق في هذا المنظر أو يحضره أو حتى يتصوره؟ ولكن هل وجد مثل هذا المنظر أو المشهد؟

ـ نعم، أليس كل خليفة وسلطان وقائد وزعيم وحاكم ونبي عربي بل وإله عربي في كل زمان ومكان يصنع ويكرر هذا المنظر وحوله حشود المادحين والشاكرين والمؤمنين والمصلين العابدين الهاتفين المتضرعين المتحدثين عما في أقبح العاهات والدمامات والتشوهات العارية المتعرية في كل العيون من معجزات الجمال والاكتمال والعبقرية التكوينية الباهرة الساحرة لكل العيون الرائية بل والعيون العمياء.؟

أليس التاريخ العربي أو الوجود العربي كله مؤلفاً من هذا المنظر أو المشهد؟ هل وجد أو يوجد في الحياة العربية مشهد أو منظر يساوي أو يشبه هذا المنظر في عراقته وأصالته أو في ديمومته؟

* * *

. . . أجل، يا إلهي ألست في ثوابك وعقابك نموذجاً أو تقليداً رديئاً جداً لهذا الحاكم أو الزعيم أو القائد العسكري الذي يفرض على أتباعه أو رعيته أو جنوده أن

يهبوه كل إيمانهم وعبادتهم ومدائحهم ليعطيهم ثمن ذلك أو ليوقع بهم كل العذاب والهوان إن لم يفعلوا؟

بل ألست أردأ وأسفه وأصغر منهم جداً في كل تفاسيرك وتفاسيرهم؟

كيف قبلت يا إلهي أن تصوغ نفسك أو أن يصوغك غيرك هذه الصياغة؟

من صاغك يا إلهي؟ هل صغت نفسك؟ هل صاغك غيرك؟ وكيف قبل أو استطاع أو عرف أن يصوغك كما صاغك؟

هل يمكن تصور معتد ومشوه ودميم وباحث عن الدمامة عاشق لها مثل من صاغك؟ كيف وجد من استطاع أن يهبط في جميع نماذجه وأشواقه ورؤاه الفنية والأخلاقية والفكرية والإبداعية كل هذا الهبوط لكي يستطيع ويقبل أن يصوغك كما جئت؟ أي إن لم تكن أنت الصائغ لنفسك؟

والسؤال المحير حقاً هو: كيف اهتدى من صاغك إلى النموذج الذي صاغك به وعليه سواء أكان الصائغ أنت أم غيرك؟

كيف اهتدى بعقله أو بخياله أو بفنه أو بحاجته أو بتمنياته إلى هذا النموذج الذي لا نموذج له، وهل يمكن أن يأتي النموذج من الفراغ المطلق؟ ونموذجك قد جاء من فراغ مطلق أي دون أن يكون مأخوذاً من أي نموذج آخر أو متأثراً به ومقلداً له أو موحياً به أي احتياج أو اضطرار أو تصور أو تمن أو منطق أو أخلاق أو عاطفة جيدة أو رديئة.

إنه، أي نموذجك، خروج على كل الاحتمالات والاحتياجات والتصورات وعلى كل القوانين والقِيم والنماذج الوضعية والطبيعية والافتراضية والأخلاقية بل والخارجة على كل ذلك...

... إن أي شيء موجود أو متخيل لن يوحي بنموذجك أو يذكر أو يحتلم به أو يتصوره أو يراه ويتمناه أو يحتاج إليه أو يسعد أو يفرح به أو يرضاه نموذجاً له أو ملهاة يلهو بها ويسخر منها وبها.

إن جميع الآلهة لو تجمعت كل تصوراتها في تصور واحد لما استطاع أن يتصور نموذجك.!

... إن أي ممثل هازل أو جاد، صانع للأسى أو للفرح، للضحك أو للبكاء لن يجرؤ أو يستطيع أو يقبل أن يتخذ من نموذجك نموذجاً أو مثالاً لفنونه الهازلة أو الجادة، الضاحكة أو الباكية ليقصه أو يعرضه على أطفاله أو على نظارته ليطلق فيهم

ومنهم الضحكات والسخريات أو الصرخات والأنات المفجوعة الرائية المتفجرة اشمئزازاً وأسى. إن أي كائن لن يجد فيك شيئاً يمكن أن يتعامل أو يتحاور معه بأي شيء من أخلاقه أو عقله أو فنونه أو تصوراته أو أمانيه.!

... إذن كيف ومن أين جاء نموذجك يا إلهي؟ إن أي قبح أو تشوه أو ألم أو عبث أو جنون أو أي شيء آخر يمكن تصوره على أنه نموذج ذاته وطبيعته غير المدبرة أو المخططة أو المرادة ولكن لا يمكن تصور شيء من ذلك على أنه نموذج تدبير أو منطق أو خلق أو فن أو قوة أو عبقرية.

... إذن يا كل أصدقائي، يا كل البشر وكل من ليسوا بشراً، يا كل من في هذا الكون وكل من هم خارج هذا الكون..

حذار أن يطالب أحد منكم الآخرين بأن يطيعوه أو يعبدوه أو يمدحوه أو يشكروه أو يهتفوا له ليعطيهم ثمن ذلك جواري وغلماناً ولبناً وخمراً وحريراً وذهباً وخمولاً وكسلاً وفراغاً كئيباً بليداً، أو أن يحذرهم من ألا يفعلوا ذلك له لئلا يصنع لهم أقسى وأقبح عذاب في أعماق أقسى وأقبح جحيم..

... حذار، حذار أن يفعل أحد منكم هذا أو هذا لئلا يكون مثل هذا الإله، لئلا يهبط إلى هذا الحضيض الذي لا يستطيع الهبوط إليه سوى نموذج هذا الإله...

هل يقبل أن يتحمل أحد أن يكون فيه شيء من منطق أو من أخلاق أو من شهوات أو من أنانيات هذا الإله أو من تاريخه أو من صداقاته وعلاقاته بنفسه أو بغيره أو بمن وما خلق أو زعم أنه خلق؟

بل إن جميع من يعاملونك وتعاملهم وكل من يحبونك ويحترمونك ويعبدونك ويرجونك ليتمنون أن تكون نقيضاً حاداً لنفسك في كل كينوناتك ومعاملاتك وشهواتك يا إلهي المرفوض.

* * *

... نعم، إنه قد يوجد بل لا بد أن يوجد من لا يستطيعون أو يريدون أن يكونوا قساة أو متوقحين في تصورهم وفهمهم لك بل رحماء بك مشفقين عليك، باحثين عن التفاسير المحابية لك ضد نظرات العقول المحدقة فيك، واضعين على ذاتك، على وجهك الكثير من الأصباغ والملابس المجملة المزورة لتستر وتخفي عن العيون الناظرة إليك ما لا تستطاع رؤيته مغطياً لكل وجهك وجسدك ولكل تاريخك وتفاسيرك... وحينئذ لا بدَّ أن يقولوا أي هؤلاء الرحماء المشفقون المحاولون الستر على من لا

يستطاع الستر عليك والتجميل لما لا يمكن تجميله، والإخفاء لدمامات لا تستطيع كل أجهزة وأدوات ووسائل الإخفاء إخفاء شيء منها.

ـ نعم، لا بدَّ أن يقول هؤلاء حينئذ: إنك يا إلهي لم تكن في قصة وعدك ووعيدك بالثواب والعقاب إلاّ واعظاً ومحرضاً كاذباً أي كذباً نبيلاً بريئاً...

لقد قلت ذلك حينما كان الثواب والعقاب والوعد والإيعاد بهما شيئاً قد يكون مفيداً... لقد أردت بهذا الكذب البريء النبيل أن تصلح وتعالج وتنقذ..

أما هنا أي في الحياة الثانية فلم يبق للثواب والعقاب ولا لانتظارهما أي نفع، لهذا لن تنفذهما ولا سيما العقاب....!

ولأن تكون يا إلهي كذاباً وبليداً وساذجاً عاجزاً خير وأفضل وأنفع لك ولغيرك من أن تكون وقحاً وحشاً فاعلاً ما لا يعقل أو يفيد... من أن تكون نذلاً وسفيهاً. ما أنبلك كاذباً خيراً إذا كان البديل أن تكون صادقاً شريراً...!

ولكن قد يضعف أو يفسد أو يرفض هذا الدفاع الطيب النبيل الرحيم عنك أنه لا يكذب أو لا يجوز أن يكذب لتحقيق شيء نافع أو جيد إلاّ من لا يستطيع أن يحقق ذلك بغير الكذب...

... إنسان أو كائن يستطيع بلا أية معاناة أو عجز أو كذب أن ينال شيئاً يريده هل يمكن أن يحاول نيل هذا الشيء بالكذب أي أن يؤمل نيله بالكذب دون أن يناله بل مع استيقانه بأنه لن يناله بالكذب مهما كذب؟

هل تقبل يا إلهي أن تكون هذا الإنسان أو الكائن الذي لن يكون سواك إن وجد؟

... إن أردأ أو أقبح أو أقسى ما فيك يا إلهي أن جميع المدافعين عنك مهما كان حماسهم وذكاؤهم بل وعبقريتهم وفدائيتهم وإخلاصهم لن يستطيعوا أن يبلغوا بل أو أن يؤملوا شيئاً مما يريدون.. إنهم مهزومون، مهزومون..

.. إنك الكائن الوحيد الذي لا يعني أو يساوي انتصاره إلاّ ضعف وغباء وهزيمة جنوده...!

... إنك يا إلهي الكائن الوحيد الذي لن ينتصر جنوده أو محاموه أو محبوه أو المشفقون عليه الراحمون له في أية معركة أو قضية..

... إنك الكائن الوحيد الذي لا ينتصر إلاّ حيث لا توجد مقاومة أو منافسة أو حتى محاورة.!

. . . إنك الكائن الوحيد الهازم المذل الفاضح لكل من يريدون أن يروه أو يعرضوه أو يثبتوه أو يقرأوه أو يفسروه أو يمتدحوه أو يحبوه أو ينتظروه أو يبشروا أو ينافسوا به بل أو يجدوه. . . !

. . . إنك الكائن الوحيد الهازم المخجل لكل العيون التي تريد أن ترى جماله، ولكل العقول التي تريد أن تفهم وتفسر عقله، ولكل الأخلاق التي تريد أن تتلاءم أو تتعامل مع أخلاقه، ولكل أدوات ووسائل الستر والإخفاء التي تريد أن تخفي عيوبه وذنوبه أو تستر عليها، ولكل عمليات التجميل التي تريد أن تصوغ أي شيء فيه ليكون جميلاً بل ليبدو أو ليرى جميلاً أو لكي لا يكون كل القبح والتشوه والوقاحة. . .

إنك الكائن الوحيد الذي لن يكون مقبولاً أو معقولاً أو مفهوماً أو جميلاً أو كريماً أو رحيماً أو ذكياً أو تقياً إلاّ بألا تكون خالقاً أو فاعلاً أو مدبراً أو مرئياً أو آمراً أو ناهياً، بل إلا بألا يكون موجوداً أو متهماً بأنه موجود أو أنه قد يوجد أو أنه قد كان موجوداً.

. . . إنك يا إلهي الكائن الوحيد الذي لن يستطيع أن يراه أو يقرأه أو يحاوره أو يفسره أو يفهمه أو يكتبه إلاّ الأميون. . الأميون الذين لن يستطيعوا أن يكونوا رائين أو قارئين أو كاتبين أو محاورين أو مفسرين أو فاهمين. . .

. . . إنك الكائن الوحيد الذي لولاه لما وجد أي زنديق أو فاجر أو مجرم أو قاتل أو ظالم أو كذاب أو منافق أو نذل أو وقح أو سفيه أو جبان أو تافه أو حساب أو عقاب أو جحيم أي كما يقول أنبياؤه والمؤمنون به، بل الذي لولاه لما وجد أي عاص أو مغضب أو مؤلم أو مشوه له أو كاذب عليه وكاذب به أو هاج أو شاتم أو محقر له. .

حتى الكافر بك والشاتم العاصي لك، إنه لولاك لما وجد أو وجدوا. . .

. . . إنك الكائن الوحيد الذي لا يشاء أو يفعل ما يحبه ويسره ويرضيه ويطالب به والذي يشاء ويفعل ما لا يحبه أو يسره أو يرضيه وما يطالب بنقيضه. . . إنك الكائن الوحيد الصانع لنفسه الغيظ والغضب والأسى والعصيان والهزيمة والتحقير بمشيئة وتخطيط وتدبير بل وبفرح عظيم. !

. . . إنك الكائن الوحيد الذي لم تهن أو تهبط أو تسفه وتجهل العقول والأخلاق والتصورات مثلما هانت وهبطت وسفهت وجهلت لكي تستطيع أن تراه أو تجده أو تعقله أو تحترمه أو تتصوره أو حينما أرادت أن تفعل ذلك أو أن يفعل بها ذلك. !

. . إنك الكائن الوحيد الذي لا تستطيع أن تراه إلاّ العين المتوقفة عن الرؤية بل الكائن الذي لا تستطيع أن تراه أية عين إلاّ بعد أن تصاب بالرؤية المضادة لكل الرؤية

والذي لا يستطيع أي عقل أن يعقله أو أن يعقل أي شيء فيه إلاّ بعد أن يصبح بلا أي شيء من معاني العقل أي إلاّ بعد أن يصبح عقلاً مضاداً لكل العقل، مفكراً ضد كل التفكير، والذي لا تستطيع أن تتعامل أو تتوافق أو تتفاهم معه أية أخلاق إلاّ بعد أن تموت فيها أو تسحب منها كل تفاسير الأخلاق أي إلاّ بعد أن تصبح في كل معانيها وأشواقها مضادة لكل الأخلاق ومسحوبة منها كل الرؤى والحسابات والمحاكمات والنماذج والأحاسيس الأخلاقية..!

.. إنك الكائن الوحيد الخارج على كل نماذج وشروط وأماني العقل والمنطق والأخلاق والحب والفنون والقوانين والجمال واللاعن المهدد بكل العقاب كل من يخرج على شيء من ذلك، كل من يخرج على شيء مما أنت خارج عليه كله..!

.. إنك يا إلهي المذنب كل الذنوب الذي لا يغفر لغيره أي ذنب من الذنوب.

أعني لا يأذن لغيره بأي ذنب من الذنوب التي يفعلها هو بكل الجهر والفخر..!

الجحيم والفردوس ثواباً وعقاباً

قال أطفالك الأنبياء إن الثواب والعقاب اللذين قررتهما وأعددتهما في الحياة الثانية هما الجحيم والفردوس. !. قالوا ذلك فهل علمت يا إلهي؟

.. وقبل محاسبتك على هذا الثواب والعقاب وعلى ضخامة سخائك فيهما رأيت أن أسائلك بكل الانفجاع عن شيء كيف عجزت أو جهلت أن تسائل نفسك عنه.. !

لماذا قاسيت وقاسيت في تصور وتخيل هذا الثواب والعقاب وفي التفكير والتدبير والتخطيط والإعداد والإخراج لهما، وفي خلق وحشد الزبانية الغلاظ الشداد وغيرهم وغيرهم ليكونوا موظفين وحراساً ومعذبين فيهما وعليهما وقابلين لأن يكونوا أو يظلوا أبداً كذلك دون أن تحاسبهم أو تعاقبهم أو تزجرهم أو تلعنهم أو تمنعهم ضمائرهم أو أخلاقهم أو تقواهم أو عيونهم أو قلوبهم أو رحمتهم أو أي معنى من معاني الكينونة والتكوين فيهم ليشمئزوا أو يكرهوا أو يغضبوا أو يشفقوا أو يستنكروا فيعلنوا الرفض والعصيان والتمرد على ما كلفوا به بل ويعلنوا الثورة على من اختارهم لذلك وكلفهم به، بل ويلقوا به أي بمن اختارهم لذلك وكلفهم به ـ يلقوا به هو إلى هذا العذاب فهو وحده الذي يستحقه؟

... كيف وجدت هؤلاء الموظفين في جحيمك وفردوسك الذين لن يتخلق فيهم أي ضمير أو قلب أو خلق أو رحمة أو رؤية أو غضب أو رفض أو اشمئزاز أو تدين من أي نوع أو بأي مقدار؟ حتماً أنهم لو عايشوا أو حتى حاوروا أي نوع أو قدر من التدين لنهاهم وزجرهم عن أن يظلوا موظفين في هذه الوظيفة التي لا مثيل لها في قذارتها ونذالتها وقسوتها وفي هوانها وقبحها بل وفي جنونها... إنه لا يوجد خارج على أخلاق وأوامر الدين والتدين مثل الإله. !

... وما هو الثمن الذي من أجله قبل هؤلاء الموظفون وظائفهم هذه في الجحيم

بل وفي الفردوس؟ هل قبلوا ذلك بلا أي ثمن؟ وهل يمكن تصور ثمن يمكن أن يقبل ثمناً أو أجراً للقيام بهذه الوظيفة أو الوظائف؟

رهيب، رهيب أن يقبل ذلك بلا ثمن، ورهيب، رهيب أن يقبل بأي ثمن حتى ولو أصبح كل شيء كل الكون له ثمناً، بل حتى ولو أصبح الإله نفسه بعض الثمن. !.. إن امتلاك الإله نفسه لن يستطيع أن يكون جزاء أو عزاء لكائن فرض عليه أن يكون أحد زبانية الجحيم يوقع العذاب بسكانه ويشاهد عذابهم ويسمع صرخاتهم ويقيم الحراسات لئلا يهربوا وينجوا.

... حتماً يا إلهي الأليم كانت مقاساتك النفسية والفكرية والتصورية والفنية والأخلاقية فادحة جداً حينما ذهبت تتصور وتتخيل الجحيم والفردوس وتفكر وتدبر وتخطط لإعدادهما وإخراجهما وفي خلق وحشد وإعداد الزبانية الغلاظ الشداد الأنذال الذين سوف يكونون موظفين وحراساً وجلادين فيهما وعليهما بكل الإخلاص والهوان والطاعة بلا عصيان أو غضب أو رفض أو حتى استنكار أو اشمئزاز أو احتجاج أو حتى شك أو مساءلة، كل الزمن وإلى نهاية الزمن وبلا نهاية للزمن، بل وبلا زمن. !. كيف يطيق هؤلاء ما يفعلون؟ أليس التخليد لصانع التعذيب مثل التخليد للمصنوع به التعذيب أي إن لم يكن أقسى وأنذل! إنه حتماً أنذل!

... نعم، لماذا قاسيت هذه المقاساة المجنونة في خلقك للجحيم والفردوس وفي خلقك لزبانيتهما؟ لماذا دبرت لنفسك هذه المقاساة الشريرة وأوقعتها بها؟

ما الثمن أو المجد الذي ظفرت به أو وعدت به نفسك أو احتلمت به إذا أنت فعلت ذلك؟ هل يمكن أن يكون لذلك أي ثمن أو مجد؟ وهل يقبل أي ثمن لذلك؟

كيف قبلت أن تتحول إلى أضحوكة أليمة ساخرة حين تقول: إنك خلقت هذه وهذه ثواباً وعقاباً مضطراً لأنه قد وجد من يستحقون هذه ثواباً وهذه عقاباً؟

ألست أنت المدبر المريد الفاعل لهذه وهذه ولمن تزعم أنهم يستحقونهما؟ فلماذا أوجدت وأردت بادئاً من يستحقون وما يستحقونه، معذباً ومحقراً وهاجياً بذلك قلبك وعقلك وضميرك وعينيك وأخلاقك وكل مواهبك وتفاسيرك؟ لماذا أصبحت تستحق كل الرثاء حتى رثاء أقسى الأعداء؟

... هل يمكن أن يوجد من يقاسي أقسى المقاساة لكي يصنع سجن تعذيب رهيباً، ثم يذهب يقاسي أيضاً أقسى المقاساة لكي يوجد من يستحقون أن يعذبهم في هذا السجن أو من يرى أو يزعم أنهم يستحقون ذلك لكي يضعهم ويعذبهم فيه. دون أن

يكون مضطراً إلى أن يفعل ذلك ودون أن يكون له أي نفع فيه، بل لكي يقاسي كل العذاب والانفجاع والروع في رؤية ومواجهة ومعايشة ذلك؟ آه. لقد صنع أو خطط أو أريد سجن التعذيب، إذن لا بدَّ أن يوجد المعذبون المستحقون للتعذيب فيه ولو سحبوا من الفردوس لئلا يظل أي سجن التعذيب بلا معذبين. لقد أريد أن يوجد السجن إذن لا بدَّ أن يوجد من يسكنونه.

.. فكّر في سلوكك هذا يا إلهي. هل فكّرت فيه؟ أرجوك أن تفكر فيه لقد اضطررت إلى أن تقاسي كل العذاب والوقاحة والنذالة والافتضاح والعار والوحشية لكي تصنع الجحيم والفردوس وحراسهما لأنه قد خلقت من يستحقون الخلود فيهما... نعم، لأنك قد فعلت ذلك.!

ولكن لماذا خلقت من يستحقون ذلك؟ هل سألت نفسك هذا السؤال؟

كيف تعاني في خلق من يستحقون التعذيب لكي تذهب تعاني في خلق أجهزة وأدوات وموظفي التعذيب وفي توقيع ومواجهة التعذيب وفي رؤية المعذبين وسماع صرخاتهم وآهاتهم؟ كيف تفعل ذلك؟

ما مصلحتك أو لذتك أو فرحك أو مجدك في أن توجد من يستحق العذاب لكي توجد العذاب؟ هل يمكن تصوّر من قد يفعلون ذلك أو حتى من يتصورونه؟

آه. من علمك تفكيرك ومنطقك وأخلاقك؟ هل يوجد من يقبل أن يكون معلماً لك؟

... إن جميع العقلاء بل وغير العقلاء قد يصنعون أو حتماً يصنعون التعذيب وأجهزته ومنفذيه لأنه قد وجد ولو في رأيهم وحسابهم من يستحقون ذلك أي ولو في رأيهم وحسابهم ونظامهم ومصلحتهم. ولكن أحداً منهم لن يصنع من يستحق التعذيب لكي يصنع التعذيب وأدواته ومنفذيه..

وإن أحداً منهم أيضاً لن يصنع التعذيب وأجهزته وزبانيته لكي يذهب يصنع من يستحقون ذلك ومن ينفذ فيهم ذلك. إن أغبى الأغبياء وأضخمهم وآصلهم سفهاً وحماقة لن يفعل ذلك.!

... إذن يا إلهي من وضع فيك أو علّمك كل هذه البلادة وكل هذا السلوك الذي لا شبيه له في بلاهته؟ وهل يمكن أن يوجد أغبياء أو بله يستطيعون أن يهبطوا إلى غبائك وبلهك لكي يتهموا بأنهم هم معلموك ذلك؟

.. ليتنا يا إلهي نستطيع أن نعلمك شيئاً من العقل أو التعقل ومن السلوك المعقول أو المتعقل أو حتى المقبول.. ليتنا. ليتنا. هل يوجد كائن لا يتعلم سواك؟

.. إنه لا يوجد مثل الإله احتياجاً إلى أن يتعلم.!. ولكن هل يوجد أو هل وجد من يشبهه عجزاً عن أن يتعلم؟ أيها المعلمون في كل الكون هل تستطيعون تعليم الإله؟

آه يا إلهي لقد تعمدت أن تخلقني مستحقاً للجحيم لكي تذهب تقاسي وتقاسي لكي تخلق الجحيم الذي أستحقه بكل أدواته وأجهزته وموظفيه ووقاحاته وقبحه وجنونه. آه كم أنا حزين من أجلك، من أجل عذابك من مقاساتك لصنع عذابي.

إني حزين القلب والضمير من أجلك يا إلهي لأني أعذبك بإعدادك وتخطيطك وصنعك العذاب لي. إني آسف جداً.

... آه يا إلهي. كم يجب الرثاء لك. كم يجب الرثاء لعقلك وقلبك وضميرك وذكائك وأخلاقك ولكل تفسير من تفاسيرك.

... كم يجب الرثاء لك لأنك وجدت وقبلت أن توجد وأن تمارس وتعايش وتواجه وجودك.!

... آه يا إلهي هل أنت موجود؟ هل تقبل أن تكون موجوداً؟

هل يوجد عدوان عليك أو هجاء أو تحقير أو تصغير أو اتهام لك مثل أن تكون موجوداً؟

هل يوجد من يفعل بك ولك كل ذلك مثل وجودك أو غير وجودك؟

... آه يا إلهي اغفر لي، سامحني إن كنت قد حسبتني وقحاً أو متوحشاً أو نذلاً فظاً أو عدوانياً أو محقراً مهيناً إلى المدى الذي يجعلني أفكّر في أنك موجود أو في احتمال أن تكون موجوداً! أو في أن أتقبل كونك موجوداً أو في أن أغفر لمن يزعمونك موجوداً. آه. هل يوجد من يستحق أن تذرف كل الدموع من كل العيون رثاء له لأنه قد وجد أو اتهم بأنه قد وجد سواك يا إلهي؟

... إنك الكائن الفريد الذي لا جمال ولا ذكاء ولا نظافة ولا براءة له من أن يكون الفاعل لكل الذنوب والدمامات والوقاحات والفضائح والعار إلاّ بألا يكون موجوداً.

ولأني أريد لك هذا الجمال والذكاء والبراءة والنظافة فإني أرفض أن أتصورك موجوداً. إني أحاكمك لئلا تكون موجوداً.!

نعم، إن محاكمتي لك ليست إلاّ أسلوباً صارماً وصديقاً من أساليب الإصرار على تبرئتك من أن تكون موجوداً. !

إني بمحاكمتي لك إنما أحاكم من يتهمونك بأنك موجود. !

أليس الذين يتهمونك بأنك موجود إنما يعنون ويريدون بل ويعلنون أنك أنت المدبر المخطط المريد الفاعل بكل الإصرار والنشوة لكل آلامهم وأحزانهم وعاهاتهم وتشوهاتهم وهزائمهم وفضائحهم وعارهم وخطاياهم بل والحافز المخطط لكل قبورهم والغازل الناسج الخائط لكل أكفانهم، بل والواضح الحاشد المعلم المدرب في أجسامهم وثيابهم وبيوتهم وغرف نومهم كل قملها وجراثيمها وبراغيثها وصراصيرها وذبابها وكل حشراتها؟

. . . إذن هل يوجد متهم مثلك محسوباً موجوداً، أو متوحشون وأنذال في اتهامهم مثل من زعموك وأعلنوك موجوداً؟

إذن هل يوجد من يستحق التبرئة من وجوده مثلك أو من يستحقون أقسى العقاب والحساب مثل من اتهموك أو يتهمونك بأنك موجود أو بأنك قد وجدت أو قد توجد؟ أليس من يزعمونك موجوداً يا إلهي يتهمونك بأنك أنت واضع القملة والجرثومة في رأس وصدر الطفل اليتيم؟

. . . إذن هل يوجد دفاع عنك يساوي في نبله وتقواه وشهامته دفاع من يناضلون ويناضلون ليبرئوك من هذه التهمة، تهمة إنك موجود، أي من اتهامك بأنك أنت خالق وواضع القملة والجرثومة في جسم الطفل اليتيم؟

. . . إذن كم يستحق هؤلاء المناضلون من الشكر والثناء والحب والثواب؟

كيف يوجد أو كيف وجد من يعجزون عن فهم هذه الحقيقة؟

* * *

ثم بكل الاندهاش واللهفة أسألك: ما الذي تخسره أو تخاف أو تتوقع أن تخسره لو أنك لم تصنع الجحيم العقاب والفردوس الثواب ونزلاءهما؟

هل تخشى أن تصبح وحيداً وعاطلاً بلا عمل ولا وظيفة ولا لعبة أو ملهاة وأنت لا تطيق ولا تريد ذلك وتراه كل العذاب والخسران والضياع فاخترت أن يكون لك عمل ووظيفة وملهاة ولو في أهوال هذا الجحيم، ولو في خرافات وسخافات هذا الفردوس، كما اخترت أن يكون معك وحولك آخرون لئلا تكون وحيداً ولو كان هؤلاء الآخرون

هم المعذبين في هذا الجحيم والمتعطلين الفارغين في فردوسهم لكي تسعد وتتلهى بالاستماع إلى صرخات وأنات المعذبين وبرؤيتك لهم يقاسون عذابهم، وأيضاً لكي تسعد وتتلهى باستماعك إلى قهقهات وضحكات هؤلاء المتعطلين الفارغين في فردوسهم الخرافي وبرؤيتك لهم وتحديقك فيهم وهم يمارسون شهواتهم البذيئة العارية مع جواريهم وغلمانهم وفي أنهار خمورهم وألبانهم ـ يمارسون ذلك في مكان واحد متواجهين متنافسين عراة يصرخون ويغنون ويتدافعون من التفاهة والفراغ ومن نشوة الممارسات الرخيصة الوقحة؟ فظيع وبذيء أن تتصور نفسك من سكان هذا الفردوس أو من المشاهدين لهم يمارسون فراغهم..

عيب، عيب يا إلهي، عيب لا يستطاع غفرانه أن يكون هذا التفسير هو التفسير لخلقك هاتين اللعبتين البليدتين المخيفتين أي الجنة والنار بكل أوصافهما وسكانهما وظروفهما القبيحة المجنونة. !

إنه لعار كل العار أن توجد هذه النار أو هذه الجنة في أي تصور. !

من يحتمل أن يكون هو أول من تصورهما؟ كيف ومن أين يجيء **التصور الأول لأي متصور أول؟**

... هل تقبل أن تتهم بأنك لا تستطيع أو لا تعرف أن تتخيل أو تصنع شيئاً هو أذكى أو أتقى أو أنبل أو أجمل أو أرحم من هذا الجحيم وهذا الفردوس لتجد لك فيه أي في هذا الشيء عملاً ووظيفة وملهاة ولعبة، ولتجد فيه أيضاً أي في هذا الشيء آخرين حولك ومعك وداخل عينيك لئلا تكون وحيداً أي إن كانت حاجتك إلى ذلك هي التي ألهمتك وألزمتك أن تخلق جحيمك وفردوسك بنزلائهما وأوصافهما. ؟

جريمة وسفاهة هما أكبر من كل الجرائم والسفاهات إن كنت تستطيع وتعرف أن تخلق هذا البديل، وجهل وضعف هما أجهل وأضعف من كل ضعف وجهل إن كنت لا تستطيع أو تعرف أن تخلق هذا البديل. !

ما أقسى وأردأ الخيار أمام من لا بدَّ أن يراك إما فاعلاً وعاشقاً لأكبر الجرائم والسفاهات وإما متصفاً ومحكوماً بأجهل وأضعف الجهل والضعف. !.

هل يمكن أن يوجد كائن هو اما كل هذا الإجرام والسفه وإما كل هذا الجهل والضعف وإما كل هذا وكل هذا سواك يا إلهي؟ بائسة هي العقول والأخلاق والقلوب والعيون التي تريد أو تحاول أن تراك أو تقرأك أو تقبلك أو تحبك أو تفهمك. !

... نعم، يا إلهي أرجوك مكرراً أن تسمع مني هذا السؤال الصادق الساخن

البريء: ما الذي كنت تخشى وتتوقع وتحسب أن تخسره لو أنك لم تحقر وتلوث عقلك وضميرك وفنونك وأخلاقك ويديك وعينيك وتاريخك وكل تفاسيرك بإرادتك وتدبيرك وتخطيطك وخلقك لجحيمك الذي زعمته عقاباً ولفردوسك الذي زعمته ثواباً؟ كيف عجز خيالك يا إلهي عن أن يتصور عقاباً غير هذا الجحيم أو ثواباً غير هذا الفردوس؟

. . . كم أتمنى يا إلهي أن تصدقني وتثق بي وتسمع مني ولو هذه المرة الواحدة حين أؤكد وأقسم لك أنك لن تخسر شيئاً لو لم تفعل ما فعلت أي في قضية جحيمك وفردوسك. . . هل أنت بسيط وساذج إلى الحضيض الذي يجعلك لا تفهم ذلك؟

فظيع، فظيع أن تكون كذلك.

. . . نعم، أرجوك، صدقني وثق بي واسمع مني ولو في هذه القضية فقط. إذن هل أنتظر منك أن تندم وتأسف وتتراجع وتصدق وتثق وتسمع فتلغي وتهدم جحيمك وفردوسك معلناً أنك كنت ساذجاً ومغفلاً جداً حينما حسبت أنك بدونهما تخسر شيئاً، أي شيء؟

. . . آه. ما أجمل وأعظم وأنفع أن يتعلم الإله من الإنسان. وما أقبح وأردأ وأخسر أن يتعلم الإنسان من الإله. !

ما أتقى وأذكى الإله الذي يتعلم ويسمع من الإنسان وما أجهل وأقسى وأغبى الإنسان الذي يتعلم ويسمع أو يريد أن يتعلم ويسمع من الإله.

إن كل حضارة ومعرفة لم تولدا أو توجدا إلاّ حينما كان الإله يتعلم ويسمع من الإنسان. وإن كل بداوة وجهالة لم تولدا أو توجدا أو تبقيا أو تعظما أو تنتصرا إلاّ حينما كان الإنسان يتعلم ويسمع من الإله. !

إن كل المعارف والحضارات إنما تعلمها الإنسان من الإنسان، وإن كل الجهالات والحماقات والبلادات والبداوات إنما تعلمها الإنسان من الإله، من منطق الإله وأخلاقه وفنونه ونظامه وغرائزه وتخطيطاته ومن بداواته التاريخية والكونية والتكوينية بل والنفسية. !

ولكن أليس الإله هنا مظلوماً ومكذوباً عليه ومكذوباً به؟

أليس الإله هو أبداً متعلماً لا معلماً؟

أنت كل العقل لأنك كل الجنون

كل شيء فيك يا إلهي يصنع أقسى الغيظ والغضب والانفجاع والأسى لمحاوريك وقارئيك ومحاسبيك ومحاكميك أي لو وجدوا..!

... أنت فاجع لكل من يريدون أن يروك أو يفسروك بشيء من المنطق أو الأخلاق أو الاتزان أو الجمال أو النظام أو الحب. ولكن هل وجد هؤلاء؟

أنت بكل صيغك وتفاسيرك وفنونك وحساباتك وضرباتك ومصافحاتك هازم ومحرج لكل من يريدون أن يهبوك أي شيء من احترامهم أو تعظيمهم أو توقيرهم أو حتى من الصمت عن اشمئزازهم واستقباحهم..

... إنك يا إلهي الكائن الذي لن يجد فيك أي باحث عن الجمال أو الذكاء أو العقل أو التعقل أو الفن أو الحب أو الشهامة أي شيء مما يبحث عنه..!

... إن كل العيون لو تجمعت في عيون واحدة لترى فيك أي قدر أو لون من الجمال لما استطاعت أن تراه حتى ولو ركبت فيها كل العيون الصناعية.!

... وإن كل العقول لو تجمعت في عقل واحد ليجد فيك أي لون أو قدر من العقل لما استطاع أن يجده..

... وإن كل القلوب المحترقة بالحب وشوقاً إلى الحب وإلى ما يصنع الحب ويرويه لو تجمعت كلها في قلب واحد ليداوي بك وليصب فيك كل حبه لما استطاع أن يجد فيك أي شيء يهبه أي شيء من حبه أو يطفئ أي شيء من حرائق حبه أو حتى يحاوره أو يحدق فيه حبه..!

... وإن مفسري الشهامات لو تجمعوا ليقرأوك ويفسروك ويحاسبوك لكي يجدوا فيك أي تفسير من تفاسير الشهامة ولو احتمالاً وتمنياً لما وجدوا أي شيء من ذلك، بل

لوجدوا كل النقيض بكل القبح والقسوة والافتضاح والشمول والوقاحة حتى ولو تعلموا من أنبياء وشعراء وخطباء وأدباء ومفكري العرب تفسير كل شيء رديء بنقيضه. !

... إنك الكائن السحري الذي قد أصبح كل الجمال والحب والذكاء والعقل والأخلاق والشهامة، أو الذي رأى واعتقد كل ذلك لأنه لم يكن فيه أي شيء من ذلك، بل لأنه كان النقيض الحاد الشامل لكل ذلك!

... إنك الساحر الذي صنع وعلم مسحوروه ساحرهم سحره. !

... إنك الكائن الذي لم تفقد العيون والعقول والأخلاق والضمائر كل صدقها وشرفها وذكائها وكبريائها وبسالتها ورؤيتها وشهامتها وجميع وظائفها بل ولم تصبح نقيضاً لكل ذلك إلاّ في رؤيتها وفهمها وتفسيرها وقراءتها ومعاملتها ومخاطبتها واحترامها لك وفي زعمها أنها قد وجدتك حينما حاورتك أو ساءلتك أو انتظرتك أو أنها احترمتك أي حينما علمت أن تحترمك وأرادت وأحبت واحتاجت واشتاقت أن تحترمك أو زعمت ذلك!

... نعم، يا إلهي إن إحدى التهم الكبرى الموجهة إليك أو التي يجب أو لا بدَّ أن توجه إليك هي أنك مجنون، ولا بدَّ من الاعتذار هنا إلى جميع المجانين لأنهم لا بدَّ أن يشعروا أنهم قد ظلموا وأهينوا أكثر مما يستحقون حين تحسب يا إلهي واحداً منهم. إن جنونك يا إلهي ليس هو الجنون الطيب المعقول الذي يداويه ويحكمه الأطباء والعقلاء بل الذي يباركه ويوزعه الأطباء والعقلاء.

... هل يستطيع أي مجنون مهما كان جنون جنونه أن يقدر أو يقرر هذا الثواب والعقاب اللذين قررت وقدرت لمن رأيت وزعمت أنهم عبدوك وأفرحوك، ولمن رأيت وزعمت أنهم لم يفعلوا لك وبك ذلك؟

... الخلود في جحيمك أو في فردوسك لهؤلاء وهؤلاء بلا نهاية أو توقع نهاية، بلا حساب للزمان بل بلا زمان يحسب أو يتحرك أو يصنع أملاً في أي تغيير أو تراجع أو انقضاء. لقد مات الزمن، مات. وإذا مات الزمن فلا نهاية لشيء لا نهاية لأي شقاء أو سعادة.

... من ابتكر لك أو علمك أو ألهمك هذا الثواب والعقاب أو فكّر لك فيهما؟ وهل يمكن أن يوجد أي مبتكر أو معلم أو ملهم لذلك أو مفكر فيه حتى ولو كان أعظم مجنون أو أعظم عاقل مجنون أو أعظم عاقل عبقري في تصوره وتعليمه وتخطيطه وصياغته للجنون؟

من هذا الماكر الأعظم الذي استطاع أن يدس على عقلك وضميرك وأخلاقك واتزانك فكرة هذا الثواب والعقاب؟

. . . أجل، إن أردأ وأعظم الجنون لا يستطيع أن يصنعه أردأ وأعظم المجانين، وإنما يصنعه ويريده أردأ وأعظم العقلاء أو من يزعمون كذلك. ! . إن أعظم العقلاء هم وحدهم الذين يخططون لأعظم الجنون!

. . . أليس العظماء العقلاء في كل التاريخ هم أعظم جنوناً من كل المجانين؟

بل أليس العظماء العقلاء هم كل المجانين في كل التاريخ، في كل المجتمعات؟

أليس ما صنعه عظيم عاقل واحد من الجنون في لحظة واحدة من لحظات التاريخ لا يستطيع جميع المجانين في كل التاريخ أن يكتبوا أو يقرأوا أو يفسروا سطراً واحداً من سطوره أو أن يصبحوا سطراً واحداً من سطوره؟

نعم، أليس العظماء العقلاء هم صانعي ومعلمي ومصدري كل الجنون؟

. . . إذن لن ينتظر أعظم الجنون إلاّ من أعظم العقلاء أي من يحسبون ويفسرون كذلك؟

. . . فهل بهذا التفسير جاء جنونك يا إلهي أعظم جنون بل أعظم جنوناً من كل جنون؟ هل جاء جنونك كل الجنون لأنك لك العقل والضخامة والقوة؟

أو هل أردت أن تكون كل الجنون لأنك تريد أن تكون كل العقل والقوة والضخامة؟

أو هل فسرت بكل الجنون لأن مفسريك يريدونك كل العقل والضخامة والقوة؟

. . . إن كل الطغاة القتلة المجانين قد رضي واكتفى وشبع طغيانهم المجنون بأن يكون القتل أي الإعدام أي سلب الحياة من الكائن الحي هو أعلى وأقسى عقاب لأقسى وأعلى ذنب أو خطيئة أو جريمة، ولأبشع تمرد وخروج عليهم وعلى نظمهم وقوانينهم وحكمهم، بل هو أعلى وأقسى عقاب لمحاولة قتلهم بل لقتلهم وللكفر بهم وللدعوة إلى الكفر بهم.

ولعل الكثيرين من هؤلاء الطغاة المجانين كانت ضمائرهم أو عقولهم أو أخلاقهم أو حتى وحشيتهم تعاقبهم أو تشاتمهم أو حتى تعاتبهم أو تسائلهم أو تطالبهم بالتوبة والاستغفار والندم والاشمئزاز حين كانوا ينفذون هذه العقوبة أو يأمرون بتنفيذها، مع أنهم حينما يفعلون ذلك أي الإعدام زجراً أو عقاباً إنما يفعلونه تحت رهبة الخوف

وإملاء الضرورة والاحتياج إلى حماية الذات أو السلطان أو النظام أو القانون أو العقيدة أو المجتمع الذي يريدونه ويحكمونه. !

... حتى أنت قد جعلت القتل أي الإعدام في شرائعك وكتبك التي أنزلت علينا هو أقسى وأقصى عقوبة لأكبر وأخطر وأردأ ذنب وإجرام...

إنك لم تطالبنا أو تشرع لنا بأن نعاقب عقاباً أكثر من القتل أو مع القتل..

لم تقل لنا عذبوا القاتل أو العاصي أو الكافر أو المجرم بالنار بدل الإعدام أو مع الإعدام.

... فلماذا إذن لم تجعل القتل أي الإعدام هو الحد الأقصى لأي عقاب؟

كيف خرجت في جنون وقسوة عقابك على كل ما عرف وفعل وأقرّ كل المشرعين والمعاقبين حتى أعظمهم جنوناً وطغياناً واحتياجاً إلى الإرهاب والإذلال وتوكيد السلطان مع أنهم هم محتاجون إلى أن يوقعوا العقاب والقسوة وأنت لست محتاجاً إلى ذلك كما تزعم؟ هم محتاجون إلى ذلك دفاعاً عن أنفسهم وإرادة لها. فهل أنت كذلك؟

إن كل من جمعت في الحياة الثانية قد عاقبتهم أقسى عقوبة يعاقب بها أكبر ذنب وكل ذنب. لقد قتلتهم، أعدمتهم موتاً.. لقد عاقبت بهذه العقوبة حتى من لم يبلغوا طور من يعدون مذنبين. !

.. إذن لماذا خرجت على كل القوانين والأديان والأخلاق والعدالات والتقاليد وذهبت تعد لهم عقاباً آخر في الجحيم، الجحيم الذي لن تستطيع كل النفوس والعقول والأخلاق والتمنيات المريضة الحاقدة الشريرة العدوانية بكل الوحشية أن تتصور مثله أو أن تتقبله عقاباً لأي مذنب أو لأي عدو؟ صعب جداً أن نتصور كيف أمكن أن تولد صور هذا الجحيم في أي خيال...

... وأنت لم تعاقب هؤلاء الذين تريد أن تحاسبهم لتعاقبهم، لم تعاقبهم بالموت أي بالقتل فقط الذي هو أقصى عقاب لأكبر ذنب، بل لقد أوقعت بهم كل ألوان وأكوان العقوبات بل العدوانيات قبل أن تعاقبهم بالقتل...

أنزلت بهم أقسى وأوقح وأقبح وأنذل الأمراض والعاهات والتشوهات والمجاعات والمخاوف والهموم وكل الشرور والآلام..

وشر من كل ذلك أنك حكمت عليهم وأعلنت حكمك عليهم جميعاً بالإعدام منذ وُلِدوا ليعيشوا ويتحركوا تحت رهبة وتوقع التنفيذ لهذا الحكم عليهم في كل

لحظاتهم. . . ليترقبوه متطلعاً مهدداً حاملاً كل الأسلحة وكل أدوات ومركبات القتل والتعذيب، متسللاً مهاجماً مخترقاً زاحفاً نافذاً من كل الآفات والأبواب والنوافذ والشقوق. . .

من كل ما يرى ويلمس ويواجه ومن كل ما لا يرى أو يلمس أو يواجه. . .

من كل ما يؤكل ويشرب ويشتهى ويراد. . . من كل ما يصنع الفرح والنشوة والسعادة من كل رقصات القلب وخفقاته وهمساته وخطواته ونداءاته. . .

. . . ليترقبوه متلصصاً متنكراً حتى في ضحكات السحاب وقطراته وابتساماته وفي حنين الأنهار وحنانها، في تقبيل واحتضان الزهرة واستنشاق شذاها، وفي هبات النسيم ونداه. وفي أصفى وأتقى معانقة حب وحنان. . .

. . . إنه لا يمكن وجود أو حتى تصور إرهاب قذر نذل سفيه مهين مثل أن يكون كل كائن حي مهدداً، وهو يعلم، كل لحظات حياته بأن ينفذ فيه حكم الإعدام، بكل أساليب وأدوات الإعدام وبشر الأساليب وشر أدوات الإعدام. . . ينفذه فيه كل شيء، حتى أعضاؤه وغدده وخلاياه وثيابه قد تنفذه فيه أية لحظة، شاهرة معلنة أو مخفية كل أسلحة التنفيذ، تنفيذ الإعدام؟

هل يمكن وجود أو حتى تصور كائن متوحش نذل وقح عدواني مثل الكائن الذي يدبر ويريد ويفعل هذا الإرهاب، أو كائن بائس محطم معتدى عليه مثل الكائن الذي يواجه هذا الإرهاب منفذاً فيه بكل الحتم والقبح والقسوة؟

لنتصور هذا:

كائن يذهب يصنع لنا أعظم الأشياء في زعمه لكي نسعد ونفرح ونتحول إلى شكر وحب دائمين خالصين له كل أوقاتنا. بكل طاقاتنا.

. . . إنه يضعنا في غرفة مملوءة ومحاطة ومحاصرة بالحشرات والجراثيم والوحوش والحيوانات الجائعة المفترسة بلا أية حراسة أو وقاية من أي نوع، لنكون وحدنا غذاء وفرائس هذه الكائنات. وإنه أيضاً ليضعنا في سفينة سابحة في الفضاء مسددة إليها كل الأوقات من كل الجهات كل أجهزة وقذائف الإسقاط والتفجير والتحريق والمطاردة والقتل والإرهاب. والسفينة بلا أية حماية أو مساعدة من خارجها. !

ليتك تستطيع أن تعلم يا إلهي المنان بما يجب أن تذم وتعاقب عليه لا بما يمكن أو يجوز أن تمن به أو تطالب بالشكر أو بالحمد له.

ـ نعم، يا إلهي ليتك تستطيع أن تعلم أو حتى تفهم حينما أقول لك: إن جميع هؤلاء الذين جمعتهم هنا بكل مشاعر المن والتفضل لتتحدث إليهم عن نعمائك وحقوقك عليهم، ولتحاسبهم وتعاقبهم على أخطائهم وخطاياهم التي قدمتها إليك وقرأتها عليك أجهزة مخابراتك وجاسوسياتك، لم يكونوا في حياتهم الأولى التي تريد أن تعاقبهم وتحاسبهم عليها بكل مشاعر المن والتفضل والكبرياء والجبروت ـ لم يكونوا إلاّ مثل هؤلاء الذين وضعوا في هذه الغرفة ومثل هؤلاء الذين ألقي بهم في هذه السفينة، بل لقد كانوا أردأ وأسوأ حظاً ووضعاً وأقسى إرهاباً وتعذيباً..

لقد كان وجودهم إرهاباً وعقاباً وإذلالاً وترويعاً شاملاً دائماً بكل الأساليب والوسائل.

... لقد كانت حياتهم ووجودهم أسلوباً رهيباً شاملاً دائماً من أساليب الإرهاب والعقاب لا شبيه له في جميع أساليب الإرهاب والعقاب...

... إن حياتهم ووجودهم لم يكونا شيئاً يمكن أو يجوز أن يطالب له بثمن أو أن يدفع له أي ثمن أو يستحق أي ثمن أو أن يمن أو يباهي به أي كائن مصاب بأقسى أمراض المن والمباهاة مثلك يا إلهي المصاب بكل الأمراض المعروفة وغير المعروفة والتي لا يمكن أن تصبح معروفة بل التي لا يجوز أو يعقل أو يغفر أن تصبح معروفة. !

بل لقد كانت حياتهم ووجودهم تحت كل الصيغ والظروف والمستويات إرهاباً وعدواناً وتحقيراً وتحطيماً ودمامات وتوقعات ومهانات لا تستطيع كل العقوبات أن تكون شيئاً قليلاً من العقاب الذي يستحقه الكائن الذي تصور وأراد ودبر وخطط ونفذ حياتهم ووجودهم ليجيئا كما جاءا، أي من العقاب الذي تستحقه أنت يا إلهي الذي لا مثيل له متهماً ومجرماً ولا مثيل له بريئاً.. يا إلهي الذي لا مثيل له براءة ونظافة إن لم يكن موجوداً، والذي لا مثيل له إجراماً وقبحاً وتلوثاً وخسة وعدواناً لو كان موجوداً. !

ومرة أخرى لنقرأ هذا:

كائن فرض الوجود على كائن حي آخر دون أن يستأذنه أو حتى يخبره، وأمره أن يحيا وأن يحافظ على حياته وأن يستمسك بها مهما كان قبحها وعذابها وهوانها ونذالتها، بل مهما كانت ذلك فقط..

ثم حوله إلى هدف مكشوف من كل جهاته، ثم سدد إليه كل السيوف والسهام والرماح والخناجر وكل وسائل القتل والتشويه والتجريح، قابضة عليها أيد باطشة متحركة عدوانية، وأطلق عليه كل ما يصيب بكل الأمراض والعاهات والآلام والمآسي

والمخاوف وجميع الاحتمالات والتوقعات الرهيبة الكئيبة ثم بالموت المنتظر في كل اللحظات. .

إنه في كل لحظاته أين كان يتوقع كل أنواع الإصابات والضربات من كل الأيدي التي لا ترى.

. . هل يمكن تصوّر مجرم أو سفيه وقح مجنون يستحق كل العقاب والسباب والاحتقار مثل من يفعل ذلك؟

ألست يا إلهي أنت وحدك الفاعل لذلك؟ إن أحداً سواك لن يستطيع أو يريد أو يتقبل أن يفعله مهما كان هبوطه الأخلاقي والعقلي والإنساني تحت كل حضيض.

إني يا إلهي في هذه اللحظة والقلم في يدي ليخط هذه الكلمة موجهة إلى كل الأيدي كل الأسلحة الضاربة والجارحة والمشوهة والقاتلة التي لا ترى!

إن الحياة التي يحياها أو التي كان يحياها كل الأحياء ليست إلاّ نموذجاً بائساً وأليماً لحياة هذا الكائن الذي فرضت عليه الحياة أو أوقعت به الحياة أو زرعت فيه الحياة أي في هذا التصور الذي تصورناه. .

إن هذه الحياة في الواقع نموذج رهيب لهذه الحياة في التصور بكل آلامها وأخطارها ومخاوفها وهوانها وقبحها وتشوهاتها وخسرانها وبكل توقعاتها ونهاياتها العابثة السخيفة الذليلة وبكل تفاسيرها التي ليست لها أية تفاسير.

كفى تعبيراً عن قسوة وجرائم وعدوان وجهالة صانع وواهب هذه الحياة، إنه لا يستطاع التخلص أو الحماية من فظاعاتها هذه إلاّ بالضربة الأخيرة القاتلة. ! . . ولكن التعود الطويل، الطويل عليها بالرؤية والممارسة والالتزام وبالتعاليم. . والتفاسير والمدائح لها وبعنف ضغوطها وإملاءاتها المتوحشة المذلة القاهرة لكل رفض واحتجاج واشمئزاز وتفكير ومنطق بل ولكل تساؤل.

ـ نعم، ولكن هذا التعود الطويل الأليم المذل جعل الذين يحيونها لا يرونها، بل جعلهم يرونها في غير أزيائها وثيابها وذاتها. . جعلهم يرون وجهها في كل المرايا غير وجهها. . يرون وجوهاً كثيرة ليس وجه واحد منها.

هو وجهها. . . لماذا ابتكرت وحمدت المرايا وخلقت العيون؟ أليس لكي ترى الأشياء والوجوه غير الأشياء وغير الوجوه أي أجمل وأعظم؟

هل يوجد من يريد أن تكون العيون والمرايا صادقة أي ترى ما ترى بلا تزوير؟

. . . نعم، كم هو قليل أو نادر أو شاذ جداً أن يرى الكائن الحي مهما كان طوره التكويني والذاتي بعينيه أو بمنطقه أو بأخلاقه أو بنماذجه أو بكرامته أو بكبريائه أو حتى بتعاليمه وشعاراته، أو كم هو مستحيل. !

. . . ولكن كم هو محتوم أن يرى باحتياجاته ومجاعاته وبضروراته وآلامه وأعصابه ومخاوفه ومواجهاته وبذنوبه وهمومه وبعاره وهوانه وهزائمه، أو كم هو محتوم أن يرى بها وحدها. !

. . كم هو محتوم أن يرى الكائن الحي العاقل والصادق جداً، بخطوات يديه ورجليه وبآلام يديه ورجليه وبأهواء واتجاهات يديه ورجليه أكثر وأعمق مما يرى بعينيه، بتحديق عينيه، بمواجهة عينيه، بقدرة عينيه على الرؤية؟

إن العيون ترى بالأقدام والأيدي أكثر من العكس أو دون العكس. !

. . . كم هو محتوم أن يرى بآلام وتشوهات وقدرة قدميه أقوى وأقسى مما يرى بقوة الإبصار في عينيه. . .

. . . أن يرى برغبة عينيه أكثر وأحد وأصدق مما يرى برؤية عينيه. . هل العيون عيون أم هي جهاز ضد العيون؟

هل العيون للرؤية أم هي حارس من الرؤية؟ هل يوجد من يطيق أن يرى مهما رأى؟

. . . إن الألف الطويل يقتل أو يضعف أو يفسد الانفجاع والاندهاش والاستنكار والاشمئزاز والتعجب والغضب بل والرؤية والتساؤل. إن الألف الطويل إذلال وترويض وإسكات بل وإغلاق لكل تحديقات الإنسان الشجاعة المحاورة المحاكمة. إنه هزيمة شاملة للإنسان لكي يرى كل دميم وذميم جمالاً وكمالاً. .

. . . إنه يصنع علاقة صداقة وشوق ورضا وتوافق بل وأحياناً يصنع علاقة حب وإعجاب وانبهار وتعبد بين الكائن وبين أقبح وأوقح وأردأ وأنذل وأغبى الأشياء. إنه لولا الألف لما استطاعت العيون أو العقول أن ترى أو تعقل أو تقبل أو تحترم أو حتى تغفر. . . !

. . . ماذا يساوي جمال أو ذكاء أو عظمة أو نظافة أو ضخامة أو نفع كل الأشياء أو أكثر الأشياء أو أي شيء لولا طول ألفنا له بالرؤية والمواجهة والممارسة والسماع والتعاليم والتلقين المختلف الصيغ والملقنين؟

... حدق في وجه الإله وفي عضلاته وعقله وأخلاقه وتاريخه..

حدق في عيني الإله وفي ضميره وقلبه وذاته وأزيائه.. حدق، حدق.

... هل يمكن أن ترى أو تجد أي شيء من الجمال أو الذكاء أو القوة أو الحب أو المجد لولا ألفنا الطويل لرؤية ومواجهة وممارسة ومعايشة كل الدمامات والبلادات والتشوهات والهاهات والخطايا والنقائص مزعومة هي أعلى مستويات جمال الإله وذكائه وأخلاقه وقوة عضلاته، وكذلك لولا ألفنا الطويل للاستماع إلى الامتداح والتمجيد المجنون لكل هذا الذي نرى ونواجه ونمارس ونعايش، وللاستماع إلى التهاويل، التهاويل في امتداح وتمجيد جمال وجه الإله، وذكاء عقله، وقوة عضلاته، ونبل أخلاقه وتاريخه؟ هذا الإنسان العادي الذي يرهب التحديق في وجه الإله خوف أن يصعق انبهاراً بجماله كيف ومتى رأى وجهه وجماله؟

.. حدق في أي شيء، في أجمل وأعظم شيء.. حدق في عمليات التوالد أو في علاقات الأمومة والأبوة، أو في الممارسات الجنسية أو في الجسد الإنساني وفي أعضائه الظاهرة والمستترة، أو في المائدة الضخمة الشهية التي تعني حتماً الذهاب بهوان واستسلام ومسكنة إلى مكان الاستفراغ لأنها أي المائدة تتحول إلى فضلات تستفرغ بمذلة واستقذار واستحياء واختفاء...

آه. ماذا تعني المائدة؟ إنها تعني حتماً الذهاب إلى ذلك المكان الوقح البذيء.!

... حدق في الإنسان مصلياً راكعاً ساجداً باكياً متضرعاً قارئاً كتابه المقدس..

... حدق فيه محارباً منتصراً أو منهزماً، مباهياً بانتصاره أو منكسراً ذليلاً بانهزامه..

... حدق فيه مصادقاً أو معادياً، ملاعناً أو مادحاً، محباً أو مبغضاً..

... حدق فيه حزيناً أو مسروراً، ضاحكاً أو باكياً، راثياً أو شامتاً، هاجياً أو هاتفاً، مريضاً أو صحيحاً، طفلاً أو شيخاً، عزيزاً أو ذليلاً.

... حدق فيه واقفاً أمام المرآة، أمام نفسه، أمام وجهه، محدقاً في تحديقه. حدق فيه محدقاً في وجهه واجداً فيه كل الجمال والمجد والعظمة والسحر..!

حدق فيه محدقاً إلى المرآة محاوراً مغازلاً متضرعاً لها واجداً فيها كل الحكم عليه وكل الحكم له...

... حدق فيه فوق مهده، فوق نعشه، في ثيابه، في كفنه..

. . . حدق فيه فوق عرشه أو فوق أرضه، قيصراً أو رعية . .

. . حدق فيه كاسياً أو عارياً، نائماً أو مستيقظاً، مشوهاً أو سليماً، نحيلاً أو بديناً . .

. . . حدق في الشموس والنجوم والمجرات وفي الأنهار والسحاب والحقول .

. . . حدق فيها عاملة نفسها متعاملة مع غيرها ذاهبة آتية بلا أشواق أو أهداف دون أن تريد أو تدري أو تستطيع أن تكون أو لا تكون. دون أن تعرف ماذا تفعل ولا لماذا تفعل ولا لمن تفعل ولا من جعلها تفعل ولا لماذا كانت أو متى كانت أو مما كانت. دون أن تستطيع أن تقبل أو ترفض تحب أو تكره أو حتى تسأل أو تختار شيئاً من كينوناتها أو من معاملاتها أو علاقاتها أو متى ينتهي هذا التسخير السخيف العابث لها وهل ينتهي وهل يستفيد منه أحد، ومن هو هذا الأحد الذي من أجل تحقيق فائدته أو بحثاً عن فائدته أو رجاء أن يستفيد من ذلك تسخر هذا التسخير الذليل الضخم السخافة والغباء والسفه . .

حدق فيها ناظرة بكل البله والعمى إلى من يتعاملون بها ويبصقون عليها كل أوحالهم وقبحهم.

حدق، حدق في قلبك وضميرك ونياتك وأخلاقك وأعضائك وثيابك وفي آبائك وأبنائك وأربابك وأنبيائك وزعمائك وفي بداياتك ونهاياتك . . .

. . . حدق في إيمانك وكفرك، في شكك ويقينك، في تقواك وفجورك، في مذهبك وفي عدائك المذهبي، حدق جداً في عيني إلهك اللتين تريان كل شيء، كل هذا كل الأوقات دون أن تتقاطر منهما دمعة واحدة في أي موقف!

. . . حدق في بيتك وقبرك، في معبدك وملهاك، في عرسك ومأتمك . .

حدق في عيني الإله المحدقتين في كل هذه الآلام والتشوهات والمهانات والنذالات والذنوب بلا أية رؤية أو انفجاع واعتذار أو تصحيح أو غضب أو حتى أسى أو دمعة . !

آه يا عيني الإله. هل يوجد مثلكما بلادة وقسوة وعمى؟ آه يا عيني الإله.

. . . نعم، حدق في كل ذلك وانظر ماذا ترى أو تجد لولا ألفك الطويل لكل ذلك رؤية وممارسة وتعليماً وتمجيداً بل وتديناً وإيماناً . .

لولا عجزك عن أن ترى أو تقرأ أو تسأل أو تحاسب أو تشترط؟!

نعم، ماذا لو أنك رأيت الإله يرى كل هذا دون أن يفعل شيئاً بل أو يحزن أو يفجع أو يبكي؟

إذن لماذا النار والعقاب بالنار وأنت قد عاقبت كل المذنبين ومن لا ذنب لهم بالموت أي بالقتل وهو أقصى عقوبة لأعظم ذنب في الشرائع والقوانين التي رآها وقررها ونفذها أرحم وأتقى الأنبياء والمؤمنين وأقسى الطغاة والجبارين؟ إنك بالموت قد استوفيت كل ما لك من حقوق وشهوات في القصاص والعقاب، أو كل ما تزعمه لنفسك من ذلك دون أي احتمال بأن يكون زعماً معقولاً أو مغفوراً. وهل يمكن أن يكون لك أي حق على أي شيء أو على أي أحد؟ إن كل الحقوق عليك وليس منها شيء لك.

. . . والمأساة الكبرى أو الجريمة الكبرى إنك لم تعاقب كل المذنبين وكل من لا ذنب لهم بهذا العقاب وحده. بل لقد جعلت كل حياتهم من بدايتها حتى نهايتها سلسلة شريرة متواصلة الحلقات بل مركبة الحلقات من العقوبات بل الاعتداءات المتعددة المتنوعة الأساليب والصيغ والأسلحة والضربات والأيدي الضاربة حتى لقد جعلت الموت أي القتل أي قتلك لكل كائن حي هو قمة رحمتك ونبلك وحبك المنقذ من شرور هذه العقوبات والاعتداءات. !

وإني هنا لأختار لك هذه التعريفات الصادقة والأليمة جداً:

إنك الكائن الذي لا ينقذ من عدوانه وتعذيبه وعقابه إلاّ قتله أي إلاّ أن يكون قاتلاً. .

. . أو إنك الكائن الذي لن يستطيع أن يكون رحيماً إلاّ بأن يكون قاتلاً. .

. . . أو إنك الكائن الذي لن ينتظر أحد رحمته إلاّ بأن يقتله. . .

بالقتل، أو الكائن الذي لا تكتمل رحمته أو يبلغ قمة رحمته إلاّ بأن يقتل ضحيته. !

. . . أو أنك الكائن الذي لن ينتفر أحد رحمته إلاّ بأن يقتله. .

الذي لن ينجو أو يأمن أي كائن من غدراته وضرباته إلاّ بأن يضربه الضربة القاتلة. .

. . . أو إنك الكائن الذي لا خيار له إلاّ في أن يكون محارباً معادياً مهدداً أو في أن يكون قاتلاً. إلاّ في أن يخيف ويهدد ويؤذي ويجرح ويضرب أو يقتل. !

. . . أو إنك الكائن الذي لا يستطيع أن يرى كائناً إلاّ معذباً مفجوعاً مروعاً أو

مقتولاً.. الذي لا بدَّ أن يضرب ويستمر يضرب كل أحد وأي أحد دون أن يتوقف عن الضرب أو يتعب من الضرب حتى يقتله؟

... أو أنك الكائن الذي لا يشفي أحقاده على الأحياء إلاّ بأن يقتلهم..

... أو إنك الكائن الذي حرم من كل متعة، متعة الطعام والشراب والنوم والجنس والصداقة والحب والأصدقاء والأبناء والأقرباء، ومن الاستمتاع بأي نوع من المهدئات أو المسكنات أو المنومات أو المفرحات، فحاول أن يعوض عن حرمانه هذا، فذهب يضرب ويضرب ويظل يضرب حتى يقتل وحينئذ يندم على القتل لأنه يحرمه من أن يضرب ويضرب ويظل يضرب، إذن فالعلاج أن يذهب يخلق كائنات حية جديدة أخرى لكي يظل يضرب ويضرب ويضرب. ألست تكرر الخلق لكي تكرر الضرب؟

.. أو إنك الكائن المفتون بممارسة الرياضة البدنية والعقلية والنفسية بل والأخلاقية دون أن يجد وسيلة يمارس بها غوايته هذه غير أن يذهب يضرب ويضرب بكل عضلاته وقدراته وانفعالاته كل أوقاته على كل الاتجاهات بلا هدف أو تحديد أو تسديد أو منطق أو اختيار أو تفسير أو تنظيم... يضرب، يضرب من لا يحتمل أن يحسب مستحقاً وتخطئ ضرباته من قد يحسب مستحقاً جداً.. يفقأ العين ويقطع أو يشل اليد اللتين يزعم أنهما يجب أن تسلما وتحميا، ويخطئ العين واليد اللتين يزعم ويرى أنهما يجب أن تضربا وتفقدا... يضرب اليد التي تشيد المعبد له وتكتب كتابه المنزل ويخطئ اليد التي تهدم المعبد وتحرق كتابه المنزل.. ولكن دون أن ينجو أحد من جميع ضرباته المطلقة بل المنطلقة بلا تحديد أو تسديد أو رؤية أو فكرة. هل حدث يا إلهي أن تركت أحداً أو حتى أخذت أحداً إليك دون أن تضربه ولو الضربة القاتلة؟

... نعم، إن ضرباتك كضربات الطبيعة. إنها تنطلق منك ولا تطلقها كما تنطلق ضربات الطبيعة، لهذا فإنك والطبيعة تضربان بلا تحديد أو تسديد أو رؤية أو فكرة وبلا أي هدف مقصود أو مختار أو معروف أو مرئي.!

... ومن يضرب بهذا الأسلوب والتفسير فلا بد أن يضرب نفسه. والطبيعة لهذا تضرب نفسها بل لعلها لا تضرب إلاّ نفسها. فهل أنت أيضاً يا إلهي تضرب نفسك؟ ولعلك تقول وهل يوجد ضارب لنفسه مثلي أو غيري.!

... إن جميع تصرفاتك تدل على أنك مضروب، مضروب وأبداً تضرب ضربات مخربة معوقة مفسدة لكل حالاتك ومستوياتك وقيمك النفسية والعقلية والأخلاقية والعصبية..!

إنه ليس هناك أي احتمال بأن تكون سوياً أي بأن تكون غير مضروب ضربات هادمة مشوهة لكل نماذج ذاتك ومعانيها وتعبيراتها. . !

وهل يمكن أن يكون ضاربك غيرك أو أن تكون ضارباً غير ذاتك؟

إنك مهما ضربت غيرك فإنك لست ضارباً إلاّ نفسك وأنه مهما كان المضروب غيرك فإنه ليس إلاّ إياك أي فإنك أنت المضروب وحدك.

. . . ان من يضرب يديه وعينيه وعقله وتخطيطه وتدبيره وإرادته وعمله فلن يكون ضارباً إلاّ نفسه. إذن فأنت أيها الإله حينما تضرب أي شيء فلست ضارباً إلاّ يديك وعينيك وعقلك وإرادتك وتدبيرك وتخطيطك وإبداعك أي ما عملت وفعلت وبنيت. ألست أنت المستفرغ على ذاتك وعلى جميع معانيك وحينما تستفرغ أية حشرة أو جرثومة على أي شيء؟

. . . كذلك أي كائن غيرك حينما يضرب أي شيء أو أحد في هذا الكون فلن يكون ضارباً إلاّ يديك وعينيك وأذنيك وعقلك وقلبك وتدبيرك وتخطيطك وإرادتك وأعمالك وإنجازاتك وفنونك. !

كذلك فإن كل من يكره أو يلعن أو يحتقر أو يعيب أو يذم أو يهدم أو يقتل أي شيء أو أي أحد أو أي كائن حتى ولو كان حشرة إنما يفعل ذلك بك أنت، بكل معانيك التي أرادت وشاءت ودبرت وخططت وصاغت كل شيء وكل أحد. إذن كم أنت مضروب ومسبوب ومكروه ومحقر ومذموم ومهدوم ومقتول. !

آه يا إلهي كم أقاسي من العذاب والخجل حين أعتقد أو أحسب أنك محتاج إلى أن أعلمك ذلك وأحاول بكل المعاناة والحماس أن أقنعك به. !

. . كم أقاسي من ذلك حين أجدني معلماً لإلهي وأجد إلهي محتاجاً إلى أن أعلمه. ؟ . . . كيف يمكن أن تكون رؤيتي لنفسي حين أجد أن إلهي محتاج إلى أن يعلم مثل ذلك ويقنع به لأنه لم يستطع أن يعلم بلا معلم ما لا يستطاع جهله؟

أليست تفاسير الإله تفاسير لمن تصوروه وآمنوا به، تفاسير لرؤاهم وأخلاقهم وتطلعاتهم وتمنياتهم وتحليقاتهم ولطموحهم وأطوار تاريخهم؟

. . . هل يمكن أن يتصور أو يتمنى أو يختار أو يخلق الإنسان الذكي أو الشريف أو النظيف أو العظيم أو الشجاع أو الشهم أو الأخلاقي إلهاً مناقضة صفاته لهذه الصفات؟ هل يمكن أن يكون إله المتحضر بدوياً أو أن يكون العكس؟

هل يمكن أن يكون إله أو نبي الأمي غير أمي أو يكون إله أو نبي غير الأمي أمياً؟

أليس إله الإنسان هو الإنسان، هو إحدى صيغه أو أحد أطواره التاريخية جاء باسم أو بتعبير آخر؟ أليس التمثال هو الفنان صيغ ذاتاً أخرى أو في صورة أخرى؟

أليس إله الإنسان هو إحدى لغات الإنسان المعبرة عنه في كثير من مستوياته وفي أحد مستوياته أو في كل مستوياته؟ أليس الإله هو إحدى رؤى الإنسان وتفاسيره للتاريخ والوجود وتصادمه وتناقضه معهما وبهما؟

.. إذن كم يجب عليَّ يا إلهي أن أتعذب وأحزن وأخجل لأنك بهذا المستوى من العجز عن فهم ما لا يستطاع العجز عن فهمه؟

... إنك يا إلهي أنت صيغتي ورؤيتي وطموحي وخلقي واختياري أنا الإنسان.. !

إنك التعبير الأليم عن عذابي وعجزي وجهلي وضياعي ومجاعاتي!

... إذن كم يجب عليَّ أن أتعذب وأحزن وأحترق خجلاً وعاراً حين أراك وأجدك كما رأيتك ووجدتك، حين أجدك محتاجاً إلى أن أعلمك ما لا يحتاج أحد إلى أن يتعلمه لكي يعلمه. إنك يا إلهي هجاء لمواهبي لأن مواهبي هي التي تصورتك ورأتك واختارتك وصاغتك. !

... نعم، ما أعظم مجدك أو مأساتك حين تجد أنك محكوم عليك بأن تكون معلماً لإلهك دون أن يكون قادراً أو مريداً أن يتعلم شيئاً مما تقاسي لكي تعلمه إياه. وهل أنت تعلم إلهك؟ أجل إن كان إنسان لا بدَّ أن يكون معلماً لإلهه وان لم يعرف أن كل البشر في كل تاريخهم يعلمون آلهتهم كل شيء دون أن تتعلم آلهتهم شيئاً مما يعلمونها. إن كل من يدعو إلهه أو يطلب أو ينتظر منه أو يؤمل فيه أو يشكو إليه أو يصرخ أو يئن أو يبكي من المرض أو العجز أو الظلم أو القبح أو من أي ألم أو خوف أو عار أو فساد أو طغيان.

ـ نعم، إن كل من يفعل ذلك مع إلهه وفيه وبه وأمامه وتضرعاً إليه إنما يعلمه بأقسى وأقوى أساليب التعليم. إن الدموع والأنات هي أقسى معلم للإله!

ـ إنها أقسى رفض وتعبير وتأثيم وتفسيق وتوبيخ واتهام له.. !

... إنه يقول له بأقسى وأذكى وأتقى الأساليب التعليمية: تعلم يا إلهي مستويات أخرى من الأخلاق والذكاء والمنطق والرحمة والحب والحماس والنشاط والإبداع والتدبير والتخطيط والإخراج أرقى من جميع مستوياتك.. تعلم أن تكون إلهاً بتفاسير إله لا إلهاً خارجاً على كل تفاسير الإله. !

. . . إنه يقول له تعلم أن ترى وتعامل وتصوغ وتفهم كل شيء وكل أحد بأساليب غير أساليبك المجربة والمشهودة، بأساليب أكثر تحضراً وتعقلاً وتوقراً أو ذكاء وحباً ونبلاً ورحمة وشهامة. إنه أكثر التعليم قسوة وتوبيخاً وتأثيماً وتصحيحاً.

أجل، إن الإله هو أكثر المعلمين استحقاقاً للقسوة والتأثيم والتوبيخ وحاجة إلى التصحيح.

. . . إنه يقول له: تعلم، تعلم يا إلهي من دموعي وصراخي وآهاتي وأناتي وشكاياتي وتضرعاتي وصلواتي ومن كل آلامي الباكية اليائسة الفاجعة المفجوعة.

. . . تعلم من كل هذا أنك محتاج إلى أن تتعلم كل شيء. تعلم من هذا إنه لا يوجد محتاج إلى أن يتعلم مثلك لأنه لا يوجد خارج على كل التعاليم والتعليم مثلك . . .

إنك يا إلهي الكائن الذي كل الآهات والأنات والدموع تعليم له دون أن يتعلم أو يفهم ذلك!

. . . نعم، إن البشر يعلمون الآلهة بكل الأساليب. إن كل حياتهم بكل ما فيها من آلام وأخطاء وشقاء ومن سعادة وفرح وصواب وقوة وضعف تعليم لها. إن كل حضارتهم ومعارفهم وإبداعاتهم وانتصاراتهم في الطبيعة وضدها وعليها تعليم لها أي للآلهة. أليس الذي يصحح أعمالك وخططك أمامك ويتفوق على أخطائها وعيوبها ويحمي من آلامها وقبحها هو معلماً لك؟

. . . بل إن كل بداوات البشر وجهالاتهم وهزائمهم وعجزهم وضعفهم وهوانهم تعليم لها أي لآلهتهم. إن كل ذلك تعليم لها بأعنف الأساليب والتفاسير نقداً وتأنيباً وتجهيلاً وذماً ويأساً ولكن بغير لغة التعليم بالكلمة . . .

. . . آه. إن الآلهة هي وحدها التي لا تتعلم مهما علمت. !

إن البشر لم يخسروا خسراناً شاملاً كاملاً فاضحاً بليداً معذباً مرهقاً بلا أي تعويض أو ثمن أو جزاء أو شكر إلاّ في تعليمهم للإله، أي تعليمهم له **لا بالكلمات بل بكل حياتهم وممارساتهم المتحولة أحياناً إلى كلمات هي أقسى من كل الكلمات. !**

. . . أريد أن أكرر وأقول: إنك لأقسى وأقوى وأذكى تعليماً للإله من كل المعلمين لمن يريدون تعليمهم حينما تصرخ قائلاً بكل الأسى والحسرة والأمل يا إلهي أنا مريض مشوه عاجز مقهور مفجوع خائف ضائع حائر وحيد . . .

أنا، أنا.. آه، آه أين أنت يا إلهي. أريد أن أراك. أجدك.. أن أراك وأجدك سميعاً مجيباً مغيثاً رحيماً حبيباً قريباً سريعاً نشيطاً حاضراً فعّالاً... أريد أن أراك وأجدك كما ينبغي وكما أحب أن أراك وأجدك. !

... كن يا إلهي كذلك وكل ذلك. إني لاجئ ضارع إليك وحدك، وحدك، وحدي، وحدي. إني أشكو إليك. أشكوك إليك، أشكوك.

.. إني مؤمن بك وحدك ومنتظر منك وحدك وواثق بك وحدك..

إذن أين أنت، أين أنت؟ هل كذب وهزم وضاع وخسر إيماني وثقتي بك وانتظاري لك ومنك؟ هل ذلك كذلك؟

آه يا إلهي. انقذ إيماني وثقتي وانتظاري، وانقذ سمعتك ومجدك وشهامتك وألوهيتك. افعل هذا الإنقاذ افعله. ألست تستطيع ذلك؟ ألست تريده؟ هل يمكن أنك لا تستطيعه أو لا تريده؟

هل يمكن ذلك؟ هل يمكن؟ هل كذب علي أبواي وأهلي وكل الآخرين الذين حدثوني عنك وعلموني إياك؟ هل كذبوا علي؟ ولماذا؟ ومن كذب عليهم هم؟

... آه يا إلهي أنا لست حزيناً على نفسي ولنفسي فقط بل أنا حزين لك وعليك أعمق وأدوم وأقسى. آه. ما أفظع وأقبح أن تحزن على إلهك ومن أجله لأنه قد استحق أن تحزن عليه ومن أجله. !

إن دموعي وأحزاني ليست إلاّ دموعك وأحزانك أنت تفجرت من قلبي وعيني حين لم تتفجر من عينيك وقلبك لأن قلبك وعينيك لم يكونا حاضرين أو واعيين أو رائيين أو حماسيين أو أخلاقيين لكي تتفجر أي دموعك وأحزانك منهما لا من عيني وقلبي.. لقد نقلت الدموع والأحزان التي يجب أن تذرفها وتقاسيها عيناك وقلبك إلى عيني وقلبي. ؟

... إن كل الدموع والأحزان المتفجرة من كل العيون والقلوب هي دموعك وأحزانك أخطأت عينيك وقلبك أو لم تجد عينيك ولا قلبك فسالت من العيون والقلوب الأخرى متحدية وهاجية لعينيك وقلبك، يائسة ساخرة من عينيك وقلبك، فاضحة عينيك وقلبك. !

لقد أصبت الأبرياء بكل الآلام التي يجب أن تصاب بها كلها أنت وحدك. !

نعم. إنها أي كل الدموع والأحزان هي يا إلهي دموعك وأحزانك، أو يجب ألا ترى أو تقرأ أو تحاسب أو تفسر إلاّ بأنها دموعك وأحزانك سالت من العيون والقلوب الأخرى حزناً وبكاء عليك ومنك وإعلاناً عن بلادة عينيك وقلبك وأخلاقك الصانعة لكل

الدموع والأحزان دون أن تأسى أو تداوي أو تعاتب أو تعاقب نفسها بل ودون أن تخجل بل أو ترى. !

. . . أجل، إني مهما حزنت وبكيت فأنا لا أحزن ولا أبكي ولم أحزن أو أبك ولكنك أنت تحزن وتبكي بقلبي وعيني. . تبكي وتحزن بعيني وقلبي لئلا تحزن أو تبكي بعينيك أو قلبك، أو لأنك أنت لا تحزن بقلبك أو تبكي بعينيك أو لأنك أنت بلا قلب ولا عينين. إنك لو كنت أعظم مما كنت لما حزنت ولا بكيت لا رثاء لك أو إشفاقاً عليك ولا اشمئزازاً أو انفجاعاً من أخطائك وخطاياك. !

. . . إني لم أبك أو أحزن قط إلا بكاء وحزناً عليك ومن أجلك رثاء وإشفاقاً وانفجاعاً واشمئزازاً، ولكني خطأً أو تعمداً أو تأدباً بكيت وحزنت بصيغة من يبكي ويحزن غضباً واحتجاجاً على الكينونة التي فرضتها عليه. . على الكينونة التي حكمت بها عليه لتكون حكماً عليه بهوان الطفولة والشيخوخة والمرض والموت وبكل الآلام والأحزان والدمامات والتشوهات والحماقات والتفاهات والفضائح والخوف وبالذهاب إلى مائدة الطعام التي تعني حتماً الحكم عليه بالذهاب إلى مكان الاستفراغ لأقبح الفضلات المسقطة المذلة لكل الهامات والقامات حتى للهامات والقامات المناطحة للنجوم شموخاً وكبراً ووقاحة. !

هل أطمع يا إلهي أن تتصور أو تفهم شيئاً من قبح ونذالة عدوانك هذا لأطمع في أن تتوب وتعتذر وتكفر وتعوض وتصوغ نفسك وأخلاقك صياغة أخرى؟

. . العذاب أو العقاب بلا أجل. !. كيف أمكن أو يمكن أن يحدث هذا؟

بل كيف أمكن أو يمكن تصور هذا؟ كيف يمكن أن يعقل أو يقبل أو يغفر؟

كيف أمكن أن يوجد أو يتصور من يعاقب هذا العقاب أو يعذب هذا العذاب؟

إن كل عقاب أو عذاب لا بدَّ أن يكون بأجل مهما كانت الجريمة أو الذنب ومهما كان المعاقب أو المعذب أو مشرع العقاب والتعذيب. إن البشر والكون لم يعرفا حتى اليوم عقاباً أو عذاباً بلا أجل. عقاباً أو عذاباً مطلقاً أي بلا نهاية!.

. . . لقد خرجت يا إلهي على كل المعقول والمقبول والمفعول والمغفور بل وعلى كل أبعاد وآفاق التصور. آه يا إلهي كم تعذبني حينما أحاول أن أفهمك أو أفسرك. !

ولكن أليس من الشروط المحتومة في كل إله أن يكون خارجاً على المعقول والمقبول والمفهوم؟

إن جحيمك بلا أجل ينتهي عنده وإن عقابك أو عذابك فيه بلا أجل. . ! من أين جاءك أو ورثت أو تعلمت هذا الذكاء أو العدل أو الوحشية أو الفروسية الأخلاقية أو النفسية أو المنطقية أو الإلهية؟

من أشار عليك من مستشاريك بهذا؟ هل شاورتهم فأشاروا عليك بهذا العقاب أو العذاب أو حتى قبلوه منك ورضوه لك؟ إن كان ذلك كذلك فهل فكرت في أنهم قد يكونون كاذبين مخادعين إما جبناً وملقاً ومتاجرة، وإما رغبة في فضحك وإيذائك لأسباب وحسابات في أنفسهم؟

هل درست واختبرت وجربت الثقة بهم فوثقت ثقة من حاول فعرف لا ثقة من أراد ورغب وعجز وكسل فسكت أو فاعتقد أنه قد عرف؟ ما أكثر من عرفوا لأنهم عجزوا عن أن يحاولوا فيعرفوا. !

. . ما أكثر من يعرفون لأنهم لا يعرفون. .

أليس أعوان ومستشارو الحاكم المطلق القوة والسلطان والحكم والرأي هم أكثر وأقبح الأعوان والمستشارين جبناً وملقاً ومتاجرة ونذالة ورغبة في الفضح والإيذاء والتحطيم والخداع؟

وأنت النموذج الأعلى لهذا الحاكم المطلق المتفرد في كل شيء. إذن لا بدَّ أن يكون أعوانك ومستشاروك هم النماذج الكاملة العليا لكل سوء ورداءة بل ونذالة.

لهذا كما أنا راغب في أن أنصحك يا إلهي بالحذر منهم والحذر من الثقة بهم مصوتين لك أو صامتين بابتسامات تفضحها عيونهم وملامحهم. .

يفضحها كونهم أعوانك ومستشاريك، يفضحها كونك الباحث الأعظم عن الافتضاح والصانع الأعظم لكل افتضاح أعظم والمجازي الأوفى على كل افتضاح. .

. . . بل تفضحها لحاهم المرخاة وشواربهم المحفاة وعمائمهم المعوضة بضخامتها عن ضآلة وقبح ما تحتها. !. آه ما أقبح وأكثر العمائم الضخمة على الرؤوس التي لم توجد. . !. ما أكثر الرؤوس التي هي لفة فقط!

. . . إنسان عصى أو كفر لحظة أو ساعة أو يوماً أو مئة سنة أو ألف عام تحت أسباب وظروف قد تكون معقولة أو مفهومة جداً أو حتى معذورة أو عاذرة أي صانعة للعذر. أو حتى معتدية على المصاب المحكوم بها. . .

هذا الإنسان يعاقب ويعذب في الجحيم المعروفة أو المقروءة المنزلة أوصافه يعاقب ويعذب بلا أجل، بلا نهاية، بلا موت أو إنقاذ. . . !

من قائل هذا؟ قائله أنت ودراويشك الأنبياء في كتابك المنزل المقروء المحفوظ المرتل المصلى به. . الذي يعد أقبح وأوقح زنديق من شك في أي حرف من حروفه في أنه ليس الحرف الذي نطقت به أنت. نطقت به أنت بكل مواهبك الفنية والبلاغية والأخلاقية بل والصوتية. !

. . . كيف لم تتهذب وحشيتك الحمقاء أو تتعقل ولو قليلاً جداً لتقول إن مثل الإنسان يعاقب أو يعذب في جحيمك زمناً يساوي الزمن الذي عصى أو كفر فيه أو حتى أضعاف أو حتى أضعاف، أضعاف ذلك؟

إننا لو جمعنا جميع الوحشيات والحماقات من قلوب ونفوس وأخلاق جميع الطغاة المتوحشين في جميع العصور.

ـ إننا لو جمعناها في قلب ونفس وأخلاق طاغية متوحش واحد لما استطاع أو قبل أو حتى تصور هذا الطاغية المتوحش الواحد أن يكون عقاب أو عذاب من عصاه أو كفر به مهما كان قبح كفره أو عصيانه بلا أجل، بلا نهاية كما فعلت أو أعددت أو قررت أنت يا أرحم الراحمين وأعدل العادلين وأسخى المحسنين. . . أي يا أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين وأقسى الطغاة الجبارين. . .

. . . أي يا أغبى المشرعين والمعلمين والمعاقبين والمؤدبين والواعدين الموعدين. .

. . . أي يا أغبى الباحثين عن الحب والصداقة والطاعة، وأذكى الباحثين عن البغض والعداوة والعصيان. !

اسمعوا هذا. وهل تستطيعون أن تسمعوه؟

. . . إنسان يعذب في أقسى عذاب لا يستطاع تصوره بلا أجل ينتهي فيه عذابه لأنه في لحظة من لحظات الحب أو الغضب أو الرؤية أو المحاورة أو الشوق حدق بصدق وعمق وحماس في ذاته وفي كل شيء باحثاً عن إلهه فلم يستطع أن يراه أو يجده في أي مكان ولا في أي شيء، أو رآه ووجده صغيراً في كل أحجامه وتفاسيره، أو رآه ووجده بلا أي جمال أو ذكاء أو استواء أو إشراق أو روعة أو نخوة أو ضخامة أو أية جاذبية. . . رآه ووجده بلا أي معنى أو نموذج معقول أو مقبول مروي مزعوم له وعنه. . . وهنا جاءت صدمته مروعة فاجعة، فامتلأ وتفجر غيظاً وغضباً ويأساً وشكاً واستنكاراً وإنكاراً ورفضاً بكل مشاعر الأسى والرثاء. .

. . . وبعد هذه اللحظة المحاورة الرائية الصادقة الفاجعة يموت هذا الإنسان

ولنفترض أن من أسباب موته المفاجئ مأساته في إلهه وحزنه على ما رأى ووجد فيه - يموت ليعذب في أقسى عذاب، عذاب.. أقسى جحيم بلا أجل ينتهي عنده عذابه ليعذب تعذيباً ليس له نهاية زمنية، عقاباً له على شك أو رفض أو إنكار أو غيظ أو غضب أو استنكار لحظة واحدة من لحظات حياته..!.. هل تصدقون هذا؟ هل يوجد من يستطيع تصديقه؟

وقد يكون هذا الإنسان من أتقى وأصفى وأصدق وأنظف وأنبل الناس قلباً وعقلاً وقصداً وأهدافاً وأخلاقاً.. قد يكون إنساناً يخجل العذاب ويرهب أن يقترب منه، بل يتعذب العذاب لو فكّر في تعذيبه، بل يحاول الجحيم أن ينطفئ أو يضرب عن العمل عاصياً الآلهة، رهبة واستحياء من مزاياه النفسية والعقلية والأخلاقية.! لماذا أيها الإله لم تفعل في هذه القضية شيئاً هو أقل قبحاً ووحشية بل أقل فضحاً وإيذاءً لك؟ لماذا لم تحاكم كل من تريد تخليدهم في نارك الخالدة ثم تحكم عليهم بالإعدام بأي أسلوب من أساليب الإعدام المرضية لشهواتك في التعذيب ثم تنفذ حكمك بكل القسوة التي ترى أنها تصنع لك الفرح والمجد والسعادة كما يصنع جميع الطغاة بمن يرونهم شر وأخطر أعدائهم الخارجين على سلطانهم؟ من أين جاءتك هذه الشهوة التعذيبية التي لا يشبعها إعدام من تريد تعذيبه؟

... إنك حينئذ تكون قد عاقبتهم مرتين بالإعدام أي بالقتل الذي هو أقسى العقوبات: مرة بلا محاكمة أي حينما قضيت عليهم بالموت، والمرة الأخرى بعد المحاكمة... ألست بذلك تكون قد تفوقت في عقابك وعذابك على جميع الطغاة والجبارين، على جميع القتلة لأن أحداً منهم لا يستطيع أن يقتل معاقباً أو غير معاقب إلاّ مرّة واحدة، أما أنت فقد قتلت مرتين؟ إنك إذن بلا منافس.!

.. ألا يكفيك هذا التفوق مجداً وفخراً ورضاً عن النفس وإعجاباً بها؟ كيف جهلت هذا العقاب البديل عن العقاب بالتخليد في الجحيم والبديل عن الالتزام بتكاليف إنشاء الجحيم والإنفاق عليه وإعداده وحراسته.!

والآن لقد ذكرتك بهذا البديل فهل تأخذ به؟ وهل تشكرني وتجزيني على ذلك؟

لا. لا أطالب بشكر أو جزاء. فقط أطالب بأن تكون متعلماً مستفيداً جيداً بسرعة ولهفة وقوة وبراعة وتواضع... فقط أطالبك أن تتراجع عن هذا الجنون الذي يترفع عن الهبوط إليه كل جنون.!

... إن هذا البديل ينقذ سمعتك وأخلاقك وعينيك وضميرك وتاريخك بل

وذكاءك من آلام وشرور وفضائح بل ومن أعباء لا تحتمل. !

. . . إن أي كائن مهما كان مستوى ذكائه وأخلاقه لو كان أمامه خياران أحدهما أن يصنع جحيماً فيه كل أجهزة التعذيب وحراسه وموظفيه ليكون جحيماً خالداً ليلتزم بكل تكاليف ذلك وتبعاته واحتمالاته، ليعذب فيه أعداءه تعذيباً أبدياً لا خلاص منه ولا نهاية له، وثانيهما أي وثاني الخيارين أن يحكم بالإعدم على هؤلاء الأعداء وينفذه فيهم وينتهي كل شيء معهم.

ـ نعم إن أي كائن مهما كانت جهالته ونذالته وبداوته النفسية والعقلية والأخلاقية لو وضع أمام هذين الاختيارين لكان محتوماً أن يأخذ الاختيار أو الخيار الثاني. . .

هل تجرؤ على أن تخالف في هذا أو هل يمكن أن يوجد من يقول إني قد أخالف في الأخذ بهذا الاختيار؟

. . . كم يجب أن يحزن ويفجع كل من يريدون أن يؤمنوا بك ويحترموك ويدافعوا عنك ويرضوك لهم إلهاً حين يجدونك في كل ذكائك ومنطقك وتصرفاتك أقل من كل المستويات والاحتمالات بل خارجاً على كل المستويات والاحتمالات خروج التخلف والمناقضة لا خروج التفوق أو التجربة. !

إن من أردأ ما فيك أنك لا تستفيد من التجارب بل وليست لك تجارب لهذا أنت صيغة واحدة دائمة.

إنك الكائن الفريد الذي لا يدخل على كينونته أو تاريخه أي تصحيح أو تعديل إنك ولادة واحدة!

. . . يا إلهي الفاجع لكل من يريدون فهمه أو محاسبته بأي منطق أو نموذج معقول أو مقبول أو حتى مغفور. .

. . . يا إلهي الفاجع لكل من يريدون فهمه أو محاسبته بأي منطق أو نموذج معقول فيه بلا زمن أو تاريخ يحدده؟

سأحاول أن أفكّر في هذه القضية بديلاً ونائباً عنك.

وأريد أن يكون تفكيري في هذه القضية نائباً عنك تعويضاً أو اعتذاراً عن ذكاء وكرامة الذين آمنوا بك وصدقوك حينما أخبرتهم عن جحيمك الأبدي وعن التعذيب الأبدي فيه وحينما هددتهم به وحينما وجدوا ذلك معقولاً وجيداً بل كل المعقول وكل الجيد. . .

إني حينما أحاورك أو أحاكمك لا أريد إحراجك أو إذلالك أو هزيمتك أو فضحك يا إلهي، ولكني أريد بذلك إنقاذ ذكاء الإنسان وكرامته من الحضيض الذي يهوي إليه إيمانه بك وتصديقه لك أو تصوره وتصويره لك. !

إن شيئاً ما أو كائناً ما لم يهن أو يفضح أو يهج ذكاء الإنسان وكبرياءه مثلما فعلت به ذلك بأقسى الأساليب وأشملها تعاليمك له وتصديقه لها، وتصديقه لك. أعني تعاليمه عنك وبك التي زعمها وأعلنها تعاليمك له. !

.. إذن فإن إنقاذ الإنسان من تعاليمك ووعودك ووعيدك ومن كل رواياتك وأخبارك عن أهوال جحيمك وخرافة فردوسك إنقاذ لذكائه وكبريائه وكرامته بل وإنقاذ لمنابره ومحاريبه ولغاته وصلواته...

... بائسة هي المنابر والمحاريب متحدثة عنك وعن أهوال جحيمك وخرافات فردوسك!

... أجل لقد فكرت نيابة عنك في هذه القضية. وقد قال لي تفكيري:

هل الذين سيعاقبون بخلودهم في الجحيم سيتحولون إلى مؤمنين بك مطيعين لك وهم في جحيمهم أم سيظلون منكرين عصاة كما كانوا في حياتهم الأولى.. !

إن الاحتمالين لا بدَّ أن يتحولا إلى ورطة أليمة محيرة لا خلاص لك منها إلاّ بأن تلغي أو تنسف جحيمك بكل ما فيه ومن فيه وأن تعتذر إلى نفسك عن أخطاء نفسك. !

إن كان الافتراض الأول هو الذي سوف يكون فكيف يجوز لك أو تتقبل أن تظل أبداً تعذب أقسى العذاب من يؤمنون بك ويصلون لك ويطيعونك بكل الصدق والاقتناع والحرارة والإخلاص والتأميل والتوبة والتضرع والبكاء؟

كيف تستطيع أنت أو زبانية وحراس جحيمك رؤية ذلك أو تقبله؟

.. إن إيمانهم بك حينئذ سيكون أقوى وأتقى وأصدق وأدوم إيمان. إذن كيف تستطيع أو يقبل منك أن تظل تعذب هؤلاء الذين يؤمنون بك هذا الإيمان تعذيباً أبدياً؟

... وأما الافتراض الثاني فهل يمكن أن يكون هو الذي سوف يكون؟

هل يمكن أن يظلوا منكرين أو عاصين لك بعد أن قابلوك ورأوك ورأوا جحيمك وأهوالك وجنونك في حبك لنفسك وفي غضبك وانتقامك لها؟ إنهم حين أنكروك أو عصوك لم يفعلوا ذلك عناداً أو نزقاً أو استهانة بالعذاب الذي سوف يلقون. ولكنهم أنكروك وعصوك لأنهم لم يروك أو يجدوك البتة أو بالحسابات الكافية المقنعة، أو لأنهم

رأوك ووجدوك نقيضاً لما كانوا يريدون وينتظرون أن يروك ويجدوك نقيضاً لما ينبغي أن تكون ونقيضاً لكل ما تعلموه واعتقدوه عنك. إن أحداً لن يكفر بك أو يعصيك استهانة بجحيمك وعذابه الموصوف وإنما يكفر ويعصى تحت إملاء حسابات أخرى. !

. . . لقد رأوا ووجدوا كل نماذجك ومواقفك نماذج ومواقف مروعة بائسة في كل تفاسيرها فهربوا من أن يروك ويجدوك. فتظاهروا بالعمى والعجز لئلا يروك ويجدوك كما رأوك ووجدوك. . .

لقد كانوا بذلك يريدون احترامك والابتعاد بك عما أنت. !

أليس الذين يريدون أن يروك مهما كانت بشاعة ودمامة مرآك هم من أقسى المحقرين لك؟

لقد تعذبوا وعاقبوا أنفسهم من أجلك، من أجل الإبقاء على احترامك. .

لقد فقأوا عيونهم وأسكتوا عقولهم حماية لك، خوفاً من أن يروك أو يجدوك كما أنت في نفسك وفي كل شيء. أليس فقوء العيون لئلا ترى عارك أو قبحك أو هوانك هو أقسى أساليب التمجيد والاحترام والحب لك؟

. . لقد كانوا في ذلك مثل كائن رأى كائناً يحبه ويحترمه ويشتاق إليه جداً ـ رآه شيئاً أو نموذجاً أليماً فاجعاً، فاجعاً في كل صيغه ومعانيه، فأغلق عينيه، أغلقهما بكل الارتياع والذهول والانفجاع والأسى القاتل، القاتل، أغلقهما لأنه محب محترم مخلص صادق في حبه واحترامه. !

إن كل الذين لم يؤمنوا بك لم يكونوا إلاّ عاجزين عن رؤيتك أو خائفين عليك من رؤيتك أو مفجوعين مصدومين برؤيتك أو متآثمين هاربين من رؤيتك أو منكرين أن تكون رؤيتك هي رؤيتك، أو محترمين لك فلم يستطيعوا أن يروا في كل ما رأوه، فلم يستطيعوا أن يروك مهما رأوك. !

إن أحداً لن يكفر بك ترفاً أو نزقاً. إن من يكفر بك عاجز عن الإيمان لا هاو للكفر. . إنه لصعب جداً يا إلهي أن يراك أو يجدك في أي مكان أو في أي شيء أي كائن أو أي إنسان يحبك أو يحترمك أو يشترط لك أو فيك أية شروط جيدة أو جميلة. . إن كل الذين رأوك ووجدوك لم يروك أو يجدوك إلاّ بعد أن فقدت عيونهم وعقولهم وأخلاقهم كل رؤية أو إلا لأنها أي عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وُلِدت بلا رؤية، أو إلاّ بعد أن اشترطوا عليها أن تظل بلا رؤية بل بعد أن اشترطوا عليها أن ترى ضد الرؤية. أن ترى لئلا تُرى، بل أن ترى غير ما ترى، نقيض ما ترى، أو إلاّ بعد أن

روضت أي عيونهم على ألا ترى إلاّ ما تعلم لا ما ترى أو يرى أي ألا ترى إلاّ بالتعليم لا بالرؤية. !

.. هل أحد من الذين رأوك ووجدوك رآك أو وجدك بعينيه أو بعقله أو بأخلاقه أو بتجربته؟

هل حاول أحد ممن رأوك ووجدوك أن يراك أو يجدك بعينيه أو بعقله أو بأخلاقه؟

هل تستطيع أية عين أو عقل أو خلق أن تراك أو تحبك في أي حدث أو شيء؟

إن كل الأشياء والأحداث نفي، رفض لك. إن تفاسير كل الأشياء والأحداث نقيض لكل تفاسيرك بل هجاء لكل تفاسيرك!

.. وأنت يا إلهي هل رأيت أو وجدت نفسك في أي حدث أو شيء؟ وهل حاولت أن ترى أو تجد نفسك؟ وهل رأيت أو وجدت نفسك حينما حاولت أن تراها أو تجدها؟ وهل رضيت عن نفسك حينما رأيتها ووجدتها أو إن كنت رأيتها ووجدتها، أو هل قبلت أن يكون ما رأيت ووجدت هو أنت، هو نفسك؟

هل تقبل أن ترى ذاتك أو أن يراها غيرك إن كنت قد رأيتها ولو بلا تحديق؟

... حدق، حدق يا إلهي، حدق في كل حدث وكل شيء وحاول أن ترى أو تجد نفسك؟ افعل ذلك بكل الجرأة والاطمئنان..

نعم، اطمئن إذا حدقت ومهما حدقت فإنك لن ترى أو تجد نفسك. لا تخشى أن ترى أو تجد نفسك في أي مكان أو حدث أو شيء..

إني أنا المسؤول عن ذلك والمتعهد به. جرب أن تثق بي. لا تخف أن تجد ثقتك بي مثلما وجدت ثقتك بنفسك. إنك يا إلهي لن ترى أو تجد نفسك في أي حدث أو شيء أو مكان بقدر ما تكون جيد الرؤية.

إنك يا إلهي الكائن الذي لن تراه عين جيدة الرؤية أو صادقتها وشجاعتها.

.. إن جودة الرؤية وقوتها وصدقها وشجاعتها حماية لك من أن ترى أو تجد نفسك في أي حدث أو شيء أو مكان. !

.. حدق، حدق إنك إذاً أو لو حدقت كما أطلب وأنتظر منك وأرجوك فلا بد أن تجد كل مجدك وجمالك وذكائك وكرامتك وكبريائك في ألا تجد أو ترى نفسك في أي حدث أو شيء أو مكان..

ولكن هل لك عينان يا إلهي لتحدق بهما؟

هل يحتمل أن تكون لك عينان؟ إذن أين هما؟ أين رؤيتهما؟

هل تطيق أن تكون لك عينان تريان كل ما يرى أو أرى أو شيئاً مما يرى وأرى؟

آه يا إلهي لو أنك استعرت مني رؤيتي ولو لحظة ولو لرؤية مشهد واحد من مشاهدة القبح والعذاب والهوان والعار والسخف العالمي والكوني. !

هل من المجد أو السعادة أو المديح لك أن تكون لك عينان، أن تكون رائياً أي شيء أو أي كائن أو أي حدث مما يوجد ويرى؟

إنك ليجب أن تكون أعمى، أعمى، أعمى. إن هذا العمى لو أقل أو أخف صيغ الذم والتحقير والتعذيب لك. !. هل تدرك حوافز دفاعي عنك وغيرتي عليك حينما أختار وأريد لك أن تكون أعمى؟

.. إنك أعمى لأعظم لك في كل التفاسير والحسابات من أن ترى مشهداً واحداً من مشاهد هذا الوجود الدميم الأليم الأحمق الفاجع العابث ثم تظل ترى وترى بكل التبلد والبله والاسترخاء والصمت، منتظراً بل ومطالباً أن يشكرك ويصلي لك كل المعذبين والمصابين بكل أنواع الآلام والمهانات والتشوهات والدمامات والعاهات والأمراض، فأنا متفضلاً عليهم لأنك تصيبهم، ولأنهم يدعونك لتنقذهم، ولأنك لا تسمعهم ولا تستجيب لهم، ولأنهم يهبونك دون أن تهبهم، ويعبدونك دون أن تجزيهم، وينتظرونك دون أن تجيء، دون أن يجدوك. !

.. اسمع يا إلهي هذه النصيحة من أصدق ناصح لك بل مشفق عليك..

اسمع.. إذا كان الذين سوف نخلدهم في النار الخالدة سيظلون كما يقول الافتراض الثاني كفرة وعصاة فأي خير أو مجد أو سعادة أو فرح لك في تخليدهم؟

ألست تقول أن الكفر والعصيان يأذيانك ويغضبانك ويغيظانك؟ إذن لماذا تخلد من يصنعون لك الغيظ والغضب والإيذاء ويفرضون عليك تكاليف فادحة منها أن تلتزم بإيجاد ما يأكلون ويشربون ليظلوا أحياء؟

نعم، أليس تخليدهم في الجحيم يأخذ منك بلا أي عطاء أو نفع؟

هل أنت معاد محارب لنفسك بكل هذه القسوة؟

.. إني أريدك ألا تكون بكل هذه القسوة في معاداتك وحربك لنفسك وفي صنعك وتدبيرك لها الغيظ والغضب والإيذاء في إيجادك وإبقائك لما يصنع لها كل ذلك.. كم أنت محتاج إلى الناصحين الصادقين!

لهذا أنصحك بكل الحزم أن تلغي الجحيم الخالد وتلغي التعذيب الخالد فيه وتصنع البديل الذي دللتك عليه ونصحتك به وهو أن تعدم كل من تريد تخليدهم في الجحيم وهو العقاب الأقصى والأقسى في رأي وسلوك كل المنفذين للقوانين والعدالات يستوي في ذلك أقسى وأطغى الطغاة والقساة وأتقى وأرحم الأتقياء والرحماء.!

وأنت تقول: «وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون».

... وقد أفترض هنا أن هؤلاء الذين سوف تخلدهم في الجحيم لن يعبدوك ولن يؤمنوا بك بل سوف يظلون أبداً يصنعون لك عذاب الغيظ والغضب والاستهزاء بك والتحدي لك بكفرهم وعصيانهم..

فإذا كنت لا تخلق ولم تخلق إلاّ لكي تعبد فكيف تخلد من لن يعبدوك بل من سوف يظلون أبداً يعذبونك كل العذاب بكفرهم؟

من أجل ماذا تذهب تتحمل تكاليف تخليدهم في جحيمك الخالد وتتحمل تعذيبهم وتحديهم لك بكفرهم الذي سوف يكون أبدياً، بل وتعاقب وتفجع حراس وزبانية جحيمك بتوظيفهم لأداء هذا التعذيب الخالد العابث المجنون؟

إن الحكمة والعقل ليطالبانك بالخلاص من هذه الورطة، من هؤلاء المعذبين.

.. فكّر يا إلهي أو دعني أفكر لك بل أقول لك لأن القضية المعروضة لا تحتاج إلى أي تفكير. دعني أقول لك بعقل وقلب الناصح المشفق:

أطلق هؤلاء الذين تريد تخليدهم في العذاب الخالد واغلق أبواب جحيمك أو دمره وبع أنقاضه أو تصدق بها، وأعفِ حراس وزبانية عذاب جحيمك وحررهم من هذا التوظيف القبيح الأليم البليد المهين. ودعهم ينطلقون حيث يشاؤون.

وقد يختارون حينئذ الذهاب إلى دول النفط العربي. وقد تكون لديهم خبرة هائلة في جميع شؤون الطاقة في معرفة أماكنها ومصادرها ومخابئها وفي حمايتها واستخراجها وتشغيلها وتوزيعها بل وتعقيلها أي معاملتها والتعامل بها ومعها وفيها بالعقل الذي لم يوجد حتى اليوم.!

ليت النفط العربي لم يجئ إلى العرب إن كان البديل أن يجيء إليهم العقل الخلاّق.

آه. لقد نسيت، لقد ظننت أننا لا نزال في الحياة الأولى حيث تحتكر بلدان النفط العربية كل التفكير والاهتمام وشرود الآمال.!!

* * *

ولدي فكرة أخرى أطرحها عليك لعلك ترضاها وتنفذها لعلك تجد فيها تجميلاً لعقلك وأخلاقك وتاريخك أو شيئاً من الستر على عقلك وأخلاقك وتاريخك أو شيئاً من التهوين والتصغير أو الإخفاء لعارك الذي كتبه وأعلنه وفضحه عقلك وتاريخك وأخلاقك. !

.. هذه الفكرة هي أن تعيد هؤلاء الذين تريد تخليدهم في الجحيم - تعيدهم إلى الحياة الأولى.. إنك أنت كما تقول تريد أن تعبد وأنك من شهوتك في أن تعبد لتغامر وتخلق من لن يعبدوك بل من تعلم أنهم لن يعبدوك مؤملاً بسذاجة عجيبة أن يعبدوك. إذن أنت أكثر من مجنون في رغبتك أن تكون معبوداً حتى لتذهب تخلق من تعلم أنهم لن يعبدوك موحياً إلى رغبتك هذه التي جعلتك أكثر من مجنون بأنهم قد يعبدونك. !.. الإله يخلق من يعلم أنهم لن يعبدوه لكي يعبدوه. !.

من يستطيع تصديق هذا أو قبوله أو فهمه أو غفرانه؟

.. وهؤلاء الذين أنصحك بإعادتهم إلى الحياة الأولى لا بدَّ أن يحققوا لك بأعلى الحسابات وكل الحسابات رغبتك التي هي أكثر من مجنونة في أن تكون معبوداً، معبوداً حتى تتعب وتتخم وتتضخم من عبادتهم لك. !

هل هناك ما يحقر ويهجو ويفضح الكائن ويحوله إلى سخرية مثل أن يكون معبوداً؟

.. لقد رأوا جحيمك وعقابك وذاقوا أهوال كل ذلك..

إذن لا بدَّ أن يكونوا أكثر جداً مما تريد منهم وتطالبهم به. !

وقد قيل في كلمة سابقة أن الكافر بك لم يكفر ترفاً أو نزقاً أو لعباً أو هواية أو غواية بل كفر بك لأنه لم يستطع أن يراك أو يجدك، أو لأنه حينما رآك ووجدك لم يصدق أنك أنت هو ما رآه ووجده، أو رفض تصديق ذلك لأنه يعتقدك ويريدك أعظم وأجمل مما رآك ووجدك، أي أعظم وأجمل مما رأى ووجد حين رآك ووجدك..

وكم أود أن أقول بتكرار: إنك الكائن الذي لن يرى أو يجد جماله أو كماله إلاّ من لا يراه ولا يجده ومن لا يحاول أن يراه أو يجده. !

أجل، إنها فرصة وهدية عظيمة لك يصعب أن تتكرر أعني بها أن تعيد إلى الحياة الأولى هؤلاء الذين تريد تخليدهم في العذاب الخالد!

آه. كم أتمنى وأرجو أن تسمع نصيحتي هذه وأن تعمل بها يا إلهي الذي لم يجد في كل تاريخه ناصحاً صادقاً أو رائياً أو واعياً أو مخلصاً واحداً، واحداً. إنك يا إلهي تريد عبيداً أذلاء لا أصدقاء ناصحين أحراراً شجعاناً. !

إنك في هذا الخلق وهذه الرغبة تنافس بمقدرة جميع القيادات والزعامات العربية!

. . هل تقبل أو تأذن يا إلهي أن تسمع مني هذه الكلمات الحارة المؤلمة الصادقة: إن أغبى وأقبح وأخطر ما في الطغاة الجهلاء أنهم يريدون أن يُقال لهم ما يريدونه وما يرضيهم لا ما ينقذهم أو ينفعهم أو يمجدهم أو ما يتحول إلى احترام لهم وأنت يا إلهي أطغى هؤلاء الطغاة. !

ولأني هنا أتحدث عن تصرفاتك يا إلهي مستنكراً أو راثياً فإني أجد رغبة لا تقاوم في أن أقول مكرراً:

ما أعظم ذكاءك وحكمتك ورحمتك وعبقريتك يا إلهي حين تطالبني وتريد مني أن أؤمن بك وأعبدك ثم تقرر وتدبر وتخطط وتشاء ألا أؤمن بك وألا أعبدك. ضارباً على كل الموانع من أن أكون ما تريد مني.

. . ولا يساوي تصرفك هذا من ذكائه وحكمته ورحمته وعبقريته إلاّ تصرفك حينما تخلق أو تعلم أنهم لن يعبدوك لكي يعبدوك ثم لا تريد ولا تعرف أن تعيد إلى الحياة الأولى هؤلاء الذين سوف يعبدونك حتماً بدل أن تخلدهم في الجحيم ملتزماً بتكاليف ذلك وبكل آلامه وعاره وقبحه وسخفه ونذالته. إني يا إلهي احترق دائماً بهذا التساؤل:

أيهما المعقول: أن توجد من تعلم أنك لا بد أن تتعذب بكفرهم وفسوقهم ثم تتعذب بتعذيبك لهم أم ألا توجدهم، وأن تشاء لمن أوجدت الطاعة والاستقامة والإيمان أم الكفر والفسوق؟

. . أنت يا إلهي تتناقض كثيراً في أقوالك بقدر ما تتناقض أو أكثر مما تتناقض في أفعالك ورغباتك وانفعالاتك. فهل تناقضك هذا عن نسيان أم عن ضرورة أم عن إهمال واسترخاء وكسل أم عن عبث ولعب وشهوة أم بحثاً عن الإثارة والتحدي وصنع الغيظ والحيرة لقارئيك ومحاوريك ومفسريك؟

ألست تقول بل تعلم وتعلن مفاخراً فرحاً أن الخلود لك وحدك، وأنك أنت الأول والآخر والظاهر والباطن. . .

أي الأول الذي كان قبل كل شيء، الذي كان ولا شيء معه، والآخر الذي سيكون ويبقى ولا شيء معه. . أي الذي يزول كل شيء ويبقى وحده لأنه وحده الخالد.

. . . وإنك لترى أن مشاركتك في الأزلية أو الأبدية أي في أنك الأول ولا شيء معك والباقي الخالد وحدك ولا شيء معك.

ـ نعم، لترى أن مشاركتك في هذا أو هذا يساوي مشاركتك في الألوهية أو الخالقية أو الوحدانية، وأن الذي يؤمن بهذه المشاركة لك هو مشرك بك كالذي يؤمن بالأوثان ويعبدها. !

. . . إذن كيف تناقضت هنا وقلت إنك سوف تصنع جحيماً خالداً خلودك أو أنك سوف تعذب فيه معذبين سوف يخلدون فيه خلودك؟

. . . هل كانت هذه غلطة إله أم كذبة إله غلطها أو كذبها الإله للزجر والوعظ والإرهاب لكي يكون معبوداً مرهوباً اضطرته إلى أن يكذب ويغلط شهواته في أن يعبد ويرهب؟

وإذن فليس هناك جحيم خالد ولا معذبون خالدون في العذاب لئلا يكون هناك مشاركون له أي للإله في الخلود الخلود الذي هو له وحده. .

. . هل ذلك كذلك يا إلهي الذي مهما تمنيت وأردت له فلن يكون شيئاً مما أريده وأتمناه له. . . يا إلهي الذي ليته يحب ويكره لي وفيّ شيئاً مما أحبه وأكرهه له فيه. . . الذي ليته يغضب لي ويحزن ويغار عليَّ ومن أجلي شيئاً من غضبي له ومن حزني وغيرتي عليه ومن أجله. . يا إلهي الذي ليته يصاب بشيء من الخجل خجلاً من قسوة وديمومة خجلي له ومنه. . . يا إلهي الذي ليته يتعذب ببعض العذاب الذي أتعذبه له. . الذي ليته يقرأ آلامي وهمومي وورطاتي وأخطائي ويحدق فيها ويرثي لي ببعض ما أفعله لآلامه وهمومه وأخطائه وورطاته. . ؟ آه. ما أفظع عذابك وانفجاعك بعارك وهوانك يا إلهي لو رأيت وقرأت نفسك كما أراك وأقرؤك أو كما ينبغي ويجب أن ترى وتقرأ نفسك. !

هل تقبل يا إلهي أن تتحول إلى مشرك بنفسك أي أن تجعل لك شركاء في الخلود أي أن تصنع الجحيم الخالد ليخلد فيه من تريد تعذيبهم؟

ـ نعم، هل تقبل أن تفعل ذلك تحت إملاء وضغط شهواتك في التعذيب وللتعذيب؟ هل تقبل أن تفقد وحدانيتك في الخلود لترضي أشواقك إلى رؤية المعذبين؟

استمتاعك برؤية العذاب بلا حدود ولكن ألا تحاول أن تلتزم بشيء من الوقار والاتزان والعقل؟

. . . تحت كل هذه التفاسير كم أرجو ألا تكون صادقاً أو جاداً في حديثك عن جحيمك وعن المعذبين الخالدين فيه أو أن تتراجع عن ذلك تائباً نادماً معتذراً.

أريدك أن تكون أي شيء يجعلك غير صادق أو جاد في حديثك عن جحيمك. !

. . . إني يا إلهي لاختار لك أن تكون كاذباً أو هازلاً أو متورطاً مخطئاً على أن تكون سخيفاً أو أحمق أو نذلاً أو أكثر جنوناً وإيذاء وفضحاً لنفسك من أي مجنون، من أي مجنون عاقل أو مجنون مجنون. . . !

أعتقد أنك سوف تقتنع بما سمعت مني في هذه القضية مهما كان انغلاقك عن أن ترى أو تسمع أو تقرأ أن تتعلم أو تفهم أو لعلي أتمنى ذلك تمنياً. !. آه. ما أخيب التمنيات الموجهة إليك والمنتظرة منك يا إلهي الذي لم يجامل في كل تاريخه أمنية واحدة هتفت به. !

وأريد أن أذكرك بشيء آخر لعله يساعدك على الاقتناع بما أقول لك وأريد منك. فكّر، فكّر جداً كم أنا ناصح لك مريد الستر عليك. !

. . . إن كل البشر منذ بدء بدايتهم المجهولة إلى نهاية نهايتهم المجهولة سوف يدخلون جحيمك إما دخولاً مؤبداً وإما دخولاً مؤقتاً. وهذا الدخول المؤقت لعله لا يستحق الاستثناء لندرة أصحابه. !

إذن هل نستطيع أن نتصور اتساع الجحيم الذي يستطيع أن يؤوي كل البشر؟ هل يستطيع أي خيال أو أية حسابات وتقديرات علمية أن تتصور ذلك؟

وجحيم بهذا الاتساع الذي يعجز كل خيال ولك حسابات علمية عن تصوره كيف يمكن أن يكون احتياجه إلى الوقود أي إلى ما تسميه الحضارة والعلم بالطاقة، وكيف يمكن أن يكون استهلاكه لها؟

إن كل الأجهزة والوسائل والتصورات والحسابات العلمية والفنية لعاجزة عن تسديد احتياجات هذا الجحيم من الطاقة الكافية ليظل أبداً جحيماً محرقاً كما تريده. إنها لا بدَّ أن تتحول إلى ورطة قاسية ومحرجة محيرة لمن ألزمتهم بأن يكونوا موظفي جحيمك هذا من ملائكة وزبانية. !

وأنت أيها الإله بدوي بدائي في فعلك ومنطقك، لا تستطيع أن تكون حضارياً أو علمياً أو فنياً أو منطقياً في أي شيء تخططه أو تفعله أو تخلقه.

. . . إنك تخطط الأشياء وتخلقها لتكون ما يسمى بالمادة الخام أو بالمواد الأولية كما فعلت أو خلقت هذا الكون الذي يخيفنا ويرهقنا ويتعبنا ويفجعنا بضخامته وبلادته وبداوته بدون أن يعجبنا أو يرضينا أو يلائمنا أو يريحنا أو يصادقنا أو يسالمنا أو يعاملنا بأي قدر من الشهامة أو الذكاء أو حتى الاستحياء. . .

. . . إنك تخلق وتخرج بل وتخطط الأشياء كتلاً ضخمة صماء عمياء بكماء

فوضوية همجية أمية لا تقرأ أو لا تكتب ولا تفسر ولا تتكلم ولا تصنع القلم أو الورق أو الحبر ولا نقول: أو المطبعة.!

... إنك تصنع الجبل ولا تصنع البيت أو حتى الكوخ أو الخيمة، وتصنع الشمس ولا تصنع المصباح أو الشمعة، وتصنع الغرق والبحار ولا تصنع القطرات لتنقذ بها ظمآن يموت في الصحراء، وتصنع الأنهار والسحاب ولا تصنع أنابيب المياه الموصلة إلى البيوت، وتصنع النفط ولا تصنع الأجهزة التي تعمل به وتتعامل معه ولا تحوله إلى طاقة، إلى وظيفة، إلى أي عمل....

... إنك تخلق النفط ولا تخلق خيمة أو عباءة يستدفئ بها من خلقته تحت عباءاتهم وخيامهم.!

... إنك لا تخرج أو تخلق أو تخطط أي شيء بأسلوب أو منطق وظيفي أي ليؤدي وظيفة ما كما يراد أو يطلب أو يعقل أو يجب أو يمكن أو يستطاع. إن كل ما تخططه وتدبره وتصنعه خارج على كل شروط وتفاسير التوظيف.

... إنك لو عملت في أي عمل هندسي لكنت فاجعاً لكل من تعمل معهم ولما قبلوك حتى ولا حارساً!

... إذن فأنت مهما كانت ضخامتك العضلية أو البدنية أو ضخامة ما تخلق فإنك لن تصنع شيئاً وظيفياً أي شيئاً موظفاً ليؤدي وظيفته. فأنت مضاد لكل معاني النظام.

.. إنك لن تخلق الطاقة التي يحتاج إلى استهلاكها جحيمك الخالد مهما خلقت المواد الخام الأولية المختزنة للطاقة. لقد كان هذا سلوكك في الحياة الأولى وسيكون حتماً سلوكك في الحياة الثانية. إن الآلهة لا يتغيرون!

... ولأن الآلهة لا يتغيرون فقد تغير كل شيء في الحياة الأولى إلاّ أنت يا إلهي.!.. إذن من أين تأتي بالطاقة التي سيعمل بها جحيمك الخالد؟

إنك لن تجد خبراء يولدون ويصنعون لك الطاقة الكافية لجحيمك حتى ولو وجدت المواد الأولية الكافية لتوليد الطاقة المطلوبة...

إنك لن تجد هؤلاء الخبراء الذين وجدوا في الحياة الأولى لكي يعرفوا ويولدوا ويصنعوا الطاقة التي يحتاج إليها جحيمك.

... إن هؤلاء وأمثالهم وكل من يستطيعون أن يكونوا خبراء في موضوع الطاقة وفي أي موضوع آخر لن يكونوا إلاّ من سكان جحيمك. إنهم لن يكونوا من سكان

فردوسك لكي تستعين بهم ليصنعوا الطاقة المطلوبة والكافية لجحيمك. إن سكان فردوسك لن يكونوا إلاّ مستهلكين ومبددين ومخربين ومهينين للطاقة المظلومة والمحقرة والمشتومة بولادتهم فوقها وبانتمائها إليهم كما كانوا في الحياة الأولى أي كما كانوا في الحياة الأولى مستهلكين ومبددين ومذلين وشاتمين فقط للطاقة بسلوكهم وبكل معانيهم وتفاسيرهم ومواقفهم بل وبلغاتهم وعباداتهم وإيمانهم وتقواهم.. حتى لغاتهم وإيمانهم وصلواتهم وتقواهم كانت هجاء وسبايا للطاقة، لأعظم أنواع الطاقة أي في الحياة الأولى.!

... أما خبراء سكان جحيمك يا إلهي فلن يهبطوا إلى مستواك في الذكاء أو في التصرف لكي يذهبوا يصنعون ويستخرجون الطاقة لتشغيل جحيمك لكي تخلدهم في عذابه.

بل إن هؤلاء الخبراء لن يقبلوا أن يساعدوا على تشغيل جحيمك حتى ولو أخرجتهم أو خرجوا منه ليبقى فيه الآخرون لأنهم لن يقبلوا بل ولن يستطيعوا الهبوط إلى مستواك العقلي أو النفسي أو الأخلاقي أو الفني أو القانوني..

إلى مستواك الذي هبط إلى أن يتصور هذا الجحيم وإلى أن يرى ويجد كل جمال وعبقرية وعظمة العدل والذكاء والإبداع والقوة والفروسية بل والألوهية في أن يفكّر ويدبر ويخطط ويريد ويقاسي، يقاسي، ويستنجد بكل أخلاقه وآثامه وأخطائه ونزواته وبكل شهواته في التعذيب ورؤية المعذبين وفي الاستماع إلى أناتهم وآهاتهم وصرخاتهم التي لن تجد سميعاً أو مستجيباً. ويستنجد أيضاً بكل أعوانه ومستشاريه وبكل ملائكته وزبانيته وأبالسته لكي يستطيع أن يخططه أي يخطط جحيمه ويخلقه ويخرجه ليكون قادراً على إشباع شهواته في رؤية العذاب والمعذبين وفي الاستماع إلى استغاثاتهم الضائعة بلا عزاء أو رثاء، وليجعله خالداً، خالداً ليخلد في عذابه أطفالاً وشباناً وكهولاً وشيوخاً ورجالاً ونساء، أصحاء ومرضى، أقوياء وضعفاء، عظماء وحقراء، مشوهين وأسوياء، شجعاناً وجبناء، فجاراً وأتقياء، بعد أن قاسوا في حياتهم الأولى كل ألوان التعذيب والترويع والتشويه والهوان والإذلال، أي بعد أن قاسوا ما يستحقون عليه كل أنواع التفكير والتعويض والاعتذار والتوبة، بل بعد أن قاسوا ما لا يمكن أو يستطاع التكفير أو التعويض أو الاعتذار أو التوبة منه وعنه لضخامته ووقاحته ووحشيته ونذالته، ليخلدهم في عذابه لأنهم لم يستطيعوا أن يكونوا عمياناً، ولم يستطيعوا أن يكونوا مبصرين إلى أن يروا ما لا يرون أو يرى أو ما لا وجود له.

. . . لأنهم لم يستطيعوا أن يروا أو يفهموا أو يعقلوا ما لا يمكن أن يكون مرئياً أو معقولاً أو مفهوماً، ولأنهم رأوا وعقلوا وفهموا ما لا يستطاع العجز عن رؤيته أو فهمه أو عقله.

. . . لأنهم عجزوا عن رؤية ما لم يوجد ولن يوجد، أو عجزوا عن رؤية وعن تقبل ما رأوا، ولأنهم رأوا ما لا يستطاع العجز عن رؤيته أو الكف عن رؤيته.

. . . لأنهم علموا هذه اللغة وهذه الصلاة فتعلموها وتكلموها وصلوها، ولأنهم يعلموا تلك اللغة ولا تلك الصلاة فلم يتعلموها أو يتكلموها أو يصلوها. .

. . . لأن معلميهم كانوا من متكلمي هذه اللغة ومصلي هذه الصلاة، ولم يكونوا من متكلمي تلك اللغة أو من مصلي تلك الصلاة الأخرى. .

. . . لأنهم تولدوا من هذه المقابر والأرحام ولم يتولدوا من مقابر وأرحام أخرى أو من تلك المقابر والأرحام الأخرى.

. . . لأنهم وُلِدوا هناك بعيداً عن الكعبة ولم يولدوا فوق أحجار الكعبة.

. . . لأنهم لم يُولدوا وحجر الكعبة الأسود يقبِّل أفواههم، يملأ أفواههم.

. . . لأنهم ولدوا في غرف فيها كتاب غير مقدس أو مقدس ولكنه لم يكن القرآن، ولم يولدوا في غرف فيها كتاب هو القرآن.

. . . نعم، لأنهم لم يستطيعوا أن يروا كائناً لا تستطيع أية عين رؤيته لصغر وضآلة حجمه أو لأنه معتم ومغطى بأكثف ظلمة، أو لأنهم خلقوا عاجزين عن كل رؤية وأية رؤية.

. . . أو لأنهم رأوا كائناً رهيباً فاجعاً في قبحه وتشوهاته وحماقاته وشطحاته فأغلقوا عيونهم بل فقأوها بل أنكروها لئلا يروه، استقباحاً لرؤيته، وانفجاعاً برؤيته، واشمئزازاً من رؤيته. . . إن الرؤية لتعذيب وفجيعة للرائي، وتحقير وسباب للمرئي أي أحياناً أو دائماً. وبهذه الرؤية كيف يمكن أن تكون الرؤية للإله؟

. . نعم، يا إلهي الذي لا يستطيع أن يكون ألمعياً بل ولا ذكياً بل ولا عامياً عادياً في أي شيء من معانيه أو تصرفاته أو توقعاته أو حساباته أو معاملاته أو رؤاه.

. . . نعم يا إلهي هذا لا تكن ساذجاً أو غافلاً مغفلاً إلى الحضيض الذي يجعلك تنتظر أو تؤمل أن يساعدك خبراء جحيمك أي الخبراء الذين تعذبهم في جحيمك والذين

هم كل الخبراء على أن يجدوا ويولّدوا الطاقة الكافية لتشغيل جحيمك تشغيلاً أبدياً لكي تخلدهم هم وغيرهم أو غيرهم دون أن يكونوا هم مع المعذبين في عذاب جحيمك. . .

إني أطالبك باليأس من هذا الأمل. وتذكر أني قد أصبحت أول صديق ناصح لك في كونك هذا. وإن قراءاتي لك وتفكيري فيك قد أقنعاني أنك في تأميلاتك وتوقعاتك ضعيف جداً بل أضعف من كل أوصاف الضعف. ولقد وجدت أسفاً راثياً لك أن أكثر وأقوى آمالك هي أكثر المستحيلات استحالة. .

إن تأميلك ليس تأميلاً ولكنه تكلم بلغة ليست موجودة ولن تكون موجودة. إن كل سلوكك وأخلاقك وكلامك ليس إلاّ تكلماً بلغة غير موجودة. . .

وقد حاولت بكل الشفقة والحنان وبكل الرغبة في البحث عن أي معنى أو تصرف جيد أو معقول أو مفهوم فيك ولك أن أجد أملاً واحداً من آمالك ممكناً أو محتملاً أو ليس مستحيلاً أو يمكن أن يراه أحد غيرك أملاً يستحق أن ينتظر أو حتى يعرض أو يسمع أو يحاور أو حتى ينفى لأن نفيه يحتاج إلى النفي، فلم أجد هذا الأمل الواحد فغصصت بالإشفاق عليك وبالرثاء لك يا إلهي الذي لن يوجد من يستحق الرثاء والشفقة عليه وله مثلك. !

. . . يا إلهي الذي لن يجرؤ على النظر إليه من رآه ما لم يكن شامتاً مستمتعاً بشماتته!

. . . إذن عليك أن تيأس من أن يفعل الخبراء والعلماء الموجودون جميعاً في جحيمك شيئاً لمساعدتك على إيجاد الوقود لتشغيل جحيمك. . .

بل إن احتمالاً خطيراً كبيراً يهدد جحيمك تهديداً مدمراً له ومدمراً لفكرتك وخطتك اللتين قادتاك إلى صنع جحيمك أو ورطتاك وفضحتاك في صنعه. !

هذا الاحتمال الخطير الكبير الذي لم تفطن أنت إليه حتماً هو أن يعمل جميع هؤلاء الخبراء والعلماء بكل عبقرياتهم وخبراتهم التي دخلوا بها إلى جحيمك والتي سوف تتولد وتتفجر فيهم وهم يعايشون ويواجهون ويقرأون ويفسرون ويقاومون جحيمك غاضبين مفجوعين مشمئزين. . التي سوف تتزايد فيهم هناك.

ـ نعم، أن يعملوا على تعطيل وإلغاء ونسف جحيمك وتحويله إلى نقيض لجحيمك بكل الأساليب والوسائل العلمية والفنية. . .

إنه لاحتمال قوي أن يريدوا ذلك ويستطيعوه ويحققوه. . .

لقد فعلوا مثل هذا في الحياة الأولى. . . إن كل عمل وخطط العلماء والخبراء أن يصححوا ويصلحوا أو يفسدوا ويلغوا تدبيرك وتخطيطك وأعمالك وأن يحولوها من بليدة وضارة وشريرة وفوضوية وعقيمة وعمياء إلى النقيض. إنه لا معنى ولا وظيفة لأي عالم أو عبقري مبدع إلاّ أن يناقضك ويداوي منك. !

. . . إنك تدبر وتخطط وتريد وتصنع الأمراض والعاهات والتشوهات والقحط والمجاعات والزلازل والبراكين والفيضانات والصحاري والجهل والأمية وجميع الآلام والنقائص والتفاهات والعبث وكل القبائح والفضائح والمذابح والنوائح. . والعلماء والخبراء هم الذين يدبرون ويخططون ويناضلون لإلغاء وإبطال كل ذلك أو لإصلاحه وتصحيحه وللمداواة والشفاء منه ولتحويله إلى نقيض ما أردت ودبرت وخططت وفعلت. إنه لا تعريف للعلماء والعباقرة والمبدعين إلاّ أنهم المقاومون المحاربون لك الحامون منك أيها الإله المعادي المخرب.

. . . إنهم أي الخبراء والعلماء هم الجيش المحارب الهازم لك. . أي المحارب الهازم لكل إراداتك وتخطيطاتك وتدبيراتك وشهواتك وصياغاتك وحكمتك ومنطقك وأميتك وبداوتك الفنية والنفسية والأخلاقية والعقلية. . . !

. . انظر إلى هذا النموذج الواحد من محاربة وهزيمة العلماء والخبراء لك. . . لقد دبرت وخططت وأردت وخلقت الصحراء والوباء. . .

فخطط ودبر وأراد العلماء والخبراء إزالة الصحراء والوباء ففعلوا ذلك. . . أليس هذا أقسى وأقوى وأتقى وأنبل حرب وهزيمة لك؟ هل توجد أو وجدت حرب نافعة أو مشروعة مثل أو غير حرب العلماء للإله؟ هل يوجد انتصار مفيد أو هزيمة مفيدة مثل انتصار العلماء على الإله وهزيمة الإله أمام العلماء؟

. . . قال أحد المفسرين للأشياء بألم وقسوة وانفجاع صادق عميق:

إن أي مريض يذهب إلى أي طبيب لو فسر ذهابه إلى الطبيب بالكلمات لجاء التفسير هكذا:

أيها الإنسان، أيها الطبيب الإنسان إن ذلك الكائن المسمى إلهاً. . . الجالس النائم المسترخي بعيداً، بعيداً بكل البلادة والغفلة والقسوة قد اعتدى عليَّ دون أن أعتدي عليه، دون أن يراني أو أراه، دون أن تكون بيني وبينه أية حسابات أو خصومات أو عداوات أو منافسات أو حروب، فانقذني منه، من عدوانه عليَّ!

. . . ولكانت استجابة الطبيب له تعني لو تحولت إلى كلمات:

نعم، نعم، سوف أحاول إنقاذك من هذا الجاني، من هذا الجاني الذي يجني دون أن يعرف أو يسأل لماذا يجني ودون أن يستفيد شيئاً من جناياته. !

. . سوف أحاول إنقاذك من هذا الإله الضارب بكل قوة يديه دون أن يرى بعينيه أو بعقله أو بقلبه أو بأخلاقه أو بكرامته المفترضة!

. . . هذا الإنسان القلق المتعذب بمساءلاته ومحاوراته وتحديقاته دون أن يستطيع إقلاق أو تعذيب أحد بقلقه وعذابه وتحديقه قال ذات مرة لطبيب ذهب إليه طالباً الشفاء لديه:

لماذا يمرض الإنسان. !؟ كان الطبيب قمة الغفلة والبلادة والعمى الفكري. !

لهذا كان الجواب: لله في ذلك حكمة!. قالها برضا عن ذكائه وإيمانه!

قال طالب الشفاء:

إذن أنت لست طبيباً تشفي من المرض ولكنك تشفي من حكمة الله ورحمته وإرادته. . إنك قاتل محارب، قاتل للإله ولحكمته ورحمته وإرادته. فإذا عالجت وشفيت مريضاً من مرضه فقد اعتديت عليه واعتديت على الإله وعلى الحياة وعلى المجتمع لأن قتل أو طرف حكمة الله هو اعتداء شرير على كل شيء. . . فإذا كان المرض حكمة خص الله بها أحد عباده فإن الواجب عليك حراسة وتثبيت هذه الحكمة لا العلاج منها بل وإعطاؤها القوة. !

إن من يعالج من حكمة الله فلن يكون إلاّ عدواً لله وعدو الله عدو لكل شيء جميل.

. . . إنك طبيب عالم مثقف. فكيف يخفى عليك ذلك؟

. . . ماذا قال الطبيب حينئذ؟ لنتذكر ما قال بدءاً لئلا نحتاج إلى هذا السؤال.

. . . إن الصمت هنا أفضل وأستر. إن الصمت فيه كل الجواب.

إن ما قاله أي الطبيب في بداية الحوار يفسر ما قاله في نهاية الحوار. . !

لقد كان الطبيب عربياً مسلماً. إذن هل يمكن أن نحتاج إلى معرفة ما قال؟

. . . كان هذا الإنسان القلق المعذب بشحنات الاحتجاج والانفجاع المحرق لكل رؤاه وتفاسيره ومحاسباته لكل شيء، يطلق أسئلته على كل من يستطيع إطلاقها عليه. إنه مقاتل. مقاتل ولكنه لا يقتل. إنه مقاتل لأنه يكره ويرفض القتل؟.

إنه محارب لكل المحاربين دون أن يلمس أي سلاح. !

. . . كان إذا رأى أو كلما رأى إنساناً بريئاً مصاباً بعاهة أو آفة أو بأية آلام أو أمراض وبيلة يطلق هذا السؤال على من حوله:

لماذ فعل الإله ذلك. ! . . آه. أريد أن أفهم لماذا فعل الإله الكبير الرحيم ذلك؟ فيجيء الجواب المعروف المحفوظ المكرر: له في ذلك حكمة. !

وهنا يتفجر احتجاجاً وانفجاعاً وغضباً ورفضاً قائلاً اسمعوا أو اسمع:

الله إما أن يكون قادراً على أن يكون حكيماً وعلى أن يرى نفسه حكيماً بدون أن يفعل بهذا الإنسان البريء ما فعل، أو هو لا يستطيع أن يكون حكيماً ولا أن يجد أو يرى أنه حكيم إلاّ بأن يفعل هذا العدوان الفظيع. . .

إن كان الرأي هو الأول فلماذا فعل هذا الذنب الوبيل، وإن كان الرأي هو الثاني أي أن الله لا يستطيع أن يكون حكيماً أو يرى أنه أصبح حكيماً إلاّ بأن يصيب هذا الشيخ أو الغلام أو الفتاة بهذه العاهة أو العلة أو التشوه أو التعجيز القبيح الوقح فأي إله هذا الإله الذي لا يستطيع أن يصبح حكيماً أو يحسب نفسه حكيماً أو يرضى عن حكمته إلاّ بأن يفعل هذه الفعلة وإلاّ بأن يعرض أو يشنق نفسه ووجهه وجماله فوق هذه العاهة، ومغطى بهذه العاهة، مرسومة منقوشة مكتوبة مقروءة مرئية فوقه هذه العاهة؟

. . . أية حكمة هذه الحكمة؟ لماذا الحكمة إذن لتسقط الحكمة ولتنهض السفاهة. . ليكن الإله سفيهاً لا حكيماً. نريده سفيهاً لا حكيماً إذا كانت حكمته تعني أن يصيب الأبرياء بالعاهات والتشوهات والأمراض والآلام وكانت سفاهته تعني ألا يصيبهم بشيء من ذلك أو تعني أن يحميهم من كل ذلك. إن وصف الإله حينئذ بأنه حكيم هو أقسى أساليب الذم والهجاء له. أما وصفه بأنه سفيه، بأنه أسفه من كل سفيه فلن يكون إلاّ قمة المديح والتمجيد له بهذه التفاسير للحكمة والسفاهة. !

. . آه. كيف يقبل أي كائن أن يكون حكيماً أو يرفض أن يكون سفيهاً بهذه التفاسير للحكمة والسفاهة؟

. . . إذن يا كل أصدقائي، يا كل الناس، كونوا سفهاء ولا تكونوا حكماء. لا تكونوا حكماء لئلا تكونوا مثل الإله الحكيم، لئلا تصيبوا الأبرياء من الشيوخ والأطفال والفتيات بالعاهات والتشوهات وبكل الوقاحات مثلما يفعل الإله الحكيم الذي يريد أن يثبت بذلك أنه حكيم ويقتنع بأنه قد أصبح حكيماً. !

يا كل أصدقائي، يا كل الناس، كونوا سفهاء جداً لتكونوا أتقى وأرحم وأنبل من الإله الحكيم، الحكيم جداً لأنه يفعل ما لا يفعله أو حتى يتصوره أسفه السفهاء. !

هل الطغاة الذين يفعلون كل الشرور والآلام يفعلونها ليكونوا حكماء كالإله؟ هل هذا هو التفسير؟

. . . اسمعوا هذا، هل سمعتموه؟

إن حاكمنا أو سلطاننا يصيب الأبرياء بالعاهات والتشوهات والآلام والأمراض. . . يفقأ عيونهم ويقطع أيديهم وأرجلهم وأنوفهم وأثداءهم ويفتك بكل جمال وتناسق أجسامهم ويلقي بهم في المعتقلات ويطاردهم بالإرهاب والتهديد والتشريد. . إنه يفعل بهم كل ذلك لكي يكون حكيماً وعظيماً ورحيماً وعادلاً وممجداً لشعبه وللإنسانية كلها ولكي يرى نفسه كذلك. . !

إن حاكمنا أو سلطاننا لا يمكن تفسيره إلاّ بالتفاسير التي يفسر بها الإله. !

. . إنه لا يرى نفسه كذلك إلاّ ملطخاً وجهه ويداه وضميره وأخلاقه وتاريخه بكل التشوهات والعاهات والخطايا والذنوب كما يرى الإله نفسه!

. . . وإن جميع الشعراء والأدباء والخطباء والوعاظ والكتاب والمعلمين بل والفلاسفة والمفكرين ليتحدثون بكل الصدق والعمق والإيمان والحماس والإعجاب والديمومة عن حكمة حاكمنا أو سلطاننا وعن حبه ورحمته وتقواه لأنه يفعل كل ذلك بالأبرياء من شعبه. . . يفعله بالشيوخ والأطفال، يفعله بالأتقياء الأبرار المؤمنين المخلصين المتطهرين المطيعين الصادقين المتعبدين. . وإن هؤلاء المتحدثين عن حكمة حاكمنا أو سلطاننا ليرون ويفسرون ويقولون إنه أي حاكمنا أو سلطاننا لن يكون حكيماً أو رحيماً أو عادلاً أو محباً لو لم يفعل ذلك بمن يفعله بهم. . !

هل سمعتم عن حاكمنا أو سلطاننا هذا؟ نعم، لأنكم سمعتم عن الإله. .

هل رضيتم عن حاكمنا أو سلطاننا هذا؟ نعم، يجب أن ترضوا عنه لأنكم رضيتم عن الإله. . هل ترون حاكمنا أو سلطاننا هذا حكيماً ورحيماً وعظيماً ومحباً وعادلاً لأنه يفعل ذلك؟ نعم يجب أن تروه كذلك كما رأيتم الإله هذه الرؤية. إنكم إن لم تروه أي حاكمنا وسلطاننا هذا هذه الرؤية لوجب عليكم ألا تروا الإله هذه الرؤية.

. . آه. هل تستطيع أن تتذكر يا إلهي؟

لقد كنت يوماً ما عبداً لك أحترق من هوان وقسوة التعبد لك. واليوم أريد أن أكون صديقاً ناصحاً معلماً لك بكل لهفات الصدق والإخلاص والحماس. . .

ففي أي حالتي هاتين تراني أنفع لك؟

لقد عبدتك بكل الهوان والمسكنة والصدق والأمل والرهبة. فماذا استفدت أنت من عبادتي لك وماذا استفدت أنا منها؟

أما نصائحي وتعليمي وصداقتي لك فكم أرجو ألا تكون بلا ثمن أو نفع كما كانت عبادتي... ولكن هل يمكن أن يصدق أي رجاء في الإله، أي فيك يا إلهي؟

هل يمكن تصور خائب وخاسر في رجائه مثل خيبة وخسران المتوجه برجائه إلى آلهة؟

نعم، هل يمكن أن يوجد أو يتصور خسران كخسران العلاقات والمعاملات والمحاورات بين الآلهة وعبادها أو بين الآلهة وأي شيء؟

هل خسر أحد مثلما خسرت الآلهة وخسر البشر في العلاقات والمحاورات والمعاملات بينها وبينهم؟

نعم، ماذا ربح أي إله من أية علاقات أو معاملات أو محاورات بينه وبين عبيده، وماذا ربح عبيده من هذه العلاقات والمعاملات والمحاورات؟

ولكن كم هي هائلة وفادحة الخسائر التي أصابت ولا تزال تصيب الفريقين: الآلهة والعبيد من هذه العلاقات والمعاملات والمحاورات؟ والمأساة أن الفريقين لم يعرفا ذلك ولا يريدان أن يعرفاه ولو عرفاه لما عملا بمعرفتهما..

والمأساة أن المعرفة ليست دائماً هي الأنفع أو الأفضل أو المطلب أو الهدف.!

إن المعرفة قد تصبح هي العذاب والدمامة واليأس والرعب.!

... إن العلاقات بين أي إله وعبيده تشبه العلاقات بين عاشقين أو بين من يزعمان أنهما عاشقان، ينفقان الكثير من أوقاتهما وطاقاتهما واهتماماتهما في المناجاة والمراسلة وفي البكاء والأنين والتأوه والصراخ والإنشاد شوقاً وحباً أو باسم الشوق والحب... وأيضاً ينفقان الكثير من الأوقات والطاقات والاهتمامات في رسم الصورة وصنع الملابس وتشييد البيوت والقصور وزراعة الحقول والحدائق وإقامة المتاحف والمعارض وتنصيب التماثيل وتوظيف الحراسات الهائلة على ذلك بأضخم وأغلى التكاليف..

كل منهما يفعل ذلك للآخر.. لإرضائه وإسعاده وتكريمه وانتظاراً وإعداداً واستعداداً للقائه لتفريغ كل طاقات وأسلحة الغرام والهيام في جسد وقلب الآخر..

نعم، مع أنهما لن يلتقيا أو يسمع أو يرى أو يعانق أو يصافح أو يلامس أو يجالس أو يعرف أحدهما الآخر، بل ولا يريدان أن يحدث ذلك بل ولعلهما يعرفان أو يعرف

أحدهما أن ذلك لن يحدث وأن ذلك لو حدث لكان هو العذاب والخسران والافتضاح وكل القبح والسخف بل وقد يكون أحدهما غير موجود وغير ممكن أن يوجد ولن يكون من راحة أو مصلحة الآخر أن يوجد..

وحتماً فإن أحدهما أي الموجود حتماً لا يهرب من شيء أو يهاب ويرفض شيئاً مثلما يهاب ويرفض لقاء الآخر..!

هل يقاوم أو يمقت الإنسان المؤمن شيئاً مثلما يقاوم ويمقت لقاء الإله؟

أجل، إن العلاقات بين أي إله وعبيده تساوي في كل تفاسيرها أو في أذكى وأجمل تفاسيرها أو في أقبح وأغبى تفاسيرها ما تساويه العلاقات بين عاشقين مجنونين مفتضحين في حبهما وفي الحديث والإعلان عن حبهما وفي الإنفاق على حبهما وفي الصلاة والأغاني لحبهما، دون أن تكون لهما قلوب تحب وتتحاب، أو عقول أو أخلاق تتشابه أو تتفاهم أو تتقارب، أو أهواء وأشواق تتجاوب أو تتجاذب، أو عيون تتغازل وتتخاطب وتتبادل النظرات المنادية الهاتفة، أو أيد أو شفاه أو صدور تتصافح أو تتعانق أو تتلامس أو تقبل، أو أعضاء مشحونة بالسائل البذيء لتبصق وتستفرغ أو ليبصق ويستفرغ فيها، أو غرف وسرر ليتلاقيا فيها وفوقها، لكي يتعريا من كل وقارهما واستتارهما واستحيائهما ويستفرغا السائل البذيء أي يستفرغه أحدهما ويستقبله الآخر..

.. إنه عشق فيه كل لغات العشق وادعاءاته وطقوسه وتكاليفه ومغارضه وتماثيله وشعره وشعرائه وشعاراته ولكن ليس فيه أي شيء من مشاعر العشق أو حنينه أو تفاسيره أو نياته أو حراراته أو سلوكه، بل إنه نقيض حاد لكل ذلك.!

.. إن عشق الإله لعبيده وعشق عبيده له لهما العشقان اللذان لا يوجد فيهما أي عاشق أو معشوق أو عشق.

.. إنهما العشقان اللذان يصنعان أبداً الخسران للعاشق والمعشوق.!

إنها لا توجد قصة حب كاذبة وأليمة ومخيفة ومهينة وخاطئة وخاسرة وعدوانية وبليدة ومناقضة لكل مشاعر الحب وأخلاقه وشروطه وأحاسيسه ونتائجه وعطاياه مثل قصة الحب المزعومة بين الإله ومخلوقاته..!

إنها لا توجد قصة حب بلا أي حب وبلا أي خلق أو سبب من أخلاق الحب وأسبابه وبلا أية مسرة من مسراته مثل قصة حب الإله لأي شيء غيره أو حب أي شيء غيره له.!

إنه لا يمكن أن يوجد أو حتى يتصور بعد كالبعد بين قلب الإنسان وقلب الإله أو

بين قلب الإله وقلب أي كائن آخر. إن كل العلاقات بينهما تباعد.. تباعد.

.. إنها لا توجد ولن توجد قصة حب هي هجاء وتحقير وسباب لكل قصص الحب كقصة الحب المزعوم بين الإله والإنسان، أو بين الإله والصرصار والذباب وأية حشرة أخرى أو أي شيء آخر أو حتى بين الإله ونفسه.!

هل يمكن تصور عاجز عن حب نفسه أو مخطئ في حب نفسه أو جاهل بحب نفسه أو هاج محقر مبغض لنفسه وهو يحسب بل يعتقد أنه يمتدحها ويمجدها ويحبها، مثل الإله؟

هل يمكن أن يوجد من قبل أو يريد أو يغفر أن يكون محباً أو محبوباً لو عرف أو اقتنع أو ظن أن كل الحب أو بعض الحب لا بد أن يفسر أو قد يفسر بشيء من الحب المتبادل بين الإله والإنسان أو بين الإله وأي كائن أو أي شيء آخر، أو حتى بين الإله وأنبيائه وأوليائه وقديسيه أو حتى بين الإله ونفسه؟ هل يمكن تصور جاهل بكل تفاسير الحب معطى ومأخوذاً مثل الإله؟ هل يمكن تصور مبغض محقر لنفسه وهو ينوي ويريد احترامها وحبها مثل الإله؟

* * *

نعم، يا إلهي إني لا أخاف أن تواجه ورطة صعبة ومؤلمة وفاضحة لذكائك وحساباتك من نوع وبحجم الورطات التي لا بد أن تواجهها جميع الزعامات والقيادات العربية كلما حاولت أي الزعامات والقيادات العربية أن تحارب أو تسالم، أن تصادق أو تعادي، أن تتحول إلى هذا الاتجاه أو المذهب أو النظام أو إلى النقيض...

أليست كل تحركات القيادات والزعامات العربية تنقلاً بين الورطات؟ بل أليس توقفها عن التحرك هو أيضاً تنقلاً بين الورطات ومعايشة للورطات واستسلاماً وتثبيتاً لها؟

أليست كل التفاسير لكل الزعامات والقيادات العربية هي كل التفاسير الأليمة لكل الورطات التي لن تعالج إلاّ استعارة أو صدقة مستوردة؟

والورطة التي أخاف عليك منها بل التي أتوقعها لك هي ألا تجد الوقود لتشغيل جحيمك. وقد فسرت لك الأسباب التي جعلتني أخاف هذا الخوف وأتوقع هذا التوقع في الصفحات السالفة..

ولأني وضعت نفسي في مكان الناصح الصديق المخلص لك فإني أطالبك بكل الصرامة والحزم أن تتدبر أمورك وتعيد حساباتك في هذه القضية بل وفي كل قضاياك الأخرى..

وفي هذه اللحظة تذكرت شيئاً خطيراً أسارع إلى تذكيرك به..

إن الشيطان لن يكون إلاّ من سكان جحيمك. هل تخالف في ذلك؟

والشيطان هو أعظم عبقري منتصر في هذا الكون. لقد انتصر عليك وعلى جميع رسلك وأنبيائك وملائكتك وعلى كل ما أردت ودبرت وخططت وعلى كل دعواتك وشرائعك ووعودك وتواعداتك..

لقد سحب من كل ما أردت وخططت وفعلت كل تفسير وقيمة ونتيجة وجعله لغواً وعناء..

... لقد أصبح هو وحده حاكم وقائد بل وإله كل شيء وكل أحد في هذا العالم والكون.. يحكمه ويقوده ويصوغه كما يشاء بالدهاء والذكاء والتحريض والتعليم والتسلل وبكل الحيل والأساليب العبقرية المنتصرة كل تفاسير الانتصار حتى إنه لم يترك لك أي مجد أو نفوذ أو رأي أو مكان أو أتباع بل لقد جعلك غريباً مرفوضاً منبوذاً وحيداً بلا أي مكان أو أصدقاء أو محبين أو حتى معزين أو مجاملين في أي مكان من هذا الكون.!

.. بل لقد جعلك بلا أي وظيفة. نعم، لقد أصبحت بلا أية وظيفة يا إلهي.!

... لقد أصبح كل شيء وكل أحد له تابعاً مطيعاً محباً بل عاشقاً أي للشيطان.! لقد خلقت الإنسان أي آدم وحواء وأسكنته الجنة لتكون هي مكانه الأبدي ليكون لك جاراً جليساً عابداً صديقاً مسلياً مفرحاً. ولكن بكل السهولة والسرعة استطاع أي الشيطان أن يهزمك وأن يخرجه من جنتك مفسداً عليك كل ما خططت وأردت ودبرت وأحببت. لقد سحبه علناً وقسراً وبكل الكبرياء من أحضانك وتركك حزيناً ذليلاً كسيراً حسيراً..!

لقد كان أو أصبح الشيطان هو أعظم منتصر وكنت أو أصبحت أنت يا إلهي أعظم أو أصغر أو أذل منهزم..

حتى جحيمك يا إلهي من أراده وخطط له وشيّده ودفع جميع تكاليفه أو ألزمك بدفع جميع تكاليفه؟ أليس الشيطان هو الذي فعل كل ذلك لأنه هو وحده الذي أغوى وأغرى وعلم وقاد كل من يستحقونه أي يستحقون جحيمك أو من رأيت أو زعمت أنهم يستحقونه؟

لقد أراد أي الشيطان وأحب وقدر وحكم عليك أن تخلق الجحيم، فخلقته وأنت حزين باك مقهور لأنه بارزك ونافسك على الإنسان الذي أردته لك وحدك عبداً خالصاً. فحوّله هازماً مذلاً لك إلى نقيض ما دبرت وأردت وأحببت وخططت، وحينئذ حاولت

أن تنتقم بأسلوب همجي ليس فيه أي قدر من الذكاء أو الوقار أو العبقرية، فخلقت الجحيم. . !

إذن فالشيطان بكل التفاسير هو خالق الجحيم. .

أجل، الشيطان هو مخطط الجحيم وخالقه ليعذب ويعاقب به هو وأتباعه. !

من يصدق هذا من يصدقه؟ ولكن من يستطيع أن يكذبه؟

هل يمكن يا إلهي أن تتهم بالعجز عن أن تفهم ذلك أو عن أن تفهم وتقتنع بأن الشيطان الذي يملك كل هذه القدرات والعبقريات والانتصارات لن يعجز أو يكف عن تدمير أو إفساد أو تعطيل جحيمك أو تحويله إلى نقيض ما أردت ودبرت وخططت؟ كيف وهو حتماً سيكون من سكان جحيمك كما لا بد أن يكون جميع من معه في جحيمك هم أصدقاءه ورعاياه الأبرار الأوفياء الذين أطاعوه وأرضوه وأكدوا مجده. . الذين عصوك وأغضبوك لكي يطيعوه ويرضوه؟

. . الشيطان من سكان جحيمك. !. إذن كيف وثقت ببقاء جحيمك يا إلهي الساذج. . الساذج المستحق لكل الرثاء والبكاء لسذاجة سذاجته؟

. . سأقول لك شيئاً لا بد أن يكون بعيداً عن فهمك مع أنه لن يكون بعيداً عن أي فهم آخر. وأرجوك ألا تغضب عليَّ يا إلهي لقسوة حكمي عليك. فلقد وجدتك دائماً آخر من يفهمون بل آخر من لا يفهمون!

إن عقابك بالتعذيب في الجحيم عقاب مادي همجي، ليس ذكياً ولا فنياً ولا أخلاقياً ولا مهذباً أو متلائماً مع قدرة أو مكانة أو أخلاق أو ذكاء من أراده وخططه وأخرجه. !. إنه عقاب يخجل حتى من تصوره أكبر وأبلد المجرمين. !

. . إن المعقول والمفروض أن يكون عقابك وكذا عقاب كل من في مستواك عقاباً أدبياً. . نفسياً أو عقلياً أو أخلاقياً أو شيئاً من ذلك أو يشبه ذلك لا عقاباً بالحطب أو الخشب أو بالغاز أو بالنفط أو بالحديد المحترق المحرق. .

إن مثل هذا العقاب لا يعاقب له إلاّ العاجزون الجاهلون الأجلاف الأوغاد المرضى بأمراض لا تستطاع معرفتها ولا العلاج منها. وحتى هؤلاء قد يكون من الصعب أو المستحيل أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب.

وهل يمكن اتهامك بالعجز عن أن تعرف أو تجد أو تصنع العقاب الأدبي الملائم؟ وإني لأعدك بالمساعدة على اختيار هذا العقاب الأدبي بل وعلى تخطيطه وصياغته

وإخراجه أي إذا أنت أعلنت بأسلوب مقنع أنك سوف تتراجع عن العقاب المادي الهجمي بالنار إلى العقاب الأدبي . .

وإني لواثق بأننا سوف نجد صيغاً كثيرة وجيدة وذكية وفنية ومحترمة لهذا العقاب الأدبي بل وبلا تكاليف أو بتكاليف قليلة وسهلة محاسبة بتكاليف الجحيم. إن العقاب الأدبي أكثر وأنبل رحمة بعينيك ويديك وعقلك وأخلاقك ووقارك من العقاب المادي. هل تجهل ذلك؟ هل يستطاع جهله؟

لو أن إنساناً حكيماً عاقلاً قوياً مهذباً محترماً غضب على إنسان آخر غضباً عقلياً أو مذهبياً أو نفسياً أو أخلاقياً أي غضباً أدبياً بل أو أي غضب حتى ولو لم يكن أدبياً، وأراد أن يعاقبه انتقاماً أو زجراً فهل يمكن أن يعاقبه بالإحراق أو بالكي أو بالشي بالنار أو بفقء عينيه أو بالبصق عليه أو بتشويه وجهه؟ أليس المحتوم أن يعاقبه عقاباً أدبياً . . أخلاقياً أو نفسياً أو فكرياً أو شبه ذلك أي إن كان محتوماً أن يعاقبه؟

أما الجاهل أو الوغد أو المجرم أو القاتل أو المعتوه أو المجنون أو الخارج على كل القوانين والأخلاق والنظم فهو الذي قد يقال أنه قد يعاقب بهذا العقاب الذي لن يعاقب به الإنسان الحكيم العاقل القوي المحترم المهذب.

وهؤلاء الذين تريد معاقبتهم بهذا العقاب المادي الهمجي الجاهل لأنهم قد أغضبوك وأساءوا إليك أو هكذا زعمت وظننت إنما فعلوا بك ولك ذلك أدبياً أي فكرياً ونفسياً وأخلاقياً واعتقادياً لا مادياً أي أنهم لم يسجنوك أو يضربوك أو يشوهوك أو يسرقوك أو يشووك بالنار أو يقطعوا شيئاً من أعضائك أو يدمروا عرشك أو يطفئوا شموسك أو يسقطوا سحابك أو يشربوا مياه أنهارك أو يخفوا أو يلغوا صحراءك . . !

إذن عاقبهم إن لم يكن بد من معاقبتهم بالأسلوب أو بالمنطق الذي به عاقبوك أو أغضبوك أو أساءوا إليك إن كانوا أو لو كانوا قد أغضبوك أو أساءوا إليك وأصبحوا يستحقون أي عقاب . .

ولرغبتي الصادقة في تحريضك على أن تتراجع عن العقاب الهمجي المادي إلى الأخذ بالعقاب الأدبي الذي أنصحك به وأصر على أن تلتزم به أعرض عليك نماذج من ذلك . . من هذه النماذج للعقاب الأدبي أن تهب هؤلاء الذين تريد تخليدهم في الجحيم عيوناً مطلقة الرؤية وأن تفتح لهم وأمامهم نوافذ على فردوسك لكي يستطيعوا رؤية أنبيائك وأحبابك وأوليائك العظام الزهاد الأتقياء المتوقرين الروحانيين اللاعنين للمادة والماديين جداً وهم متحلون بالأساور والقلائد والخواتم الذهبية، وهم متزينون بالملابس

الحريرية ذات الألوان والأصباغ الكونية الجنونية بين حشود الجواري والحوريات والغلمان المخلدين الذين هم كاللؤلؤ المكنون، والكؤوس، كؤوس الخمور والألبان تتعاقب وتتنقل عليهم من أيدي الجواري والغلمان والحوريات فوق الموائد التي أنت وملائكتك وأعوانك بعض أو كل طهاتها وجرسوناتها ومربي حيوانات وطيور لحومها، وهم أي أنبياؤك وأولياؤك وأحبابك العظام جداً يغنون ويرقصون ويتثاءبون ويضحكون ويغازلون الجواري والغلمان والحوريات وينظرون بكل الفرح الأبله إلى أساورهم وخواتمهم وقلائدهم الذهبية وإلى كوفياتهم وعقالاتهم وعباءاتهم وجلابيبهم الحريرية، وأنت من فوق عرشك تطل عليهم فرحاً مبتسماً غريقاً في مشاعر الزهو والكبرياء والمباهاة، نشوان سكران من الاستمتاع بما ترى كأنك حين ترى تستمتع جميع أعضائك وشهواتك ومجاعاتك بكل ما تراهم به يستمتعون.

. . . كأنك تراهم يمارسون ممارساتهم بأعضائك وشهواتك ومجاعاتك. كأنهم بذلك يعالجونك من حرمانك الأزلي الأبدي ويعوضون ويكفرون عنه. .

. . ثم تظل ويظلون هكذا أبداً لا تتغير ولا تبديل ولا طموح ولا تفسير كل القبح والبلادة والعذاب في الديمومة، ديمومة الزمان والمكان والكينونة في كل مواجهاتها وتطلعاتها ومعاملاتها. !

. . . نعم، أليس هذا أي لو فعلته بهؤلاء المغضوب عليهم عقاباً أدبياً موجعاً كافياً؟ أليس هذا الذي سوف يرونه حينئذ في فردوسك لا بدَّ أن يصيبهم بأقسى عذاب الانفجاع والاشمئزاز لسخف وقبح وتفاهة المنظر والفكرة والتفسير والنهاية والهدف؟

أليس محتوماً أن يصابوا بكل آلام الذعر والغثيان والاحتقار والرثاء للنفس لو تصوروا أنهم قد يحكم عليهم بمثل هذا المصير ليمارسوا مثل هذه الممارسات التي يمارسها أنبياؤك وأولياؤك وأحبابك العظام في فردوسك هذا تحت رعايتك ورؤيتك وخدمتك ومجالستك، راضين عن ممارساتهم هذه كل الرضا فرحين بها كل الفرح وأنزق الفرح، دون أن يبقى لهم أي طموح أو تطلع أو شوق أو تأميل أو عمل غير هذا. . دون أن يكون أو يبقى لهم أو فيهم أي صعود أو هبوط أو ارتحال أو رؤية أو كينونة أو مكان بل أو زمان بل أو إله مواجه مصادق معامل راع حام مدبر مريد مفكّر غير هذا؟ إن عذاب المواجه لهذا من خارجه لا بدَّ أن يكون رهيباً، رهيباً. .

أما الممارسون له العائشون فيه فمحتوم أن تموت كل معانيهم لكي يتقبلوه ويرضوه. !

. . ومنها أي من نماذج العقاب الأدبي التي أعرضها عليك لتعاقب بها من أصابوك بالغيظ والغضب لتكون بديلاً عن معاقبتهم بالجحيم يا إلهي.

ـ نعم، من هذه النماذج أن تخلق أو تركب في هؤلاء الذين استحقوا عقابك عيوناً ترى وتقرأ وتحدق أي تراك وتقرؤك وتحدق فيك وأيضاً ترى وتقرأ كل شيء وتحدق فيه، وعقولاً وأخلاقاً وضمائر وكبرياء وبسالة وتقوى إنسانية ومنطقية تحاسبك وتحاكمك وتفسرك وتسائلك وتحاصرك وتطالبك وتشترط عليك وفيك وأيضاً تفعل كل ذلك في كل شيء ولكل شيء ومع كل شيء وبكل شيء.

آه. . ما أقسى وأدوم عقاب وعذاب من تخلق أو تركب فيهم هذه العيون والأخلاق والضمائر والكبرياء والبسالة والتقوى التي لم تقتل أو تمت أو تسكت وظائفها. . إن كل نظام ومذهب ودين ومجتمع لا بدَّ أن يمارس بأسلوب ما قتل أو إسكات أو إفساد أو خداع العيون والأخلاق والضمائر والكبرياء والبسالة والتقوى. !

. . لقد قبل الناس عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وضمائرهم وكبرياءهم وبسالتهم وتقواهم الدينية والإنسانية بعد أن جربوها فوجدوها لا ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحاكم أو تحاسب أو تسائل أو تحاور أو تطالب أو تشترط، بل بعد أن جربوها فوجدوها تؤدي أخلاقها ووظائفها ضد أخلاقها ووظائفها وخروجاً على أخلاقها ووظائفها أي بعد أن علموها أن تكون نقيضاً حاداً لأخلاقها ووظائفها المزعومة لها. .

. . ما أقسى عذاب أي إنسان ظلت أو لو ظلت عيناه وعقله وضميره وأخلاقه وبسالته وتقواه وكبرياؤه أو أي معنى من معانيه ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحاسب أو تحاكم أو تسائل أو تطالب أو تشترط أو حتى تحيا أو تؤدي أية وظيفة من وظائفها التي تحدثت عنها كل الأديان والنبوات والأخلاق والتعاليم. . !

وأيضاً من نماذج العقاب الأدبي التي أعرضها عليك بكل اللهفة والمودة أن تلزم بأي أسلوب تختاره هؤلاء الذين تريد عقابهم بأن يقرأوا ولكن بموهبة غير عربية كل ما قالته وكتبته جميع الزعامات والقيادات والشاعريات والفلسفات والعقول والتعاليم والأخلاق العربية بل والنبوات العربية في كل التاريخ. . بأن يقرأوها ويقرأوها ويظلوا يقرأونها ولكن قراءة غير عربية. إن القراءة العربية ليست قراءة ولكنها تثاؤب أو سعال أو استفراغ فوق الحروف.

. . أليس في هذا الإلزام بهذه القراءة عقاب أدبي فادح، فادح؟

. . قاس عذابك جداً أن تكون غير عربي المواهب ثم تقرأ بمحاسبة وحرارة

وحماس وتحديق ما كتبته وقالته وعلمته واستفرغته العقول والأفواه والأخلاق العربية في كل تاريخها. !

قاس جداً عذابك أن تقرأ هذا وأنت تفاسير إنسان لا أن تقرأه وأنت صيغة إنسان!.. وأطالبك يا إلهي أن تسمع هذا الأسلوب الآخر من أساليب التعذيب الأدبي فقد تختاره لتعذب به من يستحقون التعذيب بديلاً عن التعذيب في الجحيم.. إني يا إلهي أريد أن أبرئك من الجحيم ومن جنون التعذيب به!

.. هذا الأسلوب يفرض عليك أن تكشف عن ذاتك، أن تخرجها من المخابئ المتداخلة وتلقي عنها كل الأقنعة والحجب الكثيفة لكي تصبح مرئي الذات والوجه والملامح والتعبيرات لكي يستطيع هؤلاء الذين يراد تعذيبهم أن يروك مستنجداً بكل عبقرياتك وفنونك وذكائك وعضلاتك وبكل هماتك واهتماماتك وهمومك خيفة أن تنسى أو تخطئ أو تضعف أو تعجز أو ترق أو ترحم أو تتسامح وأنت تدبر وتخطط وتلهث وتجلد أعصابك وتدق أسنانك لكي تصيب بهذا الزلزال أو الإعصار أو الفيضان أو الوباء أو القحط أو المجاعة أو بأي بلاء أو عذاب.

.. لكي تفقأ عين هذا وتقطع يد أو رجل هذا وتصيب هذا بالسل وهذا بالشلل وهذا بالسرطان وهذا بالجذام وهذا بالدمامة وهذا بالتشويه وهذا بالجنون أو العته أو البلادة أو العار أو الهوان أو الهزيمة أو الضياع أو بأي شيء مما في كونك الوقح السفيه من قبح وآلام وخطايا وحماقات، ثم تذهب تحدق فيمن أصبت وفيمن فعلت به وفيما فعلت متهللاً متفجراً بالنزق والفرح والضحك والسعادة والإعجاب بالنفس، راضياً عن رحمتك وحبك ورقتك وشاعريتك وفروسيتك وعدالتك وعبقريتك متغزلاً بوجهك ولوجهك الممتلئ بالابتسام لأنه يواجه من فعلت به، من أصبته بما أصبته، منزلاً الكتب المقدسة الخالدة في تمجيد ومديح نفسك، ملزماً من أصبتهم وفعلت بهم أن يشكروك ويعبدوك ويمدحوك ويجزوك على كل ما فعلته بهم وأصبتهم به.. !

إن أفظع ما فيك يا إلهي أن تفعل كل هذه الفظائع بالديمومة ثم تجرؤ على إنزال الكتب المقدسة لتتحدث بكل الصوت عن رحمتك ورأفتك وشهامتك وحبك. !

والأفظع من كل ذلك أن يصدقك الأنبياء ويجيئوا إلينا ليحدثونا بكل أصواتهم عن أنك كذلك. فهل هم أي الأنبياء أغبياء أم جبناء؟ هل هم كتاب عرب يمدحون سلطانهم؟

... نعم، أليس عذاب هؤلاء الأدبي سيكون من أقسى أنواع العذاب أي لو ظهرت لهم ورأوك هذه الرؤية، ممارساً لكل ممارساتك المعروفة المكررة الثابتة؟

أجل، ولكن بشرط لا بد منه هو أن تكون رؤى وحسابات ومحاكمات وقراءات وتفاسير هؤلاء لك ولأي شيء غير عربية وغير المساوية أو المشابهة للعربية. !

* * *

هذه أربعة نماذج من العقاب الأدبي قرأتها بحرارة واستحياء على ضميرك وعقلك وأخلاقك وكرامتك مؤملاً ومطالباً أن تأخذ بواحد منها أو بها كلها وتتراجع عن العقاب بالجحيم، أي أن تأخذ بها نصاً أو فكرة.. إنك إن أخذت بها نصاً فقد أرضيتني وأرحتني وأرحت نفسك. أما إن أخذت بها فكرة أي مبدأ فقد أرضيتني ولكنك لم ترضني إذ أني حينئذ لا بدَّ أن أكون محكوماً عليَّ بالبحث لك عن نماذج أخرى من نماذج العقاب الأدبي مؤملاً ومطالباً أن تقبلها أو تقبل واحداً منها نصاً لا فكرة فقط.. إن فكري يقول لي إن إلهك أي إنك أنت محتاج إلى العون والمساعدة والمشورة في هذه القضية وفي كل قضاياك الأخرى، وإن ضميري ليلزمني بهذه المساعدة والمشورة والعودة وإنه أي ضميري ليعاقبني أشد العقاب ويحرضني أقسى التحريض لكي أنفذ هذا الإلزام..

إن الإنسان ليعلم ويصحح ويساعد إلهه أكثر من العكس بل دون العكس.

إن جمال الإله وذكاءه لهما ذكاء وجمال في الإنسان، ولكن ذكاء الإنسان وجماله لن يكونا جمالاً أو ذكاء في الإله أو له بل قد يكونان دمامة وغباء في الإله أو كاشفين عن غبائه ودمامته ومعلنين عن غبائه ودمامته. !

إن الإله لن يكون أو لن يرى ويبدو ذكياً وقوياً وعبقرياً وجميلاً إلاّ بقدر ما يكون الإنسان غبياً وجاهلاً ودميماً وأعمى. !

.. إن الالتزامات بين الإله والإنسان هي دائماً التزامات على أحدهما أو من أحدهما. وأن أحدهما هذا هو الإنسان دائماً..

إنها لا توجد ولم توجد شهامة أو محبة أو تضحية أو فروسية بين فريقين يلتزم ويتعذب ويموت بها ويفعلها دائماً واحد من الفريقين مثل أو غير الشهامة والمحبة والتضحية والفروسية المعلنة أو المزعومة أو المتصورة بين الإله والإنسان، وإن هذا الواحد من الفريقين هو الإنسان أبداً، أبداً.. إنه لا يوجد كائن غير الإله لا يفعل أي خير للآخرين مهما فعل له الآخرون. إنه غائب أبداً. !

آه. كما أنا راث لك ومشفق عليك يا إلهي لأنك أنت دائماً المحسن إليه المتفضل عليه الموهوب المساعد المدين المفعول له بل وبه.

لأنك أنت دائماً المتصدق عليه المدافع عنه المدفوعة عنه وله الغرامات. . !

. . هل وجد أو يمكن أن يوجد مفعول به وله ومدين ومساعد وموهوب ومتفضل عليه أبداً، أبداً دون أن يجزي أو يقابل ذلك بأي شيء مثل الإله أو غير الإله أي مثلك أو غيرك يا إلهي الذي لا أستطيع أن أقتنع بأني بكيته كما أريد ويستحق أن أبكيه أو أبكي من أجله وعليه حتى ولو تحولت كل البحار والأنهار والسحاب إلى قطرات من فيضانات دموعي. !

نعم، إنه لا أحد مثل الإله أو غير الإله يذهب كل الحب والعطاء والعمل له والشوق إليه والتأميل فيه والانتظار منه بلا أي جزاء أو شكر أو ثمن أو حتى اعتراف منه بالجميل!

إنه أي الإله هو الآخذ أبداً بلا أي عطاء مادي أو حتى أدبي. !

. . إن الإله في كل أوطانه وتاريخه وصيغه هو الكائن أو هو المشروع الذي لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أفدح من الإنفاق عليه والعمل له وفيه والاهتمام به دون أي ناتج أو إنتاج أو نتيجة. .

. . إن البشر في كل تاريخهم وأوطانهم لم يقاسوا ويتعذبوا ويخسروا للإنفاق على مشروع لن يعطي أو ينتج أي شيء مثلما تعذبوا وقاسوا وخسروا للإنفاق على الإله وعلى الإيمان به. . للإنفاق عليه من أموالهم وأعمالهم وأوقاتهم وطاقاتهم بل ومن أخلاقهم وعقولهم وكرامتهم وكبريائهم بل ومن حبهم وصداقاتهم وإخوتهم الإنسانية والبشرية. إنه لم يوجد معتد على كل تفاسير الإنسان الجملية ومفسد مشوه لها مثل الإله أي مثلك يا إلهي. !

. . إنه إذن لمن القول المبالغ في صدقه وتواضعه أن يقال إن الإله هو أي إنك أنت يا إلهي أكبر وأفظع لص كوني سرق من البشر أضخم وأغلى ما يمكن أن يسرق منهم بل ما لا يمكن أن يسرق منهم ولا من غيرهم، دون أن يدروا أحياناً، ودون أن يقاوموا أو يرفضوا لجبنهم أو عجزهم أو خمولهم أو نفاقهم أحياناً أخرى. . إنهم لم يستسلموا لأي لص مثلما استسلموا لك أيها اللص الأعظم، أيها الإله اللص!

. . إنك يا إلهي لتقسو بلا أي قدر من الرحمة أو الوقار في مقاومتك واستفظاعك للسرقة حتى لتلزم بقطع يد أصغر وأطيب وأفضل سارق سرق أصغر وأتفه شيء في حساب ورؤية مجتمعه بينما لك أنت في كل المجتمعات أو في أكثرها أعداد هائلة من المراكز والمكاتب والنوادي والجمعيات والمدارس والمعاهد والبيوت والمحاريب

والمنابر التي تعلم بكل الإعلان والمباهاة كل أنواع السرقة لك وباسمك والتي تزدحم بالسارقين باسمك والسارقين لك. . بالمعلمين المشرعين الممجدين للسرقة لك وباسمك. . بالموظفين في السرقة وللسرقة فقط، لسرقة أموال وأعمال وطاقات واهتمامات وصداقات وحب ووقار وكرامة وذكاء وأخلاق وضمائر وتاريخ مجتمعاتهم. انظر. كم هم الموظفون في كل المجتمعات لكي يسرقوها لحسابك ولحسابهم باسمك. انظر، انظر.

. . ما أصغر وأردأ وأكذب وأتفه المجتمع الذي يعاقب أصغر وأنبل وأتقى لص بينما يعيش ويعيث فيه أكبر وأفدح لص بكل موظفيه وجيوشه ودعاته ودعاياته ومهرجاناته ومواكبه ومنابره ومحاريبه بكل الجهر والدوي والكبرياء بل وبكل السب والتحقير والإهانة لكل ما فيه ومن فيه. .

أي بينما يعيش ويعيث فيه مثل هذا الإله بكل أوصافه وتاريخه.

. . أي بينما تعيش وتعيث فيه أنت يا إلهي الذي لن يتعذب أو يفجع أو يعجز أو يقاسي من الاستحياء والهزيمة والتفاهة أحد مثلما أتعذب وأفجع وأعجز أنا وأقاسي من الهزيمة والاستحياء والتفاهة حينما أحاول التفسير لك أو الدفاع عنك أو الإيمان بك أو عرضك في أي سوق أو معرض أو رؤية لتبدو جميلاً أو معقولاً أو مقبولاً أو مفهوماً أو حتى مغفوراً أو حتى موجوداً. . !

إنه لا يوجد يا إلهي صانع للعذاب مثلك ولا مصنوع به وله العذاب مثلي أي رائياً ومحاسباً ومحاكماً ومفسراً ومعاتباً ومشترطاً لك أي محاولاً ذلك. !

انظر وفكر يا إلهي. . هل وجد كائن معذب لي مثلك أو وجد إنسان متعذب بإلهه ومن أجل إلهه مثلي؟

إن مأساتي أنني لا أستطيع الصمت عنك برؤاي أو بتفكيري أو بتفسيري أو بمحاسباتي أو بشروطي وأنت بكل معانيك ونماذجك لا يمكن أن تتلاءم مع شيء من ذلك بل وأنت نقيض حاد لكل ذلك، وأنت كذلك لا تستطيع أن تصمت أو تأمر أجهزتك وموظفيك ولصوصك أن يصمتوا. إنه لا شيء يستطيع الستر على قبح وفضائح ونذالات أي إله غير الصمت عنه وصمته. !

. . إنه لا جمال ولا ذكاء ولا مزية لأي إله إلاّ بالصمت عنه، صمت الرؤية والتفكير والمحاورة والمطالبة والتأميل والاشتراط، وبصمته هو، صمت أجهزته ولصوصه وموظفيه، وصمت الباصقين عليه وعلى كل شيء بأسلوب ودعوى تجميله

وتمجيده.. إنه لا يوجد مبصوق عليه ومبصوق به على كل شيء بادعاء الاحترام والتمجيد له مثل الإله أو غير الإله أي غيرك أو مثلك يا إلهي، يا من يبصق أوقح وأقبح وأرذل الناس بصاقاً على كل الوجوه والعقول والأخلاق والكرامات والعبقريات باسمه، باسم أنبيائه وأديانه ونبواته وكتبه المقدسة، وباسم الاحترام والتمجيد والحب والأفراح والإسعاد له، لعينيه وقلبه وضميره وعقله وأخلاقه وكبريائه، وباسم الدفاع عنه والتكريم لكرامته والتكبير لكبريائه.. يا إلهي، يا من تصعد أصغر وأقصر وأعجز وأجبن القامات والهامات فوق أعلى وأشمخ وأنبل الهامات والقامات وأبسلها باسمه، باسم أديانه ونبواته وأنبيائه وكتبه المقدسة وبدعوى التكريم والتمجيد والاحترام والحب له والدفاع عنه.

.. يا من يزعم كل الموظفين والعاملين في دواوينه أنه لا يستطيع أن يكون كريماً أو عظيماً أو يقنع أنه قد أصبح كريماً أو عظيماً إلاّ بتحقير وسباب كل شيء عظيم وكريم.!

.. يا إلهي يا من لا يوظف أو يتوظف أو يعمل في دواوينه إلاّ اللؤماء أو الأغبياء أو العاجزون أو الضائعون أو المنافقون أو الخادمون أو الذين يصعب تفسيرهم لأنه ليست لهم تفاسير ولأن كل التفاسير ترفض أن تكون من تفاسيرهم أو أن تحاور لتكون بعض تفاسيرهم أو مذكرة بتفاسيرهم..

.. يا إلهي يا من يخجل من كل الموظفين والعاملين من الموظفين والعاملين عنده. يا من يرفض كل الشرفاء والأتقياء الأذكياء أن يكونوا من موظفيه أو مصادقيه أو مفسريه أو أنصاره أو دعاته.!

عاقبني بجحيمك لئلا تعاقبني بفردوسك

إني يا إلهي أتهمك بأنك قد هبطت بالإنسان العربي هبوطاً فاجعاً. . هبطت به في تصورك له وإعلانك عنه أو في تكوينك له أو في كل ذلك. . لقد تصورته وعرضته عرضاً وتصوراً بائساً ومهيناً أو كونته تكويناً صغيراً مهيناً أو فعلت به كل ذلك في عرضك وتصورك وتكوينك له وليس فقط في بعض ذلك. . إني عربي يتهمك بذلك. !

نعم، لقد هبطت بالإنسان العربي هذا الهبوط الذي يجب أن تحاكم عليه حين أنزلت أوصاف فردوسك الذي سوف تجعل تخليده فيه جزاءه الأبدي الأعظم على عبادته لك، باللغة العربية، على النبوة العربية، مخاطباً بها أي بأوصاف فردوسك الإنسان العربي. . !. . لقد دبرت واخترت وتصورت ووضعت جزاءه ليكون مرضياً له كما تفهمه وتتصوره وتراه. !

. . إذن لقد تصورت الإنسان العربي وعرضته أو تصورته وعرضته وكونته بالأسلوب أو بالطور أو بالصيغة التي تجعله يرى أن النموذج أو المُثل أو الطور أو الطموح أو الأمل الأعلى أو الكينونة العظمى للإنسان أو لأي كائن هو أن يوضع في خيمة أو في كوخ أو في قصر أو في ملهى أو في أي شيء من ذلك، محشود مخزون فيه كل شهوات الأعضاء البدائية الحيوانية الأولية التكوين والكينونة من الغلمان والجواري والخمور واللهو وكل أنواع الأطعمة والأشربة الخرافية، دون أن يكون أو يبقى في هذا الكائن أو الإنسان الذي وضع في هذا المكان أية قيمة أو تفسير من القيم أو التفاسير التي هي فوق أو بعد ممارسات الجنس والطعام والشراب واللهو والاسترخاء والخمول والتفاهة الشاملة، أي دون أن يعاني أو يحيا أي نوع من التفكير أو الطموح أو المغامرة أو الإبداع أو العمل أو الحماس أو الاهتمام بأي شيء أو أحد بل أو من

الهجوم والانفجاع والغضب الفكري أو النفسي أو الأخلاقي أي ليموت فيه كل شيء وتحيا أعضاؤه فقط..!

هل يمكن تصور تحقير أو تهوين أو هجاء لأي كائن أو لأي إنسان مثل تصوره أو عرضه أو خلقه بهذه الصيغة أو في هذه الصيغة أي أعضاء تجوع وتتغذى وتتلوث وتفرز لا كائناً يفكر ويدبر ويغامر ويرتحل ويبدع ويتطور ويقفز فوق وجوده.!

.. هل يقبل أي كائن أرقى من الحيوان والحشرة أو غير الحيوان والحشرة أن تكون هذه الصيغة أو الكينونة هي صيغته أو كينونته أو أمله أو طموحه أو حتى تصوره؟ وحتى الإنسان العربي هل يقبل ذلك، هل يقبله في كل مستوياته أو في أكثر مستوياته أو حتى في بعض أو أدنى مستوياته؟ لقد أصبحت أنت المتهم الأول للإنسان العربي بهذه التهمة الوقحة..

.. **إن كل هبوط الإنسان العربي لن يساوي هبوطك به في هذه القضية.!**

.. ألست قد أخطأت وأذنبت جداً يا إلهي في تصورك للإنسان العربي مهما كانت ضخامة ذنوبك وأخطائك في تخطيطك وتدبيرك وصياغتك له؟ لقد هبطت به حينما كونته ثم هبطت به هبوطاً آخر أقسى حينما صورته وتصورته وتعاملت معه.!

.. ليتك يا إلهي تستطيع أن تفكر أو ليت التأميل في أن تفكر ممكن لكي أقول لك: فكر، فكر في هذا يا إلهي الذي عذبني وفجعني وأخجلني كثيراً، كثيراً أملي في أن تكون مفكراً وعجزي عن أن أجعلك أو أجدك شيئاً من ذلك. وعذابي شديد، شديد لأنك بعيد، بعيد عما أريد!

نعم، لكي أقول لك: فكر، فكر..

هل يقبل أي عربي مهما كان طول هامته وقامته أن يقال له: إنك إذا كنت كما يراد ويطلب منك طاعة وتقوى وصدقاً وإيماناً وإخلاصاً ونظافة وبراءة وعبقرية فإن جزاءك الضخم الأعظم الأبدي أن توضع في خيمة أو كوخ أو قصر أو ملهى أو في شيء يشبه ذلك فيه كل ما تتغذى به وتجوع إليه أعضاء الحيوانات والحشرات.. كل ما تتغذى به وتجوع إليه أعضاؤك الأولية الحيوانية ثم لا شيء آخر يرجى أو يطلب منك أو تطمح أو تشتاق إليه أو تفكر فيه أو تقاسي وتناضل وتخاف وتتعذب عذاباً نبيلاً شهماً من أجله..؟

إن كل الحياة، كل جمال الحياة وعزائها في مقاساة وتحمل العذاب النبيل والخوف الباسل..

.. كلا، إن العربي لا يقبل أن يقال له ذلك أو يوعد أو يتهم به أو بأنه قد يريده أو يقبله مهما كان حجمه أو وزنه.!

.. إنه ليرفض أن يكون حيواناً أو تفاسير حيوان حتى ولو كان الثمن أن يوضع في فردوسك.!

.. إنه ليرى في ذلك كل الهجاء وأقسى الهجاء له ولمن يريد له ذلك.!

لقد أراد عربي أن يهجو عربياً آخر هجاء يحوله إلى كل الدمامة والعار والهوان في كل العيون والعقول والأخلاق والحسابات والتفاسير العربية الدائمة الأصيلة فقال محلقاً فوق كل المحلقين في هجائهم المحلق فوق كل الهجاء المحلق:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

إن هذا الشاعر الهاجي العربي ليرى بهذا أنه قد هجا أقسى هجاء، وإن هذا المهجو العربي ليحس أنه لم يهج أحد بمثل هذا الهجاء الذي به قد هجي. آه. رهيب، رهيب أن تكون في حساب الإنسان العربي أو الشاعر العربي جسداً أو أعضاء فقط تأكل وتلبس وتحيا حتى ولو في الفردوس..

.. إذن يا إلهي ألست قد قسوت وظلمت واعتديت جداً حينما أنزلت أوصاف فردوسك باللغة العربية على النبوة العربية مخاطباً ومساوماً ومغازلاً ومغرياً مغوياً الإنسان العربي لكي تسحره وتبهره بهذا الثمن؟

لماذا تخص الإنسان العربي بكل هذه القسوة في تصوره وتصويره وعرضه وفي الإعلان والحديث عنه بل وفي تكوينه؟ هل الحافز لك على ذلك هو البغض أو الحسد أو الغيرة أم الحب والاحترام والشوق أم الجهل والخطأ والضلال؟ إنه لا ينبغي أو يقبل الاختلاف على أنك قاس كل القسوة في صياغتك وتصورك وتصويرك وعرضك للإنسان العربي ولكن الاختلاف أو الخلاف لن يكون إلاّ في تفسير أسباب هذه القسوة.!

لقد بالغت جداً في تصغيره حينما أردته وخططته وكونته وصغته ثم بالغت مبالغة أخرى حينما تصورته وصورته وعرضته وتحدثت وأعلنت عنه. ولقد جاءت مساومتك له على فردوسك تعبيراً أليماً عن هذا التصغير له المتعدد التفاسير ولعلك يا إلهي المتوحش في كل صيغك وتفاسيرك وتاريخك لم تحقر أو تصغر أحداً أو شيئاً مثلما حقرت وصغرت الإنسان العربي حينما صغته وكونته وأردته وخططته وصورته وتصورته وعرضته وأعلنت عنه مواجهاً لإسرائيل ومتعاملاً مع نفطه أو مع نفطهم المزعوم لغوياً وخطابياً وتسامحاً دولياً نفطه هو..

إنك يا إلهي لو كنت كريماً أو شهماً أو مهذباً في تعاملك مع الإنسان العربي وفي إرادتك وتصورك وعرضك له لما رأيت أو قبلت أن يكون جزاؤه فردوسك أو الوعد بفردوسك إن هو أطاعك وعبدك بل لجعلت جزاءه شيئاً أكرم وأكبر وأمجد وأذكى، بل لجعلت جزاءه نقيضاً لهذا الجزاء ورفضاً له واعتذاراً عنه، بل عقاباً لهذا الجزاء، بل لما وجد هذا الجزاء في تصورك كما لن يوجد في أي تصور آخر. ! لقد كان المفروض والمعقول بل كل المفروض وكل المعقول أن يكون الجزاء الذي تراه وتعده للإنسان العربي وتعده به إن هو آمن بك وأطاعك وعبدك أن تجعله كائناً كونياً بل كائناً ربانياً أي رباً جديداً يريده ويخططه ويصوغه بعد أن يتمناه ويتخيله الرب القديم، أي يلده الرب القديم ليكون رباً جديداً بتفاسير رب جديد، ليكون تصحيحاً للرب القديم وتفوقاً عليه وتجاوزاً له وعلاجاً من أخطائه أي من أخطاء الرب القديم ومن عجزه وجهالته وبداوته ووحشيته كما يفعل الأبناء بآبائهم ومع آبائهم الذين يخلقونهم. .

اسمع وافهم يا إلهي:

. . وكم أتوقع بل كم يجب أن تسخر من الكلمات والقلم والورق حين أطالبك أن تسمع وتفهم. ومع هذا أكرر: اسمع وافهم يا إلهي:

إنه لم يكن من المنتظر أو المقبول منك أو المغفور لك أن تجزيه أي الإنسان العربي بفردوسك أو أن تعده بذلك بل أن تشحنه بأضخم الطاقات العقلية والعلمية والفكرية والنفسية والأخلاقية والمادية والعضلية ثم تطلقه في هذا الكون وفي جميع الأكوان الأخرى مغامراً فاتحاً خالقاً مبدعاً مرتحلاً محلقاً بلا حدود أو توقف أو استراحة أو استرخاء، صائغاً الكون الموجود وكل من فيه صياغة جديدة فنية عبقرية مبرأة من كل النقائص والعيوب والتشوهات والآلام والتفاهات والبلادات التي عجزت أنت أو لم ترد أن تجعل أي شيء في هذا الكون الموجود مبرأ أو محمياً منها. وصائغاً أيضاً أكواناً أخرى لا تصاب بأي شيء غير جيد أو جميل أو ذكي أو فني أو مريح، لا تصاب بأي شيء مما يزدحم به كونك هذا، لتكون أي الأكوان الأخرى الجديدة تعويضاً وتفكيراً واعتذاراً عما كان في كونك الهمجي البدوي الصحراوي الأليم الخارج على جميع النماذج والشروط الفنية والعقلية والأخلاقية، عما كان في كونك الذي لا يستطيع جنون كل المجانين أن يهبط إلى شيء من جنونه. !

. . أليس هذا هو الجزاء الجيد الكريم المطلوب المحترم النافع بل العبقري؟

لا أن تلقي به إلى فردوسك الأبله لكي تحوله إلى كائن يعذب العيون والعقول

والأخلاق بل والآذان أن تراه أو تقرأه أو تتصوره أو تفسره أو تسمعه أو تفهمه أو تحاسبه.

. . لتحوله إلى أمعاء وأعضاء حيوانية تأكل وتشرب وتمارس الجنس وتتحلى وتتزين بالأساور والخواتم والقلائد الذهبية وبالجلابيب والعباءات والكوفيات الحريرية، وتستلقي تحت الخيام بكل الخمول والبلادة والتفاهة والتغفيل والغفلة، بين الغلمان الذين لم يعرف أو يكشف أو يسمح لهم بالاختلاط بالجواري المسميات حوريات.

إن ها هنا لعقدة أو مشكلة. .

نعم، إن لم يكونوا مسموحاً بهذا الاختلاط لهم فالفردوس إذن فيه قيود وتحريم وتعذيب وغيرة وعذاب غيرة. ولا غيرة بلا نتائج حزينة.

أما إن كان مسموحاً لهم أو سوف يسمح لهم بهذا الاختلاط فهل التفسير لذلك أن سكان الفردوس حتى سكانه من الأنبياء والأولياء فاقدون لكل غيرة؟ ويوجد غموض مؤذٍ في تفسير وظيفة هؤلاء الغلمان. ولماذا اختروا غلماناً؟ هل لهذا الاختيار تفسير مريح؟ أنا عاجز عن الفهم!

. . إن مجازاتك للإنسان العربي بالأسلوب الذي عرضته وقرأته عليك وفسرته لك لا بدَّ أن يتحول إلى تصحيح وتمجيد وتجميل وتكريم وشِفاء وإنقاذ لكل شيء عجزت أنت أو لم ترد أو تعرف أن تفعل له ذلك:

بل إن ذلك لا بدَّ أن يهبك أو أن يبدو وكأنه قد وهبك شيئاً من الشهامة أو الذكاء أو الجمال أو الحب أو الحكمة أو الرحمة أو الرصانة أو الكرامة وأنت أبداً تبدو وتقرأ وترى يا إلهي فاقداً لكل ذلك، فاقداً له فقداً لا يستطاع الاختلاف عليه. إن الاختلاف عليك يا إلهي مزعوماً جيداً ومزعوماً رديئاً ليس اختلافاً عليك أو فيك ولكنه اختلاف بين المختلفين، بين أماكنهم. !

آه يا إلهي. إن أعظم وأنبل وأنفع وأذكى وأتقى شيء تفعله وتطالب بفعله أن تخلق أو تلد أو تفرز كائناً متفوقاً عليك لكي يشفى وينقذ من كل عيوبك وذنوبك وعجزك وأخطائك وخطاياك وبداواتك.

. . لكي يعرضك في هذا الكون وفي أي كون آخر عرضاً أجمل وأعظم وأذكى وأكرم وأرحم وأشرف من عرضك لنفسك في كل تاريخك.

. . لكي يكون تعويضاً وتكفيراً عن تخلفك الأليم مثلما أصبح الإنسان الصاعد فوق القمر تعويضاً وتكفيراً عن تخلف آبائه الذين كانوا يجنون خوفاً وإيماناً وتعبداً حين

يرون خسوف القمر. إن الفن والخلق والولادة يجب أن تكون صعوداً دائماً وإن الفنان والخالق والوالد يجب أن يعطوا أعظم من الموجود وأعظم منهم هم. !

.. والآن هل تعلن يا إلهي بكل الحزم والاقتناع والصرامة والفرح رجوعك عن المجازاة بفردوسك إلى هذا النوع من الجزاء الذي سمعته مني؟

إني لأطالبك بذلك وأرجوه منك.

.. والآن أيضاً هل تعلن بكل الشجاعة والصدق والندم اعتذارك وتوبتك واستغفارك إلى الإنسان العربي عن تصغيرك وتحقيرك له حينما اعتقدت أنه قد يقبل فردوسك ثمناً لإيمانه الأبله بك ولعبادته الذليلة لك، بل حينما تصورت أنه قد يقبل العيش في فردوسك هبة وهدية منك بلا إيمان أو عبادة لك، بل حينما خفي على ذكائك وأخلاقك وكبريائك أنه لا بد أن يرى العيش في فردوسك أقسى ألوان الإهانة والتحقير والإذلال والقتل له.. لفروسيته ورجولته بل ولإنسانيته. !

إني لأرجوك وأطالبك يا إلهي أن تتقدم بكل التواضع والتضرع إلى الإنسان العربي بهذه التوبة والاعتذار والاستغفار، وأن تنتظر منه بكل اللهفة والرغبة أن يتقبل توبتك واعتذارك واستغفارك.

.. وكم هو انتصار لك وعطف عليك ورحمة بك أن يتقبل أو حتى أن يسمع منك ذلك. !. لقد أعلنت اتهامك له بأنه يقبل العيش في فردوسك هذا أجراً لعبادته لك. فسكت على هذه الإهانة بل وتظاهر بالقبول. وأحذرك أن تخدع. لقد فعل تأدباً وحياء مع استفظاعه الغاضب جداً لهذا التحقير له. !

والعربي مبالغ جداً في تأدبه مع آلهته وحكامه ومع كل طغاته وعتاته.

.. نعم. يا إلهي لتمتلئ رضاً عن فردوسك هذا وعن سخائك بجعله هو ثوابك الأعظم لمن أسعدك وأفرحك بسجود جبهته وكرامته وشجاعته وحريته وعقله لك.. للحجارة والقبور والمكتوب والمقروء عليها اسمك.

.. ولكني أحذرك بانزعاج من أن تظل متفائلاً أو آمناً أو مسترخياً. إن أخطاراً ضخمة تحيط بفردوسك وتهدد بقاءه فردوساً بل بقاءه حياً ومكاناً للحياة والأحياء. إن من أخطر هذه الأخطار أن جميع سكانه وملاكه والمواطنين فيه لا بدَّ أن يكونوا متخلفين في كل معاني القوة والنشاط والإبداع والعمل والعبقرية العقلية والعلمية بل واليدوية.

.. إذن فمن المحتمل أو المحتوم أن يعجزوا عقلاً وعلماً وفناً وحماساً ونشاطاً

وخبرة بل وإدارة عن أداء الأعمال التي لا بدَّ منها لكي يبقى فردوساً بل لكي يبقى مكاناً للحياة والأحياء دون أن يتحول إلى قحط، إلى خراب، إلى صحراء..

.. إنه ليفترض بل ليجب ويتحتم أن تكون الآلات والأدوات التي سوف تعمل في الفردوس علمية حديثة متقدمة جداً. وهؤلاء المتخلفون الذين هم كل سكان الفردوس كيف يمكن أن يشغلوا هذه الآلات والأدوات أو كيف يستطيعون صيانتها أو كيف يصنعونها أو يستوردونها. ومن أين يستوردونها أي لو أرادوا استيرادها ووجدوا العملات الدولية التي تقبل ثمناً لاستيرادها؟

وقد ذكر في كلمات سابقة أن الإله لا يخلق أو يوجد الأدوات أو الأجهزة أو الأشياء المصنعة المعدة لأن تؤدي عملاً وظيفياً منظماً منضبطاً معقولاً فنياً. وإنما يوجد المواد الخام أو المواد الأولية المحتاجة أبداً إلى خالقين آخرين يحولونها من صيغة إلهية أو أولية إلى صيغة إنسانية حضارية علمية.!

.. إذن لا أمل في أن يصنع أي الإله أي أنت يا إلهي الأجهزة والآلات التي لا بدَّ منها لكي يبقى الفردوس فردوسنا بل لكي يبقى مكاناً للحياة والأحياء، كذلك لا أمل أن يصنعها أو يشغلها أو يصونها لو وجدت سكانه أي سكان فردوسك يا إلهي.!.. ألست قد رأيتهم في حياتهم الأولى كانوا عاجزين كل هذا العجز؟

وهل يوجد أمل في أن يستورد خبراء شراء أو صدقة للعمل في الفردوس كما يحدث في الحياة الأولى؟ أليس هذا الاستيراد هو أعظم وأنفع وأنبل عطايا الحضارة؟ هل وجدت عملية خلق في هذا الكون تساوي في ذكائها وعطائها وإنقاذها شيئاً مما تساويه عمليات الخلق التي يؤديها هؤلاء الخبراء المستوردون أو الواردت في الأوطان التي لا يوجد أو يتخلق فيها الخبراء إلاّ الآلهة والأنبياء والخلفاء والزعماء والقادة والحكام المصابون بالأمية التكوينية وإلاّ القارئون المصلون لكتبهم لكي يجيء السحاب الذي لن يجيء، لكي يولد السحاب الذي لا تحبل ولن تحبل به البحار أو الأنهار أو دموع الآلهة أو دموع الطبيعة أو أخلاقها أو ضمائرهما..

.. نعم، الآلهة والأنبياء والخلفاء والقادة والحكام الأميون هم أعظم الخبراء في كثير من الشعوب!

.. ولكن ما أردأ حظوظ هذا الفردوس وحظوظ سكانه. لقد جاء إليهم هؤلاء الخبراء بكل السخاء في حياتهم الأولى فأعطوها وفعلوا لهم ما لا يستحقون أو يستطيعون فتحولوا أي هؤلاء الخبراء إلى أنبل وأعظم ستر على قبحهم وعجزهم

وجهلهم ودمامتهم، وإلى أعظم وأنفع علاج لفقرهم وبؤسهم وأمراضهم وآلامهم وإن كانوا قد جاءوا فضحاً لهم بتفاسير وأساليب أخرى. . !

. . أما هنا في حياتهم هذه. في فردوسهم هذا فلن يأتي إليهم من هؤلاء الخبراء والعلماء المنقذين بل الخلاقين الذين هم جميعاً من سكان الجحيم، إذن لن يؤذن لهم بدخول الفردوس حتى ولا بوظيفة خبراء. !

. . إذن ما المصير المحتوم أو المحتمل جداً؟ المصير أن يتحول الفردوس إلى موات، إلى ضياع، إلى جهالة، إلى قحط وفقر ومجاعة وكآبة. !

ولنفسر ما سوف يحدث للفردوس في الحياة الثانية بما حدث في الحياة الأولى. أن الخالق لهما واحد. وهو أحد لا تصاب أخلاقه أو مواهبه أو عقله بأي تغيير. . كانت أوطان هؤلاء المتخلفين الذين قد أصبحوا هم سكان وملاك الفردوس وكذا كانت حياتهم. قحطاً وفقراً وعجزاً وبداوة وجهالة وخراباً، بل كانوا يحولون أوطانهم وحياتهم إلى كل ذلك. ولم يكن الإنقاذ من ذلك أو التخطي لشيء من ذلك ممكناً إلاّ بمجيء أولئك الخبراء والعلماء الذين هم اليوم ومعهم كل مواطنيهم من سكان الجحيم. ألست كنت ترى ذلك وتعرفه؟ ولكن ألم يكن يحزنك ويحرجك أن يكون أعداؤك هم المنقذين الواهبين المعلمين لأحبابك؟

. . والآن هل رأيت واقتنعت يا إلهي أن فردوسك مهدد بأخطر الأخطار أي بألا يبقى فردوساً؟ هل يجوز لي أن أفرح وأسعد لأني قد استطعت أن أقنعك بهذا الخطر الذي كان من المؤلم والمهين جداً ألا تفطن إليه؟ هل من أخلاقك يا إلهي أن تغضب أو تأسى أو تفجع إذا نبهت إلى أخطائك وإلى الأخطار الموجهة إليك أم ترضى وتسعد وتفرح؟

أليس هذا يعني أو قد يعني ويقنع أن الفردوس سوف يحوله سكانه المتخلفون العاجزون إلى جحيم كما أن سكان الجحيم سوف يحولونه إلى فردوس مثلما فعل هؤلاء وهؤلاء في الحياة الأولى؟ أليس التفسير واحداً؟

إذن قد يعني هذا أن على الذين يريدون الفردوس أن يعملوا الأعمال التي تعاقب بالجحيم. وأن على الذين يريدون الجحيم أن يعملوا الأعمال التي تثاب بالفردوس هل فطن هؤلاء وهؤلاء إلى هذه القضية؟ وهل هم يعملون بما فطنوا إليه؟

أي هل طلاب الفردوس يعرفون أنهم ذاهبون إلى جحيم. وطلاب الجحيم يعرفون أنهم ذاهبون إلى فردوس؟ إن هؤلاء قد يعرفون أما أولئك فلا. !

وتهديد آخر يهدد فردوسك يا إلهي الغافل جداً عن مصالحه وحقوقه وأملاكه.

نعم. إنه لا يوجد غافل أو متغافل عن ذاته وعن مصالحه وحقوقه وأملاكه ومملكته مثلك يا إلهي مهما قِيل أو ظن العكس. !

. . ألست قد رأيت في الحياة الأولى أن المتفوقين يغزون أوطان المتخلفين أو يملكونها أو تسلم نفسها لهم بلا غزو. أو تتضرع أي أوطان المتخلفين إليهم أي إلى المتفوقين ليغزوها ويملكوها ويحموها ويحبوها ويغنوها ويشفوها؟

. . لا بدَّ يا إلهي أن تكون قد رأيت ذلك مهما كان عجزك عن الرؤية، بل مهما كانت رؤيتك فقداً للرؤية بل وعدواناً على الرؤية؟

إني سأقتنع بأنك رأيت ذلك. فهل أنا مغفل جداً أم أني محترم ومحب لك إلى أن أصبح أو أبدو من قوة حبي واحترامي لك مغفلاً جداً؟

وهل يمكن أن أكون أو أبدو أو أحسب غير مغفل جداً وأنا أتعامل وأتحاور وأتخاطب معك بكل هذه اللهفة والحرارة والقوة، بل وأنا أعاتبك وأحاسبك وأحاكمك وأنتظر منك بهذا الأسلوب الجاد المتعذب المعذب الملتهب الصادق؟

أليس أسلوبي هذا معك يعني أني أراك كائناً يمكن التعامل معه ويمكن تصحيحه وإصلاحه وتعليمه؟ أما الصامتون عنك ومعه يا إلهي فهل يمكن أن يعني صمتهم غير اليأس منك؟ فهل تعترف لي بهذا التمجيد لك الذي جعلني أبدو أو أحسب مغفلاً جداً بل وأتهم نفسي بذلك؟

نعم، إني أعاتبك وأحاسبك وأخاطبك وأطالبك محاولاً وراجياً إصلاحك وتصحيحك وتعليمك. .

إذن هل يوجد مغفل مثلي؟ وإذن هل يوجد من يستحق رضاك وحبك وشكرك وجزاءك السخي مثلي؟

ليتك تستطيع معرفة هذا، معرفة ما لا يستطاع العجز عن معرفته. !

هل وعيت هذا التهديد الآخر لفردوسك؟ إنه احتمال الغزو الخارجي.

. . لقد تجمع في الجحيم كل المتفوقين من كل الشعوب والأعراق والانتماءات في كل تاريخ الحياة. ووطن هؤلاء المتفوقين أي الجحيم مواجه لوطن المتخلفين أي الفردوس. إن كل التفاسير إذن تقول إن هؤلاء المتفوقين سكان الجحيم لا بدَّ أن يغزوا الفردوس ولن توجد أية مقاومة لهذا الغزو أو أية مقاومة مانعة. إن هذا الغزو سيكون

أسلوباً من أساليب غزو المتفوقين المتحضرين للمتخلفين في الحياة الأولى مع الفروق الهائلة لمصلحة هذا الغزو ومحاسباً ومفسراً بذاك الغزو. . وهذه الغزوة لن يكون غزاتها متناقضين أو متنافسين لتعدد أوطانهم وانتماءاتهم كما كان يحدث في الحياة الأولى. إنهم سيكونون متفقين جداً.

إنهم أهل وطن واحد هو الجحيم وانتماء واحد. إن كل الانتماءات الأخرى قد ماتت وقبرت ونسيت في أكفان وجثث مقابر تلك النبوات والزعامات والقيادات الحمقاء التي كانت تتغذى وتسعد وتبحث عن المجد والشهرة بصناعة وترسيخ وتعليم العداوات والأحقاد والبغضاء والانشقاقات والملاعنات والحروب بين الشعوب في تلك الحياة الأولى البائسة المجنونة الشقية بنبواتها وزعاماتها وقياداتها وبكل منابرها ومحاريبها ومعابدها وتراثها وبكل أصواتها ولغاتها وصلواتها المتصارعة المتشاتمة المتنايحة بكل الفظاظة والبذاءة والوقاحة والبلادة والقبح والفجور والزور. .

لقد ماتت كل النبوات والزعامات والقيادات. إذن ليحيى الحب والصداقة والسلام العالمي والكوني. !

. . وإذا وقع هذا الغزو الحاسم فلن توجد حينئذ قوات أو منظمات أو تناقضات أو منافسات أو تكتلات دولية تقاومه أو تجليه أو ترفضه أو تنكره أو تهدده أو تصدر قرارات ضده كما كان يحدث في تلك الحياة الأولى. إنه إذن غزو بلا أية مقاومة حتى ولا لغوية منبرية أو أخلاقية إنسانية. !

وهنا لا بد أن يهجم سؤال ضخم مزعج مؤلم ليقول:

وحينئذ ما الذي سوف يحدث لسكان الفردوس المغزوين المهزومين؟ هل يطردون من الفردوس ليكونوا لاجئين؟ أين يلجأون حينئذ؟ وهل يمكن أن توجد منظمات خيرية عالمية ترعاهم وتطعمهم مثل الذي كان في الحياة الأولى؟

أو هل يتركهم الغزاة في مكانهم. في فردوسهم، ليصبح الغزاة إنقاذاً لهم وحماية لفردوسهم من أن يتحول إلى قحط. إلى خراب. إلى بداوة. إلى صحراء لو لم يأتِ إليه هؤلاء الغزاة المتفوقون مثل الذي كان يحدث في الحياة الأولى؟ أليس الذين أنقذوا في الحياة الأولى من الصحراء والبداوة والفقر والجهالة هم الذين سوف ينقذون في الحياة الثانية من الموت في الفردوس؟ ولكن هل يمكن أن يقبل هؤلاء الغزاة المتفوقون الحياة في هذا الفردوس أو الإبقاء عليه؟ أليس محتوماً أن يروا أن الإبقاء عليه والحياة فيه قتل لكل طموح ونشاط وعبقرية وفروسية بل ولكل إبداع وكرامة وشهامة وكبرياء؟

إذن لماذا يغزونه أي الفردوس؟ هل يغزونه ليحولوه من مزرعة حيوانات إلى منطلق أو إلى مصعد أو إلى مطار لرحلة، لمغامرة كونية حضارية تبدأ ولا تنتهي؟

هل يغزونه لينقذوا منه لا ليمتلكوه أو ليحيوا فيه؟

أليس الإنقاذ من الحياة في هذا الفردوس أنفع وأعظم من الإنقاذ من أمية التاريخ والحياة ومن بداوتهما ووحشيتهما وجاهليتهما؟

ولا يوجد أي إحتمال أن يتدخل حراس الجحيم والفردوس وموظفوهما ليمنعوا هؤلاء الغزاة من أن يخرجوا من الجحيم أو أن يدخلوا الفردوس غزواً. لأن حراس الإله وموظفيه مثل الإله لا يتدخلون أو يعملون أو يحاربون جهرة أو بأسلوب مادي مرئي مباشر.

إن سلوكهم أي الإله وحراسه وموظفيه في الحياة الثانية لن يكون إلاّ مثل سلوكهم في الحياة الأولى. إن التطور خطو إلى الكمال أو إلى الأكمل أو بحث عنه. إنه إذن تعبير عن النقص. إذن فليتنزه الإله ومن معه عن كل تطور وتغير..

لقد جاء الإله طوراً تكوينياً واحداً. هكذا يقول الدعاة ويقول تاريخه ويقول كل شيء في الحياة والكون. إن الإله لو كان يتطور لجن كل شيء من سرعة تغيره.!

.. نعم، في الحياة الأولى كان الأبالسة والأشرار والكفار وكل أعداء السماء يفعلون ما يريدون ويستطيعون.. يقتلون الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين ويهزمونهم ويذلونهم ويطاردونهم ويحاكمونهم ويسجنونهم ويتهمونهم ويهينونهم. وكذا كانوا يحاربون ويهزمون ويفتحون البلاد المؤمنة ويقهرون أهلها ويحكمونهم ويذلون إيمانهم ودينهم ومعابدهم وعباداتهم وكتبهم المقدسة ويهزأون بها ويتعالون عليها بكل الأساليب..

.. كانوا يفعلون كل ذلك في كل التاريخ بكل الجبروت والقهر والدوي الكوني دون أن يتدخل اللّٰه أو جنوده من ملائكة وزبانية وأرواح وكائنات سماوية ذات وظائف إلهية مالئة لكل هذا الكون رائية سامعة عارفة مواجهة لكل هذا العدوان الشنيع الذي يحدث أبداً، بل الذي لا يحدث سواه.

ـ نعم، دون أن يتدخل اللّٰه أو أحد من جنوده وموظفيه وحراسه هؤلاء حتى ولا بالصوت المسموع أو بالإنذار المكتوب المقروء أو بالتهديد المرئي باليد أو بالنظرات أو بالعبوس.. لا بالصهيل ولا بالزئير ولا بالعواء أو النعيب أو النهيق أو النقيق أو الصفير ولا بأي شيء يمكن أن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يعرف أو يتوقع..!

. . إن صمت الإله وجنوده وموظفيه وحراس مجده غير المنظورين عن كل مقاومة للأعداء المهاجمين المنتصرين أبداً. عن كل مقاومة مرئية أو مسموعة أو فاعلة أو زاجرة أو حتى منتظرة لهو صمت يعجز عن فهمه وتقبله وغفرانه وتفسيره جميع المفسرين.

. . إنه لصمت يفجع ويهزم ويهين بل ويقتل كل إيمان بهم أو احترام لهم وانتظار منهم بل وكل حديث عنهم أي عن الإله وجنوده وموظفيه وحراس مجده غير المنظورين أي من ملائكة وزبانية وجنود سماويين.

إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد صامتون كل الصمت عن كل مقاومة لا يوجد أنذل ولا أقبح من الصمت عنها غير الإله وحراسه وموظفيه وجنوده.

وكما سبق لن تتغير أو تتغير أو تتطور أخلاق أو نيات أو أفكار أو مستويات الله ومن معه.

. . إذن سيصمتون عن المقاومة في الحياة الثانية مثل صمتهم في الحياة الأولى.

إذن لن يصدوا الغزو للفردوس لا يمنع الغزاة أن يخرجوا من الجحيم ولا يمنعهم من اقتحام الفردوس. !

إذن ففردوسك يا إلهي مغزو. مغزو كما غزيت وقهرت كل أمجادك وحرماتك وأخلاقك وحدودك. !. هل غزي وقهر بلا أية مقاومة مثلك يا إلهي المهزوم أبداً. والمزعوم منتصراً أبداً؟ هل وجد مثلك مهزوماً ومثلك مزعوماً منتصراً؟.

. . ولو أن حراس الجحيم أو حراس الفردوس تدخلوا ليمنعوا هؤلاء الغزاة من أن يخرجوا من الجحيم أو يحتلوا الفردوس فما الذي لا بدَّ أن يحدث؟

لا بدَّ أن يهزمهم هؤلاء الغزاة لأن الغزاة لا بدَّ أن يكونوا متفوقين جداً بأسلحتهم الحديثة وبفنونهم القتالية لأنهم بقيادة جميع الخبراء والعلماء المتجمعين جميعاً في الجحيم، ولأنهم هم الذين صنعوا لهم الأسلحة العلمية جداً، وهم الذين دربوهم عليها. . إنها أحدث وأفتك أسلحة وخبرات وتدريبات كل علماء وخبراء الشرق والغرب. أليس كل علماء وخبراء الشرق والغرب سيكونون من سكان الجحيم؟.

. . . أما حراس الجحيم والفردوس فلا بدَّ أن تكون أسلحتهم وتدريبهم وفنونهم القتالية بدائية أي إن كان معهم وفيهم شيء من ذلك. . لا بدَّ أن تكون أسلحتهم إن كانت لهم أسلحة شيئاً من الرماح والسيوف والخناجر والخيول مدربين عليها تدريباً بدوياً تاريخياً دينياً. ولا بد أيضاً أن تكون شيئاً من الرقى والتمائم والتعاويذ وقراءة الكتب المقدسة. وأيضاً من الدعوات واللعنات والهتافات. .

بل لا بدَّ أيضاً أن تكون أجسامهم غير قتالية. لأنهم ولا بدَّ مؤمنون متعبدون متخوفون من الآلهة محبون لها طالبون منها عطاء كل ما يريدون والأمن من كل ما يخافون. !

.. والطبيعة توزع نفسها توزيعاً يعده قوم كل الذكاء والشهامة ويراه آخرون كل الغباء والنذالة.. إنها أي الطبيعة تهب قوماً طاقات إيمانية تعبدية دينية لتحرمهم من الطاقات الخالقة المبدعة القوية المنتصرة، وإنها لتفعل بقوم أو لقوم العكس. ولكنها ترفض أبداً أن تجمع لقوم بين هذا وهذا..

.. وأنت يا إلهي حينما تركت الطبيعة تفعل ذلك هل تركتها تفعله عن كسل وغفلة من إعجاب أم عن شماتة أم عن استمتاع أم عن حيرة أم كنت متعباً أو مشغولاً بسعادة ما أم كنت متآمراً مع الطبيعة؟ هل تتآمر الآلهة؟

... لهذا فإن الطبيعة لن تأذن بأن يكون صانعو النظريات والفتوحات العلمية والحضارية والكونية بل والإنسانية ملائكة أو أنبياء أو أئمة دين. كما لن تأذن بأن يكون هؤلاء صناعاً أو حتى دعاة لشيء من ذلك..

لن يكون أي نبي أو ملاك أول نازل فوق القمر أو صانعاً للسفينة الهابطة فوق القمر. !

ـ ولهذا أيضاً حكمت أي الطبيعة بأن يكون الشيطان هو المنتصر أبداً وأن يكون الإله أي أنت يا إلهي والملائكة والأنبياء وكل سكان السماء وموظفي السماء أي موظفيك يا إلهي مهزومين أبداً. لماذا يا إلهي لم يجمع الملائكة وكل موظفيك وأعوانك وحراسك وعبادك بين عبادتك والإيمان بك وبين القوة والمجد والشجاعة والذكاء والانتصار والعبقرية العلمية والإبداعية؟ هل رفضوا أم عجزوا؟

ولماذا لم يجمع الشيطان وجنوده بين طاعتك وعبادتك وحبك والتوظف عندك وبين قوتهم وعبقريتهم وشجاعتهم وذكائهم وانتصاراتهم؟ لماذا رفض أحدهما الآخر؟ وأيهما الرافض؟

.. هل يبقى الشيطان وجنوده بكل هذا التفوق العبقري الخارق الهازم المذل لكل شيء حتى لك أنت يا إلهي ولملائكتك وأنبيائك ولكل أتباعك وأصدقائك وموظفيك وجنودك، لو أنهم أصبحوا لك عباداً وأتباعاً وأحباباً وجنوداً؟ هل تقبل أو تأذن الطبيعة أن يكونوا هذا وهذا؟ هل تقبل الخروج على قوانينها وأخلاقها أي الطبيعة؟

إذن لقد حكمت الطبيعة بأن تكون أنت يا إلهي وموظفوك وحراسك وعبادك أنتم

المتخلفين المهزومين الأذلاء العاجزين المغزوين أبداً، وأن يكون أعداؤك وخصومك ومحاربوك هم المتفوقين المبدعين الخلاقين المنتصرين الغازين للقمر، للنجوم، للسماء، للكون وأيضاً لفردوسك وللأوطان المملوءة بالجباه والهامات والقامات والأفواه والصلوات الراكعة الساجدة المنحنية المصلية الهاتفة لك وبك. !

. . إنك قاس متوحش جداً، لهذا لا بدَّ أن تدمر وتذل وتضعف وتهزم كل ذات تسكن قلبها أو أشواقها أو حبها أو تتخاطب أو تتعامل مع فكرها أو أخلاقها أو حتى مع لسانها وأعضائها.

هل هذا هو التفسير؟ هل ذاتك جرثومة أمراض تقتل كل ما تلامس وتواجه؟

أم التفسير أنك أنت يا إلهي كائن عدواني دميم كريه خارج في كل تفاسيرك على كل التفاسير الذكية المنطقية الأخلاقية الكريمة المطلوبة. لهذا لا يمكن أن يستقبلك ليتعامل معك أو ليثق بك أو ليجد فيك شيئاً جميلاً أو كريماً أو عظيماً أو مريحاً أو حتى مقبولاً أو مفهوماً إلاّ المتخلفون العاجزون الجبناء الضعفاء في كل معانيهم وصيغهم وتطلعاتهم؟

. . نعم، هل التفسير أنك أنت يا إلهي تخلق التخلف الشامل الأليم فيمن يتعامل معك ويؤمن بك؟

أم التفسير أنه لا يتعامل معك أو يؤمن بك إلاّ من وُلِد وخلق فيهم هذا التخلف الأليم الشامل؟ هل التفسير إنك تخلق وتلد الضعف أم التفسير انك لا توجد إلاّ حيث يوجد الضعف؟ هل داعية الدين بليد وضعيف وجبان لأنه تعامل معك أم لأنه كذلك أصبح لك صديقاً وعميلاً ولساناً؟

. . إذن فإن حراس وموظفي جحيمك وفردوسك لن يستطيعوا أن يصدوا أو حتى يقاوموا هؤلاء الغزاة حينما يخرجون من الجحيم ليحتلوا الفردوس إلاّ بقدر ما يستطيع أئمة المساجد وخدمها والمصلون فيها أن يصدوا أو يقاوموا غزوة دولية بل كونية تتحالف للقيام بها كل جيوش الغرب والشرق بكل أسلحتها الأرضية والشمسية، أو إلاّ بقدر ما يستطيع حفظة القرآن ومفسروه أن يعرفوا ماذا يربح الإله من خلقه للحشرات والجراثيم والعاهات والآلام أو ماذا يربح أي الإله من خلقه للكون أو للإنسان أو لأي شيء أو من وجوده. !

. . وهنا أرجو يا إلهي ألا تراني قاصداً الإيذاء أو الإيلام أو الإقلاق أو التخويف لك أو الثأر منك حينما أذكرك بخطر لعله لا يمر ببالك يهدد فردوسك. مع أن من

العدل والشهامة أن أفعل لك وبك ذلك قاصداً لأنك تستحقه. إنك يا إلهي لو وجهت إليك كل الضربات لكان ذلك بعض ما تستحقه، بعض ما يجب لك!

. . أظن يا صاحب الجلالة أو الألوهية أنكم قد علمتم أو سمعتم بذلك التقدم في ابتكار وصناعة الأسلحة المخترقة لحواجز وقوانين الكون، الفائقة لعيون النجوم والشموس، المرهبة والمفسدة والمخجلة لكل تقديرات وأقدار الآلهة، بل المخيفة والمهددة لأمنها واسترخائها أي لأمن الآلهة واسترخائها.

. . ذلك التقدم الذي لم يكن ينتظر منك يا إلهي ولا من أي إله آخر أن يتصوره أو يتخيله، والذي لن تلام أو يلام إله آخر إذا عجز عن تصوره وتخيله وإذا عجزت أنت عن تصوره وتخيله، بل الذي لن تلام أو يلام أي إله آخر إذا ذعرت وفجعت وصرخت وبكيت أو ذعر أو فجع أو صرخ أو بكى حين رأيته أي رؤية ذلك التقدم في ابتكار وصناعة الأسلحة.

ولن نتعب كثيراً لكي نستطيع الاقتناع أو تجرؤ على الاقتناع بأنك تعلم أن جميع الذين ابتكروا وصنعوا هذه الأسلحة هم من سكان جحيمك. . إنهم جميعاً من سكان جحيمك المواجه لفردوسك. .

ألست تعلم حتماً من سكان جحيمك؟ إذن ألست تعلم أن جميع العلماء والخبراء هم من سكانه؟

إذن كيف لم تعلم أو تظن أو تقدر أو تخف أنهم قد أو لا بد أن يصنعوا هذه الأسلحة في جحيمك ليطلقوها على فرودسك ليزيلوه أو يخربوه أو يحولوه إلى أقسى جحيم؟

كيف لم تعلم أو تظن أو تقدر أو تخف أنهم قد يفعلون ذلك أو لا بدَّ أن يفعلوه قاصدين الانتقام أو الأخذ بالثأر أو إحراجك وإيذاءك وقهرك وفضحك والإفساد عليك والتعذيب لك وإضعاف مجدك، أو معبرين عن الغضب والألم والغيظ والاستقباح والرفض والمبارزة، معبرين عن كل حوافز وأهداف وتفاسير الثورة، بل وقد يقصدون إصابة ذاتك لتشويهك أو قتلك؟ هل ينتظر من سكان الجحيم أن يكفوا عن فعل أي شيء يستطيعونه؟

. . ألست أنت حينئذ وحدك المسؤول عن دماء وآلام سكان فردوسك الضعفاء البؤساء الذين لن يستطيعوا أن يفعلوا حينئذ شيئاً إلاّ أن يموتوا أو يهربوا أو يبكوا أو يلعنوا أو يصلوا لك أو ينتظروك أو ينتظروا منك مستغيثين هاتفين بك يا من لن يحضر أو يسمع أو يستجيب أو حتى يرثي ويبكي؟

إنه لا إنقاذ ولا محاولة إنقاذ حينئذ لفردوسك ولا لسكانه. إنها لن توجد منظمات أو تكتلات دولية لتحتج أو تغضب أو تتدخل أو تهدد أو تساعد أو تصدر قرارات. إنك حينئذ يا إلهي ستصبح أذل وأردأ مهزوم مفضوح ويصبح سكان فردوسك أردأ وأقبح الكائنات حظاً ووضعاً. !

* * *

آه.. شيء فضيع، فظيع. لقد كدت أنسى. كم هو ذنب فظيع أن أنسى يا إلهي تذكيرك وتحذيرك من أقبح وأردأ الأخطار المتوقعة تهديداً لفردوسك الحزين. شكراً لذاكرتي لقد أنقذتني من هذا الذنب وهذا والنسيان.

نعم، سكان الفردوس سيوضعون كما يقول دراويشك الأنبياء في أنهار وبحار من الترف والرخاء والاسترخاء.. في بحار وأنهار من الألبان والعسل واللحوم المتساقطة في الأفواه دون أن تمتد إليها الأيدي ومن الغلمان والجواري.. في بحار وأنهار تمطرها العلاقات الجنسية.. تفرزها الممارسات والعلاقات البذيئة بين الأعضاء البذيئة.. في بحار وأنهار من الخمور ومن الأشياء الأخرى التي هي أكثر خمراً وتخميراً وخماراً من كل الخمور. أظنكم تعرفون هذه الأشياء التي هي أخمر من الخمر. !

إن أحد دراويشك الأنبياء يقول «إن في الفردوس من اللذات والشهوات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وتقول في كتابك على لسان درويشك الأكبر:

«فيها ما تشتهي الأنفس» أي في الفردوس.

ألست تعلم يا إلهي بتجاربك ورؤاك ومواجهاتك الطويلة الأليمة الفاجعة كم هي وما هي الأنواع، التي تشتهيها الأنفس ولا سيما أنفس سكان فردوسك؟ أليس مما تشتهيه الأنفس ولا سيما أنفس سكان فردوسك كل المخدرات وكل الآثام الوقحة الباصقة على كل كبرياء ومجد في هذا الوجود؟

.. إنها تشتهي كل الأوحال والنتن والعار والقبائح والفضائح والذنوب والسقوط في كل مهاوي الحضيض والدنس. إنه لا مكان في الكون يختزن من العفن المتعدد الجنسيات والتفاسير مثلما تختزن نفس الإنسان..

.. إنك كنت تطالب في الحياة الأولى بمقاومة شهوات النفس وبنهي النفس وزجرها عن الهوى وتقول لمن تحب وترضى مادحاً ومحرضاً: «ونهي النفس عن الهوى»..

إذن كأنك كنت تعرف ماذا تشتهي الأنفس من أنواع الدنس والإثم.

.. تعرف ماذا تعني الاستجابة لهوى النفس من التدنيس والتلويث.!

.. كأنك كنت تعرف أن ما تشتهيه نفس واحدة لو نفذ لاستطاع أن يدمر ويشوه ويفسد ويلوث كل العالم، كل شيء في العالم..

ماذا يمكن أن يبقى في هذا الكون أو منه لو نفذ ما في نفس إله واحد من الشهوات والأهواء؟

هل تعرف يا إلهي هذا؟ هل تعرف أن إعطاء سكان الفردوس كل ما تشتهيه الأنفس يعني حتماً إسقاط جميع التكاليف والالتزامات الدينية والأخلاقية والعقلية والنفسية والإنسانية بل والتطهيرية والجمالية عنهم ـ يعني حتماً الإباحية المطلقة؟ كيف تعد بالإباحية المطلقة لكي تحرض على الإيمان بك، لكي تكون هذه الإباحية ثمناً للإيمان بك؟ قوم يعدهم الإله بإعطائهم كل شهوات أنفسهم ليؤمنوا به. أي قوم هؤلاء؟

.. نعم لقد قلت: «فيها ما تشتهي الأنفس» أي في فردوسك ولم تقل ما تشتهيه أنفسهم أي أنفس سكان فردوسك. وهل يمكن أن يخفى عليك الفرق بين التعبيرين؟

وأنت قد خاطبت بهذا الوعد من كانوا يحيون الحياة الأولى حينما كانوا يحيونها..

إذن هم حتماً قد فهموا ما تشتهيه أنفسهم وأنفس البشر الآخرين حين قلت «فيها ما تشتهي الأنفس». إله يهب الأنفس كل ما تشتهيه.!. هل يتصور مثل هذا الإله ملوثاً ومفسداً ومخرباً؟

.. ولا بد أن يكونوا قد ذهبوا حينما سمعوا هذا الوعد المجنون في سرفه وسخائه وإباحيته يسائلون ويحاورون أنفسهم وينقبون فيها عما تشتهي لينتظروا الظفر بكل ذلك وبممارسته حين الوصول إلى ذلك المكان الجنوني المجنون المسمى بالفردوس.. بممارسته بكل الجنون المتلائم مع جنون من وعد به وجنون من صدقه وآمن به!

نعم، إله يعد بمكان فيه ما تشتهيه الأنفس.!. أي إله هذا الإله؟

.. بل لا بدَّ أن يكونوا حينئذ قد ذهبوا يعلمون ويحرضون ويطالبون وينصحون أنفسهم لتكون شهواتها بلا قيود أو شروط أو حدود أو خجل أو وقار أو تقوى أو رهبة أو كرامة، بل لتتعلم أي أنفسهم أنواعاً جديدة من الشهوات لم تكن تعرفها.. أنهم لا بدَّ أن يحرضوها على أن تتعلم هذه الأنواع الجديدة من الشهوات.. إنها فرصة لا تستطيع كل قوانين الكون وقواه أن تهب مثلها أي أن تعطي النفوس كل ما تريد وتشتهي.!..

نفوس تمارس كل ما تريد وتشتهي. !. هل يتصور ما يصنع الذعر والغثيان مثل هذا؟

.. إذن فسكان فردوسك يا إلهي سوف يعيشون غرقى في بحار وأنهار من الترف والسرف والشهوات واللذات ومن الممارسات الجنسية ومن مجالسة ومنادمة الولدان والجواري ومن الخمور مما هو أكثر وأعنف خمراً وتخميراً أو خماراً من كل الخمور بين قصات وهتافات وأغنيات ومعانقات وضحكات الجواري والولدان أي الغلمان وتصفيقهم بأيديهم بل بكل أعضائهم وأعضائهن.

.. نعم، سوف يعيشون غرقى في كل هذه الأنهار والبحار بلا أية مسؤولية أو التزام أو اهتمام أو نضال أو محاولة نضال لا بالعضلات ولا بالعقل ولا بالعواطف والمشاعر ولا بالأخلاق ولا بأي شيء غير الغرق في هذه الأنهار والبحار.. بلا أي خوف أو توقع محذور أو مرفوض من أية نتيجة أو مستقبل مجهول أو متعدد الاحتمالات والكينونات والحسابات والمسيرات في عديد الاتجاهات.

.. وهل يمكن وجود أو حتى تصور حياة بهذا الموت والخمود والقبح؟

.. وهنا لا بد أن يجيء السؤال الفاجع القاتل القائل:

ماذا يقول علماء النفس والاجتماع والصحة الجسدية والعقلية والعصبية فيمن يعيشون غرقى في كل هذه الأنهار والبحار، فيمن يحيون هذه الحياة في مثل هذا الفردوس بكل ظروفها وأساليبها وتفاسيرها وأخلاقها.. !

أنت يا إلهي حتماً لست عليماً أو خبيراً بهذه القضايا والعلوم وليس لديك أي خبراء أو علماء بشيء من ذلك مع أنه لا يمكن تصور محتاج إلى كل ذلك مثلك.. إأنك محتاج جداً إلى ذلك لذاتك أي لعلاج وحماية ودراسة ذاتك ولإجراء الفحوص والكشوف عليها..

ومحتاج إلى ذلك لأعمالك ووظائفك. !

هل يوجد أو وجد فاقد لكل ما يحتاج إليه أقسى وأشمل وأدوم احتياج مثلك يا إلهي؟ إن كل علم وخبرة كل العلماء والخبراء لن يكفيا لحمايتك وعلاجك من آلامك وهمومك ومشاكلك وورطاتك الوظيفية الإلهية. !

.. هل يوجد مريض بكل الأمراض ومعرض معروض للإصابة بكل الأمراض بلا أي طبيب أو معالج أو حتى مشفق أو راث واحد مع قسوة وشمول وديمومة احتياجه إلى كل الطب والأطباء إلى كل الإشفاق والرثاء وإلى كل المشفقين والراثين مثلك أو غيرك يا إلهي؟

.. إنه لا يوجد ولن يوجد أمي بكل قوانين وأعراض وظروف الصحة والمرض مثلك يا إلهي، كما أنه لم يوجد ولن يوجد بلا أية حماية أو رعاية صحية مثلك يا إلهي مع أنه لا يوجد ولن يوجد مثلك احتياجاً إلى ذلك.!

.. إنه إذن لن يكون محتملاً أو منتظراً منك أن تعرف أن من يحيون حياة سكان فردوسك لا بدَّ أن تكون كل الأمراض العقلية والنفسية والعصبية هي بعض الأمراض التي سوف يصابون بها، كذلك جميع الأمراض الأخلاقية. كذلك جميع الأمراض البدنية ولكن بقسوة أخرى، بقسوة لا تطاق، بقسوة إله بدوي.

.. إن جميع الأمراض التي عرفت لن تكون إلاّ بعض أمراضهم أي ولكن بعنف يتلاءم مع ظروف وحالات هؤلاء المرضى.!

آه من أمراض الملل واليأس والخمول والاسترخاء والديمومة.!

آه من أمراض وقبح الجلوس الدائم أو الاستلقاء الدائم أو الاسترخاء والخمول الدائم أو النوم الدائم أو المكان الدائم أو الحالة الواحدة الدائمة أو الفكر أو الشعور الواحد الدائم الراكد.!

آه من دمامة وقسوة الحياة المفرغة من اللهفة والحماس والتوجس والتوقع والتطلع ومن الشوق والحنين بل والأنين والتفاؤل والتشاؤم الحارين ومن الاحتمالات المتضادة المتصادمة المتحاورة بحرارة.

بل ومن الخوف والقلق والهزائم والحرمان بالتناوب والتعاقب الساخن المثير المحرك الملهم المفجر للتفكير والانفعال والحماس.!. آه من حياة من يسقط الطعام في فمه دون أن يحرك يديه وترتمي الجواري والغلمان فوق سريره دون أن يحرك شفتيه.!

.. إن الحياة لا تساوي أن تحياها وتطمئن عليها بل أن تخاف عليها وتدافع عنها وتحترق بها وتهدد بفراقها وتنتظر فراقها. هل تظل الحياة حياة بلا خوف عليها؟

إن قيمة الحياة ليست في ممارستها بل في مشاعرها وانفعالاتها المتضادة المتوجسة المتحركة..

.. إن الحب لا يساوي الحب أو الظفر به ولكن يساوي الشوق والحنين والتطلع والانتظار والخوف والغيرة والحرمان والمغازلة والمراودة والهجر والوصل والبعد والقرب. أليست ممارسة الحب قتلاً للحب؟

إن جمال الحب وقوته وحياته ونبضه ليس في فعله بل في الشوق إليه والبحث عنه والخوف عليه.

. . إن السعادة والفرح لا يساويان أن تبقى في ذاتك وأن تتعامل بها وتحياها وحدها بل أن تخرج وتهاجر منها خوفاً ومللاً ورفضاً وطموحاً وشوقاً وتطلعاً وبحثاً عن الجمال والحب والفرح والسعادة بل وبحثاً عن الذات. .

إن الخروج والهجرة من الذات ليسا إلاّ خروجاً وهجرة إليها وبحثاً عنها. إن البقاء أبداً في الذات ليس إلاّ موتاً أو شيئاً أكثر موتاً وتعذيباً من الموت.

. . هل يخرج أو يهاجر من ذاته إلاّ من يبحث عنها ويهاجر إليها؟

هل تمكن الهجرة إلى الذات أو البحث عنها إلاّ بالهجرة والخروج منها؟

هل تطاق الحياة أو الذات إلاّ بالصراع ضدها ومعها وفيها ومن أجلها؟

آه يا إلهي. ! . إن ورطتك وحيرتك وأزمتك وهزيمتك وأحزانك ستصبح صعبة. صعبة جداً حين يمرض سكان فردوسك بكل هذه الأمراض.

. . لقد أردت أن تجزيهم وتسعدهم فإذا بهم يتعذبون أقسى العذاب وكل العذاب. ! . كيف ترى حينئذ نفسك وكيف يرونك؟ قبيحة، قبيحة هي الرؤية والصورة والنهاية، وكذا أيضاً البداية. !

. . أنت يا إلهي لن تستطيع أن تعرف أن تداوي أو تشفي أو تخفف من العذاب من عذابهم إلاّ بقدر ما كنت تفعل في الحياة الأولى. ! هل تتذكر ماذا كنت في تلك الحياة؟

هل تتذكر كيف كنت تداوي وتشفي من الأمراض والآلام في الحياة الأولى؟

هل تجرؤ على تذكر ذلك، على تذكر تاريخك؟ ما أجمل وأوجب أن تنسى!

. . وفي الفردوس هل يمكن أن يوجد أطباء يعالجون ويشفون لا ملابس وأدوات أطباء أي لا أطباء بملابس وشهادات أطباء فقط.

. . أي لا أطباء يقرأون ويرتلون ويحفظون ويكتبون أسماء الأمراض والأدوية فقط كما يقرأ ويرتل ويحفظ ويكتب رجل الدين نصوص كتابه المقدس أو نصوص رقيته أو تعويذته السحرية ليكون هذا كل شيء؟

أليس أكثر الأطباء هم ملابس وأدوات أطباء فقط لا أطباء؟ إذن أليس جميع الأطباء المعالجين الشافين في الجحيم دون أن يكون واحد منهم في الفردوس بل دون أن يقبل واحد منهم أن يكون من سكان الفردوس؟

أجل، إن أحداً من هؤلاء لن يقبل بل لن يستطيع أن يكون من سكان الفردوس كما

أن أحداً من سكان الفردوس لن يستطيع أو يعرف أو يريد أن يكون واحداً منهم أي من الأطباء الذين يعالجون ويشفون، كما أن أي عربي لن يستطيع أن يستحق دخول الجحيم بفسوق وعصيان عقله لا بتلوث أعضائه وأخلاقه ونياته!

آه. هل وجد عربي واحد يستحق الجحيم عقاباً له على فجور فكره أي على صعود فكره لا على هبوط أعضائه وأخلاقه ونياته؟

ليت ذلك حدث. ألا يمكن أن يحدث؟

ليت العرب يصابون بفسق العقول وزندقتها وبتدين الأعضاء والأخلاق والنيات وتقواها. ليت تقواهم الفكرية تتحول إلى تقوى أخلاقية!

ليت وقار الإيمان في الإنسان العربي يتحول إلى وقار في سلوكه ونفسه.. ليت كل آلهة وأنبياء إيمان الإنسان العربي يمرضون أو يهربون أو يموتون أو يسقطون ليتحول كل شيء إلى آلهة وأنبياء لقلبه وضميره وحياته. ليت كل آلهة وأنبياء الإيمان يذهبون ليجيء آلهة وأنبياء القلب والضمير والحب.

.. ليت الإنسان العربي يجلي كل حراس إيمانه ليجعلهم حراساً لأعضائه وأخلاقه وعواطفه وشهواته بل وحراساً للسانه.!

ليت كل حراس إيمانه يتحولون إلى حراس للسانه.!

.. لماذا آلهة العرب وأنبياؤهم يتعاملون أبداً مع عقولهم أي عقول العرب وإيمانهم ولا يتعاملون البتة مع إنسانياتهم، مع أي معنى من معاني الإنسان فيهم؟ هل التفسير أنهم قد ضمنوا الانتصار إذا تعاملوا مع عقول العرب وإيمانهم، والانهزام لو تعاملوا مع أي معنى إنساني أو أخلاقي فيهم؟

.. لماذا يتحولون دائماً إلى أغلال لعقولهم وأفكارهم ولا يتحولون إلى أية مزية أو فضيلة أو تقوى في سلوكهم أو نفوسهم أو حتى في تعبيرات ولغات وجوههم؟

لماذا جاء آلهة العرب وأنبياؤهم أبداً كذلك؟ لماذا جاؤوا ليكونوا أبداً هبوطاً بهم صعوداً.. ليكونوا لهم أبداً أثقالاً وقيوداً لا أجنحة؟

لماذا لم يتحول أي إله أو نبي عربي قط إلى جناح طيران؟ لماذا ظلوا جميعاً وأبداً قيوداً وأثقالاً؟

.. إنها أسئلة فهل لها من أجوبة؟ إنها أسئلة لم تصبح حتى ولا أسئلة عند العرب. حتى الأسئلة لا تصبح أسئلة عند الإنسان العربي.!

إن الذين يسألون أو يتساءلون هم الذين يرون وينكرون ويتعجبون ويدهشون. . أما الثابتون أبداً في صيغة وعقل وصور وانفعال وتاريخ وقدرة رؤية وكينونة واحدة فلن يسألوا أو يتساءلوا. .

ولماذا يسألون؟ أو يتساءلون؟ إن الصامتين في صيغة واحدة لا بدَّ أن يصابوا بالصمت عن كل الأسئلة والتساؤلات. . !

إن الصيغة الواحدة الثابتة ترفض وتنكر وتنافي كل سؤال وتساؤل. إن التساؤل والسؤال ليسا إلاّ صيغ تغير وبحثاً عن التغير ورغبة فيه.

إن السؤال أو التساؤل لن يكون إلاّ ارتحالاً أو قدرة على الارتحال أو غربة في الارتحال من الذات والمكان والكينونة والتاريخ أو رفضاً للقيود والأغلال التي غزلها ونسجها وفتلها وعقدها وربطها على الرؤى والعقول والأخلاق والتطلعات والأماني الآلهة والأنبياء والتاريخ والقبور والمنابر والمحاريب والنصوص المقدسة أو المزعومة مقدسة أو التي هي أكثر تقديساً من المقدسة. . !

لماذا يسأل من لا يريد أن يستطيع أن يتغير أو يفارق أو يرفض أو يقاوم؟

لقد جاء كل الآلهة والأنبياء والأديان والتعاليم والمذاهب والانتماءات لتكون رفضاً ومقاومة لكل الأسئلة والتساؤلات، لتكون قتلاً وطرداً وعقاباً وإسكاتاً لكل من يريدون أن يسألوا أو يتساءلوا. . إن الأسئلة ليست إلاّ أسلحة تطلقها العيون والعقول والأخلاق على الآلهة والأنبياء والزعماء وعلى جميع المعلمين والملقنين وعلى كل وجود. . إن الأسئلة هي أذكى وأتقى وأفضل وأنفع الأسلحة التي قاتل بها الإنسان في كل حياته!

آه ليت هذا هو كل الخطر. . ليت هذه الأمراض هي كل الخطر على سكان الفردوس. !

. . إن هذه الأمراض التي سوف يصاب بها سكان فردوسك يا إلهي لا بدَّ أن تتحول فيهم إلى نتائجها المحتومة، إلى آفات وأمراض أخرى. إن أمراضهم لن تصبح تقية أو نبيلة أو رحيمة أو حية أو مهذبة لتظل بلا نتائج أليمة محتومة فاجعة.

. . إنها لا بدَّ أن تصيبهم بالعدوانية، ليشيع فيهم القتل والخصام والبغض والحقد والسباب وكل ألوان الاعتداء والإيذاء والوقاحات والبذاءات. .

وقد يتحولون إلى جماعات أو مقاطعات أو إلى شعوب متعادية متحاربة لها أنبياؤها وزعماؤها وخطباؤها وشعراؤها ودعاتها وقادتها المتخاصمون المتلاعنون المتواجهون بالاتهامات والمبارزات والتحديات والمفاخرات التي لا بد أن تتفوق في قبحها ووقاحتها

وغبائها وفحشها على كل ما تتواجه به الزعامات والقيادات العربية ولا سيما الثورية.

.. إن التحديق في قوانين الأشياء وفي تفاسيرها ليتحول إلى أقوى إقناع بحدوث هذا الخطر. إن أي منطق مهما كان جبنه ونفاقه وكسله لن يجرؤ على ألاّ يعلن اقتناعه بذلك..!

كيف والعرب سيكونون جميعاً من سكان الفردوس لأن شروط الدخول في الجحيم لن يستطيع أي عربي أن يتكلمها. إنها شروط صعبة. والعربي لا يستطيع السهل فكيف الصعب؟ إن العربي لم يستطع الصعود إلى السحاب فكيف إلى القمر؟ وإلى الجحيم أصدق اعتذاري لأني قد اتهمته بأن كل الناس حتى العرب سيكونون من سكانه.

كم أرجو أن يغفر لي أي الجحيم هذا الاتهام. وكم أخاف ألا يغفر لي. إني أطمع في نبله!

إذن.. العرب جميعاً من سكان الفردوس. هذه حقيقة نرجو ألا يوجد من يحاور أو يحاسب عليها. نرجو ألا يشك فيها أقوى الناس ولاءً وتمجيداً للعرب.!. إن الولاء والرغبة في التمجيد لا ينبغي أن يخترقا كل حدود العقل.!

.. إنه لصعب أن يوجد من يرى أن العرب يستطيعون بمزاياهم الحضارية أو العقلية أو الإبداعية أو التحررية أو الإنسانية أو حتى العسكرية أن يستحقوا دخول الجحيم الذي يصعب بل يندر وجود المزايا الصعبة الكثيرة التي لا بدَّ منها لاستحقاق دخوله أي دخول الجحيم..!

.. إنك مهما كنت مسحوراً إعجاباً وإيماناً بمزايا العرب الأصيلة الدائمة الخالدة فإنك لا بدَّ أن تتورع أو تتردد أو تهاب أو تخجل أن تقتنع أو تزعم أنهم قد ملكوا أو قد يملكون المزايا التي يستحقون بها وعليها دخول الجحيم للإقامة الدائمة أو المؤقتة فيه.!

لننظر كم هي مزايا وعبقريات الشيطان التي جعلته يستحق أن يكون المعلم والقائد الأعظم إلى الجحيم؟ هل يوجد مجد يساوي مجد القائد إلى الجحيم؟

.. هل يمكن أن ينال أو يستحق الشيطان هذه القيادة أو هذه المكانة الكونية التي حولت الإله إلى كائن محاصر مهزوم منبوذ مجهول.. إلى كائن يتملق ويذل ويهون ويتضرع وينافق مدحاً ووعداً وتواضعاً وتودداً لكي يظهر معروفاً أو مذكوراً أو مقروءاً أو مروياً دون أن يستطيع.

ـ نعم، هل كان يمكن أن ينال أو يستحق الشيطان هذه القيادة أو هذه المكانة لولا

مزاياه وعبقرياته المتفوقة على تدبير وتخطيط وإرادة وذكاء وعبقرية وكرامة ومشيئة ومجد الإله والهازمة لها، وعلى عقل وإيمان ونظافة وتقوى وكبرياء الإنسان والهازمة لها؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد مهان مثل الإله أو مهين مثل الشيطان؟

آه. لماذا لم يتحول ذكاء الشيطان وقوته ومجده إلى الإله ويتحول غباء الإله وضعفه وهوانه إلى الشيطان؟

.. إن ثمن الاستحقاق لدخول الجحيم غال، غال جداً لا ينبغي أن نكون قساة ومتوحشين إلى أن نزعم أو نظن أن الإنسان العربي قد يملك هذا الثمن أو قد يدفعه.!. إن المطالبة بالكمال أو بالصعود فوق الذات، فوق احتمالات وقدرات الذات قد يكون أقسى أنواع القسوة.!

إذن العرب جميعاً من سكان الفردوس حتماً إذن كم أنت بائس أيها الفردوس. العرب جميعاً من سكانك أيها الفردوس.!. هل تستطيع أو تقبل تحمل ذلك؟ لك العزاء والرثاء!

.. إذن لا بدَّ أن تتولد وتتجمع وتتفجر في الفردوس أقبح وأفجر العداوات والخصومات والمبارزات والأحقاد والبغضاء بلا أسباب ومهما كانت الأسباب!

إن العداء والكره والحقد والخصام والاتهام في الإنسان العربي ليس حالة ولكنه وجود وذات وكينونة.. ليس حالة طارئة أو متغيرة أو سببية أي يوجد حين يوجد السبب ويزول حين يزول السبب، وإنما هو ذاتية وجودية طبيعية يوجد مع الوجود ولا يزول إلاّ بزوال الوجود..!. إن الإنسان العربي ليحيا وينتشي بالعدوان النفسي أكثر مما يحيا وينتشي بالطعام وبممارسة الجنس محولاً هذا العدوان إلى علاقات وممارسة.. إذا قلت: العربي موجود أو إذا قال العربي: أنا موجود كان كل المعنى وكل التفسير: إن الأحقاد والعداوات والخصومات واللعنات والبذاءات والوقاحات والبغضاء موجودة، موجودة بلا أسباب بل وضد كل الأسباب.!

إذن لا بدَّ أن يمتلئ الفردوس ويتعذب ويعاني من هذه المواهب والخصائص بل الذاتيات العربية.!

ولو أنهم أي العرب عجزوا عن تنفيذ مواهبهم وخصائصهم الذاتية هذه في الفردوس لتحولوا إلى تحريش وإغراء وتحريض للآخرين القادرين على تنفيذها لكي ينفذوها مثلما فعلوا في الحياة الأولى.!

إن كل قوة العرب ومجدهم وشهرتهم في كل التاريخ أنهم يتحولون إلى تحريش

وإغراء وتحريض ووشاية وإلى سلعة تصنع المنافسة الأليمة القتالة أي بشرط أن يظلوا سلعة لا بشراً!

. . والآن يا إلهي لعلك قد استطعت أن تعي مأساتك هذه، مأساة فردوسك الذي سوف يتحول إلى ميدان قتال تتحارب فيه جيوش مريضة بكل الأمراض وأخطر الأمراض العقلية والنفسية والعصبية والأخلاقية والبدنية التي لا بدَّ أن يصاب بها كل سكان فردوسك والتي لا بدَّ أن تكون قد آمنت بحتمية إصابتهم بها بعد أن استمعت إلى تفاسير ذلك يا إلهي الذي لا يوجد أي مكان في ذاته ليس مصاباً بأقسى وأعمق الجراح التي لا تبحث عن أي طبيب ولن يوجد لها أي طبيب. . !

آه يا إلهي ويا قرائي لو كان لي قُراء. كم أخشى واستحيي من أن أتهم بوقاحة وبلادة الغرور أي من أتهم بأني أراني أي أرى نفسي أستحق أن أكون من سكان الجحيم أو أنه قد يسمح لي بذلك أي بأن أكون من سكان الجحيم. . لا، يا قرائي الذي لم يوجدوا أنا لست بكل هذا الغرور الذي يصعد بي لأؤمل بأن أكون من سكان الجحيم. !

. . إني أقاسي فكرياً ونفسياً محاولاً أن أفهم أو أتصور ما الذي تستطيع أن تفعله حين مواجهتك الآتية المحتومة لهذه المأساة يا إلهي المحاصر بكل الهزائم والورطات.

. . آه. إنك سوف تكون وحدك في مواجهة هذه المأساة دون أي عون دولي أو عون أي حليف أو صديق أو صاحب أي مصلحة مثل الذي كان يحدث في الحياة الأولى حينما تقع حرب أو خصومة ساخنة ومخيفة بين خصمين. . !

إنك يا إلهي محتاج أبداً إلى من يفكرون لك ويخططون ويتصرفون ويعالجون بدلاً عنك وحين تواجه أية مشكلة أو خطر أو مأساة. إنك لا تفكر أو تفعل حتى ولا لنفسك. . بل كل تاريخك بكل ما فيه من قوة وضعف ومن ذكاء وغباء وانتصار وهزائم ومجد وهوان إنما فعله وفكّر له الآخرون. .

إن كل ما تفعله أو تزعم أنك فعلته أن يقال أو تقول إنك أمرت بهذا ونهيت عن هذا، وأحببت هذا وكرهت هذا، أو أنك فعلت هذا أو دمرت هذا وأنت فوق السحاب، فوق النجوم دون أن يراك أو يشعر بك أو يجدك أو ينتظرك أحد، بل ودون أن تجد نفسك أو تراها وتشعر بها أو تنتظرها أو تنتظر منها. .

. . إنك يا إلهي الكائن الذي يفعل له الآخرون كل أفعاله وينسب إلى نفسه كل أفعال الآخرين، والكائن الذي لا يجد نفسه مهما وجده الآخرون، والذي لا يجده الآخرون مهما عاملوه وحاوروه وعاهدوه وزاروه ووهبوه وبحثوا عنه بكل العيون

والأشواق، في كل الآفاق والأشياء والأحداث والصور. !. لقد أصبحت يا إلهي أقوى وأحضر موجود لأنك أخفى وأضيع وأضعف مفقود. !

.. إنك الغائب الذي لا يتعذب أو يخجل من طول انتظار المنتظرين له ولهفتهم عليه بلا حضور، والذي لا ييأس أو يمل أو يشكو أو يعاتب أو يعاقب المنتظرون له مهما علموا أنه لن يحضر وأنه أيضاً لن يعتذر أو يفسر الأسباب التي تمنعه من الحضور بأي معنى من معاني الحضور. . !. . كائن كل العالم ينتظره بكل اللهفة والشوق ولكنه لا يحضر ولا يعتذر ولا يفسر. . من هذا الكائن الفظيع؟

.. إذن من الذي سوف يفكّر ويفعل لك وعنك حين تواجه هذه الورطة؟

هل فكرت في ذلك وعرفت ودبرت له العلاج أو الحل؟

تذكر، تذكر أنك سوف تكون وحدك. !. إنه لا مثيل لعجز الإله حين يكون وحده أي حين لا يوجد من يفعلون له وعنه وباسمه دون أن يفعل أو حتى يدري هو. . !

.. وهذه الأمراض التي لا بدَّ أن يصاب بها سكان الفردوس تحت الظروف التي يعيشونها لا بدَّ أن تصيبهم بتمزق وانحلال أخلاقي وديني وإنساني شامل. . ستهوي بهم إلى حضيض الانحرافات وأنواع الشذوذ البذيء. وقد يصابون أو لا بدَّ أن يصابوا بكل ألوان الرفض والزندقة والضلال والتحريف. وقد يؤلفون الكتب ويؤسسون النوادي والجمعيات ويلقون الخطب والبيانات، يعلنون الكفر بك والنقد والسب لك والخروج عليك والتجهيل لك مخططاً ومريداً ومفكراً وفاعلاً. . ! وقد يمارسون أيضاً كل أنواع الإضراب والمظاهرات والعصيان والتخريب، تخريب كل شيء. وقد يتحولون إلى غيظ وإذلال لك أكثر وأقسى مما كان يفعل لك وبك أعداؤك في الحياة الأولى. !

.. إنهم قد أصيبوا بكل الأمراض العقلية والنفسية والعصبية والبدنية وبكل آفات الترف والخمول والاسترخاء والكسل والفراغ والتبلد وبالغرق الدائم في الشهوات الرخيصة البذيئة، وبالغرق في حضيض الشهوات الوقحة. !

.. إذن كيف لا يهوون في كل مهاوي الانحرافات والشذوذ بكل ألوانه الفظيعة الأليمة المخربة المعروفة وغير المعروفة؟

إنهم حينئذ قد يحاولون الهرب من فردوسك. كما قد يحاولون قتل أو اختطاف أو إفساد أو إغواء أو رشوة أو تهديد موظفيك في فردوسك. إن موظفيك حينئذ لن يستطيعوا الدفاع كما لم يستطيعوه في الحياة الأولى. !

. . وأيضاً قد يحاولون الامتناع عن ممارسة الحياة والحب والعلاقات الجنسية. وقد يحاولون أيضاً الانتحار الجماعي الكوني الفردوسي . .

آه. لو أضربوا عن ممارسة الجنس. !. كيف يمكن أن يكون حينئذ عذابك وحرمانك وحزنك وغيظك يا إلهي؟

هل لك يا إلهي أي عزاء أو فرح أو مسلاة أو تعويض أو تكفير أو اعتذار أو ثمن أو أجر عن مأساة حياتك وفي حياتك وعن حياتك وتجميلاً وتسويغاً لحياتك، لهموم وآلام وهزائم وتفاهات وعبث حياتك غير أن تشاهد الممارسات الجنسية بكل قبحها ووقاحاتها وجنونها وافتضاحها؟ هل تجرؤ على الإنكار أو الإخفاء؟ هل الذي يخلق الافتضاح ويخلق أسبابه ومغرياته الملزمة يخجل من مشاهدة ممارسته أو يتوقر عن ذلك؟

. . لماذا يا إلهي الفضاح المفضوح صغت العلاقات والممارسات الجنسية بكل هذه البذاءة والوقاحة والجنون والافتضاح والغيبوبة القبيحة المهينة. . بكل هذا الهبوط بكل صيغ وتفاسير الهبوط؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أنك بذلك تصنع أو تريد لنفسك الفرح والسعادة والعزاء والرثاء والتعويض بل والثمن والأجر والتكريم والتمجيد حين تشاهد ذلك بكل وقارك وكبريائك، بكل حرمانك ومجاعاتك وشهواتك الشاذة المريضة؟

إن أحداً حتى ولا من ملائكتك وحراسك الأقربين يستطيع أن يفسر أو يسوغ تدبيرك وتخطيطك وصياغتك للممارسات الجنسية بكل هذا القبح والافتضاح والجنون والوقاحة والغيبوبة إلاّ بكونك تسعد وتفرح وتتعزى وتتغذى وتتسلى بمشاهدة ذلك وبالاستماع إلى نهيقه وشهيقه وصهيله وأنينه. . إلا بكونك تريد أن تتداوى من كآبتك وفراغك وضياعك وهزائمك بالمشاهدة والاستماع لهذه البذاءة البائسة. !

نعم. ولكن ماذا يمكن أن ترى أو تفعل حينما يفعل سكان فردوسك كل هذا أو بعض هذا أو أكثر وأقبح من كل هذا يا إلهي الذي لا علاج له من آلامه ومشاكله ومن وجوده إلاّ بأن يفقد وجوده؟

أجل، يا إلهي أنت وحدك الكائن الذي لا علاج له من ورطاته ومآسيه وذنوبه وأخطائه وآلامه إلاّ بأن يفقد وجوده. !

نعم، إذا سكان فردوسك فعلوا كل هذه المآسي والهموم والورطات لك فما الذي سوف تعاملهم أو تعاقبهم به؟

هل تحول حينئذ الفردوس إلى جحيم؟ هل تطردهم من الفردوس إلى الجحيم؟

هل تعيدهم إلى الحياة الأولى لتعيد القصة كلها من جديد وبتكرار سخيف؟

هل تبعث إليهم حينئذ بالأنبياء والكتب والأديان ليؤمنوا ويتقوا ويعبدوا مكرراً تجربتك السابقة الخائبة الخاسرة الحزينة؟

هل تيأس وتخجل وتستسلم للهزيمة حينئذ وتعترف بها وتعلن تخليك عن الكون وهربك منه لاجئاً إلى أحد الأديرة أو المغارات لتعيش راهباً مجهولاً خاملاً منسياً أو تحاول أن تتحول إلى حشرة أو إلى أية كائنة أخرى محظوظة تستمتع باللذات والشهوات والسهادة والفرح أكثر منك ولا تواجه شيئاً من الورطات والآلام والمآسي والمسؤوليات والهزائم والفضائح التي تواجهها أنت؟ ألا تشعر يا إلهي بالغيرة الحادة من الحشرة حينما تحاسب حظوظك بحظوظها؟ حاول مرة أخرى أن تقارن بين حظوظها وحظوظك. جرب ذلك.

.. أيهما أفضل أو أنبل أو أنفع لك: أن تكون كائناً ضخماً معذباً مهزوماً متورطاً مفتضحاً محروماً أم أن تكون كائناً صغيراً ضئيلاً مستوراً مستريحاً مغنياً راقصاً محظوظاً أي أن تكون إلهاً بائساً أم حشرة سعيدة؟ ألا تتمنى يا إلهي ولو أحياناً أنك قد جئت حشرة ولم تجئ إلهاً حين تقرأ شيئاً من الفروق بين حياتك وحياتها؟

.. إنها حيرة بل غرق في الحيرة..

* * *

كل أسفي عليك يا إلهي.!. هل أنت مصاب بكل هذا النسيان أم مصاب بكل هذا العجز عن أن تتعلم من تاريخك وتجاربك ومواجهاتك الضخمة الصعبة أم أنت مصاب بهذا وهذا وبأكثر من هذا وهذا بل بأقبح وأفجع من هذا وهذا ومن كل شيء؟

إني فكرياً ونفسياً وأخلاقياً مضطر إلى أن أقول بالتكرار: كل أسفي عليك، كل أسفي عليك يا إلهي، يا من يصيب بكل الأسى والأسف دون أن يصيب بأي قدر أو شيء من الفرح أو الرضا.. يا من يذنب كل الذنوب دون أن يقدم أية كفارة أو اعتذار عن أي ذنب من الذنوب. من ذنوبه هو.. يا من يقاسي كل الأسى والأسف والغضب والغيظ والتوتر دون أن يعيش أي قدر من الفرح أو الرضا أو الحب أو الأمان أو الراحة النفسية أو العصبية أو الأخلاقية أو الذاتية..

.. دون أن يحاول الخروج من المأزق.. دون أن يجدد أو يغير أو يتغير أو يثور.! يا إلهي هذا ألا تتذكر أنك قد أردت لأسباب لا يمكن فهمها أو تسويغها في فترة من التاريخ لا يمكن أن ترى أو ترى من كثافة وشمول ظلمتها أن تبدأ خلق كائن سميته

الإنسان؟ آه. يا لها من لحظة تعجز عن حسابها وتفسيرها كل الحسابات والتفاسير أعني تلك اللحظة التي رأيت أن تبدأ فيها هذا البدء..

.. لماذا رأيت أن تبدأ بخلق هذا الكائن المسمى إنساناً وقد عشت كل تاريخك الطويل، الطويل بدونه؟ لماذا بدأ بك الشوق إليه في الفترة التي بدأ بها لا قبلها ولا بعدها؟ هل كنت بلا شوق قبل هذه الفترة أم كنت ناسياً أو عاصياً لشوقك؟

.. إنه لمن الصعب بل المستحيل أن تجد جواباً ذكياً أو معقولاً أو مقبولاً أو محترماً أو حتى مغفوراً أو مسموعاً عن هذا السؤال الذي لم تحسب أو تتصور أو تحتلم أن أحداً قد يقذفك به، قد يخترق ويذل ويفضح به عبقرياتك العقلية والحسابية والفنية والتصورية والأخلاقية.

إن كل الحسابات تقول إن أردأ وأبلد كائن لن يقدم على أن يخلق هذا المخلوق المسمى إنساناً إن كان يريد شيئاً من الفرح أو الرضا أو السعادة أو المجد أو الحب أو الكرامة أو النظافة لنفسه، أو كان لا يعمل إلاّ متحاوراً متفاوضاً مع العقل أو الأخلاق أو الجمال أو الصدق أو حتى مع الإيمان والتدين أو إن كان يريد أن يصنع المجد للعقل أو للأخلاق أو للجمال أو للصدق أو للإيمان والتدين. !

.. إن جميع الحسابات تقول إن وجود هذا الكائن المسمى إنساناً خسران لكل شيء حتى لنفسه ولخالقه!

.. نعم، ألا تتذكر أنك أردت أن تبدأ بخلق الإنسان أو أنك بدأت بخلقه دون أن تريد، وهذا أفضل لك وأستر لعيوبك وضعفك، فكان البدء أن خلقت آدم وحواء؟ يا لها من قفزة إلى العذاب والقبح والظلام. إلى العداوات والبغضاء والحروب!.

آه. ماذا حدث؟ ماذا أصابك يا إلهي حينما رأيت الرؤية الأولى لهذين المخلوقين أتمنى لك الاتزان والوقار أمام هذه المفاجأة..

.. لقد قفز بك الفرح خارج وقارك بل خارج ذاتك حينما رأيتهما..

.. لقد نسيت أمام فرحك ألوهيتك، نسيت أنك أنت الإله وحدك المعبود وحدك بل لقد تنازلت من عنف فرحك عن ألوهيتك أو عن شيء منها، ولعل أي كائن لم يصبه فرحه بمثل الذي أصابك به فرحك حين رأيتهما أي آدم وحواء قافزين من بين أصابع يديك المملوءتين بالتراب. قد يكون حينئذ إعجابك بنفسك وبيديك اللتين حولتا التراب إلى هذين المخلوقين المتعاشقين الممارسين لعشقهما بالأسلوب الوقح المثير الذي

حينما رأيته ذهبت بلا شك تحدق فيه بكل الانبهار واللهفة. هل تجرؤ على الإنكار أو الإخفاء؟ لا تحاول، لا تحاول.

ـ نعم، قد يكون إعجابك بنفسك وبيديك حينئذ قد أنساك من أنت. !

. . لقد نسيت نفسك وألوهيتك أو تنازلت عنهما أمام هذين المخلوقين. !

. . الإله ينسى نفسه وألوهيته أو يتنازل عنهما. !. من يصدق هذا؟ من يصدقه؟

. . لقد جننت بهما حباً وإعجاباً. لقد تحولت إلى نموذج من نماذج العبيد لهما. لقد تحولت إلى داعية لعبادتهما وإلى معاقب لمن يرفض عبادتهما لأنه يريد أن يعبدك وحدك ويرفض الاشتراك بك. .

. . لقد حولك فرحك المجنون إلى داعية للشرك بك. لقد صرت من عباد الأوثان يا إلهي!

. . لقد فاجأت وفجعت بل وأذللت وأبكيت ملائكتك الأبرار السماويين حين أمرتهم أن يعبدوهما أي آدم وحواء، أن يسجدوا لهما. . !

. . آه. آه. كيف كان شعور الملائكة حين سمعوا هذا الأمر يوجه إليهم؟

. . إني أريد أن أفترض أن الملائكة حينما سمعوا هذا الأمر لهم بالسجود لهذين المخلوقين من التراب قد قاسوا من الشك والتساؤل: هل الله جاد في هذا الأمر أم هو مختبر لذكائنا ولقوة وصدق التزامنا بعبادته وحده. ولعل إبليس الذي كان أتقى وأذكى وأعظم الملائكة إنما رفض الأمر بالسجود الموجه إليه لأنه قد استيقن أو رجح جداً أن الله لم يكن جاداً في ذلك وإنما كان ممتحناً وإلاّ كيف خاطر بالرفض؟

ولن يلام إبليس إن كان اعتقد ذلك أو رجحه. إنه الاعتقاد أو الافتراض الملائم لذكائه وتقواه ولحبه واحترامه للإله. !

إن تكذيب الإله حين يقول غباءً أو جهلاً أو سفهاً لهو أعظم أساليب الدفاع عنه والتمجيد له!

إن أي افتراض آخر لن يكون إلاّ أقسى إهانة لإبليس ولآمره. !

قد يقال إن إبليس عصى أمر إلهه احتراماً لإلهه ورفضاً لأن يعبده غيره مواجهاً. . إن كل عاقل متوقر محترم لإلهه ولنفسه لن يفهم الموقف إلاّ كما فهمه إبليس أي بالفهم الذي تصورنا أن إبليس قد فهمه. .

أما إن كان إبليس قد أخطأ فلن يلام على خطئه بل يجب أن يشكر ويجزى على

خطئه، ولكن اللوم كله يجب أن يقع على من جعله يخطئ فيما لا يمكن الخطأ فيه. على من جعله يحسب مخطئاً حيث يجب أن يرى ويحسب مصيباً بل كل المصيب.!. إن من أخطأ في فهمه الممجد المعظم للإله لأتقى وأذكى ممن أصاب في فهمه المحقر للإله.!

.. أليس الذي يخطئ في فهمه لك لأنه أراد أو حين أراد أن يفهمك جميلاً وكريماً وعظيماً وذكياً أفضل وأنبل وأتقى وأذكى وأكثر وأصدق تمجيداً وحباً لك من الذي يصيب لأنه أراد أو حين أراد أن يفهمك دميماً بليداً. سفيهاً نذلاً؟

ولكن هل كان إبليس مخطئاً في فهمه هذا الذي تصورنا وافترضنا أنه فهمه من أمر الإله بالعبادة والسجود لآدم وحواء؟

إذن أي إن كان مخطئاً وعاصياً للإله فلماذا وهبه أي الإله كل هذا المجد والتفوق والانتصارات على كل شيء وكل أحد أبداً، أبداً في كل معاركه؟

هل وجد واهب النصر مثل الإله وموهوب النصر مثل إبليس؟ كيف وهب الإله كل نصره لإبليس؟

هل يمكن أن يكون قد وهبه كل ذلك إلاّ بعد أن بهره بذكائه وبكل مواهبه الأخرى ووثق به كل الثقة ورضي عنه كل الرضا؟

لعل للإله تفسير آخر أعمق وأتقى وأذكى وأنبل من تفسير أنبيائه ومن تفسير أوامره وكلماته وصرخاته له ومن كل التفاسير التي فسّر ويفسر بها!

لعل التفاهم والتوافق والصداقة والتخطيط بين الإله وإبليس أكثر وأدوم وأعمق من التفاهم أو التوافق أو الصداقة أو التخطيط بين الإله وأنبيائه أو بين الإله وملائكته. لعله لم يفهم أحد الإله كما فهمه إبليس ولم يفهم إبليس أحد كما فهمه الإله. لعل العلاقات بينهما هي أفضل وأقوى العلاقات بين أي متعاملين.!

لعل كل أحد فهم الإله فهماً ضالاً ما عدا إبليس، ولعل كل أحد فهم إبليس فهماً ظالماً ضالاً ما عدا الإله. لعل أحداً لم يفهم العلاقات بين الإله وإبليس لأنها علاقات تتفوق على كل الأفهام والتصورات والحسابات. لعل العشق والتوافق بينهما أكبر وأعمق من كل ما عرف وتصور من عشق وتوافق.!

ولعلهما يفاجئان العالم والكون يوم الحشر الأكبر بأن يتصافحا ويتعانقا بكل الحرارة والصداقة والمحبة والعشق معلنين وكاشفين بذلك عن العلاقات الحقيقية بينهما.

.. نعم ثم ماذا فعل بك فرحك بهذين المخلوقين الترابيين؟ لقد قفزت وراء كل الحدود المعقولة والمقبولة والمحترمة محاولاً أن تهيئ لهما كل ألوان السرور والسعادة والمجد والاستمتاع بممارستهما لعشقهما بالأساليب البذيئة التي رأيت فافتتن.

لقد تحولت إلى زارع وبستاني ومولد وراعي ومربي أبقار وأغنام ودجاج وديوك وإلى جزار وطباخ وإلى كل شيء لازم أو مطلوب لكي تصنع لهما وحدهما فردوساً كاملاً ليأكلا ويشربا ويرقصا ويغنيا ويناما ويمارسا عشقهما داخل عينيك وأذنيك وكبريائك وإيذاءً وتعذيباً لحرمانك ليمارساه بالأساليب والأشكال والصيغ وبالنهيق والشهيق والأنين والآهات التي رأيت واستمتعت وسمعت فافتتنت وفقدت عيناك وأذناك كل الوقار والكرامة والكبرياء والذكاء والحياء والجمال والغضب والانفجاع من مواجهة أو رؤية أو سماع أي قبح أو فحش أو افتضاح أو عار. أليست مداومتك الرؤية والسماع لآدم وحواء وهما يمارسان عشقهما قد روضتك على تقبل ما لا يجوز أو يغفر تقبله؟

.. ثم ذهبت بكل التضرع والتخضع والتواضع والحنان واللهفة تعاشرهما وتعاملهما وتخاطبهما وتغني لهما وتغدق عليهما الوعود والابتسام والإخلاص، وتعرض عليهما كل خدماتك وطاعاتك، واهباً لهما كل تحديقاتك والتفاتاتك واهتماماتك وأوقاتك، واضعاً أمامهما حجمك وكل مستوياتك وصورك ونماذجك ولغتك بالصيغ والمقادير والألوان التي تفرحهما وترضيهما وتهبهما الأمن والثقة والفخر بل والكبر عليك، نعم، عليك.!

لقد ذهبت تفعل لهما وبهما كل ذلك وأكثر من كل ذلك حتى وجب الرثاء لك والإشفاق عليك. لقد صغرت، صغرت في استرضائك لهما حتى جعلتهما يمارسان الجنس بكل هذا القبح.

.. لقد أصبحت علاقاتك بهما أي بآدم وحواء ومعاملتك لهما قصة عشق لا مثيل لها في العطاء والفداء والخضوع والإخلاص ولكن من جانب واحد..

.. لقد نسيت وأهملت وهجرت كل شيء من أجلهما حتى كرامتك وكبرياءك وعزتك ووحدانية عبادتك نسيتها وأهملتها وهجرتها بل وأهنتها وقهرتها..

إنه لشيء مظنون أو محتوم أنك قد أحرقت ملائكتك وكل أصدقائك وعبادك السماويين بالغيرة وبالشعور بالاضطهاد لما رأوا من عنف حفاوتك بهما أي بآدم وحواء وخدمتك ومحاباتك لهما اللتين تحولتا إلى أقسى ظلم وإذلال لهم أي لسكان السماء ولكل من سواهما..

. . إن كل واحد في هذا الكون قد شعر أنه قد ظلم وأهين أمام معاملتك لآدم وحواء. !

وإنه لاحتمال معقول جداً أنهم أي سكان السماء قد أصيبوا بسبب ذلك بحالات نفسية وعصبية بل واعتقادية وأخلاقية أليمة. ولعلهم قد ذهبوا يعبرون عن ذلك بأساليب احتجاجية شتى، منها التباطؤ والتراخي والإهمال المتعمد في أدائهم لوظائفهم. .

بل ولعلهم قد أصيبوا أيضاً بالعجز أو بالضعف العام تفكيراً وإرادةً وحزماً وعزماً وعضلات. لعل شعورهم بالإهانة والاضطهاد والمحاباة ضدهم قد أصابهم بالانبهار الشامل المدمر المتحول إلى انهزام وانقهار في كل شيء. إنه لا يوجد ولم يوجد عجز مثل عجز سكان السماء أمام خصومهم. !

ألم يقولوا أي سكان السماء محتجين وغاضبين على هذا التفضيل الجنوني والمحاباة لآدم وحواء بلا أي قدر من الاتزان أو العدل أو الذكاء أو المنطق.

ـ نعم، ألم يقولوا صارخين في وجه الإله أي في وجهك يا إلهي:

«أتجعل فيها ـ أي في الأرض ـ من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. . قال إني أعلم ما لا تعلمون. .».

إنها لأعمق وأصدق وأقوى وأذكى صرخة احتجاج وغضب واستنكار. بل صرخة تعنيف وتجهيل بل تعليم وتحذير وإنذار. . !

ولكنها صرخة ضائعة. لقد ذهبت بلا مستقبل أو سامع أو فاهم. !

هل توجد صرخات ضائعة بلا سامع أو مستقبل مثل الصرخات الموجهة للإله؟ آه يا إلهي لقد كنت متسرعاً جداً حينما قلت رداً على هذه الصرخة العاقلة الواعية الرائية المخلصة بل المنقذة حتى لك أنت. حين قلت:

«إني أعلم ما لا تعلمون».

. . ألا تقاسي الآن يا إلهي من الخجل والندم والعار ومن تجهيل الذات وقسوة الجهالة لقولك هذا؟

آه. ليتك تعلمت الخجل والندم ومعاقبة الذات.

. . حتماً أنت الآن قد استطعت أن تعرف مهما كان ذكاؤك ومحاباتك لنفسك بل مهما كان عجزك عن نقدك لنفسك وعن رؤيتها وتصحيحها أنك لم تكن تعرف ما لا يعرفون أي الذين نصحوك بألا تغلط غلطتك الكبرى القاتلة أي بخلقك لآدم وحواء أي

للإنسان بل إنهم هم الذين كانوا يعرفون ما لا تعرف. نعم، لقد كانوا أصدق وأنفذ رؤية منك لقد كان خطؤك وذنبك يا إلهي عظيمين حين لم تسمع وتستجب لما قالوا لك. !

.. كل حزني عليك مفجوعاً ومصدوماً ونادماً وآسفاً ومعاتباً لنفسك إن كنت قد عرفت ذلك أي لو كنت تفعل شيئاً من ذلك بنفسك أو تفعله بك نفسك.

.. وكل حزني وأسفي عليك بليداً وجاهلاً وخاملاً غافلاً إن لم تكن قد عرفت ذلك. ولكن هل الآلهة تعرف؟ وكيف افترضت أنها تعرف أو قد تعرف؟ إن كل ما يحدث في الكون ليعطي كل اليقين بأن الآلهة لا تعرف ولا يمكن أن تعرف. !

.. آه هل وجدت أو يمكن أن توجد نصيحة غالية نافعة منقذة ذكية عظيمة قد رفضت مثل هذه النصيحة أي مثل النصيحة التي تقدمت بها الملائكة إلى الإله بكل الصدق والإخلاص والحب والوعي والتهذيب فرفضها الإله أي رفضتها أنت يا إلهي بكل البداوة والجلافة والجهالة والنزق والعنف البذيء المغرور. إن أي طاغية جاهل بدوي الفكر والأخلاق واللغة لن يرد على مشورة مستشاريه بمثل ردك هذا..

.. آه يا إلهي لو أنك فهمت ووعيت وتقبلت هذه النصيحة. !.

إنك حينئذ لن تجدني أمامك أحاورك وأحاسبك وأحاكمك وأعاتبك بكل القسوة والصدق والإخلاص والانفجاع وكم في هذا من الراحة والإنقاذ لك؟

بل كم في هذا من الستر عليك؟ وهل يوجد محتاج إلى الستر عليه مثلك يا إلهي؟

آه ما أقسى وأكثر وأقبح العذاب الذي واجهت وقاسيت لأنك رفضت تقبل هذه النصيحة وعجزت عن فهمها وعجزت عن أن تكون شيئاً مما يجب أن تكون. !.

ما أعظم وأروع النتائج لو أنك فهمت وأطعت هذه النصيحة أو هذا التعنيف أو الزجر الذي وجه إليك. !

.. ما أكثر وأعظم وأقبح الآلام والورطات واللعنات والاتهامات والدمامات والمشاكل والقبائح والذنوب والأحزان التي كان محتوماً أن تنجو منها لو أنك سمعت وفهمت وتقبلت وأطعت ونفذت هذه الموعظة الذكية التي وجهها إليك ملائكتك بل هذه النبوة التي هي أصدق من جميع نبواتك ونبوات جميع أنبيائك. !

نعم، كانت الإهانات والصدمات والحماقات وأساليب القهر والإذلال والإحباط التي أوقعتها بأعوانك وأصدقائك وجلسائك السماويين من ملائكة وغير ملائكة، وكذا ما رأوا وسمعوا وواجهوا وجربوا بكل الانفجاع والرعب من خروجك على كل منطق

المنطق وعلى كل شروط الاشتراط وعلى كل أخلاق الأخلاق وعلى كل صيغ وتفاسير الاتزان والوقار والذكاء والاستحياء بل والتقوى. . !

ـ نعم، كان ذلك فاجعاً، فاجعاً بكل القسوة والوحشية لهم أي لأعوانك وأصدقائك وجلسائك السماويين. !

ولقد كان محتوماً أن يردوا على ذلك. ولكن لقد جاء ردهم متوقراً مهذباً. .

لقد كان المفروض والمتوقع أن يكون ردهم عليك يا إلهي رداً ملائماً ومكافئاً لما فعلت بهم، وأيضاً ملائماً ومكافئاً لأخطائك وتصرفاتك المدمرة البليدة. أي أن يكون ردم على كل ذلك وعلى الأشياء الأخرى من أفعالك وأخلاقك يا إلهي ثورة مدمرة ومسقطة لك ولعرشك وحكمك ومجدك بل ولاسمك وتاريخك. إن أية ثورة ضد أي مسؤول أو نظام لن تكون أسبابها مساوية لأسباب الثورة التي كان المفروض أن يثورها ضدك ملائكتك وأعوانك الآخرون. !

. . لقد كان البشر في كل التاريخ يثورون على حكامهم وقادتهم ويسقطونهم ويطردونهم أو يشنقونهم مع أنهم لم يقترفوا شيئاً قليلاً جداً، جداً مما اقترفت ومع أن الحكام والقادة إذا اقترفوا شيئاً رديئاً أو قبيحاً أو بليداً أو ظالماً أو سفيهاً أو وقحاً فإنما يفعلون ذلك لأنهم محتاجون أو مضطرون أو خائفون أو جاهلون أو عاجزون. . أما أنت يا إلهي فتفعل وفعلت جرائمك وسفاهاتك وعدوانياتك وأخطاءك بلا اضطرار أو حاجة أو عجز أو خوف أو جهل. ولا تزال وسوف تظل تفعلها، تفعلها أبداً، أبداً. . !

إن أي نذل أو أحمق أو سفيه أو متوحش لن يفعل أي عدوان أو قبح أو ظلم أو ألم أو إيذاء إلاّ مضطراً إلى ذلك بعجزه أو جهله أو خوفه أو حاجته أو مجاعته إلاّ أنت يا إلهي فإنك تفعل كل ذلك، كل الأوقات بكل شيء وكل أحد، دون أي سبب أو تفسير من هذه الأسباب والتفاسير. . !

أجل، لقد جاء رد هؤلاء السماويين عليك رداً مهذباً متواضعاً، خفيفاً سهلاً جداً غير متكافئ بل وبعيداً عن أن يتكافأ مع ما تستحق يا إلهي. !

لقد كان ردهم أن تراخوا وتباطأوا في أدائهم لوظائفهم أو عجزوا أو ضعفوا في أدائهم لذلك. !

لهذا جئت أنت وهم مهزومين وعاجزين ومتخلفين في مواجهة جميع الأعداء، في كل الميادين والقضايا، ولا بد أن تظلوا كذلك أبداً. .

إنهم مقهورون ومهانون وغاضبون ورافضون محتجون مستنكرون لما يرون

ويعرفون ويعانون منك. إذن لا بدَّ أن يؤدوا أعمالهم ووظائفهم التي فرضت عليهم بعجز وبلادة وفتور وأخطاء إما متعمدين أو غير قادرين.!

.. إن أي موظفين لا يؤدون أعمالهم بالعجز والبلادة والأخطاء التي يؤدي أعمالهم بها موظفوك.

.. إن أي أعوانك ومستشارين لأي حاكم أو مسؤول لن يقاسوا ويواجهوا أو يعرفوا أو يروا مثلما يقاسي ويواجه ويعرف ويرى أعوان الإله ومستشاروه مما يثير كل الغضب والغيظ والانفجاع والاستنكار والاشمئزاز بل والشعور بإرادة الإذلال والاضطهاد لهم أي من الضعف والإهمال والاسترخاء والغباء والظلم والجهل.

.. إنه لا يوجد ولن يوجد أعوان أو مستشارون بلا أي جزاء أو ثواب أو شكر أو أية حقوق أو مصلحة من أي نوع بل وبلا أية كرامة أو انتصار أو مجد أو ظروف ملائمة غير أعوانك ومستشاريك يا إلهي الذي لا يوجد ولن يوجد ظالم محقر مذل خاذل لمستشاريه وأعوانه بل وسارق لكل حقوقهم بل وحارم لهم من كل الحقوق مثلك أو غيرك.!

كيف؟ هل مستشاروك وأعوانك لا يعلمون أن للأعوان والمستشارين أجوراً وحقوقاً ومتعاً ومسرات؟ ألم يروا مستشاري حكام البشر وأعوانهم أو يقرأوا عنهم ليعرفوا أن لهم أجوراً وحظوظاً وحقوقاً ومتعاً ومسرات كثيرة ضخمة؟

هل فقأت عيونهم أي عيون أعوانك ومستشاريك وأغلقت عقولهم وآذانهم وخيالاتهم وتمنياتهم لئلا يروا أو يقرأوا أو يسمعوا أو يفهموا أو يتصوروا أو يتمنوا أو حتى يشتهوا؟

إذن ما الثمن لوجودهم ومعاناتهم ولأدائهم لأعمالهم ووظائفهم؟

كيف لم يفطنوا إلى ذلك ويفعلوا شيئاً للخروج عليه؟ هل أفسدتهم وقهرتهم وسحبت منهم كل معانيهم بعملية سحر لا يستطاع فهمها أو تصورها؟

كيف؟ ألا توجد منظمات دولية أو كونية تطالب لهم بأي حق من الحقوق الواجبة لهم والمحرمة عليهم؟!.

إنه لا يوجد من يستحقون كل الرثاء والإشفاق والغضب والنضال من أجلهم والانتصار لهم لمثل هؤلاء الأعوان والمستشارين والموظفين المنفذين عندك يا إلهي.!

.. إنهم يعملون ويواجهون أردأ وأقبح وأفظع الأعمال الأليمة الفاجعة المهينة

بالفرض والإلزام بلا أي ثمن أو استمتاع أو جزاء أو شهوة أو انتظار لأي شيء من ذلك.

. . لنفكر في الملائكة أو الزبانية الذين يوقدون الجحيم ويحرسونه. والذين يسرقون الأرواح ويوقعون العاهات والتشوهات وأقسى الآلام بالشيوخ والأطفال. ويتجسسون على الناس في غرف نومهم وتحت ثيابهم وداخل نياتهم وضمائرهم. والذين يدمرون ويغرقون ويقتلون المدن والبيوت والمعابد والمستشفيات والمدارس والحقول بالزلازل والبراكين والفيضانات، والذين يحولون الأبناء والآباء والأمهات والأزواج والزوجات والأصدقاء المتحابين إلى أيتام وأرامل وحزانى وفاقدين ومفقودين. ! إن كل هذا الكون لا يكفي ثمناً أو جزاء أو تعويضاً لمن يقومون بشيء من هذه الأعمال القذرة. !

- نعم، لنفكر في هؤلاء الملائكة والزبانية الذين يفرض عليهم أن يفعلوا كل ذلك ويواجهوه ويروه ويقرأوه ويحقروا كل معانيهم ووجودهم وعيونهم وقلوبهم وأخلاقهم وأيديهم به دون أي أجر أو ثمن أو متعة أو شهوة أو حتى وعد بذلك. !

هل يوجد مظلومون محرقون بائسون أنذال جبناء مثل هؤلاء؟

إذن هل يمكن تصور من تجب الثورة لإنصافهم وإنقاذهم مثل أعوان الإله ومستشاريه وموظفيه أي مثل أعوانك ومستشاريك وموظفيك يا إلهي الذي لا بد أن يتحول أعوان وموظفو كل الطغاة ومستشاروهم محاسبين ومفسرين بأعوانك ومستشاريك وموظفيك إلى أعظم محظوظين وممجدين ومكرمين وموهوبين؟

قبيح وفظيع ومهين بلا مثيل أن يوجد أقذر وأنذل جلادين بلا أي ثمن بل كل الثمن أن يؤدوا أعمال ووظائف الجلادين التي ليس لها أو فيها أي سبب أو تفسير أو منطق أو غاية أو نتيجة من أسباب وتفاسير ومنطق وغايات ونتائج أي عمل أو وظيفة من أعمال ووظائف الجلادين الآخرين الموظفين عند أقذر وأجهل وأطغى الطغاة. !. هل يعلم أي ملاك أنه ليس إلاّ قاتلاً أو مشوهاً أو ممرضاً أو مغرقاً أو محرقاً أو مخرباً أو موظفاً عند من يفعل ذلك بلا أية قضية وبلا أي أجر أو ثمن أو غرض أو شيء يطلبه أو ينتظره أو يحققه أو يعرفه أو يتمناه أو يشتهيه؟

ولكن ماذا حدث بعد هذا الجنون في التمجيد والتكريم والمحاباة والحب والإسعاد لهما أي لآدم وحواء؟

إن ما حدث لا بدَّ أن يتحول إلى تفسير أليم رهيب لما سوف يحدث لفردوسك ولسكانه يا إلهي الذي لا يستطيع أن يقرأ أو يعرف أو يرى أو حتى يتخيل أو يتوقع

النتائج والتفاسير التي لا بدَّ أن تقرأها وتراها وتعرفها وتسمعها من وراء سدود وحدود الغيب كل العقول والآذان والعيون حتى العمياء الصماء البلهاء الأمية. بل حتى عيون وآذان وعقول الزعامات والقيادات والنبوات والشاعريات والعبقريات العربية. !

اقرأ أو اسمع هذا يا إلهي الأمي. اقرأ أو اسمع هذا يا إلهي الذي لم يسمع أو يقرأ قط.. !

لقد نسياك أي آدم وحواء وعصياك وهجراك وهزماك وهما في أحضانك وفي فردوسك وعينيك وأمامك مخترقين لكل حراساتك ورعاياتك وكبريائك.. لقد تمردت مجاعاتهما إلى العصيان على كل ما أردت وفعلت لهما. وكانا اثنين فقط بل وكانا نبيين، بل كانا أول أنبيائك.. والأقلون عدداً مفترضون أبداً أقل ضلالاً وأكثر توقراً وتعقلاً واتزاناً. أليس محتوماً أو متوقعاً جداً أن تكون أخطاء وذنوب العشرة أكثر من أخطاء وذنوب الواحد؟

نعم. نبياك الأولان اللذان كانا أولى تجاربك في ولادتك للبشر، للأنبياء. وفي صداقتك وحبك ورؤيتك لهم وتحالفك وتعاهدك معهم، وفرحك بهم. وكانا أولى ولاداتك المشوهة لجمالك وأول حبلك المفسد لعفتك وحصانتك.

.. نعم، هذان النبيان الأولان اللذان ولدتهما عبقريتك عصياك وغاظاك وأغضباك ليطيعا شهواتهما الصغيرة البليدة السخيفة.

.. عصياك وغاظاك وأغضباك وبصقا في عينيك المحدقتين فيهما عاريين بكل قبحهما ووقاحتهما ونشوتهما البذيئة. !

.. وكانا لم يجربا بعد لذة ونشوة وإغراء بسالة العصيان. وكانت نياتهما وأشواقهما وأعضاؤهما لم تذق بعد طعم التمرد على الأوامر والتعاليم والتحليل والتحريم. ولم تروض بعد أي نياتهما وأشواقهما وأعضاؤهما على الاقتحام. اقتحام حرمات الآلهة وحصونها ومعتقلاتها ومضاجعها ومعابدها وأوهامها وكبريائها. ولم تعرف بعد ضعف ووهن وكذب هذه الحرمات والحصون والمعتقلات والمضاجع والمعابد والأوهام والكبرياء بل والحراسات. وكانا لم يعرفا بعد أن الإله وحده دون كل أحد هو الكائن الذي لا ينفذ أبداً أي شيء من أقواله أو أخلاقه أي المزعومة!

وكانا بعد لم يعلما أن الإله ليس إلاّ زعيماً أو قائداً أو حاكماً أو نبياً أو شاعراً وصداقته وعداوته، حربه وسلامه ليسا إلاّ زئيراً، تصويتاً، صهيلاً، رعوداً بلا أي سحاب أو مطر..

وكانا بعد لم يعلما أن الإله ليس إلاّ زعيماً أو قائداً أو حاكماً أو نبياً أو شاعراً أو مفكراً عربياً يدمر أو يعمر، يهزم أو ينصر، يعطي أو يحرم بأن يقول. يقول فقط، بل بأن يصرخ، يصرخ فقط دون أن يقول. .

. . وقد يُقال أو لا بدَّ أن يقال إن ما فعلاه أي آدم وحواء بك ومعك وضدك دليل على أنك يا إلهي ضعيف الشخصية والجاذبية والإيحاء والتأثير والإقناع. . كيف؟ لننظر ونفكّر. !. لنقرأ عليك القضية. !

لقد عشقت أن تخلقهما فخلقتهما بكل الافتتان والحب والفرح والمباهاة، ثم قابلتهما وصافحتهما وعانقتهما وخاطبتهما وعاملتهما وتحدثت عنهما وطالبت وصنعت وأمرت لهما بكل التكريم والإعزاز والسخاء والاحترام بل وبكل الركوع والتواضع لهما بل ووظفت كل ألوهيتك لخدمتهما وطاعتهما وللاستجابة لشهوتهما ومجاعاتهما. .

لقد فعلت لهما كل ذلك مواجهة وبلا أي وسيط أو واسطة ثم بكل البرود والاطمئنان والأمن بل وبكل الجرأة الوقحة فعلا بك ما فعلاه. مواجهاً رائياً مغيظاً مفجوعاً مسحوراً مقهوراً. . هل يمكن تصور أي تفسير لذلك غير أنهما وجداك وفهماك وقرآك وفسراك ضعيف الشخصية والجاذبية والإيحاء والتأثر والإقناع. بل وأنهما قد وجدا أن شخصيتك توحي بل وتأمر بنقيض ما تطالب به وبنقيض ما يفترض فيها ولها. بل وجدا أن شخصيتك تفرض الخروج عليها وتوحي بالخروج عليها بل وتقنع وتلزم بالخروج عليها كما قد وجد كل ذلك كل من تعاملوا ويتعاملون معك. !

. . إن جميع المتعاملين مع الحكام والزعماء والرؤساء والأصدقاء والأهل. .

الآباء والأخوة وغيرهم وغيرهم ومع السوق والمجتمع ومع كل من يتعاملون معهم وحتى مع اللصوص والأعداء والأشرار.

ـ نعم، إن جميع المتعاملين مع كل هؤلاء ليخشونهم ويحذرونهم ويتقونهم ويحترمونهم ويتأبون ويتهذبون في تعاملهم معهم ويستحيون منهم ويرهبون أن يعرفوا عيوبهم وذنوبهم وتلوثاتهم ويحاولون أن يصدقوهم ويرضوهم ويفرحوهم وينالوا إعجابهم بهم ورضاهم عنهم. بل ويفزعون من نظراتهم وتحديقاتهم وهمهماتهم وهمساتهم وتلميحاتهم. فكيف من عداواتهم ومخاصماتهم وضرباتهم؟

ويصبغون وجوههم وذواتهم بالأصباغ الجميلة لينالوا احترامهم واستحسانهم وثناءهم. .

ـ نعم. إن جميع المتعاملين مع هؤلاء ليفعلون لهم ومعهم وأمامهم كل ذلك أكثر

وأصدق وأحر مما يفعلونه معك أو لك أو أمامك يا إلهي، بل ولعله من الشاذ القليل جداً أن يعاملوك بأي شيء من ذلك. فما التفسير؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير قراءة ورؤية وتفسير المتعاملين المتخاطبين معك الناظرين إليك لضعف شخصيتك وعجزها عن أن تكون موحية مؤثرة مقنعة مرهوبة مغرية أو موثوقاً بها حين الرهبة أو الرغبة، حين التأميل أو الخوف؟

كم أرجو يا إلهي أن تكون قد فهمت لماذا ذكرتك بقصتك الحزينة الفاجعة مع آدم وحواء. !. ما أقسى عذابي يا إلهي كلما توقعت ألاّ تفهم ما لا يستطاع العجز عن فهمه!

. نعم، كم أرجو أن تفهم أني أريد أن أقول لك: إلاّ إذا كان آدم وحواء وهذه قصتك معهما قد غدرا بك وبفردوسك ونسياك ونسيا أوامرك لهما حتى استحقا الطرد من الفردوس الذي صنعته لهما فطردتهما منه فماذا يمكن أن تفعل الأعداد الهائلة من البشر التي تعجز كل خيالات الأرقام عن تصورها والتي ألقيت بها في فردوسك المبتلي برداءة وقبح وضعف وجهل وبداوة وبلادة سكانه حتى إنه لمحتوم أن يخجل فردوسك من أن تقوم بين مزايا سكانه ومزايا سكان جحيمك أية منافسة!

نعم. ماذا يمكن أو يتصور أن تقترف هذه الحشود الكونية التي حشدت في فردوسك أو طردت إلى فردوسك أو عوقب وأهين وشوه بها فردوسك زاحفة إليه أو منقولة إليه من الحياة الأولى حاملة معها كل ضعفها وجهلها وبلهها وأحقادها ومجاعاتها وكل تاريخ حرمانها وتمنياتها وشهواتها البدوية العدوانية التي تعذبت طويلاً. طويلاً بالحرمان والهوان. حاملة معها أعضاءها التي لم تستطع أن تشبع من المعاصي الكبيرة عجزاً وفقداً، زاعمة أنها لم تشبع منها إيماناً وتقوى.

نعم، ماذا يمكن أو يتصور أن تقترف هذه الحشود في فردوسك من الأخطاء والخطايا والبلاهات والجهالات والحماقات والعداوات والمخاصمات والنذالات والتلوثات التي لن يستحقوا عليها فقط أن يطردوا من الفردوس كما طرد منه آدم وحواء بل التي يستحقون عليها أكثر من أن يطردوا من الفردوس ومن أن يغلق أو يلغى الفردوس، بل التي يستحقون عليها أكثر وأقسى من أن يلقى بهم في الجحيم، بل التي يستحقون عليها من العقاب والعذاب أكثر مما تستطيع الآلهة والنبوات أن تفعل أو حتى تتصور أي في تصور الآلهة والأنبياء للعقاب والعذاب. !

من الذي علم الآلهة والأنبياء قسوتهم في تصورهم للعقاب والعذاب؟ ومعلمهم من علمه؟

.. نعم، نبيان أي آدم وحواء فعلا في الفردوس ما أوجب طردهما منه وهما في يدي الإله وعينيه وصياغته وصداقته وخدمته وحضرته بل وفي غرفته..!

إذن كيف لم يفطن الإله أي لم تفطن يا إلهي إلى ما لا بدَّ أن تفعله هذه الأكوان الهائلة من الحشرات البشرية المتجمعة في فردوسك، المتجمعة فيها كل نذالات وحماقات ومجاعات وبلادات وعدوانيات وضعف كل الطبيعة وكل الحياة التي قاسوا وجاؤوا منها وجربوا واختزنوا فيها ومنها كل الخبث والقبح والفحش والشهوات البذيئة. والتي طالما جاعت أي هذه الأكوان البشرية في حياتها الأولى وظمأت وتلهفت إلى أن تغرق وتسبح في كل بحار المعاصي والآثام البهيجة؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد جائعون ومتلهفون إلى الآثام مثل سكان الفردوس؟

.. **كيف وقد جربوك ورأوك وقرأوك** وعرفوك في التعامل معك في الحياة الأولى فوجدوك لا تعاقب أو تمنع أو حتى تؤذي من يعصونك ويرتكبون كل الخبائث والمظالم والفواحش والعدوان إما لأنك غائب أبداً، أو لأنك لا تعلم، أو لأنك مشغول بأشياء أخرى تستغرقك عن كل شيء غيرها، وإما لأنك تسعد وتفرح بارتكاب هذه الآثام وتعوض على نفسك برؤيتك لها ممارسة. وإما لأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً. وإما لأنك رحيم إلى أن أصبحت مهيناً مهاناً. أو لأنك حكيم إلى أن أصبحت سفيهاً مسفوهاً عليك، أو لأنك ممهل ومهمل ومؤجل إلى أن أصبحت الناسي المنسي بلا منافس، نعم يا إلهي هل يوجد من ينافسك في أنك ناس ما يجب عليك وفي أنك منسي حتى لقد أصبح كل وجودك وكينوناتك وأفعالك وعلاقاتك رواية، رواية فقط في حساب وحياة جميع المتعاملين معك وبك وعليك، أي رواية غير مثيرة لا للرغبة ولا للرهبة ولا حتى للشوق أو النشوة أو المحبة أو الحماس، أي رواية كالرواية عن الموتى أي عن الموتى الذين لم يوجدوا لا عن الموتى الذين وجدوا فماتوا.!؟

.. نعم، يا إلهي أرجوك ألا تفجع أو تكذب حين تسمع مني أن الموتى نوعان: موتى كانوا أحياء وموجودين فماتوا، وموتى لم يحيوا بل ولم يوجدوا أي أنهم موتى فقط. آه. ما أجمل وأنظف أن يكون الميت ميتاً فقط لا ميتاً كان حياً.!

هل يوجد أقبح أو أفجع أو أجهل أو أخسر من أن تصبح ميتاً بعد أن كنت حياً؟ هل تستطيع أن تعرف من أي النوعين أنت يا إلهي؟ أي الموتى أفضل أو أسعد حظاً: من كانوا أحياء وموجودين فماتوا وأصبحت لهم قبور وذكريات تصنع العذاب والشوق أو الاشمئزاز والاحتقار، أم الموتى الذين لم يحيوا ولم يوجدوا ولم تصبح لهم قبور ولا ذكريات؟

.. كم أنت قبيحة، قبيحة أيتها القبور، أيتها المقابر. !

كم هو سفيه ونذل من ابتكرك أو لجأ إلى ابتكارك أيتها المقابر. !

هل وجد أو يمكن أن يوجد أقبح أو أوقح أو أسخف أو أجهل أو أنذل أو أقسى من أن توجد القبور والمقبورون، أو أن يوجد من قضى وأراد وأحب وقرر واشتهى ورأى جماله وكماله وذكاءه وعدله وعبقريته في أن توجد القبور والمقبورون؟ هل تعلمون أو تصدقون أنه يوجد عاشق ومخطط لوجود القبور والمقبورين؟

هل يمكن تصور ابتكار سخيف وبليد وخسيس وسفيه وجاهل وعدواني مثل ابتكار المقبورين والمقابر؟ كيف حدث هذا؟ كيف حدث؟

.. إنه لجمال وروعة وفرح ونظام أن توجد وتحيا! .. إذن لماذا تموت وتفقد؟

وإنه لضرورة وعقل ومنطق وراحة وحكمة أن تموت وتفقد! إذن لماذا توجد وتحيا؟

.. إنه لعدل وصواب أن تفقد عينيك أو يديك أو قدميك!

إذن لماذا وجدتا؟

.. إنه لواجب وحق أن تكون لك عينان ويدان وقدمان؟

إذن لماذا تفقد كل هذه أو بعضها؟

ولكن إلى من يوجه السؤال؟ ليت فوق هذا الكون من يسأل فيسمع ويفهم ويجيب! وهل يمكن أن يوجد من قبل أن يكون فوق هذا الكون أو مسؤولاً عنه أو متهماً أو محاسباً به؟

.. كم هو جمال وفرح ومنطق وسعادة أن يموت ويفقد من لم يحيَ أو يوجد. !. بل كم هو نبل وشهامة وبراءة وسلامة وحب وعدل. !

ولكن كم هو قبح ونذالة وعدوان وظلم وسفه وحزن وبغض أن يموت ويفقد من كان موجوداً وحياً!.

بل كم هو تحطيم وتخريب وحماقة بل وجنون، جنون. !!

إنه لجنون يرفض كل جنون أن يكونه وكل مجنون أن يكون مجنونه. !

.. كائن يصنع موجوداً حياً لكي يحوله إلى مفقود ميت! هل يقبل أي مجنون أن يكون هذا الكائن؟

.. أنت حي وموجود، وتعلم أنت وكل أهلك ومحبيك أنك ستموت، ستصاب بالموت والفقدان في كل لحظة وأية لحظة!

هل يوجد أسخف أو أوقح أو أقبح أو أنذل أو أقسى من هذا؟

هل يوجد ترويع أو إرهاب أو إذلال أو عدوان أو سفه مثل هذا؟

.. وأنت غير موجود وغير حي أي أنك لم توجد ولم تحيَ لتموت وتفقد. !. هل يمكن أن يكون في هذا أي شيء من العدوان أو السفه أو الخروج على المنطق؟

بل أليس هذا شيئاً جميلاً ونبيلاً ومعقولاً ورحمة؟ أو أليس شيئاً ليس فيه أي شيء من القبح أو السخف أو الوقاحة أو النذالة أو القسوة أو الإيذاء أو الخسران أو الجنون؟ أنت لا تحيى لتقتل من حييت ولا تبني لتهدم ما بنيت. ألست أقل قبحاً وذنباً ممن يقتل ويهدم لأنه أحيا وبنى؟

.. إذن أي الميتين تختار أن تكونه يا إلهي لو أنه قد حكم عليك بأن تختار أو لو أنك أردت أن تختار، وكنت مصمماً على أن تكون أحدهما أي أن تكون الميت الذي كان حياً أم الميت الذي كان ميتاً؟

وشيء آخر لعلك يا إلهي فهمت أني أحاول أن أجعلك تفهمه من تذكيري لك بمأساتك مع آدم وحواء.. !

حينما أخطأت خطأك القاتل والفاضح لكل أخلاقك وتفاسيرك المنطقية والنفسية والفنية بخلقك لآدم وحواء وبإلقائك بهما إلى فردوسك الساذج الهمجي كان إبليس غلاماً أو تلميذاً أو شيطاناً أو معادياً أو رافضاً أو ثائراً أو محارباً مبتدئاً.. لم يتقن بل لم يتعلم شيئاً من فنون الخداع والمكر والتضليل والتسلل والاقتحام..

.. لم يدرس شيئاً من ذلك في أي معهد ولا على يد أي أستاذ ولم يقرأ أي كتاب يتحدث عن أي شيء من هذه الفنون حتى ولا كتاباً عربياً يعلم نقيض ما يراد تعليمه وما لا ينبغي تعليمه. أليس كل كتاب عربي يعلم ضد العلم؟

.. لقد كان أي إبليس حينذاك غلاماً أمياً بدوياً لم يحمل أو يرَ أو يعرف أو يقرأ قلماً أو حرفاً. لقد كان أي إبليس في أميته الشاملة مثل كل النبوات العربية في جميع تفاسيرها. وكان وحيداً بلا أي صديق أو رفيق أو مساعد أو حتى مجالس أو مساكن. كان طفلاً تاريخياً. كان بداية تاريخ، كان ولادة تاريخ، كان بداية تاريخ بلا تاريخ!

كان أي إبليس بدءا بلا بداية أي بلا تاريخ، بلا أهل أو أصدقاء أو رفقاء أو

مساعدين أو معلمين أو مؤيدين أو حتى محرضين أو موافقين أو صامتين أو محايدين. كان بلا أي قائد أو معلم. !

.. كان بلا شعب أو وطن أو انتماء أو زملاء..

بلا أية تجربة أو حراسة أو خطة معلمة أو منفذة أو قدوة سابقة.

.. كان يتيماً ووحيداً وغريباً وشذوذاً وتحدياً لكون كامل، لأكوان كاملة، ولكل ما فيها ومن فيها من آلهة وأنبياء وملائكة وزبانية وقديسين. كان محارباً وثائراً كونياً بلا شبيه. !

كان بداية وجود وطفولة وتاريخ ومسيرة وحرب لا مثيل لها في ضعف ووحدة وقسوة بدئها وفي قوة بدئها أيضاً. !

كان أي إبليس بداية تتحدى وتخجل وترهب كل البدايات باقتحامها وشجاعتها ووحدتها وقدرتها بل وكل النهايات. !

.. كان غلاماً بل طفلاً يتيماً بل لقيطاً وحيداً وقف في الميدان وحده ضد كل شيء، ضد كل الآلهة والأنبياء والجهالات والنذالات والمهانات والعبوديات والأكاذيب والغوايات والإستسلام والضعف والنفاق والهوان.

.. كان بداية أفسدت وهزمت وأذلت وشوهت وعاقبت بل وقطعت كل العلاقات والصداقات بل والمجاملات والمسالمات والمهادنات بين الإله والإنسان في كل تاريخهما بل أقامت بينهما حواجز ومسافات لا يستطاع اقتحامها. !

كان أي إبليس بداية صغيرة وضعيفة نسفت أعظم وأكبر فكرة وخطة فكرتها وخططتها يا إلهي لتكون أي الخطة والفكرة في حسابك وأملك واهبة لك أعظم وأبقى أمجادك ومسراتك أي خطتك وفكرتك في خلقك للإنسان وتنفيذك لها لكي يكون لك وحدك العبد العاشق المجنون في عشقه.

لقد حوّل أي إبليس كل حساباتك وآمالك في إيجادك للإنسان إلى نقيض حاد شامل لكل حساباتك وآمالك بل ولكل الحسابات والآمال المحسوبة ناجحة وذكية ومنطقية وعبقرية بل المحسوبة قمة ذلك. !

لقد هدم كل حساباتك وآمالك وكل حسابات وآمال أخرى في هذا الكائن المسمى إنساناً.. ! إنه لم يوجد ولن يوجد مصنوع أهان وفضح صانعه مثل الإنسان بما فعل بصانعه.

. . لقد كانت كل حساباتك وآمالك أن يصبح الإنسان لك عبداً ومجداً وسعادة وسروراً ورضاً وحباً وجمالاً ونظافة ونصراً وفخراً وكبراً وحليفاً وجندياً وحامياً وصديقاً أو حتى عدواً مسالماً أو مهاناً أو حتى عدواً محارباً ولكن بشهامة أو نبل أو صدق أو كرامة أو نظافة أو شجاعة أو شرف. !

. . لقد كانت كل حساباتك وآمالك تعني وتريد وتعتقد وتنتظر وتقدر أن يصبح الإنسان كل ذلك. . إن أي كائن لم يهدم ويكذب ويفضح آماله وحسابات أي كائن آخر مثلما هدم وكذب وفضح إبليس هذا حساباتك وآمالك يا إلهي!

نعم، ولكن هذا الغلام اليتيم الأمي الوحيد البادئ المبتدئ الذي لم يتعلم أو يجرب أو يقرأ أو يمارس أو يعرف أي علم أو فن أو قراءة أو حرفة أو مهنة أو تدريب أو مكر أو دهاء أو خداع أو استعمال لأي سلاح أو تحالف مع أي حليف ضعيف أو قوي، ذكي أو غبي، شهم. أو نذل، منتم إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء، إلى هذا المذهب أو النظام أو الدين أو الإله أو إلى ذاك الآخر أجل. أجل، ولكن هذا الغلام الذي كل هذه الأوصاف والآلام بعض أوصافه وآلامه، أي، ولكن إبليس هذا، قد نسف وأفسد كل حساباتك وآمالك وتقديراتك ورغباتك وتمنياتك وأشواقك هذه. بل إنه لم يهزمها ويفسدها فقط بل لقد حولها إلى النقيض، إلى أقسى وأقبح نقيض. !

. . لقد حول هذا الكائن الذي سميته إنساناً والذي أردت منه وبه أن يكون لك أكثر وأدوم وأشمل فرح وسعادة ولذة إلى أكبر وأدوم وأشمل وأقسى تعذيب وحزن وشقاء وهوان وهزيمة وتكذيب وتجهيل وتحقير لك، لكل حساباتك وآمالك وتقديراتك وتدبيراتك ورؤاك وتفاسيرك لكل الأشياء أي لقد حوّل هذا الغلام اليتيم الأمي المسكين الوحيد أي إبليس هذا الكائن الذي سميته إنساناً إلى كل هذا النقيض. . !

ولا بدَّ من الاعتذار إلى ما قلنا في سطورٍ سابقةٍ من الاحتمال بأن تكون الصداقة والتوافق بين الإله وإبليس لا مثيل لهما بين الصداقات والتوافق ولكن إعلان العداوة والبغضاء والخصومة بينهما إنما خداع أو خطأ.

. . نعم. يا إلهي لعلك قد فهمت هذا الشيء الآخر الذي لا بدَّ أن يسيئ إلى كل تفاسير ذكائك وتذكرك ألا تكون قد فهمته والذي أردت لك أن تفهمه.

. . نعم، هذا الكائن المسمى إبليس قد استطاع بكل اليسر محكوماً بظروفه القاسية الضعيفة الأليمة التي حدثتك عن بعضها أن يخدعك ويقهرك ويخدع ويقهر كل أجهزة أمنك وحراساتك القوية ويتسلل مخترقاً عينيك وضميرك وكبرياءك إلى فردوسك الذي

أنشأته لتسكن فيه نبييك أو ولديك الأولين اللذين أشقياك وأذلاك بتدليلهما وبالحفاوة والفرح بهما، آدم وحواء. . !

. . لقد كان كما سمعت مني غلاماً بل طفلاً مبتدئاً أمياً أمية مطلقة وقاسية في كل تفاسيره حتى لقد كان في عينيه وشهواته أمياً. ومع هذا فلقد استطاع بمحاولته الأولى أن يتسلل إلى فردوسك بل أن يقتحمه اقتحاماً معلناً إعلاناً كونياً وأن يمارس أعماله بدوي كوني ضد نبييك أو ولديك في فردوسهما وأن يتفوق عليهما وعلى أوامرك وتعاليمك وتدليلك وتكريمك ومحاباتك وحبك وصداقتك لهما، أي أن يتفوق عليك وعليهما بالذكاء والدهاء والتخطيط والتدبير والصدق والشجاعة بل وبالإيمان والتصميم وبأسلوب ولغة الحوار والمفاوضة. أليس انتصاره الشامل الحاسم عليك يا إلهي وعليهما يعني حتماً أنه قد تفوق عليك وعليهما في كل هذه المعاني وفي كل المعاني الأخرى القوية؟

أريدك يا إلهي أن تفكر بل أطالبك أن تفكر: هل يمكن وجود أو حتى تصور أي تفسير لانتصاره أي لانتصار إبليس عليك وعليهما هذا الانتصار المرهق المخيف المذل للكون كله ولكل ما فيه ومن فيه غير هذا التفسير؟

ولأنه أي إبليس كان متفوقاً كل التفوق فلقد استطاع بكل السهولة والسرعة أن يخدعهما ويغويهما ويسحب منهما كل إيمانهما وتقواهما واحترامهما لك وخوفهما منك وحفظهما وتذكرهما لأوامرك لهما، بل ويسحب منهما وقارهما وحياءهما وكرامتهما وشرفهما، ويلقي بهما إلى الحضيض إلى عصيانك ونسيانك وإلى هزيمتك وإهانتك، خاضعين لإغراء أتفه وأصغر الأشياء إغراء، فتجد نفسك مهاناً منبوذاً مهزوماً حزيناً باكياً، يائساً، فلا تجد ما تعالج به آلامك وأحزانك أو ما ترد به على من فعلا بك كل ذلك إلاّ أن تتصرف تصرفاً عصبياً مهزوماً عاجزاً صغيراً ساذجاً وهو أن تخرجهما من فردوسك وتغلق أو تهدم فردوسك أو تؤجره أو تبيعه أو تتركه فراغاً وخلاء مع الالتزام بتكاليف صيانته وحمايته وحراسته، وتلقي بهما أي بولديك أو نبييك آدم وحواء إلى عدوك وعدوهما إبليس لكي يعاملهما بعبقرياته المعادية المتفوقة والمنتصرة على كل شيء وكل أحد بل القاهرة المذلة لكل شيء وكل أحد حتى لك أنت يا إلهي الذي لم ينتصر في أية معركة من معاركه في كل تاريخه بل الذي لم ينهزم بشرف أو كرامة أو ذكاء أو قوة أو عقلانية في أية معركة من معاركه التي لا بدَّ أن يهزم فيها جميعاً والتي هو مهزوم فيها كلها أبداً. . التي لا يمكن أن يهزم فيها بأي تفسير أو صيغة من تفاسير أو صيغ الهزائم الجديدة أو المحترمة أو المتوقعة أو المعقولة أو المقروء أو المعروف لها مثيل. . !

نعم، ألست وحدك يا إلهي المهزوم أبداً وإن هزائمك هي وحدها التي لا يستطاع بل ولا يمكن تفسيرها أو تسويغها بأي قدر من المنطق أو الذكاء أو الاحترام أو الشجاعة أو الكرامة أو القوة مهما كان محتوماً أو محتملاً أن تفسر أو تسوغ كل الهزائم وشر الهزائم وأردأ الهزائم بشيء من ذلك أو بكثير من ذلك؟

ولقد جاء ردك يا إلهي على هزيمتك المميتة هذه رداً لا مثيل له في قبحه وضعفه وجهالته. لقد عالجت أو واجهت هزيمتك بأن فعلت ما هو أقبح أساليب الانتحار بين يدي عدوك المنتصر.. بأن سلمت إليه كل بقايا حصونك وقلاعك وخطوط دفاعك، وكل بقايا جيشك المهزوم وبقايا أسلحته، بل وكل بقايا أرضك التي بدأ عدوك يغزوها..

لقد فعلت كل ذلك وما هو أقبح وأردأ من كل ذلك يا إلهي حينما سلمت نبييك أو ولديك آدم وحواء بلا قيد أو شرط إلى أرض وقبضة خصمك المنتصر الجبار ليفعل بهما وبذريتهما ويقودهما ويقود ذرياتهما كما يريد ويستطيع. ومن المحتمل وقد يكون من الواجب أو المحتوم أنك تعرف ماذا يستطيع ويريد.!. لقد أكون مبالغاً كثيراً في تقديري لقدرتك على أن تعرف يا إلهي. ولكن أليس محتوماً أن ترى أني معذور في هذه المبالغة؟

.. لقد أخرجتهما من الفردوس المحروس والمحمي بك وبجيشك وحرسك السماوي وألقيت بهما وبذريتهما إلى الأرض التي هي وطن إبليس، إلى الكون الذي هو وطن وملك ودولة الأبالسة.!

لقد فعلت ذلك لأنهما عصياك وأطاعاه مرة واحدة، فعلا ذلك عن ضعف أو خطأ أو عن نسيان أو نزوة أنت خلقتها فيهما.!

فهل كنت في فعلتك هذه تعالج وتنقذ وتحمي وتصلح وتصحح أم تفعل النقيض؟

هل فكرت في هذا وعرفت ماذا فعلت وأردت ما فعلت؟

هل اعتقدت أنك بهذا تعاقب وتحارب وتهزم عدوك وتنتقم منه، وتؤدب وتصلح وتنقذ نبييك أو ولديك، وتعظم وتمجد وتكرم نفسك وشهامتك وفروسيتك وقوتك وغضبك؟

هل يوجد أي احتمال بأن يكون هذا هو اعتقادك واقتناعك؟

وإن لم يكن هذا الاحتمال محتملاً فما التفسير إذن لما فعلت؟

هل أنت يا إلهي كالزعامات والقيادات والنبوات والألوهيات العربية التي إذا غضبت أو هزمت أو عجزت أو أهينت أو افتضحت فعلت ما يوقعها في المزيد من ذلك بأساليب أكثر وأعلى ضجيجاً وافتضاحاً.

ـ نعم، فعلت ما يوقعها في المزيد من ذلك بأساليب وظروف تفسيرها بأنها تتعمد ذلك وتستشفى به من كل ما لا تريد ومن كل ما لا يهبها كل التفوق على كل العالم والكون، بكل تفاسير التفوق؟

هل تعلمت يا إلهي هذه الموهبة أو العبقرية من الموهبة العربية أو العبقرية العربية أم أن الموهبة والعبقرية العربيتين هما اللتان تعلمتا ويتعلمان ذلك من مواهبك وعبقرياتك؟

إنها لقضية معجزة للفهم والتفسير أعني قضية التشابه الكامل بين أخلاق ومواهب الإله وأخلاق ومواهب القيادات والزعامات العربية.

.. كيف يا إلهي عجزت عن أن تعرف أو تتذكر أو تجد أو تستطيع أو تريد أي علاج آخر أو موقف آخر حين حلّت بك هذه الهزيمة بل هذه الكارثة؟ أليس حولك مستشارون وخبراء؟

هل كل مستشاريك وخبرائك عرب أو من العالم الثالث أي من أردئه؟

.. اسمع أو تصوّر أو اقرأ يا إلهي هذه القصة أو المأساة أو الحماقة التي يصعب أن يوجد من يفعلها بل التي يصعب أن يوجد من يتصورها.. نعم. اسمع واقرأ وتصور ولكن بكل طاقاتك الحماسية والعقلية والأخلاقية والنفسية. لكن واأسفاه على طاقة طاقاتك.!

.. كائن أو إنسان أو إله له ابن يحبه جداً وينتظر منه أن يكون له كل المجد والفخر والقوة والفرح والسعادة..

هذا الابن اتصل به أو صادقه عدو له ولأبيه مخادع لعين فأغواه وأغراه بأن يفعل شيئاً قد يحسبه أبوه عصياناً له ففعل ذلك الشيء خطأً أو ضعفاً أو نسياناً أو تسامحاً أو مجاملةً أو تجربةً أو إيماناً بالحرية وتذوقاً وطاعةً لها. فجن أبوه كل الجنون..

فعاقب ابنه هذا بأن تخلى عنه وسلمه لعدوه هذا وعالج وشفى جنونه وغضبه بهذا التسليم لابنه إلى عدوه..

سلمه إليه لماذا؟ قيل تفسيراً لذلك: ليصلحه ويهديه، وقيل ليهبه كله لخصمه.!

هل يمكن التصور بأن هذا الكائن أو الإنسان أو الإله قد وجد أو أنه قد يوجد؟

آه.. ألست يا إلهي بما فعلته بولديك أو نبييك آدم وحواء تساوي هذا الكائن أو الإنسان أو الإله الذي يصعب أو يستحيل تصوره؟

... والذي يضخم جداً من قبح ما حدث: إن الابن المعاقب هذا وهنا كان غراً لم يجرب بعد الخديعة ولا الانخداع ولم يعلم أنه يوجد هذا أو هذا..

ويلتاه يا إلهي.!. هل يمكن أن يوجد من يستطيع أو يجرؤ أن يقرأك أو يفسرك أو يفهمك أو يحدق فيك ما لم يفقأ ويغلق ويسكت بل ويقتل عينيه وعقله وضميره وأخلاقه بل وغضبه واشمئزازه وكل شروطه ونماذجه وتفاسيره الإنسانية؟

ألست حتماً قاتلاً لكل معاني كل من يريدون أن يروك أو يقرأوك أو يفسروك أو يفهموك أو يحبوك؟

.. لا تصدق يا إلهي المريض بالتصديق من يزعمون أو يزعم لهم أنهم يقرأونك أو يفسرونك أو يفهمونك أو يحدقون فيك أو أنهم يفعلون ذلك أو يستطيعونه أو يريدونه. ولكن هؤلاء إنما يقرأون ويحفظون ويروون ويرون ويفسرون أنفسهم وظروفهم وأهواءهم ومصالحهم وضعفهم ونفاقهم وخوفهم وملقناتهم وقبورهم وتاريخهم وأكاذيب وأوهام وأحلام وخدع معلميهم ودجاليهم وأنبيائهم الأطفال الشيوخ.!

لا تصدق أن من يتحدثون عنك. يتحدثون عنك أنهم يتحدثون عن أنفسهم وظروفهم لا عنك.. إنك يا إلهي أنت الصورة التي لا يراها إلاّ من خلقوا بعيون لا يمكن أن ترى. والحرف الذي لا يمكن أن يقرأه إلاّ الأمي الذي لا يستطيع أن يتعلم القراءة أو لا يستطيع أن يقرأ مهما تعلم القراءة.!

هل تعرف يا إلهي أن أكثر من يتعلمون القراءة لا يستطيعون أن يقرأوا؟

.. آه يا إلهي كم أنا محتاج إلى الاعتذار الحار إليك لأني قد ذهبت بك بعيداً عما كنت أريد أن أقول لك، ولأني قد أوجعتك وفجعتك وروعتك بما فسرت وفكرت لك وبما أسمعتك من أخطاء وسذاجة وضعف تصرفاتك وردودك على مواجهاتك ومواقفك الأليمة الصعبة البائسة.!

ولكن آه ليتك يا إلهي ممن يفجعون أو يروعون أو يتوجعون. إذن لجئت أكبر وأعظم وأنبل وأذكى وأتقى مما جئت، أو لجاءت رؤيتك لنفسك وللناس والأشياء والكون أكثر حياءً ووقاراً وتهذيباً وحباً وشهامةً وصداقةً وجمالاً وإغضاءً وتديناً وتواضعاً بل لجاءت أكثر تعذيباً وإحراجاً وتأنيباً وعقاباً لك.!. ولكن هل الآلهة ترى؟ أليس

شرطاً محتوماً في كل إله أن يكون فاقداً للرؤية عاجزاً عنها رافضاً لها؟

أجل يا إلهي لقد أخذتك بعيداً عما كنت أريد أخذك إليه. !

ولكن هل الآلهة تستجيب لمن يأخذها مهما وجب أن تستجيب؟

نعم، يا إلهي كنت أريد أن أقول لك بكل نيات وحوافز وعواطف الرثاء والتحذير والنقد والإحراج والتأثيم والتأنيب والتجهيل ومحاولة التعقيل والتعليم لك أن أقول لك:

لقد استطاع هذا الكائن العجيب الهازم المفسد المبطل المخترق لكل التفاسير والحسابات والحدود المحروسة المقدسة.. هذا الكائن المسمى بإبليس المتفوق على كل الحسابات والتقديرات حتى على حساباتك وتقديراتك يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد مهزوم مثله ولا منتصر مثل خصمه وعدوه.

ـ نعم، لقد استطاع وهو في بداية طفولته وجهالته وأميته ووحدته وغربته وسذاجته، في بداية كينونته التاريخية النضالية أن يغزو فردوسك المحروس بكل كبريائك وقسوتك وفروسيتك البدوية الجاهلية. وأن يغزو إيمان وتقوى وعقل وأخلاق وبكارة وطهارة من قاسيت لكي تعرف وتستطيع أن تصنع فردوسك الهمجي البدوي الخرافي الأسطوري في ترفه لكي تقدمه رشوة إليهما لكي يمدحاك ويعبداك وينافقاك ويتملقاك يا إلهي، يا أسفه وأسذج مستقبل للمديح والملق والنفاق والهوان ومطالب بذلك.

ـ أن يغزو كل ذلك بكل اليسر والسرعة والانتصار بلا أية مقاومة أو عقاب أو معاناة، بل أية حاجة إلى أي تخطيط أو تدبير أو تفكير أو تحذير أو حذر. أي حاجة إلى موهبة أذكى أو أتقى أو أقوى أو أصفى من موهبة الإله أو النبي أو القائد أو الزعيم أو الحاكم أو الشاعر أو الفنان أو المفكر أو العبقري العربي.. وكم أخشى أن تكون مبهوراً بموهبة الإنسان العربي ومذعوراً منها محاسباً لها بموهبتك أنت يا إلهي. !

.. وهل يمكن تصور موهبة بل عبقرية تساوي في ضعفها وهوانها وضآلة حجمها وتفاسيرها وفي سهولة ورخص وسرعة الحصول عليها موهبة بل عبقرية الإنسان العربي، صاعداً واقفاً متحدثاً مبارزاً من فوق قمة نبوته أو عبقريته أو شاعريته أو فلسفته أو فنيته أو قيادته أو زعامته إلاّ أن تكون موهبتك أو عبقريتك أنت يا إلهي الذي لعله تعمد أن تجيء الموهبة العربية كما جاءت لكي يعجب بموهبته أو يغفر لها ضعفها حين يحاسبها بالموهبة العربية.

الذي لعله قد صاغ الإنسان العربي كما صاغه لئلا يحتقر صيغة ذاته مقارناً ومحاسباً. !

أجل يا إلهي كنت أريد أن أقول لك بكل الصدق والإخلاص والبراءة، أو بكل الزندقة والوقاحة والجنون في الرأي الآخر.

ـ أن أقول لك، حتماً بكل الصدق والبراءة والإخلاص مهما كان أو قال الرأي الآخر.

ـ أن أقول لك:

إذن هل يمكن تصور ما يستطيع أي هذا الإبليس أن يفعله بفردوسك الأخير وبسكانه القادمين إليه من الحياة الأولى حاملين معهم في حقائبهم الجسدية والنفسية كل هزائمهم ومهاناتهم وآلامهم وأناتهم وآثامهم وبلاداتهم وكل ضعفهم وتمنياتهم العاجزة المرفوضة المتحرقة؟

لقد أصبح إي إبليس شيئاً آخر، أكبر جداً مما كان حينما غزا فردوسك القديم الأول، فردوس آدم وحواء..

لقد أصبح مكتملاً وناضجاً في كل تجاربه وفنونه وانتصاراته. لقد أصبح تاريخاً ضخماً، ضخماً. بل لقد أصبح تاريخه كل التاريخ، وأصبح كل التاريخ بعض تاريخه.. لقد أصبح هو أقوى وأذكى وأشهر من يكتبون ويقرأون ويفسرون ويوجهون التاريخ بل ويقودونه ويصنعونه.. هل تجرؤ يا إلهي أن تنكر أنه أي إبليس قد أصبح هو أقوى وأذكى وأعظم موجه وقائد وصانع للتاريخ حتى لتاريخك أنت يا إلهي؟ هل لك يا إلهي أي تاريخ معروف أو مكتوب أو مقروء أو موجود أو مثير غير تاريخك مع إبليس وغير مقاومتك وسبك وبغضك له، وغير خوفك وتخديرك وغيرتك وغضبك منه وعليه وتعاليمك ضده، وغير مواجهاتك وقراءاتك لضرباته وانتصاراته ولنتائج ضرباته وانتصاراته، وغير أنيمك وأحزانك وآهاتك متلقياً ضرباته وانتصاراته وغزواته وتحدياته الساحقة المذلة، محولاً أحزانك وأناتك وآهاتك الحائرة العاجزة إلى أديان ونبوات وكتب مقدسة لا تستطيع أن تهب أو تفعل إلاّ أن تلعن وتلعن هذا الخصم أو العدو أي إبليس الذي هو أكبر وأقوى وأذكى من كل الأعداء مع أن كل اللعنات حتى لعناتك أنت يا إلهي ولعنات كل ملائكتك وأنبيائك بل وزبانيتك لا تستطيع أن تسحب أو تقتل شعرة واحدة في لحية أو شارب أصغر أو أضعف عدو أو خصم أو حتى في جسد فأرة؟ نعم، هل الأديان وتعاليمها إلاّ أناتك وأحزانك وآهاتك يا إلهي حاولت أن تداري بها اندحارك الشامل أمام عدوك إبليس؟

.. أنظر أو تذكر يا إلهي. إن ضربة أو قفزة أو همسة واحدة ضربها أو قفزها أو

همسها هذا العدو أي إبليس قد كتبت وصنعت كل تاريخك وتاريخ الإنسان بل وتاريخ الكون كله لأنك تقول يا إلهي إنك لم تخلق الكون إلاّ من أجل الإنسان. إذن فتاريخ الكون جزء من تاريخ الإنسان..

هل تذكرت يا إلهي هذه الضربة أو القفزة أو الهمسة التي كتبت بل التي صنعت تاريخك وتاريخ الإنسان وتاريخ الكون؟

هل استطعت أن تتذكر أو أن تفهم يا إلهي تسلل إبليس إلى فردوس آدم وحواء وإغواؤه لهما وطردهما من الفردوس وما تلا من عواقب لعلك لن تنساها أو تنكرها؟

لو أن إبليس هذا لم يضرب ضربته هذه وظل آدم وحواء في فردوسهما الخرافي الغبي فهل كان ممكناً أن يوجد أو يعرف أو يقرأ تاريخك أو تاريخ الإنسان أو تاريخ هذه الأرض والكون وما ازدحم فيهما من أديان ونبوات وتعاليم ومذاهب وكتب منزلة وأمم وشعوب وأوطان وحروب وعداوات وآلام وجنون، جنون؟ نعم، جنون، جنون!

أليس هذا هو كل تاريخك وكل التاريخ؟ أليس إبليس هو كاتب وصانع كل هذا؟ إذن أليس إبليس هو كاتب وصانع كل التاريخ حتى تاريخك يا إلهي؟ هل فطنت يا إلهي إلى هذه الحقيقة أو الكارثة؟ إذن ما أبشع آلامك إن كنت قد فطنت؟ هل تراني شريراً جداً لأني أعلنتها وفسرتها لك؟

إن السلطان العربي يكره بل ويعاقب من يقول له الحقيقة. وأنت يا إلهي ألست سلطاناً عربياً.. إن العالم الآخر أي عالم الحياة الثانية بكل ما فيه من بعث وحشد وأجهزة وإعداد وتكاليف وذعر وآلام وتوترات وحراس وزبانية غلاظ شداد ومن جحيم وفردوس.

ـ نعم إن هذا العالم الآخر بكل ما فيه ومن فيه إنما أوجده إبليس وحده لأنه أي هذا العالم إنما أوجد لمحاسبة ومعاقبة من أطاعه أي من أطاع إبليس ولمحاسبة وإثابة من عصاه.!

إذن فهو الذي أوجده لأن موجد أسباب الشيء وتفاسيره موجد للشيء..

إنه إذن، أي عالم الحياة الأخرى، هو شيء من تاريخ إبليس.!

صدق هذا يا إلهي وكن كريماً وشجاعاً وشهماً في تقبل الحقائق المؤلمة.. وإنه لمن المحتوم أن ضربة إبليس هذه وما صنعت من نتائج مؤلمة ومؤذية ومذلة محرجة لك يا إلهي بكل القسوة والقبح والشمول لا بدَّ أن تكون أي هذه الضربة بكل نتائجها قد صاغت حالتك النفسية والعصبية صياغة عنيفة حزينة جريحة مقهورة مصابة بكل العقد

المعروفة وغير المعروفة. وهذه الصياغة النفسية والعصبية التي أصابتك بها هذه الضربة الإبليسية لا بدَّ أن تكون هي التي صاغت كل رؤاك وأفكارك وأخلاقك وعواطفك وعلاقاتك بنفسك وبكل شيء هذه الصياغة العاجزة اليائسة الكئيبة العدوانية المتشائمة البعيدة عن الاتزان والوقار والجمال والحب والرحمة وعن الذكاء والوفاء والكبرياء بل والبعيدة جداً عن القوة والبسالة وعن محاولة التنظيف والاحترام للذات ولتاريخ الذات وصورة الذات. هل يمكن تصور عارض لنفسه بالضعف أو القبح أو الإهمال أو الضياع أو الهوان الذي به أنت عارض نفسك يا إلهي؟

. . . وقد جاء هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه من آلام وتشوهات وقبح وفظائع ومظالم وأخطاء وبؤس وعبث وتعذيب وفوضى وإهمال ومن سخف وجهل وظيفي يعجز كل تصور عن تصوره.

ـ أجل، لقد جاء هذا الكون بالقبح والسفه الشامل الذي جاء به تعبيراً عن صياغتك هذه النفسية والعصبية التي صاغتك بها هذه الضربة التي وجهها إبليس إلى كل تاريخك والتي صاغ بها كل تاريخك. !

. . إذن هل تستطيع يا إلهي البائس كل معاني البؤس وتفاسيره أن تنكر أن إبليس هو وحده كاتب وصانع وصائغ تاريخك؟

هل يمكن أن يجيء تاريخك أو تقبل أن يجيء كما جاء لو كنت أنت كاتبه وصانعه وصائغه ومريده ومخططه، يا إلهي الذي لا يوجد ولن يوجد من يحتاج مثل احتياجه إلى الصديق المشير الناصح الصادق الشجاع القوي الذكي التقي. والذي لا يوجد ولم يوجد فاقد مثل فقده لمثل هذا الصديق المشير المستشار إلاّ أن يكون حاكماً أو سلطاناً أو نبياً عربياً؟ أيهما أعجز عن أن يجد الصديق المشير الأمين الشجاع الذكي التقي القوي: الإله أم السلطان أو المسؤول العربي؟

. . هل كان يمكن أن تجيء صياغتك النفسية أو العصبية أو الأخلاقية أو التعبيرية أو الفنية كما جاءت لو أن الضربة الإبليسية لم تصوب إليك أو لو أنها أخطأتك ولم تصبك؟ لماذا أصابتك؟ لماذا؟

أطالب جميع علماء النفس في هذا الكون وخارجه بالإجابة عن هذا السؤال.

. . إذن اسمعوا يا من يستطيعون أن يسمعوا ويا من لا يسمعون ولا يستطيعون أن يسمعوا. . اسمعوا. اسمعوا. .

وكم أحب وأهاب أن تسمعوا وأطلب منكم الغفران حين أطلب أن تسمعوا. .

.. إن ضربة واحدة ضربها هذا الكائن المسمى إبليس قد كتبت وصنعت وصاغت كل أخلاق وتاريخ الإله والإنسان والكون وكل شيء وكل آلام وأحزان وهزائم وفضائح ومشاكل الإله والإنسان والكون وكل شيء. آه. كيف أطالبكم أن تسمعوا ذلك؟ كيف؟

هل تصدقون هذا؟ هل تصدقونه؟ إني أطالب بأن تصدقوه مع أني أهاب وأرفض وأخجل أن تصدقوه.!

أواه. ما أقسى عذاب وموقف من يطالب بشيء يخشاه ويرفضه ويخجل ويشمئز منه ويتعذب به!

آه. أليس كل إنسان بل كل كائن يطالب بأشياء يخشاها ويرفضها ويخجل ويشمئز منها ويتعذب بها؟

إذن ما الإنقاذ من العار والهوان والافتضاح؟

إنه لا إنقاذ من ذلك إلاّ بألا يكون الموجود موجوداً. ولكن كيف يمكن إنقاذ من وجد من وجوده أو من أن يكون موجوداً؟

كيف يمكن إنقاذ الصرصار أو الإنسان من أن يكون إنساناً أو صرصاراً؟

* * *

أجل يا إلهي هكذا جاءت الغزوة الأولى لفردوسك الأول ولك ولطفليك آدم وحواء التي غزاها الغازي الكوني الأعظم أي إبليس. التي غزاها تحت ظروفه الضعيفة الأليمة التي حاولت أن أقرأها وأفسرها لك. نعم، أنا أحاول أن أقرأ وأروي وأفسر لك تاريخك يا إلهي. هل توجد وقاحة أو جرأة تساوي هذا؟ إذن غفرانك، غفرانك يا إلهي.!

..آه ما أفدح الأهوال التي لا بدَّ أن تصنعها غزوته الثانية التي لا بدَّ أن يغزوك بها ويغزو فردوسك الثاني وسكانه القادمين إليه من الحياة الأولى حاملين معهم كل حقائبهم النفسية وأعضائهم المشحونة بكل الأوحال والقبح والذنوب الباحثة عن التنفيذ والانحدار والاندحار.!

آه. أي الذنوب والوقاحات أقبح: المنفذة أم المنتظرة للتنفيذ...؟

إنه في هذه الغزوة لن يحتاج إلى التسلل الخافت الهامس لكي يدخل بل يحتل فردوسك كما فعل في غزوته الأولى. بل إنه سيقتحمه بموكب بل بجيش أفراده ووحداته وكل سكانه أي سكان فردوسك قادمين إليه من قبورهم المسكونة بالعفن والوحشة والقبح والظلام..!

ماذا يمكن أن تكون نفوس وأخلاق ورؤى من يقدمون، من يخرجون من القبور؟

. . إنه سيغزو فردوسك هذا غزواً معلناً متحدياً بكل جهر وجهارة وتحدي الغزو. وسيدخله من كل الآفاق والطرق والأبواب والنوافذ والشقوق بكل الإعلانية الكونية والدولية. !

إنه سيدخله، أي يدخل فردوسك، محمولاً بكل التمجيد والحب والصداقة فوق رؤوس وظهور وعمائم ومصاحف القادمين إليه من المقابر. ومحمولاً داخل قلوبهم وضمائرهم ولحاهم وحبات سبحاتهم وداخل خلايا وذرات جباههم وهاماتهم وركبهم وكل أعضائهم التي طالما عذبها وأهانها وشوهها الركوع والسجود والصلاة والعبادة لك فوق كل تراب، فوق كل وحل وهوان يا إلهي المهين المهان!.

نعم، يا إلهي إنه لن يوجد بل لن يتصور مهين مهان مثلك!

إنه، أي إبليس، سيدخل فردوسك هذا فوق العيون المحدقة فيك والآذان المستمعة إليك والأفواه القارنة لك وللكتب المنزلة، وفوق أجنحة الملائكة الحاملة لعرشك. وأنات وآهات وهتافات الأنباء المتضرعة إليك. !

إنه أي إبليس سيدخل فردوسك منقوشاً بحروف كتبهم المقدسة على صفحات كتبهم وكتبك المقدسة. إنه سيدخله محمولاً على أكتاف وظهور حملة عرشك. إن ملائكتك لا بدَّ أن يصبحوا بعض دعاته ومستشاريه. !

. . وهل تستطيع كل أجهزة وطاقات التصور أن تتصور شيئاً من الحفاوة التي لا بدَّ أن يستقبل بها هذا الغازي أو التي قد يستقبل بها أي التي لا بدَّ أن يستقبله أو قد يستقبله بها سكان فردوسك الذين كانوا في حياتهم الأولى يلعنونه أبداً بأفواههم وفي صلواتهم، ويصلون ويهتفون ويبتسمون ويقبلون ويضاجعون له أبداً أي لإبليس بشهواتهم وتمنياتهم وآهاتهم بل وبأعضائهم. . الذين كانوا يشتهونه ويحبونه بقدر ما كانوا يذمونه، ويسبونه، أو الذين كانوا يذمونه ويسبونه لأنهم يتمنونه ويشتهونه ويحبونه، أو الذين يعلنون كراهتهم له أي لإبليس ويحولون هذه الكراهة إلى أديان وتعاليم وخطب وأخلاق وتقوى لأنه يرفض أن يكون لهم صديقاً أو عشيقاً أو رفيقاً أو عميلاً أو أن تكون العلاقات بينهم وبينه كما يشتهون ويتمنون لأنهم لا يستحقون ذلك أو لا يستطيعونه أو لا يستطيعون أن يدفعوا الثمن المطلوب والمستحق بل ولا يملكونه. !

أليست لمصادقة الشيطان ومرافقته وعشقه وللظفر بثقته ولإقامة وترسيخ العلاقات به شروط صعبة وقاسية بل وذكية جداً؟

أليس الشيطان أعني إبليس يشترط لنفسه أي لنيل رضاه وثقته وصداقته وحبه ومعاملته ولإقامة وتوكيد العلاقات معه أكثر وأذكى وأقوى بل وأتقى مما يشترط الإله لنفسه؟

أليست إقامة العلاقات الجيدة جداً مع إبليس أغلى وأقسى شروطاً من إقامة مثل هذه العلاقات مع الإله؟

أليس حب الشيطان أي حب إبليس هو أغلى الأشياء وحب الإله هو أرخص الأشياء؟ أليس المتعاملون مع إبليس المتبادلون معه الحب والعشق والشوق هم أغلى ثمناً ومجداً من المتعاملين مع الإله المتحدثين معه عن حبهم وعشقهم له وشوقهم إليه؟ أليس إبليس يشترط في أصدقائه وأعوانه وفي المتعاملين معه شروطاً هي أقسى وأذكى من شروط الإله فيمن يعامل ويحب ويرضى؟

نعم، إنه أي إبليس لا بدَّ أن يدخل فردوسك ممتطياً صهوات كل خيول ونياق وبغال وأغنام كل المؤمنين بك المصلين لك. وأن تتحول كل الحدود والحراسات والحواجز المقامة على فردوسك وكذلك يتحول كل سكان فردوسك إلى هتاف وغناء وصلوات لاستقباله أي لاستقبال إبليس وللترحيب به ولإعلان مبايعته بالحب والصداقة والولاء الدائم المخلص الخالص.!

إن كل أمجاد التاريخ والكون لا بدَّ أن تصغر وتتصاغر وتهون وتنسى أمام الأمجاد التي سوف يتوج بها عرش ورأس إبليس في فردوسك.. إن سكان فردوسك لا بدَّ أن يتحولوا إلى كل الظروف والشروط المؤاتية والمطلوبة لكي يكون انتصار إبليس في تعامله معهم وبهم وفي قيادته لهم انتصاراً محتوماً شاملاً دائماً هين التكاليف عليه بل بلا تكاليف!.

بل إنه لو أراد أن يكون مهزوماً أو فاضلاً أو تقياً متورعاً لما استطاع ذلك ولما تركه سكان فردوسك ليكون ذلك أو شيئاً منه.!. إن سكان فردوسك لا بدَّ أن يغتصبوا شرف وبراءة وطهارة وتقوى إبليس اغتصاباً.!

* * *

حنانيك وسعديك ولبيك يا إبليس.. يا إبليس. يا حروفاً قليلة وصغيرة تعني في تفاسيرها وتاريخها وانتصاراتها شيئاً بل أشياء هي أقوى وأكبر من كل شيء، من كل الكون بكل آلهته وأنبيائه وأديانه وتعاليمه وتاريخه وحضاراته وعباقرته وبشره وكل شعوبه وأممه وأوطانه.!

يا إبليس، يا أعظم وأكبر وأخلد مجداً ونصراً وحظاً وذكاءً وتفوقاً من كل أحد حتى من الإله. !

نعم، يا إبليس هذا. هذا الذي يرتجف ويذعر ويفجع ويغار من اسمه ومجده وتفوقه وانتصاراته ومواكبه كل أحد حتى الإله!

وهل يمكن أن يعاقب أو يهان أو يهجى أو يخاف أو يحقر أحد مثلما يفعل كل ذلك بالإله محاسباً ومواجهاً ومفسراً ومقروءاً بإبليس، بك يا إبليس، يا أشهر وأعظم ملعون وأشهر وأعظم معبود محبوب مطاع متبوع أي مثلما تفعل أنت كل ذلك بالإله؟ هل فعل أحد بأحد أو يمكن أن يفعل أحد بأحد من الهزائم والإذلال والقهر شيئاً مما فعلته يا إبليس بالإله؟

.. نعم، يا إبليس هذا ما أعظم حظوظك وسرورك فيما سوف تجد في هذا الفردوس، في فردوس هذا الإله الذي لم يحدث أو يتصور ولن يحدث أو يتصور انتصار أحد على أحد مثل انتصارك عليه أي مثل انتصار إبليس على الإله. !

ومع هذا فإني لا بد أن أنصحك يا إبليس بألا تبالغ في غرورك وكبريائك بانتصارك على الإله. فالانتصار على الإله ليس شيئاً صعباً أو كبيراً. إنه لا يعني مجداً أو تفوقاً أو أي قدر من العبقرية أو الذكاء أو الشجاعة أو القوة أو الفدائية. إن كل من يريد الانتصار على الإله لا بدَّ أن ينتصر. !

إن الذي لا ينتصر على الإله هو الذي لا يريد وليس الذي لا يستطيع، فكل أحد يستطيع. !

هل أستطيع أن أقنعك يا إبليس أو هل أنت محتاج إلى أن تقنع أو تقتنع بأن الانتصار على الإله لن يساوي في كل معانيه أو في أي معنى من معانيه أكثر أو أعظم مما يساويه الانتصار على القيادات أو الزعامات أو العبقريات أو النبوات أو الجيوش العربية؟

ألست قد عرفت وفجعت وتعذبت بمعرفتك لما يساويه الانتصار على أي شيء عربي؟

.. أرجوك، أرجوك يا إبليس أن تفكّر في هذا:

هل يجرؤ أي منتصر على أي شيء عربي أن يفخر بانتصاره بل أو أن يحسب انتصاره انتصاراً مهما كانت ضخامته أو سرعته أو حسمه أو دويه أو شموله؟ إن من حسب انتصاره هذا انتصاراً فلا بدَّ أن يكون مسرفاً في هجائه لنفسه!

. . ليتك يا إبليس تستطيع أن تسأل إسرائيل ماذا تعني أو تساوي الانتصارات على القيادات أو الزعامات أو النبوات أو العبقريات أو الجيوش العربية مهما كانت قوتها وروعتها. وهل يغفر الافتخار بها أو حتى التحدث عنها أي عن هذه الانتصارات على أي شيء عربي؟

حتى النملة حينما صرعت الفيل الضخم السمين جداً وظلت تصرعه وتطرحه إلى الحضيض، تصرعه وتطرحه مرات متلاحقة.

ـ نعم، حتى النملة الإسرائيلية حينما فعلت ذلك بكل السرعة والسهولة والحسم وظلت تفعله تعاقباً وتلاحقاً بالفيل العربي الضخم السمين المتخم المحظوظ جداً لم تجرؤ على أن تفخر بما فعلت أو أن تجد فيه أي مجد أو تفوق أو حتى أي نصر.

. . إنها أي إسرائيل لم تر النصر هنا نصراً. . إنها لم تر أن انتصار النملة على هذا الفيل يمكن أن يحسب نصراً. إنها أقسى المبالغة في التهوين من قيمة ودلالات وتفاسير الانتصار على أي شيء عربي، أو في أية مواجهة مع العرب، مع أية قيمة عربية. !

لقد كانت إسرائيل ذكية وحذرة ودقيقة الحساب جداً في عرضها وقراءتها وتفسيرها لنفسها على العالم لهذا لم تحاول أن تباهي بشيء من انتصاراتها على العرب. ولعلها من داخلها قد وعت ما تساوي هذه الانتصارات التي تبدو مذهلة بل معجزة لكل من لا يعي ماذا يساوي أي انتصار على العرب.

. . نعم، النملة لا ترى في انتصارها على الفيل انتصاراً. إذن ماذا يساوي هذا الفيل في حساب هذه النملة أو في أي حساب آخر؟

. . أجل، يا إبليس إنك سوف تجد في هذا الفردوس كل الشروط والظروف التي لا بدَّ أن تجعلك فيه وفي سلوك وإيمان وطاعة سكانه لك أنت الفاتح القائد الزعيم الحاكم الملك المالك المعلم العالم النبي الصديق الحبيب المطلق الواحد المتفرد.

. . بل التي لا بد أن تجعلك أنت الإله القديم الجديد الدائم الذي له كل الطاعة والاتباع والحب والشوق بلا أنبياء أو أديان أو تعاليم أو كتب منزلة أو وعاظ أو معابد أو منابر، وبلا وعيد أو وعد بالجحيم أو الفردوس. . ولن تجعلك الإله القديم الذي لم يكن له إلاّ الرفض والعصيان والهجران والنسيان والإهمال والأعراض والهزائم بل والإذلال والتحقير والتصغير، والذي كان له أقبح وأوقح وأثقل وأجهل وأقسى وأطغى وأغبى الأنبياء والمعلمين والأديان والكتب المنزلة والمنابر والمحاريب والوعاظ والوعد والوعود والوعيد والتهديد.

. . إنك يا إبليس ستكون أي في الفردوس وبين سكانه أول إله حقيقي في هذا الكون وفي كل كون. له كل مجد الإله وسلطانه وكبريائه. . أول إله مطاع معبود منفذة أوامره ورغباته بالحب والعشق والهوى والضمير والقلب والأعضاء لا باللسان والوعظ والتعاليم التشريع والمنابر فقط كما كان ذلك هو كل حظ الإله القديم وكل الآلهة القديمة في كل التاريخ وخارج التاريخ.

إن كل البشريات بكل الحظوظ لك يا إبليس في الفردوس الذي سوف يصبح مملكتك المثالية الدائمة بلا منافس أو مشارك والذي لا بدَّ أن يصبح سكانه شعبك أو رعيتك المطيعة المحبة المستسلمة التي لن يوجد فيها أي معارض أو رافض أو كاره أو ناقد أو عاص لك أو ثائر عليك أو على سلطانك المطلق الشامل الدائم. . !

إنك لن تجد أي مقاوم لك في الفردوس حتى ولا بالشتائم مثل الذي كان يحدث في الحياة الدنيا.

. . إنك ستجد هناك أي في الفردوس كل البشر بكل شعوبهم وأممهم وتواريخهم وانتماءاتهم وألوانهم وأعراقهم وحروبهم وعداواتهم وخصوماتهم وأحقادهم وملاعناتهم وأديانهم ونبواتهم وأنبيائهم وزعمائهم وأبطالهم وشعرائهم ومفاخراتهم ومهاجياتهم ومبارزاتهم وتحدياتهم وكل ذكرياتهم المريرة الأليمة الغاضبة الحاقدة الحاسدة المتربصة الحزينة الباكية. !

آه هل يمكن وجود أو تصور تجمع شرير أليم مثل هذا التجمع؟

. . ستجد كل ذلك مختزناً مشحوناً متربصاً مركبة فيه كل أجهزة الإطلاق والانفجار والتفجير في كل عقول ونفوس وأخلاق سكان هذا الفردوس بل وداخل كل خلايا وذرات ووظائف ذواتهم وأعضائهم.

وسيكونون أي سكان هذا الفردوس أي رعاياك ومواطنو مملكتك المثالية متواجهين متداخلين مختلطين متعايشين بلا أية حراسات أو قوات أمن أو جيوش أو حدود منزلية، أو قوانين أو تعاليم أو تقاليد أو أي تفسير أو نموذج من تفاسير ونماذج الشهامة أو التقوى أو التدين أو الفروسية أو الحياء أو الرحمة أو النبل أو الحب أو الكرامة أو الشجاعة أو الإنسانية أو خوف الحساب والعقاب، والموت. لأن كل هذا قد ترك سلوكاً وتعليماً وتمنياً وشوقاً وتفكيراً في الحياة الأولى. ترك وراء، وراء ولم يبقى حتى ولا ذكرى لمن تركوه وراءهم أي سكان الفردوس إلاّ أن يكون ذكرى مضادة منبوذة بل مكروهة ملعونة.

إذن يا إبليس ألست مقتنعاً بأنك لا بدَّ أن تكون كل شيء ومالكاً ومدبراً ومريداً وفاعلاً ومحركاً كل شيء أي في الفردوس تحت هذه الظروف والحظوظ الراكعة العاشقة المستسلمة لك. الباحثة عنك أبداً وفي كل مكان حتى في الفردوس الذي هو مسكن ومأوى ونهاية وثواب أعدائك ومكان اللقاء والمعايشة والمعاشرة والمعانقة والمحاورة والمصادقة والمساكنة بين الإله عدوك وأعدائك؟ ألست في هذا المكان، في هذا الفردوس تحت هذه الظروف قادراً أن تفعل كل الشرور حتى الحروب. حتى الحروب؟

ألست قادراً دون أن تستعمل أي قدر من عبقرياتك أن تسوق وتقود هؤلاء الفردوسيين إلى كل ما تريد وأن تفجر فيهم كل ما اختزنوه في حقائبهم النفسية وكل ما حملوه معهم إلى الفردوس أي في حقائبهم النفسية والتاريخية ليتحول ذلك إلى كل القبح والخبث والشر والفساد والعداوة والنذالة والعصيان والفسوق والوقاحة، بل وإلى شر وأدوم وأقبح وأنذل الخصومات والحروب؟

بل ألست عاجزاً مهما أردت أن تمنعهم أو تحميهم من أن يكونوا كل هذه الآثام والخبائث والقبائح في فردوسك هذا أي في مملكتك هذه؟

آه يا إبليس المظلوم المتهم البريء الصابر الصامت الوقور الغفور. . !

هل أنت الفاعل بالإله والبشر ذنوبه ووقاحاته ونقائصه وذنوبهم ووقاحاتهم ونقائصهم أم هو وهم الفاعلون المؤذون الملوثون لك الملقون عليك؟ هل أنت المعتدي أم المعتدى عليه؟ اغفر لهم يا إبليس. اغفر للإله وللبشر وقاحاتهم وعدوانهم وأكاذيبهم عليك بل لا تغفر لهم. لا تغفر. . أرجوك، أرجوك أن تعاقبهم وتؤدبهم وتهذبهم وأن تحول ذلك إلى أخلاق وتدين وتقوى وذكاء فيهم أي في الإله والبشر. افعل ذلك يا إبليس. أرجوك، أرجوك.

. . ألست يا إبليس أنت أبداً الذي يقع عليه التلويث والاتهام؟

أليس الإله والأنبياء والناس هم أبداً الذين يقع منهم ويصدر عنهم التلويث والاتهام؟

ألست أنت يا إبليس الذي يجب أن يطلب منه الغفران وأن يعتذر ويتاب إليه وبين يديه؟

أليس الإله والإله والأنبياء والمعلمون والبشر هم الذين يجب عليهم أن يستغفروا ويعتذروا ويتوبوا، وأن يرفعوا اعتذارهم وتوبتهم بل وبكاءهم وصلواتهم إليك يا إبليس وأيضاً إلى غيرك وإلى كل شيء لأنهم أي الإله والأنبياء والمعلمين والبشر لم يكتفوا بأن

يكونوا ملوثين ومذنبين وعاجزين وأغبياء وأنذالاً بل ذهبوا يتهمون غيرهم بما فيهم، ذهبوا يلقون بكل أوحالهم وخطاياهم وقباحاتهم عليك وعلى من لا يعلمون أو يستطيعون شيئاً من ذلك؟

حتى ما يسمونه القدر والصدفة والحظوظ هي الفاعلة لذنوبهم وأخطائهم ونقصهم!

.. هل يوجد أجهل أو أبلد أو أوقح أو أنذل ممن يخلق الشيطان أي إبليس. يخلقه ويريده ويعده مفسداً ويهبه كل القدرة والحماس على الإفساد وكل الرغبة في الإفساد وكل الظروف المواتية المحققة لانتصار إفساده ثم يعاقبه ويلعنه ويكرهه ويذمه لأنه فعل ذلك أو لأنه هو كذب أو جهل أو عجز أو سفه أو ظلم فاتهمه بأنه قد فعل ذلك دون أن يفعل شيئاً من ذلك؟

من علم الإله أخلاقه هذه؟ من علمه أن يخلق كائناً بريئاً، يخلقه ليكون وليفعل أشياء معيّنة، واهباً له كل القدرة والظروف والأسباب والمواهب المحتوم أن تحقق له كل الانتصار، ثم يلعنه ويحاسبه ويعاقبه لأنه قد فعل وكان الأشياء المعينة أو الوظيفة المعينة التي خلقه وأعده وأراده وحرضه وسلَّحه ليكونها ويفعلها؟

أو من علَّمه أي من علم الإله أن يريد ويشتهي ويعشق ويدبر ويفعل الشرور والوقاحات والسخافات والبذاءات والمظالم والفضائح ثم بكل النذالة والصفاقة والبراءة من الحياء والصدق والعدل والوقار يذهب يعلن إعلاناً عالمياً كونياً بكل الأساليب والضجيج أنه ليس هو الفاعل لأي شيء من ذلك متهماً بكل ذلك أي بكل ما فعل هو بريئاً، بريئاً من أن يكون موجوداً وليس بريئاً فقط من أن يكون الفاعل؟

إنه اتهام بكل الذنوب لكائن لا يمكن أن يذنب لأنه لا يمكن أن يوجد. !

.. نعم، من علم الإله أخلاقه؟ وكيف أمكن أن يوجد من يستطيع أن يتصور أخلاق الإله لكي يعلمه إياها؟ إذن كيف استطاع الإله أن يتصور أخلاقه لكي يذهب يعلمها نفسه ويروض عليها سلوكه وضميره وعينيه وحياءه؟ كيف استطاع أي الإله أن يتصور تصوره؟ كيف استطاع أو جرؤ أي الإله أن يصعد أو أن يهبط إلى كل هذا الحضيض في التزوير؟

وقد يرى أو يُقال: إن السؤال في هذه القضية الحزينة الفاجعة الفاضحة يجب أن يكون هكذا:

الذين تصوروا الإله بهذه الأخلاق من علمهم تصورهم هذا، أو كيف استطاعت عقولهم أو أخلاقهم أو تمنياتهم أو رؤاهم أو شاعرياتهم أو أحلامهم أو احتلاماتهم أن

تفرز أو تبصق أو تستفرغ هذا التصور للإله أو أي كائن مهما كان سخفه وجهله وقبحه وهوانه؟

كيف قسوا على الإله كل هذه القسوة ليروه هذه الرؤية؟

إن للتصور حدوداً وأخلاقاً مهما كان مطلقاً ومهما كان أو حسب بلا أخلاق أو حدود. حتى الجهل والسخف والغباء لا بدَّ أن تكون له حدود. !

. . إن هذا التصور للإله قد جاء بلا أية حدود أو أخلاق مع أن كل شيء وكل أحد لا بدَّ أن يكون محكوماً بشيء من الحدود والقيود والأخلاق مهما كان أو أراد أو حسب بلا أية أخلاق أو قيود أو حدود.

إن أي كائن لا يستطيع أن يكون نذلاً أو جاهلاً أو وقحاً أو بليداً أو حتى مجنوناً بلا حدود. !

إذن كيف أمكن هذا أي كيف أمكن أن يحدث هذا التصور؟ وحين حدث هذا التصور للإله الذي كان يبدو مستحيلاً تصوره أو الذي كان يجب أن يكون مستحيلاً تصوره للإله كيف يفجع ويروع العالم، لينهض مسرعاً مذهولاً مقهوراً لينشئ ويؤلف المجامع والنوادي ويضع الدراسات النفسية والعقلية والأخلاقية والتاريخية والإنسانية بحثاً عن الأسباب ودراسة للأسباب التي جعلت هذا التصور للإله الذي كان يجب أن يكون مستحيلاً والذي كان يبدو أنه أعظم مستحيل واقعاً. ويواجه ويرى ويفسر ويعامل ليس واقعاً فقط بل ومنطقياً وأخلاقياً وعبقرياً وفنياً وشاعرياً جداً، بكل الرؤى والتفاسير والأخلاق العالمية؟

. . إنه لن يمكن تصور هجاء أو تحقير أو تشكيك في ذكاء الإنسان وعبقريته وأخلاقه وفي كل قيمه المزعومة والموجودة ولكل ذلك فيه وله مثل أن يوجد فيه، أي في الإنسان، ومنه من تصوروا أخلاق الإله وذكاءه وعقله وعدله وكل مستوياته ونماذجه هذا التصور دون أن يتفجر كل شيء فيه رفضاً واستنكاراً واشمئزازاً وانفجاعاً وتصحيحاً ومقاومة. !

إنه لو كان ممكناً أن يفهم ويعقل ويغفر كل شيء في هذا الوجود وكل شيء في الإنسان وله لما كان ممكناً أن يفهم أو يعقل أو يغفر هذا التصور الذي تصوره للإله وتصوره أي الإنسان نموذجاً للإله ثم صمته على هذا التصور بل ورضاه عنه وإعجابه وإيمانه به أي بهذا التصور وتعلمه له، إنه أي الإنسان يعلم هذا التصور للإله تعليماً.

ولعلك يا إلهي قد فطنت إلى أني هنا أدافع عنك وأنزهك وأحاول احترامك في الموقف والوقت اللذين أحاكمك فيهما . .

إذن لا بدَّ أن تعجب بل وتبهر بإنصافي وعدلي وصدقي وتهبني كل رضاك وتقبلك لي محاكماً لك .

* * *

والآن لنعد إلى الحديث عن الاحتمالات الرهيبة التي لا بدَّ أن تقع في فردوسك يا إلهي الغريق في كل قضاياه ومواجهاته وتصرفاته وكينوناته . !

لقد افترضنا في الصفحات السابقة أن سكان الفردوس سيكونون عالميين أي من كل العالم والشعوب والبشر والأديان والتاريخ وحاولنا أن نتطلع إلى النتائج التي لا بد أن يصنعها هذا الحشد البشري الكوني الجمع المركب المؤلف بلا تدبير أو تخطيط أو تفكير أو حساب من كل المتضادات والمتناقضات بكل وحشية وقبح ومرارة وعداوة التناقض والتضاد .

ولكن هذا الافتراض قد يكون افتراضاً فقط . وقد تكون احتمالات الخطر فيه أقل وأعقل من احتملات الخطر في الافتراض الآخر الذي قد يكون أو لا بدَّ أن يكون هو الذي سوف يكون . !

إنه الافتراض الذي يقول : إن سكان الفردوس جميعاً لا بدَّ أن يكونوا عرباً فقط ، من العرب فقط . والعرب ملاك وأصحاب وسكان الفردوس وحدهم هم كما يقول ويعترف كل التاريخ وكل أحد وكل شيء مرضي بالنخوة والشهامة والسخاء والحب والإيثار والفروسية . إنهم مرضى بهذا المرض بلا أي أمل في الشفاء . إنهم يرفضون أن يداووا منه وإن كل المداوين عاجزين عن مداواتهم .

. . ولأن العرب مرضى بهذا المرض فقد يأذنون أو لا بدَّ أن يأذنوا للمسلمين الذين هم ليسوا عرباً بأن ينزلوا ضيوفاً عليهم في فردوسهم الذي لم يكن ولن يكون إلاّ عربياً . .

وقد يكون إيواء العرب للمسلمين من غير العرب في فردوسهم مراداً به التعويض أو التكفير أو الاعتذار أو الاستغفار عما فعلوه أي العرب بهذه الشعوب التي أصبحت مسلمة أو محسوبة مسلمة ، عما فعلوه بها من غزو واحتلال واستعباد واسترقاق واستعمار وسلب ونهب وتحقير وإذلال لها ولتاريخها وأمجادها وأديانها وآلهتها وأنبيائها ولرؤيتها وقراءتها لنفسها ولآبائها وتاريخها بل ولأوطانها وقومياتها وقبورها وأيضاً عما

فعلوه بها من خداع وإفساد وتضليل وتعويض وتأخير وتعجيز عقلي ونفسي وحضاري بل وإنساني. !. وهل فعلوا بهم ذلك حقاً؟

نعم، قد يكون هذا هو التفسير النبيل الجميل لإيواء العرب غير العرب في فردوسهم الأسطوري الخرافي. إنه التفسير الذي نتمناه والذي يجب أن يكون.. ولكن هل من أخلاق العرب أو من منطقهم أن يعوضوا أو يكفروا أو يعتذروا أو يستغفروا عن ذنوبهم وأخطائهم وخطاياهم أو يحاولوا ذلك أو أن يعرفوه أو يعترفوا به أم أنهم أي العرب أبداً، أبداً يذهبون يمنون على الآخرين وعلى التاريخ بما فعلوه وأوقعوه بهم وبه أي بالآخرين وبالتاريخ من مآس وهوان وتدمير وتشويه؟ إن من أخلاق العرب الأصيلة أنهم لو أطفأوا كل الشموس والشموع وشربوا كل الأنهار وأغرقوا أو أحرقوا كل الحقول لذهبوا يمنون على العالم بما فعلوا ووهبوا. !

.. ألم يذهبوا وهم لا يزالون وسوف يظلون يفخرون ويمنون على الآخرين بكل الإعجاب والرضا عن النفس لأنهم قد حولوهم إلى رعايا وأتباع وعبيد وموال، وحولوا أوطانهم إلى إقطاعيات وولايات وخراج وغنائم للغزاة، ولأنهم نفوهم من تاريخهم ولغاتهم وأزيائهم وأديانهم ومعابدهم ومعاهدهم ومدارسهم ومدنهم وحقولهم ومصانعهم ليلقوا بهم إلى الصحراء.. إلى أخلاق الصحراء وإلى آلهتها وأديانها وأزيائها ولغاتها وقحطها وظمئها وأميتها وفوضاها وإلى معابدها وكعبتها وإلى كل تاريخها..

.. لأنهم نفوهم من آلهتهم ونبواتهم وتعاليمهم البريئة المتواضعة المتسامحة الفنانة الشاعرة المحبة الإنسانية الصديقة المبتسمة الضاحكة المصافحة المازحة.. ليحولوهم إلى طعام وعبيد لأكثر وأشمل الألوهيات والنبوات والأديان والتعاليم قسوة وتعصباً وحقداً وغضباً وشراسة وكآبة وعبوساً وعدوانية وأنانية وكبراً وقهراً وإذلالاً لكل معاني الحياة وقيمها وتفاسيرها في الإنسان وغير الإنسان.. لأنهم نقلوهم من آلهة الفن والمرح والخيال والجمال إلى إله الغضب والعقاب والجحيم والزبانية؟

.. يا كل الآلهة والألوهيات والأنبياء والنبوات، يا كل الأوثان والأصنام والخرافات والهياكل والمعابد، يا كل مذابح وكعبات الصلوات والقرابين، في كل التاريخ والشعوب والأوطان، نعتذر ونستغفر ونتوب إليك لو حاولنا أو فكّرنا أو قبلنا أن نقيم أية مقارنة أو منافسة أو حتى مواجهة بين حبك وجمالك وتسامحك وتواضعك وحنانك وإنسانيتك وشاعريتك وبين قسوة وغلظة وبداوة ودمامة وتعصب وكبرياء وبغضاء وجفاء وحقد وجاهلية وصحراوية ووقاحة وبذاءة إله العرب أو نبيهم أو دينهم أو

كعبتهم أو كتابهم المقدس أو حكامهم أو زعمائهم أو قادتهم أو مفكريهم أو فنانيهم أو شعرائهم. . حتى شعراؤهم وفنانوهم لن يكونوا فناً أو شعراً. إن الشعر والفن لن يكونا إلاّ حباً وجمالاً ورؤية وبسالة وصدقاً. وهل يستطيع شعراء العرب وفنانوهم أن يكونوا شيئاً من ذلك؟

هل يمكن أن يكون مداحو الخلفاء والسلاطين والعبيد فناً أو شعراً؟

* * *

نعم، ومهما كان التفسير في هذه القضية، قضية إيواء العرب للمسلمين من غير العرب في فردوسهم.

ـ نعم، سواء أكان التفسير لذلك هو التفسير الذي نريده ونتمناه أم التفسير الذي نخجل منه ونتعذب ونقاسي من عار تصوره فإن القضية ستظل هي القضية بكل تفاسيرها ونتائجها. .

أي أن هذا الافتراض يعني أن سكان الفردوس، سكان فردوسك يا إلهي سيكونون جميعاً بلا منافس أو معارض أو رافض أو مستنكر أو مقاض من العرب وحدهم، وفي قول آخر ومن ضيوفهم المسلمين أو المزعومين مسلمين أي الذين تحولوا إلى رعايا وأتباع وغلمان ومحظيات للعرب لا يرون أو يقرأون أو يفهمون أو يفسرون أو يخاطبون الله أو الكون أو أنفسهم أو التاريخ أو أي شيء إلاّ بعيون وعقول ولغات ونصوص وحروف وأصوات العرب الأمية. .

وإلاّ بمعلقات العرب وبسورهم وآياتهم وأحاديثهم عن أنبيائهم وشعرائهم وحكمائهم وفقهائهم الذين غطوا وشوهوا كل وجه التاريخ وضميره وأخلاقه وثيابه وجلده بل وسرره بما بصقوا واستفرغوا عليه من كذبهم وهوانهم ونفاقهم وبلاداتهم ووقاحاتهم وجاهلياتهم ومن كل أوحالهم.

. . الذين بصقوا واستفرغوا وظلوا ولا يزالون يبصقون ويستفرغون على كل جسد التاريخ وثيابه وأخلاقه حتى أصبحت رؤيته أي رؤية التاريخ والتحديق فيه وقراءته ومخاطبته ومحاسبته أقصى وأقسى أساليب التعذيب والترويع، بل حتى أصبحت رؤيته أي رؤية التاريخ وقراءته والتحديق فيه صعبة جداً أو مستحيلة لضخامة وكثافة ما تجمع وتراكم فوقه من استفراغهم وبصاقهم ومن كل فنون أوحالهم. !

. . هل تستطاع رؤية الشمس أو النجوم لو ألقي فيها أو عليها كل ما بصقه واستفرغه كل أنبياء العرب وشعرائهم وحكمائهم وفقهائهم وخلفائهم بل وآلهتهم من

كذب ونفاق وهوان وغباء وسفه ووقاحات وأوحال في كل تاريخهم، أو هل يستطيع أن يتسلل أي قدر أو شيء من ضوئها مخترقاً كثافات وتراكمات هذا البصاق والاستفراغ عليها وفيها؟

هل تستطاع أو تطاق رؤية أي شيء لو أن كل هذا البصاق والاستفراغ العربيين قد ألقي فيه أو فوقه؟

هل يمكن أن تظن البحار أو الأنهار بحاراً أو أنهاراً لو أن كل هذا البصاق والاستفراغ العربيين صب فيها؟ هل تقبل حينئذ أن تظل بحاراً أو أنهاراً؟

هل يمكن أن تقبل الحقول أو تستطيع أن تظل حقولاً لو أن شيئاً من هذا البصاق أو الاستفراغ العربي تقاطر عليها أو مر فوقها مهدداً بالتقاطر عليها أو حتى بالاقتراب منها؟

كل الرثاء والعزاء لعيني الإله وأذنيه التي استقبلت واستفرغ وبصق فيها كل هذا البصاق والاستفراغ العربيين في كل العصور.. كل الإشفاق على الإله إن كانت له عينان أو أذنان أو إن كان قد قبل أن تكون له عينان أو أذنان أو إن كان قد بقي له أو فيه شيء من عينيه أو أذنيه، أو إن كانت عيناه أو أذناه قد ظلتا عينين أو أذنين ليبصق ويستفرغ فيهما وعليهما كل هذا البصاق والاستفراغ اللذين بصقهما واستفرغهما كل أنبياء العروبة وشعرائها وفقهائها وخلفائها وآلهتها..!

هل يمكن حينئذ تصور وعاء لاستقبال واختزان كل الدمامات والوقاحات والسفاهات والبلادات والأوحال مثل عيني الإله وأذنيه؟ إذن هل يوجد أو وجد محتاج إلى أن يصاب بالصمم والعمى الشاملين الأبديين مثل الإله، بل إلى أن يوجد أو يولد مصاباً بهذا العمى والصمم الشاملين الأبديين؟ أليست أنبل وأرحم العاهات عاهتي الصمم والعمى حين يصاب بهما الإله؟

.. كيف تقبل المؤمنون بالإله المحترمون له المريدون له كل النظافة والبراءة والسعادة والفرح والمجد.. المريدون حمايته من كل ألم وهوان ودمامة وكآبة ووقاحة.

ـ نعم، كيف تقبلوا أن يعتقدوه أو حتى يتصوروه يرى أو يسمع أو يقبل أن يرى أو يسمع؟ كيف لم يروا ما في هذا التعذيب والتحقير والتهوين والاتهام ومن الإحراج والإيذاء والتعيير له؟

هل يوجد اتهام أقسى أو أغبى أو أنذل أو أظلم من هذا الاتهام، أي من اتهام الإله بأنه يرى أو يسمع، أو أنه قد يستطيع أن يرى أو يسمع أو أنه يريد أو يتقبل ذلك أو أنه

قد يصبح كذلك أو أنه قد كان كذلك في فترة من فترات وجوده؟

هل يوجد ما يتفوق في قبحه على اتهام الإله بأنه يرى أو يسمع أو بأنه قد يقبل أو يستطيع أن يصبح يرى أو يسمع إلاّ اتهامه بالوجود أي إلاّ اتهامه بأنه موجود أو بأنه كان موجوداً أو أنه قد يصبح موجوداً أو بأنه قد يقبل أن يكون موجوداً ليواجه ويعايش أو يوجد أو يشارك في إيجاد كل هذه الآلام والأخطاء والتشوهات؟

هل يوجد أو وجد اتهام نذل وقح غبي مهين قبيح ظالم مثل اتهام الإله بأنه موجود أو كان موجوداً أو قد يصبح موجوداً حتى ولو لم يكن لوجوده من عواقب مؤلمة ومهينة وفاجعة إلاّ رؤيته وسماعه ومواجهته لهذا البصق والاستفراغ العربيين في عينيه وأذنيه وعلى وجهه وثيابه وأخلاقه وكبريائه؟ والفظيع في هذه القضية أن العرب هم أقرب الكائنات إلى الإله، إلى عينيه وأذنيه وإلى كل أحاسيسه وحواسه. إذن سيكون استفراغهم عليه أكثر إيلاماً.

. . هل يقبل أي كائن مهما كان قبحه وطغيانه وعدوانه وسفهه ونذالته وتحمله للعذاب والعار والقبح والهوان والإذلال أن يكون موجوداً أو أن يتهم بأنه موجود مثل وجود الإله بكل صيغ وتفاسير وظروف ومسؤوليات وأخلاقيات ودمامات وتفاهات وآثام وآلام ومشاكل وعواقب وحرمان وفوضى وعبث وتناقض وجوده أو بأنه يرى ويسمع مثلما يرى الإله ويسمع، وكل ما يرى ويسمع بكل الصمم والعمى والغفلة والتبلد والعجز والعذاب والقبح والغيظ البليد وتحت كل الظروف والمسؤوليات والمواجهات التي يرى ويسمع بها وتحتها الإله، أو أن يكون موظفاً مثل وظيفة الإله مؤدياً ملتزماً منفذاً لوظيفته بالأساليب أو الذكاء أو المنطق أو الأخلاق أو الأحاسيس والاهتمامات الوظيفية التي يؤدي ويلتزم وينفذ بها الإله وظيفته أو وظائفه؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد موظف أو فاعل مهين وفاضح لوظيفته وفعله مثل الإله؟

نعم، هل يقبل أي كائن أن يكون شيئاً من هذا أو أن يتهم بأي شيء منه؟

إذن كيف وجد من يرون الإله موجوداً كل هذا الوجود زاعمين أنهم بذلك يحترمونه ويرضونه؟

* * *

ها. لقد ثبت صدق الافتراض القائل بأن فردوسك المزعوم يا إلهي لن يدخله إلاّ العرب ومن أصبحوا لهم موالي ورعايا لأنهم قد أصبحوا مسلمين، أي مسلمين للعرب

الذين أعطوهم أو لقنوهم أو فرضوا عليهم الإله والنبي والكتاب والدين والعقل والإيمان العربي بالرؤى والتفاسير والنماذج والأخلاق والتصورات العربية.. الذين صنعوا وأبدعوا لهم الجحيم والفردوس بكل أوصافهما وأهوالهما بكل غلمان وجواري هذا وبكل زبانية هذا، وشقوا وخططوا وحددوا وعرفوا لهم الطريق أو الطرق إليهما، واحتكروا صناعة وامتلاك واختزان وتوزيع مفاتيحهما، وجعلوا آيات قرآنهم وأحجار قبر نبيهم وعمامات خلفائهم ومنابر فقهائهم وأغبيائهم حراساً وشهوداً عليهما وعلى أبوابهما وحملة لمفاتيحهما..

هل يوجد من يخالف في أن العرب هم وحدهم الذين خلقوا وصاغوا الجحيم والفردوس بكل أوصافهما وما فيهما، وأنهم هم وحدهم الذين يأذنون بدخول هذا أو هذا أي الفردوس أو الجحيم بل هم وحدهم الذين يفرضون دخول هذا أو هذا، بل هم الذين يدخلون في هذا أو هذا، وأنهم هم وحدهم الذين شقوا وحددوا وعلموا الطريق أو الطرق إليهما، وأنهم هم وحدهم الذين يصنعون ويمتلكون ويختزنون ويحملون ويقسمون ويهبون مفاتيحهما، وأنهم هم وحدهم الحراس عليهما؟

هل يوجد من يخالف إلاّ أن يكون زنديقاً في أن آيات قرآن العرب وأحجار قبر نبي العرب وعمائم خلفاء وسلاطين العرب ومنابر فقهاء ودراويش العرب هي التي تصنع وتملك وتحتكر وتقسم وتهب وتعلم وتفعل وكل ذلك؟

إذن لن يوجد من يخالف أو حتى يشك في أن العرب هم كل ذلك أي إلاّ أن يكون زنديقاً سوف يضعه العرب في أعماق جحيمهم حتى ولو كان هو الذي قاد الرجال الذين طاردوا الإله وسابقوه وغزوه وتحدوه وأذلوه وبحثوا عنه فوق عرشه وقمره وسماواته ولكنه عجز عن المواجهة ورهبها فاختفى مذعوراً مفجوعاً حتى ليخشى أن مستشاريه وأعوانه وزبانيته وجميع العاملين معه لا يعرفون الآن أين مكانه، مكان اختفائه وهربه، وأنهم الآن يواجهون ويقاسون أقسى وأعجب مشكلة أو قضية وهي فرار الإله واختفاؤه ذعراً عن المواجهة..

ألست قد فعلت ذلك يا إلهي؟ لا تحاول أن تنكر. جرب أن تكون صريحاً أو صادقاً أو شجاعاً أو ذكياً ولو أحياناً يا إلهي.!

.. إن الفردوس والجحيم أي بكل أوصافهما المروية ليسا إلاّ صناعة عربية.!

إذن لتركع وتذل كل العبقريات والقدرات العالمية والكونية للقدرات والعبقريات العربية!

نعم، لقد صدق الافتراض بأن العرب هم وحدهم ملاك الفردوس ومعهم تكرماً منهم رعاياهم وعبيدهم ومواليهم المحسوبون مسلمين. لأن العرب هم وحدهم المالكون للإله كله.. لكل حبه ورضاه وأشواقه وأحلامه ولكل اهتماماته وهمومه وطموحه.!

لهذا لقد جعل أي الإله مراسلته ومخاطبته للعرب نهاية لمخاطبته ومراسلته للأرض وأهلها حين أعلن أن دين العرب ونبوتهم نهاية لكل الأديان والنبوات وإبطالاً لكل الأديان والنبوات، أي نهاية لعلاقات الإله بالأرض ومن عليها أي نهاية لصوت الإله ونشاطه وتحركاته بل لوجوده فوق هذه الأرض.!

.. إله هذا الكون يجعل علاقته بالعرب معلماً ومراسلاً ومخاطباً ومحباً ومادحاً ممجداً نهاية وخاتمة لكل علاقاته بالأرض ومن عليها..!

إذن لتخجل كل الأمجاد وترهب أن تواجه مجداً واحداً من أمجاد العروبة. لقد وقف الإله فوق كل مسامع الكون بكل التواضع والاستحياء بل والكبرياء، وقف عارياً متوتراً مفتضحاً فوق كل المنابر والمحاريب والكلمات ليقول: إنه لا دين ولا نبوة بعد دين العرب ونبوتهم وغير دين العرب ونبوتهم، وليقول بكل لغات السماء ولغات الأرض: إني لن أتصل بالأرض وأهلها محباً أو عاشقاً أو مفاوضاً أو معاملاً أو معلماً بعد اتصالي بالعرب.!

.. ليقول: لقد استفرغت كل حبي للعرب فلم يبق منه شيء لكي أحب به أحداً أو شيئاً في هذه الأرض أو غيرها.. لقد سحب حبي للعرب كل طاقات الحب في..! أنا الإله أنا الإله. لقد أصبحت مفرغاً من كل تفاسير وتعبيرات الحب. إني موحد في حبي.. أنا الإله، أنا الإله. هل يوجد مقهور في حبه وضال مفتضح في حبه مثلي؟

... نعم لقد توقف الإله عن الحب والشوق بعد أن استفرغ كل حبه وشوقه في العرب وعليهم ولهم.!. لهذا لقد أعلن أنه لن يتكلم مع أحد أو يفكر في أحد بعد العرب.!

هل يمكن تصور مجنون في حبه وشوقه ومحاباته مثل الإله في حبه وشوقه ومحاباته للعرب؟ هل يوجد عاشق يستحق كل الرثاء والإشفاق لقسوة تعذيب عشقه له مثل الإله في عشقه للعرب.. في عشقه الذي جاءت إحدى صيغ التعبير عنه إعلانه أنه لن يخاطب أو يراسل قوماً أو أحداً بعد أن خاطب وراسل العرب..

لن يبعث نبياً أو ينزل ديناً أو ملاكاً أو حتى يتكلم بعد أن فعل كل ذلك للعرب؟

آه.. لقد أصابت مزايا العرب الإله البدوي بجنون الحب، كما أصاب نفط العرب العالم المتحضر بجنون وهوان النفاق والاستسلام والمهانة..!

إذن أي مجد مثل مجد العرب، أو أي تشويه أو عدوان مثل عدوان العرب على الإله وعلى كل العالم المتحضر ومثل تشويههم للإله وللعالم المتحضر؟

أرجو يا إلهي أن تكون مستمعاً لما أقول. إني أخاطبك وأحاكمك بما أخاطب وأحاكم به كل من سواك.. كن يا إلهي ذكياً ولو بعض الذكاء.!

* * *

آه.. إننا هنا لا بد أن نفزع وأن نهاب التحديق في تصور نتائج هذا الافتراض.! ما أقسى وأصعب التحديق في أي شيء وفي نتائج أي شيء.!. هل نستطيع أن نتقبل أي شيء أو أن نرى أو نجد فيه أي جمال أو حب أو فرح أو سعادة أو منطق أو مجد لو حدقنا فيه؟

.. إنه لن يستطيع أي شيء أن يعايش أي شيء لو حدق فيه تحديق محاسبة أو محاكمة أو رؤية أو تساؤل أو تقبل ورفض أو تفسير..

.. إن الإنسان لن يستطيع أن يعايش الإله لو حدق فيه هذا التحديق، وإن الإله لن يستطيع أن يعايش الكون أو الإنسان أو حتى نفسه لو حدق هذا التحديق.!

إن كل شيء يرفض التحديق في نفسه وفي ما حوله لكي يستطيع أن يعايش نفسه ويعايش ما حوله.! هل وجد من يصدق وصفه بأنه كائن محدق؟

.. ليذعر ويفجع كل شيء طيب وجميل ونبيل.. لتتوقف كل القلوب عن الخفقان، وكل الضمائر عن الابتسام، وكل العيون عن التحديق، وكل الآمال عن التفاؤل.

.. لتتنازل الآلهة عن كبريائها وعن فرحها بأمجادها.. لتسقط من فوق عروشها.. لتنطفئ الشموس. وتجف الأنهار. وتجدب الحقول والمروج..

.. لتتساقط النجوم، وتدك الجبال، ويتوقف الكون عن الدوران. عن مسيرته العابثة الحزينة. عن طاعته لإلهه الضال الضائع العابث.!

.. ليرفض التاريخ نفسه. ليرفض أن يكون مقروءاً أو مروياً أو مكتوباً أو قارئاً أو كاتباً أو راوياً لنفسه.. بل ليرفض أن يكون موجوداً. هل توجد قراءة فاجعة ومؤلمة ومهينة مثل قراءة التاريخ لنفسه أي لو قرأ نفسه؟ وهل يستطيع التاريخ أن يقرأ نفسه مهما قرأ وقرأها؟

.. لتعجز الأيدي عن الإمساك بالأقلام، لترفض الأقلام أن تمسك بها الأيدي، ليرفض الحبر أن يتقاطر من الأقلام، ولترفض الأوراق أن تخط أو تتحرك عليها الأقلام. ليرفض كل شيء أن يكون شيئاً.. كيف قبل أو استطاع أي شيء أن يكون شيئاً؟

كيف كان الشيء الذي كانه؟ من فرض عليه أن يكونه؟ من فرض على أي شيء أن يكون الشيء الذي كانه أو أن يكون أي شيء آخر؟ كيف لم يوجد من يسأل مهما فقد من يعرف أو يجيب؟ إن السؤال لا يساوي الجواب أو معرفة الجواب. إن السؤال يساوي: هل وجد الإنسان بتفاسير الإنسان؟

.. من فرض على الصرصار أن يكون صرصاراً وعلى الإنسان أن يكون إنساناً وعلى العبقري أن يكون عبقرياً وعلى التافه أو الساذج أو الأبله أن يكون ذلك. وبأي منطق حدث ذلك، بل وضد كل منطق كيف حدث ذلك، بل وبلا أي منطق كيف حدث؟

.. من فرض على الإله أن يكون إلهاً؟ هل كان من فرض على الإله أن يكون إلهاً يريد تكريمه وإسعاده أم تحقيره وتعذيبه وإذلاله وإحراجه وتوريطه بل وإغراقه؟ وكيف اختار له صيغته التي جاء بها دون غيرها؟

كيف يمكن اختيار النموذج الأول أو الصيغة الأولى؟ كيف تمكن الرؤية بلا مرئي؟

.. هل يقبل الإله أن يكون إلهاً لو كان مختاراً ولم يفرض عليه ذلك فرضاً؟

هل يوجد فرض أقسى وأقبح وأوقح وأظلم من الفرض على الإله بأن يكون إلهاً؟

هل يوجد مظلوم معذب محقر مورط مثل الإله أو ظالم صانع للتحقير والتوريط مثل من فرض على الإله أن يكون إلهاً؟

هل عرف العالم من فرض على الإله أن يكون إلهاً؟ هل سأل العالم عن ذلك؟

هل عرف الإله من فرض عليه ذلك؟ هل عاقبه أو حاسبه على ما فعل به؟

بأي منطق أو تخطيط أو مصلحة أو عدل أو تفسير فرض على الإله أن يكون إلهاً وعلى الصرصار والذباب أن يكونا ذباباً وصرصاراً وعلى الإنسان والجمل أن يكونا جملاً وإنساناً وعلى كل شيء أن يكون في الذات وفي الصيغة التي جاء بها؟

.. من قرر ذلك ونفذه، وبأي منطق أو قانون أو حساب قرره ونفذه؟

كيف حدث هذا التوزيع؟ كيف حدث؟ هل يمكن أن يكون حدوثه معقولاً أو عادلاً أو منطقياً؟

أليس ممكناً أن يتغير ويتبدل هذا التوزيع ثم يصبح المنطق والعقل والعدل هو المنطق والعقل والعدل؟

. . أو أن الكائن الذي أصبح إلهاً أو إنساناً أصبح صرصاراً. والكائن الذي أصبح صرصاراً أو فرض عليه أن يكون كذلك أصبح إلهاً أو إنساناً؟ فهل يمكن أن يكون في ذلك أي خروج أو عدوان على المنطق أو العدل أو الرحمة إلاّ بقدر ما في الواقع من هذا الخروج والعدوان على ذلك؟

. . أو أن كل ما في الآلهة والكون والأشياء والبشر من عقول وذكاء ورؤية تجمع في عقل واحد ثم طرح عليه هذا السؤال: لماذا جاء الإله إلهاً والإنسان إنساناً والحيوان حيواناً والحشرة حشرة ولم يجئ العكس أو أية صيغ أخرى لما استطاع أن يفكر أو يؤمل أن يجد جواباً بل لما جرؤ على هذا التفكير أو التأمل في أن يجد أي جواب. !

. . لنتصور أن حشرة أو حيواناً، ولنتصور أنهما الذباب أو الجمل، سألت أو سأل مريد ومخطط وخالق الأشياء والأكوان: بأي منطق أو ذكاء أو مصلحة أو هدف أو حاجة أو جمال أو حب أو رحمة أو عبقرية أو ضرورة أخلاقية أو فنية أو عملية أو اقتصادية أو حتى نفسية خلقتني في الذات والصيغة التي خلقتني بها وخلقت الكائنات الأخرى في الصيغ والذوات التي خلقتها فيها وبها. . !

. . لماذا لم تفعل العكس أو تصنع صيغاً وذوات أخرى. إني أسائلك أنا الذباب، أنا الجمل: كيف حدث هذا الذي حدث وحدث كما حدث. . كيف يثير تساؤلي وحيرتي ورفضي أنا الذباب، أنا الجمل ما لا يفعل لك أنت شيئاً من ذلك؟ هل فيّ من مواهب الجمال والتساؤل والرؤية والرفض والحب ما ليس فيك يا مريد ومدبر ومخطط وفاعل هذا الكون بل الفاعل بهذا الكون؟

. . هل رأيتني ووجدتني قبل أن أوجد ورأيت ووجدت كل شيء وكل أحد قبل أن يوجد، ورأيت وآمنت واقتنعت بأن كل شيء وكل أحد لا يعقل ولا يقبل ولا يغفر ولا يستطاع أن يكون إلاّ في الذات والصيغة والكينونية التي كان وجاء بها. . !؟

هل ذلك كذلك؟ إني أسائلك بل أحاسبك وأحاكمك وأحاول تصحيحك وتعقيبك يا من افترضته مريد ومخطط ومدبر وفاعل كل شيء وكل أحد ومختاراً لكل شيء وكل أحد ذاته وصيغته وكينونته. . مختاراً له بمنطق وتدبير وتخطيط وفهم وصدق وحب وإيمان!.

نعم لنتصور ذلك. لقد تصورناه، تصورناه، إذن كيف تصورنا أو كيف يمكن أن نتصور حينئذ المسؤول المحاسب المحاكم عن كل ذلك؟

هل يحتمل حينئذ أن يفكر في أن يدافع عن نفسه أو أن يبحث عن أية أجوبة يواجه بها هذه المحاكمات والمحاسبات والأسئلة؟

إنه لن يحاول أن يفعل شيئاً من ذلك إلاّ أن يكون إلهاً أو نبياً أو زعيماً أو حاكماً أو مفكراً عربياً لا بد أن يدافع ويسوغ ويصنع الجواب حتى ولو كان في ذلك كل العار والافتضاح والوقاحة والبلادة. إن العربي لا يدافع أو يسوغ أو يؤمن أو يمجد لأنه يرى أو يعرف أو يقتنع أو يحترم أو حتى يحب بل لأنه يريد أن يفعل ويرى أن عليه أن يفعل ذلك ولأنه وجد الآخرين ومن قبله يفعلون ذلك.

إنه لا يرى أن الرؤية أو المعرفة أو الصدق شرط في أن يدافع ويسوغ ويؤمن ويمجد. !

نعم، إنه لن يوجد من ينافس خالق هذا الكون في وقاحته وبلادته حين يدافع عما فعل أو حين يفسر ويسوغ ما فعل ويجد كل الأجوبة عن كل الأسئلة الموجهة إليه وإلى ما فعل أي لو وجدت هذه الأسئلة. !

نعم إنه لن يوجد من ينافس مدبر وخالق هذا الكون بل من يتفوق عليه في كل ذلك إلاّ الزعامات والنبوات والقيادات والعبقريات العربية حين تجد كل الأجوبة والمسوغات والتفاسير الحاسمة النهائية لكل أخطائها وجهالاتها وبلاداتها وفضائحها. !

. . أيتها الآلهة المدبرة المخططة المخرجة الصانعة لكل هذا الجنون والعبث والبلادة والأخطاء والعار والقبح، لا تحزني، لا تفجعي. فإن في كل الزعامات والقيادات والنبوات والعبقريات العربية كل التعويض والعزاء والدفاع والستر لك وعنك وعليك محاسبة مقاربة بها. ولا بد من الاعتراف بأن في هذه المقارنة مبالغة كبيرة في محاباتك يا إلهي. !

إن مقارنة أي كائن بك لظلم فادح لذلك الكائن. !

. . أليس دفاع الزعامات والقيادات والنبوات والعبقريات العربية عن مواجهاتها لإسرائيل دفاعاً وعزاءً وستراً جيداً عليك وعنك ولك يا إلهي حين تذهب بكل الغرور والسذاجة والغفلة تدافع عن كونك هذا وعن كل ما فيه بل حين تذهب تبدع وتؤلف وتكتب وتنشد السور والآيات الشعرية البدوية المصوتة بكل الطبول والدفوف تسويغاً بل تمجيداً لكل نزواتك وأخطائك وورطاتك وتهويماتك وتشوهاتك وتشويهاتك وآلامك

وأحزانك وعقدك وضياعك ومتاعبك الباصقة المستفرغة لهذا الكون الذي لن تستطيع أو تقبل رؤيته أية عين لم تستفرغ فيها كل الحشرات كل قبحها وأوحالها وهوانها، بل الذي لن تستطيع أو تقبل رؤيته أو مواجهته أية عين لم يبصق ويستفرغ عليها وفيها كل الأنبياء والمعلمين كل غبائهم وعماهم ودماماتهم وتشوهاتهم وتشويهاتهم. نعم، هل الكون تخطيط أم استفراغ؟ هل يقبل أي كائن أن يكون الكون تخطيطه مهما قبل أن يكون استفراغه؟ أيها المؤمن: قل لقد بصق الإله الكون ولا تقل خططه.

.. أليس الأنبياء والمعلمون أقسى وأفظع تشويهاً وتشوهاً من كل الحشرات؟

هل تستطيع جميع الحشرات أن تحمل أو تستفرغ القبح أو الدمامات التي يحملها أو يستفرغها أو يحياها نبي أو معلم واحد؟

إننا هنا لن نفترض هذا النبي أو المعلم الواحد عربياً. فكيف إذا افترضناه عربياً؟ هل تستطيع أو تقبل جميع الحشرات أن تبصق أو تستفرغ القبح أو البذاءة أو القسوة أو العدوانية التي استفرغتها وبصقتها نفس نبي واحد حينما ذهبت واستطاعت تصور الجحيم، جحيم الأنبياء والأديان وحين ذهبت تتصوره واستطاعت أن تتصوره بل وأن ترضاه وتباهي به وتعلنه عذاباً وجزاءً عادلاً كريماً؟

.. نفس تلد هذا الجحيم الموصوف في السور والآيات أو ينبت فيها، تلده وينبت فيها تصوراً وتديناً وتمنياً وحباً بل وتسويغاً وتشريعاً وتمجيداً لمن سوف يعاقب به ويخلد في عذابه فرحاً سعيداً ممجداً لرحمته وحبه وعدله وشهامته بكل المباهاة والزهو.

ـ نعم، نفس تفعل ذلك أو تستجيب لذلك ولمن يصوغها كذلك هل يستطيع أو يجرؤ كل ما في الكون وكل ما ليس في الكون من قبح ووحشية أن ينافس قبحها ووحشيتها؟

نفس أو ذات أو أخلاق أو تمنيات أو تصورات يتخلق فيها الجحيم..

الجحيم الذي روته وقرأته وفسّرته وغنته وصلت به وله الآيات والسور هل يمكن أن يتخلق فيها أي في هذه النفس أي جمال أو حب أو رحمة أو تقوى أو إنسانية؟ كيف استطاع كل ما في الكون من دمامة ووحشية وخبث وعدوان أن يصوغ هذه النفس التي صاغت وولدت هذا الجحيم؟

... كيف لم يقرأ أو يفسر البشر نفوس وضمائر أنبيائهم ومعلميهم الذين تخلق في نفوسهم وضمائرهم كل هذا القبح والوحشية والعدوانية؟

أعني كيف لم يقرأوا أو يفسروا نفس وضمير النبي الواحد الخاتم لكل الأنبياء.

.. نفس وضمير النبي الواحد الذي تخلق فيه هذا الجحيم محولاً له أي لهذا الجحيم إلى أخلاق ورحمة وعدل وجمال وحب وأعظم إله؟

.. كيف أصيب البشر أو حتى بعض من يسمون بشراً بكل هذا العمى والضلال حتى لقد آمنوا وأعلنوا أن النفس التي استفرغت هذا الجحيم هي نفس إنسان بل نبي وصفوه بأنه سيد وخاتم أنبياء الرحمة والحب والجمال؟

أي شعب هذا الشعب الذي وُلد واستفرغ وأعطى هذا الإنسان أي هذا النبي؟ ولكن لماذا كل هذه التهاويل..؟

إن هذه التهاويل ليست إلاّ شيئاً من التعبير الذي لا بدَّ أن يصنعه التصور للعواقب الرهيبة لهذا الافتراض أي افترض أن العرب هم ومواليهم ورعاياهم بالدين والإيمان والنبوة سوف يكونون ملاك وسكان الفردوس وحدهم.!

.. هل يمكن تصور شيء يصنع كل الهول والذعر مثل مكان تتجمع فيه كل العروبة بكل قياداتها وزعاماتها ونبواتها. الثورية والتقدمية والجمهورية.. والرجعية والملكية والسلطانية.. بكل أحقادها وعداواتها وبغضائها ومنافساتها ومخاصماتها وملاعناتها.. بكل رعاياها جماهيرها المطيعة المستسلمة الهاتفة العاشقة لكل السياط المتناقضة المتعادية المتعاقبة عليها. الضاربة لها كل الأيدي المتناقضة المتعادية عليها المقسمة لها، المقسمة عليها أي السياط المنسوجة من خلال ظهورها.. في كل تاريخها أي تاريخ العروبة.

ـ نعم، تتجمع فيه بلا أية حراسة أو حماية أو ضبط أو إرهاب أو أوامر أو تحديد من خارجها، وبلا أية حدود موضوعة لها مفروضة عليها، تتجمع فيه كل هذه العروبة بكل صيغها وتفاسيرها وأخلاقها وأبطالها وصناعها، في كل مناخاتها وتاريخها وظروفها؟

.. اسمعوا.. العروبة كلها بكل تفاسيرها وانتماءاتها وشعاراتها وقياداتها وأوطانها وأديانها تتجمع في مكان واحد بلا أية قوى أو دول أو كتل خارجية حضارية تفرض عليها شيئاً من العقل أو التعقل أو التعاقل أو الاعتقال أو شيئاً من التستر أو الستر أو الاستتار أو شيئاً من الصمت عن التعري وعن إعلان العورات والعار وعن الانتحار تحاسداً وتباغضاً وتنافساً وتعادياً وتشاتماً وتفاخراً وتبارزاً واقتتالاً وجنوناً وفضحاً وافتضاحاً وتفاضحاً..!

.. هل تطيق يا إلهي أن تعامل أو تعايش أو تعاصر مثل هذا المكان أو تحدق فيه أو حتى تتصوره أو تتصور أنه جزء من كونك أو أنه موجود فيه؟ أليس محتوماً أن ينهاك

ويزجرك عن ذلك رهبتك واستحياؤك واشمئزازك من بشاعة وجهالة.. لقد كانت القوى والدول والكتل الكبرى المتفوقة كل معاني التفوق أي في الحياة الأولى تحرس وتحمي العروبة من نفسها.

.. كانت تحصنها أي تلقحها ضد أخلاقها وعداواتها وحماقاتها وبداواتها وجهالاتها وتاريخها وضد كل احتمالاتها البائسة الرديئة التدميرية العدوانية حتى بدت أي العروبة وكان من الممكن أن يصبح أبناؤها عقلاء ومتحضرين بل أن يصبحوا دولاً وشعوباً مهذبة تتعايش بالحب والسلام والذكاء.!

.. أما الآن في هذا المكان أي في الفردوس فقد أصبحت العروبة وحدها مع نفسها بلا حامٍ أو حارسٍ أو مانعٍ أو تلقيحٍ ضد النفس.!

إذن أيتها الأهوال الشريرة القبيحة البليدة.. تألقي، تألقي فإن كل المجد والمستقبل لك. افرحي أيتها العداوات والوقاحات والبغضاء وكل الشرور لأن حظوظك في الفردوس عظيمة، عظيمة.!

.. تذكر يا إلهي تاريخك واقرأ مؤلفاتك ومذكراتك إن كانت لك مذكرات. إن النسيان مهما أمكن أن يكون مغفوراً أو شيئاً ليس قاتلاً فإن نسيان الإله لن يكون كذلك.!

.. لقد قلت ذات مرة يائساً وصانعاً اليأس من احتمال أن تشفى قلوب العرب أو أخلاقهم من أدوائها، مخاطباً بيأسك هذا من ختمت به أنبياءك وأغلقت بمجيئه كل أبواب رحمتك وسماواتك وأخرست بصوته كل أصوات نبواتك ورسالاتك وبلاغاتك ومحاوراتك. واستحييت أو رهبت أو عجزت أن تكلم أحداً بعد أن كلمته، أو خفت أن يموت أو يمرض أو يغضب عليك غيرة وأنانية أو خاطبت أحداً بعد أن خاطبته، أو بالغت بلا وقار أو كرامة أو اتزان في محاباتك ورعايتك لأنانيته وغيرته فقررت أن تموت صمتاً لئلا تخاطب أحداً بعد مخاطبتك له، أو من ألهمته غيرته وأنانيته أن يقول إنك قد قلت له: إنه لا دين ولا نبوة ولا نبي ولا رسالة منك إلى الأرض أو إلى أحد بعده. فأعلنت تصديقك لما قال أي لما كذبه عليك حياءً أو رثاءً أو ضعفاً أو تأدباً أو خوفاً أو تملقاً أو حيرةً أو عجزاً عن أي تصرفٍ آخر ملائم، أو فرحاً بما كذبه عليك لأنك سئمت وتعبت وتعذبت طويلاً طويلاً من هذه القضية أي من إرسال الأنبياء وإنزال الأديان والتعاليم والكتب المقدسة ومخاطبة الأرض وأهلها بلا أي ثمن أو مجد أو فرح أو جمال أو تقوى أو أي شيء جيد مأخوذ أو منتظر، فأردت أن تستريح من هذا العبث

الأليم السخيف البليد المرهق الفاضح لك يا إلهي. يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد مرهق متعب خاسر بوجوده ومن وجوده وبكل ما يريد ويدبر ويخطط ويفعل وخاسر من كل ذلك مثله.

ـ نعم، يا إلهي لقد قلت ذات مرة مخاطباً هذا الإنسان أو النبي الذي سحب منك هو وقومه كل كبريائك وكرامتك وحريتك واستقلالك وذكائك وعدلك ونظافتك بل وشجاعتك ورؤيتك وشهامتك.

ـ قلت له: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم»... هكذا قلت عن العرب مجرباً مقتنعاً صادقاً معلناً ما تراه الحقيقة ولكنك قلت بعد هذا: «ولكن الله ألف بينهم».!

.. إن القولة الأولى هي الواقع الرديء المؤلم. أما القولة الثانية فهي دعاية أو خطابة أو تأمل أو تخفيف. إنه أسلوب زعامة أو قيادة أو نبوة عربية.!

إنها أصالة عربية أن يقول الزعيم والنبي والإله العربي ما لا يعني أو يريد أو يفهم.!

... إنك يا إلهي تخاطب وتتكلم بأساليب ولغات وأخلاق القادة والزعماء والأنبياء والحكام العرب. هل تنكر أو ترفض ذلك أو تخاف أو تشمئز منه؟

فالعربي الكبير المسؤول قد يقول أو لا بدَّ أن يقول اضطراراً أو خداعاً: إن كل ما نرى ونجد ونواجه ونعيش ونفعل ونخطط، أو أن كل ما كان وكل ما هو كائن رديء وأليم ومذنب وضعيف وبليد بل وخائن، ولكننا سنعالج ونصلح كل شيء بل لقد عالجنا وأصلحنا كل شيء، بل لقد حولنا كل شيء إلى أعلى نماذج الجمال والعظمة والقوة والحب والذكاء والإبداع..!

... لقد قال الصدق الذي لا يستطاع تكذيبه أو إخفاؤه قاله اضطراراً أو قاله لكي يقول الكذب الذي يرجو تصديقه أو يرجو أن ينتظر الموعودون المخاطبون صدقه أو أن يشغلوا بانتظار صدقه عن التفكير في الواقع الأليم المرئي..

إن هذا هو أسلوبك وخلقك يا إلهي المعلم للعرب أو المتعلم منهم حينما قلت: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم».

.. إن الكذب والباطل قد يروج لهما وينصران ويستقويان بقول الصدق والحق، كما أن الغباء والسفاهة بل والجريمة قد تؤكد وتفرض وتنشر بالذكاء والعقل والحكمة بل لا بد أن يكون ذلك كذلك ولو أحياناً.!

أليس الذكاء أقدر على نشر الغباء وتوكيده من الغباء؟

.. إن الذين يقولون الصدق والحقيقة ليكونوا كاذبين ومعادين محاربين للحقيقة أكثر وأشهر من الذين يقولون الصدق والحقيقة ليكونوا صادقين ومحترمين ملتزمين للحقيقة أو لأنهم صادقون مريدون للحقيقة محترمون لها مؤمنون بها ساعون إليها. إن الذي يقول الصدق أو يقول أنه صادق لأنه كاذب أكثر من الذي يقول الصدق أو يقول إنه صادق لأنه صادق. !

.. أليس الذي يهبنا الشمس زاعماً أنه يريد بما وهبنا أن نرى أنفسنا ونرى الحقيقة وكل الأشياء كما هي بل وأن نراه هو أي من وهبنا كما هو كاذباً مثل كذب أو أكثر وأوقح من كذب من وهبنا الليل زاعماً أنه وهبنا إياه لكي نراه ونرى أنفسنا نرى كل شيء رؤية صادقة رائية أو لكي لا نرى شيئاً لئلا نجن أو نموت أو نمرض انفجاعاً وروعاً واشمئزازاً وعذاباً مما نرى أو مما يحتمل أن نرى؟ نعم، أليس الذي يقول الصدق وهو كاذب أو لأنه كاذب أكثر من الذي يقول الكذب وهو كاذب أو لأنه كاذب؟ أليس الصادق أحياناً أكثر وأنذل كذباً من الكاذب؟

.. ولكن يا إلهي كيف جاء أسلوبك في التعبير عن هذه القضية كما جاء؟

كيف جاء هكذا:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم». ؟

هل تريد بهذا التعبير أن تقول: إن قلوب العرب لا يستطيع أي شيء أن يؤلف بينها وأنها لن تبرأ أو تتطهر أو تغتسل من أدرانها وأحقادها وعداواتها وخبثها مهما تلاقت وتعانقت وتصافحت وتغازلت أجسادهم وشفاههم وعيونهم وأيديهم وكلماتهم وبياناتهم ومؤتمراتهم؟

هل تريد أن تقول إن أيدي العرب وشفاههم وعيونهم وكلماتهم وبياناتهم وتصريحاتهم ومؤتمراتهم تتعانق وتتصافح وتتضاحك بل وتركع حباً وشوقاً وحناناً بل وتبكي، ولكن قلوبهم وأخلاقهم ونياتهم وضمائرهم وأعمالهم لا تريد ولا تستطيع أن تفعل شيئاً من ذلك بل لا تستطيع أن تحيا أو تسعد أو تشفى إلاّ بنقيض ذلك؟

هل هذا هو ما أردت؟ عجيب، عجيب جداً، أن يكون ذلك كذلك!

.. هل أنت يا إلهي ذكي وفنان في تعبيراتك إلى هذا المدى البعيد؟

لم أكن أظن أو أتصور ذلك أو أنتظره منك، بل لم أكن أجرؤ على شيء من ذلك.

هل ذكاؤك هذا غلطة أم خبطة؟ هل يمكن أن يكون أصالة أو طاقة؟

إن الذكاء قد يكون غلطة يغلطها الأغبياء. نعم، قد يكون كذلك فهل هو هنا كذلك؟ أنا حائر، حائر جداً في فهم وتفسير ذلك. !

. . إني خائف يا إلهي، خائف جداً من أن أكون مغفلاً بلا شبيه لو اتهمتك بالذكاء أو بالصدق أو بالرؤية أو بالدقة في التعبير عما تريد قوله. !. ولكني هنا أكاد أقع في هذا التغفيل بل أتعمد الوقوع فيه بل يفرض عليَّ الوقوع فيه. !. كيف ذلك؟ نعم. . لقد جاء تعبيرك في هذه القضية هكذا:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم».

لماذا قلت: «ولكن الله ألف بينهم» ولم تقل: «ولكن الله ألف بين قلوبهم»؟

هل جاء تعبيرك هذا خبطاً أم تدبيراً؟ أتمنى أن يكون تدبيراً ولكن كم هو صعب أن أعتقد ذلك بعد أن رأيتك وقرأتك وفسرتك وجربتك وحدقت فيك يا إلهي. .

إن حبي وأخلاقي وتمنياتي وأشواقي وضروراتي واحتياجاتي وكل إنسانياتي بل وهمجياتي تطالبني وتفرض عليَّ أن أراك وأفهمك كما أريد وأتمنى وكما يجب أن أراك وأفهمك ولكن كل شيء أجده وأراه وأواجهه وأفهمه وأحاكمه وأحاسبه فيك وفيما أردت ودبرت وخططت وفعلت يصدمني ويفجعني ويلعنني ويسخر مني لو رأيتك أو فهمتك كما أريد وأتمنى وكما يجب عليك وعليّ. !

إني لو رأيت كل القادة والزعماء والحُكام والأنبياء العرب هم كل الجمال والذكاء والصدق والعبقرية والبسالة والطهارة أو أحداً منهم كذلك أو شيئاً من ذلك لكانت رؤيتي هذه أقل عمى وكذباً وغباء من أن أرى فيك يا إلهي شيئاً معقولاً أو شيئاً ليس فاجعاً فاضحاً محزناً فاقئاً لكل العيون الرائية. !

. . ألست يا إلهي. أي لو افترضناك تعرف الفرق بين تعبير وتعبير أي لو افترضناك ذكياً أو فناناً أو حتى وسطاً في الذكاء والرؤية والفن البلاغي واللغوي، أي لو افترضناك شيئاً يقرأ ويفسر وينقد ويفهم ويقوم.

ـ نعم، ألست إذا افترضناك شيئاً من ذلك تعني أن العرب مهما تلاقت أجسامهم ومؤتمراتهم وخطبهم وبياناتهم المشتركة فإن قلوبهم لن تتلاقى؟

ألست بهذا التعبير تعني أن البعد بين قلب أي قائد أو زعيم أو حاكم أو نبي عربي وبين قلب أي قائد أو زعيم أو حاكم أو نبي عربي آخر هو أبعد من أي بعد في هذا

الكون، من أي بعد بين أية وحدة من وحدات هذا الكون وأية وحدة أخرى أي وكل الوحدات الأخرى؟

هل تستطيع كل المسافات الكونية أن تتصور أو تنافس المسافات الفاصلة بين قلوب الزعامات والقيادات العربية؟

.. لو أمكن الاقتناع بأنك بتعبيرك هذا تعني هذا لوجب الاقتناع بأنك يا إلهي على مستوى مقبول أو معقول أو حتى محتمل من الذكاء والرؤية وصدق النبوة. !

لقد طرحت هذه القضية هكذا:

«وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم».

في أول الكلمات قلت إن الله قد ألف بين قلوبهم، وفي الثانية قلت إن الكون كله لا يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم، وقلت في الثالثة: ولكن الله ألف بينهم، ولم تقل ألف بين قلوبهم. ولو كنت تعني في الكلمة الثالثة أنك قد ألفت بين قلوبهم لا بين أشخاصهم فقط في المؤتمرات والبيانات والخطب لكان ذلك تكراراً ضعيفاً للكلمة الأولى. إذن لا بدَّ أن تكون الكلمة الثالثة تصحيحاً للكلمة الأولى وتراجعاً عنها وتصريحاً بالحقيقة الدائمة عن الزعامات والقيادات والنبوات العربية التى لا يستطيع شيء حتى ولا أنت يا إلهي إخفاءها أو تغييرها.. !

إذن فأنت تعني أنه لن يستطاع ولن يحدث التأليف بين قلوب الزعماء والقادة والحكام والأنبياء العرب مهما ألفت بينهم الخطب والبيانات والمؤتمرات أي ظاهراً..

فظيع، فظيع هو التأليف بين ذوات من لا يستطاع التأليف بين قلوبهم ونفوسهم وضمائرهم ونياتهم وأفكارهم. إنه تحريض وتأجيج للسوء!.

.. إنها نبوءة لا تستطيع جميع قوانين الأشياء وتبدلاتها وتناقضاتها أن تكذبها أو تضعف الاقتناع بها. ولكنك يا إلهي لا تستحق التهنئة عليها أو الفرح بها. وهل يستحق أي إله التهنئة بأي شيء أو يجوز له أن يفرح بأي شيء أو حتى يمدح أو يشكر على أي شيء؟

إنها نبوءة لا تحتاج إلى نبي أو متنبئ. إنها رؤية لشيء لا تستطيع العيون العمياء ألا تراه، وقراءة لحروف لا يستطيع الأميون أن يقرؤوها. !

إنها لن تكون مخطئة أو كاذبة أية عين ترى الإنسان العربي أو تقرؤه قراءة أو رؤية

أليمة أو فاجعة حينما أعلنت يا إلهي أن القلوب والنفوس العربية لن تتطهر أو تصفو كان العرب قبائل أو شبه قبائل لن يتعب أو يرهب عد آحادهم ذلك الذي قاسى وناضل وتعذب خياله لكي يستطيع أن يتصور أن هذا الكون كله يستطيع أن يبلغ أو يؤلف الرقم أو العدة الذي يقال له: مئة ألف، والذي قال وكأنه يتخطى ويتحدى ويرهق ويخجل كل الكون بعبقرية خياله:

«فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون». . !

. . «مئة ألف أو يزيدون». . «أو يزيدون». لتذعر أيها الخيال، لتذعر. !

. . نعم، حينما أعلنت ذلك يا إلهي لم يكن تعداد العرب يرهب أو يتعب خيال أو تصور ذلك النبي الذي أرهب وأتعب وعذب خياله لكي يتصور أنه يوجد في الكون أو في الخيال رقم أو عدد يساوي ما يسمى مئة ألف، مئة ألف، فقال مذعوراً مندهشاً خائفاً مستحيياً من أن يصدق خياله:

«فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون. .». . !

. . كم أشعر بالرثاء لهذا النبي وبالإشفاق عليه حين تجرأ على أن ينطق بكلمة: «مئة ألف» وبكلمة: «أو يزيدون». . أو يزيدون. !

لقد كان يقاسي من الذعر والاندهاش وضخامة المخاطرة والعبقرية أكثر من مقاساة مريد ومدبر ومخطط وفاعل ومخرج كل هذا الكون والمتقبل أو المحكوم عليه أن يكون المسؤول كل المسؤول عن كل ما فيه أي في هذا الكون، وأن يكون المحاكم المتهم المعاقب المفسر بكل ما فيه. !

آه. مظلوم ومتهم ومكذوب عليك بلا مثيل يا من اتهمت بأنك المريد المدبر المخطط الفاعل المخرج لهذا الكون المسؤول عن كل ما فيه المحاكم-المعاقب المفسر بكل ذراته وحشراته وخلاياه وبكل أناته وآهاته وصرخاته وأخلاقه ودموعه وبداياته ونهاياته!

. . ولكن فاعل هذا الكون بتدبير أو حتى باستفراغ هل يمكن التصور أنه يملك أو يعاني أو يفهم أي قدر أو معنى أو نموذج من المقاساة العقلية أو النفسية أو الأخلاقية أو العلمية أو الفنية؟ إن المقاساة المعنوية نوع من النقد والرؤية. وهل يمكن أن يكون فاعل هذا الكون مصاباً بشيء من هذه المقاساة؟

إن أي كائن مهما كان صعوده أو هبوطه، ضخامته أو ضآلته، تقواه أو فسوقه، نظافته أو تلوثه، ذكاؤه أو غباؤه، شرفه أو نذالته لن يقبل أن يكون فاعل هذا الكون، لا

إرادةً وتدبيراً وتخطيطاً ولا استفراغاً أو إفرازاً ذاتياً اضطرارياً كإفراز الأعضاء والغدد والخلايا لوقاحاتها وبذاءاتها وأوحالها. !. كائن تفرز أو تستفرغ أو تبصق أحشاؤه وأعضاؤه أو غدده وفمه أو عاهاته كل هذا الوجود وما فيه هل يمكن تصور قبحه؟

.. إن أقبح المستفرغين الباصقين المتقيئين المفرزين لن يقبل أن يكون هذا الكون بكل صيغه ونماذجه وتفاسيره وبداياته ونهاياته.. بكل إنسانه وحيوانه وحشراته.. بكل أممه وشعوبه وأوطانه وأديانه ومذاهبه وانتماءاته وحروبه وعداواته وزعاماته وقياداته وآلهته وأنبيائه بكل حوافزه وأهدافه وغاياته وأناته وصرخاته ومسراته وأحزانه.. بكل قبوره ونعوشه وشجونه ومستشفياته وشيوخه ومرضاه..

ـ نعم، إنه لن يقبل أن يكون هذا الكون بكل ذلك شيئاً من بصاقه أو قيئه أو استفراغه أو إفرازه الذاتي الاضطراري فكيف يقبل أن يكون أي هذا الكون من تدبيره أو تخطيطه أو إرادته أو فعله أو حتى من ممتلكاته أو رعاياه أو مواجهاته؟

حتى القيء والبصاق والإفراز الذاتي الآلي يجب أن يكون مستوى وأسلوباً وأن يكون محكوماً بشيء من الشروط. !

.. إن أي كائن لو أعطى أو ملك قدرة مطلقة ثم طلب منه أو فرض عليه أو أراد أن يصنع كوناً أو وجوداً مطلقاً أو ضخماً ضخامة هذا الكون لحماه عقله أو حبه أو تهذيبه أو رحمته أو شهامته أو تقواه أو فنه أو شاعريته أو وقاره، أو لحماه كل ذلك من أن يصنع الكون أو الوجود الذي قرر أن يصنعه مثل هذا الكون أو هذا الوجود مهما كان جنونه أي جنون هذا الكائن وبلهه وجهله وحماقته ووحشيته وبداوته ونذالته. !

.. إن أية حشرة، صرصار أو ذباب أو فأرة أو بعوضة أو نملة لو أنها ملكت قدرة مطلقة وأرادت أن تصنع شيئاً أو وجوداً أو كوناً لمنعتها عبقريتها وتقواها ورحمتها وشهامتها وشاعريتها وحبها وحياؤها وكبرياؤها وذكاؤها من أن تصنعه كما صنع هذا الكون الإله المفترى عليه. !

.. إني أطالب كل من لا يصدق هذا أو يشك فيه أن يحاسب ويسائل ويحاور نفسه وخياله:

هل يقبل أن يريد أو يخطط أو يصوغ أو يصنع أي شيء يستطيع أن يريده ويخططه ويصنعه ويصوغه، لكي يجيء كما جاء هذا الكون أو هذا الوجود أي إذا كان قادراً أن يجعله يجيء شيئاً آخر. !

إن أي إنسان بسيط جداً ليموت أو يحترق خجلاً وفراراً من العار والهوان والسخف

والشعور بالذنب والنقص والافتضاح والنذالة والوحشية والدمامة لو أنه صاغ أي شيء يستطيع ويريد صياغته بالمنطق والأسلوب اللذين صاغ بهما هذا الكون صائغه. !

إذن فكيف لو صاغه بهذا الأسلوب والمنطق وهو يستطيع أن يصوغه بأسلوب ومنطق آخرين أذكى وأتقى وأقوى وأنبل وأجمل وأرحم وهو يستطيع ذلك بقدر ما يستطيع الإله أن يصوغ ما يشاء كما يشاء؟ إن الاعتقاد بأن الإله لا يستطيع أن يصوغ الكون أفضل وأذكى مما صاغه لأقل تأثيماً وهجاء وتعبيراً له من الاعتقاد بأنه يستطيع ذلك. ولكنه لم يرد. !

.. ليفكر من يرفضون هذا الذي أقول أو ينكرونه.. ليفكروا: لماذا يحزنون ويغضبون ويخافون ويفجعون ويستنكرون ويلعنون ويقاومون ويغيرون ويتمنون ويدعون ويصلون ويبكون ويشكون ويئنون ويصرخون ويتهمون بل ويعادون ويخاصمون ويحاربون ويموتون.. ليفكروا ليجدوا أن كل هذا ليس إلاّ رفضاً وهجاءً وسباً لهذا الكون ولصانعه لأن سب المصنوع سب لصانعه أليس كل هذا وكل شيء تصديقاً وشهادةً لهذا الذي أقول ولكن بلغة أخرى، بلغة أقوى وأصدق من كل اللغات؟

هل يمكن أن تبكي أو تحزن أو تشكو أو تئن أو تتأوه أو حتى تؤمن وتصلي لو لم ترفض وتهج وتلعن وتتهم وتحقر صانع هذا الكون؟

أليست كل دمعة تذرفها أية عين هي سباباً وهجاءً واتهاماً لصانع هذا الكون؟

.. أرجو أن يفكّر في هذا كل من لا يصدقون أو يقرأون أو يفهمون أو يقبلون هذا الذي أقول. !. كيف أمكن أن يوجد من لا يفهم إن رفض المصنوع المخلوق ولعنه واحتقاره وعيبه واتهامه هو رفض ولعن واحتقار وعيب واتهام لمن أراده ودبره وخططه وخلقه ورضيه؟

كيف وجد من يرضى الإله ويعجب به رضاً وإعجاباً مطلقين ثم لا يرضى كل شيء ويعجب بكل شيء رضاً وإعجاباً مطلقين؟

.. نعم، يا إلهي هكذا كان تعداد العرب حينما أعلنت واعترفت للكون والحياة والتاريخ ولنفسك أيضاً بصراحة وبسالة لم يعرف مثلهما منك قط أن أي شيء وأي أحد وأن كل شيء وكل أحد لن يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم أي قلوب العرب أو بين نفوسهم أو أخلاقهم أو أحقادهم مهما أزعجوا وشغلوا وملأوا وضايقوا وشوهوا وفجعوا وصدموا الدنيا بمؤتمراتهم واستغفاراتهم وتطهراتهم من كل أحقادهم وخصوماتهم وعداواتهم وتحدياتهم ومبارزاتهم الدائمة الضاجة المثيرة لغضب وغيظ واشمئزاز ورثاء

وحيرة وتساؤلات كل العالم بل والمعجزة له عن أن يفهم أو يصدق والحاكمة عليه بالحاجة إلى العلاج والوقاية. !

. . نعم، حينما أعلنت ذلك كان تعداد العرب هكذا فقط أو أقل يا إلهي البدوي الأمي الذي لم يجهل معنى الأرقام ومنطقها وتفاسيرها وحساباتها وتبعاتها وأخلاقها والتزاماتها وهمومها ومشاكلها مثله . .

يا إلهي الذي لم يخطئ أحد في ذلك أو يتعذب ويعذب ويتورط ويورط ويفتضح ويفضح ويعاقب ويعاقب فيه أحد مثله. !. إن كل المتعاملين مع الأرقام يرون لها حساباً ونظاماً وأخلاقاً وتفاسير ونتائج والتزامات إلاّ أنت يا إلهي.

. . وأيضاً حينما أعلنت ذلك واعترفت به كانوا أي العرب يعيشون محاصرين منحصرين محصورين في جزيرتهم المهجورة، في صحرائهم الهاجرة، في تاريخهم الهاجر المهجور الناسي المنسي الأمي في كل ملابسه ونماذجه وصيغه وحدوده وتفاسيره . .

الأمي في إيمانه وصلواته وفي كل تقواه وعباداته وفي ألوهياته ونبواته، بل الأمي في قراءاته وكتاباته. حتى قراءاته وكتاباته لن تكون إلاّ أمية، أمية. !.

إن أردأ الأميات وأبشعها وأخلدها هي أمية القارئ الكاتب. ما أعظم أمي الأمية محاسباً بأمي القراءة والكتابة. !

. . كانوا أي العرب حينما أعلنت ذلك يتناجون ويتخاطبون ويتشاكون ويتباكون ويتزاورون ويتصافحون ويتعانقون ويتلاقون بكل التواضع والبساطة والثقة والاطمئنان مع آلهتهم أي أصنامهم المادية الأرضية الطبيعية الإنسانية المرئية المرادة المدبرة المخططة المحكومة المخلوقة. . الموهوبة المعروفة البداية والنهاية. . أي الصديقة المسالمة الضعيفة البريئة النظيفة من البغض والحقد والمخاصمة والمنافسة من امتلاك الجحيم والوعيد بعذابه. ومن امتلاك، الفردوس الهمجي الخرافي ومن الوعد بالتخليد في نعيمه. . !

إن أنبل وأذكى الأديان والمعتقدات هي التي يكون فيها الإله ضعيفاً والمؤمن بها قوياً . .

. . لم يكونوا أي العرب حينئذ قد أخرجوا أو خرجوا من جزيرتهم أو صحرائهم أو تاريخهم أو أميتهم البسيطة المتواضعة بل الطيبة أحياناً إلى الكون، إلى العالم ليتلقوا

ويتعلموا منه كل ألوان الانتماءات والتجمعات والتحزبات العالمية بل الكونية شرقية وغربية ووسطية.. اشتراكية وثورية وتقدمية وحضارية علمانية ودينية سماوية.

.. بكل انشقاقاتها ومبارزاتها وتحدياتها وملاعناتها وعداواتها وتهديداتها ومفاخراتها وحروبها.

.. ليتلقوا أي العرب ذلك ويتعلموه ويتدربوا عليه ويؤمنوا به بل وليزعموه ويعلنوه كل القيم الثورية والتقدمية والحضارية بل والدينية والأخلاقية والإسلامية.

.. ليفعلوا كل ذلك بمواهبهم الممتازة المتفوقة في عنف وشمول وديمومة كرهها وحقدها وعداوتها وخصامها واتهامها وبذاءتها وسبابها.!

أليس العرب يحولون كل ما يتلقون ويلقنون من مزايا إلى نقائص وفضائح..

.. هل يوجد من يتفوق على العرب أو يساويهم في تلقي وتعلم ذلك بكل التفوق والحماس والصدق أي تلقي وتعلم البغضاء والحقد والعداوة والخصام والاتهام والسباب البذيء ولا سيما الزعماء والقادة والحكام والمعلمين والأنبياء. ولا سيما من زعموا ثواراً وتقدميين واشتراكيين منهم أي من العرب؟

إن العرب يملكون أضخم وأقوى الأجهزة النفسية والأخلاقية بل واللغوية لاستقبال والتقاط واختزان البغضاء والأحقاد والعداوات والبذاءات ولاستفراغها وإطلاقها على كل شيء وكل أحد جيد وعظيم بل وغير جيد وغير عظيم أحياناً بعد أن يكثفوها ويضخموها ويوقحوها.!

.. أجل، يا إلهي لقد رأيت العرب هذه الرؤية وأعلنتها بكل هذا الصدق والجرأة والبسالة والصراحة التي كان من الصعب أو المستحيل أن ينتظر منك أو يروى عنك مثلها.!

.. رأيتهم هذه الرؤية وأعلنتها بكل هذا الحزم والقوة والتقوى والنزاهة وكبرياء الأعصاب، بلغة لن تكون عربية ولن تكون كذلك لغة إله عربي أي لصدقها وشجاعتها.!

.. إننا لن نجرؤ على أن نتهم أي متحدث باللغة العربية بأي قدر من شجاعة التعبير أو صدقه حتى ولو كان المتحدث بها هو الإله.!

.. إنه لم يوجد ولن يوجد جهاز للتعبير عن الجبن والكذب مثل اللغة، مثل اللغة العربية، وأحياناً مثل كل اللغات أو أكثر اللغات.!

إن جميع الأنهار لا تستطيع أن تفيض أو تتدفق مثل فيضان وتدفق اللغة العربية بالكذب والجبن وأيضاً بالغبار والبذاءة. !

وقد يكون من الصدق والعدل أن يقال إن اللغة العربية ليست وحدها في ذلك.

.. رأيت العرب يا إلهي هذه الرؤية المعلنة حينما كان تعدادهم كما أسمعتك وقرأت عليك ورويت لك..

هل تستطيع يا إلهي أن تكذبني في شيء مما قلت وقرأت ورويت لك؟ لا أحسبك تجرؤ على ذلك مهما كانت جرأتك غير المحمودة أو المقبولة أو المتوقرة أو الشجاعة. !.. وأيضاً رأيتهم هذه الرؤية حينما كانوا محاصرين محصورين منحصرين في جزيرتهم، في صحرائهم، في جاهليتهم التي لم يكونوا فيها يرون أو ينتظرون أو يعرفون أو يحاورون أو يعاملون أو يعيشون أو يتصورون أو يقرأون أو يتعلمون أو يواجهون إلاّ عبوس الإله وقحطه وفقره وقسوته وبخله وجوعه وعجزه وهربه الدائم الذي لا عودة ولا رجعة عنه أو منه، أي دون أن يفكروا أو يسألوا: هل يمكن أن يكون أي الإله أفضل أو أتقى أو أذكى أو أقوى مما كان، أو من فرض عليه أن يكون كما كان، أو هل يستطيع أن يكون هذا الشيء الذي لم يكنه، أو لماذا لم يكن ذلك الشيء الأفضل الأتقى الأقوى الأذكى؟ أذلك عجز أو رفض؟

.. آه هل يوجد مثل عبوس الإله أو مثل قحطه وفقره وشحه وقسوته ومجاعته وغيبته وغيبوبته؟

إن ضعف وعجز كل الضعفاء والعاجزين بمقدار إلاّ ضعف الإله وعجزه فإنهما مطلقان أي إلاّ ضعفك وعجزك يا إلهي الضعيف العاجز بلا مثيل وأيضاً القادر القوي بلا مثيل إنه لا مثيل لك معتقداً ولا مثيل لك واقعاً. !

.. إنه لا أحد واجه وقاسى ورأى وجرب عبوس الإله وشحه وفقره وقسوته وضعفه وعجزه وغيبته وغيبوبته وهربه الدائم مثل المؤمن به الراجي المنتظر المصلي له الهاتف المستغيث الذي لم يجد ولن يجد أحداً. !

.. إنه لا أحد ينتظر دون أي احتمال لأن يجد مثل المؤمن بهذا الإله المنتظر له. !

.. إنه لا أحد ماتت فيه كل تفاسير الرؤية والمواجهة والمقاساة والتجربة والقراءة والانتظار مثلما ماتت في المؤمنين، في رؤيتهم ومواجهتهم وتجربتهم وقراءاتهم ومقاساتهم وانتظارهم للإله. !

إنه لن يوجد رافض للإله هارب يائس منه مثل المؤمن أي لو أنه ملك أي قدر من أخلاق ومنطق ومحاسبة المواجهة والرؤية والتجربة والقراءة والمقاساة والانتظار.

إن هذا هو المفروض والمعقول والمنتظر لأن المجرب المصدوم هو الذي يعرف ويحكم..

هل يمكن تصور تجربة أخسر وأخيب وأضيع وأقسى من تجربة المؤمن لإلهه؟

.. هل يكون شيئاً سخيفاً أن تقول إنها تتولد أو تتخلق في ذوات المؤمنين بالإله أو في ذوات كل المؤمنين أجهزة أو غدد أو مواد لم تعرف حتى اليوم، تقتل أو تسكت فيهم كل أسلحة وأخلاق الرؤية والمواجهة والتجربة والقراءة والتساؤل والمقاساة والاحتجاج والرفض والفهم؟

هل يمكن أن نجد أي تفسير غير هذا التفسير الذي قد يرى سخيفاً جداً نفسر به المؤمنين؟

انظر وفكّر..

.. أنت وكل آبائك وأجدادك واقفون راكعون باكون صارخون على باب وتحت أقدام كائن ترونه وتزعمونه كل القوة والجمال والحب والرحمة والنخوة والإحساس والحماس والرؤية والاستماع والحضور والسرعة والكبرياء والاستحياء.. تدعونه وتطالبونه وتنتظرونه وتشكون إليه وتصلون له وتذرفون كل دموع الحب والرجاء والاستسلام تحت تراب قدميه، وتقرأون عليه وفي أذنيه كل آلامكم وهمومكم ومجاعاتكم ومظالمكم ومخاوفكم وآمالكم وتفرشون على كل الطرق وأشواقكم ولهفاتكم كل تفاسير الهوان كل جباهكم ومعانيكم وتفاسيركم وأخلاقكم وأشواقكم ولهفاتكم وكبريائكم ليحضر أو يظهر أو يستجيب أو يفعل أو حتى يسمع.. دون أن يحضر أو يظهر أو يستجيب أو يفعل أو ينطق ليقول أو ينقذ أو يعزي أو يجامل أو حتى يتعذر أو حتى يبعث رسالة أو رسولاً ليقول شيئاً أو ليجامل بشيء أو ليقول لقد سمعت وعلمت وأسفت.

.. ثم تظلون أبداً تفعلون كل ذلك بكل الحماس والتعصب والصراخ أبداً، أبداً، ويظل هو أبداً، أبداً لا يفعل أو يرجى أن يفعل شيئاً من ذلك، مما ينتظر ويطالب أن يفعله كله. هل توجد أية علاقة حزينة بليدة خاسرة كهذه العلاقة بينكم وبين إلهكم هذا؟

.. هل يوجد لهذا تفسير معقول أو مقبول أو مغفور أو محتمل غير هذا التفسير الذي قد يرى يحسب سخفاً؟

.. آه. أيها المؤمنون بهذا الإله. إنكم خارجون على كل الحسابات المعقولة وغير المعقولة حتى الحسابات غير المعقولة أنتم خارجون عليها.!

.. إنكم أيها المؤمنون بهذا الإله لمفسدون ومحقرون ومخترقون وكذبون لكل حسابات العقل والأخلاق والمنطق والكرامة بل والطبيعة.!

.. هل أجد من يعذرني أو يفسرني بلا خطأ أو عدوان؟ إني هنا محكوم عليَّ بأن أكرر بالكلمات انفجاعي وحيرتي وعجزي عن التقبل أو الصمت.

.. كم أتمنى أن يفهم من قد يرفضون مني التكرار أحياناً أسباب وتفاسير ومعاني تكراري. إننا نكرر بقدر ما نحيا ونريد ونرى. إن الحياة القوية الفاعلة لن تكون صمتاً، وإن التكرار بمعناه الصحيح ليس إلاّ رفضاً للصمت أي للموت!

هل يوجد أو كيف يوجد من يجهلون أو ينكرون تفاسير تكرار الرؤية والحب والشوق والحنين والأمل والمطالبة وتفاسير تكرار التعبير عن ذلك؟ إن الآلام والانفجاع يتكرران إذن كيف لا يتكرر التعبير عنهما؟

.. إن التكرار هنا أو أحياناً ليس تكراراً لفظياً أو لغوياً ولكنه حالة فيضان وجيشان فكري ونفسي وأخلاقي لا يستطاع وقفه أو تخفيفه أو تنظيمه أو حتى التفاهم معه، يتحول إلى كلمات.!

إنه أنات وآهات. وهل يستطاع منع تكرار الأنات والآهات أو يرفض؟

.. إنه احتراق وحريق لا يستطاع إطفاؤه أو تبريده.. احتراق وحريق لا تستطيع جميع أجهزة الإطفاء إطفاءه.!

أليس تكرار الانفعال والانفجاع محتوماً ومطلوباً؟ إذن أليس تكرار التعبير عن ذلك محتوماً ومطلوباً؟

نعم، هل أجد من يعذرني أو يفسرني بلا خطأ أو عدوان حينما اضطر هنا إلى أن أقول مكرراً:

إنه لم يوجد ولن يوجد انتظار أطول أو أقسى أو أغبى أو أضيع أو أخيب من انتظار المؤمنين للإله ليحضر أو ليجيء بأي تفسير أو معنى من تفاسير ومعاني المجيء والحضور.. بأي أسلوب أو صيغة أو تعبير من أساليب وصيغ أو تعبيرات أخلاقه أي أخلاق الإله أو صفاته أو أسمائه أو وظائفه أو التزاماته المزعومة أو المنتظرة أو المروية أو المعلمة أو المحلوم والمحتلم بها.!. إنه لن يحدث ولم يحدث أن حضر الإله إلى

منتظريه في أي زي من أزيائه، وفي أية حالة أو لهفة من حالاتهم ولهفاتهم!

. . حتماً. . التكرار أحياناً بلادة وغفلة وخمود وضياع، ولكنه أحياناً أخرى شيء آخر، آخر، مناقض، مناقض جداً. هل تكرار الأنات والآهات والصرخات والاحتجاجات والمطالبات أمام الآلام والفظائع والفضائح والخطايا والأخطاء المتكررة الدائمة تكرار!. وهل حدث أو يحدث شيء جميل أو عظيم بدون التكرار له وبه وبدون أن يرفض ويقاوم نقيضه بالتكرار كذلك؟

. . إن الذين لا يكررون انفجاعهم وغضبهم ورفضهم ونقدهم وصيحاتهم أمام القبح والغباء والسقوط والهوان والسخف المتكرر الدائم لن يكونوا إلاّ موتاً عقلياً ونفسياً وأخلاقياً شاملاً بليداً. !

. . هذا الكائن أو الإنسان ولنفترضه كائناً عربياً يواجه ويعايش ويقاسي كل ما في الكون والحياة وكل ما في الإنسان العربي والمجتمعات العربية، كل أوقاته، دون أن يقاسي من الانفجاع والأسى والرفض والغضب الدائم، أو دون أن يعبر بكل وسائل التعبير تعبيراً مكرراً دائماً عن انفجاعه وأساه وغضبه ورفضه ومقاومته النفسية والفكرية والأخلاقية وغيرها ما استطاع.

ـ نعم، هذا الكائن أو الإنسان الذي افترضناه وافترضناه إنساناً أو كائناً عربياً، هل يمكن أن يكون فيه شيء من معاني الإنسان أو من لغاته؟

وكذلك يا إلهي حينما رأيت العرب هذه الرؤية وأعلنتها كان من أعظم وأشهر وأجمل ما يفعلون أن يتوجهوا إلى أوثانهم الطيبة البريئة، أن يتوجهوا إليها بأسلوب ونيات العطف والحنان والوفاء والمجاملة والتلهي الفنان بل والحب والإشفاق والعزاء، وأن يطوفوا بها ويلمسوها ويصافحوها ويعتذروا إليها، ويقرأوا عليها ولها أحزانهم ومسراتهم وحروبهم ومخاصماتهم وأحياناً أشعارهم، دون أن ينتظروا منها أو ينتظروها أو يحاسبوها أو يعاتبوها إذا لم تفعل أو تنقذ أو حتى تتكلم، أو إذا لم تداوهم من بداواتهم وعداواتهم وقحط صحرائهم وهي لن تفعل شيئاً من ذلك وهم لن يطالبوها أن تفعل. . إن الآلهة في رؤية الفنانين والإنسانيين ليست خالقة أو واهبة بل مخلوقة موهوبة. !

. . كذلك كان حينئذ من أعظم وأشهر وأجمل ما يفعلون أن يذهبوا يصلون ويتعبدون للكعبة بأشعارهم المعلقة على أجنحتها أي أجنحة الكعبة. . يذهبون يقرأونها وينشدونها ويغنونها ويسمعونها، لتكون أي قصائدهم المعلقة على أستار الكعبة وتكون

قراءتها وإنشادها والتغني بها والاستماع إليها بديلاً وتعويضاً عن أن يجدوا أو يفعلوا، وتكفيراً واعتذاراً عن أن يفقدوا ويعجزوا. كانت صلواتهم وعباداتهم شعراً وإنشاداً لا تملقاً أو رشوة لإله كالح يرشو بالفردوس ويعاقب بالجحيم.. !

.. نعم، يا إلهي إن أنبل الآلهة وأتقاها وأشرفها وأنظفها وأعظمها براءة وإنسانية هي الآلهة المخلوقة المنحوتة المزعومة المرئية التي اختيرت وحددت لا التي فرضت.. التي جاءت من داخل الإنسان وظروفه لا التي جاءت من خارجه أو من فوقه، جاءت من تفاسيره لا من غيبه وجهله أو من ورائه. !

.. أما أقبح الآلهة وأوقحها وأكثرها نذالة وعدواناً وسخفاً فهي الآلهة الخالقة الغازية القادمة من فوق ومن وراء الحدود، حدود الحياة وحدود الإنسان.. المريدة الآمرة الناهية المتحكمة المتجبرة المطلقة القدرة المطالبة لنفسها بأن تكون وحدها المعبودة المرهوبة الممدوحة المذكورة المهتوف المصلى لها.. المصابة بكل جنون ونزق الغرور والأنانية والكبرياء البلهاء.. التي فرضت فرضاً عشوائياً جنونياً بلا أي حساب أو قياس أو تخطيط أو رؤية أو منطق، وبدون أن يحضر أو يرى أو يعلم أو يوافق أو يستشار أو يرضى أو يستطيع من فرضت عليهم. !

أليست هذه الأوصاف لهذه الآلهة هي بعض أوصاف آلهة الأنبياء؟ أليست آلهة الأنبياء ستتفجر غيظاً وغضباً وذعراً وغيرة إن قرأت أو سمعت هذه الأوصاف لهذه الآلهة المتصورة والمفسرة خوفاً من أن يكون هناك آلهة أخرى تنافسها أو تشابهها في أوصافها هذه؟

أليس كذلك يا إلهي الذي كم أتمنى أن يكون مستمعاً لما أقول مرتاحاً إليه موافقاً عليه مهتماً به مثل اهتمامه بأن يزرع العاهات والتشوهات والدمامات والأمراض والآلام والأحزان والمهانات والهزائم والمآسي في الوجوه والأجسام والقلوب والضمائر والأخلاق لكي يستمع إلى الأنات والآهات والتأوهات والصرخات بكل نزق الفرح والسعادة والإعجاب بالنفس والرضا عنها وعن أخلاقها وعبقرياتها؟ إنه لو أمكن أن تفهم كل انفعالاتك وأخلاقك يا إلهي لما أمكن أن يفهم فرحك وسعادتك بالاستماع إلى الأنات والآهات والصرخات.

.. إنه لجمال وفن وملهاة وإبداع أن تصنع إلهك وتصوغه بمواهبك ومقاساتك وتصوراتك وتمنياتك وتهويماتك، أو أن ذلك لمعقول ومغفور.. إنك بذلك لست إلاّ رساماً أو نحاتاً أو مصوراً بل ومزخرفاً لثيابك وبيتك ومقبرتك وحديقتك.

. . أما أن يصنعك إلهك فإن كل القبح والهوان والطغيان والتشويه والتحقير هو بعض ما يعنيه ويفسره ذلك. !. إله يصنعك كما يريد كما تريد. !. هل يوجد أقبح من هذا؟

. . ما أجمل أو أروع أو أعقل أو أنفع أو أطيب هذا أي إنسان خالق، وإله مخلوق ولكن ما أقبح وأردأ وأجهل وأسخف وأبلد وأظلم هذا أي إنسان مخلوق وإله خالق. !. . إنسان أو كائن مخلوق في قبضة خالق مطلق القدرة والأخلاق والانفعالات والنزوات. !

هل يمكن تصور مثل هذا قبحاً وهواناً وعدواناً وتشويهاً وتحقيراً؟

. . كانت آلهة العرب في جاهليتهم آلهة مخلوقة منحوتة من حجارة وأخلاق أرضهم ومن خيالهم وتمنياتهم وبساطتهم ومن أشعارهم المعلقة على أكتاف الكعبة. !

. . لهذا كانت آلهة. فنية شعرية إنسانية غنائية، لا غضبية أو عقابية أو تهديدية أو سبابية أو جهنمية. كانت أي آلهة جاهلية العرب إنشاداً وغناء وصداقة ومصافحة، لاسباباً أو وعيداً أو عداوةً أو حقداً أو خصاماً وقحاً بذيئاً مثلما يفعل آلهة الأنبياء أو مثلما يفعل إله أنبياء العرب وحدهم. !

كانت أي آلهة العرب في جاهليتهم الشاعرة الفنانة تصوراً وتمنياً وقراءة، لا بغضاً أو حقداً ووعيداً أو جحيماً أو زبانية جحيم كانت سلاماً وأماناً لا حرباً أو رعباً. . كانت أحلاماً طيبة مبتسمة غير مزعجة أو محزنة أو مخيفة أو مؤرقة أو محتاجة إلى تفاسير. . ما أجمل الآلهة الأحلام، وما أقبح الآلهة الواقع. !

. . لقد كانت قصائدهم الجاهلية بعض آلهتهم أي أوثانهم بل لقد كانت أجمل وأذكى وأتقى وأقوى أوثانهم لهذا كرموا ومجدوا وقدسوا وجملوا الكعبة بتعليقها فوق أركانها بل لقد تعبدوا لها بذلك. كانوا أحياناً يرون قصائدهم عابدة للكعبة وأحياناً يرون الكعبة عابدة لقصائدهم. . !

كانت آلهة العرب في جاهليتهم آلهة فنية شاعرية إنسانية عاطفية أخلاقية لا تستطيع أن تتعلم أو تتصور أو تتقبل أو تتمنى أو تتحمل الحقد أو البغض أو التهديد أو الجحيم أو الأنبياء المولودين في الجحيم القادمين من الجحيم حاملين الجحيم ليتحدثوا بلغة وأخلاق الجحيم عن الجحيم، ليصفوا أخلاق الجحيم وأخلاق رب الجحيم وخالقه ومريده. . !

إذن ما الذي أصابهم أي العرب لكي ينتقلوا من جاهليتهم هذه إلى إله محمد

والقرآن، أي إلى إله العقاب والغضب والجحيم والزبانية والملائكة الغلاظ الشداد أي في قسوتهم وحقدهم؟

هل كانت مؤامرة دولية عالمية كونية شريرة لنقل العرب من جاهليتهم ووثنيتهم الإنسانية إلى ديانتهم وألوهيتهم الهمجية البدوية الجهنمية؟ كان العرب شعرا فأصبحوا نبوة تخلق الجحيم وتصلي له وتبارك ضخامة عذابه وتتحدث عن جمال ونبل وتقوى عذابه. !

أليس التآمر على العرب هو كل تاريخ التاريخ، وعبقرية العبقرية وبشرية واهتمامات ونضال كل البشرية؟

هل كانت هناك مؤامرة لا مثيل لها فظاعة وخبثاً لتعليم العرب أحقاد وبغضاء وتعصب وقسوة محمد والقرآن!. آه. ما أبشع البغضاء والقسوة والتعصب والأحقاد التي جاء محمد والقرآن ليعلماها لجميع البشر أو للعرب وحدهم. !. كيف لم يعرف العالم كل العالم ذلك؟ ما ذنب العالم لكي يعلمه ويستفرغ فيه نبي العرب أحقاده وبغضاءه وتعصبه؟

.. ولكن كيف ومن أين جاءهم محمدهم هذا ومن الذي علمه تعاليمه وأخلاقه وأحقاده وبغضاءه وقرآنه؟ كيف وجد من يستطيع أن يعلمه كل ذلك؟

من الذي يعلم المعلمين ما يعلمون؟ إنه سؤال يحتاج إلى جواب لن يوجد..

.. إن نقل العرب من وثنية جاهليتهم الفنية الشعرية الإنسانية الطيبة المتسامحة المبتسمة المحبة الغافرة إلى ألوهية أو وثنية محمد والقرآن الجهنمية العدوانية المتعصبة الفظة المبغضة العابسة المعادية المشاتمة المعيرة للإنسان بما فعلت هي به الإله يعير الإنسان بما فعل به هل يصدق هذا؟

.. **الإله يعير الإنسان بما فعل هو به.. هل تصدقون هذا؟**

ـ أجل، إن نقلهم من هذا إلى هذا لهو أكثر إثارة وصنعاً للحيرة من نقل أضخم وأقوى وأخلد قوانين الطبيعة من النقيض إلى النقيض أي نقلها بالكلمة وبالاحتلام والحلم والتمني. !

كيف انتقل مبدعو الشعر الإنساني المبشر بالحب والجمال والفرح والصداقة وقارئوه وحافظوه ومنشدوه وسامعوه إلى مخترعين للقرآن وإلى قارئين ومنشدين ومفسرين وسامعين وحافظين له أي للقرآن، وإلى مستقبلين ومستمطرين لاستفراغ

وبصاق أبي هريرة، ومؤلفين لأضخم الكتب أي أكثرها كلمات وورقاً تمجيداً وتفسيراً لهما أي لبصاق أبي هريرة واستفراغه، وإلى متعطرين ومتداوين بإفرازات وبخر فمه مستنشقين لذلك بكل السعادة والإيمان والتدين والتقوى؟ هل وجد مجد مثل مجد بصاق أبي هريرة؟

هل يوجد أو وجد انتقال خارج على كل الاحتمالات والحسابات وصانع لكل الآلام والأسى والانفجاع مثل هذا الانتقال؟

كيف أمكن أن ينتصر إله محمد والقرآن أي إله الجحيم والزبانية والملائكة الغلاظ الشداد على آلهة الشعر والفن والغناء والحب والجمال أي على آلهة الإنسان المطلوب والمنتظر؟

هل يمكن تصور انتصار أليم وحزين وكريه مثل هذا الانتصار؟

. . واشوقاه إلى أبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان وإلى امرئ القيس وإلى كل أخوته في الشاعرية والجاهلية أي إن لم نجد بديلاً عن ذلك أو عن هؤلاء إلاّ أبا هريرة وأبا ذر وأبا تراب وأبا حنيفة وأبا حامد الغزالي وإلاّ رواة البصاق والاستفراغ المزعومين أحاديث نبوية كونية إلهية رواها أبو هريرة عن النبي محمد، ورواها محمد عن غار حراء، ورواها غار حراء عن الملاك جبريل، ورواها الملاك جبريل عن الإله، ورواها الإله عن جبريل، عن غار حراء، عن النبي محمد، عن أبي هريرة. ورواها أبو هريرة عن قبيلته وولادته وأخلاقه وتاريخه وظروفه وثقافته وذكائه وعن رؤيته وتجربته للنبي محمد. . . ! هل يوجد تحقير يساوي الرواية العربية للتاريخ والحياة وللراوي والمروي عنه ولكل شيء؟

. . واشوقاه إلى القصائد المكتوبة أو المنقوشة أو المعلقة فوق أحجار الكعبة محاسبة ومفسرة ومنافسة بالسور والآيات القرآنية، وبلعنات وخطابات وبيانات وروايات وقراءات وتفسيرات وتشريعات وعظات بل وعبقريات ونبوات كل خلفائنا وفقهائنا وأنبيائنا وحملة اللحى والعمائم والمصاحف فينا. !

آه أيتها اللحى والعمائم والمسابح والمصاحف. ! ما أفظع ما تحملين إلينا وتستفرغين علينا. !

إن ما تختزنه لحية أو عمامة واحدة أو سورة أو آية واحدة من سور وآيات المصحف الشريف.

ـ نعم، إن ما تحتويه وتختزنه من جهالة وبلادة وعداوة ووقاحة ومن بغض

وتعصب ليستطيع لو نفذ أن يغرق أو يغطي أو يشوه كل شيء بالجهل والقبح والبغض والنذالة والعدوان والوقاحات والعداوات.

.. هل توجد تعاسة أو ردة مثل تعاسة وردة من نقلوا من عصر وأخلاق الشعراء إلى عصر وأخلاق الأنبياء والفقهاء والرواة والمفسرين؟

... إلى عصر حملة اللحى والعمائم والمصاحف والمسابح.. إلى عصر المسوغين بل المقدسين المصلين للعاهات والتشوهات والوقاحات التي يزرعها الإله في وجوه وأجساد وقلوب وضمائر وأخلاق وعيون وطرق من قال إنه لم يخلقهم إلاّ لأنه يريد أن يهبهم الجمال والحب والسرور والسعادة والقوة، وإلاّ لأنه لا يريد أن يرى أو يصنع إلاّ الحب والجمال والسعادة والسرور والقوة؟ كيف يوجد فيمن يواجهون هذا الكون من لا يرون الإله هو أعظم مجنون في عشقه لأوقح الدمامات والآلام والأحزان والعار والبغضاء والفضائح؟

.. هل تغفر المقارنة أو المماثلة أو المنافسة بين شاعر يغني للحب والجمال والصحة والحرية والسعادة والفرح والقوة ويبشرنا بذلك ويتمناه لنا ويدعونا إليه ويقرؤه علينا ويحرض ضد نقيض ذلك بل ويقاومه.. وبين نبي أو فقيه أو واعظ يهددنا بالجحيم ويحدثنا عن مزاياه أي مزايا الجحيم الإلهية والأخلاقية والقانونية والدينية بل والإنسانية.

ويحدثنا عن روعة وضخامة وشمول حكمة الإله ورحمته وعدله وحبه وجماله وشهامته. ويحاول أن يعلمنا ويقنعنا بأنه أي الإله كذلك لأنه يتعمد ويخطط ويدبر ويحب أي الإله مهاجمتنا الدائمة والشاملة بكل ألوان العاهات والتشوهات والأمراض والأحزان والفضائح والقبائح. بل وأن يوقعنا في الضلال والغوايات والفساد، قائداً لنا إلى كل ذلك بكل الوسائل والحيل والأساليب الماكرة الشريرة الخفية والظاهرة. محرضاً بل وموظفاً جميع زبانيته وأبالسته بل وملائكته ليفعلوا بنا ولنا كل ذلك بكل الإتقان والقوة والخبث؟

أليست هذه هي بعض الفروق بين ما يفعله الشاعر وما يفعله النبي والفقيه والواعظ. أي بين وظيفة وأخلاق الشاعر ووظيفة وأخلاق الواعظ والنبي والفقيه؟ ما أسخف وأوقح المقارنة بين الوظيفتين. وظيفة الشاعر ووظيفة النبي.

.. إذن هل يمكن تصور ردة تساوي أو تشبه في ضلالها وقبحها وسقوطها ردة من انتقلوا من عصر الشعراء إلى عصر الأنبياء والوعاظ والفقهاء أي إلى عصر العمائم واللحى.. عصر لعن وتحقير الشعر والذكاء والمنطق والقوة والعلم الإنساني.. عصر

تعليم مزايا وحكمة أن نمرض ونتشوه ونجوع ونهون ونتعذب ونضعف ونشيخ ونموت بل ونضل ونكفر ونفسد بل وأن يوظف الشيطان لكي يقودنا إلى ما سوف يعاقبنا عليه ويلعننا ويعيرنا به موظفه ليفعل بنا ولنا ذلك؟ إن موظف الشيطان سوف يعاقبه على قيامه بوظيفته ويعاقب من يستجيب له. إن الأنبياء والفقهاء والوعاظ يعلمون ذلك ويفسرون مزاياه.!

... إن الأمم العظيمة قد انتقلت من عصور الشعر والفن إلى عصر الحضارة والعلم والعقل والشعر والفن والفكر والحرية والتسامح.!

ومن عصور الألوهيات والنبوات واللاهوتيات إلى عصر الإنسان!.

.. أما أمتنا العربية فقد انتقلت أو نقلت من عصر الشعر إلى عصر الوعاظ والفقهاء والأنبياء.. إلى عصر حملة اللحى والعمائم والمصاحف والمسابح والبداوة والجهالة معلمي الحقد والتعصب والبغض والسباب والخصام الديني والأخلاقي والنفسي والثقافي والمنبري الإعلاني.!.. إلى عصر صانعي الجحيم ومادحيه ومفسريه وقارئيه.!

.. وحتى الشعر العربي لقد انتقل من شعر شعراء إلى شعر فقهاء وأنبياء ووعاظ في جميع تفاسيره وصيغه ومواقفه وتعبيراته الفكرية والثقافية والنفسية والأخلاقية والعدوانية التعصبية بل واللاهوتية واللغوية والانتمائية.!

أليس من المحتوم أن يكون الشعر الذي تحول إلى شعر أنبياء وفقهاء ووعاظ وحملة لحى وعمائم هو أردأ وأسخف الكلام، وأن يكون الشعراء الذين تحولوا في رؤاهم وتعاليمهم وأخلاقهم وانتماءاتهم ولغاتهم بل وفي وعظهم وتدينهم إلى وعاظ وفقهاء وأنبياء هم أردأ وأسخف الناطقين؟

ما أقبح المنظر، منظر يد الشاعر قابضة على المصحف أو على كتاب وعظ أو دين، محدقة فيه عيناه قارئتين مفسرتين مسائلتين متعلمتين، ما أقبح حينئذ يديه وعينيه.!

والآن يا إلهي كم أرجو وأطالب أن تكون حاضراً وسامعاً مستيقظاً عارفاً أني بكل ذلك إنما أعنيك وأخاطبك وأحاكمك وأحاول أن أعلمك!. ما أصعب تعليمك يا إلهي. إن الآلهة هي أعجز التلاميذ عن أن تتعلم ولكنها أي الآلهة أحوج التلاميذ إلى أن تتعلم.!

.. وكم أتمنى ألا تكون قد أصبت نفسك بالصمم أو بالعمى وألا تكون قد انتحرت أو هربت من كل هذا الكون والوجود استحياءً وخوفاً وعاراً وانفجاعاً مما سمعت في محاسبتي ومساءلتي ومحاكمتي لك وفراراً من أن تظل تسمع مني مزيداً مما سمعت.!

وإني لأعترف أني هنا لست رحيماً ولا إنسانياً حينما رجوت وطلبت وتمنيت أن تكون حاضراً سامعاً مستيقظاً وألا تكون قد انتحرت أو هربت أو أصبت نفسك بالصمم وبالعمى هرباً واستحياءً وانفجاعاً وعاراً من أن تسمع أو تقرأ أو تفهم محاسبتي ومحاكمتي لك. !

إن كل معاني وتفاسير الشهامة والرحمة والإشفاق والإنسانية لتطالبني بألا أتمناك حاضراً أو سامعاً مستيقظاً أو مبصراً أو حياً أو حتى موجوداً لئلا تسمع أو تقرأ أو تفهم محاكمتي لك لئلا تقاسي كل العار والهوان والافتضاح والهزيمة!

.. إنه لا يمكن تصوّر متوحش وقح نذل عدو لك يا إلهي مثل من يريدك موجوداً سامعاً قارئاً مستيقظاً فاهماً حاضراً هذه المحاكمة ووضعك اليائس الحزين البائس فيها وأمامها بل وضعك الذليل بلا مثال. !

.. إن كل أحبابك العقلاء يا إلهي لو سمعوا أو فهموا شيئاً من محاكمتي هذه لك لصرخوا جميعاً بكل الصدق والرهبة والحماس منادين لك طالبين منك: لتصب بالصمم، بالعمى، بالموت، بالانتحار، بالهرب من كل الكون والوجود يا إلهنا، يا إلهنا الذي لا منقذ له إلاّ أن يكون غير موجود، إلا ألا يكون قد اتهم اتهاماً سخيفاً بليداً وقحاً عدوانياً بأنه موجود أو بأنه قد كان موجوداً يوماً. ! . .

أعني لو كان ممكناً أن يوجد في أحبابك عقلاء أو رحماء أو شرفاء أو حتى أذكياء! . . ما أجمل وأفضل وأنبل وأنظف أن تكون يا إلهي غير موجود إذا كان البديل أن تكون يا إلهي موجوداً لتكون متهماً بكل هذا الكون وبكل شيء، ولكي يكون كل هذا الكون وكل ما فيه وكل شيء مستفرغاً ومبصوقاً في عينيك وأذنيك وضميرك وقلبك وعقلك ومواجهاتك وأخلاقك، ولكي تصبح مسؤولاً عن كل ذلك ومحاسباً محاكماً مقروءاً مفسراً بكل ذلك. !

آه يا إلهي. إن كل أعدائك هم المؤمنون بوجودك المتحدثون عن وجودك، وإن كل أصدقائك هم الرافضون المنكرون لوجودك. !

أي هم الرافضون لأن يكون كل هذا الكون استفراغك ومستفرغاً عليك وفيك. !

.. حتماً يا إلهي سيكون هذا القول أو الرأي أو الرؤية أو الصدق الأليم القاتل مفاجأة رهيبة وغريبة وعجيبة لك ولكل المؤمنين بك وبوجودك. . الذين كانوا يرون أنهم بإيمانهم هذا يهبونك كل المجد والفرح والسعادة والكبرياء والرضا والقوة والتقوى

الإلهية، ويرون أنهم بهذا الإيمان بك يصبون ويلقون كل العطور ومواد وألوان وعمليات التجميل على ذاتك وثيابك وعرشك. !

لهذا أرجوك يا إلهي الذي أرفض أن يكون موجوداً لأني أرفض بل لأني لا أستطيع أن أكون نذلاً ووقحاً وبليداً تحت كل المقاييس.

ـ نعم، أرجوك يا إلهي هذا أن تفكر في هذا الذي أقول تفكيراً غير إلهي وغير عربي لكي تعلن بكل اللغات والأصوات والديانات والنبوات أنه لم يهنك أو يحتقرك أو يظلمك أو يلوثك أو يورطك أو يعذبك أو يفضحك إلاّ من آمنوا بك وبوجودك فوق هذا الكون وفوق كل شيء، وإنه لم يحترمك أو ينظفك أو يبرئك أو يرحك أو يستر عليك إلاّ من لم يجدوك ولن يجدوك ويرفضون أن يجدوك لأنهم يرفضون أن يتهموك ويحتقروك إلى أن يجعلوك مريد ومدبر وعاشق وفاعل كل هذا القبح والسخف والسفه والعبث والبله والعذاب والضياع المصبوب في كل وجود وموجود، وإلى أن يروا كل ما يرون ويعرفون ويقاسون قمة عبقرياتك العقلية والفنية والنفسية والأخلاقية، بل كل عبقرياتك المستطاعة. !

. . إنه لن يوجد أغبى أو أقسى أو أسفه وأوقح عدواناً من إنسان يرى حشرة، نعم، حشرة مشوهة أو جائعة أو ضائعة أو مريضة أو حزينة أو مظلومة أو مطاردة أو خائفة ثم يؤمن ويعلن أن فوق هذا الوجود أو داخل ضميره وقوانينه كائناً واحداً مسؤولاً عنه كله ومريداً مدبراً مخططاً صانعاً له كله حتى هذه الحشرة الطاردة لكل معاني وتفاسير أي إله عن كل هذا الكون ومنه. . المعلنة براءة الكون وبراءة كل شيء من كل إله. إن هذه الحشرة لو نطقت لتفجرت استهزاءً بمن يرون أن إلهاً فعل بها أو أراد أو رضي لها ذلك أو رآها كذلك ثم بقي فوق عرشه فرحاً بمجده. !

. . نعم، إنه لن يوجد أو يتصور أي دفاع معقول أو مقبول أو مفهوم عن إله هذا الكون إلاّ بنفيه أي إلاّ بتبرئته من أن يكون موجوداً ومن أنه قد كان موجوداً أو أن من الممكن أن يكون موجوداً. !

إن الإله هو الكائن الوحيد الذي لا يمكن تبرئته وبراءته من كل الذنوب إلاّ بنفيه!

. . إني أكرر بلا حاجة إلى الاعتذار عن التكرار. . أكرر أنه لا يوجد ولن يوجد محترم للإله ومدافع عنه وحامٍ لضميره وأخلاقه وعينيه من كل القبح والتشوه والنذالة والبلادة والعذاب إلاّ المنكرون لوجوده، كما أنه لا يوجد ولن يوجد معتدون عليه محقرون ومتهمون وشاتمون وهاجون له إلاّ من قالوا إنهم وجدوه، وجدوه في هذا

الكون وفوقه، مريداً مدبراً مخططاً صانعاً له راضياً به وعنه، واجداً كل مجده وذكائه وعقله ورحمته وفنه وعبقريته بل كل تقواه فيه، في هذا الكون، في كل حشراته وطغاته وعاهاته وتشوهاته ووقاحاته ونذالاته وبداياته ونهاياته وأمراضه وآلامه ومقابره ومعابده ومستشفياته.. نعم، إن الواجدين الرائين لك يا إلهي لا يجدونك أو يرونك في أجمل وأتقى وأنبل صيغك وأزيائك وصلواتك إلاّ في المقابر والمصحات وفوق المرضى!

.. هل هناك أي احتمال أن إله هذا الكون أو من زعم إله هذا الكون لم ير أو يقرأ أو يفهم كونه هذا، أو أي احتمال أنه رآه وقرأه وفهمه ثم قبل أن يتهم به، بأنه مريده ومدبره ومخططه وفاعله؟ وأي الاحتمالين أكثر سخفاً وقبحاً؟

وهل يوجد في هذه القضية أي احتمال غير هذين الاحتمالين؟

وهل يوجد في هذين الاحتمالين أي مجد أو عزاء أو غفران لمن كان أحدهما أو كليهما أو محكوماً عليه بأحدهما أو بكليهما؟ نعم، فظيع جداً يا إلهي أن تكون قد رأيت وقرأت وفهمت ثم تقبلت وفظيع جداً ألا تكون رائياً أو قارئاً أو فاهماً.!

.. اسمع يا إلهي. إني أطالبك بل آمرك أن تسمع لأن موقفي منك موقف المحاسب المحاكم لا المصلي العابد..

.. اسمع. هل يحتمل أنك لم ترَ أو تقرأ أو تفهم هذا الكون المزعوم كل مجدك وفنك وحبك وعبقريتك وقدرتك وتقواك وإيمانك وفرحك وسعادتك، أو هل يحتمل أن تكون قد قرأت وفهمت ورأيت وفسرت هذا الكون ثم قبلت أن يكون من فعلك أو تدبيرك أو إرادتك أو تخطيطك أو حتى من رؤيتك أو مواجهتك؟

هل تقبل أن تكون هذا أو هذا؟ إنه لا يوجد أي احتمال غير هذا وهذا أي إن كنت أو لو كنت موجوداً؟

إذن هل تقبل يا إلهي أن تكون موجوداً أو أنك كنت موجوداً أو أن تصبح موجوداً؟ أي هل تقبل أن تكون هذا أو هذا أو هذا وهذا؟

.. إن محاولتي لتفسيرك وفهمك يا إلهي لتعذبني أكثر مما سوف يعذب جحيمك أعداءك.!

.. فكر جيداً يا إلهي المزعوم. إني أحاكمك. نعم، ولكني لا أحاكمك بنيات المحاكم المعاقب بل بنيات المبرئ المنقذ بأقوى وأشمل وأصدق أساليب التبرئة والإنقاذ وهي التبرئة لك من أن تكون قد وجدت أو أنك قد توجد في أية فترة من فترات التاريخ الكوني أو في أية صيغة من صيغ الوجود أي من صيغ وجودك؟

إذن ألست أنا في محاكمتي لك أرحم محاكم عرفته يا إلهي أو قرأت أو سمعت عنه، أو عرفه أو سمع أو قرأ عنه الكون أو البشر؟

.. آه يا إلهي لو تستطيع أن تفهم أو تتصور قسوة إشفاقي عليك وحناني ورثائي لتعاسة ويأس ودمامة وضعك وموقفك.!

إنك لو فهمت أو تصورت ذلك لرأيت لضخامة وقبح ذنبك إنك أنت وحدك الذي يجب أن يعذب في جحيمك الذي أعددته لتعذيب خصومك..

.. إني أطالب كل عقل أن يحاور ويحاكم ويسائل نفسه كما أطالب كل عاقل وكل من يحتمل أن يكون أو يزعم عاقلاً أو بعض عاقل أن يحاور ويحاكم ويسائل نفسه:

هل يمكن الدفاع عن الكائن الموضوع المزعوم المفروض فوق هذا الكون أو الغفران له أو الستر أو الإشفاق عليه إلاّ بطرده من هذا الوجود ومن نفسه أي إلاّ بتبرئته من الاتهام الوقح العدواني بأنه موجود أو بأنه كان موجوداً، أو بأن من المحتمل أو المعقول أو المقبول أو المغفور أن يصبح موجوداً.!. إني أطالبك أنت يا إلهي أن تحاور وتحاكم وتسائل نفسك وعقلك وأخلاقك في هذه القضية.!

.. ما أعظم وأصعب وأقسى وأقل أن يحاور ويحاكم ويسائل العقل نفسه أو العاقل عقله أو العقل صاحبه!

ما أكثر وأبشع وأردأ تسامح العقل مع نفسه والعاقل مع عقله والعقل مع صاحبه مع أنه لن يوجد أو يتصور أفضل أو أنبل أو أنفع أو أوجب من قسوة وصرامة العقل في محاسبته ومحاكمته ومخاطبته ومساءلته لنفسه، وكذا العاقل لعقله، وكذا العقل لصاحبه. أما أنت يا إلهي فيجب أن تحرقك هذه المحاورة والمحاكمة والمحاسبة والمساءلة.

. آه يا إلهي.. إن كل مواجهاتك حرائق، حرائق. إذن كيف لم تحترق؟ ما أقسى وأقبح برودتك!

.. هل وجد أو هل يمكن أن يوجد صمت مثل صمت العقل عن محاورة ومحاكمة ومحاسبة ومساءلة نفسه، أو مثل صمت العاقل أمام عقله وفي تعامله مع عقله أو مثل صمت العقل أمام صاحبه وفي تعامله معه؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد مذنب أو متبلد في صمته عن أية محاورة أو محاسبة أو محاكمة أو مساءلة أو حتى معاتبة أو مراجعة أو مشاورة لعقله أو ضميره أو أخلاقه أو نياته أو إراداته أو لأي شيء من تاريخه مثلك يا إلهي الأصم الأخرس في كل تفاسيره وصيغه.. الذي لا يستطيع كل العلم في كل التاريخ والكون أن يعالج شيئاً من خرسه

وصممه؟ ليت عبقرياتك واهتماماتك التي استهلكت لخلق العاهات والتشوهات والحشرات استهلكت لعلاجك من الخرس والصمم يا إلهي. . آه يا إلهي! . ليتك تستطيع أن تعرف ماذا يهبك المنكرون لوجودك من جميل وإنقاذ وستر بل ومحبة وتكريم. . ليتك تستطيع معرفة ذلك، ليتك تستطيع معرفة ما لا يستطيع أحد جهله!

. . ولو عرفت هذا الذي أتمنى أن تعرفه لتقدمت إليك بأصدق الرجاء طالباً الغفران لكل من اعتقدوك موجوداً فوق هذا الكون مسؤولاً عن كل ما فيه، محاكماً محاسباً به. . !

إني حينئذ سوف أطالبك بالغفران مع أنهم لا يستحقون أي غفران. إني أعترف جداً بذلك. إنهم يستحقون كل العقاب وأقساه. .

ولكني أريدك حينئذ أن تكون نبيلاً وشهماً وغفاراً بقدر يتساوى مع ضخامة ذنبهم وإساءتهم واتهامهم أي الذين زعموك موجوداً. وهل يمكن أن يتساوى أي شيء مع إثم وقبح وعدوان من تصوروا مسؤولاً فوق الكون؟

. . إن عدوانهم عليك ضخم بلا نموذج لهذا أريدك أن تكون ضخماً لأنك غفرت لهم عدوانهم الضخم القبيح الذي هو بلا نموذج. !

ولكن ألست أنا هنا أراك موجوداً لأني أخاطبك وأطالبك بالغفران لهم؟ إذن أنا مذنب مثلهم أطالب لنفسي الغفران الذي أطالب به لهم. ولعلي حينما طالبت بالغفران لهم إنما أردت الغفران لي. !

هل أنا ساذج جداً حين كشفت لك عن هذه الحقيقة التي لعلك لن تعرفها لو لم أقلها لك؟ إن فهمي لمستوى فهمك ليكاد يقنعني أنك لن تفهم ذلك وحدك أي دون أن أبوح به لك. !

ولأني هنا يا إلهي أحاورك وأحاكمك فقد بدوت متأثراً بك، بأسلوبك ومنطقك أي بدوت أهذي بأسلوب ونيات من يفكر ويحاور ويحلل ويتكلم مثلما تفعل أنت يا إلهي حينما يروى عنك إنك تأمر وتنهى وتعلم وتخبر وتطالب وتوحي وتنزل الكتب والتعاليم وتتحدث عما في العاهات والتشوهات والأمراض والآلام والجنون من حكمة ورحمة وإبداع وشهامة. !

. . . ولكن الفرق عظيم بين هذياني وهذيانك. فأنت تهذي جاداً راضياً عن هذيانك معجباً مقتنعاً مباهياً متحدياً شاتماً مشاتماً به. !

أما أنا فأهذي هازلاً ساخراً مستحيياً متألماً مفجوعاً محاولاً كشف وإبطال هذيانك

أي هذيانك الذي ترويه الكتب، عن الأنبياء، عن الأشباح عن الملائكة، عن العرش، أو الذي يرويه العرش عن الملائكة عن الأشباح، عن الأنبياء، عن الكتب.. عن الكتب التي كتبها وقرأها وأنزلها من لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون لماذا يقرأون ويكتبون ولا ماذا تعني أو تفيد القراءة والكتابة، ولا كيف تكون القراءة والكتابة وهل لهما شروط أو أخلاق، وماذا يُراد منهما وهل يراد منهما أي شيء. ولا لماذا القراءة والكتابة، وهل للقراءة والكتابة أهداف أو تفاسير غير القراءة والكتابة، غير التعبد والصلاة والتصديق لما يقرأون أو يكتبون.

.. ومن يرون أن من يقرأ أو يكتب لا يقرأ ولا يكتب ولا ينبغي له ذلك وإنما يصلي ويتعبد ويؤمن.!

.. ومن يتحسرون على الإنسان لتمرده على فطرته وعفته وبراءته وطيبته وتقواه حين ابتكر القراءة والكتابة وتعلمها وحاول أن يتعلمها ويعلمها..

.. ومن يرون أنه لو كانت القراءة والكتابة شيئاً طيباً أو جميلاً أو نافعاً أو عظيماً أو تقياً لتحولت كل السموات وعروش الإله ومخابئه ومجالسه ومراقده إلى مدارس لتعليم القراءة والكتابة، ولتنزل اللّه وملائكته وزبانيته وكل سكان سمواته بل وسكان جحيمه وفردوسه من سمواتهم وأماكنهم، ليتحولوا جميعاً بقيادة الإله إلى معلمين للقراءة والكتابة..

ليحولوا كل البيوت والمعابد إلى مدارس ليكون الإله فيها الأستاذ الأول لتعليم القراءة والكتابة.!

نعم، إنهم ليفكرون ويتساءلون ويقولون دون أن يستطيعوا أو يجرؤوا أو يعرفوا أن ينطقوا:

إذا كانت القراءة والكتابة شيئاً طيباً أو جيداً أو مطلوباً أو أخلاقياً أو شيئاً غير ضار أو مفسد أو قاتل أو مهين أو محقر أو هاج للإله وللقيم النفسية والعقلية والإنسانية والسماوية الإلهية فلماذا يزرع ويخلق الإله في الإنسان همومه وشيخوخته وموته وأمراضه وعاهاته وتشوهاته وتفاهاته وفضائحه وشعره وأظفاره وجميع إفرازاته ساعة ولادته بل وقبل ولادته ولا يزرع أو يخلق فيه القراءة والكتابة، أو لا يخلقه ويصوغه قارئاً كاتباً بالأسلوب والحتم والسهولة والضرورة التي يخلقه ويصوغه بها باكياً وحزيناً ومستفرغاً باصقاً مريضاً ميتاً مفتضحاً..

.. لماذا يخلقه أي يخلق الإله الإنسان مريضاً وشيخاً ونذلاً ومفتضحاً ولئيماً

وحزيناً وباكياً وجباناً ومنافقاً وذليلاً بلا تعليم أي يخلقه محكوماً عليه بأن يكون كل ذلك بلا تعليم أو تعاليم بل وضد كل التعليم والتعاليم. ثم لا يخلقه قارئاً وكاتباً بهذا الأسلوب والحتم أي بلا تعليم؟ إنه يخلقه يمرض ويضعف ويهرم ويموت بلا تعليم فلماذا لا يخلقه قارئاً وكاتباً أو عارفاً القراءة والكتابة بلا تعليم؟

.. أليس الإله الذي يخلقنا ويخططنا ويدبرنا ويصوغنا محكوماً علينا بالمرض والشيخوخة والموت والتفاهة وبكل أساليب الاستفراغ تحت كل الظروف ثم لا يخلقنا أو يخططنا أو يدبرنا أو يصوغنا كذلك أي محكوماً علينا بمعرفة القراءة والكتابة تحت كل الظروف، هو إلهاً معادياً للقراءة والكتابة، إلهاً يرفض أن نكون قارئين أو كاتبين، وحين نصبح قارئين أو كاتبين فلسنا إلاّ عصياناً وغيظاً وتعذيباً بل وإهانة له. لإرادته خطته وكرامته ورؤيته بل ولبداوته وجهالته؟

في الفردوس تتجمع كل أسباب الشر
والعرب وعبيدهم في الدين.. هم كل سكان الفردوس

نعم. يا إلهي لقد رأيت وأعلنت أن أي شيء وكل شيء لا يستطيع أن يداوي قلوب أو أخلاق أو حتى ألسنة قومك وأصدقائك العرب من الأحقاد والبغضاء والعداوات والخصومات والسباب المعجز في تفوق كل ألوان بذاءاته على كل البذاءات. .

رأيت وأعلنت أن كل الأنهار والبحار وكل المطهرات والمعقمات لا تستطيع أن تطهر أو تنظف أو حتى تذيب أو تخفي شيئاً من عفونات جلودهم وثيابهم الأخلاقية كل الرثاء للآذان التي تنصب فيها الأصوات والشتائم العربية. !

. . رأيتهم يا إلهي هذه الرؤية القاتلة ولكن دون أن تكون ظالمة.

. . رأيتهم كذلك حينما كان عددهم لن يتجاوز كثيراً أو لن يبلغ العدد الرهيب في ضخامته. . الذي قاسيت وقاسيت مستلهماً ومعتصراً كل خيالك الإلهي لكي تستطيع تصوره وتتجرأ على تصوره وعلى النطق والجهر به حين قلت وكأنك تعلن عن عبقريتك الخيالية وترهب من سوف يسمعونك:

«فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون». . !

. . لا بد أنك يا إلهي حينما نطقت بكلمة: «مئة ألف» كنت مبهور الأنفاس مختنق الصوت حتى لبكت الملائكة حولك وكل من رأوك أو سمعوك رثاء لك وإشفاقاً عليك واستحياءً لاستحيائك أو لفقدك الاستحياء وحاجتك إليه حينما تجرأت على النطق بكلمة: «مئة ألف أو يزيدون». .

هل كنت يا إلهي تتصور جرأة أو عبقرية مثل جرأتك وعبقريتك حين نطقت بـ: «مئة ألف أو يزيدون»؟ يزيدون عن مئة ألف!.

. . كذلك يا إلهي رأيت العرب هذه الرؤية القاتلة ولكن دون أن تكون جائرة أو كاذبة أو مبالغة أو مخطئة أو حتى مرادة أو متعمدة أو مفرحة لك أو لأحد من أعوانك أو مستشاريك.

ـ نعم رأيتهم هذه الرؤية حينما كانت خيامهم ومكتهم ويثربهم وزمزمهم ومأربهم وبلقيسهم وهدهدهم وصحراؤهم ودهناؤهم وقصائدهم ومعلقاتهم وأصنامهم الطيبة البريئة المسالمة المصنوعة من التمر والخشب والحجارة والتراب الظمان، الظمان المصنوعة من التمر أحياناً المفقود الغالي القليل جداً. . المصنوعة من هذا التمر إن وجد لتكون مقدسة جداً. .

ـ نعم، حينما كان ذلك هو كل كونهم وعالمهم ورؤاهم وتطلعاتهم وأشواقهم وقراءاتهم وتصوراتهم وكل آلهتهم ومذاهبهم وفلسفاتهم وعباداتهم وانتماءاتهم وتفسيراتهم وكل عداواتهم وصداقاتهم المذهبية والفكرية والأخلاقية والدينية والكونية والعالمية والتحالفية الانتمائية. .

رأيتهم أي العرب يا إلهي هذه الرؤية التي لن تستطيع ولن يستطيع أي إله ولا أي كائن آخر أن يرى مثلها في قبحها وإيلامها وصدقها حينما كان عددهم ووجودهم ومكانهم وكينونتهم وكل تفاسيرهم وحدودهم هو ما ذكرت وقرأت وفسرت لك وأسمعتك. .

إذن ماذا يمكن أن تكون رؤيتك لهم أي للعرب وماذا يمكن أن يكونوا بعد أن يصبح تعدادهم شيئاً تهاب وتذعر جميع أجهزتك وأجهزة أعوانك الحسابية من التحديث فيه والتصور له. . بعد أن يصبح كل ما لديك ولدى مساعديك من أوراق وأقلام ألواح ومداد عاجزاً عن إحصاء تعدادهم. . بعد أن يصبح ملائكتك المجندون للرقابة والاحصاء والتجسس على البشر عاجزين عن القيام بعملهم لقلة عددهم مهما حاولت أن تزيد في تعدادهم أمام تعداد أبناء العروبة. .

. . بعد أن تصاب يا إلهي بأقسى أزمة ورقية قلمية مدادية أي حبرية ورقابية تجسسية، أي بعد أن يصبح كل ما لديك وكل ما تملك وتستطيع أن تنتج وتخلق وتعد من ورق وأقلام ومداد أي حبر وألواح محفوظة وغير محفوظة ومن ملائكة وزبانية للتجسس والرقابة على البشر.

. . بعد أن يصبح كل ذلك عاجزاً عن أن يؤدي شيئاً من وظائفه أمام تعداد أبناء العروبة الذي لا بد أن يغرق فيه أي في تعدادهم كل خيالك وتصورك وحساباتك ورؤاك

العقلية والرياضية والحدسية أنت وكل أجهزتك ومعاونيك الكونيين والسماويين؟. نعم يا إلهي إن تعداد أبناء العروبة لا بدَّ أن يتحول إلى أقسى أزمة لجميع أجهزتك الحسابية والاحصائية والرقابية التجسسية.. ويبدو يا إلهي أنك قد أصبت بغفلة شاملة أو بغلطة قاتلة حين عجزت أو غفلت عن تصور العدد الذي لا بد أن يكونه أبناء العروبة قبل أن تستقبلهم لكي تضعهم في فردوسك البائس الكئيب الحزين المهان بساكنيه والمهان به ساكنوه.!

وحتماً سيصنع لك تعداد العروبة الذي كان والذي لا بدَّ أن يكون والذي عجرت عن معرفته بل وعن تصوره سيصنع لك ورطة هائلة.!

.. إن جميع أجهزة الإحصاء والرقابة والمحاسبة والتسجيل أو الجاسوسية ستعجز عن الاحصاء والرقابة والتسجيل عليه وعن المحاسبة له لتفوق أعداده الساحق على أعدادها وقدراتها. إن هذه الأجهزة لا بدَّ أن تعلن هزيمتها أمام أعداده!

.. وأيضاً سيعجز فردوسك الذي خططته وقدرته وأعددته لإيوائهم عن إيوائهم.. سيتحول إلى أزمة سكن ومكان وحركة لا مثيل لعذابها وقبحها. وهذه الأزمة في الفردوس لا بدَّ أن تتحول إلى فوضى لتتحول هذه الفوضى إلى فساد أخلاقي.!.. ولكن هل يجوز يا إلهي أن تلام على عجزك عن تقدير أو تصور التعداد الذي لا بدَّ أن تنتجه موهبة التناسل أو التفريخ العربية أو موهبة الاستفراغ القبيح البليد فوق السرر العربية المسمى توالد أو ولادة؟

إن كل حظوظ وحقوق واحتمالات وطاقات الإنسان العربي في أن يلد العبقرية أو الذكاء أو الإبداع أو الأخلاق القوية أو الشجاعة أو الجمال الإنساني في أية صيغة من صيغة قد تحولت إلى توالد وتفريخ عدد بلا قيمة أو معنى بل ضد كل قيمة ومعنى.. بل ضد كل قيمة ومعنى.

إني أكرر يا إلهي إن توالد العرب إن لم تفعل شيئاً لوقفه لا بدَّ أن يتحول إلى اختناق في الأرض والفردوس معاً.

.. إنه توالد ازدحام وتضخم لا ضخامة. لقد جاء هذا التوالد أو التفريخ العربي ليكون فيما يبدو تعويضاً أليماً بليداً عن المعاني الإنسانية الأخرى.!

إنه أي الإنسان العربي بقدر ما يتحول إلى طوفان في ولادة صيغة أو صورة الإنسان يتحول إلى قحط شامل في ولادة معنى الإنسان..

إنه لا أخسر ولا أردأ من توالد العدد والتراكم بلا أية ولادة لأية قيمة. !

. . ولا بدَّ أن تزداد الأحقاد والبغضاء والعداوات وتزداد أسباب واحتمالات تصادمها بقدر ما تزداد أعداد من تقذف وتفرز نفوسهم وأخلاقهم وذواتهم وألسنتهم كل أنواع السوء والقبح إفرازاً وقذفاً آلياً. ولا بدَّ أن يزداد هذا الإفراز والقذف في أي مكان وفي كل مكان تزداد فيه أعداد هؤلاء المفرزين القاذفين حتى ولو كان هذا المكان هو الفردوس بل ولا سيما إذا كان هذا المكان هو الفردوس. !

أليست احتمالات الشر والقبح في بيت يقيم فيه عشرة من هؤلاء البشر المفرزين القاذفين آلياً وذاتياً للأحقاد والبغضاء والعداوات أكثر من احتمالات ذلك في بيت يقيم فيه خمسة فقط من هؤلاء البشر؟

. . لهذا أليس العرب كلما تكاثرت أعدادهم في الدولة أو في البيت أو في الفردوس أو في أي مكان تكاثرت الشرور والأحقاد والعداوات والبغضاء بينهم وتكاثرت احتمالات المواجهات الأليمة البذيئة الفضاحة بينهم؟. أليسوا كلما كثروا قبحوا وافتضحوا؟ لهذا أليسوا أي العرب كلما كثروا ضعفوا؟ سلوا إسرائيل عن ذلك، سلوها.

سلوا التاريخ. سلوا تاريخ التاريخ. !.

ولكن أليست مساءلة التاريخ عن معاملة العرب له وعن مسيرتهم فيه نكأً أليماً لجراحه وتذكيراً بذيئاً له بفضائحه وضعفه؟

أليس التاريخ يحتاج إلى أعمال كثيرة من أعمال الستر والتجميل ولو كذباً؟

. . إذن كم يعذبنا تصورنا لقبح الفردوس وقبح وبؤس حظوظه كلما تصورنا وقدرنا تعداد أبناء العروبة الذي سوف يكون بعد أن آمنا وأعلنا أن العرب جميعاً لا بدَّ أن يسكنوا الفردوس وأن يكونوا هم وحدهم سكانه وملاكه أي ومن يأذنون له بأن يكون معهم هناك لأنه كان من مواليهم ورعاياهم وعبيدهم في النبوة والإيمان والدين والإله. !

إن أتباع ورعايا نبي من الأنبياء هم رعايا وأتباع لشعبه.

أليس العرب هم أنبياء العالم ومعلميه لأن نبيهم هو نبي كل الأنبياء ومعلمهم؟

أليسوا أي العرب هم خاتم البشر والعالم كله لأن نبيهم هو خاتم الأنبياء؟

هل لكون النبي العربي خاتم الأنبياء تفسير غير أن الشعب العربي هو خاتم الشعوب؟ أليس الشعب الذي يلد نبياً معلماً لكل العالم يصبح المعلم لكل العالم؟ أليس الشعب الذي يعطي ديناً هو المنقذ للعالم يصبح أي هذا الشعب هو المنقذ للعالم؟

.. إذن هل يمكن أن يكون الفردوس سكناً أو ملكاً لغير الشعب الذي هو خاتم الشعوب والذي نبيه هو خاتم الأنبياء أي وسكاناً لرعايا وموالي وعبيد هذا الشعب الذي هو خاتم الشعوب؟ لماذا نبي العرب هو خاتم الأنبياء؟

هل لهذا من جواب غير أن يقال: لأن العرب هم خاتمة الشعوب؟

.. أليس النفط العربي قد قال ذلك وشهد عليه وأقنع به؟ أليس النفط العربي قد جاء شهادة للعرب بكل ذلك أقوى إقناعاً وروعة مما جاء نبيهم وكتابهم اللذان هما خاتم الأنبياء والكتب؟

هل استطاع أو يمكن أن يستطيع الإله أن يجد وسيلة يقنع بها أن العرب هم خاتم الشعوب كما كان نبيهم وقرآنهم خاتم الأنبياء والكتب المنزلة. وعلى أنهم هم وحدهم ملاك الفردوس وسكانه والمتصدقون به على من يشاؤون.

.. نعم، هل استطاع الإله أن يجد وسيلة لإثبات ذلك مثل النفط أو غير النفط العربي؟ كان الإله مسحوراً بالنفط قبل أن تعرف أو يعرف قيمته. ويظهر أن له حدساً حضارياً. !

.. إن الإله لم يهب شهادته لأحد أو لشعب مثلما وهبها للعرب حينما وهبهم النفط بالأسلوب الذي وهبهم إياه. !

لقد أراد أن يشهد للعرب بالكلمة والنبوة فلم تستطع شهادته أي شهادة الإله هذه أن تفعل شيئاً أو تقتنع بشيء إلاّ لدى الذين لا يعون معنى الشهادة أو معنى الإقناع والاقتناع ولا معنى أي شيء.. فاهتدى أي الإله أن يشهد لهم أي للعرب الشهادة التي لا بدَّ أن تسقط أمامها بل وتحتها كل الشهادات والمساءلات والمقاومات بل وكل الشهامات والكرامات والبسالات. أي فاهتدى إلى أن يشهد لهم بالنفط. النفط. !. لعلك يا إلهي قد قاسيت لكي تفعل شيئاً تعرض به عبقريتك وقوتك وثراءك فلم تجد إلاّ النفط. ثم قاسيت وقاسيت لكي تجد من يستحق أن تهبه هذا الكائن المجنون بكل جنون السرف فلم تجد إلاّ العرب. أو لعل هذا الكائن المجنون رفض أن يكون عاشقاً أو معشوقاً إلاّ للعرب!

.. ولكن يا إلهي قد يكون التفسير لسلوكك النفطي العربي تفسيراً أليماً لا كريماً ولا تكريماً. وهل يمكن أن يكون شيء من سلوكك يا إلهي كريماً أو تكريماً؟

.. قد يكون التفسير أنك قد ظلمت العرب ظلماً إنسانياً فحاولت بتسرع وبلا ذكاء أو دراسة أو رؤية أن تكفر أو تعوض عن ذلك تكفيراً أو تعويضاً نفطياً. أي أنك لم

تستطع أو ترد أو تعرف أن تهبهم حقهم من المواهب والطاقات الإنسانية فذهبت تحت تأنيب وتعذيب ضميرك لك وتحت استنكار من حولك من سكان السماء تهبهم هذا الكائن العجيب المسمى نفطاً بكل هذا الجنون دون أن تدري أو تحاسب ما تفعل. !. وهل وجد أو يمكن أن يوجد من لا يدري ما يفعل أو من لا يحاسب ما يفعل مثلك أو غيرك يا إلهي؟

* * *

وأيضاً يا إلهي لقد رأيت العرب هذه الرؤية التي تعلن وتعني تمكّن وأصالة الأحقاد والبغضاء والتعادي في أنفسهم وعلاقاتهم ومواجهاتهم ـ رأيتهم هذه الرؤية القاسية الصادقة حينما كانوا مختبئين وراء رمالهم وصحرائهم وخيامهم مع أغنامهم ونياقهم وأصنامهم النظيفة الصامتة المهذبة التي لا تستطيع أو تريد أو تعرف أو تقبل أن تعلم الحقد أو البغض أو الغرور أو التعصب أو العداوة أو العدوان أو الاتهام أو الصراخ أو تفضيل إله أو حقد أو غباء أو سفه على إله أو حقد أو غباء أو سفه آخر. .

. . التي لا تستطيع أو تريد أو تعرف أو تقبل أن تعلم أو تفسر أو تبتكر الألوهيات أو النبوات أو الزعامات أو الانتماءات أو المذهبيات أو التكتلات أو الشعارات أو القراءات المسوغة والمعلمة والمفسرة والمبتكرة والخالقة والمحرضة لكل الأحقاد والبغضاء والعداوات والنذالات والملاعنات والمخاصمات والاتهامات والحروب لكي تزداد اشتعالاً واحتراقاً وإحراقاً وانتشاراً وقسوةً وضجيجاً وقبحاً وافتضاحاً وسخفاً وجنوناً عالمياً وكونياً تحت كل تفاسير التقوى والحب والرحمة والفداء والذكاء والعطاء والإنسانية. .

آه يا إلهي أريد أن أسألك وأن أسمع منك الجواب الذي أطالب وأرجو أن يكون جواباً صادقاً وشجاعاً وذكياً. .

. . نعم. أريد أن أسألك: هل عوقب البشر أو أهينوا أو فضحوا بشيء مثلما عوقبوا وأهينوا وفضحوا بالألوهيات والنبوات والزعامات والقيادات والانتماءات والشعارات والمذهبيات والتكتلات المتخاصمة المتعادية المتلاعنة المتحاربة المتبارزة المتفاخرة المتكبرة الزاعمة أنها هي كل تفاسير ومنطق الحياة والتاريخ والكون وكل شيء. . أي الزاعمة كل واحدة منها أنها هي وحدها كل ذلك ولا سيما الثورية منها؟

أليست هذه أي الألوهيات والنبوات والزعامات والقيادات والانتماءات والشعارات والمذهبيات هي أشمل وأشهر وأقوى أجهزة شحن الإنسان والتاريخ بالحقد والبغض

والعداوة وبكل معاني الشر والقبح المفسر تفسيراً دينياً أو علمياً أو تقدمياً أو أخلاقياً أو إنسانياً أو حضارياً أو وطنياً قومياً أو مفسراً بكل ذلك؟

هل استطاع الإنسان أن يحارب نفسه مثلما حاربها بآفاته هذه؟

.. هكذا يا إلهي رأيت العرب وأعلنت عن رؤيتك لهم بكل هذا الصدق الأليم حينما كانوا كما ذكرت لك مكاناً وكينونة ومعتقدات وآلهة..

إذن ماذا يمكن أن تراهم وأن يكونوا بعد أن أصبحوا منتشرين أي وجوداً ومواجهة فوق كل قمم العالم وتحت كل حضيضه. داخل كل عيوبه وذنوبه وثيابه وصعابه وعذابه.. وبعد أن تكون مواهب الحقد والبغض والتعصب والبذاءة النفسية واللغوية فيهم قد استقبلت وتعلمت واستوردت وامتصت وقرأت وغنت كل أحقاد وبغضاء وقبح وسفه ونذالة كل العالم. معلمة ومفسرة ومسوغة بل ومقدسة ممجدة موزعة بكل الأساليب واللغات. من فوق كل المنابر والأصوات.

باسم كل المذاهب والثورات والتقدم والحب والجمال ومقاومة كل أعداء الإنسان.. كل الأبالسة الذين لم يروا أو يسمعوا أو يوجدوا ولن يروا أو يسمعوا أو يوجدوا.

.. وبعد أن تكون مواهبهم أي مواهب العرب قد حولت كل الآثام الشرور والسيئات والدمامات النفسية والأخلاقية واللغوية التي تلقتها واختزنتها ـ قد حولتها إلى أخلاقها وخصائصها هي الأصيلة المتفوقة جداً في هذه الرذائل الإنسانية.. في تخلقها وإنباتها وقوتها وعدوانيتها وشمولها واستفراغها وبذاءتها. وأيضاً في استقبالها لها وتعلمها وتطويرها إلى الأقبح الأوقح الأكثر فضحاً.؟

.. إنه لمحتوم أن يحول المستقبلون الآخذون المتعلمون ما استقبلوه وأخذوه وتعلموه إلى أخلاقهم وطاقاتهم وخصائصهم هم ويحكموه ويصوغوه ويفسروه ويعبروا عنه بها..

.. إن الإنسان بل وأي كائن لا يساوي ما يقرأ أو يرى أو يواجه أو يسمع بل يساوي معانيه وقدراته وأخلاقه في ذلك وفي كل ما يفعل بل ويريد.. يساوي قدرة كل معانيه على التعامل مع ذلك.

ولهذا فإن الإنسان العربي وكذا كل إنسان آخر يحول كل نظام أو مذهب أو اعتقاد أو انتماء أو حتى دين أخذه أو آمن به إلى شيء عربي في كل صيغه وتفاسيره وأخلاقه

ولغاته. في ضعفه وانهزامه. ولا يتحول أو يستطيع أن يتحول أي الإنسان العربي إلى مستوى أو ذكاء أو أخلاق أو تفاسير ما أخذه وآمن به. إن الإنسان لا يساوي انتماءاته وشعاراته المذهبية إلاّ بقدر ما يساوي ذاته المادية والمعنوية ثيابه. أليست الانتماءات المذهبية نوعاً من الملابس الخارجية؟

. . قد يكون الحقد والبغض والبذاءة النفسية والتعبيرية والعدوانية عند الإنسان ما عدا الإنسان العربي حالة شاذة وطارئة وقليلة تصنعها ظروف وانفعالات خاصة تجيء بقدر الحاجة أو الضرورة أو الغلطة. . تجيء وكأنها الدفاع عن النفس والحق وعما يجب الدفاع عنه. . تجيء باعتذار واستحياء ومقاساة عقلية ونفسية؟

. . تجيء بلا شهوة أو شوق أو فرح أو سعادة. !

. . أما عند الإنسان العربي فإنها أي الأحقاد والبغضاء والبذاءات النفسية واللغوية العدوانية أصالة وولادة وموهبة. .

. . إنها خصوبة ذات كينونة وتاريخ تاريخ. !

. . إنها تتخلق فيه تخلقاً ذاتياً كما تتخلق أعضاؤه وأظافره وإفرازاته الكريهة. . إنها وجود وحياة وغذاء وسعادة وعبادة وفرح. .

. .إنها مجد وبطولة وعبقرية وقومية ووطنية ونضال ضد كل الأبالسة بل ضد كل الملائكة أي الأحقاد والبغضاء والبذاءات النفسية والأخلاقية والتعبيرية، أي في حساب ومنطق وسلوك الإنسان العربي. !. إنها أي الأحقاد والبغضاء والخصومات والبذاءات النفسية والأخلاقية والمنبرية هي أخلد وأشهر أمجاد وبطولات الإنسان العربي في كل تاريخه. !

. . إنه لو وجد أو اعتقد أن كل من في الوجود يستحقون حبه ورضاه وإعجابه وثناءه ولم يجد أو يعتقد من يستحقون حقده وبغضاءه وعدوانه النفسي والأخلاقي والتعبيري لعذبه ذلك أشد العذاب ولكان مضطراً إلى أن يوجد أو يتصور أو يعتقد من يستحقون أن يستفرغ عليهم كل كنوزه النفسية والأخلاقية المعفنة البذيئة. إنه لا يسعد بأن يجد من يستحقون الحب أو الإعجاب أو التقدير أو الاحترام بل بأن يجد من يستحقون كل النقيض لذلك. !

. . ولكن أليس الذين يستحقون حبه ورضاه وإعجابه وثناءه هم الذين ينالون أردأ وأكثر أحقاده وبغضائه ولعناته واتهاماته؟

إنه لو وجد من يستحقون الحب والرضا والإعجاب والتمجيد لامتلأت نفسه لهم بنقيض ذلك. !

ولكن كيف؟ هل الإنسان العربي يحب أو يرضى أو يعجب؟ هل يتخلق بشيء من هذه العواطف لكي ينقسم الآخرون في رؤيته وحسابه إلى من يستحقون الحب أو الإعجاب أو الرضا أو أنه يمكن أو يجب التعامل بها أو ما الفرق بينها وبين نقيضها؟

وهل يعرف الفرق بين من يستحقون الشيء ومن يستحقون النقيض؟

إن كل عواطف الإنسان العربي هي: يشتهي أو لا يشتهي، يريد أو لا يريد، يجد أو لا يجد، يخاف أو لا يخاف أي من هذا الشيء أو الإنسان أو المكان أو الحدث مثل عواطف كل الكائنات الحية التي هي دون الإنسان تطوراً. !

.. إن حبه ليس حباً بل شهوة وجوع واضطرار وإن ثناءه ليس ثناء بل نفاق وملق، وإن إعجابه ليس إعجاباً بل عجز وضعف، وإن تقبيله ومصافحته ليسا مصافحة أو تقبيلاً بلا عض وبصق وضرب وتلويث.. كما أن صلاته وهتافه وإيمانه ليست صلاة أو هتافاً أو إيماناً بل صراخ وجهل واستفراغ وسباب وجبن ورشوة.. كما أن رؤيته وقراءته ومحاورته ليست شيئاً من ذلك ولكنها ذهول وفراغ وتثاؤب ووقاحة ومشاتمة وتعر وعدوان وفضول وكسل وضياع وعمى.. كما أن تعليمه ليس تعليماً لا طلباً للعلم أو شوقاً أو حاجةً إليه ولكنه تجمل أو تكبر أو تدلل أو توقح أو تشبه أو تعطل أو تبطل أو تشبه أو تله أو مزاحمة.

.. كما أن لغته ليست كلاماً ولكنها انفعالات كريهة رديئة مسموعة. إنها ملاعنات ومخاصمات ومبارزات بذيئة. !

* * *

أكرر الاعتراف لك يا إلهي أن رؤيتك هذه للعرب رؤية نافذة حينما قلت:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم».

.. إنها رؤية تستحق التهنئة والإعجاب..

.. إن جميع الذين قاسوا كثيراً لكي يدللوا على ألوهيتك الصادقة الرؤية والنبوءة العالمة بكل الغيب، ويدللوا على صدق نبوة نبيك الذي روى لنا رؤيتك هذه للعرب وعنهم.

ـ نعم، إن جميع هؤلاء مهما حاولوا وناضلوا وتعبوا لن يجدوا برهاناً يدللون به

على ذلك مثل رؤيتك هذه في قولك هذا عن العرب في أجيالهم وتاريخهم: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم». .

. . إن أي كائن يحدق في العالم العربي اليوم ثم يقرأ رؤيتك هذه لهم يا إلهي فلا بدَّ أن يصرخ بكل انبهاره وتعجبه: صدقت أيها الرائي القائل. .

صدقت أيها الإله. . لقد كدت أيها الإله بهذه الرؤية المتنبئة أن تفرض علينا الإعجاب بك بل الإيمان بك وبنبيك الذي روى لنا رؤيتك هذه. !. آه يا إلهي هل أنت في هذه الرؤية للعرب إله أم ساحر أم دجال كذاب قال كلمة بلا رؤية ولا علم ولا ذكاء ولا صدق بل وبلا إرادة لأي شيء، فتحالفت وتناصرت كل أبالسة هذا الكون وأبالسة كل الأكوان الأخرى لتجعل هذه الكلمة صادقة جداً لتكون خدعة عالمية كونية كبرى، فاستنجدت أي كل هذه الأبالسة بكل مواهبها ومكرها وخبثها لكي تصوغ العرب في كل أجيالهم وتاريخهم صياغة تجعلهم تصديقاً مذهلاً باهراً للكلمة التي قالها هذا الدجال الكذاب؟

هل جاء العرب بكل هذا القبح الذي وصفته أو الذي وصف لتكون هذه القولة أو الرؤية عنهم ولهم صادقة؟

هل العرب ضحية كلمة غبية كاذبة قيلت أو قلتها أنت عنهم فأردت أو فأريد أن تكون صادقة؟

. . آه يا إلهي. إني لأخاف على كل العالم أن يخدع. ويؤمن بك وبالنبي الذي روى عنك هذه الرؤية للعرب لو أنه أي كل العالم حدق في العرب اليوم بعد أن كان قد قرأ تاريخهم ثم قرأ أي العالم قولك عنهم عن العرب:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم».

حاول أن تجعل العالم يرى العرب اليوم ويسمع قولتك هذه عنهم لكي يجن إيماناً وإعجاباً بك!

. . إني أنصحك يا إلهي أن تقرأ وتسمع وترى وتفسر وتعامل وتواجه عرب اليوم، دولاً وأحزاباً وانتماءات وشعارات ومذاهب وعقائد وزعامات وقيادات وصحافة وإذاعة وكتباً وأقلاماً وشعراء وعلماء وفنانين وهيئات ومؤسسات نيابية وبرلمانية واستشارية. . إسلامية واشتراكية. . شرقية وغربية، ولا شرقية ولا غربية.

ـ نعم، يا إلهي المحتاج إلى أن يجد ما يفرحه ويرضيه عن نفسه ومجده أنصحك

أن ترى وتقرأ وتسمع وتفسر وتواجه وتعامل كل ذلك أو حتى شيئاً من ذلك لكي تمتلئ فرحاً وسعادةً ورضاً وإعجاباً بنفسك وعبقريتك وبرؤيتك المخترقة لكل السدود والحدود والأحجية حينما قلت رائياً للعرب في كل أجيالهم وأوطانهم وتاريخهم ومذاهبهم وانتماءاتهم:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم». !

ولكن يا إلهي كم هو عذاب وخطر على عينيك وأذنيك وكل شيء فيك أن ترى أو تسمع أو تعرف عرب اليوم!

.. إذن يا إلهي كم أرجوك بل وأطالبك أن تعرف وألا تنسى للعرب هذه اليد التي أسدوها إليك، هذه الشهادة الكونية التي شهدوها لك أمام كل محاكم ومحاكمات التاريخ وفوق كل سطوره حين أثبتوا أنك صادق النبوة والرؤية عالم بالغيب لأنهم قد جاءوا في كل أجيالهم وتاريخهم كما قلت:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم».. !

لقد كنت يا إلهي في مجاعة قاتلة إلى أن تسجل في تاريخك الحزين مثل هذه الرؤية الصادقة التي صدقها لك العرب وحدهم.

.. أية أمة من الأمم استطاعت أو أرادت أن تصدق نبوءتك الرديئة الأليمة أو رؤيتك الغيبية الأليمة لها وعنها مثلما فعلت الأمة العربية؟ بل إن حياة كل الأمم تكذيب قاتل مهين لكل رؤاك ونبوءاتك المتشائمة والمتفائلة. !

فتش يا إلهي في كل سجلاتك وتاريخك تصدق كل ما أقوله لك؟

.. إذن ألست مطالباً بأن تعرف للعرب هذه النعمة التي أنعموها عليك.. هذه النعمة التي لن يتركوها أو يخترقوها.. التي لن يتراجعوا عن الالتزام بها ما بقيت وما بقوا، أن عليك ولك أن تطمئن إلى دوام هذه الهبة العربية لك بلا أي تراجع!.

.. إني لأفجع بكل إله وأرثي لكل إله تقبل أن تكون أو أن تظل له عينان أو أذنان أو عقل وقلب يحاسب ويحاكم ويفسر بهما الأشياء فلن يكون في كل تفاسيره إلاّ جماداً، جماداً أو كائناً عاشقاً لتعذيب نفسه. !

.. إن أردأ وأغبى وأنذل الحشرات لن ترضى أو تقبل أن تكون أو أن تظل لها عيون أو آذان أو أخلاق ترى وتسمع وتقرأ وتفسر وتفهم وتحاسب الأشياء وتشترط عليها ولها لو أنها رأت أو سمعت أو قرأت أو فهمت أو فسرت أو واجهت العرب اليوم،

وشهدت شيئاً من اجتماعاتهم ومؤتمراتهم محاسبة واعية لنياتهم ومعانقاتهم ومصافحاتهم وضحكاتهم وهمساتهم وحركاتهم وإيماءاتهم ونحنحاتهم ونظراتهم التي لا تعني شيئاً والتي ليس فيها ولا يمكن أن يكون فيها شيء من التحديث أو الرؤية أو النظر أو شيء من معنى العيون والنظرات أو من تفاسيرها ووظائفها ونياتها وأخلاقها! ما أشد احتياج العيون إلى أخلاق العيون، أي إلى أن تكون لها أخلاق. ما أقل العيون التي لها أخلاق والملتزمة بأخلاقها والعارفة لها. !

. . ما أقبح العيون بلا نظر، وأقبح النظر بلا رؤية، وأقبح الرؤية بلا رؤية ومحاورة ومحاسبة وأخلاق وقبول ورفض وإعجاب واستقباح. . ما أقبحها وأوقحها بلا أخلاق. !

ما أقبح صيغة العيون بلا عيون. . ما أقبح العيون ضد وظيفة العيون، إن العيون التي لا تؤدي وظائف العيون لن تكون إلاّ عاهات وتشوهات وعبثاً بليداً. .

. . ما أقبح الوجوه المزروعة فيها العيون التي هي ضد العيون، ضد وظائف العيون. !. أليست كل العيون ضد وظائف العيون حتى عينا الإله هما ضد وظائف العيون؟

أليست عيون الإله وملائكته وزبانيته وأنبيائه وأوليائه وأصدقائه وحراسه هي أكثر وأقسى وأنذل العيون خروجاً على تفاسير ووظائف العيون وعجزاً عنها وجهلاً بها؟

أليست عيون الإله وأعوانه هي أخرج العيون على أخلاق العيون وأفقدها لها؟

أليست عيون الإله وملائكته وزبانيته وأنبيائه وأوليائه وأصدقائه تتفوق على كل العيون في خروجها على كل وظائف العيون وفي عجزها عنها وتجاوزها لها حتى على عيون الزعامات والقيادات والعبقريات العربية. . حتى على جميع العيون العربية؟

وهل وجدت عيون تستطيع أن تتفوق على العيون العربية أو حتى تساويها في مناقضتها ومقاومتها وتجاوزها لوظيفة العيون وأخلاقها؟

نعم، لقد وجدت. إنها عيون الإله وأنبيائه وكل أصفيائه وأوليائه وأعوانه!.

. . إننا لا بد أن نقاسي من الحرج والرهبة والاستحياء حين نحاول أن نستثني بعض العيون من الحكم بأن كل العيون ضد وظائف العيون. !

ولكن ما هي وظيفة العيون وهل لها وظيفة معروفة أو مرادة؟

أليس من الممكن أن يقال أن وظيفة العيون هي ألا ترى لأن الرؤية عذاب وقبح ودمامة وعدوان وفضح وافتضاح؟

أليس هذا القول أصدق وأذكى وأرحم وأنبل من أن يقال: إن وظيفة العيون أن تحدق وترى لتكون عذاباً وتعذيباً شاملين وحشيين؟

إنه حينئذ لا يوجد ما يتفوق على العيون أو يساويها في التزامها بوظيفتها إذا كانت وظيفتها ألا ترى أي ضد الوظيفة لا بلا وظيفة!

.. هل تتقبل العيون أن تكون لها وظيفة؟ وهل قبلت أن توجد، أن تلصق بالوجوه إلاّ لأنها بلا وظيفة، أي إلاّ لأنها ضد الوظيفة المزعومة لها والمعلمة عنها؟

إنها لا توجد وظيفة تساوي أو تشبه وظيفة العيون في قبحها وفضحها وقسوتها وهجائها وإساءتها وتحقيرها لكل شيء لو وجدت ونفذت.. لهذا كان محالاً أن تكون لها وظيفة ومحالاً ألا تكون لها وظيفة مضادة لوظيفتها المزعومة والمعلمة..

مضادة لها بكل التفاسير والنتائج والمزاعم والتعاليم. هل كان يمكن أن يجرؤ أي كائن أو إنسان على النظر إلى المرآة أو يقبل أن توجد لو لم تكن عيناه مضادتين لوظيفتهما أي المزعومة؟

.. هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور مثل العيون رفضاً ونفياً وتقبيحاً وتشويهاً ولعناً وتسفيهاً لكل شيء ولكل أحد ولكل مرآة ولكل وجه وجمال بل ولكل إله ولكل من هو أعظم وأجمل من الإله أي إلهنا ومن كل إله آخر لو لم تكن ضد وظيفتها أي المزعومة والمعلمة؟ إن العيون الرائية لن ترفض أو تنفي أو تطرد شيئاً مثل رفضها ونفيها وطردها لاحتمال وجود أي إله فوق هذا الكون!

.. إن العيون لا تقبل بل ولا يستطاع أن تكون بلا وظيفة بل لا بد أن تكون لها وظيفة مضادة لكي يمكن التعامل بها ومعها وتكون قابلة مقبولة؟

بل ولكي تمكن معايشة الذات والكون ولكي يبدو ويرى جميلاً أي الكون أو أي شيء فيه.. إنه لا يمكن تصور عذاب وشقاء وانفجاع مثل عذاب وشقاء وانفجاع العيون وحامليها لو لم تكن مضادة لوظيفتها المزعومة والمعلمة. ما أمكر وأخبث وأدهى من علم العيون أن تكون ضد العيون!.

.. ماذا لو كان للإله عينان مبصرتان تريان أبداً كل ما يرى لتظلا أبداً تريان كل ما يرى ويظل كل ما يرى كما يرى أي تظل العلاقات بين عينيه وبين كل ما تريانه وكل شيء علاقات رضا وإعجاب وفرح وتلاؤم ومعانقة ومصافحة ومحبة وصداقة دون أن يتلاعنا أي عينا الإله وما تريانه ويتعاديا ويتضاربا ويتقاتلا ويتفجرا بكل تعبيرات وتفاسير الغيظ والغضب والانفجاع والاشمئزاز والاستقباح والاحتقار؟

. . إن الإله لو كان يرى لما وجد عذاب مثل عذابه بعينيه ومثل عذاب عينيه به ومثل عذابه وعذاب عينيه بكل شيء يرى ولا مثل الاحتقار والغضب والبغضاء والمخاصمة بينه وبين عينيه وبينه وبين كل شيء مرئي وبين عينيه وبين كل الأشياء التي يريانها. !

إذن فالعرب يا إلهي لن يدخلوا فردوسك وهم يحملون فقط الحقد النفسي والأخلاقي واللغوي والديني والطبيعي الذي رأيت ورويت وأعلنت مفجوعاً مذعوراً حزيناً يائساً، بل سوف يدخلونه وقد تضاعف وتعاظم حقدهم هذا تضاعفاً وتعاظماً يعجز خيالك يا إلهي وخيال جميع سكان سمواتك أن يتصوره أو يقرأه أو يحدق فيه. . نعم، سوف يدخلونه حاملين معهم كل ما في الكون والطبيعة من طاقات الحقد والبغض والفحش والأنانية والعدوانية والتعصب الأحمق البذيء محولاً كل ذلك إلى مواهبهم هم ومعبراً عنه بها. !

. . إذن يا إلهي هل يمكن أن توجد شرور أو احتمالات شرور أو مواقع تجمع للشرور مثل فردوسك ومثل شروره واحتمالات وحتميات شروره؟

إذن كم يجب الرثاء والبكاء والأسى على فردوسك هذا الذي سوف يخلف فيه أبناء العروبة وحدهم، وحدهم تقريباً. . أبناء العروبة الذين لم تسرف الطبيعة أو تسرف الآلهة في عطاياها مثل إسرافها حينما أعطتهم وزرعت وصنعت وأصلت وخلدت فيهم مواهب الحقد والبغض والمعاداة والمخاصمة والمشاتمة والمناطحة والعدوانية بكل صيغها وتفاسيرها ونياتها وتعبيراتها وبذاءاتها وسوقياتها؟ إن أحقاد العرب وعداواتهم ومخاصماتهم وبغضاءهم وخلافاتهم بلا شروط لا تعبيرية ولا عقلية ولا حسابية مع أن هذه الرذائل هي أشد الأشياء احتياجاً إلى الشروط. . ليتك يا إلهي تستطيع أن ترى كما يجب أن ترى وكما أريدك أن ترى لكي أقول لك انظر بجزء من عينيك إلى عرب اليوم بكل خصوماتهم وعداواتهم وملاعناتهم وتهديداتهم واتهاماتهم ومفاخراتهم المتبادلة المتبارزة المتحاقدة المتباغضة بكل هذه البذاءات والنذالات والقبح، ولكي أقول لك: إن هؤلاء بكل رذائلهم هذه سوف يخلدون في فردوسك أي وحدهم تقريباً. !

هل يمكن أن يصاب أحد بالذعر أو الافتضاح أو اليأس أو الكآبة أو بالعار الذي لا بدَّ أن تصاب أنت به حينئذ؟

. . ولكنك يا إلهي لا تستطيع أن ترى أو تسمع لهذا لا أستطيع أن أعاقبك هذا العقاب. . إن في الصمم والعمى والبلادة والخمول أحياناً لراحة ونجاة وعزاء وعذراً ولا سيما إذا كان المصاب بذلك هو الإله. !

لعل أذكى التفاسير لعماك وصممك وخمولك وبلادتك يا إلهي أن يقال أنك قد أصبت نفسك بذلك لئلا ترى العرب أو تسمعهم أو تحاول أن تفهمهم أو تفسرهم أو تقرأهم بعد أن رأيت أو سمعت أو قرأت شيئاً منهم أو بعد أن تصورتهم . .

. . وهنا أي في هذه القضية شيء مؤلم وحزين أنت حتماً يا إلهي لم تفطن إليه وهو أن كل أحد قد يرفض أن يكون من سكان فردوسك هذا الذي سيكون سادة سكانه وملاكه هم أبناء العروبة. إنه لاحتمال مزعج . .

. . . إن التعايش والتعامل مع العرب قد يكون ممكناً أو مستطاعاً أو محتملاً ما لم يكونوا هم السادة والقادة والأقوياء، أو ما داموا يذلون كل عبقريات وحضارات وإنسانيات وعقول وأخلاق العالم بجبروت نفطهم الذي هو ليس نفطهم ولن يمكن أن يكون نفطهم إلاّ بقدر ما يمكن أن تكون طاقته وقوته وجبروته وأخلاقه ونظامه وحضارته ولادة وإبداع طاقتهم وقوتهم وجبروتهم وأخلاقهم ونظامهم وحضارتهم، أو إلاّ بقدر ما يمكن أن يكونوا هم واهبيه ومعلميه كل مزاياه وسلطانه وانتصاراته أو إلاّ بقدر ما تساوي الذات أو الجسد ما تلبس أو يلبس من ثياب وأصباغ وحلى وزينات، أو إلاّ بقدر ما يساوي حامل الكتاب أو قارئه الكتاب الذي يحمله أو يقرؤه . !

. . هل يمكن أن نتصور ما لا بد أن يحدث لو أن سادة العرب وقادتهم وحكامهم وأنبياءهم ومعلميهم كانوا هم السادة والقادة والأقوياء والمحركين الموجهين لكل العالم في هذا العصر، مالكين كل قواه وعلومه وفنونه وأساليبه ووسائله وكل إنجازاته وإبداعاته المختلفة؟

هل يستطاع حينئذ تصور ما لا بدَّ أن يصيب كل العالم والكون والحياة من خراب وعذاب وسفه وجنون وكبرياء وإذلال وطغيان!؟

لنتصور أن زعيماً أو قائداً أو حاكماً أو أحداً من هؤلاء الزعماء والقادة والحكام العرب الذين نراهم ونسمعهم اليوم يصرخون فوق منابر الدنيا ويبصقون ويتقيأون على مسامع وعيون وعقول وأخلاق ونظافة كل العالم تحدياً وسباباً وتهديداً وتباهياً ولا سيما من يحسبون ويزعمون ثواراً أو ثوريين عرباً . . ثوريين اشتراكيين أو ثوريين إسلاميين . .

وهل يوجد فرق بين الثوري الاشتراكي العربي والثوري الإسلامي العربي؟

أليس كلاهما ثورياً إلى الوراء؟ وهل توجد ثورة أو ثورية أم يوجد إنسان يسمى ثورياً وثورة؟ أليس من لا يحسب ثورياً هو أحياناً أكثر ثورية من كل الثوار؟

. . نعم، لنتصور أن واحداً من هؤلاء العرب يملك كل الأسلحة المختلفة التي يملكها العالم اليوم ويحكم بل ويملك كل صانعي ومبتكري كل هذه الأسلحة، أو أنه قد أصبح أقوى من يملكونها ويحركونها ويوجهونها ويطلقونها ويهددون بها. . ولكن كم هو رهيب ومزعج تصور ذلك. !

. . لنتصور كل ذلك لكي ينتحر خيالنا وتفكيرنا لئلا يتصورا أو يفهما ما لا بدَّ أن يحدث حينئذ من الرزايا والأهوال والدمار والقبح والإذلال والجنون الخارج على أخلاق وذكاء ووقار ومنطق وأسلوب كل جنون. .

إنه تصور فقط. إذن ليكن الانزعاج غير قاتل. !

. . هل نستطيع أن نتصور ما سوف يقول لنا تصورنا لو تصورنا أن علماء وشعب قائد ثوري عربي من هؤلاء القادة الثوريين العرب المعاصرين ومثلهم من قبلهم وبعدهم هم أي علماء وشعب هذا القائد الثوري العربي أول من هبطوا فوق القمر أو أول من أطلقوا السفن والصواريخ الكونية، أو أول من صنعوا وفجروا القنابل النووية وعرفوا أسرار وتحويل الطاقة الذرية أو هم كل من عرف وفعل كل ذلك؟

إن كل تقوى العرب وفضائلهم ووقارهم وحبهم وتهذيبهم في أنهم ليسوا الأقوى أو الأعرف أو الأعلم أو الأذكى أو الأكثر. !. رهيب، رهيب أن يصبحوا أي العرب هم أقوى من يريدون ويأمرون ويدبرون ويحكمون ويفعلون. !

. . أما الفردوس فإن العرب سوف يكونون فيه هم الأقوى والأعلى والأعظم والأسود والأكثر. . إذن هل يمكن تصور بشاعات وقبح هذا الفردوس؟

. . إذن افزعوا، افزعوا يا سكان الفردوس ويا حراسه وموظفيه وزواره وعشاقه وطلابه، افزعوا، افزعوا لأن العرب سيكونون حكام الفردوس وحدهم دون أية قوة أخرى أقوى منهم تضبطهم وتزجرهم وتخيفهم وتعلمهم وتؤدبهم وتحددهم وتحكمهم وتضطرهم إلى أن يبدوا صيغاً بشرية. !

. . إذن هل يمكن أن يقبل أحد أن يكون من سكانه أي سكان الفردوس أو من زواره أو عشاقه أو طلابه أو من حراسه وموظفيه إذا عرف أو لو عرف هذه الحقيقة أي إذا عرف أو لو عرف أن الشعوب العربية التي نراها ونسمعها ونقرؤها اليوم سوف تكون هي وقادتها وزعماؤها الثوريون الذين نراهم ونسمعهم ونقرؤهم ونعرفهم ونقاسي منهم اليوم كل العار والافتضاح والهوان والقبح والهزائم والحماقات.

ـ نعم، ستكون هي وقادتها وزعماؤها هؤلاء هم سكان الفردوس وهم القادة والزعماء والحكام والأكثرين الأقدرين فيه أي في الفردوس؟

. . فكّر يا إلهي في هذه القضية فقد يعصيك حينئذ كل من تريد أن تدخلهم فردوسك هذا أو أن تحولهم إلى حراس وموظفين فيه.

فكّر يا إلهي الذي لا مثيل له في عجزه عن التفكير ولا مثيل له في حاجته إلى التفكير. !. نعم، هل يوجد مثل الإله عجزاً عن التفكير واحتياجاً إلى التفكير؟

إنه لا أحد غير الإله يبصق ويستفرغ ويفرز كل أفعاله بلا أي تفكير أو تدبير. . اسمعوا، اسمعوا أيها الباحثون عن الفردوس المشتاقون إليه المؤمنون العاملون من أجل الخلود فيه.

. . اسمعوا واعلموا أن سكانه وقادته وزعماءه وحكامه المنفردين وكل سلاطينه وأنبيائه ومعلميه ومنظميه سيكونون جميعاً من العرب، من نماذج قادتهم وزعمائهم وأنبيائهم وثوارهم وتقدمييهم الذين سمعتم ورأيتم وجربتم وقرأتم وقاسيتم وفجعتم بهم ومنهم طويلاً، طويلاً، ماضياً وحاضراً أو مستقبلاً. . حدقوا، حدقوا في عرب اليوم. هل تقبلون أن تكونوا من رعاياهم أو مواطنيهم؟ إن دخولكم الفردوس يجعلكم ذلك!

. . إنه لواجب لكم وعليكم أن تعرفوا ذلك لئلا تقعوا في الخدعة الكبرى التي لا يمكن تصور ما يساويها في بشاعة وقبح نتائجها أعني التورط بدخول الفردوس الذي ستحكمه حكماً مطلقاً متفرداً أخلاق وعقول وأحقاد وعداوات وخصومات ومشاتمات ووقاحات ونذالات الزعامات والقيادات والنبوات والثوريات العربية التي تكاد الحشرات بل أردأ وأبلد وأنذل الحشرات أن تتفجر أو تنتحر أو تهرب من هذا الكون أو تضرب عن التوالد وعن ممارسة الجنس انفجاعاً واستحياءً واشمئزازاً واستقباحاً واستنكاراً كلما رأت أو سمعت أو قرأت أو فسرت أو عرفت أو ساكنت أو عاملت أو واطنت شيئاً من هذه الزعامات والقيادات والنبوات والثوريات العربية المعاصرة التي فرضت على إنسان هذا العصر كله أن يصاب بكل أنواع الغثيان والتقيؤ النفسي والفكري والأخلاقي والإنساني والحضاري لتقيؤها وبصقها من فوق كل منابره على كل قيمه ومعانيه وثيابه الإنسانية والحضارية والعقلية والأخلاقية دون أن يستطيع الهرب أو الوقاية أو الحراسة منها أو أن يغلق أبوابه ونوافذه أو آذانه أو عيونه أو حتى منابره أو محاريبه أو اهتماماته أو مؤتمراته دون أي شيء أو نوع من تقيؤها أو استفراغها. . !

احذروا. . احذروا. .

إن الفردوس سيحكمه ويملكه ويصوغه ويتحكم فيه ويكون الأقوى الأكثر فيه العرب بكل زعاماتهم وقياداتهم ونبواتهم وأخلاقهم وأفكارهم وعداواتهم وأحقادهم وخصوماتهم ومنافساتهم وملاعناتهم وكبريائهم وادعاءاتهم وبداواتهم. سيكون كل رعايا للعرب. !

إذن هل يطاق أو يقبل المقام فيه؟

إذن أي عقاب أو عذاب يساوي المقام فيه؟

حديثك عن غلمان الفردوس تحريض على الشذوذ الجنسي واتهام لك ولمن خاطبت بذلك

لا بدَّ أن أتصورك يا إلهي تقاسي في هذه اللحظات أقسى وأقصى حالات العذاب والحزن واليأس والانفجاع والخجل ومشاعر الهزيمة والخيبة بل والإذلال بعد هذه الجولة التفتيشية الكئيبة الفاضحة في فردوسك التي عرضتها وقرأتها عليك بكل الاستحياء والرهبة ولكن أيضاً بكل الصدق والجرأة بل وبكل المقاساة النفسية والعقلية والأخلاقية. إن الجولة في العذاب عذاب، أما في أقبح القبح فهي أكثر من عذاب وهذه الجولة جولة في أقبح القبح.

.. وإني لأنتظر منك بل وأطالبك ألا تنزعج أو تذعر أو تغضب إلى أن تعجز عن الاستماع أو ترفض الاستماع إليَّ بوقار وصبر وفطنة وتحمس بل وبشوق ولهفة وفرح ورغبة في الفهم والتقبل حين أقول لك ولأني أريد أن أقول لك مضطراً يا إلهي:

إني محتاج إلى أن أستمر أقرأ عليك وأسمعك مستقبل أخلاق وأوضاع وتشوهات فردوسك. إن قضية فردوسك هذا قضية كبيرة جداً. إنها تستحق كل الاهتمام والجهد. إن ها هنا خدعة عالمية بل كونية عظمى. !

.. لقد بدأت التفتيش عليه والقراءة والتفسير والرؤية له والرحلة المحدقة المحاسبة في أحشائه ومخابئه. إن ما أسمعتك وقرأت وفسّرت لك ليس إلاّ البداية الأليمة لجولة طويلة في أسوأ وأردأ مكان قد جند كل شيء لكي يزعم ويقنع بأنه أجمل وأعظم مكان بل بأنه كل الجمال والعظمة والروعة والحب والسعادة والمستقبل البشري. !

.. إنها أي الجولة في فردوسك بالقراءة والتفسير والتفكير والتحديق والمحاسبة لهي أقسى وأعجب وأفجع جولات أو رحلات أقسى العذاب وكل العذاب وأبشع العذاب. أعني العذاب الذي هو في كل تفاسير أكثر وأقسى من العذاب. إنه العذاب والتعذيب لكل معاني الإنسان وليس لجسده فقط. !

. . إنه لا أحد يستحق الإعجاب والشكر أو الرثاء والعزاء أو الاشمئزاز والاستنكار والغضب مثل من يقبل أن يقوم بهذه الرحلة أو الجولة مختاراً أو مكرهاً أو مثل من يقبل أو يستطيع أن يرويها أو يصفها أي مثلما فعلت أنا.

إنها رحلة أو جولة بلا أي نموذج في أي تفسير أو نهاية من تفاسيرها أو نهاياتها. .

إنها جولة أو رحلة في أقبح وأغبى أسطورة تخيلها ووصفها أقبح وأغبى خيال. !

هل يمكن أن يوجد نموذج للتعذيب والترويع والتفجيع مثل رحلة أو جولة التفكير والتحديث والتفسير والمحاسبة والمساءلة في منطق وضمير وأخلاق وسلوك هذا الوجود، أو في منطق وضمير وأخلاق وسلوك مخططه ومدبره ومريده وخالقه الجالس المستوي المسترخي بكل الكبرياء والسذاجة والرضا والفرح فوقه يضاحك ويغازل نفسه، أو في أحشاء ومخابئ وتفاسير هذا الفردوس المزعوم؟

. . إني لأرجو وأنتظر يا إلهي ألا تكون أقل تحملاً بل واقتحاماً للعذاب الواجب النبيل الشجاع ممن يواجه ويروي ويرى ويقرأ ويفسر لك كل هذا العذاب منفذاً ومقتحماً رحلته أو جولته في فردوسك هذا فوق وتحت وبين كل الأهوال النفسية والفكرية والأخلاقية بل والجسدية الذاتية أي ألا تكون أقل تحملاً واقتحاماً مني أنا الغريق في قراءة قبائح فردوسك!

إني قادم من رحلة تفتيشية إنسانية في دمامات وبلاهات فردوسك. إذن هل يوجد عذاب مثل عذابي؟

. . هل يمكن تصور متحمل مقتحم للعذاب الواجب النبيل الشجاع مثل من يقوم برحلة أو جولة بعقله أو بضميره أو برؤيته أو بأخلاقه أو بقراءته وروايته أو حتى بتصوره داخل فردوسك هذا يا إلهي الغائب أبداً عن أن يكون رائياً أو مرئياً، سامعاً أو مسموعاً، فاهماً أو مفهوماً، قارئاً أو مقروءاً، عاقلاً أو معقولاً؟

إذن يا إلهي كم أستحق عليك من التعويض التكفير في حسابات نخوتك وعدالتك وضخامتك؟ إن عليك أن تتصور ما قاسيت من عذاب وأهوال رحلتي التفتيشية داخل فردوسك قبل أن ترى ماذا أستحق وكم أستحق عليك من التكفير والتعويض بل وغير ذلك. .

وقد أتقبل منك كل ما قد تفعله وتراه تعويضاً وتكفيراً. والشيء الواحد الذي لن أقبله هو أن تفكر في التنازل لي عن ألوهيتك أو عن شيء منها أو في أن تجعلني من سكان فردوسك أو من حراسه وموظفيه.

. . نعم، أرفض أن أكون إلهاً أو جزءاً من إله لأني لا أملك الوقاحة أو القسوة أو البلادة أو البلاهة التي لا بدَّ أن يملكها إله هذا الكون وكل إله لأي كون آخر . .

. . ولست أرفض ذلك كبراً أو تواضعاً أو فراراً من التبعات والالتزامات أو المسؤوليات الكبرى. إن من يقبل أن يكون إله هذا الكون أو أي كون آخر فلن يوجد مثله في جنونه أو في وقاحته أو قسوته وبلادته أو بلاهته أو في كل ذلك. !. من ابتكر الألوهية والآلهة أو تصورها وتصورهم؟

من أول من فعل أو رأى أو أراد ذلك؟ كيف وجد من أراد أو رأى أو فعل ذلك؟

. . أما رفضي لأن أكون من سكان فردوسك فلا بد أن تكون قد عرفت ولا بدَّ أن تعرف أسباب رفضي لذلك مما قرأت ومما سوف أقرأ عليك ولك عن جولتي ورحلتي التفتيشية في أعماق وأحضان وغرف وسرر فردوسك يا إلهي المطرود من كل الأعماق والأحضان والغرف والسرر ولا سيما أعماق وأحضان وغرف وسرر العاشقين والمخادنين والمتزوجين لك بكل منابرهم ومحاريبهم ومعابدهم وأصواتهم وتعاليمهم ونبواتهم وتلاواتهم لآيات قرآنهم وقرآنك. !

آه يا إلهي. ما أكثر العاشقين والمخادنين والخاطبين والمتزوجين لك دون أن توجد في قلب أو عشق أو حضن أو سرير واحد من هؤلاء. ! . . إنك يا إلهي أنت المعشوق الخدن الزوج المنفي أبداً خارج البيت وخارج غرفة النوم وبعيداً عن السرير بل خارج القلب والشوق، بل المرفوض الممقوت لقاؤه، بل المهروب من لقائه بكل الأساليب والوسائل الذليلة المهينة الفاضحة. . !

هل يوجد معشوق محبوب كل العشق والحب ومع هذا ممقوت مكروه مرفوض كل المقت والكره والرفض لقاؤه مثلك أو غيرك يا إلهي؟

. . إنه لا يوجد مثلك يا إلهي مذكوراً ولا مثلك مهجوراً. !

ولعل أعجب وأردأ ما فيك وما في قضيتك يا إلهي أن عاشقيك ومحبيك ومريديك ومخاطبيك والمتوجهين إليك بكل الشوق واللهفة والتضرع والهوان والدموع هم أكثر وأقبح رفضاً وبغضاً ولعناً للقائك من رافضيك ومنكريك. هل تعرف يا إلهي تفسير ذلك؟ هل فكرت في ذلك؟

هل غاظك وآلمك جداً ذلك؟ هل غاظك وآلمك إلى حد القتل أن وجدت أنبياءك وأوليائك وعشاقك ومريديك والمجانين بحبك وبالشوق إليك وبمناجاتك يكرهون

ويرفضون ويلعنون لقاءك أكثر جداً من أعدائك؟ هل رأيت أو قرأت كيف يجن أنبياؤك وأولياؤك وأحبابك خوفاً من لقائك؟ هل وجدت كائناً يخاف لقاؤه مثلما يخاف لقاؤك؟

.. إني هنا أفترض أنك يا إلهي قد عرفت هذه الحقيقة. فهل أنا أبله جداً في افتراضي هذا؟ أو هل أنا مبالغ جداً في تفسيري وتقديري لك!

أي الاحتمالين تختار يا إلهي الذي لا يوجد مثله احتياجاً إلى الاختيار ولا يوجد مثله عجزاً عن الاختيار وحماقةً وخطأً وسخفاً وبلادةً وقسوةً وافتضاحاً في اختياره أي لو اختار؟

.. اسمع يا إلهي ماذا قلت كما روى عنك نبيك العربي الذي زعم أنك قد أغلقت بنبوته كل أبواب ومنافذ السماء لئلا يأتي بعده نبي آخر. نبي العرب أغلق كل الطرق التي يأتي منها وحي السماء إذن مجد العرب قاهر لمجد السماء.!

.. اسمع ماذا قال عنك. إني بمحاولتي أن أسمعك ماذا قال وروى عنك أفترض أنك قد نسيت ما قلت له وما قال هو راوياً عنك أو أنك قد تنسى.!. هل يغيظك ويؤلمك اتهامك بالنسيان؟ أليس هذا الاتهام دفاعاً جيداً عنك؟ أليس هو البديل عما هو أقبح وأوقح وأسفه؟

.. فهل أجرؤ على أن أضع في افتراضاتي هذا الافتراض؟

إن كل التجارب والرؤى لك تلزمني بأن أفترض هذا الافتراض.!

ولكن هنا افتراض آخر لا يمكن ولا يجوز إغفاله..

إن الذي روى وقال عنك ذلك هو عربي.. نبي عربي.!

آه. ماذا تعني أو تساوي رواية العربي أو حتى رواية النبي العربي عن الإله، عن الإله العربي؟ هل جربت وعرفت ماذا يساوي ويعني العربي راوياً وأيضاً مروياً ومروياً عنه؟

وهل النبي العربي إلاّ راوٍ عربي؟ وهل النبوة العربية إلاّ رواية عربية ولكن مع مزيد من الوقاحة والسخافة والجرأة حتى الملاك الذي يأتي إلى النبي العربي راوياً له عن الإله لا بدَّ أن يصبح راوياً عربياً.!

هل يساوي الإنسان العربي راوياً وقائلاً إلاّ ما يساويه مفكراً وعالماً وملتزماً ومبدعاً؟ أليست ألسنة العرب وآذانهم وعقولهم وعبقرياتهم متكافئة لا تتفوق أية قبيلة منها على القبيلة الأخرى في أية مزية أو رذيلة؟

.. أليس الاستماع إلى جميع أجهزة الكلمة العربية ولا سيما في هذا العصر يفسر ماذا يساوي الإنسان العربي راوياً وقائلاً ومفكراً وعالماً ومبدعاً وملتزماً، ويفسر أيضاً ماذا يساوي ويعني النبي العربي راوياً عن الملاك عن الإله عن السماء؟

وأيضاً أليس ذلك يفسر ما يعنيه ويساويه قول ورواية الإله المتخاطب والمتعامل مع الإنسان العربي.. في العالم العربي وفي التاريخ والعقل والأخلاق العربية؟ هل يساوي إله الإنسان العربي إلاّ ما يساويه الإنسان العربي؟ أليست قراءة أحدهما قراءة للآخر؟

.. هل يمكن أن يكون أي إله أفضل أو أعظم من القوم الذين يتعامل معهم؟

.. إذن لماذا لا يهبهم ما هو به أفضل أو أعظم؟ هل يمكن تفسير ذلك بأنه حاسد أو عاجز أو أناني أو عاشق لفقدهم هذا الأفضل الأعظم؟

لو أن حاكماً أو زعيماً أو نبياً يملك أفضل وأعظم المزايا في ذاته وكان يستطيع أن ينقل إلى شعبه هذه المزايا ثم لم يفعل ذلك فبماذا يجب أن يمكن أن يفسر هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي؟

إذن بماذا يجب أو يمكن أن يفسر الإله الذي لا يهب عباده المزايا التي يريدها ويطالب بها ويفرض الالتزام بها ويستطيعها بلا أية معاناة عضلية أو فكرية أو نفسية والتي تفرحه وتسعده وترضيه جداً وتهبه المجد والجمال والانتصار، والتي يصنع له فقدها الغضب والغيظ والحسرة والهزيمة؟ نعم، بماذا يمكن أو يجب أن يفسر ويفهم مثل هذا الإله؟ أليس من يجد تفسيراً لهذا الإله ويفهمه هو أقسى هاج لكل التفاسير والأفهام؟

كيف أمكن تصور مثل هذا الإله أو مثل هذا الكائن المسمى إلهاً؟ كيف أمكن أن يوجد من يستطيع أو يقبل تصوره؟

من هذا الإنسان أو الكائن الأول الذي كان أول من استطاع وتقبل أن يتصوره؟ كيف أمكن أن تغفر أخلاق الإنسان وعقله ومنطقه وضميره وكرامته لمن كان أول من تصور ودعا إلى تصور وعلم تصور هذا الإله أو هذا الكائن المزعوم إلهاً؟

إن البشر في كل تاريخهم لم يفقدوا ويذلوا ويهينوا ويهزموا ويشوهوا كل عقولهم وضمائرهم وأخلاقهم ورؤاهم بل وإيمانهم وتقواهم بكل الافتضاح والبلادة إلاّ أمام فكرتهم عن هذا الإله وإيمانهم به ورؤاهم له ودفاعهم عنه وتسخير أفكارهم وفصاحاتهم وأوقاتهم بل وعبقريتهم تفسيراً وتمجيداً وتدليلاً على كماله وجماله.!

هل هان وافتضح الإنسان مثلما هوانه وافتضاحه حينما ذهب بذلك على وجوده هذا الإله؟

هل كان تصور مثل هذا الإله تعبيراً عن ضخامة البلادة وإرادتها أم تعبيراً عن ضخامة الافتضاح والسقوط وإرادتهما؟

هل محتوم على الإنسان أن يكون غبياً بقدر ما يكون ذكياً وعبقرياً، وأن يكون هابطاً بقدر ما يكون وبقدر ما يستطيع أن يكون صاعداً، وأن يكون ضعيفاً جباناً مستسلماً بقدر ما يكون ويستطيع أن يكون قوياً وشجاعاً ورافضاً، وأن يكون لئيماً بقدر ما يكون ويستطيع أن يكون كريماً عظيماً؟

.. هل الطبيعة أو الآلهة تعاقبه على تفوقه ومزاياه بأن تصيبه بالنقيض وتفرض عليه أن يكون هذا النقيض؟

هل الطبيعة أو الآلهة حاسدة لتفوقه ولمزاياه فعبرت عن حسدها بأن ذهبت تشوه وتفسد وتضعف تفوقه ومزاياه بشتى الأساليب والحيل اللئيمة التي أقبحها وأقواها أن جعلته يتصور مثل هذا الإله أو مثل هذا الكائن المدعو إلهاً؟ كم أذعر وأعجز عن الفهم والتفسير حين أفكّر أن هذا الإنسان الذي أبدع كل هذه الإنجازات الحضارية قد استطاع وتقبل أن يتصور هذا الإله. !

.. كيف أمكن أن يجيء أذكى الكائنات أغباها، وأقواها أضعفها، وأشجعها أجبنها، وأعلمها أجهلها، وأكثرها حرية وبحثاً عن الحرية أكثرها عبوديةً وبحثاً عن العبودية وإرادةً وتشييداً للعبودية ولأمجاد العبودية؟

كيف أمكن أن يصاغ هذا الكائن؟ كيف اهتدى صائغه إلى صياغته واستطاع ذلك؟

.. كيف أمكن ذلك؟ كيف لم يتجمع جميع الدارسين والمفكرين والعلماء والشعراء والمفسرين المحللين المعالجين من كل الشعوب وفي كل التاريخ ومن كل الانتماءات لكي يدرسوا ويفهموا ويعالجوا هذه القضية؟

أليست هذه القضية أعظم وأحدّ وأكثر إساءةً وضرراً أو نفعاً من جميع القضايا الأخرى التي يحدث دائماً التجمع العالمي لدراستها وفهمها وعلاجها ولمحاولة اتقاء أضرارها؟

هل البشر متآمرون ضد أنفسهم في هذه القضية وأيضاً في قضايا أخرى؟ هل التآمر ضد النفس قانون وضرورة من قوانين وضرورات الحياة والوجود؟ أليس اتهام البشر بهذا التآمر أنبل من اتهامهم بكل هذه البلادة؟

هل القضية هكذا وتقرأ وتفسر وتفهم هكذا:

أنا موجود وحي إذن أنا متآمر ضد نفسي، ضد وجودي وحياتي؟

هل الوجود والحياة جريمة وعدوان لهذا لا بدَّ من التآمر ضدهما، لهذا لا بدَّ أن يتآمرا أي الوجود والحياة ضد نفسيهما؟

هل كل موجود يرى أن وجوده قد اعتدى عليه بمجيئه إليه ليصبح محكوماً عليه بالوجود وأن كل حي يرى أن حياته قد اعتدت عليه بحلولها فيه ليصبح محكوماً عليه بأن يكون حياً، لهذا لا بدَّ من أن يعاقب كل حي حياته وكل موجود وجوده؟

. . هل هذا هو التفسير أو بعض التفسير لهذه القضية أي قضية تصور مثل هذا الكائن المحسوب إلهاً أي تصور وجوده وجماله وكماله وذكائه ولا سيما حينما يخترق كل حدود وقوانين وتفاسير الجمال والكمال والذكاء بكل القبح والفضح والفحش؟

أليس هو أبداً مخترقاً لكل الحدود والقوانين بكل الشمول والافتضاح؟

أم إن جميع التفاسير تعجز وترفض وترهب وتنكر أن تكون شيئاً من تفاسير هذه القضية أو أن تتهم بذلك؟

وهل يوجد تفسير لأي شيء؟ أليس كل تفسير هو إعلاناً للعجز عن وجود أي تفسير؟

أليست كل التفاسير اعتذاراً عن ضياع وفقدان كل التفاسير؟

أليس كل تفسير يصبح محتاجاً إلى التفسير أكثر من احتياج الشيء أو الوجود أو الموجود أو القضية أو المشكلة التي زعم أنه فسرها؟ هل احتيج إلى التفاسير وإلى البحث عنها لأنها موجودة ومفهومة أم لأنها مفقودة ولا يمكن أن تكون موجودة أو مفهومة ولا يمكن أن تكون مفهومة مهما كانت موجودة؟

. . أجل، هل أمكن تصور كائن خارج على كل احتمالات وتفاسير الوجود والأخلاق والكمال والجمال والذكاء والعقل والمنطق مزعوماً كل الوجود والأخلاق والجمال والكمال والذكاء والحب والعقل والرحمة والمنطق؟

نعم، لقد أمكن بل لقد وجد هذا التصور حينما أمكن ووجد تصور الإله. !. لقد أصبح التصور للإله هو التصور الذي لا يمكن تصوره!.

آه أيها الإنسان. إنك لم تهج تصوراتك وكل قيمك ومزاياك الإنسانية مثلما هجوتها حينما تصورت الإله، وإن جميع تصوراتك لم تهجك مثلما هجاك تصورك للإله. . ! ما أقسى هجاءك لنفسك في هذه القضية؟

إن البشر لم يجنوا مثلما جنوا حينما آمنوا وأعلنوا أن فوق هذا الكون، أن فوق كل وحدات وحشرات وعاهات وتشوهات وأنات وذرات هذا الكون وفي داخلها، في داخل كل صيغها وتفاسيرها وأخلاقها إلهاً لا يمكن ولا يجوز تصور مثل قوته أو رحمته أو شهامته أو محبته أو عدالته أو كماله أو جماله أو ذكائه أو حنانه أو شجاعته أو رؤيته أو حماسته. !. آه كم هو صغير وضئيل ودميم وبائس ووقح هذا الكائن الذي قبل واستطاع أن يكون بكل مواهبه وأخلاقه وتفاسيره وعواطفه داخل حشرة أو عاهة أو ذرة من هذا الكون!

.. إنه إذن لصدق وحق أن يقال إنه لم يوجد متآمر على عبقريات الإنسان وفاضح مفسد مهين لها مثل الإله، أي مثلك يا إلهي أي مثل الإيمان بك.

.. إن جميع بلادات وجهالات وسفاهات وفضائح الإنسان لن تكون شيئاً مذكوراً أو محسوباً أو مثيراً أو حتى مرئياً لو حوسبت بإيمانه وإعلانه وادعائه أن فوق وداخل أخلاق ومنطق هذا الوجود كائناً كاملاً بكل تفاسير ونماذج وشروط وحدود الكمال المطلق، المطلق..

إن منظراً واحداً من أحداث ونماذج وعبث هذا الوجود لهو أقسى تسفيه وتجهيل وهجاء لمن يرون في هذا الوجود أي جمال أو منطق أو أخلاق أو تدبير أو مجد لأي كائن مهما كانت نقائصه. !

.. إن أبلد وأجهل الحشرات لتستطيع أن تفخر بذكائها وعلمها وكرامتها وكبريائها لو أنها حاسبت نفسها بالإنسان مؤمناً بالكائن الكامل المطلق الكمال الجالس فوق كل شيء والمختبئ داخل كل أعضائه وغدده وخلاياه وذراته ونبضاته أي داخل أعضاء وغدد وخلايا وذرات ونبضات كل شيء. آه. كم فوق جسد هذا الكائن المختبئ داخل كل شيء من الأوحال والعفونات والتشوهات والاستفراغ والبصاق؟

كيف تقبل أو تستطاع رؤية جسده؟ هل تستطيع كل البحار والأنهار تنظيفه؟

.. إن كل عبقريات وإبداعات وإنجازات الإنسان لا تستطيع بل لا تجرؤ أو تحاول أن تكون تكفيراً أو اعتذاراً أو حتى استغفاراً عن إيمانه هذا. !

بل لعلها أي كل قفزات الإنسان الحضارية تخجل من الانتساب إلى الكائن الذي آمن هذا الإيمان بهذا الإله!

.. القلم الآن يرتجف في يدي محدقاً في الورقة التي في يدي. إنه يرتجف ذعراً وانفجاعاً واستحياءً، لأنه يعرف ماذا أريد أن أفعل به. !

آه. هل يوجد مظلوم محقر مهان ملوث معتدى عليه مثل القلم والورق في اليد العربية.؟ في يدي. آه. في يدي أي ولو في هذه اللحظة إنه أي القلم في هذه اللحظات ليبكي ويتضرع ويصلي وينظر إليَّ وإلى يدي البدوية الظالمة العدوانية القابضة عليه المسددة له إلى الورق.. إنه يصلي ويبكي ويتضرع وينظر بلهفة وحرقة إليَّ وإلى يدي راجياً مطالباً ألا أكتب به ما عرف أو ظن أني أريد أن أكتبه به. أليس كل قلم في أية يد عربية يعرف مهما كانت سذاجته وجهالته أنه لن يكتب به ما يفرحه أو يرضيه أو يهبه المجد أو الافتخار بل لن يكتب به إلاّ العار والافتضاح؟ أليس محتوماً أن ترفض كل الأقلام أن تصدر أو تستورد إلى العالم العربي لو كانت تختار وتشترط لنفسها؟

.. إذن تجلد، تجلد أيها القلم البائس المسكين. إن العرب يعتدون على كل شيء يتعاملون به ومعه وعليه وليس عليك وحدك..!

حتى الإله. إنهم لم يعتدوا على شيء أو أحد مثل اعتدائهم على الإله.!

وإن أي كائن لم يصبه من الاعتداء مثل الإله الذي آمن به وتعامل وتخاطب معه وبه وعليه العرب.!.. إنه لا مهجو ولاّ محقر ولا مذموم مشتوم مثل الإله في فم الإنسان العربي وفي قلبه وعقله ورؤاه وتعاليمه وتفاسيره وفي انتظاره له ومنه.

.. إذن أيها القلم تجلد واصبر وقل واكتب بتسامحٍ وفداءٍ ما أريد وأطلب منك أن تقوله وتكتبه.!

ولا بدَّ أن أعتذر إليك يا قلمي بكل لغات وتفاسير الاعتذار..

وقد تقول بكل الاندهاش والتعجب والحيرة: وهل يحدث أن يعتذر أي عربي إلى قلمه أو إلى أي قلم؟ وهل يمكن أن يرى العربي أن للقلم أي شرف أو حق أو كرامة يجب الاعتذار إليه إذا اخترق أو أهين أو لوث شيء من شرفه أو كرامته أو حقوقه؟

لهذا أرجوك أيها القلم ألا تنكر انتمائي العربي أو تشك فيه لأن كل تجاربك تقول لك إن كل العرب في كل تاريخهم لا يرون أن للقلم أية حصانة أو كرامة أو حدود تجب حمايتها وصيانتها.!

وقد يجب عليك أو يجوز لك أن تتقبل أن العربي قد يصاب بالتغير وبالتخطي للذات والتاريخ والآبار والمقابر. لمقابر الأنبياء ومقابر الجاهلية..

أليست كل وحدات وقبائل وفصائل الطبيعة حتى الجماد تصاب بهذا التغيّر والتخطي حتى ولو لم ترد ذلك بل حتى ولو قاومت ذلك؟

أليست تصاب بذلك كما تصاب بالموت والضعف والتمزق والانهيار؟ أليس التغير والتخطي للذات ضرورةً وقانوناً وليس تدبيراً أو تخطيطاً أو إرادةً؟

أليس التدبير والتخطيط والإرادة أيضاً ضرورةً وقانوناً؟

لماذا ندبر ونخطط ونريد، أو لماذا نصل إلى طور التخطيط والتدبير والإرادة؟ أليس ذلك تعبيراً عن الضرورة والقانون؟

أليس ذلك يحدث بالأسلوب أي بالقانون الذي يحدث به الزلزال والطوفان والموت والمرض والشيخوخة؟

. . إذن هل يحتمل أو يقبل افتراض الإنسان العربي وحده مستعصياً على هذا القانون والضرورة عاصياً لهما، عاصياً ومستعصياً على أخلاق وقوانين الطبيعة التي لا بدَّ أن تستجيب لها كل وحدات وقبائل وفصائل كل هذا الوجود؟

صعب افتراض الإنسان العربي بكل هذه القوة والعصيان أو بكل هذا الضعف والتبلد، أي افتراضه مستعصياً على قوانين الطبيعة وأخلاقها. !

إنه لصعب جداً افتراض هذا الافتراض. !

ولكن لكي لا نيأس من خضوع واستجابة الإنسان العربي لهذا القانون الطبيعي الأزلي الأبدي الذي يخضع ويستجيب له كل شيء حتى الجماد والحشرات.

ـ نعم، لكي لا نيأس من ذلك يجب علينا ألاّ نقرأ الإنسان العربي تاريخاً وماضياً وألا نحدق فيه حياةً وحاضراً، أو أن نقرأه ونحدق فيه ولكن بعيون وعقول وأفكار ورؤى عربية، لأننا حينئذ أي لو قرأناه وحدقنا فيه بعيون وعقول ورؤى وأفكار عربية فلن يكون ذنبنا أو خطؤنا أن نعجز عن قراءته ورؤيته بل لا بدَّ حينئذ أن نراه ونقرأه نقيضاً حاداً شاملاً لرؤيته وقراءته. . أن نراه ونقرأه ونفهمه ضد ما تقول قراءته ورؤيته وفهمه. ما أكثر الذين يرون ويقرأون ويفهمون ويفسرون كل شيء وكل أحد ضد ما تقول قراءته ورؤيته وفهمه وتفسيره. !

. . أليس الإنسان العربي مهما كان أمياً وفاقداً للأبصار يقرأ ويرى نفسه بل وكل الناس والأشياء أبداً ضد القراءة والرؤية أي قراءة ورؤية مضادتين للقراءة وللرؤية أي لما ترى وتقول الرؤية، ولما تقرأ وتقول القراءة؟ أليس الإنسان العربي هو الكائن الذي لا يستطيع أن يتعلم القراءة أو الرؤية بل أو الكتابة أي مهما قرأ ورأى وكتب؟

. . أليست وظائف عيون وعقول وقراءات الإنسان العربي هي دائماً ضد وظائف العيون والعقول والقراءات؟

هل يمكن أن يتهم أي عربي بأنه قد قرأ أو رأى أو فهم أو أراد أن يفهم كما يقرأ ويرى ويفهم ويريد أن يفهم القارئون والراؤون والفاهمون المريدون أن يفهموا؟

هل استطاع الإنسان العربي أن يرى أو يقرأ أو يفهم قبح وقسوة ونذالة الدمامات والعاهات والتشوهات والآلام، أو هل استطاع أن يصمت عن رؤية وقراءة وفهم وتفسير ذلك؟

أليس قد رأى وقرأ وفهم وفسّر كل ذلك ضد قراءته ورؤيته وفهمه وتفاسيره؟

أليس قد رأى وفسّر وقرأ وفهم كل ذلك كل الجمال والفن والحب والرحمة والفرح والكمال والعبقرية أي كل جمال وفن وحب ورحمة وفرح وكمال وعبقرية الإله والكون والعقل والأخلاق وكل شيء؟

أليس كل عربي يصرخ هاتفاً مصلياً معجباً مؤمناً قائلاً: ما أجملك وأرحمك وأنظفك وأنبلك وأحكمك وأتقاك وأذكاك يا إلهي.

ـ نعم، أليس يفعل ذلك كلما رأى أبناءه أو آباءه أو أهله أو كل الناس أو كل الكائنات أو كل الأشياء مصابين ومصابة بكل العاهات والتشوهات والدمامات والنقائص وبكل الإذلال والتعذيب والتحقير؟ أليس كل نبي عربي وكل كتاب مقدس وغير مقدس عربي يصلي لجمال الإله ولحبه ورحمته وحكمته وشهامته وعبقريته كلما رأى تشوهاً أو عاهةً أو دمامةً أو مرضاً أو شيخوخةً أو موتاً أو ظلماً أو ألماً أو ذبابةً فوق طعام أعمى؟

.. أجل يا إلهي لقد قلت إن صدقت في قولك وصدق خاتم أنبيائك العربي فيما روى عنك ـ قلت وقال نبيك العربي القاتل النافي لكل الأنبياء الذين كانوا قبله والذين علموه وأوحوا إليه بنبوته ووهبوه الجرأة على أن يدّعي النبوة، وعلموه وأوحوا إليه أن يرى الملاك، ملاك الوحي ويسمع صوته ويتلقى منه الوحي.. وأيضاً القاتل النافي المتهم اللاعن بل والمكفِّر لكل الأنبياء الذين يجيئون أو يريدون أن يجيئوا بعده.

ـ نعم، يا إلهي لقد قلت وقال نبيك هذا القاتل النافي لك الأنبياء والنبوات أي القاتل لكل نبي ونبوة بعده والملغي لكل نبي ونبوة قبله، نعم، قلت وقال:

إنك قد خلقت ووضعت وأعددت شيئاً قد يكون أكبر وأعظم وأجمل من كل خيال كما قد يكون أصغر وأقبح وأفضح من كل خيال أي أنك قد خلقت ووضعت وأعددت في الفردوس مسكن أنبيائك أوليائك وحكمائك وأصفيائك وجلسائك ولداناً أي غلماناً يهاب ويخجل كل الجمال أن يواجه أو يرى أو ينافس شيئاً من جمالهم أو أن يزعم أنه

شيء من جمالهم.. يحلون بحلى لا تطمع أو تجرؤ جميع حلى الكون أن تكون شيئاً من حلاهم أو أن تنافسها أو أن تحدق فيها أو أن تظهر أمامها.. لا تستطيع جميع درر البحار أن تساوي درة واحدة من الدرر المعلقة فوق آذانهم ولا تستطيع جميع القلادات أو الجواهر أن تساوي قلادة أو جوهرة من القلادات والجواهر المربوطة في رقابهم!

.. وإنهم أي هؤلاء الغلمان مخلدون في غلاميتهم وفي وظائفهم الولدانية الغلمانية، وإن من وظائفهم أن يكونوا ويظلوا عبيداً أي خدماً أبداً ليكونوا لهواً وفرحاً وحباً وضحكاً وسعادةً ونشيداً لسكان الفردوس من النساء والرجال الكسالى والسكارى الخاملين المسترخين المعطلين المتعطلين العاطلين من كل عمل واهتمام وتفكير ونضال ليمارسوا فقط الجنس والسكر والكسل والأكل والبلادة والبله والتثاؤب والنظرات المتبادلة التي لا ترى أو تقرأ أو تفهم أو تتساءل أو تتعجب أو تدهش أو تنكر أو تخجل..!

.. وإنهم أي هؤلاء الغلمان يظلون كل أوقاتهم يزينون ويمسحون ويغسلون ويلمسون وينظفون ويعطرون غرف وملابس ومضاجع وسرر نوم سادتهم وممارساتهم السريرية ولعلهم يشاهدون هذه الممارسات ويغنون لها ويحرضون عليها ويصنعون لها المشهيات والمقويات ويذكرون بها لئلا يحدث شيء من الإهمال أو النسيان أو الكسل.. طائفين عليهم بالكؤوس بل واضعين الكؤوس في أفواههم.!

بل ولعلهم أي هؤلاء الغلمان يذهبون يغنون ويرقصون ويهتفون ويصفقون لسادتهم هؤلاء حين ممارساتهم السريرية تحريضاً وتقوية لهم عليها وشحذاً لأسلحتهم.!

.. نعم، لقد قلت يا إلهي: إنك قد خلقت ووضعت وأعددت وخلدت في الفردوس هؤلاء الغلمان الذين تحولت أي أنت يا إلهي إلى أعظم وأصغر مفتضح بالتغزل بهم، بجمالهم وحلاهم وغلاميتهم الخالدة أي كما روى عنك نبيك العربي القاتل لكل الأنبياء الآتين بعده والملغي المبطل الحاذق لكل الأنبياء الذين جاءوا قبله أي لكل الأنبياء الذين علموه وأوحوا إليه أن يدّعي النبوة وأن يجرؤ على ادعائها وأن يتعلّم ويقلّد كيف يدّعيها وأن يأخذ عنهم ومنهم كل دعاواهم وأساليبهم ولغاتهم مع بقاء الفروق التي لا بدَّ منها بين المتعلّم والمعلّم، وبين الآخذ المقلّد المأخوذ عنه ومنه. قد تكون الفروق بين أنبياء الشعوب مساوية للفروق بين الشعوب. إذن كم هي الفروق بين نبيّ العرب وأنبياء الآخرين؟

.. أجل يا إلهي لقد تغزّلت بهؤلاء الغلمان حتى لقد أصبح الرثاء والعطف عليك

واجباً لعنف عذاب غرامك بهم بل حتى أصبح الشك في أخلاقك وفي علاقاتك بهم واجباً بل أكثر من واجب أليم مهين. !

إن جميع مجانين الغرام في العالم لا يستطيعون منافستك يا إلهي في تغزلك المجنون بهؤلاء الغلمان.. في تغزلك المتقاطر بالدموع والأنات والآهات واللهفات حتى لقد حولت ملائكتك ونبي أنبيائك إلى رواة وحفاظ وقُرّاء ومنشدين ومعلّمين لغرامك وغزلك بهؤلاء الغلمان. !

.. بل حتى أصبح مفهوماً جداً أنك بذلك تحاول أن تصنع لفردوسك أقوى دعاية فاتنة الإغراء لدى المصابين بحبّ الغلمان وبمن لديهم استعداد لهذا الحب، بل حتى أصبح مفهوماً جداً أنك بذلك تحاول أن تحرّض على حب الغلمان وأن تعلِّم هذا الحب وأن تصنعه وتثيره في النفوس أي في الأعضاء التي لم تمارسه أو تتعلمه أو تجرّبه أو تشتق إليه أو تشعر به أو التي تتعذب بل تموت استحياءً واشمئزازاً حين تتصوّره أي لو استطاعت تصوّره. نعم، لقد أصبح حقاً بل واجباً اتهامك يا إلهي بالتحريض على اشتهاء الغلمان وبالدعاية والتعليم لهذا الاشتهاء. !

.. إنه قد يفسّر أو لا بدَّ أن يفسّر خلقك لهؤلاء الغلمان وأخبارك عنهم ووصفك لهم بأنه اتهام فظيع قبيح بذيء تتهم العرب به معتقداً وزاعماً ومعلناً أنهم غلاميون ومحاولاً أن تفسرهم بأنهم كذلك. لا بدَّ من هذا التفسير وإلاّ فلا بد من اتهامك بأردأ مستويات الغباء أي إذا لم ترد هذا الاتهام بما قلت.

.. لأن هؤلاء الغلمان وأوصافهم والرواية عنهم إنما جاءت باللغة العربية في الكتاب المقدس العربي الذي أنزلته على النبي العربي مغرياً ومخاطباً به الإنسان العربي أي أعضاء وشهوات الإنسان العربي..

فلو لم تكن مقتنعاً بأن العرب مرضى بعشق الغلمان لما كان لحديثك إليهم عن غلمان الفردوس أي معنى. !

.. كيف لم يغضب ويثر ويحارب العرب هذا الاتهام ومنه وعليه؟

هل لأنهم رضوه وفرحوا وسعدوا به أم لأنهم خامدون خاملون كسالى يعجزون عن أن يملكوا شيئاً من مشاعر الغضب أو الثورة أو الانفجاع أو الاحتجاج فكيف المقاومة؟

وكم نرجو ألاّ يقرأ الآخرون كتاب العرب المقدس لئلا يفطنوا إلى هذا الاتهام الذي اتهمتهم به أو إلى هذا الإغراء الذي حاولت أن تغريهم به يا إلهي الذي لا مثيل له

مسيئاً ولا مثيل له عجزاً عن أن يكون محسناً أو نبيلاً أو شهماً أو معزياً أو مداوياً أو حتى مجاملاً. !

إن عبادك يا إلهي يصفونك بالستّار إذن لماذا أنت أكبر وأقسى فضاح للعرب حتى في دعايتك لهم إلى فردوسك وفي أوصافك لجمال فردوسك؟ ويبدو يا إلهي أن حبك لا يكون إلاّ فضحاً وهجاءً لمن تحب، لهذا فإنك لم تفضح أو تهج قومك مثلما فضحت وهجوت العرب لأنك لم تحب ولن تحب قوماً مثلما أحببت وتحبّ العرب، لهذا جعلت كتابهم ونبيهم إلغاءً لكل الكتب والأنبياء. !

.. هل عرف العرب أو أحد منهم أن الإله وخاتم أنبيائه محمداً النبي العربي قد اتهما العرب بقصة الغلمان هؤلاء أقسى وأنذل وأوقح وأقبح اتهام؟ نعم، هل عرف العرب ذلك؟

ويلي من بلادتهم إن لم يكونوا قد عرفوا، وويلي من عارهم وهوانهم وصبرهم وتقبلهم إن كانوا قد عرفوا ثم ظلوا أصدقاء لمن وجه إليهم هذا الاتهام النذل بل ثم لم يعلنوا كل الحرب بكل فنونها على الإله وخاتم أنبيائه اللذين أوقعا بهم هذا الاتهام البذيء. !

.. والآن. ليتك يا إلهي تستطيع وتعرف أن تحاور أو أن تستمع إلى الحوار ولو بقدر قليل جداً من الذكاء والحماس والصدق والشهامة.. لأني سأقول لك: إن هؤلاء الغلمان في فردوسك كما وصفتهم ووصفت وظائفهم لا بدَّ أن يتحولوا إلى الكثير من المآسي والآثام والآلام بل والفضائح. إنهم لا بدَّ أن يتحولوا إلى غيرة وشكوك قاتلة في نفوس مخدوميهم سكان الفردوس من الرجال والنساء.. الإنسيات والحوريات بل وفي نفس الغلمان المحكوم عليهم بأن يكونوا خدماً بالاغتصاب والتسخير أي بلا أجر أو اختيار أو شروط أو حرية أو خلاص قريب أو بعيد. !

.. الإناث أي في الفردوس لا بدَّ أن يتعذبن بالتخوف أو بالتيقن من العلاقات بين رجالهن وبين هؤلاء الغلمان وهذا التخوف أو التيقن لا بدَّ أن يصيب ويعذّب الذكور كذلك.

.. ذكور الفردوس يخلون بهؤلاء الغلمان في خلواتهم الشهوانية وحول سررهم وهم مثقلون بحللهم وحليهم وأصباغهم وجمالهم الغلامي وبكل تعبيرات ومعاني غلاميتهم.. وكذلك هم مع إناث الفردوس وحولهن خاليات بهم خالين بهن. !

يا لها من علاقات تصنع للشيطان كل الفرح والسعادة والمجد والانتصار والآمال الجيدة. !

هل نستطيع أن نتصوّر ما لا بد أن يصيب ذكور وإناث الفردوس من عذاب الغيرة وجنونها؟

ما أتعس التصوّر الذي سوف يتصوّر ويقاسي كل احتمالات ذلك..

ما أقسى عذابه وانفجاعه. !. هل يمكن أن يتهم الإله والنبي محمد اللذان بشرا بهؤلاء الغلمان في الفردوس بأنهما لم يتصورا عواقب ذلك أو بأنهما تصوراها؟ وأي الاتهامين أقبح؟

الإله والنبي لا يعرفان ذلك أو يعرفانه ومع هذا يصنعانه ويبشران به. إنه حصار لا نجاة لهما منه!

.. أما هؤلاء الغلمان فإن جميع المقاسين لكل عذاب وجنون الغيرة والغضب والغيظ والاشمئزاز والغثيان لن يستطيعوا أن يتصوّروا ما لا بد أن يصيبهم أي يصيب هؤلاء الغلمان من ذلك أي من عذاب وجنون الغيرة والغيظ والاشمئزاز والغثيان..

أما عذاب الغثيان والغيظ والاشمئزاز فلما يرون ويواجهون ويسمعون ويعرفون ويفعلون بالاغتصاب والإكراه حول مضاجع وسرر هؤلاء المخدومين والمخدومات، ولما يرون ويعرفون من أخلاقهم وفضائحهم وتفاهاتهم ومن أخلاقهن وفضائحهن وتفاهاتهن. !

.. أما جنون وعذاب الغيرة اللذان لا بدَّ أن يقاسي منهما هؤلاء الغلمان كل المقاساة وأقساها فإنهم إما أن يتخلّق فيهم فارس الجنس أو ذئبه أو ذبابه، بأن يتخطوا طور الغلامية أو مع بقائهم في طورها أو لا يتخلّق فيهم هذا الفارس أو الذئب أو الذباب..

فإن كان ذلك سوف يتخلّق فيهم فلتتساقط النجوم ذعراً ورهبةً من هول عذابهم وغيرتهم وقبح مكانهم وحياتهم ووظيفتهم. !

قبيح حينئذ ما هو كائن، قبيح قبيح. هل فكرت في قبح ذلك يا إلهي؟

.. إنهم جياع جداً يصنعون ويعدّون ويقدّمون أضخم الموائد وكل الموائد المترفة بلا حدود إلى الشباع المتخمين المترهلين المتضخمين من الأكل والشبع دون أن يستطيعوا أي الجياع الصانعون المعدّون المقدّمون لهذه الموائد أو يؤذن لهم بأن يأكلوا أو يتذوقوا أي قدر أو نوع من طعام هذه الموائد أو من أي طعام آخر.. !

.. إنهم ظماء جداً يصبون كل قطرات الينابيع والسحاب والأنهار والبحار في الأفواه الريا دون أن يستطيعوا هم أو يؤذن لهم بأن يضعوا قطرة واحدة من أي ماء في أفواههم المحترقة ظمأ.!

.. إنهم عراة تحت كل الطقوس والأعاصير والعيون، يغزلون وينسجون ويخيطون ويبتكرون كل الحلل والحلى والأزياء ليلبسوها أجساداً مثقلة بالعباءات والجلابيب والعقالات والكوفيات وبالخمول والبلادة والنوم والموت بل مختنقة بكل ذلك.. دون أن يستطيعوا أي هؤلاء العراة أو يؤذن لهم أن يلبسوا أي شيء أو يستتروا أو يتّقوا عدوان الطبيعة عليهم بأي شيء..!

.. إنهم يعيشون في الصحراء العارية من كل خيمة أو مظلة أو شجرة أو حتى كهف، يقاسون كل قحطها وعريها وأخلاقها وظروفها، يخططون ويصممون ويشيدون ويفرشون ويزينون ويهندسون كل المدن والبيوت والقصور والنوادي والملاهي والملاعب والمشارب والمعايب للتافهين العاجزين السكرى الكسلى، دون أن يستطيعوا هم أو يؤذن لهم أن يأووا إلى أية خيمة أو مظلة أو شجرة أو كهف أو يحتموا بأي شيء من ذلك..!

.. إنهم يقيمون الأعراس وحفلات الزفات كل أوقاتهم دون أن يكون لهم هم أي عرس أو زفاف أو أن يظفروا بشيء من هدايا الزفاف والأعراس التي يقيمونها ويخدمونها أو أن يتذوقوا شيئاً من موائدها، بل ودون أن يسمعوا أي شكر أو ثناء.!

.. إن غلمان الفردوس هؤلاء هم أصدق وأشمل وأقسى نموذج لهذه النماذج المتصوّرة التي لن توجد.. بل إن قبح هذه النماذج المتخيّلة لا يقبل أن يشبه بقبح قصة هؤلاء الغلمان المستعبدين المستخدمين في فردوسك وفردوس خاتم أنبيائك محمد يا إلهي المسحور إعجاباً بعبقريته وشاعريته ومحبته التي تخيّلت وأرادت وخطّطت وخلقت وصاغت هؤلاء الغلمان.. هؤلاء الغلمان الذين ذهبت تتحدّث عنهم وتغري بهم وتساوم عليهم وتحوّل ملائكتك وخاتم أنبيائك محمداً النبي العربي إلى شعراء يتغزّلون ويغرون ويغوون بجمالهم وحلاهم وغلاميتهم حتى بدوت يا إلهي فاقداً كل وقارك واتزانك واستحيائك بل حتى بدوت وكأنك لم تعرف أو تجرّب الوقار والاتزان والاستحياء، بل حتى أصبح عاجزاً فنياً وعقلياً ونفسياً وأخلاقياً من لم يقتنع بأنك عاشق غلمان، عاشق لهؤلاء الغلمان، ومع التقوى والحذر جداً من لم يشك في أنك كذلك؟

.. نعم، يا إلهي لقد أصبحت قصة هؤلاء الغلمان أو يجب أن تصبح مشكلة بل

عقدة بل ورطة وقعت فيها يا إلهي المتورّط والمورّط لغيره أبداً وأوقعت فيها كل المؤمنين بك وبقرآنك ونبيك العربي..

ذلك أن من يقرأ أو يسمع حديثك المجنون عن هؤلاء الولدان الغلمان فلا بدَّ أن يقع في أحد تفسيرين لا مخرج من أحدهما تفسيراً لك..

.. أحد التفسيرين أن يقتنع بأنك عاشق غلمان، وهذا قمة المأساة والوقاحة والقبح والعذاب، !

وثاني التفسيرين أن يراك شاعراً جمالياً كونياً سماوياً يتحدث بلغة ومشاعر وأخلاق الشموس والنجوم والسحاب والأنهار والأزهار عن الجمال والحب والفرح وعن كرمه ونبله وعطائه فقط وهذا قمة البلادة والغفلة والاسترخاء العقلي والتصوري والأخلاقي. !

نعم، يا إلهي إن إنزالك وتأليفك الآيات الشاعرة المبالغة جداً في شاعريتها تغزلاً بحلل وحلي هؤلاء الغلمان وبجمالهم الجسدي الغلامي لا بدَّ أن يفسّرك أحد التفسيرين. !

واعاراه، واعاراه، الإله متّهم بعشق الغلمان وهو صانع هذا الاتهام لنفسه واعاراه، واعاراه. !

.. أما إذا لم يتخلق في هؤلاء الغلمان وحش الجنس أو ملاكه ليظلوا أبداً غلماناً عبيداً وخدماً بلا رجولة وفحولة فهل يستطاع تصور حقدهم وغيرتهم ونقمتهم وثورتهم على مخدوميهم ومخدوماتهم وعلى مريد ومخطّط ومدبّر ومخرج ومؤلّف هذا السخف المسمّى فردوساً وهذا الوجود المسمّى كوناً وهذا الفاعل المزعوم إلهاً؟ نعم، هل يمكن حينئذ تصور ردودهم المنتظرة بل الواجبة والطبيعية على ذلك؟ إنها لردود شرعية وطبيعية مهما كانت همجية. !

نعم، هل يمكن وجود أو تصور ظلم أو عدوان أو قبح أو ما يستحق كل الغضب والغيظ والنقمة والثورة والمقاومة مثل أن يظل هؤلاء الغلمان غلماناً أبداً بلا تطور إلى الرجولة والفحولة لكي يظلوا أبداً خدماً لمضاجع وسرر وغرف الممارسات الجنسية؟ آه كم هي قبيحة ووقحة جداً رؤية وخدمة ممارسة الجنس دون قدرة على هذه الممارسة أو إذن بها. ! أليست ممارسة الجنس والقدرة عليها هي التي تستر وتغفر قبح وجنون هذه الممارسة؟

.. وأصحاب هذه المضاجع والغرف والسرر والممارسات الجنسية التي يعدّها ويخدمها هؤلاء الغلمان كيف يطيقون أن يظل هؤلاء الغلمان غلماناً أبداً بلا صعود أو

هبوط إلى الفحولة والرجولة الجنسية، ليظلوا هم أبداً يمارسون ممارساتهم البذيئة هذه ويظل غلمانهم هؤلاء يهيّئون لها الغرف والسرر والمنشّطات والمقوّيات والمحرّضات، رائين سامعين هاتفين لها ولممارسيها المصابين بكل تفاسير وأساليب الوقاحة والبذاءة. !

هل يمكن تصور قبح أو عذاب أو ظلم أو بلادة مثل أن تصنع السرور للآخرين لتصنع كل الأسى لنفسك؟

.. هل يمكن تصور نذالة أو حشية أو بلادة تشبه حينئذ وحشية أو بلادة أو نذالة هؤلاء الفردوسيين؟ هل يمكن أن يوجد تحقير مثل تحقير سكان الفردوس في تصور الإله والنبي العربي لهم؟

.. إذن أليس محتملاً أو محتوماً أن تتفجر في الفردوس ثورة لا مثيل لغضبها ونقمتها وقوتها، ويفجرها هؤلاء الغلمان وكثيرون آخرون عاطفون عليهم وعارفون بمأساتهم عاجزون عن غفرانها وعن تحملها ورؤيتها؟

إنه إذا لم تحدث أو لو لم تحدث هذه الثورة فلن يكون لذلك تفسير غير بلادة وهوان سكانه!

... إنه تجمّع رهيب من الغيرة والغضب والبغضاء والقبح وقسوة التفاوت والتمييز ألاّ يتحوّل ذلك إلى تعبير ملائم؟ أليس محتوماً أن يتحوّل هذا التحوّل أي إلاّ إذا كان محتوماً أن تموت كل معاني الإنسان والحياة في سكان الفردوس؟

.. إن أردأ مجتمع في الحياة الأولى لن يتجمع فيه من أسباب الإثارة والعداوة وكل أنواع الشرور أكثر ما سوف يتجمع أو مثل ما سوف يتجمع في عالم الفردوس. في مجتمعك الفردوسي يا إلهي. إن كل المجتمعات التي ثارت في الحياة الأولى لم تواجه من الأسباب التي تصنع الغضب والغيظ والثورات مثل ما سوف يواجه سكان الفردوس. !

.. إننا لا بد أن نتعذب ونقاسي من الانفجاع حين نجد أو حتى نتصور أن الإله العربي والنبي العربي قد صنعا أو تقبلا أو حتى تصورا مثل هذا المجتمع الغلامي الفردوسي ورأياه أعلى نماذج الجمال والخيال والفن والحب والسعادة، مسكوناً بالكسالى والسكارى الذين لا يعملون أي شيء أو يفكرون في أي شيء أو يطالبون بأي شيء، حولهم غلمان محلّون ومزيّنون بكل زينات الجسد المحرّضة على الغواية والنذالة والوقاحة والتفاهة والبذاءة، في أيديهم الكؤوس ليصبّوها في أفواه هؤلاء الكسالى

السكارى المطروحين على الأرض والسرر من الخمول والخمود والتبلد والعطل والفراغ البليد القبيح. !

آه يا إله العرب ويا نبي العرب. كم أنتما هجاء وفضح للعرب. !

أليس كل البشر في حياتهم الدنيا الفاسدة يرفضون مثل هذا المجتمع الفردوسي ويرونه أردأ وأفسد وأقبح نماذج المجتمعات المتصورة حتى في رؤية وحساب شر الناس وأكثرهم عاراً وجهالةً وتفاهةً وعجزاً وخمولاً؟

إذن كيف سقط الإله العربي والنبي العربي في تصوراتهما وتمنياتهما ورؤيتهما الجمالية والأخلاقية والفنية الإبداعية إلى هذا الحضيض الذي يعجز ويرفض أجهل وأتفه وأفسد البشر أن يهبطوا إليه؟

هذا المجتمع الغلماني الذي يمنع غلمانه بقانون ضد الطبيعة من أن يبلغوا الرجولة كيف أمكن أن يقبله أو يحترمه أو يطلبه أو حتى يقرأه أو يسمعه أو يتصوره أحد ـ الذي يحرم غلمانه من الرجولة، من سلاح الرجولة ليظلوا خدماً وحُرّاساً بلا سلاح في غرف ومضاجع الممارسات الجنسية لتمارس داخل عيونهم وآذانهم وخارج أعضائهم وآمالهم؟

.. أية عملية خصاء للعقول والأخلاق والرؤى والتصور ولكل المعاني الإنسانية نفّذت في شعوب كثيرة، كثرة لكي تؤمن إيماناً إجماعياً إعلانياً دعائياً تاريخياً بأن هذا المجتمع الغلماني أي الفردوسي هو المجتمع الذي احتشدت وتعاونت كل عبقريات وأخلاق وفنون وجمال الإله وجميع سكان السماء لكي تستطيع تخيله وتخطيطه وإخراجه أي المجتمع الغلماني المعروف بالفردوس؟

من أراد ودبّر واستطاع ونفّذ عملية الخصاء هذه؟

وهل يجب أن نأسى ونخجل لأن أمتنا العربية هي أول من أجريت عليها هذه العملية الخصائية؟ إن أبشع فنون الخصاء هو خصاء المعاني الإنسانية وليس خصاء الأعضاء الجنسية. أليس كل البشر مخصيّين هذا الخصاء أي بدرجات متفاوتة؟

.. لماذا رأى الإله أي لماذا رأيت يا إلهي أن يكون في الفردوس خدم، وأن يكون الغلمان، الولدان هم الخدم، وأن يظلوا غلماناً محرومين من الرجولة أبداً؟

أليس كل ما في الفردوس معجزات وخوارق تفعلها أنت ومساعدوك يا إلهي؟

إذن ما الحاجة إلى الخدم؟ هل هم ترف بلا أي معنى؟

ولماذا اخترت أن يكونوا غلماناً، ولداناً؟ هل الشبان والرجال والكهول لا

يستطيعون أو لا يعرفون أن يخدموا؟ إذن هل القضية هنا قضية عشق ولهو وغزل وأشياء أخرى لا قضية خدم أو خدمة؟

ولماذا رأيت أن يظلوا أبداً غلماناً لا يصعدون إلى طور الشباب والرجولة؟ هل قررت أو قلت ذلك غلطاً أو نسياناً أو عدواناً أو خبطاً عشوائياً أو لأسباب أخرى لن تكون معقولة ولا مقبولة بل ولا محترمة بل مهينة وناضجة وهمجية؟ كم تعذبني وتفجعني يا إلهي محاولاتي البلهاء بأن تكون معقولاً أو مفهوماً أو مفسراً أو محاسباً أو محاوراً مساءلاً أو بألا ولئلا تكون كل الافتضاح والقبح. !

. . آه يا إلهي. كمت يجب الرثاء لك ولنبيّك العربي محمد. . لأخلاقكما ومنطقكما وعواطفكما وتصرفاتكما وشهواتكما بل كم يجب الغضب عليكما يا إله العرب ونبيّ العرب. ! . . ولكن يا إله العرب ونبيّ العرب هل تستحقّان الغضب؟ أليس الغضب شيئاً أكبر منكما؟ أليس الغضب تضخيماً للمغضوب عليه؟

. . إن العالم الإنساني كله حتى غير الحضاري منه يعمل ويفكر ويحاول بكل قدراته وإمكانياته وتمنياته لإسعاد وتكريم واحترام وحماية الأطفال أي الغلمان أي الولدان بكل الوسائل والأساليب واللغات والتعبيرات. .

. . أما أنتما يا إله العرب ونبي العرب فخارجان على كل معاني الإنسان وقيمه. . الإنسان الحضاري بل والإنسان البدوي في هذه القضية وأيضاً في القضايا الأخرى. !

وهذا نموذج واحد من نماذج خروجكما القبيح الفاضح على كل التفاسير والقيم الإنسانية حتى البدوية الهمجية الوحشية أي في قضية الطفولة. !

ومن أوقح وأقبح النماذج لعدوانكما على الطفولة أنكما تسترقان أطفال المغلوبين قبيح، قبيح. !

. . ألستما يا إله العرب ونبي العرب قد رأيتما وقررتما وتقبّلتما وأعلنتما وشرّعتما ونفّذتما بكل الوحشية والنذالة والقبح أن يكون الغلمان أي الولدان أي الأطفال خدماً وعبيداً أبداً لغرف وسرر مضاجع ومشارب وملاعب وملاهي همج العقول والإيمان والأخلاق والرؤى والتصورات أي خدماً وعبيداً بلا حماية أو قانون أو نهاية لسكان الفردوس السكرى الكسلى المفرّغين من كل هموم الإنسان وهممه واهتماماته وأعماله ووظائفه؟

هل يمكن تصور قسوة وعدوان على الطفولة مثل عدوانكما وقسوتكما هذه يا إله العرب ونبي العرب؟ كيف صمت ويصمت العالم على ذلك؟ كيف غفر ويغفر لكما ما

دبرتماه وقررتماه في قضية الغلمان هذه؟ لعل العالم لم يعرف أو يسمع شيئاً عن قصة هؤلاء الغلمان، ولعله أيضاً لا يحاسب العرب على ما يقولون.!

ان أحداً في التاريخ كله لم يهن معاني الطفولة. وإن أحداً في المستقبل كله لن يهينها مثلما أهانها إله ونبي العرب بما روياه عن ولدان الفردوس، وأيضاً حينما شرّعا ونفذا استرقاق أطفال المغزوين..!

أطفال المغزوين المغلوبين يحولون إلى أرقّاء، إلى عبيد..! من قال أو فعل هذا؟ لقد قاله وفعله بكل الفرح والسعادة والفخر ومشاعر الكبرياء والذكاء والتقوى إله العرب ونبي العرب.!..

هل سمع أو قرأ أو عرف العالم ذلك؟ ولكن لو سمع أو قرأ أو عرف العالم عن العرب فهل يرى أنه قد سمع أو قرأ أو عرف عنهم شيئاً؟

هل العرب يعرفون أو يقرأون أو يسمعون بقراءتهم أو بمعرفتهم أو بالاستماع إليهم؟ هل من يسمع أو يقرأ للإنسان العربي أو يراه أو يخاطبه يعد سامعاً أو قارئاً أو رائياً أو مخاطباً؟ هل يقرأ أو يسمع الإنسان من ثيابه أو العربي من كلامه أو يرى برؤيته؟

أليس العرب هم الكائنات المتفردة التي لا تقرأ أو تسمع أو تفهم بالقراءة أو بالاستماع أو بالفهم أي التي لا تحسب قراءتها أو الاستماع إليها أو الفهم لها قراءةً أو استماعاً أو فهماً؟

آه. إن إله العرب ونبيهم قد أبطلا قوانين الطبيعة، قد سحبا منها كل قوانينها وكل خطواتها في التعامل مع هؤلاء الغلمان لكي يظلوا أبداً غلماناً أي أطفالاً وخدماً لا يصعدون إلى طور الشباب أو الرجولة. لقد أرادا وفعلا ذلك لاحتقارهما لمعاني الطفولة ولجهلهما بحقوقها ولوحشيتهما الأصيلة.!

.. ليقرأ ويسمع ويعرف العالم هذا.. إن الإله العربي والنبي العربي متوحشان في قسوتهما على الأطفال حتى لقد شرّعا ونفّذا استرقاق أطفال المغزوين المهزومين. اقرأوا واسمعوا واعرفوا بكل الانفجاع.!

.. إنه لا يروي أو يشبع قسوتهما أن يقتل ويهزم ويذل ويطرد ويأسر ويسترق آباء ووطن وشعب الأطفال بل لا بد مع ذلك من استرقاق الأطفال وامتلاك الفتيات الصغيرات ليصبحن مضاجع جنسية.!

هل ساءل إله العرب ونبي العرب نفسيهما أو أخلاقهما أو إيمانهما أو تقواهما أو

شهامتهما أو حياءهما عن ذنوب أو خطايا أطفال المغزوين المغلوبين التي بها استحقوا أن يسترقّوا؟. لماذا استحقوا أن يسترقّوا؟

هل استطاع أو جرؤ هذا السؤال أن يقتحم أو يحاور تفكير أو تصورات أو أخلاق أو رؤى الإله أو النبي العربي أو حتى لغتهما؟

نعم، هل يستطيع أو يجرؤ أي معنى إنساني أن يخترق كل الحدود والصحارى البدوية الفاصلة بينه وبين الإله والنبي العربيين؟ إن كل صحارى الكون لا تساوي أي تفسير أو تعبير من تفسيرات أو تعبيرات الصحراء المولودة في ذات الإله والنبي العربي.

.. اسمعوا. وهل تستطيعون أن تسمعوا؟ اسمعوا وكم يجب الرثاء لكم إن تسمعوا.!. اسمعوا، اسمعوا.. آه. كم أتعذب حينما أطالبكم أن تسمعوا، اسمعوا..

.. إن الإله والنبي العربيين يسترقان الأطفال، يسترقانهم سلوكاً وتعليماً..

يسترقانهم جزاءً لهم لأنهما غزوا وغلبا آباءهم واحتلا أوطانهم وقهرا شعبهم.! هل تصدقون هذا؟ هل تصدقونه؟ يجب أن تصدقوه. ولكن كم هو قبيح وأليم وذنب وعار أن تصدقوه أي أن يكون صدقاً؟ ما أفظع أن يكون الإله والنبي العربيان صادقين.! كم هو نافع ومنقذ ومفيد وجميل أن يكون الإله والنبي العربيان كاذبين أو مخطئين في كل ما قالاه وروياه وزعماه وأحباه.

.. أيها الولدان أي أيها الأطفال إنا نعتذر إليكم نحن البشر، نحن كل البشر أو يجب أن نعتذر إليكم نحن كل البشر من وحشيّة وهمجيّة الإله والنبي العربيين اللذين قرّرا وشرّعا وعلّما ونفّذا أن تسترقوا في الحياة الأولى وأن تصبحوا وتظلوا في الحياة الثانية ولدانا أي أطفالاً، لا تستطيعون الصعود إلى الشباب أو الرجولة، لكي تظلوا بلا نهاية أو حماية خدماً وحراساً وسقاةً في غرف ومضاجع وسرر الممارسات الجنسية، حاملين أبداً الكؤوس، طائفين بها، واضعين لها في الأفواه والأعضاء السكرى والكسلى. انظروا. ها هو النبي محمد فوق السرير وحوله الحوريات بلا تعداد والغلمان يصبّون الكؤوس في فمه وفوق سريره.!. من يطيق أن يرى أو يتصور ذلك؟

.. آه أيها الغلمان.!. كم هو قبيح وأليم وفاجع منظركم والتصور لكم وأنتم في هذا الفردوس، فردوس إله العرب ونبي العرب خدماً وعبيداً وسقاةً.!

أجل، إن منظركم والتصور لكم أليم وقبيح ومهين لا يستطيع أن يتقبله أو يغفره أو يقرأه أو يسمعه أو يراه أو حتى يتصوره إلاّ الإله والنبي العربيان.. العربيان جداً؟

ماذا يمكن أن تروا أو تفسروا النبي العربي وأنتم سقاة وخدم وعبيد حول سريره وهو يتنزى ويتأوه في مضاجع الحوريات؟

. . أيها الغلمان، أيها الغلمان. . إنا لنعدكم وعداً إنسانياً لا وعداً إلهياً أو نبوياً أو عربياً. . إنا لنعدكم بأننا سوف نناضل نضالاً إنسانياً لا إلهياً أو نبوياً أو عربياً. .

بأننا سوف نناضل لنمنع إله العرب ونبيهم من أن ينفذا فيكم هذا الوقاحة. . من أن يحكما عليكم بأن تكونوا وتظلوا أبداً خدماً وعبيداً وسقاةً وغلماناً في ملهاهما الدميم البذيء الوقح المسمى فردوساً. . نعم، إنا لنعدكم أيها الغلمان. . أيها الغلمان الذين لا مثيل لمأساتهم المدبرة بأن ننقض هذا الحكم الذي حكم به الحاكمان البدويان: الإله والنبي العربيان. !

إن هذا الحوار أو المحاكمة للإله لا بدَّ أن تهزم وتلغي ما صمما على إيقاعه بكم بكل القسوة والسفه والنذالة التي لا يستطيعها أو يجرؤ عليها إلاّ الإله والنبي العربيان!

. . نعم، إن هذه المحاكمة لا بد أن تمنع ذلك أيها الغلمان الذين لا مثيل لما دبر لهم. !

. . لأنها أي المحاكمة لا بدَّ أن تقهر أو تحرج أو تؤدّب وتهذّب وتخيف وتعلّم الإله ليتراجع عما أراد أن يوقع بكم أو ليتراجع عن الحياة الثانية، عن البعث وعن الحساب والعقاب والثواب، أو ليهرب من كل الكون رافضاً وظيفته ومسؤوليته باكياً مفجوعاً حزيناً متبرّئاً من كل ما كان ومن كل ما كان يريد أن يكون، مصمّماً على ألاّ يراه أي كائن أو يرى أي كائن، من قسوة الخجل ومشاعر العار والافتضاح الذي قرأه وعرفه بعد أن استمع إلى هذه المحاكمة أو الحوار المحرق لكل معانيه وأمجاده ومزاعمه وتاريخه. !

قد تكون هذه المحاكمة هي الضربة القاتلة أو المصحّحة المصلحة للإله. !

. . أو لأن العالم كله لا بدَّ أن يفطن بعد هذه المحاكمة إلى فظاعة قضية هؤلاء الغلمان فيفعل شيئاً أو أشياءً حاسمةً لإبطال ما أريد لهم وبهم، أي لإبطال ما أراد لكم وبكم الإله والنبي العربيان. !

نعم، أيها الغلمان، إنا لنعدكم هذا الوعد الذي لن يهزم، لن يهزم. !

إنه لو هزمت كل الوعود لكان وعدنا هذا هو الوعد الذي لن يهزم؟

. .آه. ما أذكى البشر وما أغباهم. !. أليس ذكاؤهم هو الذي قد أعطى كل هذه

الإنجازات الحضارية الكونية، وأن غباءهم هو الذي تصوّر وتقبّل وأعطى هذه الآلهة والنبوات والتعاليم البلهاء المهينة لكل مستويات ومعاني الذكاء بل والعقل والكرامة؟

هل تستطيع كل عبقريات الإنسان أن تكفّر أو تعوّض عن ذنوب وأخطاء آلهته وأنبيائه؟

.. إذن أليس أذكى الكائنات وأعقلها هو أغباها وأكثرها جنوناً؟

.. إذن أليس أبسلها وأعظمها مجداً هو أجبنها وأكثرها تحقيراً لنفسه ولمجده؟ كيف جاء ذلك كذلك؟ من أراد وخطط الوجود ليجيء كل شيء كما جاء؟ قبيح، قبيح من فعله.

.. إنه لا أقبح من وجود الموجود القبيح إلاّ رفضه لأن يكون مفقوداً.

.. إنه لا أقبح من القبح إلاّ رفض التخلي عن القبح وعمّا يصنع القبح وعمّا يعني القبح ويلزم به ليكون محتوماً.!.. إن الجميل والجمال لا يصران على أن يوجدا ويبقيا أكثر أو أصدق مما يصر القبيح والقبح على ذلك.!

إنه لا أقبح من الإله ومن وجوده إلا رفضه لمن أراد نفيه ليبرّئه من قبحه ومن قبح وجوده.!.. هل يوجد كائن كل تكريمه وتجميله في نفيه مثل الإله أو غير الإله؟ هل يوجد خاسر بوجوده يرفض أن يفقده مثل الإله؟

.. نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد عدوان على الطفولة مثل هذا العدوان الذي يريده ويدبّره ويخطّطه ويمتدحه وينزل السور والآيات مبشّراً به بل ويراه كل الجمال والحب والرحمة والكرم والإحسان إله العرب ونبي العرب في فردوهما أو في ملهاهما السخيف الكئيب، أو مثل تشريعهما وتنفيذهما استرقاق أطفال المغزوين المغلوبين وامتلاك فتياتهم امتلاكاً جنسياً، بل وامتلاك كل نسائهم هذا الامتلاك الجنسي؟

.. آه. يا إله العرب ونبي العرب.. ليتكما لم توجدا، إذن لجاء افتضاح العرب وعارهم أقل أو أخفت صوتاً.. أليس أنبل وأتقى العار والافتضاح هما الأخفى والأخفت صوتاً؟ أليس أقبح القبح أن يكون للقبح لسان؟

.. لهذا أليس أنبل وأتقى النبوات والزعامات والقيادات العربية هي التي تخلق بلا ألسنة أي لو كان ذلك ممكناً؟

لهذا أيضاً أليس أكثر وأقوى أنبياء العرب نبوةً وإقناعاً ووقاراً واتزاناً هم الذين لا يأتون بأي كتاب مقدس ولا يصعدون فوق أي منبر ولا يتحدثون عن أي إله بل هم الذين لم يأتوا ولن يأتوا.؟

إن أعظم أنبياء وعباقرة العرب نبوة وعبقرية هم الذين لم يأتوا ولن يأتوا. !

.. لهذا أليس تركيب اللسان في الإنسان العربي هو أقسى وأنذل وأوقح عدوان عليه؟ أليس اللسان في الإنسان العربي هو أعظم تشويه وفضح له؟ لهذا أليس أشعر وأخطب شعراء وخطباء العرب هم الذين لم يقولوا قصيدة أو خطبة؟

.. لهذا ألست يا إلهي أقسى وأعظم مشوّه وفاضح للعرب حينما وضعت فيهم الألسنة وحينما علّمت ألسنتهم أن تكون ناطقة مصوتة مسموعة، وكذلك حينما وضعت يا إلهي في فمك لساناً وحينما علّمته أن يكون ناطقاً مصوتاً مسموعاً ليكون أي لسانك لساناً للعرب كأنك لم تقتنع أن ألسنتهم قادرة وكافية لفضحهم وعلى فضحهم لهذا جنّدت لسانك مع ألسنتهم القادرة والكافية لفضح كل شيء وعلى فضح كل شيء؟

هل يوجد من بلغ، كل آفاق الانتصار والعبقرية بل وحلّق فوقها في فضحه لمن يريد فضحه مثلك يا إلهي حينما أردت أن تبالغ في فضحك للعرب، والأسباب لا تزال مجهولة في إرادتك هذا الفضح للعرب، فركبت في أفواههم ألسنتهم ثم جعلتها قادرة على أن تنطق وتسمع، بل ثم جعلتها عاجزة ورافضة أن تصمت أو تخفت؟

.. إن أردأ أو أفضل ما في الألسنة أنها الجهاز الشامل الناطق المسموع المكتوب المقروء الكاتب القارئ للتعبير عن كل مستويات وتفاسير أصحابها التي لا يستطيع أي شيء أو أي جهاز التعبير عنها بكل الشمول غيرها أي غير الألسنة أو مثلها. إذن هل توجد جريمة أو فضيحة تساوي تركيب اللسان في الإنسان العربي أي في الإله أو النبي أو الزعيم أو الحاكم أو الفقيه أو الشاعر أو المفكر أو المعلم الداعية الثوري العربي أو حتى في الإنسان العربي البسيط جداً؟ لعل الطبيعة أو الآلهة لم تعاقب وتشوّه أحداً أو شيئاً مثلما عاقبت وشوهت الإنسان العربي حينما ركبت فيه اللسان.! . بل لعلها أي الطبيعة أو الآلهة لم تكن عاشقة للافتضاح بكل الجنون والوقاحة إلاّ حينما أرادت وأحبت أن يكون الإنسان العربي ناطقاً. !

.. إنه لو أريد اتهام الآلهة أو الطبيعة بعشق الافتضاح لما وجد ما يؤكد صحة الاتهام مثل التدليل على أنها أي الآلهة أو الطبيعة هي التي أرادت وأحبت أن يكون للإنسان العربي لسان فخططت ودبرت لذلك ونفذته واستطاعته ثم ذهبت وظلت تستمع إليه بكل النشوة والفرح والرضا والإعجاب بما أرادت وأحبت وخططت ودبرت وفعلت واستطاعت. !

ولعل قبح الطبيعة أو الآلهة ونذالتها ووقاحتها بعد أن استمعت إلى الإنسان العربي

ثم تقبلت أن يولد أي مولود عربي بلسان أو أن يظل في أي إنسان عربي لسان أكثر قبحاً ووقاحةً ونذالةً من قبحها ووقاحتها ونذالتها حينما أرادت ودبرت وخططت ونفذت أي بدءاً أن يكون له لسان. !.

كيف لم تفجع أو تخجل أو تندم وتتراجع عن أن تركّب في الإنسان العربي لساناً بعد استماعها إليه؟

نعم، إن لمجد العرب وكرامتهم وعظمتهم واحترامهم ووقارهم واستتارهم شروطاً كثيرة وقاسية جداً لا بدَّ منها.

.. من هذه الشروط ألا تكون لهم ألسنة وألا تكون لهم آلهة أو أنبياء أو زعماء أو شعراء أو أدباء أو كُتّاب أو قادة أو مفكرون أو معلمون..

.. إنه لا شيء يفضح شيئاً مثلما يفضح العرب كبارهم هؤلاء. أما صغارهم فهم المنفذون لعار كبارهم. !

.. من هذه الشروط الكثيرة القاسية ألا يكونوا مسموعين أو مقروئين أو مفسرين أو محاورين أو معاملين أو مرئيين أو موجودين. !

نعم، من هذه الشروط ألا يكونوا موجودين. !

أليست عظمة ومزايا أكثر الناس أو كل الناس لها شرط لا تراجع عنه وهو ألاّ يكونوا موجودين؟

هل يمكن أن يكون أي إنسان أو كائن أو شيء وقحاً أو نذلاً أو دميماً أو مغفلاً أو ذليلاً جباناً لو لم يوجد؟ هل وجد الموجود إلا لكي يكون فاضحاً مفضوحاً؟

إذن أليس وجود الإنسان بل وجود كل كائن هو أقسى أعداء مجده وكرامته وجماله ونظافته بل كل أعداء ذلك فيه؟ إن أي شيء أو أحد لن يصاب بأي اعتداء ما لم يعتد عليه وجوده. إذن فالوجود هو كل الاعتداء والمعتدين!

.. نعم، إن قصة هؤلاء الغلمان في هذا الفردوس لهي أقسى هجاء واتهام لك أنت يا إلهي ولنبيّك العربي ولأصدقائك وأوليائك العرب الذين تقبّلوا ذلك ورضوه وفرحوا به ورأوه كل الجمال والسعادة والعطاء والحب والفن الإلهي بل والقدرة الإلهية. !

إن أقبح ما في ذلك أنه لا أنت ولا نبيّك محمد ولا أحد من قومك العرب قد وعى ما في ذلك من قبح وفحش وسخف وبذاءة وبلادة من الرؤية والتصور والتمني والشهوة.

أليس التمني والتصور والرؤية والشهوة تحتاج إلى الذكاء الذي يحتاج إليه العقل والتحرك والإقدام؟

. . أما العالم وصمته عن قصة هؤلاء الغلمان دون أن يحاسب إله العرب ونبي العرب ويحاسب العرب عليها فلذلك عدَّة تفاسير أو احتمالات . . أحدها أنه أي العالم لم يعرف أو يقرأ عن هذه القصة شيئاً لأنه لم يجد أو يشعر في أية فترة من تاريخه أو في أية قضية من قضاياه أنه محتاج أو مضطر أمام أي موقف أو مشكلة من مواقفه ومشاكله إلى أن يقرأ أو يعرف شيئاً عما يقول أو يرى أو يفعل إله العرب أو نبيهم أو العرب أنفسهم. لعل من أعظم وأنبل مزايا العرب أنه لا أحد يحتاج إلى معانيهم أو إنجازاتهم الإنسانية ليتعلمها أو يقلدها أو ليعالج بها شيئاً من مشاكله أو همومه. !

. . . التفسير أو الاحتمال الثاني أن العالم لا يرى ولم يرَ أن من المعقول أو المقبول أو حتى المغفور أن يحاسب أو يحاكم العرب إلهاً أو نبياً أو زعيماً أو قادةً أو حكاماً أو شعراء أو أدباء أو كتاباً أو جماهير على أي شيء يقولونه، لأنهم في فهمه وتجربته لهم لا يقولون حينما يقولون وإنما يعطسون أو يسعلون أو يشتمون ويتهمون أو يباهون أو يستفرغون أو يبصقون. .

. . إن أكثر الكائنات لا تحاسب أو تحاكم مهما صغرت وتفهمت وأساءت وآذت وسقطت.

. . لهذا لم يغضب أي العالم أو يفجع أو ينكر أو يقل شيئاً عن هذه القضية أي قضية هؤلاء الغلمان بل لعله لم يرها قضية. إنها لا تستطيع أن تكون أو تحسب قضية لأن تفاسير قائليها ومتصوريها تحرمها من أن تكون أو تسمى قضية! . .

. . إن كل الأشياء والكائنات لا بدَّ أن تتحول إلى شيء كبير حاد أو إلى شيء صغير فاتر ولكن التحول إلى قضية هو قضية أخرى. !

. . التفسير أو الاحتمال الثالث لصمت العالم عن محاسبة ومحاكمة إله العرب ونبيهم وهم على هذه القضية أو القصة أو الفضيحة: إنه أي العالم قد عرف بموهبة خارقة أن نفط العرب سوف يجيء كما جاء، وإنه أي كل العالم سوف يهون، يهون أمام العرب جوعاً وظمأً وتضرعاً إلى نفطهم. . إنه سوف يهون ويهون ويصلي ويركع ويتضرع إلى كعبة النفط العربي حتى لترفض الحشرات أن تصبح بشراً متحضرين جداً ومحلقين فوق الأقمار والنجوم والمجرات بعبقرياتهم وحضاراتهم وإبداعاتهم وأيضاً بهوانهم لمن كل قوتهم ومجدهم تحت التراب.

ـ نعم، حتى لترفض الحشرات أن تصبح هؤلاء البشر أو أن تصبح منهم أو مثلهم لئلا تهون كل هذا الهوان بكل أساليبه وصلواته ولغاته وتعبيراته، كل هذا الهوان الذي هانوه ويهونونه وسوف يظلون يهونونه أي هؤلاء البشر أمام هذه الكلمة العربية الجديدة التي يصلي لها وبها وفيها وإليها من لا يؤمنون بأي إله أكثر ما يفعل ذلك المؤمنون.!. لقد كان للعرب كعبة يتعبد لها وفيها المؤمنون الضعفاء البسطاء الأميون. أما اليوم فقد أصبحت لهم كعبة أخرى لم يهندسها أو يشيدها أو يعرفها أو يعرف مكانها المؤمنون أو يستطيعون ذلك، يتعبد لها وفيها غزاة مقتحمو مخابئ الآلهة.!

.. نعم، لأن العالم قد عرف بهذه الموهبة الخارقة أن نفط العرب لا بدَّ أن يجيء كما جاء فقد استسلم وهان وصغر وجبن عن أن يرى أو يجد في العرب أي شيء يستحق النقد أو الإنكار أو المساءلة أو المحاكمة، بل عن أن يرى أو يجد فيهم أي شيء إلاّ ويستحق كل الرضا والإعجاب والتمجيد بل والمبايعة بالإيمان به والاتباع له.. إن كل حماقات وجهالات ونذالات الطبيعة لم تستطع أن تتفوق على كل النذالات والحماقات والجهالات مثلما فعلت حينما جعلت غزاة الشموس يركعون تحت عباءات الراقدين فوق النفط.!

إن أردأ وأصغر وأقبح وأنذل ما في الإنسان أو ما في الطبيعة أو ما في الكون أن أعظم وأنبل وأكبر وأشرف وأذكى إنسان يجوع ويظمأ ويحتاج ويتلهف إلى ما يجوع ويظمأ ويحتاج ويتلهف إليه أصغر وأنذل وأتفه وأردأ وأبلد إنسان، بل ويتعذب ويهون ويخاف ويتمنى ويريد ويحب ويشتهي ويضعف بل ويموت ويبكي هذا بالأساليب والمنطق والأسباب التي بها يتعذب ويهون ويخاف ويتمنى ويريد ويحب ويشتهي ويضعف ويبكي ويموت بها نقيضه.!.. إنه لا أنذل أو أوقح أو أسفه أو أجهل من الطبيعة أو الآلهة التي ركبت في أعظم عبقري المخاوف والمجاعات والضرورات والاحتياجات التي ركبتها في أتفه تافه.!

.. إن الطبيعة أو الآلهة لم تهن غزاة أقمارها وسمواتها بشيء مثلما أهانتهم بالنفط العربي بل إنها لم تجد أو تعرف شيئاً تهين به هؤلاء الغزاة غير أو مثل النفط العربي.. وإنها أي الطبيعة أو الآلهة لم تهن أحداً أو شيئاً مثلما أهانت هؤلاء الغزاة بهذا السلاح الذي لم تحمله أو تضرب به يد مقاتلة ولم يخططه أو يبتكره أو يصنعه عقل عبقري. لعل الآلهة قد أرادت بالنفط العربي أن تعاقب وتذل هؤلاء الذين أذلوا وعاقبوا مجدها بتحليقهم فوق سمواتها ومضاجعها المختبئة وراء النجوم العمياء الخرساء البلهاء.!

.. أليس اعتذاراً جيداً ومعقولاً وشهماً عن أخطاء وخطايا وظلم الطبيعة أو الآلهة

أن يُقال إنها قد أعطت العرب هذا السلاح الرهيب المذل لكل سلاح لتعذر إليهم وتعوض عليهم حين نسيت أو بخلت أن تعطيهم عبقرية العقل أو الإبداع أو الحضارة أو الأخلاق أو الجمال أو الحب أو الصفاء أو الإشراق أو الطهر الإنساني أي النفسي أو القلبي أو الديني أو العرقي أو التاريخي أو حتى اللغوي؟

هل وجد محرومون من هذا الجمال والصفاء والحب والإشراق والطهر أي النفسي والقلبي والديني والعرقي والتاريخي بل واللغوي مثل العرب أو أكثر من العرب؟ وهل وجد عابث أو آثم أو مذنب أو مجرم أو جاهل أو سخيف مثل الإله الذي يدبر ويخطط ويخلق ويصوغ الإنسان بلا مزايا الإنسان ومعانيه؟

. . ولكن هل تستطيع الطبيعة أو الآلهة أن تكفر أو تعوض عن أخطائها وخطاياها ومظالمها التي أرادتها ودبرتها وأوقعتها بالعرب أي بحرمانها لهم من كل القيم والمعاني والإبداعات والقفزات الإنسانية الحضارية الكبيرة العظيمة التي تجعل عظمتهم وقوتهم في إنسانهم لا في نفطهم أو كعبتهم أو قناتهم. . التي تجعل جمال العروس في ذاتها وعقلها وقلبها وأخلاقها لا في ملابسها؟

هل تستطيع أن تعوّض أو تكفّر عن أي شيء من ذلك مهما أعطت وفعلت، بل مهما صلّت وبكت واعتذرت؟

هل يستطيع أي شيء أو كل شيء أن يكفر أو يعوض عن حرمان الإنسان أو عن حرمان أي كائن من معانيه الكبيرة العظيمة الجميلة؟

أليس إعطاء الإنسان من خارجه مع حرمانه وتفريغه وقحطه من داخله هو أقسى تشويه وإحراج وتعذيب وفضح له؟

أليس وضع أكبر وأعظم وأجمل وأغلى تاج على رأس أصغر وأقزم وأشوه وأقبح ذات ثم إجلاس هذه الذات على أكبر وأجمل وأروع وأبهر العروش مع عرض ذلك على كل العيون.

ـ نعم، أليس ذلك هو أقسى أساليب الهجاء والإيذاء والتعيير لهذه الذات؟

بل أليس ذلك نوعاً وقحاً من التجريح والإيذاء والتعذيب لعيون المشاهدين بل ولتمنيات وتصورات ونماذج وشروط الجمال والنظام والاستواء والحب والإعجاب فيهم، في أشواقهم وأخلاقهم وتطلعاتهم وأيضاً في أديانهم ومذاهبهم وأفكارهم وتعاليمهم ورواياتهم وفلسفاتهم عن أنبيائهم وآبائهم وتاريخهم؟ أليس وضع أطول وأوسع ثوب على أقزم وأنحل ذات. إعلاناً بذيئاً مؤذياً وقحاً معيراً عن هذه الذات؟

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد ولو تصوراً من يخطط وينشئ بيتاً أو مصنعاً أو حقلاً أو جهازاً أو سلاحاً أو أي شيء ثم يفرغه من كل معانيه وتفاسيره ووظائفه أي يجعله غير صالح لأي شيء من ذلك بل يجعله نقيضاً ومقاوماً لكل ذلك أي لكل معانيه وتفاسيره ووظائفه بل وعدواناً عليها وإفساداً وتشويهاً وتحقيراً وهجاءً وتكذيباً لها؟

هل فعل أو يمكن أن يفعل ذلك أي مجنون؟ هل وجد هذا المجنون؟

.. نعم، لقد وجد، وجد بكل المباهاة. إنه مجنون واحد لا يتكرر أو يتعدد.!

.. إنه مجنون كبير، كبير.. إنه مجنون يرفض كل المجانين أن يكون أو يحسب منهم لئلا يكون جنوناً لجنونهم أي لعقولهم.. لئلا يكون هجاءً لجنونهم.!

أليس جنون هذا المجنون الواحد هجاءً وفضحاً لكل جنون أي لو حسب جنونه جنوناً؟

.. أليس هذا المجنون الواحد الكبير، الكبير يذهب بكل المقاساة يدبّر ويقدر ويخطط ليخلق الإنسان، ليخلقه مفرغاً من كل معاني الإنسان، من كل معانيه العقلية والنفسية والأخلاقية والإبداعية والحماسية ومن كل معاني ووظائف الرؤية والغضب والحب والإعجاب والاندهاش والشوق والكرامة والبسالة والرفض والكبرياء والغثيان أي الإنساني، بل ليخلقه نقيضاً ومقاوماً ومفسداً ومشوهاً وهاجياً لكل ذلك بل ومعادياً له ولمن يكونون أو يلتزمون شيئاً منه؟ هل يستطيع كل جنون كل المجانين أن يساوي شيئاً من جنون هذا الواحد الكبير المجنون؟ إذن أليس حسبان مخطط الإنسان وخالقه مجنوناً هبوطاً بكل تفاسير ومعاني الجنون والمجانين؟ لا، لا تقولوا إن مخطط الإنسان وخالقه مجنون لئلا تهينوا المجانين.!

.. اسمع أيها المؤمن.. أنت حتماً ترفض وتخجل أن تصنع بل أو أن تفكّر في أن تريد أو تصنع ثوباً أو منزلاً أو عقالاً أو حبلاً بلا معناه ووظيفته وضدهما، وتتعذب وتفجع لو اتهمت بذلك. ألست كذلك؟ هل وجد من جرؤ على اتهامك بهذا الاتهام؟ هل تجرؤ أو هل جرؤت أنت على أن تتهم أحداً بذلك أيها المؤمن الفاضح لإلهه المفضوح بإلهه؟

نعم، هل يوجد فاضح مفضوح مثل الإله ومثل المؤمن به؟

أو هل يوجد فاضح لنفسه ولغيره أي ولإلهه مثل المؤمن أو غير المؤمن؟ أليس الإله مفضوحاً فقط مهما زعم أو مهما بدا فاضحاً مفضوحاً؟ إنه أي الإله هو البريء من كل الذنوب والأخطاء المتهم بكل ذلك!

إن الإله هو الكائن الذي لا مثيل له بريئاً ولا مثيل له متهماً. .

. . إذن كم يجب عليك أيها المؤمن، أيها المؤمن جداً أن تحزن وترثي لإلهك الذي استطاع وجرؤ أن يتصور ويعشق ويدبر ويخطط ويصنع الإنسان الذي لن يوجد بل ولن يتصور مثله فاقداً لكل معانيه المزعومة والمقروءة والمعلمة المنزلة. بل خارجاً عليها معادياً مناقضاً محارباً لها وعاجزاً عنها أيضاً أي بكل معانيه وتفاسيره ونماذجه وبكل تعبيراته المسماة والمزعومة إنسانية بل المزعومة المحسوبة كل التفاسير والقِيم والنماذج والمعاني الإنسانية؟

إنه لا يوجد مثل الإنسان مناقضاً ومعادياً لكل معاني الإنسان. !

. . ماذا لو أن أي خياط حسب وقدر وخطط وقاس وخاط ثوباً ضد الجسد الذي أراده وصنعه له بل وضد كل معاني ونماذج الثياب والألبسة والأجساد؟ أليس محتوماً أن يرى ويحسب هذا الخياط أي لو وجد مجرماً ومفسداً وعابثاً مخرباً أو مجنوناً؟

ثم أليس محتوماً مع هذا أن يرى ويحسب أي هذا الخياط عاقلاً ومنظماً وعبقرياً جداً لو حوكم وحوسب أو فسر بالإله الذي تصور وعشق ودبر وخطط وأراد وصاغ الإنسان كما صاغه ليجيء كما جاء دون أن يستطيع المجيء غير ما جاء، أفضل وأعظم مما جاء ومما يستطيع أن يجيء بل لو حوكم أو حوسب أو فسر بالإله الذي أراد أو عشق أو دبر أو خطط أو فعل أي شيء في هذا الوجود؟

هل يقبل أي خياط أن يتهم بأنه هو الذي حسب وقاس وفصل وخاط أي شيء في هذا الكون، أي ثوب أو جسد فيه؟

هل وجد من يصنع الشيء بصيغة الشيء بلا أي معنى من معانيه.

ـ هل وجد من يفعل ذلك غير الإله الذي صنع الإنسان بلا أي معنى من معانيه بل الذي صنع الإنسان وأراده وخططه وأخرجه نقيضاً وهدماً وتشويهاً لكل معانيه، بل الذي أراد وخطط وصنع كل شيء ليكون خروجاً وعدواناً على كل معانيه؟

أليس كل شيء في هذا الوجود خروجاً وعدواناً على كل معانيه المزعومة والمعلمة بل على كل معنى؟

آه يا إلهي. كيف لم تفطن إلى شيء لن يعجز عن أن يفطن إليه أحد سواك وسوى نبيك وخاتم أنبيائك محمد النبي العربي الذي بعثته إلينا ليقرأك ويقرأ كل معانيك وتفاسيرك ونياتك ونماذجك لنا وعلينا.

. . ليقرأك علينا بمواهبه وتمنياته ورؤاه هو لا بأي شيء من صفاتك أو أخلاقك أو تمنياتك أو رؤيتك أو حتى برؤيته هو لك. وهل رآك ليحدثنا عن رؤيته لك؟ إذن أليس يحدثنا عن رؤيته لنفسه ولظروفه ولما حوله حين يحدثنا عنك؟

أليس كل نبي إنما يرى ويتصور ويقرأ ويفسر إلهه بعينيه وعقله وأخلاقه وتمنياته وبمخاوفه وضعفه وشهواته وبلسانه ولغاته هو، هو فقط؟ إن كل إله وأي إله لا يساوي إلاّ من يتحدثون عنه.

. . إذن ماذا يساوى أي إله يراه أو يقرؤه أو يفسره أو يصفه أو يصوره لنا أي نبي؟ إن أي إله وكل إله لا يساوي أي إله وإنما يساوي من تصوره وصوره وفسره زاعماً أنه قد أرسله وبعثه رسولاً. !

. . أجل، يا إلهي إن في قضية هؤلاء الغلمان أسئلة حادة، حادة جداً ولكنني من طول قراءتي لك وتحديقي فيك أحسب أنها اسئلة لم تقتحم عليك ولا على نبيك العربي محمد حدودكما وحصونكما التي لا تستطيع بل ولا تجرؤ أن تخترقها أو تحاول اختراقها التساؤلات التي لا بدَّ أن تستسلم وتتهدم وتزول أمامها كل الحصون والحدود والسدود. !

هؤلاء الغلمان الذين سوف يصبحون خدماً وعبيداً وسقاةً في مشارب وملاهي فردوسك ولسكاراه، من أين جاءوا وإلى أين ينتمون؟

هل هم أبناء البشر الذين ماتوا في الحياة الأولى غلماناً. . أبناء من ذهبوا إلى الجحيم أم أبناء من ذهبوا إلى الفردوس أم أبناء الفريقين؟ هل هم الذين ماتوا أطفالاً فاستحييت أن تضعهم في الجحيم وبخلت أن تضعهم في الفردوس فجعلتهم عبيداً؟

. . أو هل هم يتخلقون في الفردوس تخلقاً آلياً عشوائياً بالقانون والمنطق اللذين بهما تخلقت ذات الإله وبهما تتخلق أهواؤه ورغباته وخطواته وضرباته، أي بلا توالد وبلا آباء وأمهات؟

آه يا إلهي بأي قانون أو منطق صيغت ذاتك أو أخلاقك أو أي من معانيك؟

. . أو هل أنت تخلقهم في الفردوس، من تراب الفردوس أو من ملابس وسرر وكراسي وأكواب سكان الفردوس كما تخلق حورياته؟

أو هل يكون في الفردوس حبل وولادة ويجيء هؤلاء الغلمان حبل وولادة نسائه وحورياته أي الفردوس؟ هل سكان الفردوس يصابون بالعقم مهما مارسوا أساليب الإخصاب والإنجاب؟ هل الحقل يصاب بالجدب بقدر ما يمطره السحاب؟

. . أو هل هم أطفال شعوب تسكن الكواكب والأكوان الأخرى غزوتها أنت وأنبياؤك وملائكتك فقهرتموها واحتللتم ديارها ونهبتم أموالها وقتلتم رجالها وسبيتم نساءها واسترققتم أطفالها لأنها كما ترون وتقولون كافرة بكم مثلما كنتم تفعلون في الحياة الدنيا بسكان الأرض؟

وبهذا التفسير أو التقدير يصبح هؤلاء الغلمان أرقاء مغنومين مسلوبين أبناء كفرة من كون آخر . . إذن كل عزاء ورثاء الحضارة لكم أيها الغلمان يا ضحايا الألوهية والنبوة العربية . !

. . ألا يمكن افتراضهم أبناء الملائكة؟ إن الاعتقاد الشائع أن الملائكة لا يتلاقحون لهذا لا يحبلون ولا يلدون أو يولدون أو يتوالدون . !

ولكن ألا يمكن أن يقال إنهم قد فعلوها هذه المرة استثناء مما التزمت به أخلاقهم وطبيعتهم أو مما فرض عليهم الالتزام به؟ ألا يقال إنهم قد فعلوها هذه المرة شهامةً ونبلاً وتضحيةً لقوة وضخامة الحاجة إلى أن يفعلوها؟ وهنا أفترض أن الملائكة قد يتعاملون بالشهامة أو النبل . !

نعم، إن في الملائكة شهامةً ونبلاً ولكنها ضد كل معاني الشهامة والنبل . . !

إن الملائكة هم دائماً طاعةً شاملة والتزاماً بالأوامر الموجهة إليهم بلا أي قدر أو نبض من العصيان أو الغضب أو الرؤية أو التساؤل أو الحرج أو الاستحياء أو الاستنكار أو الحب أو الرحمة أو الشهامة أو القلب أو الضمير أو العتاب أو المحاورة للنفس أو الاشتراط لها أو عليها . !

. . إن طاعة الملائكة لهجاء وتحقير لكل تفاسير الطاعة . . !

. . إنهم أبداً تنفيذ أعمى، أعمى مفرغ من كل معاني الرؤية بكل تفاسيرها . !

إنه لا يوجد ولن يوجد خارجون على كل الأخلاق والكرامة والرؤية بلا أية معاناة أو ثمن غيرهم أو مثلهم . !

إنهم أي الملائكة أوقح وأقبح قتلة وجلّادين وسجّانين وممرّضين ومشوّهين ومخرّبين مدمّرين . . أوقح وأقبح جواسيس ومخبرين وزبانية جحيم . إن أسوأ وأردأ الطغاة جواسيس ومخبرين ومساعدين وجلّادين وحراساً هو الإله لأن هؤلاء الملائكة هم كل جواسيسه ومساعديه وجلّاديه وحرّاسه . !

. . إنهم أجهزة الموت والتعذيب والتخريب الذين لا تذرف عيونهم أية دمعة، ولا

تطلق قلوبهم أية أنة حتى ولو أصبحت كل البحار والأنهار والرعود والأصوات والصرخات وضجيج البراكين والتفجرات والتصادمات الكونية بعض دموع وأنات وصرخات ضحاياهم ومعذبيهم. . إن أي طاغية مهما كان جنونه لم يرد أن يكون أعوانه ومستشاروه بلا عيون أو ضمائر أو قلوب أو أخلاق أو دموع إلاّ الإله في اختياره للملائكة أعواناً ومستشارين.

. . إنهم لا يقاسون أو حتى يعرفون أي شيء من الغضب أو الرؤية أو الرفض أو الخجل أو الشرف أو الاحترام للنفس أو من الاحتجاج أو الاشتراط أو من الاحتياج إلى الإغضاء أو الأسى أو الندم مهما فعلوا وفعل بهم ومهما رأوا وواجهوا وعرفوا. .

مهما سقطوا وهانوا وافتضحوا وفضحوا. !. إنه لا يوجد قبح كقبح الخيال الذي ابتكر نماذج هؤلاء الملائكة ولا كلمة تساوي في قبحها كلمة ملائكة. !

إن أردأ طاغية لن يقبل أن يكون هوان وقسوة ونذالة وعمى أعوانه مثل هوان وقسوة ونذالة وعمى هؤلاء الملائكة. !

إذن أليس هؤلاء أي الملائكة هم الذين يفترض أو يجب أن يكونوا آباء هؤلاء الغلمان الفردوسيين لكي ينقلوا إليهم كل أخلاقهم وأوصافهم وتفاسيرهم لكي يستطيعوا ويقبلوا أي هؤلاء الغلمان أن يكونوا خدماً وعبيداً وسقاةً في هذا الفردوس كما استطاع وقبل آباؤهم أي الملائكة أن يكونوا ويظلوا هم القتلة والجلاّدين والمدمّرين والجواسيس والزبانية في الحياة الأولى. هل وجد عبيد مسخّرون لأنذل الأعمال بلا أي عصيان أو رفض أو غضب أو أجر غير الملائكة؟ إذن أليس المفروض أن يكونوا آباء هؤلاء الغلمان؟

. . إنه لمستحيل بل وأكثر من مستحيل أن يقبل هؤلاء الغلمان خدمتهم وعبوديتهم وغلاميتهم في الفردوس يطوفون على السكارى في مشاربهم وملاهيهم ويضعون بل يصبون الكؤوس في أفواههم وفوق مضاجعهم وهم في غيبوبة بذيئة سفيهة في حجور الحوريات.

ـ نعم، إنه لمستحيل وأكثر من مستحيل أن يقبل هؤلاء الغلمان ذلك ما لم تنقل إليهم بل ما لم تفرغ فيهم كل معاني هؤلاء الملائكة الكرام، الكرام جداً الذين أريد لهم وفرض عليهم أن يكونوا لئاماً، لئاماً جداً ولكن بدون أن يعطوا أو يأخذوا شيئاً ثمناً للؤمهم أو تعويضاً وتكفيراً واعتذاراً عن فرض كل اللؤم عليهم، عن الفرض والحكم عليهم أي على الملائكة بأن يكونوا لئاماً بل بأن يكونوا كل اللئام وأردأ وأقبح نماذج

اللئام. !. آه أيها الملائكة الكرام. ليتكم وهبتم شجاعة وكرامة إبليس الذي أبى أن يهون ويسقط كما هنتم وسقطتم إذن لسقط وفقد أسوأ وأكبر طاغية كوني. . !

. .(. . الملائكة لا يتلاقحون ولا يتوالدون. . لا يحبلون أو يحبل بهم لا يلدون ولا يولدون. .)

لماذا وكيف ذلك؟

أليس كل الأحياء حتى الحشرات والنباتات بل وحتى القديسون والأنبياء يفعلون كل ذلك أو يفعل بهم كل ذلك؟

آه يا إلهي ليتك تستطيع أن تسمع الحوار وتعيه. إذن لقلت لك:

هل حرّمت على الملائكة التلاقح والتوالد والممارسات الجنسية تكريماً وتنظيفاً وتزهيداً لهم وسموّاً بهم؟ إذن لماذا لم تحرم ذلك على القديسين والأنبياء؟ أليس هؤلاء أعظم وأكرم لديك من الملائكة؟

ألست يا إلهي قد أمرت الملائكة أن يسجدوا لآدم لأنه أبو البشر وأبو الأنبياء؟ إذن ماذا يمكن أن يساوي مقام الملائكة لديك محاسبين بمقام الأنبياء فكيف بمقام خاتم الأنبياء؟

إذن كيف يمكن أن تكرّم وتنظّف وتمجّد الملائكة وأن تسمو بهم أكثر مما تفعل بالأنبياء وبخاتم الأنبياء؟ ألست تكرم وتمجد بالاستحقاق لا بالعشوائية، لا بالنقيض للاستحقاق؟

. . إذن هل حرّمت ذلك على الملائكة قسوةً وتعذيباً أو غلطةً رديئةً لئيمة؟

وحينئذ أليس ممكناً أن تتراجع عن هذه القسوة أو الغلطة ولو في هذه الحياة الثانية؟ ألا يغنيك أو يلهيك عن هذه القسوة أو الغلطة ما سوف تواجهه في جحيمك من فداحة وبشاعة قسوتك وغلطاتك؟

. . إني يا إلهي لأحسب أن مواجهتك لقبح وعذاب جحيمك ستشبع كل مجاعاتك وأشواقك إلى مشاهدة العذاب والقبح. نعم، يا إلهي، أنت أعظم هاوٍ لمشاهدة القبح والعذاب. لهذا أنت أعظم وأبرع مخطط وخالق لذلك. !

. . فكّر معي يا إلهي هل توجد احتمالات أخرى غير هذه الاحتمالات عن مصدر وانتماء هؤلاء الغلمان. !

. . فكّر، فكّر وحاول أن تجد أية احتمالات غير الاحتمالات التي، تلوتها عليك.

ساعدني فكرياً إن كنت تستطيع هذه المساعدة كما وهبتك كل مساعدتي الفكرية التي استطعتها. !

.. آه يا إلهي ما أقسى أن يتعامل من حكم عليه بكل الشهامة والرؤية والحساسية والتوقد والتساؤل والاحتجاج مع من حكم عليه بكل النذالة والبلادة والخمول والعمى والاستسلام؟

ما أشد عذاب وانفجاع من يذهب يحدق فيك يا إلهي محاسباً مسائلاً أي إن كان قد ركب حاداً شجاعاً في تحديقه ومساءلته ومحاسبته. !

إن العيون والعقول والضمائر التي تستطيع وتجرؤ أن تحدق فيك بكل طاقة التحديق وصدقه وبسالته وحرارته لا بدَّ أن تحترق وأن تحرق. !

.. ولكن يبدو يا إلهي أن حظوظك جيدة جداً أو أنك خصم محارب ماكر جداً. .

لهذا فقئت وأخمدت وقتلت أو فقأت وأخمدت وقتلت أنت كل العيون والرؤى والعقول والضمائر عن رؤيتك ومحاسبتك ومساءلتك وقراءتك. إن البشر لم يفقدوا كل الرؤية والغضب والذكاء والشجاعة إلاّ في مواجهتهم لك. !

.. إنه لا شيء أو أحد مثلك أو غيرك يستحق أن يحاصر بأقسى التحديق الغاضب المسائل المحاسب المعاقب كما لا شيء أو لا أحد مثلك أو غيرك عصم وحمي وأعفي من كل هذا التحديق. إن كل العقول لو تجمعت وتحالفت وتعاونت لتجد تفسيراً مقبولاً مفهوماً لحمايتك ونجاتك من التحديق الغاضب المحاسب المعاقب فيك ولك لما وجدت. !

.. لا، بل إن حظوظك وحمايتك لنفسك لأعظم جداً من ذلك. فأنت فقط محمياً ومعصوماً من أن تراك وتحاسبك وتسائلك وتقرؤك العيون والعقول والضمائر، بل إنها لا بد أن تراك وتقرؤك وتفهمك وتفسرك أبداً نقيض ما أنت، نقيض الرؤية والقراءة والفهم والتفسير. . !

.. إن الذين يرونك يا إلهي ليسوا فاقدين للرؤية فقط بل هم راؤون ضد الرؤية. !

.. أجل يا إلهي إن هذه هي كل الاحتمالات التي استطعت أن أتذكرها وجرؤت أن أتلوها عليك أي عن انتماءات هؤلاء الغلمان البائسين الضائعين ومن أين جاؤوا.

فهل تستطيع أنت يا إلهي أن تعرف أو تتصور احتمالات أخرى؟ ليتك يا إلهي تستطيع ولو مرة واحدة أن تتفوق على البشر في المعرفة أو التصور أو القدرة أو في الأخلاق أو في أي شيء جميل أو نبيل. . !

إن كل هذه الاحتمالات لا بدَّ أن تعني عواقب ونتائج ومشاكل وتساؤلات وورطات وتفاسير أليمة يصعب ويقبح ويفجع أن تتحملها أخلاقك أو كبرياؤك أو شهامتك أو عدالتك أو نظافتك أو رحمتك أو حبك. !

إذن أليس محتوماً أن تتحول قضية هؤلاء الغلمان إلى قضية تعذيب وهجاء وإحراج وفضح لك يا إلهي يا من لا يحتاج إلى أي مزيد من الفضح والافتضاح؟

وفي قصة هؤلاء الغلمان عقدة أو مشكلة أخرى قد تكون أليمة.

.. إنهم بمعايشتهم لسكان الفردوس لا بدَّ أن يسمعوا ويعرفوا شيئاً عن قضية التوالد والقرابة وإن الكائن لا بدَّ أن يكون إبناً أو أباً أو أخاً أو عماً أو كل ذلك، وإنه لا بدَّ أن ينتمي إلى أسرة وإلى شعب أو جنس أو أمة أو حتى إلى قبيلة أو طائفة.. إنه لن يكون بلا أي انتماء إلى أي شيء..

إنهم حينئذ لا بدَّ أن يفكّروا في انتمائهم هم ومن هي أمتهم أو شعبهم أو جنسهم أو قبيلتهم أو أسرتهم أو آباؤهم وأقربوهم بل وأوطانهم التي كانوا فيها وجاؤوا منها وأين هذه وهؤلاء الذين لا بدَّ أن ينتموا إليهم وإليها ومن هم ومن هي..

كيف لا يعرفوننا ويسألون عنا ويلقوننا ويفعلون من أجلنا شيئاً ويعيشون معنا كما يعيش الأهل والأقارب من سكان الفردوس بعضهم مع بعض.

أين هم، ألا يوجدون، هل أبيدوا، هل هربوا هل هم منفيون هل هم مسجونون جميعاً؟ لماذا لا يظهرون أو يذكرون؟ هل هم في الجحيم الرهيب الذي فيه الأكثرون من أقارب هؤلاء الذين وضعنا خدماً وعبيداً وسقاةً ومطربين لهم في هذا الفردوس؟

هل ذهبوا جميعاً إلى الجحيم، لماذا لم يقسموا بين الجحيم والفردوس كما قسَّم الآخرون؟ نريد أن نراهم، أن نزورهم أو يزورونا، نريد أن نعرف عنهم شيئاً..

ألا يمكن أنهم يحترقون شوقاً إلينا كل أوقاتهم ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً؟

من أراد وفعل ذلك بقومنا وأهلنا ولقومنا وأهلنا؟

لماذا نحن وحدنا، ولماذا قومنا وأهلنا وحدهم؟

.. أو هل نحن وحدنا الذين ليس لهم أي انتماء إلى أي شيء؟ هل نحن وحدنا الشذوذ والخروج على كل الكائنات؟ لماذا؟ لماذا خصّنا من خصّنا بذلك؟

ما ذنبنا؟ وذنبنا من جعله ذنبنا؟ ومن اختارنا أو لماذا اختارنا ليكون ذنبنا؟

وذنبنا لماذا اختارنا ليكون ذنبنا؟ لماذا اختارنا ولم يختر غيرنا أو لماذا لم يختر غيرنا مثلما اختارنا؟ نعم، وذنبنا ما ذنبه؟ نعم، المذنبون ما ذنبهم لكي يصبحوا مذنبين أو لكي يختاروا هم المذنبين؟

. . آه. نحن وحدنا جئنا بلا مجيء، بلا تخلق، بلا ولادة، بلا حب، بلا أمومة ولا أبوة، بلا حنان، بلا أرض ولا شعب ولا أهل ولا تاريخ، بلا أي انتماء إلى أي شيء، بلا أي تفسير أو قانون أو قيمة لمجيئنا غير أن نكون خدماً وعبيداً وسقاة لسكارى كل اهتمامهم ونشاطهم والمطلوب منهم أن يظلوا سكارى في مضاجع الحوريات، في ملهى ليس فيه أي معنى جيد من معاني الملاهي. . بلا أي مستقبل غير أن يظل هؤلاء الخدم العبيد السقاة. .

نحن وحدنا الذين وجدوا ولم يجيئوا، لهذا لا نستطيع أن نذهب إذ لا يستطيع أن يذهب إلاّ من جاء. !

. . إذن هل يوجد مثلنا بؤساً وقبحاً وفضحاً؟ هل يوجد مفسوق به وخادم منظم حارس للفسق بلا أي لذة أو نشوة أو نهاية وأيضاً بلا أي أجر غيرنا؟

هل يوجد فاسق بلا لذة الفسق وبلا ثمنه غيرنا؟

هل يوجد فاسق بأعضاء وشهوات غيره غيرنا؟

هل جرب أحد غيرنا قبح وفحش ونذالة وعذاب الفسق بأعضاء وشهوات غيره؟

إنه لمحتوم أو محتمل جداً أن يحترق هؤلاء الغلمان بهذه التساؤلات الغاضبة المغيظة الحزينة الحائرة الرافضة. !

هل يمكن أن تكون يا إلهي قد غفلت عن ذلك؟ هل حاولت أن تغفل عنه وتغافلت عنه حتى اقتنعت أنه لن يحدث؟

هل موهبة الغفلة والتغافل فيك هي التي جعلتك تجرؤ على أن تفعل وتخطو وتقتنع وترضى وتفرج وتتكلم أو حتى توجد أو تقبل أن توجد أو يوجد أي شيء؟

هل يمكن أن تقبل أو أن تكون شيئاً من ذلك لولا عبقرية وشمول الغفلة والتغافل فيك؟ هل تستطيع رؤية نفسك أو رؤية أي شيء لولا ذلك؟

إنه لم يوجد ولن يوجد من يطاولك أو يحاول مطاولتك يا إلهي في غفلتك وتغافلك حتى الزعامات والقيادات العربية لن تجرؤ على هذه المطاولة أو المنافسة أو تستطيعها. !

إنك يا إلهي الكائن الذي تركع لغفلته غفلة جميع الزعامات والقيادات العربية.

إن غفلة وتغافل الزعامات والقيادات والنبوات العربية لا تشعران بالعجز أو الهوان أو الهزيمة إلاّ حينما تحدقان في غفلتك وتغافلك يا إلهي.. آه يا غفلة وتغافل الزعامات والقيادات والنبوات العربية لا تعجباً بنفسيكما أو ترضياً عنهما. حدقا، حدقا في ضخامة غفلة الإله وتغافله لكي تخجلا من نفسيكما وتتواضعا.

.. هل يوجد مثلك يا إلهي في غفلتك وتغافلك حينما تنظر إلى الكون أو إلى الإنسان أو إلى أي شيء فرحاً معجباً مسروراً معتقداً ومعلناً أنك بذلك قد ربحت وسعدت وأصبحت عظيماً وجميلاً وعبقرياً وفناناً ومحسناً ومنتصراً وذكياً وحكيماً ورحيماً ونظيفاً ومعبوداً ومحترماً؟

استتر يا إلهي وتوقر.. استتر وتوقر.

.. هل تستطيع يا إلهي أن تنظر إلى ذاتك أو إلى عقلك أو قلبك أو ضميرك أو أخلاقك أو إلى تاريخك أو إلى أي شيء أو إلى أية مرآة أو إلى أي قمر أو نجم أو شمس أو مجرة من لعبك الكبيرة.

ـ نعم، هل تستطيع أن تنظر إلى كل ذلك أو إلى أي شيء منه لولا ضخامة وشمول غفلتك وتغافلك؟

.. آه. الإله يخلق الإنسان والصرصار والمرض والعاهة والموت والشيخوخة والعار والعجز والشلل والعمى وكل شيء في هذا الوجود لكي يصبح ويرى ويجد ويعلن نفسه سعيداً وجميلاً وفناناً وعبقرياً وأخلاقياً بل ومعبوداً، معبوداً.!

آه هل يوجد محتاج إلى أن يتعلم الاستتار والوقار والخجل مثل هذا الإله؟

.. إذن أيها الحشرات هبي كل رثائك وأحزانك ودموعك لغفلة وتغافل هذا الإله..

إذن يا كل الحشرات افخري بذكائك ويقظتك محاسبة ومفسرة بغفلة وتغافل هذا الإله.. إذن أيتها الحشرات هبي هذا الإله شيئاً من ذكائك ويقظتك وحكمتك ورؤيتك ومن وقارك واستتارك وحيائك.!

.. إذن يا أردأ وأصغر الحشرات هبي كل إشفاقك للإله الذي وضع واستفرغ فيك ووجد ورأى فيك كل ذكائه وجماله وفنه وحبه وقدرته وعبقريته ونظافته وشاعريته وأخلاقه وطموحه.. للإله الذي حينما فرغ من صنعك ورآك أو الذي حينما رآك حسبك

من صنعه بكل الإعجاب بالنفس والرضا عنها فذهب يحدّق فيك مغنياً ممجداً لنفسه بكل لغات وأصوات النبوات والكتب المنزلة، مثنياً على جمالك ونظافتك وضخامتك أو على جماله وضخامته ونظافته التي وجدها ورآها فيك ـ مثنياً على ذلك بكل إصحاحات وأسفار وسور التوراة والإنجيل والقرآن . . مبتسماً بكل التعبيرات والاستعراضات لعبقريته التي تصورتك وصاغتك . !

. . نعم، إنه لمحتوم وقد يُقال إنه لمحتمل فقط ولكنه محتمل جداً أن يقاسي هؤلاء الغلمان هذه المقاساة الفادحة الشاملة الغاضبة الرافضة المفجوعة المقهورة الأليمة المتسائلة . !

فهل يمكن أن تظل هذه المقاساة صمتاً وسكوناً واستسلاماً أبدياً بلا مقاومة وبلا ردود ملائمة مختلفة ومتعددة الأساليب والتعبيرات بل والأسلحة؟ هل يمكن ذلك حتى ولو كان المقاسون هذه المقاساة شعوباً عربية؟

نعم، حتى العرب المثاليون في استسلامهم وصبرهم على البلاء والهوان قد يرفضون هذه المقاساة .

. . أليس المفروض بل المحتوم أن يدبر ويبتكر ويصنع ويحمل ويستعمل هؤلاء الغلمان حينئذ كل الأسلحة وكل فنون الحروب والثورات والضرب والتدمير والانتقام ضد هذا الفردوس وضد كل من فيه وما فيه وضد صانعه وواهبه وضد كل شيء وكل أحد وضد من يقال إنه المدبر والمخطط والخالق الفاعل الأعظم؟

أليس محتملاً جداً أن يدبروا حريقاً لتدمير هذا الملهى السخيف القبيح المتجمعة فيه كل صيغ الشذوذ ومعانيه المسمى فردوساً؟

هل فطنت يا إلهي إلى ذلك وفكّرت فيه وخططت ودبرت للحماية منه؟

ولكن كم أرجو ألا يكون تخطيطك وتدبيرك وعلاجك وإتقاؤك لذلك عربياً، عربياً أي بأن تكون قد أجريت عملية خصاء على هؤلاء الغلمان، وبأن تكون قد أرسلت وأنزلت عليهم وإليهم نبوات وتعاليم وكتباً عربية مقدسة تعلمهم كيف يصبرون ويتقبلون ويطيعون ويرضون ويشكرون ويصلون لكل ما توقع بهم بل ويزدادون رضاً وشكراً وحمداً وصلاةً لك كلما قسوت وتوحشت في الإيقاع بهم . .

تعلمهم كيف يرونك كل الحب والجمال والشهامة لأنك جعلتهم خدماً وعبيداً وسقاةً في ملهاك البذيء . !

. . إن الحديث عن قصة هؤلاء الغلمان وعما فيها من قبح وعار وافتضاح وفسوق

وسقوط بل وجنون لا ينتهي، وإذا وقفنا الحديث عنها فليس انتهاءً أو إنهاءً ولكن عجزاً ومللاً واشمئزازاً. . إن كل ما في الدنيا بل الكون من أقلام وحبر لا يستطيع أن يكفي للحديث عن قبح وسخف فعلة واحدة من فعلاتك يا إلهي. . !

. . في هذه اللحظة يهجم علي هذا التصور. آه. هل يوجد من يستطيع أن يصد أو يخفف عني شيئاً من قسوة هذا الهجوم، الهجوم؟

. . إني في هذه اللحظة أرى أي بهذا التصور عدداً من أعظم الأنبياء والأتقياء الأولياء الشيوخ أعماراً ومقاماً وتاريخاً. . أراهم منبطحين أو منطرحين أو مستلقين سكرى، سكرى في أحضان الحوريات. .

وأرى حولهم الغلمان محلين ومتزينين بكل الحلى والعطور والأصباغ والجواهر والحرير والأنوثة والخنوثة واقفين في أيديهم الكؤوس الفارغة والملأى يطوفون بها بكل الأنوثة والخنوثة على هؤلاء الأنبياء والأتقياء الأولياء السكرى المنبطحين المستلقين في حجور وعلى حجور الحوريات. !

آه. أشفقوا عليَّ، أشفقوا ببكاء ورثاء لأني في هذه اللحظات بل وفي كل الأوقات أواجه وأقاسي هذا التصور بكل الاحتراق والانفجاع والغثيان. !

أليس هذا التصور قادراً على أن يغرق البحار ويطفئ الشمس؟

آه لتصب كل العيون حتى عيون أردأ أو أوقح الحشرات، لتصب بالعمى بالدائم لئلا ترى هذا المنظر الذي أتصوره. !

الأنبياء سكارى في مضاجع الحوريات
وأبناؤهم وآباؤهم في الجحيم يحترقون! هلْ تصدقون؟

الأنبياء سكرى في مضاجع الحوريات.

.. وآباؤهم وأبناؤهم في الجحيم يحترقون..

.. هل تصدقون..

آه. كم يجب الإشفاق عليك يا إلهي.. إن الحساب طويل.

طويل وعسير، عسير جداً..

إن عليك يا إلهي أن تصبر وتتجلد. إنك لا تستطيع أن تجد شيئاً أو بديلاً آخر عن أن تصبر وتتجلد وتحاول ألا يكون افتضاحك وعارك وانهزامك كما لا بد أن يكون بل كما يجب وينبغي أن يكون. هل يوجد مثلك يا إلهي محتاجاً إلى الوقار والاستتار وفاقداً للوقار والاستتار؟. اغفر لي أن أكرر ذلك. اغفر لي.!

.. إن ذنوبك وأخطاءك وورطاتك يا إلهي كبيرة، كبيرة. إنها أكبر من كل حجم موجود ومتصور. إنها بحجم هذا الكون وكل شيء. إنها أكبر. إذن أليس عليك أن تتحمل شيئاً مما تستحق بصبر وتجلد وشهامة ولو بقدر أقل مما تطالب به الآخرين أن يفعلوه محاسبين بأخطائهم وذنوبهم وورطاتهم؟

هل تقبل يا إلهي أن تكون معلماً للآخرين ما لا تستطيع أو تريد أن تعلمه لنفسك، أو أن تحاسبهم على ما لا تحاسب به نفسك أو أن تحاسبهم ثم ترفض أن يحاسبوك؟ هل يوجد مثلك من يستحق كل الحساب وأقسى الحساب يحاسبك به كل المحاسبين وأقسى المحاسبين؟

.. أليس حساب الأكبر يجب أن يكون أقسى وأوجب وأحسم من حساب

الأصغر؟ هل نسيت يا إلهي أنك الأكبر؟ آه يا إلهي. ما أقسى وأطول وأفجع محاسبتك لو حوسبت بقدر ذنوبك وأخطائك. !

. . لقد دللت وحابيت يا إلهي نفسك طويلاً وكذلك دللك وحاباك المؤمنون بك والمتحدثون عنك والمفسرون لك حتى أصبحت الفاعل لكل الذنوب والأخطاء والمغفور له كل الذنوب والأخطاء بل حتى رأيت ذلك واقتنعت به وحتى أصبحت يا إلهي بلا أي قدر من الأخلاق أو المنطق أو الحياء أو الوقار. .

. . لقد أصابك من الغرور ومن الرضا عن النفس ومن الغفران لها ومن العجز عن رؤية أخطائها وخطاياها وتشوهاتها ودماماتها وفضائحها ما لم يصب حتى ولا النبوات أو الزعامات أو القيادات العربية. .

كان يقال: إنك قد استعرت رؤيتك لنفسك ورضاك عنها وغفرانك لها وإعجابك بها من النبوات والقيادات والزعامات العربية. . !

كان يقال إن الزعامات العربية هي التي علمتك كل صيغك وتفاسيرك. . !

. . ولكن يا إلهي أليس في هذا القول كل المبالغة في الظلم لك وللنبوات والزعامات والقيادات العربية، وفي الافتراء عليك وعلى النبوات والقيادات والزعامات العربية؟

إنه ظلم لك لأنك أنت المعلم لذلك لا المتعلم وظلم للزعامات والقيادات العربية لأنها المتعلمة منك لا المعلمة لك. !

. . أعترف لك يا إلهي ويعترف لك أو يجب أن يعترف لك كل العالم بأنك معلم كل القبح والضلال والسخف والبلادة والوقاحة والغرور لكل شيء ولكل أحد حتى للنبوات والزعامات والقيادات العربية. !

والزعامات العربية هي أكثر الزعامات تعلماً منك وهذا أقبح ما فيها يا إلهي. !

. . وهنا لا بدَّ أن أسألك وهل تقبل أن تكون موجوداً إذا كان ذلك كذلك، أو هل تغفر لمن زعموك موجوداً، أو هل تعجز عن أن تفهم الاحترام أو التنزيه أو التكريم الذي يهبك إياه من نفاك، من لم يجدك موجوداً؟ أليس قولك يا إلهي أي لو قلت: إني أرفض أن أكون أو أرى موجوداً يساوي أن تقول: إني أرفض أن أكون كل النذالة والقبح والسفه والعبث والعذاب والتعذيب والظلم لأن وجودك يعني حتماً أن تكون كل هذا، أن تكون كل هذا إرادة وتدبيراً وتخطيطاً وتفكيراً ورغبة وموهبة وخلقاً بل ومواجهة

ومعايشة. آه يا إلهي. إني أرفض أن أكون مواجهاً أو رائياً لكل هذا فكيف تقبل أنت أن تكون مريداً وفاعلاً كل هذا؟

.. نعم، إن رفضك لأن تكون موجوداً أي لو رفضت يساوي ويعني أن تقول إني أرفض أن أكون هذا الذباب أو هذا الصرصار أو هذا البرغوث أو هذه القملة، كما أن قبولك لأن تكون موجوداً يساوي ويعني قبولك أن تكون كل هذا بل وفرحك وإعجابك وسعادتك بأن تكونه وبأن يكون أي الذباب والبرغوث والصرصار والقملة تفسيراً لجمالك وحبك ونظافتك وفنك وعبقريتك ولكل مستوياتك ورؤاك وأشواقك النفسية والعقلية والأخلاقية. نعم، أنت موجود يا إلهي إذن فكل الحشرات والدمامات والآلام هي بعض تفاسيرك.!

.. إني حائر ومفجوع.. حائر ومفجوع يا إلهي كلما حدقت فيك وحاولت أن أفهمك وأنا دائماً أقاسي هذا التحديق وهذه المحاولة لفهمك. إذن هل تستطيع أن تتصور قسوة عذابي، عذاب حيرتي وانفجاعي؟ أليست لديك مرآة ترى بها وجهك؟ هل أنت بلا رؤية، بلا عينين؟

آه يا إلهي لو رأيت نفسك، وجهك إنك حينئذ لن تجد مكاناً يقبلك هارباً إليه!

.. لماذا يا إلهي تريد أن تكون موجوداً وتريد أن تزعم وترى وتعلن موجوداً؟ لماذا تجن بذلك فرحاً وسعادة ورضا وكبراً ومجداً؟

هل فهمت أو فكّرت لماذا تفعل ذلك؟ لماذا جاءت تصوراتك وشهواتك ورغباتك كما جاءت؟ من صاغك هذه الصياغة ولماذا صاغك من صاغك أو لماذا صغت نفسك يا إلهي هذه الصياغة؟ هل تمنيت لنفسك صياغة أخرى؟ لماذا لم تتمن وتفعل؟

هل فكرت أو فهمت أو تساءلت ما الذي تربحه أو تستفيده من ذلك أي من وجودك ومن اعتقادك وإعلانك موجوداً؟

هل يمكن تصور سذاجة أو بلاهة أو طفولة تشبه سذاجتك أو بلاهتك أو طفولتك يا إلهي في إصرارك على أن تكون موجوداً وعلى أن ترى وتعلن موجوداً وفي فرحك وسعادتك ومطالبتك بذلك وفي رضاك عنه.؟ آه. إن فرحك بأن ترى وتعلن كل الجمال أشرس وأكثر حماقة ونزقاً من فرح أية غانية بأن ترى كل الجمال والغواية.!

هل فكرت أو عقلت أو تساءلت أو سألت: ما الذي يفرحك أو يسعدك أو يمجدك أو يرضيك في أن تكون موجوداً كما أنت موجود في المكان والظروف والمواجهات التي أنت فيها موجود لكي تكون محكوماً عليك بأن تواجه وترى وتسمع وتقرأ وتعايش

وتعاشر وتستقبل كل عاهات وتشوهات وقباحات ووقاحات وأنات وصرخات وآثام وآلام وفضائح كل هذا الوجود وكل شيء ولكي تكون مسؤولاً عن كل ذلك ومفسراً مرئياً به بل وفاعلاً له؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد كائن أو فاعل بلا ثمن أو فرح أو سعادة أو مجد أو متعة غيرك يا إلهي؟

هل أنت يا إلهي شاذ شذوذاً لا نموذج ولا مقاييس له؟

هل أنت شاذ شذوذاً يجعل كل سعادتك وفرحك ورضاك ومجدك وكبريائك في أن ترى وتواجه وتسمع وتعايش وتعاشر بل وتريد وتشتهي وتعشق وتخطط كل هذا القبح والغباء والألم والتفاهة والعبث والافتضاح والعار والهوان ثم تفعله؟

هل هذا هو كل فنونك وأشعارك واستمتاعك وصلواتك ومغازلاتك وأغانيك لنفسك؟ إذن هل يمكن أن يرتفع أي شذوذ وكل شذوذ ليكون شيئاً من شذوذك؟

إذن هل يستطيع أو حتى يجرؤ جميع المحللين والمعالجين النفسيين والعلميين والعقليين والأخلاقيين أن يحللوك أو يصفوك أو يفهموك أو يقرأوك أو يداووك يا إلهي بل أو حتى يحدقوا فيك أو يقتربوا منك؟ إنك يا إلهي الشذوذ الشامل المعجز لكل المفسرين والمحللين والمداوين. !

إنك العلة والخطيئة اللتان لا تستطيع كل التوبات والصلوات وعبقريات الطب شفاءهما أو غفرانهما. !

.. لهذا كم أنا حائر ومفجوع كلما حاولت أن أحدق فيك أو أقرأك أو أفهمك أو أفسرك أو أقرأ أو أفهم أو أفسر كل من زعموك موجوداً وأرادوك ورضوك واحترموك وأحبوك موجوداً، زاعمين معتقدين معلنين أنهم يمجدونك ويرضونك ويفرحونك ويسعدونك ويخدعونك حين يزعمونك ويعلنونك موجوداً بلا أي شرط لك أو لوجودك أو لإعلان وجودك من شروط الجمال أو الحب أو العقل أو الكرامة أو السعادة. !؟

.. إني أريد أن أقول لك يا إلهي أقول وأقول وأستمر أقول أي لك متحدثاً إليك عن آلامي وفواجعي بك ومعك راجياً أن تصدقني. !

ولكني لا بد أن أفهمك وأعذرك وأغفر لك يا إلهي إن لم تصدقني. !. ألست عربياً؟ وهل يجوز أن يلام من لم يصدق العربي؟

هل تلام إذا لم تجز أي عربي على إعلانه الإيمان بك لأنك لا تستطيع تصديقه؟

.. نعم، كيف ألومك إذا لم تصدقني وأنا عربي وقد جربت وعرفت هل يمكن أن يصدق العرب وهل يجوز أن يصدقوا بل وهل ينتظرون أو يريدون أو يرجون أن يكونوا صادقين أو مصدقين.!

.. بل إني لن أعذرك أو أغفر لك لو صدقت أي عربي بعد أن عرفت وجربت العرب كل العرب في كل تاريخك وتاريخهم.!

.. إذن هل أنا سخيف جداً حين أطالبك وأرجوك أن تصدقني أي حين أقول لك بكل مشاعر الحرج والاستحياء والأمل وبكل إرادة الصدق والتصديق.

ـ نعم، حين أقول لك إني عاجز عن أن أفهم أيكما أكثف غفلة وتغفيلاً: أنت حينما رأيت أن وجودك وإعلان وجودك مجد وتكريم لك أم المؤمن بك حينما اعتقد وأعلن أنه بإيمانه بل إنما يمجدك ويكرمك ويسعدك ويرضيك بل إنما يضع على جسدك ووجهك وثيابك وعرشك وسريرك كل العطور والأصباغ والحلى والحلل، وكذلك حينما عجزتما أي أنت يا إلهي والمؤمن بك عن أن تفهما أنه لا تحقير أو تلويث أو تشويه أو إيذاء أو تعذيب أو اتهام لك يا إلهي أو لأي شيء أو لأي أحد مثل التحقير والتلويث والتعذيب والتشويه والإيذاء لك يا إلهي بزعمك واعتقادك موجوداً ومثل اتهامك بذلك؟

أحسب يا إلهي أك قد تراني قاسياً أو حتى فظاً في محاورتي ومحاسبتي لك، وقد أبدو كذلك. وقد أعذرك في اتهامك لي بهذه القسوة والفظاظة، مع أني مقتنع أن كل قسوة وفظاظة تحاسب وتحاور بها أنت يا إلهي لا بدَّ أن تكون رفيقة ورقيقة ورحيمة مهما كان عنفها وغضبها لأن أخطاءك وخطاياك أكبر من كل شيء من كل حوار وحساب وعقاب، أكبر من كل شيء لأنها كل شيء. نعم، يا إلهي هل يوجد شيء غير أخطائك وخطاياك؟

.. ومع هذا فإني حريص جداً على أن تعرف أن ما تراه مني قسوة أو فظاظة ليس إلاّ شيئاً من الغيرة عليك ومن العتاب الحاني والتأميل المصدوم..

ومحاورتك ومحاسبتك بكل القسوة والغضب والعتاب الحاد كان يجب أن تكون هي البدء أي هي بدء التعامل والتخاطب والتلاقي معك لأن كل شيء يوجب ذلك ويحرض عليه ولكن الذين وجدوك وعاملوك ولقوك وخاطبوك لم يفعلوا شيئاً من ذلك مع أن كل مواجهاتهم ورؤاهم وتجاربهم وبداياتهم ونهاياتهم تحاصرهم ملزمة لهم أن يفعلوه أي أن يفعلوا هذه القسوة والفظاظة أو ما يحسب قسوة وفظاظة أي في محاورتك ومحاسبتك.!

ولكنهم استبدلوا بذلك النقيض. . فعلوا ما لم يكن محتملاً أو مقبولاً أو معقولاً أو مغفوراً أو منتظراً أن يفعلوه. !

لقد ذهبوا بكل الهوان والغباء والافتضاح يدللونك ويحابونك ويمجدونك ويمتدحونك ويعلنون بكل الأصوات واللغات والأساليب عن حبهم لك ورضاهم عنك وإعجابهم بك وعن شمول وسخاء وفيضان وطوفان رحمتك وشهامتك ورقتك وعدالتك وعن بحار دموعك وأحزانك ورثائك واعتلالك من أجلهم وخوفاً وحناناً عليهم وشوقاً إليهم واهتماماً بهم.

ـ نعم، لقد ذهبوا يفعلون ويقولون ويعلنون وينشدون ويقرأون ويفسرون ذلك كلما أمطرتهم وأغرقتهم وأحرقتهم بكل الأوبئة والمجاعات والقباحات والوقاحات والمظالم والآلام يا إلهي المخدوع المكذوب عليه والمخدوع به وباسمه أبداً. . !

نعم، لقد ذهبوا وظلوا يفعلون ويقولون ذلك ويعلنون عن إيمانهم به حتى أفسدوك وضللوك يا إلهي وأصابوك بكل معاني الغرور الأبله الأعمى العاجز عن كل رؤية بل الفاقد كل رؤية والرافض لكل رؤية. !

. . لقد ذهبوا وظلوا يفعلون ويقولون ويعلنون ذلك ضعفاً وخوفاً وملقاً ونفاقاً وخداعاً لك يا إلهي بينما كانوا يرون ويواجهون ويجربون ويعرفون ويقاسون النقيض، النقيض جداً. . !

لقد ذهبوا يكتبونك يا إلهي ويقرأونك ويفسرونك ويعلنونك ويعلمون عنك وبك نقيض ما يواجهونك ويرونك ويجربونك ويفهمونك ويقاسونك ويتعذبون بك وبكل حماقاتك وبداواتك وضلالاتك مثلما كانوا مع حكامهم وطغاتهم. !

أليسوا أي كل البشر أو بعضهم وكل العرب حتماً من هؤلاء الذين هم بعض البشر أي:

ـ أليسوا يهتفون لعدالة وشهامة وحكمة ورحمة وبسالة وعظمة حكامهم وطغاتهم بقدر ما يقاسون ويرون ويعرفون من جورهم ونذالتهم وجهالتهم وضآلتهم وقسوتهم وجبنهم وضلالهم وقياداتهم المدمرة؟

أليسوا يفعلون ذلك جبناً ونفاقاً وخداعاً واحتيالاً وأيضاً بفعلونه جهلاً وغباء ونذالة وتقليداً وميراثاً واستمراراً واحتياجاً إلى الهتاف والصراخ والتعبير الاستفراغي؟

أليس الإنسان يؤمن ويصلّي ويتعبد ويهتف ويمدح ولو أحياناً لأنه محتاج إلى أن يستفرغ بالصوت والحركة لا لأنه محتاج إلى الإله؟

. . ولكن أليس يحق لك يا إلهي أن تفخر بتفوق حظوظك على حظوظ كل الطغاة الجهلاء المذلين المدمرين الذين تصاغ لهم كل المدائح والصلوات والهتافات في كل العالم العربي، في كل التاريخ العربي، وأيضاً في غير العالم العربي في كل التاريخ أو في أكثر فترات التاريخ أي حينما يستحقون نقيض ذلك، أي حينما يستحقون الطرد والصلب واللعن؟

أليست كل الزعامات والقيادات العربية في كل التاريخ لا تستحق إلاّ الطرد والصلب؟

أجل، أليس يحق لك أن تفخر بتفوق حظوظك في هذه القضية على حظوظ جميع المماثلين والمنافسين والمشبهين لك في جودة حظوظهم حين كان يجب وينتظر أن تكون حظوظهم أردأ الحظوظ؟

أليست ذنوبك وأخطاؤك ووقاحاتك وقبائحك يا إلهي أكبر وأشمل وأقسى من كل ما يمكن أن يريد ويدبر ويستطيع ويفعل كل الآخرين المماثلين لك من ذلك؟

بل أليست كل الذنوب والأخطاء والوقاحات والقبائح هي منطقك وأخلاقك وبناتك وأبناءك وحدك، وحدك؟

ثم أليست المدائح والصلوات والهتافات والدموع التي ترفع إليك شكراً لك على ذنوبك وأخطائك ووقاحاتك وقبائحك ووحشيتك أعظم وأشمل وأدوم وأصدق وأكثر إذلالاً وافتضاحاً وغباء من كل ما يرفع من ذلك إلى أمثالك؟ إنه لا أحد يساويك في ضخامة الذنوب والأخطاء ولا أحد يساويك موهوباً كل المديح والشكر والإعجاب والحب والإيمان بك. !

إذن أليست حظوظك التي وهبك إياها جبن الإنسان وهوانه وغباؤه. . التي وهبك إياها بكل الضخامة والسخاء جبن الإنسان العربي وهوانه وسخاؤه هي أعظم من كل الحظوظ؟

إذن أليس يحق لك يا إلهي أن تباهي وتسعد وتفرح بتفوق حظوظك على كل حظوظ كل الآخرين في هذه القضية قضية الامتداح والشكر والحب والإعجاب والإيمان حيث يجب الذم والرفض والطرد والاشمئزاز؟

وقد تكون رؤيتك وتفسيرك وإعلانك كل الجمال والحب والرحمة والحكمة والعدل والذكاء ومدحك بكل ذلك بينما أنت النقيض الحاد الشامل لكل هذا هو الذي

لقن وعلم وروض البشر ولا سيما العرب على أن يفعلوا الشيء نفسه مع قاهريهم ومذليهم ومفقريهم من الحكام والقادة والأنبياء أيضاً. نعم، والأنبياء أيضاً. هل أهان معاني الإنسان مثل الأنبياء؟

هل أساء إلى ذكاء الإنسان وحريته وكرامته وحبه بل وإلى إنسانيته مثل أنبيائه؟

.. ألست يا إلهي أنت البدء في كل شيء ولكل شيء والمعلم لكل شيء ولكل أحد كل معانيه وتفاسيره ونماذجه؟ إذن لا بدَّ أن تكون أنت الأول الذي علم العرب وعلم أحياناً غيرهم أن يعبدوا حكامهم وزعماءهم وأنبياءهم وقادتهم وأن يروهم كل الجمال والرحمة والحكمة والحب حيث كان الواجب أن يطردوهم ويصلبوهم ويلعنوهم وأن يروهم ويفسروهم ويعلنوهم كل الدمامة والوقاحة والسفاهة والوحشية والضلال والبغضاء؟

من رأوك وأعلنوك يا إلهي كل الجمال والمحبة والرحمة والعبقرية كيف ينكر منهم أو لا ينتظر منهم أن يروا ويعلنوا أردأ وأقبح حكامهم وزعمائهم وأنبيائهم هم أعظم وأشمل وأصدق منك جمالاً ومحبة ورحمة وحكمة وعبقرية، بل وأن يروا ويعلنوا كل الأشياء وأقبح الأشياء هي كل هذا الكمال والجمال؟

أنا يا إلهي أراك كل صيغ وتفاسير كل الجمال والكمال أي لو كنت أراك كذلك وأنت مريد ومخطط وعاشق وصانع كل ما أواجه وأرى وأعرف وأقاسي!

إذن كيف لا أرى كل شيء هو كل صيغ وتفاسير كل الجمال والكمال؟

إن المنطق والصدق والشرف ليحتم يا إلهي على من رأوك كل الجمال والكمال المطلوبين المتصورين ألا يروا شيئاً إلاّ كذلك، بل ليحتم عليهم ألاّ يضعوا في لغتهم كلمة: قبيح أو وقح أو فظ أو قاس متوحش أو ظالم أو نذل أو أعمى أو بليد أو سفيه أو عاجز أو أصم أو أناني أو كاذب. أليس كل ما نراه ذميماً ودميماً وبليداً وشراً هو ولادة يديك ومنطقك وأخلاقك وشهوتك وإرادتك وموهبتك؟

.. إنه لشيء يؤجج كل الغيظ والغضب أن يصفك يا إلهي واصف بكل الرحمة ثم يجرؤ على أن يصف أي طاغية قاتل للشعوب ومخرب للمدن أو أي وحش بالقسوة أو بالوحشية بل ثم لا يصف هذا الطاغية أو الوحش بكل الرحمة والحب والحنان بل ثم لا يطلب من هذا الطاغية أو الوحش أن يهبك ويعلمك يا إلهي شيئاً من رحمته ومحبته وحنانه.!. إنه لا أكذب أو أقبح أو أنذل أو أظلم من العين التي تراك كل الجمال ثم ترى أي دميم دميماً أو ترى أية دمامة.! آه يا إلهي ما أقسى وأدوم تعذيبك لي بقراءتي

وتفسيري ومحاسبتي لك. !. ما أقسى عذاب من يراك ويقرأك ويفسرك ويحاسبك ويشترط فيك ولك وعليك!

. . ألم تفطن إلى ذلك؟ ألا يعذبك أو حتى يعاتبك ضميرك؟ ألا ترى أن أقل ما يجب عليك أن تعتذر وتتوب إلى أن لم ترد أو تستطع أن تفعل ما هو أنفع وأكبر وأشفى من التوبة والاعتذار؟

نعم، ما أقسى عذاب التحديث فيك يا إلهي. . ما أقسى عذاب رؤيتك من كل جهاتك وأطرافك في كل حالاتك وتفسيراتك وتعبيراتك. . ما أقسى وأفجع رؤيتك عارياً ولابساً، لابساً كل هذا الكون، كل ثيابك. !

أليس هذا الكون هو كل ملابسك وزينتك وحليك. ما أقسى عذاب رؤيتك لابساً كل مالك وحليك وزيناتك. . كل عباءاتك وكوفياتك وعقالاتك وجلابيبك. !

ما أقسى وأفجع رؤيتك في كل حالاتك، لهذا ما أقل من يفعلون ذلك. !

ليتك يا إلهي تجرب ذلك أي تجرب قسوة وفجيعة وعذاب من يرونك.

. . ليت الآخرين يجربون ذلك بالقسوة التي بها أجربه. !

لماذا أنا وحدي؟ لماذا أنا وحدي أتعذب برؤيتك وقراءتك وتفسيرك ومحاسبتك بكل هذه القسوة والديمومة؟

لماذا لم تعاقب أنبياءك وملائكتك برؤيتك وقراءتك ومحاسبتك وتفسيرك كما عاقبتني؟

هل أنا وحدي نبي أو شاعر أو فنان أو قديس؟ لا، أنا لست شيئاً أو أحداً من هؤلاء أو من رؤاهم أو معانيهم أو أخلاقهم أو تفاسيرهم أو فرحهم. !

إني لو كنت واحداً منهم لما رأيتك أو قرأتك أو فسرتك أو حاسبتك، لما تعذبت بذلك!

. . إن هؤلاء جميعاً لم يروك يا إلهي أو يقرأوك أو يفسروك أو يحاسبوك. لهذا رأوك وقرأوك وفسروك وأعلنوك كل جمال وحب الشعر والفن والنبوة والقداسة والألوهية. !

إنه لا يستطيع أو يريد أن يراك يا إلهي إلاّ العاجزون عن رؤيتك الرافضون لها. . لقد قتلوا عيونهم وعقولهم وضمائرهم وأخلاقهم وكل شاعرياتهم ونبواتهم وقداساتهم وفنونهم ثم رأوك وقرأوك وفسروك وأعلنوك بل لقد ركبت فيهم عيون وعقول وأخلاق

وضمائر ونبوات وقداسات وشاعريات وفنون مزورة ثم رأوك وقرأوك وفسروك وأعلنوك بها. إنها لم تكن مزورة فقط بل ومضادة لوظائفها وتفاسيرها. أليست أكثر العيون والعقول والأخلاق والضمائر والنبوات مركبة مزورة صناعية؟

.. آه. هل يمكن أن يوجد أعمى أو أغبى أو أكذب من الشاعر أو الفنان أو النبي أو القديس الذي يتحدث عن أي شيء أو عن أي معنى جميل أو نبيل أو رحيم أو تقي أو فني أو شاعري أو إنساني فيك يا إلهي أو في ثيابك أو حليك أو أصباغك، أو يشتاق إلى هذا الشيء أو إلى هذا المعنى فيك أو في ثيابك أو حليك أو أصباغك أو زيناتك؟

هل وجد أغبى أو أعمى أو أكذب أو أخدع من النبي أو الشاعر أو الفنان أو القديس؟

.. إن أي شاعر أو فنان أو مفكّر أو نبي يراك جميلاً أو فناناً أو منطقياً أو أخلاقياً لن يكون شاعراً أو فناناً أو مفكراً أو أخلاقياً أو نبياً إلاّ بقدر ما أنت إله، أو إلاّ بقدر ما الذباب أو الصرصار أو البرغوث أو القملة أو العاهة في الوجه الجميل جمال أو رحمة أو محبة أو فن أو كبرياء أو فرح أو ابتسامة أو هدية أو زينة أو مائدة إله. !

إن من يراك يا إلهي كل الجمال والحب والرحمة لهو أردأ ممن يرى الذباب كل ذلك. !

.. إن الشاعر أو النبي أو المفكر أو المؤمن الذي يتحدث عن جمالك أو عن حبك أو عن رحمتك أو عن مجدك وعظمتك ونظافتك إنما يتحدث عن جمال وحب ورحمة ومجد وعظمة ونظافة الحشرات والعاهات والتشوهات والأوبئة وجراثيم الأمراض وكل ما يصنع الأنين والدموع والأحزان والآلام والافتضاح والعار والهوان. !.. ألست يا إلهي مريد وعاشق ومخطط وصانع كل ذلك؟ إذن أليس كل ذلك هو أنت، هو عقلك وضميرك وأخلاقك وجمالك؟

.. إن الإعجاب بك يا إلهي، بأي معنى أو تفسير أو نموذج من معانيك أو تفاسيرك أو نماذجك أو بأي شيء فيك؟

ـ نعم، إن هذا الإعجاب نفي لكل الشعر والنبوات والتفكير والإيمان.. إن أحداً لن يعجب بك يا إلهي إلاّ بقدر ما يعجب بالعاهة في وجهه وبالداء في جسمه وبالذباب فوق طعامه.

.. إن أي شاعر يرى أية عاهة وبيلة في وجه جميل بريء أو يسمع أنة قلب حزين كسير مهان مفجوع أو يعجز أو يتغافل أو يغفل عن رؤية ذلك وسماعه أو يغفره أو يراه

إحدى صيغ الجمال وتفاسيره وفنونه العبقرية ثم يذهب يزخرف القصائد ويغنيها في جمال الإله وجمال الكون وكل شيء.. في جماله النفسي والفكري والفني والأخلاقي والذاتي فلن يكون شاعراً مهما كتب القصائد وزخرفها وأنشدها.. فلن يكون شاعراً إلاّ بقدر ما الذباب أو الصرصار أو البرغوث أو الضفدعة أو الغراب أو أي كائن آخر من هذه الكائنات شاعر حين يطلق نقيقه أو نعيبه أو طنينه أو عواءه.!. أليس أكثر الشعراء ولا سيما شعراء العروبة يعتدون على الشعر أكثر من اعتداء الكائنات الناعبة والعاوية والناقة والطانة؟

.. أطالبك يا إلهي أن تتصور هذه الصورة التي أتصورها أنا الآن بل ودائماً.

إنها واقع، واقع مهما كنت أو عرضت وكتبت تصوراً..!

تصور أو انظر يا إلهي هذه الصورة أي الواقع. انظر واسمع.. ها هو أحد أنبيائك أو دعاتك المعلمين المفسرين لك واقفاً على منبر في ملجأ أو مصح وأمامه أو تحته حشود المصابين بكل العاهات والتشوهات والدمامات والأمراض والآلام والنقائص.. المصابين بأقساها وأكثرها قبحاً وإيلاماً وتعجيزاً وترويعاً وإذلالاً..

يتحدث إليهم بكل الفخر والجهر والكبرياء والتدلل عليهم نيابة ووكالة عنك، يتحدث عن جمالك وحبك ورحمتك وحكمتك وشهامتك وعن حبك بل عشقك للجمال والحب والرحمة والحكمة والشهامة، ويدلل بكل الإيمان واليقين المشحون بكل الغرور على أنك كذلك بإصابتك لهم بكل ذلك تدبيراً ومشيئة وتخطيطاً وتنفيذاً.. طالباً منهم بكل التعالي والمن عليهم أن يهتفوا ويصلوا لجمالك وحبك ورحمتك وحكمتك وشهامتك، ويهددهم بكل العذاب والعقاب والجحيم إن لم يفعلوا ذلك بكل الهوان والإيمان والديمومة..

هل تستطيع يا إلهي أن تتصور هذا التصور أو ترى هذا الواقع الدائم المتكرر دون أن تفعل شيئاً عنيفاً جداً ضد نفسك ووجودك وضد من يعلمونك ويفسرونك؟ كيف لم ترَ ذلك ولا مرة واحدة، أو كيف لم تفعل هذا الشيء أو العقاب العنيف جداً ضد نفسك ووجودك وضد معلميك ومفسريك إن كنت قد رأيت أو حتى تصورت ذلك ولو مرة واحدة؟

قبيح جداً ألا تكون قد رأيت ذلك وقبيح جداً أن تكون قد رأيته ثم بقيت داخل ذاتك.

.. أريدك وألزمك بل وآمرك يا إلهي أن تتصور هذا المنظر وأن تقرأه وتفسره

وتفهمه وتحاسبه ثم تقرأ وتفهم وتفسر وتتصور وتحاسب نفسك وسلوكك وأخلاقك به أي بهذا المنظر الذي سأعرضه وأقرؤه عليك بكل الانفجاع والروع والترويع. .

إنه طاغية مجنون شوه وقطع وعذب عديداً من الأطفال والشيوخ الأبرياء وأوقع بهم كل العاهات والتشوهات والدمامات والآلام والهموم والعار والفضائح والعجز ووضعهم في ملجأ أو سجن أو قبر أو أقام أمامهم وفوقهم منابر ليصعد فوقها خطباء وشعراء وفقهاء بل وأنبياء ليلقوا الخطب والقصائد والأغاني والأناشيد بل وليتلوا الآيات والسور في تمجيد وتفسير وتسجيل جمال وحب ورحمة وحكمة وشهامة ورأفة وإنسانية وشاعرية وحضارية هذا الطاغية المجنون، ليقف هو مسحوراً مبهوراً راضياً عما يرى ويسمع ويواجه. بل ويذهب هؤلاء الخطباء والشعراء والأنبياء يطالبون هؤلاء الأطفال والشيوخ بالهتاف والصلاة لرحمة وحكمة هذا الطاغية المجنون.

. . فكّر يا إلهي هل يمكن أن يوجد مثل هذا الطاغية المجنون؟ ولو وجد فهل يمكن أن يساويك أو يشبهك يا إلهي طغياناً وجنوناً وقبحاً وافتضاحاً؟

كيف يا إلهي عميت كل هذا العمى عن رؤية قبحك وافتضاحك؟

من هذا الكائن الذي أصابك بكل هذا العمى؟ إن كل عمى كل العميان لا يستطيع أن يكون شيئاً من عماك. إن أحداً لن يعجز عن رؤية قبحه وافتضاحه اللذين هما كل القبح والافتضاح إلاّ أنت!.

ليتك تستطيع أن ترى لكي أقول لك: انظر، انظر. .

إنك يا إلهي لتشوه الوجه الجميل البريء بكل العاهات والتشوهات وبأبشعها ثم تطالب صاحب هذا الوجه بل ثم تفرض عليه أن يتحدث عن جمالك ورحمتك وعن عشقك للجمال والرحمة، بل وأن يرى كل جمالك ورحمتك في وجهه، بل وأن يرى في تشوهات وعاهات وجهه كل تفاسير ونماذج وفنون الجمال والحب والرحمة، بل وأن يظل يعلن أنك لم تصبه بما أصبته إلاّ لأنك تخصه بالمزيد من الحب والرعاية والحماية والاهتمام والتجميل، بل وأن يؤمن بأنك لم تصبه بذلك إلاّ لكي تسعد وتفرح وتنتشي بالنظر إلى عظمتك وحكمتك ورحمتك وعبقريتك وقسامتك معروضة في وجهه، ولكي ترقص وتغني لمجدك كلما حدقت في آثار أنيابك في وجهه، ولكي تتدارس مع ملائكتك نبل تفاسيرك مكتوبة على سطور وجهه. !. .

. . وإنك كذلك لتفقأ العينين القائدتين الهاديتين إلى الطريق وإلى المعبد والعمل وإلى قراءة كتبك وتعاليمك المقدسة وإلى رؤية عبقريتك وجمالك معروضين ومقروءين

ومرئيين في شموس ونجوم وحشرات وعاهات هذا الكون، ثم تفرض عليه أي على من أغلقت عينيه أن يعتقد ويعلن أنك لم تفعل به ما فعلت إلاّ لكي يرى أكثر وأقوى وأشمل وأصدق وأبعد أي إلاّ لكي يراك ويرى وجهك وجمالك وجمال صورك وأثوابك وحليك أي جمال كونك الذي هو كل صورك وأثوابك وأصباغك وحليك، وأيضاً لكي يرى براهين وجودك ووحدانيتك، ولكي يرى الطريق إلى نفسه وإليك هذه الرؤية التي هي أكثر وأقوى وأشمل وأصدق وأبعد. . !

. . وأيضاً فإنك تريد للإنسان أن يضل ويفقد عقله وتدبر وتخطط وتفعل له وبه ذلك وتعلن المباهاة وعلى ألسنة كل النبوات أنك أنت الذي ضللته وسحبت منه عقله وختمت على عقله وقلبه لئلا يهتدي أو يرى أو يفهم أو يعقل، وأنك قد شئت ودبرت وأحببت له ذلك ونفذته فيه بكل قوتك وعبقريتك وأجهزتك وألوهيتك وأنه لا يمكن كما لا تقبل أن يحدث غير ذلك.

ـ نعم، يا إلهي إنك لتفعل ذلك بالإنسان وله بكل الإعلان والجهر والفخر بالقوة وبالانتصار المحتوم ثم تذهب تلعنه وتحقره وتتهمه وتعلن عليه كل الحروب والغضب وتعد له الجحيم وتتوعده بكل ألوان العذاب والعقاب أي لأنه هزم أمامك ولأنك انتصرت عليه ولأنه استجاب وخضع لما أردت وخططت وأحببت ودبرت له ومنه ونفذت به أي لأنه لم يستطع أو يرد أن يعصى أو يقهر ويهزم قوتك ومشيئتك ورغبتك وحكمتك وتخطيطك وتدبيرك وفرحك وإعجابك بنفسك وبألوهيتك التي لا تقبل أن تكون مهزومة حتى ولو لطاعتك وعبادتك وللإيمان بك، أي لأنك بكل عضلاتك وطاقاتك وأشواقك وزبانيتك ومكرك قدته إلى الضلال والغواية بكل أساليب ووسائل الإغراء والإغواء والخداع والقهر والإلزام. .

حتى أنك كما تقول ويقول خاتم أنبيائك قد حكمت عليه بذلك قبل أن تخلقه وتراه وتعرفه وتدرسه وتجربه وقبل أن يعصيك أو يؤذيك بشيء أو يستطيع ذلك.

نعم، قد حكمت عليه بذلك حكماً لا يقبل أي نقض أو إلغاء أو حتى مراجعة ثم سجلت هذا الحكم عليه في جميع سجلاتك بتوقيعك وبشهادة وضمان وحراسة وتوقيع كل أعوانك الذين هم أكثر وأقسى من أعوان جميع الطغاة الأشرار إخلاصاً وحماساً وتنفيذاً لطغيانك.

إنك أنت وحدك يا إلهي الذي يحكم بالجريمة والعقاب قبل أن يوجد المجرم المعاقب، ويقود إلى الإجرام لأنه قد فرض العقاب وأراده وسجله. إنك تصنع الجريمة لأنك قررت العقاب. !

.. إن جميع خطواتك وتخطيطاتك وتصرفاتك وتدبيراتك وأفعالك يا إلهي هي كلها مثل هذا الذي عرضت عليك وصورت لك. إنه ليس فيها أو منها شيء واحد يقبله أو يعقله أو يفهمه أو يغفره أو حتى يتصوره أي نموذج أو تفسير من نماذج أو تفاسير أي عقل أو منطق أو خلق أو فن أو شهامة أو كرامة أو مصلحة أو حتى ضرورة!.

... بل إنها جميعاً في كل الحسابات والتفاسير أكثر وأقبح من كل جنون ومن كل حماقة وسفه وعبث وافتضاح وإجرام وقبح ووحشية..!

.. إنها كلها خروج على كل المعقول وغير المعقول وعلى كل المقبول والمرفوض وعلى كل الواقع والمنتظر والمتمنى والمحتمل.!. إن كل تصرفاتك وأخلاقك لن تكون أملاً أو مثالاً أو تصوراً أو خلقاً أو منطقاً لأي أحد أو لأي شيء.!

.. إنك يا إلهي في كل معانيك وتفاسيرك صيغة لا يستطيع أن يقبلها أو يفهمها أو يحترمها أو يقرأها أو يفسرها بل أو أن يحدق فيها أي باحث عن الجمال أو الذكاء أو العقل أو الحب أو الفن أو الوقار أو الاستتار، ولا أي باحث عن نقيض ذلك ولا أي عاشق لذلك أو عاشق لنقيضه.!

نعم، إنك صيغة لا يستطيع أن يقبلها أو يفهمها أو يحترمها أو يقرأها أو يفسرها أو حتى يتصورها أو يغفرها أو يراها أي ملاك ولا أي شيطان، أي عبقري ولا أي إنسان بسيط جاهل، أي متحضر شهم نبيل كريم ولا أي همجي بدوي متوحش نذل لئيم.!. إنك يا إلهي الحروف واللغة التي لا يتسطيع ولا يقبل أحد أن يقرأها أو يتكلمها.!

إنك يا إلهي الوجه الذي لا تقبل أية مرآة أن يقف أمامها أو يرى منها.!

.. ولكي نؤمل أن نفهم ما لا يستطاع العجز عن فهمه فإني يا إلهي سوف أحاسب بين يديك أعلى نماذج سلوكك..!

.. ها أنت قد تساميت جداً في شهامتك وقدرتك ومحبتك وفي عشقك للجمال والكمال وللرضا عن النفس والإعجاب بها والامتداح لها ولعرضها في الأسواق عرضاً تريد له كل الروعة والقوة والتمجيد فخلقت كائناً ووهبته أعلى المستويات الموجودة والمطلوبة والمستطاعة والمتصورة من القوة والشباب والنشاط والجمال والذكاء والنجاح والصحة والسعادة والفرح والرضا. ولكنك يا إلهي قبل أن تخلقه وتصوغه بكل هذه المزايا أو المحسوبة مزايا، أو لأنك خلقته كذلك كنت قد قررت ودبرت وأردت وصممت وسجلت واشتهيت بلا أي ندم أو إشفاق أو استحياء أو تكرم أو توبة أو تراجع

أو حتى تخاطب وتساؤل مع النفس أن تفعل به ما سأعرض عليك إذ يبدو أنك لا ترى أو تعرف أو تتذكر ما تفعل.

.. إنك إما أن تفاجئه وهو في قمة ذاته وقمة معانيه فتطلق عليه بكل تفاسير الغدر والخسة ونياتهما رصاصة قاتلة عقاباً له على ما أعطيته واسترداداً لما أعطيته وحسداً له وندماً لأنك أعطيته، ومبالغة في القسوة والنذالة لأنك أردت ودبرت إسقاطه من أعلى الدرجات وأبعدها عن السقوط والإسقاط وعن التفكير في السقوط والإسقاط وعن احتمالهما وتوقعهما.. ما أصدقك وأسخفك يا إلهي وما أقل حياءك وذكاءك ووقارك حينما قلت ممجداً نفسك: «واللّه خير الماكرين»..!

.. وإما أن تطلق عليه العديد من الرصاصات المتعاقبة الجارحة المحطمة المضعفة المعذبة المشوهة غير القاتلة لكي يكون قتله مرّات، مرّات، جزءاً، جزءاً وعضواً، عضواً وضربة، ضربة مبالغة في التعذيب والتشويه والقسوة والانتقام والترويع، ومبالغة في الاستجابة لرغبتك وشهوتك في رؤية العذاب وإيقاعه وفي الاستماع إلى أناته.!

فتذهب بكل النذالة والوحشية تصيبه تتابعاً بهذا المرض وهذا الضعف وهذا الهوان وهذا الخوف وهذا التشوه وهذه الدمامة وهذه الهزيمة وهذه الغلظة وهذا الافتضاح والسقوط والعار إلى أن يذوب ويحترق تحت تراكم وتتابع هذه الضربات وأنت تنظر إليه يا إلهي من فوق كل قمم النشوة والفرح والرضا والإعجاب بالنفس وبالتدبير والدهاء والخداع الذي استطعت به أن تصل إلى هذا وأن تتقن وتنجز به كل ضرباتك هذه بكل هذه الروعة والقوة والقسوة والبراعة والانتصار.!.

إنه لا أحد من الضعفاء أو الأقوياء يفخر ويفرح بمكره وخداعه ويعلن عن مكره وخداعه وعن فرحه بمكره وخداعه غيرك أو مثلك يا إلهي.!

.. وقد تختار أن تقلل من الرصاصات التي تطلقها عليه لأسباب غير أخلاقية أو اقتصادية أو سياسية أو حضارية أو علمية.!

وهو يعرف أن كل رصاصاتك موجهة إليه كل أوقاته وأين كان وقد تطلقها عليه في أية لحظة.!

.. نعم، تتركه يزحف إلى الشيخوخة التي زرعتها ووضعت قوانينها في جسده.. يحبو إليها بكل تشوهاتها وبلاهاتها وآلامها وأحزانها وعجزها وضعفها ونبذها وحرمانها وافتضاحها وسخفها وقبحها ليتعذب ويفجع ويعبر ويسب ويتشوه ويعاقب بكل ذلك حتى يصبح هجاءً ولعناً وتحقيراً لكل معاني الوجود والحياة والبقاء انتظاراً لمثل ذلك،

بل حتى يصبح ظلمة في كل ضوء، وظمأ وجفافاً في كل نهر، وعمى في كل عين، ودمامة في كل جمال وقحطاً لكل حقل، وتحقيراً لكل عظمة، وسباباً لكل فرح وتفاؤل وانتصار ونجاح، واستهزاء بكل مولود وبكل والدة ووالد وبكل عرس وبكل احتفال بأي عرس قد يؤدي إلى تناسل.

آه. هل يوجد ما يستحق الاستهزاء مثل العرس الصانع للحبل والولادة؟

.. ثم تسحبه بكل الجفاء والوقاحة لتلقي به في البئر، في بئرك التي لا تمتلئ أو تعاف أو تغضب أو تشمئز أو تتقيأ مهما ألقيت فيها من العفن والقبح والعار والجثث والدموع والأحزان.. إن أعظم قبح هو قبحك يا إلهي الذي استطاع أن يتصور ويصنع قبح بئرك هذه..

.. وهذا الكائن الذي خلقته وفعلت به وله ذلك لم تخلقه أو ترده بفكرة أو منطق ولا لضرورة أو حاجة أو مصلحة له أو لأي كائن آخر حتى ولا لأية حشرة، حتى ولا لك أنت.!

.. إنه لا أقبح أو أسخف أو أنذل أو أظلم أو أسفه من الإيجاد بلا فكرة أو خطة أو حاجة أو ضرورة أو مصلحة. وهل وجد من فعل أو يفعل ذلك غيرك يا إلهي؟ ألست قد خلقت الكون والإنسان بلا أي شيء من ذلك، لكي يصبح سباً وهجاء لكل ذلك بل واحتياجاً إلى كل ذلك؟

.. ثم هذا الكائن الذي فعلت له وبه كل هذا وأوقعت به هذه النهاية ماذا كانت بدايته؟ ماذا كانت؟

ألم تر بدايته يا إلهي؟ هل كنت يا إلهي جاهلاً أو عاجزاً أن تجعل بدايته وكذا نهايته أفضل من ذلك أم كنت متعمداً تحقيره بهذه البداية والنهاية؟

.. هل يقبل أي كائن أن يكون، أن يوجد مهما كانت عظمة كينونته ووجوده لو أنه رأى بداية وجوده وكينونته قبل أن يكون ويوجد وكان مختاراً مخيراً أن يقبل ويرفض؟

كيف كان أسلوب تلقيحه والتلاقح به والاستقبال لهذا التلقيح والتلاقح به، وكيف كان المكان الذي استقبل هذا التلقيح وحمله واختزنه ثم بصقه، وكيف بصقه، وكيف جاء وكان بعد بصقه، وكيف سار في طريقه بعد بصقه؟ كيف قبلت الشموس والنجوم أن تظل في مكانها إن كانت قد رأت ذلك؟ كيف لا يسقطها الاستقباح والإشفاق؟

.. آه هل يقبل أي كائن أن يوجد مهما كان تواضع كرامته بالأسلوب الذي به وجد

أي بالأسلوب الذي قذف به في ذلك المكان وبالأسلوب الذي به استفرغه وبصقه ذلك المكان؟ كيف يجرؤ أي إنسان أن يقول أنا إنسان لو أنه حدق في المكان الذي بصق فيه وبصق منه وكيف بصق وكيف كان بعد أن بصق؟

.. هذا نموذج لأعلى وأكرم وأنبل أساليب تصرفاتك. فهل يمكن أن يوجد أو يتصور مثله في الجنون والحماقة والقبح والوحشية والإجرام والنذالة وفي الخروج على كل القيم والتفاسير والحسابات والتصرفات حتى على أخسها وأوقحها وأقبحها وأكثرها إثارة للغضب والغيظ والاشمئزاز والانفجاع؟ إن كل الأنذل لو جعلوك نموذجاً لأعجبوا بنبلهم وشهامتهم!

... إذن كيف استطاع الكون أو البشر أو أي شيء تقبلك أو التعايش والتعامل معك أو التحدث إليك أو تصورك أو افتراضك كائناً أو شيئاً محترماً...

.. أي شيئاً أو كائناً يمكن أو يقبل أو يغفر أو يفهم أو يستطاع الاستماع إليه والانتظار منه ليكون معلماً وهادياً ومداوياً وحامياً ومنقذاً وحكيماً رحيماً كريماً وأملاً وحباً وفرحاً وهم جميعاً ودائماً يواجهون ويقاسون ويعرفون ويتعلمون ويقرأون هذا النموذج من أخلاقك وهو أسمى وأتقى نماذج أخلاقك؟ ما أعظم صبر البشر أو ما أعظم نذالتهم وبلادتهم وهوانهم حين جربوا التعامل معك ثم قبلوا وكرروا هذا التعامل.!

.. إن البشر لم يفقدوا كل الذكاء والعقل والمنطق والرؤية والكرامة والشجاعة والوقار وكل الاشتراطات والأحاسيس والمحاسبات الأخلاقية إلاّ في تعاملهم معك يا إلهي وفي تصورهم ورؤيتهم وتفسيرهم لك وفي انتظارهم منك ولك وفي تأميلهم فيك وتحدثهم وشكواهم وبكائهم إليك وإعجابهم وإيمانهم بك وفي تنافسهم وتزاحمهم عليك وعلى ادعاء امتلاكك.!

على ادعاء كل فريق بأنك كلك له وحده دون أن يتنازل عن أي شيء منك!

.. أما اختلاف البشر وتعاديهم وتخاصمهم وتلاعنهم وتباصقهم وتقاتلهم وإنفاقهم عليك ومن أجلك ولإرضائك وتنافساً على التقرّب إليك وطمعاً في التفرد بصداقتك وحبك ومناصرتك ومحاباتك فهذا هو القبح والهول الذي لا تستطيع كل العيون وكل البحار والأنهار وكل الشمس والنجوم أن ترى أو تغسل أو تكشف أو تقرأ أو تفسر بل أو أن تواجه كل قبحه وعاره وافتضاحه.. ولكن هل هان أو افتضح أي كائن أو أي إنسان مثلما هان وافتضح الإنسان العربي وأرقاؤه الدينيون في تعامله وتعاملهم معك يا إلهي؟

... أما إيواؤهم أي البشر لك يا إلهي في بيوتهم ومعابدهم وقلوبهم وعقولهم

وأخلاقهم وضمائرهم فإن جميع حضاراتهم وعبقرياتهم وإنسانياتهم وعلومهم لن تستطيع أن تكون شيئاً من التفكير أو التعويض أو الاعتذار عن شيء من ذلك.

بل إن كل ذلك ليغرق في قبح وعار ذلك. بل إن الحشرات لا بدَّ أن تتعذب رثاء لكرامة الإنسان ولذكائه وكبريائه لو أنها عرفت ذلك بل إن إشفاقها حينئذ على الإنسان قد يجعلها تقاسي وتقاسي لكي تعلمه شيئاً من الذكاء والكبرياء والكرامة أو قد يجعلها ذلك تحاول الهجرة من الأرض إلى أي كوكب أو مكان آخر رفضاً لأن تكون مواطنة للإنسان. !

إن أي كائن يلتزم بأي قدر من المنطق أو الأخلاق أو الكرامة أو الشهامة أو الغضب أو الاشمئزاز أو الاستحياء أو الحب للجمال لا بدَّ أن يرفض أن يكون مواطناً للإنسان أي لو أنه حدق في الإنسان ووجد وطناً آخر لا يرى أو يجد فيه الإنسان بكل رذائله وفضائله. !

.. كيف يقبل الإنسان أن يؤوي في بيته أو معبده أو في وطنه أو في قلبه أو عقله أو ضميره كائناً قد شوه وعذب وأذل وفضح وأمرض وقتل كل آبائه وأجداده، وسوف يفعل كل ذلك به وبكل أبنائه وأحفاده أي من فعل ويفعل كل ذلك جهراً وإعلاناً وأيضاً خداعاً ومكراً وسراً وختلاً وتآمراً أي من فعل ويفعل كل ذلك بأسلحة مرئية معلنة أو بأسلحة سرية غادرة كالسم والجراثيم والأمراض المجهولة والكيمائيات المضادة والمتناقضة؟

.. إنه لو جاز أو حتى وجب إيواء كل الأعداء إلى الوطن والبيت والمعبد وفي القلب والعقل والضمير والأخلاق لكان الكائن الذي فعل ويفعل ذلك بكل هذه الأساليب هو العدو الواحد الذي يجب ألاّ يؤويه أحد أي لكنت أنت يا إلهي هذا العدو الواحد الذي يجب ألا يجد من يؤويه. !

.. أليس كل الخوف وتوقع الضربات والمآسي منك وحدك؟ ثم أليس كل الأعداء الظاهرين والمستترين هم جنودك وموظفيك والمنفذين لأوامرك وخططك وتدبيراتك وشهواتك؟ ألست تعلن ذلك بكل المباهاة؟

.. إذن ألست أنت الكائن الذي يجب طرده؟ ألست كل من يجب طرده؟ أليس طرد القتلة واللصوص والمخربين والفاسدين هو أحد أساليب الطرد لك؟

أليس طرد الذباب من فوق الطعام وفوق العين طرداً لك باحتقار شديد؟

.. نعم، ألست تقول وتعلم وتعلن أن كل ما يصيب الإنسان وكل شيء وكل أحد

إنما أنت مريده ومخططه ومهندسه وفاعله؟ إذن كيف قبل أي كائن أن يقبلك في وطنه أو منزله أو معبده أو في فكره أو قلبه أو ضميره أو أخلاقه؟ كيف يستطيع أي كائن أو أي إنسان يؤمن بك وبأنك كذلك أن ينام ويسترخي فوق سريره أو ينتظر الصباح أو يبتسم لنفسه أو لمن حوله أو لأي شيء وهو يعتقد أنك معه في مضجعه وحول سريره؟ بل كيف يستطيع أو يجرؤ أن يعد إنساناً أو كائناً باللقاء في اليوم التالي أو بأن يؤدي أي عمل أي في اليوم التالي؟ كيف يستطيع أي نبي أو قديس أن يتعرى ممارساً للجنس أو أن ينام وأنت معه في غرفته وفوق سريره محدقاً فيه؟

. . نعم، كيف يستطيع أو يجرؤ أي كائن أن يقول أو يفعل أو ينتظر أي شيء من ذلك أو يعد أو يتعهد به ومعه في غرفته وحول سريره وداخل ثيابه وطعامه وأعضائه كل القتلة واللصوص والأعداء والمخربين والمجانين والعابثين والقاهرين المذلين الفاعلين الضاربين المعتدين بالرغبة والشهوة والمشيئة والقدرة المطلقة الضاربة لأنها تريد أن تضرب لا لأنها يجب أن تضرب؟

. . هل يوجد أخبث أو أخطر من كائن يصنع ويضع كل أسلحة القتل والتعذيب والترويع التي لا ترى ولا تسمع ولا تعرف ولا تقاوم ولا تتقى لكل أحد، في كل مكان وطريق وبيت بل وفي كل معبد ومستشفى، في كل شيء، بكل أسلوب، في كل وقت، أي من كائن يذهب بكل المقاساة والاهتمام والفرح يدبر ويفكّر ويخطط ويناضل لكي يستطيع أن يصنع كل أنواع السموم والجراثيم والملقحات والناقلات كل ما يصنع الآلام والأمراض والتشوهات والعاهات والعجز والموت لكي يدسها بكل العناية والشهوة والنذالة في طعام وشراب وعيون وقلوب وسرر وملابس وأعضاء وهواء الأطفال والشيوخ وكل الأحياء والأشياء. ؟

إذن كيف إذا كان هذا الكائن الذي يفعل كل ذلك إنما يفعله بكائنات هو وحده الذي أرادها وعشقها وخططها ودبرها وصنعها. . بكائنات هي ولادته وحده. . هي أبناؤه وبناته، أبناء وبنات عقله وقلبه وفنه وضميره وأخلاقه ومجده وأحلامه واحتلامه؟ كيف وصفت نفسك يا إلهي بأنك لم تلد أو تولد؟ وهل وجد والد مثلك؟ ألست قد ولدت كل شيء وكل أحد؟ وصفت نفسك بأنك لم تولد؟ ألست قد ولدتك كل الآلام والأحزان والجهالات والنبوات الكاذبة أو الضالة أو المتاجرة أو المتسلطة؟

وأي البنوتين أعظم وأقوى وأحق بالرعاية والاحترام والحب:

بنوة الجسد المبصوقة بصقاً بسكرة أو نشوة جنونية بلا أي وعي أو تدبير أو حساب

أو نضال أو معاناة أو احترام لأية قيمة أو معنى وبلا أي تفكير في أي شيء من ذلك أم بنوة العقل والتفكير والتدبير والتخطيط والموهبة والشوق الأخلاقي والنفسي والفني؟ كيف حدث هذا الغلط العالمي؟

أي كيف حدث أن تسمى وتزعم بنوة وأبوة القيء والبصق أبوة وبنوة؟

. . إن البنوة أو الأبوة الأولى هي أبوة وبنوة استفراغ، أما البنوة أو الأبوة الثانية فإنها أبوة وبنوة فن وإبداع وخلق وجمال. !

إن البنوة أو الأبوة الأولى لن تكون بنوة أو أبوة إلاّ بالتفسير الذي به يكون الاستفراغ أو القيء بنوة وأبوة. !

. . إذن أليس المفروض أن تكون أبوة الإله لكل شيء ولكل أحد هي أرحم وأتقى وأقوى وأنفع وأسعد وأكرم الأبوات؟

ولكن لقد كان هذا المفروض هو البعيد، البعيد بل المستحيل، المستحيل. !

لقد جاءت أبوة الإله هذه أي أبوتك يا إلهي لكل شيء ولكل أحد بلا شبيه في قسوتها وقبحها وعدوانيتها. !

إن أية أبوة لم تقبح ولن تقبح كما قبحت أبوتك يا إلهي، وإن أية بنوة تعاقب وتقبح حظوظها مثلما عوقبت بنوة كل أبنائك يا إلهي ومثلما قبحت حظوظها بك، بأبوتك لها يا إلهي. ! . نعم، إنك يا إلهي أنت والد كل شيء ومولود كل شيء، وإنه لا أكذب من القول بأنك لم تَلِد ولم تُولَد. !

لقد تعاظم قبح أبوتك يا إلهي حتى لتناضل وتناضل وتناضل لتدس السم والجراثيم وكل ما يصنع التشوه والعذاب والجنون والموت في أفواه وقلوب وأخلاق وأعصاب وخلايا أبنائك وبناتك، أبناء وبنات فكرك وفنك وخلقك وقلبك وإرادتك ومحبتك وتدبيرك وتخطيطك ويديك.

اسمع يا إلهي. إن كل الأبوات والبنوات ليست إلاّ بصقاً واستفراغاً إلاّ أبوة وبنوة التفكير والتدبير والخلق.

. . انظر، انظر يا إلهي إلى نفسك بكل القسوة والغضب أو بكل الاشمئزاز والانفجاع. انظر. انظر إن هذا الذباب المسكين البائس جداً. .

إن هذا الذباب هو ابن كل مواهبك العقلية والنفسية والفنية والشعرية والجمالية والأخلاقية. إنه ابن فكرك وإرادتك ومشيئتك وأخلاقك ويديك. !

إذن لماذا خرجت في معاملتك له على كل مشاعر وأخلاق الأبوة لم ترع له أي حق من حقوق البنوة.

هل عامل أو يمكن أن يعامل أب ابنه بشيء ما، بأي شيء من القسوة والإذلال والتحقير والإهانات التي عاملت وتعامل بها أبداً يا إلهي ابنك الذباب.. ابنك هذا الصغير النشيط الشجاع المطارد المشتوم بلا أية حماية أو رحمة أو حق مكتوب أو محسوب أو مذكور في أي دين أو قانون أو تعاليم أو أخلاق أو مذاهب أو حتى ثورات جاءت لتصنع العدل فيما تقول؟

.. تنبه يا إلهي. إنك لن تستطيع بل ولن تحاول أن تنكر أن الذباب هو أحد أبنائك، أبناء إرادتك ومشيئتك وتخطيطك وأخلاقك وعبقريتك وأشواقك وأحلامك وجمالك وإلاّ فمن أين جاء وكيف جاء؟ عدواناً وخروجاً عليك وعصياناً وخداعاً لك؟

هل جاء من خارج عوالمك وعلمك وقدرتك وخيالك وأمانيك؟

هل يجرؤ أي نبي أو ملاك أو قديس أن يقول إنه أكثر أو آصل وأشمل بنوة لك من الذباب أو أنك حينما أردته وخططته وخلقته كانت عبقريتك أو قوتك أو جمالك وأخلاقك أعظم مما كانت حينما أردت وخططت وخلقت الذباب، أو هل يمكن أن يكون صادقاً لو قال هذا أو هذا؟ هل يمكن أن يرى أي نبي أن إرسالك له نبياً أكثر حكمة أو رحمة أو عبقرية أو نظافة من خلقك وإرسالك للذباب ذباباً؟

.. هل يمكن أن تكون يداك حينما خلقت أي شيء أنظف أو أشرف أو أبرع من يديك حينما خلقت أردأ حشرة؟ ألست يا إلهي حالة واحدة أو طوراً واحداً من الذكاء والحكمة والعبقرية والقدرة والجمال والشهامة؟

.. أريد أن أفسر لك يا إلهي المزيد من الفروق بين البصق والاستفراغ والقذف الذاتي الآلي المتحول إلى ولادة وبين الولادة التي يصنعها التفكير والتخطيط والخلق؟ كم هو الفرق بين أن يمارس الإنسان أو أي كائن الجنس فتتحول ممارسته العشوائية المجنونة الإفرازية الاستفراغية إلى ولادة وبين أن يريد أي هذا الإنسان أو الكائن ويفكّر ويدبر ويخطط ويقاسي فيشيد ويضع ويهب بناء أو جهازاً أو حياة أو نظرية علمية أو فكرة أو أي ابتكار جديد نافع، أي فتلد مواهبه واهتماماته وأشواقه ذلك؟

أي العمليتين أو الولادتين هي الولادة؟ وأي الإنسانين أو الكائنين هو الوالد أو أيهما أعظم ولادة؟ إن كل كائن ليس إلاّ كائناً مبصوقاً مستفرغاً أي ليس إلاّ كائناً بصاقياً استفراغياً سواء في ذلك الإنسان والحيوان وغيرهما. إذن من أين يأتي الغرور؟

.. كم هو الفرق بين أن يلد الحيوان والحشرة حيوانات وحشرات وبين أن يلد المبدع إبداعاته؟ أليس المبدع هو الوالد أو الذي وُلِدَ ويَلِد، أما الحشرات والحيوانات فليست إلاّ مستفرغة باصقة قاذفة حين تفعل ما يسمى ولادة؟ أليس قانون ومنطق ولادة الإنسان هما قانون ومنطق ولادة الحشرة والحيوان؟ إن لا اختلاف ولا تفاوت في أي شيء من تفاسير الولادتين.!

.. بهذا أريدك يا إلهي أن تعرف وتقتنع إنك أنت الوالد، الوالد لكل شيء ولكل أحد.. أن تعرف وتقتنع أنك وحدك أنت كل الوالدين لكل الوالدين والمولودين. إن كل ولادة ليست إلاّ ولادة عن ولادتك وإن كل حبل ليس إلاّ حبلاً من حبلك، إنك أنت كل الحبالى والوالدات.!

.. نعم، إن كل الولادة والحبل هما من ولاداتك وحبلك سواء أكانا أو زعما ولادة وحبل تفكير وتدبير وخلق أم ولادة وحبل استفراغ وبصق وإفراز ذاتي آلي.!

.. لهذا كان مقبولاً بل واجباً أن أسألك يا إلهي كيف اخترت ودبرت ورأيت ورضيت أن تصوغ أولادك وأن تلدهم ثم أن تعاملهم وتتعامل معهم وبهم وأن تراهم وتخطط وتصنع مصيرهم؟ بأي منطق أو أخلاق فعلت ذلك؟

هل يقبل أي والد أن يصوغ أو يعامل أولاده كما فعلت أنت وتفعل بأولادك ومعهم؟

.. هل فعلت ذلك أو شيئاً منه بأي قدر من الحكمة أو الرحمة أو الحب أو الجمال أو الذكاء أو المنطق أو الواجب أو الفن أو الرؤية أو العبقرية أو المسؤولية؟

إن أي والد لا يقبل أن يكون فيه أي شيء منك في تعاملك مع أولادك وبهم.!

هل جاء أولادك وولادتك كما أردت وأحببت ورضيت أم كما استطعت أم كما عرفت؟ ما أقبح وأبشع هذه الاحتمالات الثلاثة بل وكل الاحتمالات لتفسير مجيء ولادتك وأولادك كما جاءت وجاءوا؟

أليس الكائن يحاسب ويجب ويعقل أن يحاسب على ولادة فكره وأخلاقه وإرادته ومواهبه وعلى ما يلده فكره وإرادته وأخلاقه ومواهبه أكثر مما يحاسب ومما يجب ويعقل أن يحاسب على ولادته وأولاده التي والذين يصنعها ويصنعهم إفرازاته وبصقه واستفراغاته التي تصنعها وتقذفها ممارساته الجنسية؟ بل أليست كل المحاسبة على تلك وأولئك لا على هذه أو هؤلاء؟

هل تحتاج يا إلهي إلى أن أكرر لك القول والتأكيد بأنها لا توجد ولادة إلا ولادة

التفكير والتخطيط والإرادة والخلق. أما الولادات الأخرى أو المسماة والمزعومة ولادة فليست إلاّ استفراغاً وبصقاً وإفرازاً بذيئاً أليماً لقد أخطأ البشر وأخطأت لغاتهم حينما سموا هذه الولادة ولادة. لقد كان الصواب أن يسموها الاستفراغ أو البصق بالأعضاء الجنسية!

. . إن الولادة البصقية الاستفراغية التي يصنعها أو ينتجها البصق والاستفراغ الجنسي ليست إلاّ أسلوباً بذيئاً وقحاً مهيناً فضاحاً من أساليب عدوان الطبيعة على الإنسان وعلى غيره ومن أساليب فسوقها بل زناها به وتشويهها وانتصارها عليه، بل من أساليب بصقها واستفراغها عليه وبه. .

من أساليب بصقها واستفراغها على كل وجوده المادي المرئي وعلى كل تفاسيره المعنويةِ الأدبية. إن التوالد ليس إلاّ أبذأ وأردأ أساليب بصق الطبيعة واستفراغها على الإنسان وعلى الكائنات المتوالدة. !

. . إن عملية الولادة هي أوقح وأوسخ عقاب وفجور توقعه الطبيعة وتفجره بالكائنات المتوالدة. . يوقعه ويفجره المعتدي بالمعتدى عليه. !

إن الطبيعة لم تعرف أو تستطع أن تبتكر شيئاً لتحوله وتراه وترضاه أقسى عقاب وفجور لتوقعه بالإنسان وبكل الكائنات المتوالدة مثل ابتكارها لعملية التوالد. إن الكائن المتوالد وجد نفسه متوالداً ولم يجعل نفسه متوالداً. .

. . أعني بالتوالد هنا توالد الاستفراغ والبصق والإفراز الذاتي الذي يلده الاستفراغ والبصق والإفراز الذي تبصقه وتفرزه وتستفرغه الممارسات القبيحة البذيئة الفضاحة المخزية المجنونة المسماة بالممارسات الجنسية المذلة الفاضحة لكل كبرياء، لكل سماء. . المذلة الهازمة لكل نبوة وعبقرية، بل الباصقة المستفرغة على كل نبوة وعبقريته. . الساخرة من نظافة وكرامة وتقوى ونبوة وعبقرية كل نبي وعبقري. !. إنها الوحل الذي لا يخجل أو يتطهر من السباحة فيه أحد حتى ولا أعظم الأنبياء أو العباقرة أو الطغاة المتكبرين المتجبرين!

. . آه هل يستطيع أي مؤمن أن يؤمن بنبيه أو أن يظل مؤمناً به أو محترماً له لو رآه بل لو تصوره ممارساً لهذه العملية بكل عريه ونشوته وافتضاحه وهوانه وجنونه ونزقه وشهوانيته. . بكل حركاته ولهفاته وآهاته وأناته وصرخاته وتضرعاته ومغازلاته واستفراغاته وإفرازاته ووقاحاته؟

هل يقبل ملاك الوحي أن يأتي الوحي إلى النبي لو رآه عارياً فوق سرير الممارسة؟

.. آه. لتصب أيها الإنسان بكل الوقاحة والبلادة والسفاهة والغفلة والعمى والصمم وبكل البذاءة والعفن النفسي والعقلي والأخلاقي بل والمادي لكي تستطيع أو تظل مؤمناً بأنبيائك وعظمائك وقديسيك بل لكي تظل قادراً على التطلع والتشوق والانتماء إليهم وعلى التذكر والاحترام لهم والتحدث والرواية عنهم والقراءة لهم..

نعم، لتصب بكل ذلك أيها الإنسان لئلا ترى أو تتصور أنبياءك وعظماءك وقديسيك فوق سررهم عراة مفتضحين صائحين نابحين مسعورين يمارسون جنونهم.!.

.. أما ولادة الخلق أي الإيجاد الذي يصنعه ويهدي إليه التدبير والتفكير والتخطيط والعبقرية فهي أعظم أساليب الانتصار على الطبيعة والانتقام منها والإذلال لها ولمن أرادها وصاغها لتجيء كما جاءت.!

ولكن هل يمكن الانتصار على الطبيعة أو الانتقام منها أو الإذلال لها؟ أليس كل انتصار أو كل ما يحسب انتصاراً عليها أو انتقاماً منها أو إذلالاً لها إنما هو انتصار لها وبها وخضوع لها، وانتقام لها وبها، وإذلال بها وذل لها، أليس أعظم ثائر على الطبيعة عاص لها هو أعظم خاضع مطيع لها؟

أليست الطبيعة هي المنتصرة والمنتقمة والمذلة أبداً في كل أساليب وصيغ وتفاسير الانتصار عليها والانتقام منها والإذلال لها؟

هل يستطيع أي كائن أن ينتصر أو ينتقم أو يذل أو أن يصبح أي شيء عظيم قوي أو أي شيء حقير رديء ضعيف إلاّ بها؟ بل هل يستطيع النبي أو القديس المحارب الشاتم لها أن يكون نبياً أو قديساً أو حتى محارباً لاعناً لها إلاّ بها؟ هل يستطيع أو يريد أي النبي أو القديس أن يرى أو يسمع إلهه إلاّ بها وبأخلاقها وقوانينها وبأشواقها وتحريضها وعيونها؟

.. أليست الطبيعة وحدها هي أبداً الانتصار والهزيمة، القوة والضعف، والنظافة والعفن، الجمال والدمامة، الذكاء والغباء؟

أليست هي دائماً التقوى والفجور، الضياء والظلمة، الصفاء والتلوث، النبي والشيطان، الإيمان والكفر، الحب والبغض؟

أليست الطبيعة هي التي صاغت حب النبي لزوجاته وقدرته على إرضاء مضاجعهن؟

.. بل أليست الطبيعة هي وجود الإله وفقده، هي جماله وقبحه هي رؤيته والعجز عن رؤيته، هي صوته وصمته، هي الدليل عليه والدليل على نفيه، هي رضاه وغضبه بل هي كل أشواقه ومخاوفه؟

أليست هي كل أثوابه وأصباغه وحليه وعطوره ومعارضه؟

نعم، هل يستطيع أي كائن أن يكون منتصراً ومنتقماً أو مذلاً أو عظيماً أو جميلاً أو حقيراً دميماً إلاّ بالطبيعة؟ حتى الإله هل يستطيع أن يكون شيئاً من ذلك إلاّ بالطبيعة؟ هل استطاع أو يستطيع أي الإله أن يضرب أو يعاقب أو ينتقم أو يفعل النقيض أو أن يرى أو يسمع أو يعرض نفسه إلاّ بالطبيعة أو أن يصنع تاجه أو ثيابه أو سلاحه أو عرضه أو ثوابه أو عقابه أو حتى أنبياءه وملائكته وجميع أعوانه وأنصاره وأوليائه إلاّ من الطبيعة وبالطبيعة وبقوانين وأوامر الطبيعة؟

هل استطاع الإله أن يجد أية مواصلات يصل بها إلى الأرض والإنسان إلاّ بالطبيعة؟

.. هل يستطيع أي الإله أن يفعل أو يكون أو حتى يحاول بغير الطبيعة أو خارجاً على الطبيعة أو عاصياً لها؟ هل يستطيع؟ هل تستطيع يا إلهي شيئاً من ذلك أي خارجاً على الطبيعة وعاصياً لها؟ إني أطالبك أن تجرب، أن تجرب.!

نعم، إن الانتصار على الطبيعة لا يكون إلاّ بنفيها أو بالنفي منها. فهل يمكن أو يستطاع هذا؟ هل يمكن أن يوجد حينئذ من يستطيع أو يريد الانتصار على الطبيعة؟

.. آه. يا دموع الأنبياء وأناتهم وأحزانهم وصلواتهم وألواحهم وأناجيلهم وقرآنهم ولعناتهم وعداواتهم وفضائحهم وخطاياهم وأخطاءهم..

.. ويا رعود وبروق وزلازل وبراكين وتهديدات وزارات ونباحات وعضلات وضربات انتصارات وهزائم الآلهة.

.. يا هذه، يا كل هذه هل أنت إلاّ لغات وتعبيرات وقراءات وآهات وخطوات وتفسيرات الطبيعة؟ هل أنت إلاّ ضحكات وسخريات وممازحات ومعابثات الطبيعة أيضاً إلاّ ضلالها وضياعها وتصادمها واحتراقها؟

هل أنت إلاّ غضب الطبيعة وعقابها وانتقامها وأحزانها واحتجاجها وحيرتها ويأسها وعبثها ولغتها، هل أنت إلاّ لغات عجزها عن أن تعرف لماذا جاءت ولماذا جاءت كما جاءت وعن رفضها لمجيئها؟

هل تعرفون أيها الأنبياء، أيها الآلهة ذلك؟ هل تجهلونه؟

هل يغفر لكم أو يعتذر عنكم أن تجهلوه أو أن تعرفوه؟ هل خطايا الآلهة وقبحهم في أنهم لا يعرفون أم في أنهم لا يستطيعون أم في أنهم لا يريدون أم في كل ذلك وكل شيء؟

هل من الأفضل أو الأنفع للآلهة والأنبياء أن يعرفوا أم أن يجهلوا، أن يبصروا أم أن يعموا. . أن يعرفوا ويروا أخطاءهم وخطاياهم، أن يعرفوا ويروا ذواتهم ووجوههم وأحجامهم وتفاسيرهم ونياتهم أم ألا يعرفوا أو أن يروا شيئاً من ذلك؟

هل من الخير لك يا إلهي أن ترى وجهك أو ذاتك أو ثيابك في أية مرآة أو أن تقرأ تفاسيرك وأخلاقك بأي منطق أو محاسباً محاكماً بأية تفاسير أو أخلاق أم ألا ترى أو تقرأ شيئاً من ذلك؟

آه يا إلهي أليست أمية الإله وعماه هما أنفع وأستر الأميات والعمى؟

هل تستطيع أو تقبل يا إلهي أو توجد أو تبقى لولا أميتك وعماك أي لولا بلادتك البصرية والعقلية والأخلاقية والعاطفية الشاملة الأبدية الكثيفة الكثيفة التي لا تعالج ولا يُراد أو يستطاع علاجها؟

آه يا إلهي أن أميتك البصرية والعقلية والأخلاقية والنفسية والفنية بل واللغوية أمية بلا شبيه. أن كل أميات الكون والأشياء لن تكون إلاّ شيئاً من أميتك هذه يا إلهي يا والد الأميات وصانعها وعاشقها ومعلمها. !

. . لقد حاولت أن تصوغ كل شيء بكل أميتك هذه ولكنك لم تستطع أن تبلغ ما أردت وحاولت أي كل ما أردت وحاولت. لقد بلغت شيئاً ضخماً من ذلك لا كل ذلك. لقد كان مستحيلاً أن يجيء أي شيء في ضعفه وسخفه كما أنت وكما تريد. . !

. . لقد كان نضال الإنسان شاقاً وطويلاً لكي يتخطى هذه الأمية الشاملة التي هي أميتك والتي أردت وحاولت أن تصوغه وتطبعه بها والتي أردت وحاولت أن تصوغ وتطبع بها كل شيء. !

. . إن كل خطوات إنجازات الإنسان العلمية والفكرية والحضارية والأخلاقية والنفسية والفنية وكذا اللغوية والكتابية والهجائية ليست إلاّ أقوى أساليبه المتخطية والرافضة للأمية الشاملة التي أردتها له وصغته هو وكل شيء بها. !. إن ضعف وهبوط ذاتك وأخلاقك وشهواتك وإراداتك وفنونك وتصوراتك وتمنياتك ضعف لا يستطاع كما لا يراد الهبوط إليه. !

إن المسافة الفاصلة بين الإنسان ساعة ولادته وبينه في قمته الحضارية والفكرية والنفسية والتمردية الاحتجابية الرفضية الثورية تساوي شيئاً من مسافة تخطيه للأمية التي أردتها وقررتها له والتي هي أميتك وأمية أعوانك ومستشاريك السماويين من ملائكة وزبانية وآخرين، والتي هي أيضاً أمية جميع أنبيائك، وأيضاً أمية إنسانك العربي. !

نعم، أليس إنسانك العربي يعيش كل أميتك البصرية والعقلية والأخلاقية والنفسية والحضارية والدينية والفنية.. يعيش كل الأمية التي أردتها له وطبعته بها؟ إن الإنسان العربي هو طبق وطوع إرادتك وتخطيطك دائماً.!

إنه دائماً الصيغة التي عشقتها ورضيتها وخططتها وأخرجتها.!

.. لهذا لا يوجد أي خلاف أو عداء أو خصام أو حتى حوار بينك وبينه.!

إنه أحياناً قد يعصيك بشهواته لا بمواهبه أو عبقريته أو تفكيره عصيان تدلل وضعف لا عصيان ثورة.!

.. إنه لا يراك ولا يقرؤك ولا يفسرك ولا يعاتبك أو يحاسبك أو يطالبك أو ينقدك أو يصحححك. إن كل معانيه صامتة أمية أمية شاملة، أمية الفكر والأخلاق والنفس والرؤية والحضارة والنماذج والشروط والتمنيات.!

.. إن أمية القراءة والكتابة ليست أمية، ولكن الأمية هي أمية المواهب والأخلاق والمشاعر، وإن القراءة ليست قراءة الحروف ولكنها قراءة المنطق والأخلاق والمعاني والتفاسير والجمال والقبح والقبول والرفض والإعجاب والاستقباح وأيضاً القراءة بكل ذلك ولكل ذلك.!

حتى الكائنات الأخرى كالحيوانات والحشرات قد تخطت أميتك يا إلهي والأمية التي أردتها لها وطبعتها بها.

لهذا فإنها أي الحيوانات والحشرات ترى وتقرأ وتحاسب وتحب وتكره وتقبل وترفض وتختار وتشترط وتئن وتصرخ احتجاجاً وغضباً واستقباحاً واستنكاراً ورفضاً ومقاومة لما لا تستقبحه أو تستنكره أو ترفضه أو تقاومه أو حتى تراه أنت أو يستنكره أو يرفضه أو يقاومه أو حتى يراه أو يقرؤه أنبياؤك أو ملائكتك أو زبانيتك أو حبيبك وإنسانك أي الإنسان العربي. إن أي نقيق أو نعيب أو أنين أو نباح أو عواء أو ثغاء يطلقه أي حيوان أو حشرة فليس إلاّ قراءة غاضبة رافضة محتجة مستنكرة مستقبحة متألمة باكية.!

.. ليتك يا إلهي تتعلم ولو من الحيوانات والحشرات الرؤية والقراءة والرفض والغضب والاحتجاج والاستنكار والمقاومة.!

إنك يا إلهي أحوج من كل أحد إلى أن تتعلم وأعجز من كل أحد عن أن تتعلم.!

.. ليتك تتخطى أميتك الصامتة عن كل شيء وأمام كل شيء وفي كل شيء ولو

بالقدر الذي تخطت به الحيوانات والحشرات هذه الأمية الصامتة كل هذا الصمت عن كل معنى من معاني القراءة. !

والآن لنعد يا إلهي إلى محاسبة فردوسك ومحاسبتك على فردوسك.. على أخلاق وحياة ومجتمع فردوسك. !

لقد قلت لك إن الحساب عسير وطويل وأليم. وقد يكون عذاب كاتب وقارئ ومفسر وموجه الحساب أقسى وأطول من عذاب من يوجه إليه الحساب. لأن صانع الحساب قد يكون معذب القلب والعقل والضمير والأخلاق والأماني والرؤي، قد يكون معذباً كل هذا التعذيب مما يحاسب عليه وبه، من قبح وفظاعة ذلك. إنه أي صانع الحساب هنا لكذلك. !

.. أما من يصنع له وبه الحساب فقد يكون راضياً كل الرضا عن أخطائه وخطاياه ونقائصه ومعجباً فرحاً مباهياً بها كل الإعجاب والفرح والمباهاة.. وقد يكون غريقاً في غفلته وبلادته وتبلده مغلقة كل نوافذه ومعانيه دون كل شيء فلا يرى أو يقرأ أو يحاسب أو يشترط أو يرفض أو يغضب أو حتى يتمنى أو يجد أي فرق بين سلوك وسلوك أو بين جمال ودمامة أو بين ذكاء وغباء.. لهذا لا يقاسي أية مقاساة مع أن المفروض والمنتظر أن يقاسي كل المقاساة. والذين لا يقاسون حيث يجب أن يقاسوا هم صور كينونة بلا كينونة!

.. وقد يكون، أي من يصنع له وبه ويوجه إليه الحساب، كل ذلك.

وهذا هو أنت يا إلهي. أي أنت كل هذه التفاسير الأليمة الحزينة. !

إذن أنت المستحق لكل العذاب بلا أي عذاب وأنا المعذب كل العذاب بلا أي استحقاق. !

.. إذن ما أقسى وأطول عذابي أنا محاسبك يا إلهي.. أنا الرائي القارئ المفسر الكاتب لأخطائك وخطاياك ونقائصك التي أتعذب كل العذاب وأقسى العذاب وأدوم العذاب بكل تفاسيري بمحاسبتك وباضطراري إلى محاسبتك وبإصراري على محاسبتك عليها كأني موكل عن كل شيء وكل أحد، عن كل من أوقعت بهم أخطاؤك وخطاياك ونقائصك وعبثك ونزقك حتى عن الحيوانات والحشرات. لأحاسبك وأحاكمك وأعاقبك على كل ما فعلت بكل شيء وكل أحد ولأحصي عليك كل أخطائك وخطاياك ونقائصك ولكي أعالجك وأشفيك من كل ذلك، ولكي أقاسي أنا وحدي برؤاي وفكري

وضميري وقلبي وأخلاقي كل العذاب الذي توقعه بكل شيء وبكل أحد. كأني أنا وحدي كل المعذبين بك وكل المحاسبين لك. !

كأني أنا صانع كل ذنوبك أو صانعك مذنباً ومريدك مذنباً. . !

. . إنك يا إلهي تتساقط بكل ذاتك وأعضائك وتفاسيرك في ذاتي، في كل تفاسيري الإنسانية، في كل أوقاتي وتحديقاتي، في كل يقظاتي وإغفاءاتي. ! آه. هل نسيت أو خادعت نفسي حين قلت: إغفاءاتي؟ وهل لي إغفاءات؟

. . إذن هل يمكن وجود أو تصور عذاب أو ترويع أو انفجاع مثل عذابي أو ترويعي أو انفجاعي؟ كيف جئت كما جئت؟ من أراد ودبر لي ذلك؟

كيف اختارني ولماذا اختارني من صاغني بكل هذا العذاب؟

. . إنسان أو كائن ما يتحمل كل أخطاء وخطايا ونقائص الإله أي أخطاءك وخطاياك ونقائصك يا إلهي يتحملها رؤية وقراءة وتفسيراً وتحديقاً وإحصاء ومحاسبة واستقباحاً وانفجاعاً ومحاورة ومعايشة ومقاومة ورفضاً وغضباً، إنسان وكائن واحد يُقاسي كل أوقاته بكل تفاسيره كل ذنوب الإله وحماقاته وكل آلام كل من فتكت بهم ذنوب الإله وحماقاته. !

. . هل يمكن تصور هول كهول هذا الإنسان أو الكائن؟

. . هل وجد هذا الإنسان أو الكائن؟ كيف أمكن ألا يحترق أو يذوب وكل أخطاء الإله وخطاياه وقباحاته تعيش وتتحرك وتضج وتتبختر وتعلن عن نفسها وتعرض وتتكرر نفسها داخل كل معانيه وتفاسيره وأمانيه ورؤاه كل أوقاته. في كل اتجاهاته؟

ما هذه القوة الشريرة التي أوجدت هذا الإنسان وحمته من الاحتراق ليقاسي كل عذابه؟

كيف تستطيع أو تقبل الرؤية أو ألا تفقأ أية عين ترى أية عاهة أو دمامة أو نقيصة أو فظاعة زرعها أو صنعها أو حفرها أو خططها الإله في أي وجه أو ذات أو شيء، ناظراً أي الإله إليها بكل الابتهاج والنشوة والنزق المتفوق على كل معاني الوحشية والوقاحة؟

إذن كيف وجدت أو قبلت أن توجد أو تبقى عين واحدة ترى وتواجه بالديمومة كل الأوقات كل ما تصنعه أخطاء الإله وخطاياه وبداوته ووحشيته وفظاعته من تشوهات وعاهات ودمامات وفظاعات أهوال، مصيبة ومشوهة ومروعة ومغطية كل شيء وكل أحد حاضراً وواقعاً مقاس أو مستقبلاً ومنتظراً محتوماً؟

أليس كل شيء وكل أحد إما مصاباً مشوهاً مروعاً أو لا بدَّ أن يصبح كذلك؟

. . هل قتلت وأفسدت وسرقت يا إلهي من كل العيون والعقول والضمائر والأخلاق والمواهب قبل أن تخلقها كل وظائفها، كل شرفها وغضبها ورؤيتها واحتجاجها وشهامتها وكبريائها وذكائها لكي تستطيع أو تقبل أن تراك أو تفسرك أو تقرأك أو تحترمك أو تعاملك أو تنتظرك أو أن تجد فيك أي شيء يعجب أو يرضى أو يفهم أو يعقل أو يغفر أو حتى أن تبقى مواجهة معايشة مواطنة لك في هذا الكون أو في أي كون آخر؟

كيف استطعت يا إلهي أن تجعل أي كائن أو أي إنسان يقبل معايشتك أو مواجهتك أو رؤيتك أو مواطنتك؟ كيف يقبل أي كائن أن يعايشك أو يواطنك أو ينظر إليك وقد فقأت عيني ابنه أو أبيه أو أخيه؟

هل سحبت يا إلهي من الإنسان أو قتلت أو أفسدت فيه كل معاني الإنسان كما سحبت من نفسك أو قتلت أو أفسدت في نفسك كل معاني الإله لكي تستطيعا أن تتعاملا وتتواجها وتتمادحا وتتعانقا وتتغازلا بل وتتضاجعا ويرى ويصافح أحدكما الآخر بكل الجرأة والقبح والوقاحة والافتضاح والتعري؟

هل تستطيع يا إلهي أن تعايش الإنسان أو يستطيع الإنسان أن يعايشك أو أن يواطن أحدكما الآخر أو أن توجدا في كون واحد أي لو أنه يوجد فيك أي معنى من معاني الإله المفترضة والمتوقعة والمطلوبة أو لو أنه يوجد في الإنسان أي معنى من معانيه المزعومة والمعلمة والمخطوب بها والمنشدة إشعاراً وكتباً مقدسة خالدة؟

أريد أن أكرر هذا يا إلهي. كيف يستطيع أي إنسان أو أي كائن أن يساكنك أو يعاشك أو حتى يستقبلك في بيت يعيش معه فيه ابن أو أب أو قريب زرعت فيه عاهة وبيلة؟

قلت يا إلهي وقال نبيك العربي محمد إنك سوف تحول الفردوس إلى مزرعة أي إلى أضخم مدجنة لتوليد وتربية الدواجن والدجاجات الجميلات الفاتنات المسميات بالحوريات، حوريات الجنة لكي يصبحن محظيات وعشيقات وضجيعات ومدللات ملاعبات مغازلات كل الأوقات لسكان الفردوس. !

إنكما لم تحددا أو تذكرا أي أنت والنبي العربي العدد الذي سيأخذه ويمتلكه الفرد الواحد من سكان الفردوس أي من هذه الحوريات. إنكما لم تجعلا ذلك محدداً بأي عدد مثلما حددتما عدد الزوجات في الحياة الأولى. . !

لقد جاء كرمكما مطلقاً كما جاء غروركما وسلطانكما وأخطاؤكما ووحشيتكما، لقد جعلتما العدد محكوماً برغبة وشهوة وطلب من يريد. !

يا له من كرم لم يخضع لأي قدر من الأخلاق أو المنطق والجمال أو حتى من الحب! إنه لا بدَّ من الاعتراف لكما بالسخاء في هذه القضية مع أنكما لم تكونا شيئاً من ذلك في أية قضية أخرى. بل إنكما أي أنت يا إلهي ونبيك العربي لتبخلان على الإنسان وعلى أي كائن آخر أحياناً حتى لترفضان من بخلكما أن يكون له عينان أو يدان أو رجلان فتأخذان إحداهما أو كلتيهما.. أنت تأخذ ذلك ونبيك العربي محمد يبارك ويشكر ويحمد أخذك هذا. !

ألستما تفعلان ذلك دائماً؟ أليس هذا أقبح وأقدح وأوقح أساليب البخل؟ هل تجدان لذلك تفسيراً غير البخل؟ وقد يكون بخلكما أحد أسباب ذلك وليس كلها..

آه. الإله والنبي العربي يتراجعان عن بخليهما فيأخذان ممن أعطياه إحدى يديه أو رجليه أو عينيه أو كلتيهما. !. يا له من إله ويا له من نبي. !

.. وهذه المدجنة أي الفردوس سوف يكون كل إنتاجها من الدجاج بلا أي ديك أي من الحوريات بلا أي حوري. !

.. إنه خروج على كل القوانين أن يكون التخلق أو التوالد كله من الإناث بلا أية ذكورة. كيف حدث هذا ولماذا حدث؟

ألا يمكن أن يفسر ذلك أو ألا ترهبان وتخجلان أي أنت يا إلهي ونبيك محمد من احتمال أن يفسر ذلك بأنكما عاشقان للأنوثة عشقاً محروماً مجنوناً عبرتما عنه بالخروج على القوانين المنطقية الطبيعية وبإفساد وإبطال هذه القوانين؟ آه يا إلهي ويا نبي إلهي لقد حاولت أن أجد تفسيراً آخر لذلك فلم أجد أي لإنقاذكما من هذا الاتهام أو التفسير.. !

.. يا لها من ورطة بل ورطات لم تستطيعا أن تفطنا إليها فكيف تستطيعان معالجتها أو العلاج منها؟

انظرا، انظرا يا إلهي ويا نبي إلهي يا محمد.. انظرا.. !

هذا الفردوس الذي هو نهاية جمالكما وحبكما وفنونكما وعبقريتكما وخيال شاعريتكما وذكائكما وسخائكما والذي هو كل مجدكما. !

.. هذا الفردوس لن يستحقه ويدخله كما تقولان إلا عدد قليل جداً من البشر وقد يكون كل هذا العدد القليل من العرب ومن مواليهم وعبيدهم وأتباعهم في الدين لأن

العرب هم خاتمة الشعوب ومعلموها والشهود عليها ولها والحاكمون عليها ولها كان نبيهم هو خاتم الأنبياء والشاهد الحاكم لهم وعليهم بل والملغي والمكذب لهم أو المتفضل المتصدق عليهم بالاعتراف بهم وبأنهم قد وجدوا وبأنهم قد كانوا ولكنهم حتماً قد ماتوا وزالوا. حتماً ماتوا وزالوا لأن محمداً قد جاء. !

حتماً، كل الأنبياء قد ماتوا، مات كل شيء فيهم ومنهم ومعهم ولهم بعد مجيء النبي العربي. . لقد أصبحوا قبوراً جثثاً وروايات فقط بعد مجيء محمد. لأن محمداً هو وحده الحي الدائم الباقي بكل معانيه وتفاسيره ودينه وكتابه!

لأن محمداً قد جاء ليقتل كل الأنبياء وكل النبوات ليبقى وحده الحي الباقي وهذا العدد القليل جداً من البشر أي من العرب ومواليهم الذين سيحققون دخول الفردوس لا بدَّ أن يكونوا جميعاً من النساء إلاّ القليل، القليل من الرجال أي قد يكونون من الرجال ولكن أي رجال؟

كيف، كيف ذلك؟ إنه لقول مذهل في مفاجأته. !

كل سكان الفردوس من النساء والقليل جداً الذي قد يصعب استثناؤه قد يكون من الرجال. !

نعم، لأن الرجال هم دائماً أبطال وآلهة الآثام والآلام والحماقات والمظالم الكبرى العالمية والكونية والمحلية الجزئية وقادتها وأنبياؤها. !

. . أليسوا أي الرجال هم صناع الحروب والطغيان والدكتاتوريات والعداوات والخصومات والانقسامات والتكتلات المتعادية المتلاعنة المتواجهة بكل الأحقاد والبغضاء والأكاذيب والآلام والويلات؟

. . أليسوا هم ممارسي الحروب والجلادين والسجانين والمعذبين وحراس وجواسيس وأعوان وزبانية كل طغيان وجبروت وعدوان ونذالات وجهالات؟

أليسوا هم الغزاة والمحتلين والمخربين لبلاد الآخرين ولحرياتهم ولكراماتهم والمذلين لها ولهم؟

أليسوا أي الرجال هم صناع الأديان والنبوات التي أفسدت وشوهت وأرهبت وقتلت كل محبة وصداقة وثقة وعلاقات بين البشر في التاريخ وبين أجزاء التاريخ أو حاولت وأحبت وقررت أن تفعل ذلك، أو كانت كل وظيفتها وتفاسيرها واحتمالاتها أن تفعل ذلك؟

نعم هل للأديان والنبوات أية وظيفة أو نفع في الحياة غير أن تفعل ذلك؟

أليسوا هم كل الشعراء والخطباء والفقهاء وكل المعلمين والمشرعين والمغنين والمسوغين والدعاة لعبادة كل الطغاة الجهلاء الأشرار في كل التاريخ والأسواق تحت كل التفاسير وللسير بلا عيون وراء حماقاتهم المدمرة، وللإيمان بالإله أو الدين أو النبي أو المذهب وبنقيضه، وللصلاة إلى هذه الكعبة وإلى الكعبة الأخرى المعادية؟

.. أليسوا هم المبتكرين والناسجين والصانعين والبانين والمخططين للسجون والمعتقلات والقيود والأغلال وللأسلحة بدءاً من الرماح والخناجر إلى القنابل الكونية؟

أليسو هم مؤلفي القصائد والفنون والأغاني ومنزلي التعاليم والكتب المقدسة في مدح الخنجر والسيف والرمح وكل سلاح وفي تمجيد القتل والقتال والقاتل بل والمقتول لأنه عجز عن أن يكون قاتلاً ولأنه أراد وحاول أن يكون قاتلاً فأصبح مقتولاً، نعم، لقد قال الأنبياء والطغاة القتلة إن المقتول بطل ليس لأنه كان يريد أن يقتل أحد أعداء النهار أو الأنهار أو الحقول أو الجمال في الوجوه أو النفوس بل لأنه أراد أن يقتل من أمروه بقتله.!

أليسوا هم الذين صنعوا ويصنعون كل الأسباب والخلافات التي تجعل القتل والقتال والحروب شيئاً لا بدَّ منه أو شيئاً واجباً أو شيئاً يبدو ويظن ويعتقد أنه كذلك أي أنه واجب أو لا بدَّ منه؟ إن أسباب أية حرب لم تصنعها ولن تصنعها الحياة ولا احتياجات الحياة وإنما صنعتها وتصنعها أهواء وأخلاق وحماقات بعض الرجال.!

.. أليس الرجال كل ذلك؟ بل أليس كل ذلك هو بعض ما يفعله الرجال؟

.. إذن أليس مكانهم المحتوم الذي لا بدَّ أن يذهبوا إليه هو الجحيم باستثناء بائس؟

ولا بدَّ من الاعتراف بأن بعض النساء قد فعلن شيئاً من آثام الرجال هذه.!

.. إذن لا بدَّ أن تكون النساء أي نساء البشر هن سكان الفردوس أي سكانه القادمين من الحياة الأولى مع هذا الاستثناء القليل جداً. إن كل رجل مستعد أن يكون نبياً أو قائداً أو معلماً أو كاتباً أو شاعراً مداحاً كاذباً أو مقاتلاً قاتلاً. إذن كيف يدخل الجنة أي رجل؟

.. إذن كيف قال يا إلهي نبيك محمد في حديث له مشهور جداً لعلك قد سمعته: (اطلعت في النار فرأيت أكثر سكانها النساء)؟ إنه قول خارج على كل منطق الدين والأخلاق والتاريخ والمشاهدة والعدل والصدق.!

. . إني أريد أن أسمعك تفسيري لهذا القول الذي قاله نبيك محمد. . فاسمعه مني بتسامح ووعي. أرجوك أن تفعل بل إنه لواجب عليك أن تفعل. !

. . إن محمداً كان يقاسي خصومات عنيفة دائمة ومتعددة الأسباب مع زوجاته كما كشف وفضح ذلك القرآن. وكان يحول هذه الخصومات إلى قرآن وكان يورطك في هذه الخصومات ويجعلك دائماً منحازاً له ضد زوجاته. !

. . وفي لحظة غضب عنيف محرق مضيع للصواب قال قولته هذه. . !

إني لأكاد أشاهد كل تعبيرات الغضب والغيظ على وجهه وهو يقول ذلك. !

. . أحسب أنك سوف توافق يا إلهي على هذا التفسير بل إنك سوف تفرح وتفخر به. !. بل انتظر أن تقدم لي أحر وأصدق تهنئة على هذا التفسير. !

. . كم هو خطير وأليم ومفسد ومشوه جداً أن تكون الشؤون والآلام والهموم والمشاكل الخاصة للإله والنبي والزعيم والقائد والمعلم متحكمة أو متدخلة أو حتى مؤثرة في القضايا والمشاكل والمواقف العامة التي يواجهون ويعالجون ويفسرون ويعلمون أي أن تكون متحكمة أو متداخلة أو حتى مؤثرة في وظائف ومعاني وتفاسير الإله والنبي القائد والزعيم والمعلم. . !

ما أفظع وأخطر الإله والنبي والقائد الذي يتحكم أو يتدخل أو حتى يؤثر خلافه أو خصامه مع زوجته أو غضبه عليها أو حبه لها وشوقه إليها. أو تطلعها إليه وانتظارها منه وله في تفاسير ووقار واستجابات واتزان وسلوك ألوهيته ونبوته وزعامته وقيادته وتعاليمه؟

ولكن هل يوجد كائن لا يتدخل هذا في هذا منه؟

. . لقد كان واجباً أن تكون لكل إله ونبي وزعيم وقائد ومعلم ولكل إنسان وكائن عام شخصيتان أو ذاتان لا تتعارفان ولا تتلاقيان ولا تتحاوران بل ولا ترى إحداهما الأخرى بل ولا تسمع عنها أو بها: إحداهما خاصة والأخرى عامة.

إن المسافة بين الذاتين أو الشخصيتين بعيدة جداً ويجب أن تزداد بعداً أي في وظائفهما وما ينبغي ويطلب منهما.

. . لنتصور هذا التصور الذي لا يطاق تصوره. ولكن لنتصوره. . حينما كان هذا الإله يدبر ويخطط لخلق الكون، أو حينما كان هذا النبي يتلقى الوحي من السماء ويحفظه ويكتبه، أو حينما كان هذا القائد يدرس الخطط لمعركة تاريخية عالمية فاصلة ويصدر أوامره إلى رجاله فيها. .

نعم، حينما كان هذا أو هذا أو هذا في وضعه هذا طلعت عليه زوجته أو عشيقته أو والدته لتملأ قلبه أو عقله أو أخلاقه أو أي حساب من حساباته بالغضب أو بالغيظ أو بالاشمئزاز أو بالعار أو بالرغبة في الانتقام أو بكل ذلك أو بغير ذلك من الانفعالات والاهتمامات الخاصة. . لنتصور هذا التصور لنستطيع الاقتراب من تصور ماذا يعني أن تكون ذات أو شخصية الإنسان الكائن العامة هي شخصيته أو ذاته الخاصة أو متشابكة مختلطة أو حتى متأثرة بها. . !

لعلك يا إلهي بما سمعت مني قد استطعت أن تقرأ وتفهم وتتصور إحدى صيغ مدجنتك أي فردوسك. ولعل ذعرك وانفجاعك بذلك قد جاءا متكافئين مع أخطائك وذنوبك وضعف فنونك. !

وأرجو أن تصدق أني أتعذب إشفاقاً عليك من عنف نقدي لك ومن صدقه ومن معرفتي بأن نقدي لك يا إلهي مهما كان عنفه فإنه يظل أقل مما يجب، أقل مما تستحق. !

ولست أجد شيئاً يخفف من عذابي بإشفاقي عليك إلا أملي أو ظني أو علمي بأنك لا تقرأ ولا تسمع لأنك موجود في مكان غير موجود. !

. . لأنك موجود في مكان جميع الموجودين فيه لا يسمعون ولا يقرأون ولا يرون ولا يرون ولا يستحيون أو يشمئزون من أي شيء بل ولا يفعلون أي شيء. !

إن كل مزاياك وأمجادك ونجاتك يا إلهي في أنك موجود في هذا المكان الذي لا وجود له. !

. . إذن سكان فردوسك هم أعداد هائلة من نساء الدنيا أي هائلة نسبياً، وأعداد قليلة أو نادرة جداً من رجال الدنيا، وأعداد أكبر وأصعب من أن تعدهن الحوريات. ! آه. يا لها من مشكلة بل ورطة مؤلمة بلا نموذج أو علاج. !

عدد قليل من الرجال بين أكون هائلة من النساء والحوريات المخلوقات من ريش أجنحة الملائكة ومن لهفات شهوات الإله المضروب عليها الحرمان الأبدي الشامل. ! إنها ورطة عصية حزينة محرجة فاضحة مخجلة معذبة مهينة للفرق الثلاث للرجال وللنساء وللحوريات. أكوان هائلة من النساء والحوريات المخلوقات من الشهوة وللشهوة بلا رجال وبلا حوريين. !

. . هؤلاء الرجال القليلون جداً كيف يقسمون أنفسهم عليهن؟ كيف يعرفون أو يستطيعون أن يفعلوا ذلك بأسلوب يرضونه ويرضينه؟

وكيف يستطيعون ذاتياً وجسدياً ونفسياً أن يفعلوا أو يقاربوا أو يفعلوا ما يطلب ويرجى وينتظر منهم وهم في مكان لا اهتمامات ولا وظائف لكل من فيه إلاّ فعل الشهوات معطاة ومأخوذة؟

.. وكيف يواجهون الزحام عليهم والتودد والتضرع إليهم والأمل والطمع فيهم والتغزل بهم؟

كيف يستطيعون أن يختاروا منهن؟ وبأي منطق أو حساب يختارون؟

وكيف تقبل أو تغفر أخلاقهم أو ضمائرهم أو عيونهم ذلك؟

وكيف يقبل أو يفهم أو يفسر حراس وخدم الفردوس اختيارهم أو يقتنعون به أو يغفرونه لهم؟

آه رجل واحد من هؤلاء الرجال القليلين أمامه وأمام سريره وحوله أعداد لا تعد منهن يتضرعن ويتوددن ويتوسلن إليه بكل الدموع والخضوع والمسكنة وسلطان الجنس طالبات راجيات جميعاً أن يأخذهن إلى مضجعه، إلى مضجعه العزيز الشهي وهن يتقاطرن بالشهوات المتفجرة المتلهفة المحرومة المحاصرة.!

.. هذا الرجل كيف يتصرف؟ كيف يختار؟ كيف يتحاور ويتعامل ويتفاهم مع قلبه وعقله وضميره وأخلاقه بل ومع جسده؟

.. إنها حيرة، حيرة، عذاب، عذاب.. طعام قليل حوله عوالم من الجياع وفرائس قليلة أمام أكوام من الوحوش الجائعة المفترسة.!

.. لو أن رجلاً واحداً يعيش وحده في كوكب كل سكانه من النساء فهل يعد هذا الرجل الواحد سعيداً أم شقياً؟

لقد كان المفروض والمعقول أو الأقل قبحاً وتوريطاً وتعذيباً أن يكون الرجال في الفردوس أكثر عدداً من النساء وأن يكون الخلق أو التوالد فيه أي في الفردوس من الديوك لا من الدجاج أي من الحوريين لا من الحوريات. لماذا لم يكن ذلك؟

لقد كان تعدد الزوجات في الحياة الأولى أكثر سخفاً وظلماً وجهلاً من تعدد الأزواج. لقد كان المفروض والمعقول أن يباح ويشرع تعدد الأزواج لا الزوجات إن لم يكن بد من التعدد.!

وهذا يعني أن يزاد عدد الرجال على عدد النساء.

.. إن الأرض لتتحمل من الضربات أكثر مما يستطيع الضارب أن يضرب أو مما تستطيع اليد والآلة أن تضرب.!

وإنها أي الأرض لتستطيع أن تستقبل وتبتلع من قطرات السحاب أكثر مما يستطيع السحاب أن يعطي من قطرات الأمطار. !. وأن الخدود لتستطيع أن تستقبل من سيول الدموع أكثر مما تستطيع العيون أن تذرف من الدموع.. من دموع الحب والشوق والحنان أو دموع الألم والأسى أو دموع المجاملة والعزاء أو دموع الإيمان والتقوى. !

.. إن لتعدد الزوجات مع امتلاك المملوكات بلا حدود للتعامل معهن فوق السرر.

ـ نعم، إن لذلك عيباً بل ذنباً ضخماً لم يفطن إليه أو يرعه أحد حتى ولا الإله ولا أنت يا إلهي ولا الأنبياء استطاعوا أن يرعوه أو حتى يفطنوا إليه. !

.. إن المفروض بل الواقع أن للرجل اهتمامات والتزامات ومسؤوليات خاصة وعامة خارج البيت وخارج العلاقات الجنسية أكثر وأعنف كثيراً مما للمرأة. ! وهذه لا بد أن تمتص وتسحب من الرجل كثيراً من اهتماماته وأشواقه وطاقاته الجنسية أو تشغله عن الكثير من ذلك أو تتحول إلى بديل وتعويض عن ذلك. !

.. أما المرأة فهي أقرب إلى السرير وإلى أفكار السرير ومعانيه وإيحاءاته وأصواته واهتزازاته ونداءاته الدائمة الحارة. !

.. إنه لا صوت ولا مجد يعلو على صوت السرير أو على مجده في حياة المرأة. !

.. إن السرير بكل لغاته وتفاسيره هو أعظم وظائف واهتمامات المرأة.. إذن فالمرأة أحوج إلى تعدد أزواجها ومملوكيها الجنسيين من الرجال إلى تعدد زوجاته ومحظياته السريريات. إن المرأة متفرغة أبداً للجنس وإذا اهتمت بغير الجنس أو عملت غيره فليس إلاّ من أجل الجنس وسعياً إليه. !

.. لنقرأ هذه الحالة ونحدق فيها..

هذا نبي كل عقله وقلبه وضميره ومشاعره وحبه وخوفه مع إلهه ومع ملاك وحيه ومع نبوته وكتابه ومع البشر جميعاً ليدلهم على اللّٰه على الفردوس ويحميهم من الجحيم ومن الشيطان الجبار. !

هذا النبي ماذا بقي أو يبقى له من التفكير في الجنس ومن اهتماماته والقدرة والجرأة على ممارساته؟ إنه لن يبقى له من هذا إلاّ بقدر ما يهمل وينسى ذاك. !

.. إذن لماذا يختزن في بيته عديد الزوجات والمملوكات الجنسيات؟

أليس العكس هو العدل والعقل والتقوى أي أن يكون العديد لزوجته أو لأمته لا له هو؟

. . وهذا زعيم أو حاكم أو قائد عسكري يواجه ويعامل بكل الحماس والتوجس والحرارة كل المشاكل والتناقضات والاحتمالات الحادة المتصادمة المتناقضة الرهيبة. . السياسية والفكرية والمذهبية والاجتماعية والعسكرية. . العالمية والمحلية. . !

هذا الزعيم أو الحاكم أو القائد كيف يستطيع أن يأوي إلى سريره. وإذا أوى إليه كيف يستطيع أن يعرف أو يتذكر أنه فوق سريره أو أن معه أحداً فوق سريره، وإذا عرف وتذكر فكيف يستطيع هذا الأحد أن يسحبه من همومه ومشاكله ليأخذ منه شيئاً مما يريد أن يأخذه ومما يجب أن يأخذه بل وهو يجد فيه شيئاً يأخذه؟

. . إذن هل يوجد ظلم أو جهل أو غباء أو سوق إلى الفساد والسوء مثل أن يكون لهذا الزعيم أو الحاكم أو القائد عديد الزوجات والمحظيات السريريات؟

أليس الأقرب إلى العدل والعقل أن يكون لزوجة أو لجارية هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد رجل آخر أو أن يظل بلا زوجة ولا جارية؟

بل أليس هذا أقرب إلى التقوى وإلى الالتزام بها؟

. . وكل الرجال يواجهون هذه المشكلة أو هذا الموقف ولكن على مستويات متفاوتة حتى التاجر أو العامل أو الزارع البسيط يواجه ذلك. !

. . والرجال بكل مستوياتهم وظروفهم وطبقاتهم معرضون دائماً أو كثيراً للسجن والنفي والاعتقال والمطاردة وللتجنيد والحروب والتدريب عليها وللاستعداد والانتظار لها. .

. . وكل هذا يجعل أشواقهم إلى السرير والتفكير فيه والقدرة على الذهاب إليه وعلى معرفة وظيفته أي وظيفة السرير ووظيفة الذهاب إليه أقل جداً من المرآة. . !.

كيف أمكن أن يخفى كل هذا على من شرعوا ونفذوا تعدد الزوجات دون تعدد الأزواج؟ أم هم قد عرفوا وظلموا وأرادوا أو يجهلوا؟

. . أليس تفسيراً جيداً وعبقرياً ومريحاً أن يقال إن الإله قد عاقب نفسه هذا العقاب القاسي الفظ أي برفضه أن تكون له زوجة أن أية علاقات جنسية أو أية نتيجة من نتائج هذه العلاقات.

ـ نعم، أن يقال أو لو قيل إن الإله قد أنزل بنفسه هذا العقاب احتراماً وتقديراً لالتزاماته ومسؤولياته وهمومه وأعبائه الرهيبة؟

لقد وجد أو شعر أن كل اهتماماته وطاقاته وأحلامه يجب أن توهب لوظائف الألوهية فيه. فلو كانت له زوجة أو أية علاقات جنسية لتحكم فيه خوفان: خوف التقصير في مسؤوليات الألوهية فيه وخوف التقصير في حقوق واحتياجات الزوجية والعلاقات الجنسية. !

لقد تمزق وتبدد وتعذب بين الخوفين: خوف التقصير في حقوق الألوهية وخوف التقصير في حقوق علاقاته الجنسية إذن ما الحل؟ أن يقسو على نفسه احتراماً لمسؤولياته. !

أليست كل أنواع وألوان الحرمان التي ضربها على نفسه إنما أراد بها حماية مسؤولياته من أن تصاب بأي شيء من التقصير.. إنه لا يمكن تصور كائن فرض على نفسه كل ألوان الحرمان بكل القسوة والديمومة غير الإله أو مثل الإله؟

هل يوجد أي تفسير غير هذا التفسير لتحريمه على نفسه النوم والنعاس والاضطجاع والجلوس والاسترخاء والأكل والشرب وكل ألوان ومعاني اللذات واللهو والسرور؟

لقد بالغ جداً في قسوته على نفسه تكريماً وحماية لعمله وإعطاء لعمله كل اهتماماته وطاقاته وعضلاته وأوقاته. !. لقد بالغ، بالغ جداً في شهامته وفدائيته وإخلاصه لمسؤولياته. !

.. إنه لا يقبل القول بأن الإله قد حرم على نفسه كل هذه الاحتياجات والضرورات واللذات لأنه أكبر وأكرم منها وممن يفعلونها لهذا تنزه واستغنى عنها وتكبر عليها تنظفاً وتعففاً وتوقراً. !

كيف يتنزه ويستغني عن الزواج والولد والممارسات الجنسية وعن النوم والأكل والشرب والطرب واللهو البريء من لم يتنزه ويستغنِ عن الحق والبغض والغيظ والغضب والسباب والتعبير والانتقام والكيد والخداع وعن التغذي والتلهي والاستمتاع بإنزال العاهات والتشوهات وكل الأمراض والآلام والفضائح والمجاعات والضعف والشيخوخة بكل كائن حي وبالاستماع إلى الأنات والآهات والصرخات بكل التلذذ والتشهي والاستمتاع الوقح؟

.. كيف يتكبر على أي شيء من ذلك من يطالب بكل الأساليب والإلحاح والملق

والتضرع بل وبالمسكنة والهوان والوعد بالرشوة، بكل أنواع الرشوة، منزلاً الكتب المقدسة وباعثاً الأنبياء للتحدث عن هذه الرشوة. .

ـ نعم، كيف يتكبر على أي شيء من هذه اللذات والاحتياجات من يطالب بكل هذه الأساليب والوسائل المفتضحة الذليلة بأن يمدح ويشكر ويصلي ويبكي له وبين يديه ويدعى حيث لا يجيب وبأن تكتب وتغنى كل القصائد في امتداح جماله وقوته وكرمه ورحمته وحبه وعرشه وحملة عرشه؟

كيف يتكبر أو يتنظف أو يتنزه عن أي شيء مريد ومدبر ومخطط وخالق ومواجه كل شيء؟

هل يمكن أن تكون لعاشق الصرصار والذباب ولخالقهما لكي يفرح ويسعد بمجده وعبقريته وجماله ونظافته، أن تكون له أية كرامة أو كبرياء أو إباء على أي شيء؟

. . إن مثل هذا الإله الذي أراد وعشق وخطط وصاغ وخلق كل هذا الكون بكل ما فيه ثم ذهب وظل بكل النشوة والفرح والكبريا يعايش ويواجه ويغازل كل هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه مبهوراً مسحوراً من إعجابه وإيمانه بنفسه.

ـ نعم، إن هذا الإله لا يمكن ولا يجوز أن يتهم بأية كرامة أو كبرياء أو تنزه أو تكرم أو استغناء عن أي شيء بل إن كل شيء يجب أن يحمي كرامته وكبرياءه ونظافته ونزاهته من أن تتعامل مع هذا الإله في أي شيء. !

. . كائن يجد سعادته ومجده وفرحه ورضاه وكبرياءه في أن يريد ويحب ويعشق ويخطط ويخلق الصرصار والذباب وكل ما نجد ونرى كيف يتكبر أو يتنزه أو يتكرم أو يترفع عن الزواج والعلاقات الجنسية أو عن النوم والأكل والشرب وعن كل متعة أخرى أو عن أية متعة أخرى؟

إن كل شيء يجب أن يتنزه ويترفع ويتبرأ عن مثل هذا الإله ومنه وليس العكس. !

نعم، كائن يخلق بعقله وضميره وقلبه وأخلاقه وأشواقه وبيديه القملة والبعوضة والجرثومة والعاهة في وجه الفتاة الجميلة البريئة الحساسة الطموح الخجول العاشقة للمرآة. . القارئة المفسرة لكل نظرات العيون المسائلة بكل الحساسية لكل مرآة. .

ـ هذا الكائن كيف يترفع أو يتنزه أو يتطهر أو يتكبر عن أي شيء أو على أي شيء بل كيف لا يترفع ويتكبر ويتنزه ويتبرأ منه وعليه كل شيء؟

هل يمكن أن يكون ثناء على أي كائن أن يقال: إن هذا الكائن عظيم وكريم وكبير

ونظيف حتى إنه ليرفض أن يأكل أو يشرب أو يمارس الجنس أو أية لذة أخرى ولكنه يحقد ويكره ويفسد ويضل ويخدع ويكيد ويعاقب وينتقم ويمرض ويشوه ويضعف ويقتل الآخرين ويسعد ويفرح بما يفعل لهم، ويجن طالباً لأن يمدح بكل الأساليب السخيفة البليدة أي بأن يقال إنه جميل ورحيم وقوي وعبقري وجبار وغلاب ويعاقب أقسى العقاب من لم يقل فيه ذلك أي من لم يمدحه هذا المديح؟

* * *

.. أما ساكنات الفردوس القادمات إليه من الحياة الأولى فأي فردوس سيجدن فردوسهن هذا؟ إنه الضياع والعذاب والاغتراب! لقد أصبحن في عالم كله من النساء يواجه منافسة لا تستطاع منافستها أي منافسة الحوريات اللاتي يتخلقن في الفردوس بأعداد هي أكبر من كل الأعداد. والإله وجميع معاونيه كل ما يفعلون غير ملتزمين أو عارفين بأي قانون من قوانين الأرقام، بل خارجين عليها منكرين لها أي بسلوكهم لا بلغتهم لأنهم لا يعرفونها لكي يكون ممكناً أن ينكروها باللغة. !

أليسوا قد رأوا أن الواحد أكثر وأكبر من كل شيء، من كل هذا الكون بكل أرقامه وتفاسيره ووحداته؟

.. كما أصبح، أي عالم النساء هذا، يواجه عدداً قليلاً جداً من الرجال. وقد فسرت أسباب ذلك في الصفحات السابقة أي لأن أكثر الرجال سيذهبون إلى الجحيم.. إذن فأكثرهن أو كلهن مع استثناء نادر لن يجدن أزواجهن في الفردوس إنه عذابان: عذابهن لأنهن بلا رجال وعذابهن لأن رجالهن هناك في الجحيم. !

.. لقد أصبحن بلا أزواج، أصبحن أرامل أو مطلقات في مكان لا يوجد فيه أي بديل أو تعويض. إنه طلاق أو ترمل أبدي.. وإنه أيضاً تعذيب رهيب بلا أي ذنب وبلا قصد التعذيب. إنه تعذيب رهيب لأن الأحباب في عذاب الجحيم. !

.. وقد يزيد من هذا القبح والعذاب لهن أن يرين ويجدن القليلات جداً منهن معهن أزواجهن في الفردوس لتكون الحسرة والغيظ والفجيعة أقسى وأدوم.

.. فماذا يمكن أن يفعلن لتسديد وإرواء احتياجات وظمأ وجوع ونداءات الأنوثة فيهن؟ ماذا يفعلن حينئذ؟

هل يسرقن ذلك أو يغتصبنه منهم؟ هل يتزوجنهم بالإكراه؟

ولكن كيف يفعلن هذا أو هذا والذين يمكن أن يفعلن معهم أو بهم هذا أو هذا غير

موجودين؟ إنهم قليلون جداً والزحام والتنافس عليهم مغرق محرق مذل فاضح. آه.. ما أقسى وأوقح هذا الزحام.!

هل يباح بل يشرع تعدد الزوجات بل يلزم به في الفردوس؟

أليس تعدد الزوجات في الفردوس ضرورة واحتياجاً ومنطقياً وأخلاقياً أكثر مما كان كذلك في الحياة الأولى. ولكن هذا لن يعالج أو يحل المشكلة.!

إنها أكوام هائلة متزاحمة من الناس والحوريات على رجل واحد وأمامه.!

إن هذا الرجل الواحد أمام هذه العوالم من النساء والحوريات الزاحفات المتلهفات المحترقات المتحولات إلى جنس وأنوثة ومجاعات وهتافات عضوية جنسية شهوانية فقط بلا أية تفاسير أخرى أو وظائف أخرى..

إن هذا الرجل الواحد أمام كل هذا لن يكون أو يظل رجل أو فارس جنس معالج مجاعات جنس. إنه لا بد أن يتحول إلى هارب مطارد مذنب مهزوم مسحوق عاجز مشتوم متهم مطلوب القبض عليه والتعذيب والمحاكمة له ليوضع في السجن أو المعتقل بالقيود والأغلال..!

إذن ماذا يمكن أن يفعلن ويستطعن..؟

.. هل يتحولن إلى عصابات إرهاب لاختطاف هؤلاء الرجال القليلين جداً ليفعلن بهم ما يردن: الاغتصاب أو القتل أو الاغتصاب والقتل معاً؟

.. هل يتعلمن الشذوذ الجنسي ويمارسنه إذ لا بديل آخر؟

.. هل يفسدن أخلاق الإله وملائكته وكل من حوله ويعلمنهم العلاقات والممارسات الجنسية؟ إنه لاحتمال قوي وخطير. لأنه لن يتصور مثل الإله وملائكته ومن حوله استعداداً واستجابة لتقبل هذا الإفساد والفساد لأبدية وطول وقسوة حرمانهم من ذلك ومن كل شيء.!

.. هل يهربن إلى الجحيم مؤملات أن يجدن رجالهن أو أي رجال آخرين؟

.. هل ينتحرن بإشعال الحرائق في الفروس ليحترقن ويحترق كل شيء فيه؟

.. هل يتحولن إلى زنديقات وإلى داعيات للزندقة عقاباً لمن فعل بهن ذلك واحتجاجاً عليه وعلى حياتهن وبحثاً عن عقابه وهرباً من ثوابه بعد أن وجد أن ثوابه أردأ وأغبى وأقسى من عقابه؟

نعم، أليس عقاب الإله هو دائماً أنبل وأفضل وأتقى وأذكى من ثوابه؟

لننظر إلى أعدائه وإلى أصدقائه لنعرف أن عقابه أفضل وأنفع جداً من ثوابه. !

. . هل يستسلمن لمأساتهن الأبدية ويتحولن إلى بكاء وأنات وآهات وأحزان وإلى غضب وبغضاء ولعنات ناطقة أو صامتة مصبوبة على من خدعهن وأغراهن وكذب عليهن ليلقي بهن في هذا المكان الكئيب الأليم اللئيم. في هذا القحط المجدب من كل تفاسير ومعاني الجمال والمنطق والفن والذكاء والحب والشرف والكرامة والوقار بل ومن الرجال أي في هذا المكان المسمى والمزعوم فردوساً؟

إنها لاحتمالات كلها عذاب وقبح وافتضاح. !

إن أفظع ما في الفردوس أن عذابه وافتضاحه وقبحه أبدي لا نهاية له ولا أمل في نهايته. وكذا كل قضايا وأحكام وتفاسير الحياة الثانية. !

أما الحياة الأولى أي الدنيا فإن أجمل وأنبل وأرحم أخلاقها وتفاسيرها وعذابها وقبحها وفضائحها أن كل شيء فيها له نهاية، كل شيء فيها لا بدَّ أن يموت وينسى ويهزم. !

أليس أجمل ما في الحياة وأقوى ما يخفي ذنوب وقبح الحياة أنها تنتظر النهاية التي لا بد منها. !

. . الحكم على كائن ما بالخلود الأبدي في ذاته أو في ظروفه أو في مكانه أو في أفكاره ومشاعره وآماله وطموحه وتطلعاته ورؤاه وعذابه بل أو حتى في سعادته أو حتى في فردوسه وفي مجاورته أو مواطنته أو مساكنته أو مصاحبته لإلهه أي الحكم عليه بالخلود في ذلك.

ـ نعم، هذا الحكم هل يطاق؟ هل يطاق عذابه وقبحه وعدوانيته؟ إن كل شيء نجده جميلاً أو مفرحاً مسعداً إنما نجده كذلك لأنه ليس أبدياً ولأننا نعلم ذلك. !

لماذا جاء الإله بكل هذه القسوة والفظاظة والقبح والعدوانية؟

لأنه يقاسي كل العذاب والانفجاع الذي لا خلاص ولا علاج منه. .

ولماذا يقاسي الإله كل ذلك؟ لأنه قد عرف أنه لا نهاية ولا خلاص له من حياته أو وجوده ولا من أي معنى من معانيه. !

إن وحشية الإله لن تكون كما كانت لأن عذابه لن يكون كما كان أي لو أنه كان يعلم أنه سيذهب، يموت، وإنه لم يحكم عليه بالخلود. . أي لو أنه لم يكن أزلياً أبدياً في وجوده وصيغ كينونته وفي كل معانيه وتفاسيره ورؤاه وأشواقه ومواجهاته وأعماله

والتزاماته. ولكن من الذي عاقب الإله بهذه الأزلية والأبدية في كل ذلك؟ آه يا إلهي يا أفظع من فعل العقاب ومن فعل به العقاب!

.. أيهما أقسى تعذيباً وترويعاً وتقبيحاً: أن يخلد كائن تعيش في بدنه وضميره وعقله وأخلاقه ورؤاه ومواجهاته كل الآلام والأمراض والعاهات والتشوهات والعار والفضائح التي لا علاج ولا شفاء منها ولا أمل في العلاج أو الشفاء، أم أن يخلد الإله مواجهاً لكل هذا الكون ولكل ما فيه ومحاصراً به، ومسؤولاً عنه ومتهماً مفسراً مقروءاً مفهوماً محاسباً محاكماً مؤرخاً معاملاً متعاملاً به ومعه وفيه؟ فظيع، فظيع عذاب الإله لو كانت له عينان وضمير وقلب وفكر وفن وأحاسيس ومنطق يحاكم ويحاسب ويسائل ويحاور.. وفظيع فظيع ألا يكون له شيء من ذلك، بل ونذالة، نذالة ألا يكون له ذلك.

.. نعم، نعود إلى آلام نساء الفردوس..!

لنقول: حتى النساء القليلات جداً اللاتي سوف يجدن أزواجهن معهن في الفردوس لن يكن سعيدات أو فرحات أو آمنات.!

إن الحرج والمجاملة والاستحياء والغيرة على أزواجهن أمام النساء الأخريات اللاتي لم يجدن أزواجهن لا بد أن تعذبهن كل العذاب وأقسى وأدوم العذاب..

وأيضاً لا بدَّ أن تعذبهن وتقهرهن وتهزمهن منافسة الحوريات اللاتي صاغهن الإله من شهوات ولهفات وزفرات حرمانه الجنسي وحرمانه الشامل الأزلي الأبدي.. اللاتي صاغهن من كل معاني الجنون!

إن السعيد جداً أمام الأشقياء والمعذبين جداً قد أو لا بدَّ أو يجب أن يتعذب جداً، أن يتعذب بالحرج أو بالاستحياء أو بالشهامة والتقوى أو بالخوف أو بالحسابات والتقديرات والاحتمالات الأخرى.!

.. لنتصور هذا التصور لكي نتصور قبحه وعذابه..

مدينة مات كل رجالها سوى رجل واحد وأصبحت كل نسائها أرامل بلا أمل في أن يجدن رجالاً قد يتزوجونهن سوى امرأة واحدة هي زوجة هذا الرجل الواحد لتستمر هذه الحالة طويلاً أو أبداً..

هل يمكن أن تعيش هذه الزوجة الواحدة أو حتى زوجها شيئاً من السعادة أو الرضا أو الاستقرار أو الأمان أو الحب أو الصداقة؟

بل هل يستطيعان أو يجرؤان حينئذ أن يحدقا في عيون هذا العالم من الأرامل الذي يعيشان فيه بلا قدرة على الفرار والمفارقة؟ بل هل يستطيعان أو يجرؤان حينئذ أن يظهرا في هذا العالم متجاورين أو متحابين؟

* * *

.. أما الفريق الثالث لشعب الفردوس أو لشعوبه وهو الحوريات أو «الحور العين» فإن كل الصدمات والمفاجآت الآليمة الفاجعة لا بدَّ أن تكون أقل وأخف مما سوف يواجهن من صدمات ومواجهات قاسية ومهينة. !

وما القصة؟

لقد أنفق الإله وجميع مساعديه ومستشاريه كل ذكائهم وقوتهم واهتمامهم وحماسهم وحبهم للجمال وكل عبقرياتهم الفنية والشعرية والخيالية والنفسية والإبداعية والاستعراضية أيضاً.

ـ لقد أعطوا كل ذلك بكل السخاء والحب والفرح ليحولوهن إلى عرائس بعد أن يصوغوهن كما يريدون ويحبون ويعشقون ويستطيعون ويعرفون ليزفوهن زفافاً كونياً سماوياً، تغني وترقص وتدق له كل الطبول الكونية كل الشموس والنجوم بكل الأصوات واللغات والحركات والنبوات فوق كل المجرات.

.. ليزفوهن في أعظم وأشهر مكان، في الفردوس، في أعظم وأشهر وأجمل عرس، عرس ابتكره وصنعه وأقامه وحضره واحتفل به اللّه وكل أعوانه ومستشاريه وأنبيائه وأديانه بل وأنفقوا عليه بكل السرف.. ليزفوهن إلى أقوى وأجمل وأعشق وأفرس الرجال الذين وضع اللّه كل طاقات عضلاته ولهفات شهواته في أعضائهم الجنسية، ليكن لهم كل السرور والمضاجع والممارسات كل الأوقات، لتكون ضخامة وحماقة وديمومة وجنون ممارسة أعضائهم لأعضائهن أعظم وأعجب مشهد يتحول إلى أعظم وأعجب ملهاة مثيرة لعيني الإله ولرضاه عن عبقريته وفنونه التي استطاعت أن تتصور وتصنع وتخرج مثل هذا. إنه لصعب أن يوجد أي تفسير لإيجاد حوريات الفردوس غير احتياج الإله إلى أن يستمتع بمشاهدة الممارسات القوية الوقحة جداً..

.. ولكن يا لها من مفاجأة تخطت كل حدود وتفاسير المفاجآت في قسوتها وقبحها وترويعها وإهانتها وهوانها. يا لها من مفاجأة عجز عن تصورها وتوقعها خيال الإله بل فضحت الإله خيالاً ورؤية وحساباً. !

.. لقد زففن إلى مكان لا يوجد فيه المزفوف إليهم ولن يوجدوا. !

. . لنتصور هذا لنتصور شيئاً قليلاً من فظاعة وقبح ما حدث . .

. . زفاف يريده ويخططه ويقيمه وينفق عليه ويعلن عنه ويحضره ويحتفل به ويرقص ويغني ويصنع له وفيه كل قصائده وطبوله وألحانه ويرى فيه كل مجده وتفضله وعبقريته وسروره وقدرته وذكائه وكبريائه وجماله.

ـ زفاف يفعله بكل ذلك ويفعل له كل ذلك الإله وكل رعاياه من كل سكان كل أكوانه بكل المباهاة والاستعراض والدوي الإعلاني المشحون المتفجر بكل الفرح . . المشحون والمتفجر بكل لغات وتفاسير النزق، النزق السماوي، نزق الإله، هاتفاً له نزق قبائله الضاربة خيامها حول وتحت عرشه . .

ـ نعم، هذا الزفاف يفاجأ بأنه زفاف ومزفوفات بلا مزفوف إليهم بل وبلا أمل في أن يوجد من يزف إليهم، بل ويفاجأ بأنه زفاف إلى مكان مملوء بالمترملات والمطلقات اللاتي لن يجدن أو يؤملن أي إنقاذ من ترملهن أو طلاقهن . . إنها خيبة تهون عندها كل الخيبات . إنها خيبة يغرق فيها كل مجد وذكاء وتدبير الإله معاناً بكل عشائره السماوية . !

. . إن كل البحار والأنهار لو ذرفها الإله وأعوانه وأنبياؤه دموعاً وأحزاناً وعزاء ورثاء واعتذاراً إلى مأساة وفجيعة وصدمة وخيبة هؤلاء العرائس المزفوفات لما فكرن في أن يغفرن لهم شيئاً مما فعلوا بهن بل لما استطعن أو قبلن أي الحوريات المزفوفات أن يستمعن إلى اعتذارهم وبكائهم، بل لما أمكن أن يرين عيونهم المتدفقة منها كل البحار والأنهار دموعاً حتى ولو احترقت عيونهم وخدودهم بحرارة دموعهم . . !

. نعم، لما فعلن شيئاً من ذلك ولما استطعن فعله لضخامة مأساتهن ولضخامة جريمة من أوقعوا بهن هذه المأساة أي من زفوهن إلى هذه المأساة . !

آه . ما أبلد وأعمى الإله والطبيعة أمام المآسي والجرائم ما أبلدهما وأنذلهما . !

. . إذن المأساة بلا حدود أو قياس أو نموذج، والجريمة بهذا الحجم، والغضب والإحساس بالفجيعة كذلك أي بلا حدود أو قياس أو نموذج . !

. . إذن لا بدَّ أن تتخلق الرغبة في الانتقام وأن تكون هذه الرغبة حادة كحدة الإحساس بالمأساة وبالفجيعة، وأن يكون الانتقام وأن يراد له أن يكون متكافئاً مع الجريمة، الجريمة القبيحة الوقحة بلا مثال . !

آه كيف تحسب وقاحات وقباحات الجرائم؟ بأي مقياس أو منطق تقرأ أو تحسب؟

. . وبقراءة ومحاسبة كل هذه الحسابات ما الذي يمكن تصوره مما لا بدَّ أن يفعلنه

أي الحوريات أو أحاولن فعله رداً على ما أصابهن وعقاباً لمن دبروا وصمموا ونفذوا ما أصابهن؟ ما أقسى العقاب الذي لا بدَّ أن يوقع على الإله وملائكته وأنبيائه وعلى الموظفين عنده لو كان العقاب يكون بالحتم على قدر الإجرام. !

إنه لا يمكن الجواب على هذا التساؤل بالتحديد، ولكن بلا تحديد لا بدَّ أن يكون الجواب عما لا بدَّ أن يفعلن وعما يمكن تصوره مما لا بدَّ أن يفعلنه أو يحاولن فعله، لا بدَّ أن يكون رهيباً، رهيباً. !

. . والمحتوم أو المحتمل جداً أن ما سوف يفعلنه لا بدَّ أن يصيب من فعلوا الجريمة وصاغوا المأساة أي الإله وملائكته وأنبياءه وكل أعوانه وجنوده وحراسه، وأن يصيب أيضاً الأبرياء من سكان الفردوس وغيرهم. !

ما أقل العقاب أو الانتقام الذي لا يصيب الأمن يستحقونه؟ بل لعل هذا العقاب أو الانتقام لم يوجد ولن يوجد. !

. . بكل العنف الذي حاولت أن يكون صادقاً وحازماً وأميناً ومتكافئاً مع ضخامة مسؤوليتك وذنوبك يا إلهي ومع ضخامة القضية عرضت عليك ثلاثي فردوسك وهم الرجال والنساء والحوريات أو الحور العين كما تقول أنت ويقول نبيك العربي محمد، وعرضت عليك أعداد وظروف وحالات الجماعات الثلاث وما لا بدَّ أن يكون لذلك من عواقب. !

هل يمكن أن يكون حدث أو فعل أو وضع بلا عواقب مختلفة في أساليبها وتعبيرها إلاّ بقدر ما يمكن أن يحدث حبل بلا تلقيح أو حبل بلا ولادة أو ولادة بلا مولود، أو عروبة بلا بداوة أو زعامة عربية بلا تفاهة وجهالة كنت قد حدثتك عن فريق رابع أي من سكان فردوسك وهم الغلمان أو الولدان المخلدون كما تسميهم أنت ونبيك محمد. . الإله والنبي يتحدثان عن الغلمان المخلدين المزينين بكل الحلى والأصباغ. قبيح تفسير ذلك. !

. . وبأقسى الذعر والانفجاع والاستحياء بل والاشمئزاز أذكر لكم أي لك يا إلهي فريقاً خامساً رواه الراوون عن نبيك العربي الراوي عنك ما لا يجرؤ أن يرويه عنك غيره بل ما لا يجرؤ أن يرويه أحد عن أحد. !. إنه لا أقبح من العربي مفكر وفاعلاً إلا النبي العربي راوياً ومعلماً. !

إن العربي لا يستطيع أن يكون متفوقاً إلاّ في حالة واحدة أي إلاّ في افتضاحه. !

. . إن هذا الفريق الخامس في فردوسك هم الخدم. هكذا روى الرواة عن نبيك

الذي لم يفضح أحد أحداً بالرواية عنه مثلما فضحك. بل إن جميع رواة الفضائح في كل التاريخ والكون لن يستطيعوا أو يجرؤوا أن يرووا منها أي من الفضائح مثلما روى نبيك هذا منها عنك. !

.. قال هؤلاء الرواة بكل الإيمان والتقوى والإعجاب والفرح والفخر بما يروون وبنبيهم الذي يروون عنه ما يروون.. !

قالوا إن أقل أهل الفردوس منزلة ومكانة اجتماعية في الفردوس سيكون له ثمانون ألف خادم. !..

ثم، ثمانون ألف خادم. هل تسمعون؟ هل يوجد من يستطيع أن يسمع أو يقرأ؟ هل تعرف شيئاً من الحساب يا إلهي؟ هل تعرف ماذا يعني ثمانون ألفاً؟

هل تستطيع قراءة هذا الرقم أو المنطق به أو كتابته.؟ حتماً أنت يا إلهي لا تعرف أي تفسير من تفاسير الأرقام. والنفط العربي أحد الشهود على ذلك. !

.. هل أهين أو حقر أو شوه أو خدع أو كذب أو خدع وكذب به وعليه شيء مثل الأرقام؟ وهل أهان أو شتم أو أذل الأرقام شيء مثل النفط العربي؟

.. هل وجد أو يوجد من اعتدى ويعتدي على الأرقام، على أخلاقها وتفاسيرها وصدقها ومجدها وشرفها وقوتها وذكائها مثلما اعتدى ويعتدي عليها الإله وكل من يتحدثون بلسانه ومنطقه وأخلاقه من ملائكة وأنبياء ووعاظ ومعلمي دين ومن نفط عربي ومن ملاك وأولياء وأصدقاء للنفط العربي؟

هل استطاع أو يستطيع أي شيء أن يقنع بأمية الإله وأمية الطبيعة مثلما استطاع ذلك النفط العربي؟

أيهما أكثر هجاء لذكاء الإله وذكاء الطبيعة: النفط العربي أم النبوة العربية؟

.. من علمك أيتها الأرقام كل هذا الصبر على هذا الهوان؟

.. أليس سكان السماء والقادمون والمتعلمون من السماء هم أردأ وأبذأ من علموك ذلك؟

هل وجد ضالون مضللون وجاهلون مجهلون مثل سكان السماء والقادمين من السماء والمتحدثين عن السماء والمتعلمين من السماء والمفسرين لأخلاق وأهواء السماء؟ أليس كل نضال إنساني إنما هو نضال ضد أخلاق ومنطق وأفعال وضربات وحماقات وتعاليم السماء وموظفيها والقادمين منها؟

.. هل وجد معلمون لا أحد يحتاج إلى أن يتعلم احتياجهم مثل أهل السماء ملاكاً وسكاناً وزواراً وتلامذة وأصدقاء ودعاة؟

هل تعلم أحد من أحد مثلما تعلمت أو احتاجت أن تتعلم السماء من الأرض؟

.. إذن صبراً أيتها الأرقام فلست وحدك التي اعتدت عليها السماء.

.. وليس عدوان السماء عليك أقبح أو أقسى من عدوانها على أي شيء وعلى كل شيء.!

أليس عدوان السماء عليك أقل من عدوانها على الإنسان والصرصار والذباب والقملة؟

أليس عدوانها أي السماء على الصرصار والذباب والقملة أقل من عدوانها على الإنسان؟

أليس عدوانها أي السماء على الإنسان المتفوق جداً بأخلاقه أو عقله أو ضميره أو عبقريته أو نظافته أو كرامته أو رؤيته أو تقواه أقسى وأقبح من عدوانها على الإنسان الآخر المتخلف في كل ذلك أو الفاقد لكل ذلك! ولكن أغفري، أغفري أيتها السماء. إنه لا يوجد متهم بكل الذنوب، بريء من كل الذنوب غير أنت وغير الشيطان.!

* * *

اسمعوا. بل لا تسمعوا. وهل تطيقون أو تقبلون أن تسمعوا؟

.. اسمعوا ماذا تقول السماء فيما يروي عنها أنبياؤها أي خاتم أنبيائها..!
اسمعوا: إن أقل سكان الفردوس مكانة وحظاً من عطاء الإله وحبه ورضاه سيكون له ثمانون ألف خادم. اسمعوا أن هذا ما تقوله المساء في رواية نبوة العروبة عنها.!

أليس محتوماً أن تسألوا بكل الانفجاع والغضب بل والاشمئزاز!

إذن أعلى أهل الفردوس منزلة وقرباً من الإله كما سيملك من الخدم؟ إذن النبي أي نبي كما سيملك من ذلك..؟

.. إذن سلطان الأنبياء وملكهم وسيدهم ومعلهم وخاتمهم محمد النبي العربي كم سيملك من الخدم هو وحورياته ومحظياته وزوجاته وأهله وأقاربه وغلمانه؟ إذن هل تستطيع كل الآلهة أن تخلق بل أو أن تعرف أعداد الخدم الذين يجب أن يكونوا خدماً للنبي محمد ولزوجاته وجواريه وأهله؟

.. أليس محتوماً أو واجباً أن تسألوا: وماذا يصنع المخدومون بهؤلاء الخدم؟ ماذا يصنعون بهم كيف وهؤلاء الخدم ليسوا وحدهم؟

إن الولدان أي الغلمان هم أيضاً خدم لمن لهم هؤلاء الخدم. !

.. إنها الورطة وتعذيب للمخدومين أكثر مما هي كذلك للخادمين. !

.. أليس محتوماً أيضاً أن تسألوا: من أين يستورد أو يسرق أو يسبي أو يجبي أو يستولد هؤلاء الخدم. !. هل توجد أرحام أو مصانع تستطيع أن تلد أو تنتج كل هؤلاء حتى ولا أرحام نساء العروبة تستطيع ذلك. !

ثم أليس محتوماً أن تسألوا: كيف يمكن إطعام أو إسكان هؤلاء الخدم أو إيجاد المواصلات والملابس وكل الاحتياجات الأخرى لهم؟

هل يستطاع هذا أو يستطاع شيء منه؟

أليس محتوماً أن يأكلوا كل بذور وبراعم وفسائل وحبوب ونباتات الفردوس قبل أن تنبت وتنمو وتثمر وتزهر ليصبح أي الفردوس قحطاً أبدياً، لتموت فيه كل صيغ الحياة ومعانيها، ليموت كل من فيه جوعاً وفقراً وهزالاً؟

وليس محتملاً أن يوجد في الفردوس خبراء على أي مستوى لا مستوردون ولا محليون، لا عبقريون ولا جيدون ولا حتى متوسطون أو عاديون ليعالجوا أية مشكلة من هذه المشاكل كالذي كان يحدث في الحياة الأولى. !

.. نعم، لأنه لن يسمح بدخول الفردوس لغير أهله حتى ولا للأطباء ولا لجماعات الإسعاف ولا لمطفئي الحرائق ولا لمنقذي الغرقى ولا للملقحين ضد الأمراض المعدية، حتى ولا لمعلمي الآلهة القراءة والكتابة حتى ولا لمعلميها حروف الهجاء ولا لمن داووها ويداوونها من بداوة الكون وجهالته وأميته.. من بداوة الكينونة وجهالتها وأميتها. حتى ولا لمن ستروا بعبقرياتهم وإبداعاتهم وعلومهم الكبير من أخطائها أي من أخطاء الآلهة وجهلها وعجزها. !

.. وأيضاً لأن سكان الفردوس لن يكونوا إلاّ بلهاً ومغفلين وأميين ومشغولين بمعرفتك وعبادتك ومخاطبتك وفي التفكير فيك والخوف منك وفي الامتداح لك وفي التغزل بجمالك وفي الاستعداد والانتظار للقائك ومعاشرتك ومجاورتك وفي التوكل عليك وفي إعلان وإثبات هذا التوكل كما تطالبهم بذلك وتفرضه عليهم ـ نعم، مشغولين بكل ذلك عن أي شيء كما أردت وطلبت منهم وأعلنت عن ذلك وقررت أن تحاسب وتعاقب وتجزي وترضي وتغضب بذلك وعليه. !

. . إنسان أو كائن موضوع داخل عينيه جسم الشمس، كيف يمكن أو يستطيع أن يرى أي شيء آخر؟ كيف لا يحترق كل شيء فيه؟

إنسان يتفجر كل الكون في أذنيه كيف يستطيع أن يسمع خفقة جناح عصفور؟

. . إنسان أو كائن توجد كل ذات الإله بكل تفاسيرها وصيغها وضخامتها وجمالها ورهبتها داخل عقله وضميره وتفكيره وداخل كل تصوراته وتطلعاته ورؤاه وأشواقه ومستقبله كيف يمكن أن يوجد في ذاته أو في أي معنى من معانيه أي شيء آخر، ليتهم به أو ليحدق أو يفكر فيه أو ليتقنه أو ليفعله؟

إنه لصعب بل لمستحيل أن تسكن يا إلهي في أية ذات أو تحتلها ثم يوجد فيها أي شيء غيرك أو تتسع لأي شيء غيرك أن الناس يا إلهي لا تستطيعون ولم يستطيعوا أن يحيوا وأن يحبوا الحياة ويتعاملوا بها ويعاملوها ويعملوا لها ويتقاتلوا ويتنافسوا ويتعادوا عليها أو يروا جمالها أو يتلذذوا بإغرائها أو يقاسوا من فقدانها وآلامها.

ـ نعم، يا إلهي إنهم لن يفعلوا ولم يفعلوا شيئاً من ذلك إلاّ بقدر ما تكون منفياً من داخلهم. .

إنهم لن يروا الشمس إلاّ بقدر ما يكونون فاقدين لرؤيتك ناسين لها مشغولين أو عاجزين عنها. . إلاّ بقدر ما تكون بعيداً عن عيونهم. !

. . إنهم لم يسمعوا ولن يسمعوا أصوات الأعاصير والصواعق بل أصوات الكون متفجراً كله إلاّ بقدر ما تكون مطروداً من آذانهم بكل أصواتك وهتافاتك ونداءاتك وتهديداتك وإغراءاتك ونبواتك. إن وجودك يا إلهي في أية عين فقء لها عن كل رؤية أو في أية أذن إصابة لها بالصمم عن كل سمع واستماع!

إن ذلك لكذلك مهما قالت كل المحاريب والمنابر والآيات والأسفار والأناجيل والعظات والتفاسير غير ذلك، خداعاً أو كذباً أو جهلاً أو محاباة للنفس أو دفاعاً عما لا يمكن الدفاع عنه. !

هل يوجد أكذب أو أجهل أو أخدع من السور والأسفار والإصحاحات والمنابر والمحاريب؟

. . نعم، يا إلهي إنك لن توجد في ذات يوجد فيها شيء آخر غيرك ثم تبقيان فيها أي أنت والشيء الآخر معاً إلاّ بقدر ما يمكن أن تتجمع كل أجساد كل الشموس في عين ثم تستطيع أو تريد أي هذه العين أن ترى شيئاً أو أن يوجد فيها شيء آخر. !

.. ما أعجز البشر حتى الأذكياء جداً منهم عن رؤية وفهم ما لا يستطاع العجز عن رؤيته وفهمه أي أحياناً. !

ما أغبى وأذكى البشر أي في كثير من المواقف، أمام كثير من القضايا. !

إن الغباء أي في كثير من المواقف والقضايا ضريبة كونية أبدية مفروضة على كل كائن، على كل البشر لا يعفى منها أي عبقري بل ولا يخفف منها عن أي عبقري احتراماً لعبقريته أو خوفاً أو استحياء منها هل يكون خطأ كبيراً أو صغيراً أن يُقال إن قمة العبقرية هي قمة الغباء لأن قمة العبقرية هي التي تفكر وتعلم وتفهم وتبدع وتناضل وتفعل وتنجز لكي يحيا ويبقى ويقوى ويسعد ويتكاثر وينتصر ويخلد أغبى الغباء بكل صيغة تفاسيره؟ إن مشكلة العبقرية الدائمة أنها لا تجد شيئاً تعمل له أو فيه أو تتعامل معه غير الغباء والعبث الذي هو كل تفاسير الغباء. !

هل للعبقرية الإنسانية أية وظيفة غير أن تجعل ما هو كل الغباء حياً وقوياً وشهياً وبهياً وذكياً وخالداً منتصراً منتشراً محمياً من الموت والانتهاء والهزيمة بل وراضياً عن نفسه وغبائه ومعجباً بهما بلا حدود من الجنون والغباء والنزق؟

.. هل للعبقرية الإنسانية وظيفة أو هدف غير أن تحمي أقبح العبث من الموت أو الانتحار أو الشيخوخة أو الاختفاء بل أو حتى من الاستحياء بل غير أن تحمي أقبح وأوقح القبح من ذلك لأنها أي العبقرية لا تجد شيئاً تعمل فيه وتعمله غير الوجود والوجود هو كل العبث والغباء؟

أليست العبقرية الإنسانية التي تناضل وتبدع وتقاسي لكي تجعل أقسى وأقبح الآلام والتفاهات والفضائح والقبائح والبلادات والعاهات والتشوهات والنذالات قوية وباقية وقاهرة باهرة بل لكي تجعلها شعوباً وأمماً وتاريخاً وأدياناً ومذاهب ونبوات وفلسفات وأخلاق وتعاليم وعبقريات وشهوات آلهة، بل أعظم وأتقى وأذكى الآلهة؟

هل يوجد أغبى أو أنذل أو أوقح من أذكى الأذكياء الذين يريدون ويعشقون ويدبرون ويصنعون ويحمون ويقوون أغبى الغباء وأعبث العبث ليدوما ويتعاظما ويتألقا؟

أليس كل الأذكياء وأذكى الأذكياء يفعلون ذلك بل لا يفعلون غير ذلك؟

.. إذن هل يوجد أغبى أو أنذل أو أوقح وأقبح من مريد ومدبر ومخطط وعاشق وصانع ومخلد هذا الوجود الذي لا يوجد غباء ولا قبح ولا نذالة ولا عبث ولا سخف ولا عذاب ولا هوان غير غبائه وقبحه ونذالته وعبثه وسخفه وعذابه وهوانه.؟

إن الأذكياء جداً لمحتاجون إلى الغباء أكثر من احتياج الأغبياء إلى الذكاء. وإنهم أي الأذكياء جداً ليفعلون الغباء ويخططونه وينصرونه أكثر مما يفعل الأغبياء.!

أليس الذين يصنعون وينشرون ويحمون أغبى الغباء وأعبث العبث هم أغبى وأعبث الأغبياء العابثين؟

إذن أليس الآلهة والعباقرة هم أغبى الأغبياء وأعبث العابثين إذ لا أحد يهب الغباء والعبث القوة والبقاء والمجد والحياة مثل الآلهة والعباقرة؟

نعم، الآلهة تصنع وتريد العبث والغباء، أما العباقرة فيهبونهما أسباب البقاء والقوة والانتشار.!

.. إن المشكلة أن الأغبياء والعابثين والصانعين للعبث والغباء لا يرون أن يدركون أو ينكرون عبثهم وغباءهم إلاّ بالقدر والذكاء اللذين تدرك وترى وتفهم وتنكر بهما الحشرات عبثها وغباءها وضياعها.!. ولا بد هنا من الاعتذار إلى الحشرات لأنها تفعل كل ما تفعل بلا دفاع عنه!

.. هل يستطيع الإله أو العبقري أن يفهم أو ينكر أو يرى عبثه وضياعه وغباءه أكثر أو أذكى أو أتقى أو أقوى مما تستطيع ذلك أردأ الحشرات؟

إذن أليس أحد التفاسير لكل هذا: إن الأذكياء والعباقرة يصنعون وينصرون ويرسخون الغباء أكثر وأقسى مما يفعل ذلك الأغبياء والجهلاء والضعفاء والتافهون؟ كيف؟

لأن الأذكياء والعباقرة يصنعون الوجود أكثر وأقوى والوجود هو كل الغباء، والغباء لن يكون إلاّ وجوداً. فكل وجود غباء وكل غباء وجود. إنه لا غباء بلا وجود ولا وجود بلا غباء.!

إن ذلك لكذلك في كل تفاسير الذكاء والغباء، في كل تفاسير ومنطق الفكرة والهدف.. البداية والنهاية.. التخطيط والنتيجة.. الأسلوب والمعنى.. الولادة والموت أليست الولادة كالموت فكرة ومنطقاً؟

.. إن الذكاء في مجيء الحشرة وفي كينونتها ونهايتها هو كل الذكاء الموجود في وجود أي موجود، في وجود كل هذا الوجود..!

.. إن كل الذكاء والجمال والحب والرحمة والحكمة الموجودة في الولادة موجودة في الموت وفي المرض والتشويه.!

. . إن أحداً مهما كان جنون إيمانه لن يقول إن في وجود الحشرة من الذكاء أو المنطق أو العبقرية أو الجمال أو الفن أقل مما في وجود النبي أو الملاك أو القديس، أي يقول إن اللّه حين خلق الحشرة كان جماله أو ذكاؤه أو منطقه أو فنه أقل منه حين خلق الملاك أو النبي أو القديس أو أنه كان أقل التزاماً بذلك. !

. . إن من يقول: إن وجود الحشرة خروج على الذكاء والمنطق أو الجمال أو النظافة أو العبقرية لا بدَّ أن يقول إن وجود كل شيء وأي شيء هو كل هذا الخروج حتى وجود الأنبياء والملائكة والقديسين، وحتى وجود الصحة والجمال والحقول والمروج. !.

إن من ينكر أو يرفض أو يلعن وجود الحشرة إنما يفعل ذلك بوجود الإله.

. . إنه لن يوجد من يقول إن في صياغة الوجه الجميل من الذكاء أو الفن أو الرحمة أو الحب أو الحكمة أكثر مما في أي وجه مغطى بكل التشوهات والدمامات من ذلك. !

إنه لا بد من هذا أو هذا أي لا بدَّ من القول والاقتناع بأن كل وجود وموجود قد وجد بذكاء أو لا وجود ولا موجود قد وجد أو أوجد بأي ذكاء. !

. . إذن هل يوجد من يقول إن في وجود الحشرة أو العاهة في الوجه ذكاء لكي يمكن أن يوجد من يقول إن في وجود أي موجود أي ذكاء؟

. . إن من يقتل أو يطارد أو يحتقر أية حشرة هو قاتل ومحتقر ومطارد للذكاء والمنطق اللذين أرادا وخططا وخلقا خاتم الأنبياء. !

أي إنها مطاردة وقتل واحتقار للإله. . !

. . إن رفض أية حشرة أو أي شيء يعني حتماً رفض كل التفاسير المتحدثة عن أي ذكاء أو منطق في وجود أي موجود. إن منطق وأخلاق إيجاد الحشرة هو منطق وأخلاق إيجاد كل شيء وأي شيء. !

. . إن رفضنا للحشرة يساوي في كل أخلاقه ومنطقه وحوافزه رفض الحشرة لنا. وأن تفاسير وجودنا في منطقنا يساوي تفاسير وجود الحشرة في منطقها بل وفي منطق كل إله ونبي ومعلم دين. !

إنه لن يوجد أي إله أو نبي أو معلم دين يجد فرقاً بين رفضنا للحشرة ورفض الحشرة لنا أو بين منطقنا في تفسيرنا لوجودنا ومنطق الحشرة في تفسيرها لوجودها، أو

فرقاً بين منطق الإله وعبقريته وأخلاقه وذكائه حينما خلقنا وبين منطقه وأخلاقه وذكائه وعبقريته بل وفرحه وإعجابه بنفسه حينما خلق أردأ حشرة أو فرقاً بين حوافز الإله في استمساكه بنفسه ودفاعه عنه، وبين حوافز الحشرة في استمساكها بنفسها ودفاعها عنها ورضاها بها. !

. . بل إن أي إله عادل وذكي ومثقف ومتحضر وأخلاقي لن يجد أي فرق منطقي أو أخلاقي أو جمالي بين وجوده هو ووجود أية حشرة أو أي شيء أو أردأ وأقبح شيء. !. لأن الحشرة قد وجدت بتدبير وتخطيط كل منطق الإله وذكائه وأخلاقه وجماله وحبه وحكمته، وكذلك وجد هو. !

هل يوجد مؤمن يخالف في أي شيء من ذلك؟ لعل المؤمن لا يفقد كل عقله إلاّ في رؤيته للإله. !

. . نعم، أقل أهل الفردوس ملكاً ومجداً وحظوة سيكون له ثمانون ألف خادم. . !.

. إذن تصوراً وحدساً ومنطقاً كم يمكن أن يكون للجالسين على عرش الفردوس بل كم يجب أن يكون لهم من ذلك أي من الخدم؟ أليس محتوماً أن تعجز كل التصور والظنون والحسابات والأفكار عن إحصاء ذلك بل وعن تصوره؟

هل يكون مبالغاً أو مخطئاً من قال إن عدد سكان الفردوس في عدد هؤلاء الخدم لن يزيد عن الواحد في المليون إذا كان أقل هؤلاء الفردوسيين سيكون له ثمانون ألف خادم. ثمانون ألف خادم. !

إذن لأقل مكرراً: لعل الإنسان لا يفقد كل ذكائه وعقله وكبريائه إلاّ في رؤيته وفهمه للإله.

. . آه هل نجرؤ على تصور هذا؟ على أن نتصور النبي محمداً، نتصوره مستلقياً أو منبطحاً أو منطرحاً أو مفتضحاً بكل الاسترخاء والتبلدِ والخمول والعري والكسل وحوله آلاف أو مئات الآلاف أو الملايين من الخدم والغلمان والحوريات حاملين ورافعين ومقدمين وعارضين الكؤوس والبسمات والمغازلات والمغانجات والأعضاء، كل الأعضاء بكل الإغراء، بكل الصراخ والافتضاح والزحام ووقاحة التنافس وهو محصور محشور أي محمد لا يعرف كيف يختار ومن يختار لتوزيع شهواته ورغباته. !

. . إن أقل الحشرات حياء وكرامة قد تختار أن تفقأ عيونها إن كان البديل أن ترى هذا المنظر، أو تختار أن تنتحر إن كان البديل المحتوم أن تكون هي صاحبة هذا

المنظر، أي إن كان البديل أن تكون هي النبي محمداً صاحب هذا المنظر أو المرئي في هذا المنظر المنظور أو المتصور. !..

أرجوك، أرجوك أيتها الحشرات أن تفقدي كل عيونك. !

.. إذن هل الفردوس فردوس؟ هل هو دار جزاء وإسعاد وتكريم للأنبياء والقديسين والمؤمنين أم هو ملجأ أو مجمع أو دار أو وطن خدم يصبح المخدومون فيه أو المراد والمزعوم أن يكونوا مخدومين ـ يصبحون غرباء وفضوليين متسللين منبوذين بل وخائفين مكروهين مضطهدين فيه. !. إن كل من يسكنون هذا الفردوس لن يروا حينئذ إلاّ أنهم غرباء في وطن خدم. !

.. واحد في مليون ماذا يمكن أن يستطاع أو يقبل أو يعقل أن يكون؟

.. واحد ليس له أي جيش أو حرس أو حماية من أي نوع أو حتى مزية من أي نوع أو بأي قدر أو مقياس غير أنه كان يوماً ما يضع جبهته على التراب بلا أية طهارة أو كرامة أو شهامة أو أي معنى من معاني التفوق أو السمو قائلاً بصراخ وجهالة ووقاحة: إني أصلي وأؤمن وأتعبد وألعن وأكره واحتقر المخالفين لي ومن لا يفعلون ويقولون ويعتقدون مثلي دون أن يرى أو يعرف أو يسأل أو يقرأ أو يحاسب أو يحترم شيئاً أو حتى يحاور ذاته ليقول لها لماذا أفعل ما أفعل وأصدق ما أصدق؟ كيف تعلمت ذلك؟ من علمني إياه وكيف علمني إياه؟ وكيف صدقته أي من علمني إياه؟ وكيف أو لماذا أصبح معلمي ولم أصبح أنا معلمه؟ ولماذا اقتنعت بذلك؟ من صنع في هذه الغفلة أو القدرة على الاقتناع؟

هل وجد محقر ومذل للإنسان ولأي كائن مثل من وضعوا فيه موهبة الاقتناع والتصديق؟

.. وهذا الواحد يعلن ويعرض وينصب سيداً ومخدوماً لهذا المليون المحول إلى خدم.. يعلنه ويعرضه وينصبه الإله وكل أنبيائه وأوليائه. !

.. وهو أي هذا الواحد لم يحول هذا المليون إلى خدم له بدفع الأجر لهم أو بالوعد والإغراء بذلك أو بسياط القوة أو بسلطان وأمجاد التاريخ أو العراقة أو الأصالة أو الوراثة أو التفوق الحضاري أو العلمي أو الأخلاقي أو الفكري، أو لأنه غزاهم وسباهم وغنمهم بالسيوف أو الرماح أو الخناجر أو حتى بالعصي أو الإبر أو الدبابيس، أو لأنه قد يفعل ذلك.. !

وهذا المليون من الخدم لهذا الواحد المخدوم سيجدون أنفسهم خدماً بلا خدمة

بلا مخدومين. وموظفين بلا وظيفة بلا شيء أو أحد يعملون أو يتعاملون معه.. ومزارعين بلا أي أرض، وطباخين بلا أي طعام أو مطابخ أو أدوات طبخ أو مكان طبخ أو آكلين.

.. وغزاة بلا أي كائن أو مكان يغزي.. ومسافرين بلا أية أرض أو جهة أو سبيل أو سماء أو غابة يكون السفر فيها أو إليها ومنها..!

.. وزوجات بلا أي أزواج أو عشاق أو مضاجع أو مساكن.. وأعضاء ذكورة بلا أعضاء أنوثة أو أعضاء أنوثة بلا أعضاء ذكورة.!

إناث بلا ذكور وذكور بلا إناث وخدم بلا مخدومين وعبيد بلا معبود.!. قبيح جداً، جداً.

.. سيجدون أنهم مليون خادم، مليون كائن قد جلبوا ووضعوا وأعدوا بكل الحماس والاهتمام والصراخ والإعلانية الكونية السماوية ليكونوا خدماً لنبي أو لقديس أو لأي مؤمن مغفل واحد غريق أبداً في السكر والضياع والاسترخاء والغيبوبة في مضاجع الحوريات المتنافسات المتزاحمات، وفي حضانة ورعاية ومصادقة ومجالسة ومغازلة ومضاحكة الولدان المخلدين المحلين بأساور وقلائد وخواتم وأقراط وأسنان من اللؤلؤ والذهب والياقوت والمرجان وفي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أو حملت ولا رقبة قلدت ولا وجنة صبغت ولا أظافر لونت أو حواجب كحلت وأنثت..

.. في ما لا يستطيع أو يجرؤ أن يتصوره أو يتقبله إلاّ أخلاق وخيال السماء وأنبيائها.!

.. أليس محتوماً أن يرى هؤلاء المليون الذين وضعوا خدماً لواحد ليس موجوداً أي ليس حاضراً أو مفيقاً أو مستفيقاً أو فاهماً أو متفاهماً أو متعاملاً أو رائياً أو مرئياً أو شاكراً أو مشكوراً أو موحياً بالرهبة منه أو بالرغبة أو جاذباً أو مغرياً أو مفرحاً بجماله أو بأخلاقه أو بذكائه أو بعمله أو بقوته أو بنشاطه أو بأي معنى من معانيه الذاتية أو المعنوية.!

.. بل لواحد لا بدَّ أن يشفق عليه ويرثي له ويخجل ويشمئز منه ويفجع به كل من جرؤ على النظر إليه وهو مطروح مغمى عليه بين جواريه أي حورياته وغلمانه المحتشدين والمحتشدات حوله، حاملات وحاملين للكؤوس إلى فمه ولأعضائه وإغراء الجنس إلى أعضائه وهو لا يستطيع تحريك جفنيه من الخمول والتبلد ـ نعم، أليس محتوماً أن يرى هؤلاء المليون الذين وضعوا هذا الوضع أنه قد بولغ جداً في خداعهم

وإهانتهم وفي تصغيرهم وتحقيرهم وفي عرضهم أمام أنفسهم وأمام من زعموا ووضعوا لهم خدماً؟

هل يستطيعون أن ينظروا إلى أنفسهم أو أن يرى أو يلقى بعضهم بعضاً؟

.. مليون لخدمة واحد، واحد ليس موجوداً أو ليس مستعداً أو محتاجاً لأية خدمة لأنه ضائع، ضائع أبداً..!

.. أليس هذا يعني حتماً أما التصغير الذي لا يستطاع تصوره لقدرة وذكاء وكفاءة هؤلاء المليون، وأما التحقير الذي لا يستطاع أيضاً تصوره لكرامة وشهامة ورؤية واستحياء وغضب واحتجاج هؤلاء المليون، أو لا بدَّ أن يعني إرادة الإذلال والإساءة والتشوية والاستهزاء والسخرية والعبث والفضح والافتضاح بلا أي منطق أو قصد آخر؟ أليس محتوماً أن يفهم هؤلاء الخدم أنه قد أريد لهم وبهم هذا أو هذا أو هذا أو كل هذا؟

.. مليون أو أكثر يجدون أنه قد فرض عليهم ألا تكون لهم أية وظيفة أو قضية أو اهتمام أو تفسير أو أشواق أو حتى عبادة أو إيمان غير أن يكونوا خدماً لكائن ليس موجوداً، لكائن يتنافس ويتقاتل الغلمان والحوريات عليه، على فمه بالكؤوس والطعام، وعلى أذنيه بالمغازلة والغنج، وعلى أعضائه الجنسية بأعضاء جنسية قد وظّف اللّه كل قدراته وعبقرياته وفنونه وأشواقه الجنسية المحرومة لتكون طاقة غواية في إغرائها الجنسي، أي في إغراء هذه الأعضاء أي التي وظّف اللّه كل معانيه لتكون طاقة إغواء في إغوائها.!

.. إن هؤلاء الخدم لا بدَّ أن يصبحوا ثوريين وانقلابيين دون أن يفعلوا أو يعلنوا أو يدبرون ثورة أو انقلاباً أي لا بدَّ أن يصبحوا هم السادة في الفردوس وهم أصحاب المكان والسلطات وكل شيء فيه حتى ولو لم يريدوا ذلك أو يفكروا فيه لما ذكر من عددهم..

.. ولعلهم لن يجدوا من يقاوم بل أو يرفض ذلك.!

.. واحد هل يمكن أن يقاوم أو يرفض أن يكون تابعاً أو ضائعاً أو غريقاً أو منسياً في مليون أو أكثر من مليون محسوبين ومصنوعين ومتولدين من كائنات وطبقات وأجناس أخرى عليها حكم عليها بأن تكون وتظل أبداً خدماً لهذا الواحد الآتي من كينونة وأكوان أخرى؟

هل يقبل أو يفعل ذلك أي منطق أو قانون أو نظام؟

وقد يسعد ويرحب بذلك الولدان المخلدون والحوريات المصدومات المهجورات. !.

أليس ذلك أفضل وأنفع لهم ولهن؟

إنهن قد يجدن حينئذ في هؤلاء الخدم السادة شيئاً من العلاج أو كل العلاج لصدمتهن الفادحة بزفافهن في الفردوس إلى غير رجال أو أزواج أو ذكورة من أي نوع أو جنس. أي لحرمانهن الجنس الذي كان محتوماً أن يكون أبدياً لولا هؤلاء الخدم الذين أصبحوا هم مجتمع الفردوس وسادته وأولياءه والذين جعلوا الاسم الصادق للفردوس إنه فردوس أو وطن الخدم لا فردوس أو وطن المؤمنين. !

ولعلهم أي هؤلاء الخدم لن يحتاجوا إلى أن يتخذوا أية إجراءات ضد الأفراد القليلين الذين سوف يدخلون الفردوس من أنبياء وقديسين ومؤمنين بهؤلاء الأنبياء أو مؤمنين بنبي واحد هو خاتم الأنبياء. !

.. لعلهم لن يحتاجوا أي هؤلاء الخدم إلى مثل هذه الإجراءات الانتقامية أو التأديبية أو الجزائية أو الاحتياطية ضد هؤلاء القلة من الأنبياء وأتباعهم الذين سيستحقون دخول الفردوس لأنهم لن يشعروا بوجودهم أو بخطرهم لقلتهم وضعفهم وخمولهم وكسلهم وذهولهم الدائم ولضياعهم وغيبوبتهم الشاملة الدائمة في أحضان ومغازلة الحوريات والغلمان وفي النظر في وجه الإله وفي زيارته ومجالسته وفي التذكر والتحدث عن العلاقات التاريخية والتجارب التي كانت بينهم وبينه بل وعن الأزمات الحرجة التي تعقدت بينه وبينهم كثيراً وطويلاً فاستطاعوا واستطاع علاجها لاستعداد الفريقين الذي لا حدود ينتهي عندها للتنازل عن كل كرامة وشرف وصدق ونظافة وذكاء وتقوى وكبرياء وشجاعة. !. إن الإله لمستعد أن يخلع كل ملابسه أمام الإنسان ليغويه في تعامله معه وفي رؤيته له وأن الإنسان ليفعل الشيء نفسه للسبب نفسه مع الإله. !

.. نعم، هل وجدت أو يمكن أن توجد علاقات محكومة ومسيرة بالنذالة والهوان والخداع والنفاق والضعف والسخف والبله مثل العلاقات بين الإله وبين عباده الأنبياء والأولياء والأصفياء وسائر المؤمنين؟

.. إن أردأ كائنين ليرهبان ويفجعان أن تكون العلاقات بينهما في مستوى وتفاسير وأخلاق العلاقات بين الإله وبين عبيده الأقربين جداً إليه. !

.. وإنه لتصور يجب أن يقبل تصوره أو حتم تصوره.. هو أن رعايا وسادة دولة الخدم هذه أي الفردوس لا بدَّ أن يسعدوا أو قد يسعدون بوجود هذه الأعداء النادرة

الشاذة الغريبة من الأنبياء والمؤمنين الذين قد يكونون من العرب ورعاياهم الدينيين فقط وحدهم ـ أجل، إنهم أي رعايا وسادة دولة الخدم هذه لا بدَّ أن يسعدوا أو قد يسعدون بأن تكون في دولتهم هذه الأعداء الشاذة النادرة الغريبة من البشر المحسوبين أنبياء وأولياء وأتقياء لكي يتحولوا إلى ملهاة ومسلاة ومسرات وضحكات لهم. . ليتحولوا إلى رعايا لهم أي لسادة ورعايا دولة الخدم التي زعمت فردوساً. !

آه. كل أحزاني ورثائي ودموعي لكم وعليكم أيها الأنبياء، أيها المؤمنون الأتقياء. إني أتصوركم حتى لأكاد أراكم تائهين ضائعين مقهورين مهزومين غرباء في دولة الخدم أي في ما زعمتموه وزعم لكم فردوسكم، تسألون بغضب وانفجاع وغيظ محرق، تسألون وإن لم تنطقوا: أين نحن، لماذا نحن هنا، من جاء بنا، لماذا جاء بنا؟ ما هذا الذي نرى؟ ما هذا؟

. . تحاولون أن تظهروا أو تتحركوا أو تسيروا أو تنظروا أو تتحدثوا أو تتعاملوا أو تتكبروا أو تجدوا أنفسكم أو تبحثوا عنها أو تعرفوا لها معنى فتسحقكم النظرات والسخريات والضحكات الهازئة الراثية المستغربة المحاصرة لكم من كل الجهات وبكل اللغات. !. .

يا لها من ورطة لا يستحقها من وقع فيها أو عوقب بها حتى ولو كانت ذنوبه هي كل الذنوب!

. . آه أيها الأنبياء، أيها المؤمنون من وضعكم هنا؟ أي وغد أو وحش وضعكم هنا أو أراد لكم أن تكونوا هنا أو قبل أن تكونوا هنا؟

أية خدعة أو بلادة أو وحشية تساوي الخدعة أو البلادة أو الوحشية التي قبلت أو أرادت أو دبرت أن تكونوا هنا أيها الأنبياء، أيها الأتقياء، أيها المخدوعون بالإله الأمي في كل معانيه وتفاسيره بل الأمي في أعضائه، في كل أعضائه، في يديه ورجليه وأذنيه وعينيه وفي كل عضلاته وضرباته.

آه. ما أقسى وأقبح أمية الأعضاء والعضلات والضربات. !

ولأنه أمي بكل أعضائه فإن يديه وعضلاته قد عجزت عن أن تشيد وتصنع هذا البيت المسمى فردوساً بقدر ما عجز عن ذلك فكره وأخلاقه وخياله. !. إن كل عبقريات وخبرات المهندسين والفنيين الفنانين لو أرادت أن تخطط وتخرج أقبح وأسخف شيء لما استطاعت أو عرفت أو تصنع مثل هذا الفردوس. !

. . إنه لا يوجد ولن يوجد أمي أمية أبدية بكل أعضائه وعضلاته وضرباته

ومصافحاته غير الإله. ولهذا فإنه أي الإله يضرب حيث يظن أنه يصافح وحيث يريد أن يصافح، ويصافح حيث يظن أنه يضرب وحيث يريد أن يضرب. !

.. إن الإله هو الكائن الواحد الذي لا يفهم الفرق بين المصافحات والضربات بل الذي لا يرى أنه يوجد فرق بين المصافحات والضربات. !

.. إنه ليشاتم ويقاتل حيث يظن أنه يعانق ويحيي ويسالم ويصادق. !

.. ولهذا فإنه قد يضرب من يريد أن يصافحهم ويظن أنه يصافحهم أكثر مما يضرب من يريد أن يضربهم ويظن أنه يضربهم كما أنه قد يصافح من يريد أن يضربهم ويظن أنه يضربهم أكثر مما يصافح من يريد أن يصافحهم ويظن أنه يصافحهم. !

.. بل إنه أي الإله ليفعل ما يصنع له الهزيمة والغيظ والهوان والعذاب والعقاب حيث يريد ويظن أنه يفعل ما يصنع له المجد والثواب والفرح والانتصارات؟ إنه لا يوجد معاد مؤذ لنفسه ناف لمجده وهو يحسب أنه يصنع لنفسه كل الحب والرضا والسعادة ولمجده كل المجد مثل الإله. !

.. أليس قد خلق الكون والإنسان والشيطان وخلده ووهبه كل القوة والذكاء والدهاء والمكر معتقداً أنه بذلك يصنع لنفسه كل المجد والفرح والقوة والانتصارات والرضا والسعادة؟

أليس قد أضل الإنسان وحكم فيه الشيطان لأنه يريد هدايته وحمايته؟

.. اعذرني وافهمني يا إلهي حين أتحدث عنك كثيراً أو دائماً بضمير الغائب.

وهل يوجد غائب مثلك؟ واعذرني يا إلهي مرة أخرى لو فطنت إلى أني قد تناقضت حين زعمت أن الفردوس سيصبح دولة ووطن الخدم مع أني قد زعمت أنه دولة ووطن العرب. ؟

.. آه يا إلهي لقد تعبت كثيراً في محاولتي أن أريك وأقرأ عليك كيف ركب فردوسك.. كيف ركب اجتماعياً وعرقياً وجنسياً ونفسياً وفكرياً وأخلاقياً وفنياً وطبقياً وعددياً.

.. لقد تعبت في محاولتي هذه حتى أصبحت في كل الحسابات والتفاسير أستحق كل إشفاقك بل كل اعتذارك وتعويضك. !. إنه لا عذاب كعذاب من يحاول أن يجعل الإله يرى أو يفهم أو يتأدب أو يستحي أو يجامل. !.

.. إنك يا إلهي إن كنت شيئاً مما أطالبك به وأرجوه لك لا بدَّ أن تكون قد

اقتنعت مقاسياً كل العذاب ومستحقاً كل التعذيب للنفس بأن مجتمع فردوسك في كل نماذجه وتفاسير مجتمع لن يوجد ولم يوجد ما يشبهه أو حتى يذكر به أو ما يصبح اعتذاراً عنه في تخلفه وقبحه وظلمه وبداوته وجهالته وفوضاه وتناقضه بل وفي هوانه وعذابه وفي تشويهه وتشوهاته. !.. إنه لا شبيه أو مثيل في قبح معانيه ولا سيما في اختزانه لكل أسباب الأحقاد والعداوات والبغضاء والشرور ولكل ألوان الويلات والتمزق والضياع. !

وقد فسّرت لك ذلك وعرضته عليك بالتكرار الذي أرجو أن يكون معذوراً ومغفوراً ومن مآسي علاقاتي بك يا إلهي وتخاطبي معك أني أظل أعتقد أنك تظل محتاجاً أبداً إلى أن أكرر وأكرر عليك ما كررت وكررت.. يا نبي اللّه يا محمد.. ما أقسى عذابك ومصابك وهوانك وهزيمتك أنت وذريتك وزوجاتك وأهلك وأعز أنصارك. !

.. ما أقسى عذابكم ومصابكم وهوانكم وهزيمتكم ويأسكم وأساكم حين وجدتم أنه قد حكم عليكم تأبيداً بالخلود في هذا القبح المسمى فردوساً.. المركب من الخدم الذين هم كل سكانه إلاّ النادر جداً والذين أصبحوا أيضاً هم حكامه وسادته وأصبح هو مجتمعهم.. والمركب بحساب أقل جداً من الولدان المؤنثين ومن الجواري أي الحوريات المخدوعات بزفافهم إلى غير أزواج أو رجال.. والمركب أيضاً من النساء البشريات المترملات والمطلقات بلا أمل في أي إنقاذ. !

.. مصيركم هذا يا محمد يا نبي اللّه مصير يرثي ويتعذب له مصير سكان الجحيم.. عذابكم ومصابكم في هذا الفردوس يا نبي اللّه يا محمد ينسيان أهل الجحيم عذابهم ومصابهم إذا حاسبوا مأساتهم بمأساتكم. !

إن سكان الجحيم لا يقاسون القبح أو الهوان أو البلادة أو النذالة أو الوقاحة التي يقاسيها ويعيشها سكان الفردوس مهما قاسوا أي سكان الجحيم من العذاب والظلم ما أعظم من يتعذب بغضب ونبل ورفض ومقاومة محاسباً بمن يهان ويحقر باستسلام ورضا وبلادة. !

آه. منظر رائع، رائع.. !

.. إنها خيول تحلق في سماء الفردوس على أجنحة الملائكة فوقها فرسان مثقلة ومغطاة أجسامهم بكل أنواع الحلى والحلل والزينات من اللؤلؤ والجواهر والذهب والفضة والحرير والعطور الجنسية.. يتفجرون أي هؤلاء الفرسان فرحاً وسعادة وضحكاً ومرحاً مملوءاً بالنزق والتدلل والغفلة.. !

.. من هم هؤلاء الفرسان؟ من هم؟

.. ومن هؤلاء المستلقون أحياناً والمنبطحون أحياناً أخرى فوق هذه السرر والمفتضحون دائماً محاطين ومحاصرين بكل هذه الأفواج من الجواري أي الحوريات، يناجينهم ويدللنهم ويهتفن لهم وبهم بكل لغات وتعبيرات وحركات الجنس والغنج وهم لا يستطيعون أن يسمعوا أو يفهموا أو يروا أو يتحركوا أو يريدوا من ضخامة البلادة والكسل والاسترخاء والغيبوبة بل والسكر؟

.. من هؤلاء المستلقون المنطرحون المنبطحون المفتضحون؟

.. ومن هؤلاء المتثائبون على الأرائك، والكؤوس تتصادم وتتزاحم وتتحطم على أفواههم المغلقة المفتوحة تتبارى بتقديمها وبتفريغها وملئها ورفعها أيدي الولدان أي الغلمان المشحونين بكل إغراءات ومعاني الجنس.. الجنس العادي والجنس الشاذ.. الجنس الأنثوي والجنس الغلامي؟

.. ومن هؤلاء المطلقون لهذه الضحكات البلهاء التي يخجل منها وقار الممثلين الهزليين المضحكين؟

.. من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء؟ من يمكن أن يكونوا ويقبلون أن يكونوا؟

.. إنهم الأنبياء.. الأنبياء.. يتقاضون ويستهلكون ثوابهم بهذه الأساليب وبكل الأساليب.!. إنه الفردوس تلغى فيه كل أساليب الوقار والاستحياء وكل مشاعرهما أن النبي أي نبي في الفردوس لن يحتاج إلى شيء من الوقار أو الاستحياء الذي كان يحتاج إليه أقل الناس حياء ووقاراً في الحياة الأولى.!

.. ولكن أين آباؤهم وأهلوهم؟

.. إن الكثيرين من آبائهم أي الأنبياء وأبنائهم وأعمامهم وزوجاتهم وأقربيهم هناك في الجحيم يعذبون كل ألوان العذاب الذي لا يستطيع أن يصنعه أو يريده أو يجرؤ على التعذيب به إلاّ الإله.. إلاّ إله هؤلاء الأنبياء.. إلاّ إله خاتم الأنبياء النبي العربي الناسخ الملغي لكل الأنبياء الذين كانوا قبله حسداً لأنهم كانوا قبله، والقاتل اللاعن لكل الأنبياء الذين يجرؤون على المجيء بعده لأنهم جرؤوا على أن يوجدوا ويتحدثوا ويعلموا ويمجدوا بعد أن وجد وتحدث وعلم ومجد هو لأنه يريد أن يكون كل ذلك له وحده. أليس كل عربي يريد أن يكون كل شيء له وحده؟ حتى النبي العربي يريد أن تكون كل النبوة وكل الإله له وحده.!

.. آه يا نبي العروبة. إنك الوارث المورث الأصيل لكل أخلاق ومواهب الزعامات والقيادات العربية بل لكل خصائص النفس العربية.!

.. إنك التفسير والتعبير الدائم الصارخ القوي عن قبح وافتضاح وبلادة الغرور والأنانية التي لا بدَّ أن تكون غريزة أو طبيعة أصيلة في كل زعامة وقيادة ونبوة عربية بل في كل نفس عربية.. أليست أية نفس عربية هي كل نفس عربية؟

أليست نفس أي نبي عربي تساوي نفس أي عربي؟

.. لنقرأ كل زعامات وقيادات العروبة اليوم في كل أزيائها ولغاتها لنجدها تقول: أنا وحدي الزعامة والقيادة. لا زعامة ولا قيادة قبلي ولا بعدي ولا معي. أنا وحدي. أنا البداية والنهاية. أنا كل شيء!.

كلهم يقولون هذا ويعتقدونه مهما تفاوتوا جهراً وهمساً، صراحة وإيحاء.!

.. هكذا كان يقول نبي العروبة: لا نبي غيري، أنا وحدي النبي.. فكل نبي قبلي يجب أن يلغي ويموت، وكل نبي بعدي أو في عصري يجب أن يطرد ويحاكم ويقتل بعد أن يحكم عليه بالزندقة.!

يا نبي العروبة أشهد لك ويجب أن يشهد لك كل أحد أنك أعظم وأشهر وآصل وارث ومورث وقارئ ومفسر وفاضح لخصائص العروبة في كل أجيالها وتاريخها وأطوارها، في كل حاضرها ومستقبلها.!

يا كل جلد العروبة وثيابها وصحرائها الإنسانية يا نبي اللّٰه يا محمد.!

.. ماذا لو أن أي كائن فيه موهبة الرؤية والقراءة والمحاسبة والمحاكمة والتفسير للأشياء قرأك يا محمد، يا نبي العروبة في كتابك المقدس أو في تاريخك أو في الروايات عنك، ثم قرأ أو سمع أية زعامة أو قيادة عربية تتحدث أو تتحرك أو تتصرف أو تعلن عن نفسها اليوم بأي أسلوب أو لغة أو سلوك، في أية حرب أو سلام، في أية مصادقة أو معاداة فهل يمكن أن يشك في أنك أنت الأب والجد والبداية للعروبة أو في أنك أنت الابن والحفيد والنهاية أي للعروبة أيضاً؟

ما أصدق وأشمل أبوتك وبنوتك للعروبة زوجاً ومالك مملوكات يا نبي اللّٰه يا محمد.!

إن من أعظم أو من أردأ مزاياك يا محمد، يا نبي العروبة إن قراءتك ومعرفتك وتفسيرك والحكم عليك هي قراءة ومعرفة وتفسير لكل العروبة في كل أجيالها وتاريخها

وأطوارها وحكم عليها، في كل حاضرها ومستقبلها. !. أن تجمع كل خصائص الإنسان العربي فيك يساوي أن تجمع كل معاني التاريخ وتفاسيره وحركاته وأخلاقه في سطر كتاب. !

لو أن أي إنسان أو كائن أراد أن يعرف ماذا يمكن أن يكون العرب بعد ألف عام أو بعد مئة ألف عام فهل يكون مخطئاً لو أنه ذهب يقرؤك ويعرفك ويفسرك يا محمد، يا نبي العروبة لكي يعرف ماذا الذي سوف يكونونه بعد هذه المدة أي العرب؟ إن كل طاقات العرب وخطواتهم وأشواقهم معتقلة في قبرك مع جثتك لهذا لم يستطيعوا أن يتخطوك أو يخرجوا من قبرك منذ دفنوك. !

.. ولو أن أي كائن أو إنسان أراد أن يعرفك كل المعرفة وأصدقها يا نبي اللّه، يا محمد فهل يكون مخطئاً لو أنه ذهب يحاول أن يعرف أية زعامة أو قيادة عربية معاصرة لكي يعرفك هذه المعرفة؟ إنهم العابثون من يعاصرون أية زعامة أو قيادة عربية ثم يذهبون يقرأون الكتب لكي يعرفوك. !

.. ولو أن أي إنسان أو كائن سمع أي زعيم أو قائد عربي اليوم يتحدث ويخطب ويتحرك ويزعم ويدعي ويصاهل ويفاخر ويهدد فهل يكون مخطئاً لو أنه اعتقد أن من يسمعه ويسمع منه هو أنت أنت يا محمد، يا نبي العروبة ولكن بعد تصحيحات وتعديلات ظاهرية صنعها وفرضها الآخرون؟..

.. إنه لو هبط كائن من الكون المجهول وأعلن أنه قد أرسل إلينا لكي يدرس الإنسان العربي في كل عصوره لكانت أنفع نصيحة أن يُقال له: اعرف أو ادرس النبي العربي لتعرف ما جئت لمعرفته. !

اسمعوا.. الأنبياء والأصفياء والأتقياء الرحماء الأبرار الذين تطفئ دموعهم الرحيمة المحبة الشموس وتغرق بطوفانها الأنهار والبحار أي من غزارة رحمتها ومحبتها. !

.. اسمعوا، اسمعوا.. هؤلاء يعيشون في الفردوس في أحضان وعلى مضاجع الحوريات وعلى قرعات الكؤوس في أيدي الغلمان، يستمتعون بالنعيم الذي وهب الإله وأعوانه كل عبقريتهم وطاقتهم لكي يتصوروه ويعرفوه ويريدوه ويخططوه ويصنعوه، لكي يستطيع أي الإله وأعوانه أن يفعلوا ذلك بينما آباؤهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأقرباؤهم يحترقون، يحترقون في الجحيم الذي ترفض ضمائر وأخلاق الأبالسة بل وتقواهم أن تعذب به أو أن تتصوره بل أو أن تتصور أن أحداً قد يتصوره. !

. . اسمعوا، اسمعوا هذا الذي لن تستطيع أية كلمات أو لغات أو تعبّر عن بشاعته . .

. . هل تستطيعون أن تسمعوه أو تصدقوه؟

ولكن كيف أمكن أن يوجد من يفعل ذلك أو من يقبل أن يفعل به أو له ذلك؟ أين عقل وأخلاق وضمير من يفعله؟ وأين شهامة وكرامة وعواطف وحياء من يفعل له وبه أي ذلك؟

. . لقد أراد ودبر وخطط وفعل الإله ذلك بكل حكمته ورحمته ومحبته بل وبكل قدرته ورؤيته وذكائه . !

وقد تقبل الأنبياء والأولياء والأصفياء والأتقياء الرحماء الأبرار ذلك بكل الفرح والرضا ومشاعر السعادة وتعبيراتها بل لقد تقبلوه هاتفين مغنين راقصين منطرحين ومستقلين في أحضان الحوريات والغلمان، سكارى من الشراب ومن الغفلة والاسترخاء والخمول والبلادة . ! .

بل لقد تقبلوا ذلك بكل الشبق الجنسي إلى مضاجع الحوريات . !

هل يمكن أن يريد ويدبر ويرضى ويفعل ذلك غير الإله؟

هل يمكن أن يتقبل أو يرضى أو يغفر ذلك مفعولاً به أو له غير الأنبياء والأصفياء والأولياء والأتقياء الرحماء الأبرار؟

. . لنتصور حاكماً أو كائناً ما مطلق القدرة والمشيئة والفعل، ولنتصوره بلا شبيه في كل معانيه الرديئة الحمقاء اللئيمة المتوحشة . !

. . هذا الحاكم الكائن الذي هذه صيغته المتصورة هل يمكن أن يفعل مثل هذا أي أن يريد تكريم وإسعاد ومجازاة إنسان فيضعه في قصر فيه كل ما في الفردوس ويضع أباه أو أمه أو ابنه أو كل أهله وأحبابه وأصدقائه في جحيم فيه كل ما في الجحيم من عذاب وأهوال وزبانية بعد أن يكون أي هذا الحاكم أو الكائن قد دبر وأراد وخطط لهم هذا الجحيم وعذابه واستحقاقهم له أي استحقاق أهل هذا الفردوس، وبعد أن يكون قد أراد وأحب وقرر وخطط ونفذ أن يفعلوا كل ما يوصلهم إلى هذا الجحيم وأن يسيروا في كل الطرق المنتهية إلى هذا الجحيم؟

ولو وجد مثل هذا الحاكم أو الكائن فهل يمكن أن يوجد من يقبل أن يجزي بهذا الفردوس ويعيش فيه مهما كان قبحه ونذالته ووحشيته وبلادته ليوضع أبوه أو أمه أو ابنه أو كل أهله وأحبابه وأصدقائه في هذا الجحيم ليقاسوا كل أهواله وعذابه وزبانيته؟

وهل يمكن أن يرضى أي هذا المجزى بالفردوس عمن يفعل ذلك أو أن يغفر له أو ألا يراه متوحشاً مجرماً سفيهاً قبيحاً يجب أن يتهم ويحتقر ويكفر ويقاوم لا أن يحمد أو يشكر أو يعبد؟

.. اسمعوا، اسمعوا.. الإله يريد ويدبر أن يضع النبي في الفردوس ويريد ويدبر أن يضع أبا النبي وأمه وابنه وأهله في الجحيم، والنبي يقبل ذلك ويفرح ويسعد ويرضى جداً به ويصلي للإله لأنه أراد ودبر وأحب وخطط وفعل ذلك هل حدث هذا؟ هل يمكن أن يحدث؟

إذن أيهما أقبح وأوقح وأنذل وأسفه: الإله أم النبي؟

هل يوجد إذن من ينافي الإله والنبي في قبحهما أو وقاحتهما أو نذالتهما؟

.. آه يا إلهي كيف اهتديت إلى أن تفعل ذلك، إلى أن تفضح نفسك كل هذا الفضح، إلى أن تهبط بكل تفاسيرك إلى كل هذا، هذا الحضيض؟

ألست أنت يا إلهي كل البدء وكل التدبير والتخطيط والإرادة والرؤية والقدرة المطلقة؟

إذن من البدء لماذا لم ترد لنفسك أن تكون عاقلاً مهذباً محترماً ملتزماً بأي قدر من المنطق أو النظام أو الكرامة أو الفهم أو التخلي عن الجنون؟

أي لماذا لم تشأ وأنت كل البدء والقدرة والرؤية والإرادة والتخطيط والفعل أن تجعل آباء وأبناء وأمهات وأهل من سوف تدخلهم الفردوس مستحقين كذلك لأن تدخلهم أيضاً الفردوس؟

.. نعم، لماذا يا إلهي وأنت كل البدء لم تشأ أن تجعل أهل النبي مستحقين للفردوس مع النبي؟

لماذا شئت وأنت كل البدء والإرادة والتدبير والتخطيط والفعل أن تجعل النبي مستحقاً للفردوس وتجعل أباه وأمه وابنه وأهله مستحقين للجحيم؟ هل يمكن أن يكون هذا معقولاً أو مقبولاً أو مفهوماً أو مغفوراً؟

هل يمكن أن يفعل ذلك أي مجنون سواك يا إلهي؟

هل يمكن أن يوجد من يريد ويدبر ويخطط ويصنع أقسى العذاب وأوقحه ليوقعه بوالد أو بأم أو بابن أقرب الخلق إلى حبه واحترامه وشوقه وصداقته؟

.. إن كل الأنبياء والأتقياء والمؤمنين لا بدَّ أن يرفضوا الدخول في فردوسك

يا إلهي بل وأن يحتقروه ويحتقروك لو كان فيهم شيء من الشهامة أو الكرامة أو الحب أو الإيمان أو التقوى أو الحياء، أي إن كان واحد من آبائهم أو أمهاتهم أو أهليهم أو أصدقائهم في المكان الآخر، بل إن كان في المكان الآخر أي إنسان أو كائن آخر. !

إن الإنسان شوق ومحبة ورؤية وأفكار وعواطف واحتجاج واستنكار وليس أمعاء وأعضاء فقط. . آه. كيف يستطيع أي نبي أن يستمتع في الفردوس. . أن يضاجع الحوريات ويغازل الغلمان وتستقبل شفتاه الكؤوس من أيديهم أي من أيدي الغلمان وهو يرى كائناً أي كائن حتى ولو كان إبليس يعذب في الجحيم أو وهو يعرف ذلك؟

هل يمكن تصور وقاحة أو نذالة أو وحشية أو بلادة تساوي ذلك؟

من جعل الإله وأنبياءه وأعوانه والمؤمنين به والمتعاملين معه أبطال وأنبياء وأساتذة الوقاحة والقبح والنذالة والقسوة والسفاهة والبلادة؟

من أراد لهم ذلك وجعلهم كذلك؟

إني لأبرئ الشيطان نفس الشيطان من الاتهام بأنه قد يستطيع الاستمتاع في الفردوس أو يقبل ذلك وهو يرى الإله أو الإنسان أو أي كائن آخر يعذب في الجحيم أو وهو يعلم ذلك. إني لأبرئ الشيطان من أن يكون مغلقاً دون آلام الآخرين كإغلاق الإله وأنبيائه وملائكته وسكان فردوسه. !

. . إن الإله وأنبياءه وملائكته والمؤمنين به ليحتوون ويعيشون من معاني الشيطان وتفاسيره أكثر مما يحتوي ويعيش الشيطان من ذلك. !

ألست هنا قد أخطأت وظلمت إذ افترضت أن معاني الشيطان وتفاسيره رديئة أو شريرة؟ أليست كل الأخطاء أو أغلبها تأتي من لغة السوق والتاريخ المكررة. ؟

. . آه ليت الإله وأنبياءه وملائكته وأصفياءه وأحبابه والمؤمنين به يتعلمون ويلتزمون شيئاً من أخلاق الشيطان ومن ذكائه وكبريائه وكرامته ورحمته وشهامته وتقواه. ! إن الشيطان هو النموذج الفريد الذي لا يستطيع أحد من سكان هذا الكون مباراته!

. . هل كان كفر الشيطان وعصيانه إلاّ كرامة وشهامة وإباء وإلاّ رفضاً واستنكاراً لمنطق الإله ولأخلاقه واحتجاجاً عليها وعليه؟ ليت كل أعوان وحراس وضحايا الطغاة الأغبياء يتعلمون من الشيطان الشجاعة والكرامة والصدق والذكاء والغضب. ! . . لقد كان الشيطان شجاعاً وصادقاً في التزامه بمنطقه وأخلاقه، لهذا عجز عن أن يغفر للإله منطقه وأخلاقه. !

. . إنه لأصدق وأقسى وأدوم سؤال: كيف وجد من غفر أو يغفر للإله. ؟

. . لقد كان أي الشيطان أشجع وأصدق في التزامه المنطقي والأخلاقي من الملائكة والأنبياء ومن كل المتعاملين مع الإله والمؤمنين به. !. لقد كان الشيطان غلطة ذكية شجاعة في هذا الكون. !

إن الشيطان لم يتحول إلى شيطان إلاّ اشمئزازاً من أخطاء الإله وخطاياه!

. . لقد أراد الملائكة أن يغضبوا على الإله كما غضب الشيطان عليه حين قالوا له بأعنف أساليب النقد والتعنيف والتجهيل: إنك بخلقك للإنسان تخلق الفساد والعدوان والظلم والحروب وكل الشرور والآلام دون أن تدري أو تتقي. ولكنهم ولأسباب لا تزال مجهولة لم يريدوا أو يستطيعوا أو يسيروا في غضبهم ورفضهم كما سار الشيطان. !

ما أغبى وأقبح خطاك يا إلهي حين عجزت وتبلدت عن فهم نصيحة الملائكة لك حين حذورك من عواقب خلقك للإنسان. !

ما أشقاك وأشقى كل شيء بهذا الإنسان وأشقى هذا الإنسان بنفسه وبك وبكل شيء. !

. . أجل، لقد كان الشيطان غلطة أو فلتة ذكية شجاعة هائلة في هذا الكون وأهله وآلهته عجز جميع سكان السماء وسكان الأرض عن تكرارها أو تقليدها بل وعن فهمها وتفسيرها وتقديرها. !

إنه لم يوجد في الكون ثائر شجاع صادق فدائي مثل إبليس أي الشيطان.

. . لهذا استطاع أي الشيطان أن يهزم كل مناقضيه وأعدائه من سكان السماء وأهل الأرض. . أن يهزم الإله والأنبياء والملائكة وجميع المعلمين ضده والمحاربين اللاعنين له. . أن يهزم ويذل كل المنابر والمحاريب والمعابد والتعاليم والتهاويل والكتب المنزلة كل شيء وكل أحد. . . أن يحول كل الهجمات عليه واللعنات له إلى عبث وسخف وهزل ومعاناة بلا أي ثمن أو جزاء أو تعويض. !

لأنه كان أشجع وأصدق وأنبل وأذكى. إنه أعظم كائن أفرزه هذا الكون. !. أليس قد أذل وقهر وشغل وأتعب كل آلهة هذا الكون وسحب منها مجدها؟

. . «إن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء».

هكذا قلت يا إلهي. إذن لماذا لم تشأ أن تهدي آباء وأبناء وأقارب الأنبياء وكل المؤمنين ليكونوا معهم في الفردوس مجاورين لك؟

بل لقد ذهبت تعاني وتعاني وتدبر وتخطط لكي تضلهم لكي يكونوا من سكان الجحيم . . لقد ذهبت تتآمر وتكيد وتدس وتحرض وتمكر لكي يضلوا، لكي تزعم أنهم يستحقون الجحيم، لكي تدخلهم الجحيم . !

إذن هل يوجد عدو لمن يريد أن يكون لهم صديقاً مثلك يا إلهي؟

آه. يا إلهي هل هي بلادة أم وقاحة أم نذالة أم كل ذلك أم أقبح من كل ذلك؟

ليتك يا إلهي تتعلم الذكاء والشهامة والكرامة والمنطق من عدوك الأكبر . !

. . هل يكون التفسير أنك قد أردت أن تفعل ذلك أي أن تهدي أهل الأنبياء والمؤمنين ليكونوا معهم في الفردوس ولكنك عجزت وهزمت حين نافسك عليهم عدوك الأكبر إبليس؟

هل يمكن أن يكون ذلك هو التفسير؟ وقصة إبليس هذا هي أعجب وأفجع وأروع قصة في الكون وليس في العالم فقط. إن قصة إبليس هذه كان يفترض بل ويجب أن يشغل بها كل العالم بل كل الكون دراسة وتدريساً وقراءة وتفسيراً ومعالجة وحيرة وانفجاعاً وقبولاً ورفضاً. إنه لم يوجد ولن يوجد ما يساويها في أي شيء من دلالاتها سواء أكانت واقعاً أم خيالاً. ما أقبحها وأغباها خيالاً وما أفظعها وأفدحها واقعاً . !

إن الخيال ليس إلاّ واقعاً في نفس أو عقل أو ضمير أو احتياجات أو تمنيات المتخيل . !

. . إنه ليس في تاريخ الإله كله حدث أو قضية أو إهانة أو هزيمة أو فضيحة تساوي هذه القصة في كل تفاسيرها ودلالاتها وعواقبها بل أو في أي شيء من تفاسيرها ودلالاتها وعواقبها . !

. . إن تاريخ أي كائن لم يهن ويفضح ويحقر بشيء مما أهانت وفضحت وحقرت به قصة إبليس هذه تاريخ الإله . !

. . كائن واحد يحشد الإله لمحاربته كل قواه الكونية والعسكرية والسياسية والعلمية والدينية والنفسية والفنية والاستخبارية وكل جنوده وأعوانه وعبيده من أنبياء وملائكة ومؤمنين وأتباع وأشباح حشداً مستمراً شاملاً أزلاً وأبداً، ويظل أي الإله معلناً هذه الحرب أبداً، أبداً بلا أية هدنة على هذا الكائن الواحد، فينتصر هذا الكائن الواحد بذكائه وصدقه وشجاعته ومثابرته وإخلاصه على كل ذلك انتصاراً ساحقاً شاملاً دائماً مذلاً إذلالاً لم يلقَ ولن يلقى أحد مثله . !

إن كل إذلال لن يصبح إذلالاً لو حسب بإذلال إبليس للإله ولأجهزته. !

.. إذن ما أروع ما لا بد أن يحدث لو وقع هذا التبادل الذي لم يقع وأسفاه. أي لو أن إبليس هذا بكل انتصاراته أصبح هو الإله، وأصبح الإله بكل هزائمه وفضائحه هو إبليس..

.. أو لو أنهما أي الإله وإبليس تبادلا المواهب فأصبح الإله يملك مواهب إبليس القادرة المنتصرة وأصبح إبليس محكوماً بمواهب الإله العاجزة المنهزمة..

.. أو لو أن الإله بكل إمكاناته الكونية تعلّم من إبليس مواهبه التي وهبته هذه الانتصارات بدون أن تكون له أية إمكانات غير مواهبه الذاتية التي قهرت كل إمكانات الإله الكونية.؟

كيف لم توجد في هذا الكون مؤسسات برلمانية أو غيرها تعزل هذا الإله المهزوم العاجز أبداً عن قيادة وحكم هذا الكون لتنصب عليه أي على الكون هذا القادر المنتصر أبداً أي إبليس؟

كيف لم توجد هذه المؤسسات التي وجدت في كثير من المجتمعات البشرية؟

كيف عجز سكان السماء عن أن يعرفوا أو يفعلوا ما استطاع أن يعرفه ويفعله كثير من سكان الأرض؟

لماذا السماء محتاجة إلى أن تتعلم أبداً من الأرض دون أن تتعلم؟

.. ثم أنت يا إلهي حينما رأيت وعرفت وجربت وقاسيت مزايا إبليس وتفوقه عليك كيف لم تتنازل له عن قيادة وحكم هذا الكون؟ كيف لم تفعل ذلك التزاماً بالأخلاق والنبل والصدق والتقوى وبالبحث عن الأفضل والأنفع أو إنقاذاً للنفس من العار والافتضاح والهزائم؟ هل وجدت يا إلهي أي ربح أو سعادة أو فرح أو مجد لك في كونك أنت مريد ومدبر ومخطط وفاعل وحاكم هذا الكون؟

.. وأيضاً يا إلهي لماذا نقلت ضعفك وهزائمك إلى أنبيائك وأحبابك وملائكتك، وجمعت ورسخت القوة والذكاء والتفوق والانتصارات في أعدائك، في الأبالسة؟ لماذا أردت ودبرت وفعلت ذلك؟

لقد عاقبت وعذبت عقلي وضميري طويلاً، طويلاً لكي يفهما ما فعلت فعجز، عجزاً..!

لماذا يا إلهي لم تفعل العكس؟ لماذا؟

.. آه. ما أقسى عذاب وانتظار وحسرة وهزيمة وضياع من يوجهون إليك يا إلهي الأسئلة منتظرين أي جواب، أي جواب.!.

من هو الكائن الأول الذي كان أول من ابتدع توجيه الأسئلة إلى الإله وانتظار الأجوبة منه؟

أليس هذا المبتدع الأول يستحق كل غضب وعقاب واحتقار كل البشر؟ كم هزئ البشر بأنفسهم وخسروا في توجههم بالأسئلة إلى الإله وفي انتظارهم للرد عليها أو حتى للاستماع إليها؟

.. البشر ينتظرون من الإله أن يسمع أسئلتهم وأن يرد عليها.!

إنهم ما زالوا بعد كل هذا التاريخ ينتظرون ذلك..!

.. هل فقد البشر كل عقولهم وكرامتهم مثلما فقدوها في هذا الانتظار وفي هذا التوجه بأسئلتهم إلى هذا الأصم الأخرس الذي لم يسمع ولم ينطق قط والذي لن يسمع أو ينطق أبداً؟

.. هل تساوى البشر في الغباء مثلما تساووا في هذه القضية وفي كل القضايا الأخرى المتصلة بالإله؟

هل يوجد مفسد بل وسالب للعقول.. لأذكى العقول دون أن يملك أية قدرة أو حتى خدعة غير الإله!

نعم، إنه لم يحدث ولن يحدث أن يفقد كل البشر كل عقولهم وكل ذكائهم وكبريائهم وأن يتساووا جميعاً في فقدهم لكل عقولهم وذكائهم وكبريائهم إلاّ في رؤيتهم للإله وفي انتظارهم له ومنه.!..

.. بل إن الأذكياء والعقلاء يتفوقون على الآخرين في فقدهم لكل عقولهم وذكائهم وكبريائهم أمام هذه القضية.!. قد يصبح الإنسان غبياً أو يناصر الغباء ويصنعه بقدر ما يكون ذكياً أو لأنه ذكي. إن الأذكياء أقدر على صنع الغباء من الأغبياء.!

.. أليس الأذكياء والعقلاء والمفكرون أو من يحسبون ويزعمون كذلك هم الذين علموا ويعلمون الآخرين ويدرسونهم ويلقنونهم ويدربونهم بل ويروضونهم ويهبونهم الجرأة على أن يفقدوا كل عقولهم وذكائهم وكبريائهم أي في هذه القضية؟ أليست الأفكار والعقائد الغبية هي إحدى منح الأذكياء للأغبياء؟

هل يوجد أقدر أو أجرأ من الأذكياء على ابتكار البلادات ونشرها وترسيخها؟

.. أليس هؤلاء هم الذين يعلمون الآخرين فقء عيونهم وإسكات بل تمويت

ضمائرهم وغضبهم واحتجاجهم واشمئزازهم واستنكارهم وتساؤلهم بل وتعجبهم واندهاشهم ليصبحوا فقط هامات وقامات تنحني وتصلي؟

.. بل أليسوا قد فعلوا بهم كل ذلك أي أليسوا قد أصبحوا فاعلين بهم وليسوا معلمين لهم فقط؟

.. ماذا لو حوسب نبي واحد أو معلم واحد أو مفكّر كبير زائف واحد على ما فقأ وأسكت وأمات وعلى ما يزال يفقأ ويسكت ويميت من العيون والضمائر ومن طاقات ومواهب الغضب والرفض والاحتجاج والاشمئزاز والاستنكار والتساؤل والتعجب والاندهاش والمخاصمة والمحاكمة والمحاسبة والمقاومة بالفكر أو بالأخلاق أو بأي معنى من معاني الإنسان؟ هل يوجد حينئذ أي عقاب يكفي ليكون عقاباً عادلاً لهذا النبي أو المعلم أو المفكر الواحد؟

.. أليس الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون هم كل الفاقئين للعيون وكل المسكتين والمميتين والزاجرين المقاومين لكل معاني الإنسان في الإنسان، أو أليسوا هم أشهر وأقوى وأشمل من فعلوا ويفعلون ذلك؟

.. هل لهؤلاء أية وظيفة أو رسالة، أو هل أريد أو طلب منهم أن تكون لهم أية وظيفة أو رسالة غير أن يفعلوا ذلك؟

ولكن أليست هذه الوظيفة أو الرسالة مطلوبة أو مقبولة في السوق؟

إن أي مؤمن يذهب يقرأ كتاب نبيه المقدس أو تعاليم معلمه العظيم أو فلسفة فيلسوفه الكبير الزائف إنما يفعل ذلك أي إنما يقرأ ذلك لكي يسكت ويزجر ويقتل في عينيه وفي كل معانيه كل الرؤية وكل تفاسير الإنسان لكي يرى ويقرأ ويفسر ويفهم ويجد كل الأشياء في غير ألوانها وأحجامها وذواتها ومذاقاتها. ! أي لكي يرى ويقرأ ويفهم ضد الرؤية والقراءة والفهم. !

.. أجل، إن كل البشر فاقئون وقاتلون وزاجرون ومسكتون لعيونهم ولكل تفاسير ومعاني الإنسان فيهم ومريدون لأنفسهم كل ذلك. !

بل ومستقبلون وشاكرون لمن يفعلون بهم ولهم ذلك. !

.. لقد علمهم ذلك وروضهم ودربهم وجرأهم عليه أنبياؤهم ومعلموهم وفلاسفتهم الكبار العظام المزورون الزائفون. !

ولكن استعدادهم وشوقهم لذلك هو الذي هتف بمن فعلوا بهم ليجيئوا ويفعلوا بهم ما فعلوا.

إن التعريف الصادق الشامل للأنبياء والمعلمين والمفكرين المزورين الذين هم أغلب المفكرين أو كلهم أحياناً أنهم هم القاتلون أو المسكتون أو المضعفون أو الزاجرون أو المخيفون والمفسدون والمضللون لكل معاني الإنسان في الإنسان أو المحاولون والمريدون أن يفعلوا ذلك. !

إنه التعريف الصادق الشامل الذي لا يغفر الاختلاف عليه مهما كانت قسوته. ! وإن كلمة: هذا نبي أو هذا معلم كبير لا تعني في كل تفاسيرها ونتائجها إلاّ: هذا فاقئ للعيون ومحرم مغلق معاقب للتفكير والذكاء والرفض والمحاورة والمحاسبة والتساؤل بل ومحرم أن يرى الإنسان نفسه أو يتحاور معها. !

. . نعم، الطغاة والحكام يقتلون ويشوهون ويطاردون جسد الإنسان في الحروب والمعتقلات وفي سائر مغامراتهم وحماقاتهم.

. . أما الأنبياء والمعلمون والمفكرون المزورون فيقتلون ويشوهون ويطاردون ويفسدون ويسكتون ويزجرون مواهب الإنسان الرائية والمفكرة والناقدة والرافضة والغاضبة والسائلة المسائلة المطالبة بأن تفهم وتعرف وتقتنع وترضى وتختار ويمنعونها أو يحاولون منعها من أن تكون شيئاً من ذلك. . نعم، إنهم يحاولون ويريدون ذلك ويسعدون به. ولكن هل يستطيعون إلاّ بقدر ما يجدون من يستجيبون؟

فأي الفريقين أكثر وأقسى وأقوى قتلاً وإفساداً وعداوة وتشويهاً وتعويقاً للإنسان: الطغاة والحُكام الحمقى القتلة المخربون أم الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون المزورون؟ لو وجد من أراد أن يكون أقسى عدو ومذل ومفسد وقاتل للإنسان فهل يختار أن يكون طاغية مجنوناً مغامراً أم أن يكون نبياً أو معلماً أو مفكراً زائفاً كبيراً؟

. . قد يكون من الفروق الأليمة البائسة بين الفريقين: إن ما يفعله الطغاة والحُكام الجهال الأشرار بالإنسان يزول أو يتوقف بموتهم أو بسقوطهم، أما ما يفعله الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون بالإنسان فقد يزداد قوة وشمولاً وخلوداً بعد موتهم بل هذا هو الذي يحدث دائماً أو غالباً. !

إن كل سلاح الطاغية يسقط ذليلاً محطماً ملعوناً من يديه حين يموت أو يسقط. . أما النبي والمعلم فإن ألواحهما وسلاحهما يزدادان قوة وانتشاراً وبريقاً وضرباً قاتلاً بعد موتهما وكلما طال موتهما. !

ومع هذا فإن للأنبياء والمعلمين والمفكرين الزائفين مزية عظيمة. .

إن من أعظم مزاياهم أو مما يقلل ويضعف من خطرهم أن المؤمنين بهم لا يستطيعون أن يطيعوهم مهما أرادوا طاعتهم أو زعموا أنهم يطيعونهم. .

إنهم لو أطاعوهم سلوكاً وتشريعاً وتعلماً لما أطاعوهم تفكيراً أو نيات أو طموحاً أو علماً وشوقاً، ولو أطاعوهم في هذا لما أطاعوهم في ذاك. . !

إنهم لو أطاعوا الإله وأنبياءه والمعلمين عنه في أن يصلحوا ويحجوا ويصوموا له لما أطاعوه أو أطاعوهم في ألا يحبوا أو يريدوا إلاّ ما يحب ويريد، أو في ألا يشاءوا إلاّ حين يشاء وإلاّ ما يشاء وفي ألا يوالوا إلاّ أولياءه. !

. . إنهم لو أطاعوا الإله والأنبياء والمعلمين في أشياء لما أطاعوه أو أطاعوهم في كل الأشياء، ولو أطاعوا في وقت وتحت بعض الظروف لما أطاعو كل الأوقات وتحت كل الظروف. !

إنهم مهما أطاعوهم فإنهم لن يطيعوهم معرفة أو محبة أو إيثاراً أو فداء أو إخلاصاً أو اقتناعاً أو شهامة أو بسالة أو ذكاء أو احتراماً أو تكريماً وإنما يطيعونهم لغة وإعلاناً وأسلوباً وعجزاً وتلاؤماً وضياعاً وهتافاً وتحركاً وبكاء مع القطيع الهاتف المتحرك الباكي دون أن يعني أو يريد أو يفهم أو يعطي شيئاً جيداً أو عظيماً أو نافعاً. !. إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مطاعون جداً ومعصيون جداً مثل الآلهة والأنبياء والمعلمين. !

. . آه ما أعظمكم وأنبلكم وأرحمكم وأتقاكم أيها الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون المزورون لأن حياة الإنسان لن تطيعكم أو تستمع إليكم أو تقرأ لكم مهما أطاعتكم واستمعت وقرأت لكم وإليكم لغاته وشعاراته وآذانه وعيونه ومنابره ومحاريبه. !. .

لقد بقي وظل جميلاً ونبيلاً ومحبوباً ممدوحاً مشكوراً مذكوراً أي الإله وكذا النبي والمعلم لأنه لم يكن محتملاً أن يطاع ولم يكن مشترطاً أو ملتزماً أو ملزماً بأن يطاع. !. أليس أنبل الآلهة والأنبياء والمعلمين هم المطاعين فوق المنابر المعصيين في تحديقات وخطوات الفكر والحياة. !

. . إنه لو كان محتوماً أن يطاع الإله أو النبي أو المعلم لكان محتوماً أن ينتحر أو يصلب أو ينفى، أو لكان محتوماً أن يتوقف عن الحياة المجتمع الذي آمن به وجاء إليه أو أن تتوقف الحياة فيه وعنه، أي لو كان محتوماً أن يطاع بالقلب أو الفكر أو الضمير أو النبات أو الشوق أو الطموح أو القبول والرفض أو السلوك أو الحب والبغض. !

بل إنه لم يكن ممكناً أن يجيء أي إله أو نبي أو معلم إلاّ لأنه لم يكن ممكناً أن

يطاع هذه الطاعة. !. إنه لو كان ممكناً أن يطاع هذه الطاعة لما كان ممكناً أن يجرؤ على المجيء أو أن يقبل أو يستقبل في أي مكان. !

.. ولكن أردأ وأفظع ما فيهم أي الآلهة والأنبياء والمعلمين أنهم يطاعون في أقبح وأفظع ما يعلمون ويريدون ويقولون، أو تفعل أقبح وأفظع الجرائم والأفعال بلغة وحجة الطاعة لهم، ويعصون في أجمل وأفضل وأتقى ما يريدون ويعلمون ويقولون ويفعلون أو ما يقولون ويعلمون دون أن يفعلوه أو يريدوه. !

هل يوجد من يقولون بل ويعلمون ما لا يريدون أو يفعلون مثل الآلهة والأنبياء والمعلمين؟

.. إنهم يطاعون حين يقولون: عادوا وابغضوا أو اقتلوا وحاربوا واحقدوا واشتموا وتكبروا وتعصبوا وانهبوا واسرقوا باسم كذا أو كذا.. ويعصون جداً حين يقولون: ارحموا وأحبوا وتسامحوا وتواضعوا واعطوا وآثروا وأصدقوا..!. وهل يقولون هذا أي ارحموا إلى آخره؟

إنهم حتماً يقولونه ولكنهم حتماً لن يريدوه أو يفعلوه أو يحترموه. !

.. آه ماذا تعني النبوات والألوهيات والتعاليم في حياة الإنسان.؟

تعني أنها تطاع في قبحها وقسوتها وبغضائها وفي كل رذائلها، وتعصى في حبها ورفقها وجمالها وفي كل مزاياها وفضائلها أي لو كان لها أو فيها شيء من ذلك. ! إذن ماذا تساوي أي الألوهيات والنبوات والتعاليم؟

هل حوسبت أي الألوهيات والنبوات والتعاليم في أي عصر أو مجتمع ليعرف ماذا تعطي وتأخذ.. ليعرف هل هي ربح وخسران وأيهما أكبر ربحها أو خسرانها أم هي خسران فقط؟

.. آه يا إلهي ويا نبيي أنت جمالاً وحباً وصدقاً، معصي بل ومنفي بل ومحقر. ! إما دمامة وبغضاً وكذباً وهواناً وعداوة فمطاع ومرضي ومقبول ومستقبل ومكرم، مكرم. !

أنت مطاع حرباً وحقداً ووقاحة ومعصي سلاماً وصداقة وتهذيباً بل وتقوى!

.. إذن لماذا جئت يا إلهي، يا نبيي، كيف جرؤت على المجيء؟ هل يوجد مجيء أخسر وأوقح من مجيئك يا إلهي يا نبيي يا معلمي؟

.. ليتك لم تجئ يا إلهي، يا نبيي، يا معلمي الكبير الكبير.. ليتك لم تجئ، لم تجئ!. ليتك، ليتك. !

ليته كان فيك شيء من الحياة أو التقوى أو الذكاء أو الكرامة أو الشهامة لتنهاك بل لتمنعك من المجيء يا إلهي، يا نبيي، يا معلمي. !. ليتك يا إلهي، يا نبيي. يا معلمي قد عرفت أن للمجيء شروطاً ثم التزمت بهذه الشروط. !

.. نعم، يا إلهي ونبيي ومعلمي، لماذا جئت؟ من دعاك إلى المجيء؟

وهل دعاك أحد إلى المجيء؟ وكيف ولماذا استجبت؟ لماذا لم تعصِ من دعاك إلى المجيء إن كنت قد دعيت؟ وكيف عرفت أن دعوة من دعاك إلى المجيء تستحق الاستجابة؟ كيف سارعت إلى هذه الاستجابة بلا أي وقار أو اشتراط أو احتياط أو رؤية أو تقدير أو تفكير؟ لماذا كنت متهالكاً على الاستجابة كل هذا التهالك الفضاح؟ هل اقتنعت قبل المجيء بأن مجيئك نافع أو مجد لك أو لمن جئت إليهم أو لأي شيء؟

هل مجيء واستجابة الآلهة والأنبياء والمعلمين بكل هذا الرخص والتشرع والتضرع والتهافت والسخافة والبلادة والبله؟

.. من سحب من الآلهة والأنبياء والمعلمين كل الوقار والاتزان والكبرياء؟ من جعلهم يتنازلون عن كل ثمن وشرط لمجيئهم؟

من جعل مجيئهم كما جاءوا ويجيئون إهانة وهجاء لكل مجيء؟

هل يقبل أحد أن يجيء بالأساليب والشروط والنتائج وفي الظروف التي يجيء بها وفيها الآلهة والأنبياء والمعلمون؟ لماذا الآلهة والأنبياء والمعلمون هم أرخص وأردأ المعروضات في كل الأسواق؟

.. هل يوجد باحثون عن العار والهوان والهزائم والفضائح مثل الآلهة والأنبياء والمعلمين في سرعة وأسلوب وظروف وأوقات وصيغ وأماكن مجيئهم وفي عرضهم لأنفسهم، في الأسواق وباللغات التي بها وفيها يعرضون أنفسهم وفي رفضهم للارتحال مهما وجب أن يرتحلوا ومهما لاقوا من الهجر والإذلال والتحقير والنبذ؟

.. إنه لا يمكن افتراضهم أي الآلهة والأنبياء والمعلمين فدائيين لأن الفدائي يجيء ليحرر وينقذ ويهب ويموت لا ليكون أغلالاً وقيوداً على كل الأقدام والأعناق.. لا ليطالب بأن يكون إلهاً أو نبياً أو قديساً أو وثناً تذل وتسجد له كل العقول والضمائر والأخلاق بل والجباه والحياة في كل التاريخ ليعجز كل الفدائيين عن الإنقاذ منه بل لتعجز عن الإنقاذ منه كل الجيوش والأسلحة والحروب. !

* * *

آه يا إلهي كم قسوت على نفسي، على عقلي وضميري وأخلاقي وعلى كل طاقاتي حين جرؤت وأقدمت على محاورتك والتزمت بأن أعاني كل المعاناة في البحث عن كل التفاسير والتأويلات والاحتمالات التي قد يوجد أو قد يظن فيها شيء من الدفاع عنك، عن أخلاقك وأفعالك وحساباتك التي لا يستطيع أو يجرؤ أي شيء على الدفاع عنها أو يقبل أن يتهم أو يعير بالدفاع عنها. !

وبالتزامي هذا الفادح بالدفاع عنك، بالدفاع عمن يجب ألا يوجد من يخاطر بكرامته وشرفه وصدقه وذكائه وتقواه الأخلاقية أو الفكرية أو النفسية بالدفاع أو بمحاولة الدفاع عنه. .

ـ نعم بالتزامي هذا الذي هو أكثر مخاطرة من كل مخاطرة سأذل وأعاقب وأحرج فكري وضميري وأخلاقي وأعتدي على وقتي وقلمي وورقي بل وعلى يدي الممسكة بالقلم فوق الورق بارتجاف واهتزاز غير مضبوط أو موقع أو مريح.

ـ نعم، سأفعل كل ذلك بحثاً عن تفسير أو تفاسير تصبح أو تقبل أو تحسب دفاعاً عن فعلتك هذه يا إلهي أعني عن وضعك للأنبياء والأولياء وللمؤمنين بهم في الفردوس ووضعك لآبائهم أو أبنائهم أو للأقربين إليهم في الجحيم، حساباً أنك بذلك تهب كل السعادة والفرح والرضا لمن وضعت في الفردوس، عاجزاً عن أن تتصور أنهم قد أو لا بد أن يشقوا كل الشقاء بل وأن يرفضوا ويلعنوا ويحتقروا فردوسك وكل ما أعددت لهم فيه بل وأن يبصقوا عليه وعلى سخائك وحبك وبلادتك وغفلتك لأنك وضعت آباءهم أو أحد الأقربين إليهم في الجحيم دون أن يعارضك أو يحاورك أو يخاصمك أو يزجرك بل أو يقاومك أو حتى يصفعك ويلطمك عقلك أو ضميرك أو أخلاقك أو عيناك أو أحد من ملائكتك أو زبانيتك أو حراس جحيمك أو بوابي فردوسك مفجوعين ببلادتك وقسوتك وغفلتك بل وبلاهتك. !

هل وجد أو يمكن أن يوجد غافر لنفسه أو عاجز عن رؤية ومعاقبة نفسه مثلك يا إلهي؟ أو هل وجد أو يمكن أن يوجد أعوان لطاغية غافرون لطاغيتهم ومناصرون لطغيانه أو عاجزون وخائفون ومنافقون وأغبياء مثل أعوانك يا إلهي؟

إن كل مراياك التي ترى بها وجهك إما عمياء وإما مزورة. !

. . بعد أن أرهقت فكري بل وخيالي محاورة وتضرعاً وتهديداً مؤملاً أن يجد هذه التفاسير أو هذا التفسير ليكون دفاعاً عن فعلتك هذه يا إلهي همس لي أي فكري وخيالي بكل الاستحياء والحرج قائلاً: لقد وجدته، لقد وجدت التفسير. . !

لقد اعتقد الإله أن الأنبياء وغيرهم من سكان الفردوس لن يغضبوا أو يفجعوا أو يحزنوا من وضع آبائهم وأبنائهم أو الأقربين إليهم في الجحيم بل لا بدَّ أن يفرحوا بذلك ويطالبوا به لأنهم قد وضعوا في الجحيم استحقاقاً وجزاء وعدلاً. !

. . ولم يفطن الإله إلى أن الأقربين إلينا إذا فعلوا الخطيئة عذبنا فعلهم لها، ثم إذا عوقبوا على ذلك تعذبنا مرة أخرى، تعذبنا عذاباً أقسى حتى ولو كنا نحن الموقعين بهم العقاب عدلاً وزجراً وقصاصاً. . !

إن العواطف ليست محكومة بالعدالة أو بالقوانين وليست ملتزمة بها حتى ولو نفذتها. !

. . وأيضاً لم يفطن الإله إلى إنه هو الذي أراد ودبر وأحب وشاء وخطط لهؤلاء الأقربين أن يفعلوا خطاياهم بل ودفعهم إليها دفعاً لكي يعتقد ويقول إنهم يستحقون الجحيم لكي يلقى بهم إلى الجحيم. لقد قرر بدءاً قبل أن يوجدوا، قبل أن يصوغهم أية صياغة أن يهديهم للجحيم. !

. . إنه أي الإله الفاعل للخطيئة والفاعل للعقاب. . إنه هو كل المستحق للعقاب وحده. أي أنك أنت يا إلهي وحدك المستحق لأن توضع في الجحيم لا الذين وضعتهم فيه. . هل يوجد سواك يا إلهي من يفعل الجريمة بكائنات ما ثم يعاقب من فعل بهم الجريمة على جريمته هو التي أوقعها بهم؟

. . إنك يا إلهي تحت نزوة أو نشوة أو سكرة أو حماقة من نزواتك ونشواتك وسكراتك وحماقاتك البليدة الوقحة قررت أن تخلق الجحيم فأصبحت بكل تفاسير الورطة ملتزماً بأن توجد له سكاناً بل بأن تملأه بالسكان فاضطررت إلى أن توجد له سكاناً ولو من آباء وأبناء وأمهات الأنبياء. !

. . إن تفسير قصتك هذه: إنك قد غلطت فخلقت الجحيم فأصبحت محكوماً عليك أن توجد أو تجد له سكاناً. إذن كم يجب أن أحزن وأفجع حين أجدك محتاجاً إلى أن أفسر لك أفعالك. أليست كل أفعالك وخطواتك وضرباتك يا إلهي ورطات وحماقات وارتجافات ونزوات بلا أي تخطيط أو تدبير أو توقيع محسوب أو مضبوط بالعقل أو بالنتائج أو بأي شيء منطقي أو أخلاقي؟

ولكن أليس ذلك أقل هجاء لك من أن تحسب مدبراً أو مخططاً أو مريداً لما تفعل؟

. . قل لي يا إلهي: أي شيء أردته أو خططته أو فعلته بالحساب أو بالمنطق أو

بغير الخبطات والخطوات والضربات العشوائية العمياء؟ أليست كل الخطوات والخبطات والضربات العشوائية العمياء هي بعض خطواتك وخبطاتك وضرباتك؟

. . قل لي يا إلهي، قل لي فإني متحرق محترق إلى محاورتك ومحاسبتك ومحاكمتك بل وإلى فضحك ولكن بلا تزوير أو ظلم أو كذب أو حتى مبالغة. !

وهل يعد أي ظالم ظالماً لك مهما ظلمك؟ أليس استحقاقك للظلم أكبر من كل ظلم؟

. . نعم، قل لي يا إلهي ما هو منطقك أو حساباتك أو تخطيطاتك أو رؤاك أو جمالك أو حوافزك أو ضروراتك الفنية أو المنطقية أو الأخلاقية أو النفسية أو حتى الدينية حينما تقبلت بكل الإعجاب والكبرياء أن تكون موجوداً وإلهاً وخالقاً ورباً لهذا الكون ومسؤولاً عنه وجالساً أو نائماً أو منطرحاً منبطحاً مسترخياً فوقه بكل الغيبوبة والغفلة والضياع والوحدة المشحونة بكل معاني الكآبة، عاجزاً ومحروماً من كل ما تريد وتشتهي وتتمنى وتطلب بل وتبكي وتهون مطالباً بما لن تنال أو تجد أو توهب. . عاجزاً ومحروماً من كل ما يصنع لك السعادة أو الفرح أو الحب أو المجد أو الانتصار. . !. هل توجد وقاحة أو بلادة تساوي وقاحة أو بلادة من يريد أن يكون هو رب وخالق هذا الكون. . الجالس فوقه المسؤول عن كل شيء فيه؟

. . قل لي يا إلهي: من هو هذا الساحر القاهر الشرير اللئيم الذي أقنعك مخادعاً مضللاً بأن توجد وبأن من الأفضل أو الأنفع لك أن توجد، أو هذا الذي أوجدك أو فرض عليك أن توجد بالإكراه دون أن تريد أو تقبل أو ترضى أو تختار؟

. . قل لي يا إلهي المسكين الضائع الخاسر أبداً في كل خطواتك وحساباتك وتهويماتك: بأي منطق أو حساب أو خيال أو رؤية أو أمنية تصورت وأحببت وأردت وعشقت وخططت وخلقت الصرصار أو الذباب أو الإنسان أو الجحيم أو الفردوس أو أي شيء؟ من بصق فيك هذه الرغبة أو الشهوة لكي تفعل ذلك؟

كيف استطاع جوفك يا إلهي أن يستقبل هذه الرغبة أو الشهوة أو البصقة؟

هل بصق فيك يا إلهي أم بصقت في نفسك؟

. . قل لي يا إلهي هل رأيت الصرصار أو الذباب أو القملة أو النملة أو الإنسان قبل الكينونة، قبل الرؤية أو القدرة على الرؤية فعشقت ما رأيت قبل أن ترى، قبل أن تراه، فذهبت تخلق كل شيء مفتوناً مسحوراً بما رأيت قبل أن ترى من جمال ونظافة وضخامة وتقوى وعبقرية القملة والنملة والذباب والصرصار والإنسان، منتظراً أو متوقعاً

أن يجيء كل شيء على مستوى الجمال والنظافة والضخامة والتقوى والعبقرية التي رأيت فعشقت قبل أن ترى وقبل أن يوجد المعشوق أي التي رأيت وعشقت في القملة والنملة والصرصار والذباب والإنسان؟ أليس خلقك للقملة والنملة والذباب والصرصار والإنسان يعني حتماً أنك قد جننت وسحرت حباً وإعجاباً بجمال ونظافة وضخامة وعبقرية وتقوى ما خلقت وإلاّ لما خلقت؟ هل يمكن أن يوجد من يشك في ذلك؟ أليس من يشك في هذا أو ينكره يقسو جداً في اتهامه لك؟

هل يمكن أن تخلق شيئاً لم تعجب به؟ إذن هل خلقت القملة إلاّ لإعجابك بها؟

قل لي يا إلهي، قل لي: هل كان ممكناً أن توجد أو أن يقبل وجودك كما وجدت وكما أنت موجود بكل وظائفك واهتماماتك وأعمالك، وبكل خسائرك وأرباحك وعطائك وأخذك وبكل انتصاراتك وهزائمك أي لو كانت لا توجد ولن توجد إلاّ بتدبير وتخطيط ومنطق وحساب والتزام؟ قل يا إلهي هل رأيت أو حاورت نفسك أو قرأتها وأنت تفعل ما تفعل، وأنت تخلق القملة والنملة والذباب والصرصار؟

.. إنه لا يمكن تصور وجود ترفضه وتنكره كل الحسابات بل وتراه قمة القبح والافتضاح والخروج على كل المعقول مثل وجودك أو غير وجودك يا إلهي. إنه لو قبل كل وجود لكان وجودك هو وحده الذي لن يقبل.!

.. لهذا كان المفروض بكل التفاسير والحسابات ألا يوجد من يرفض بل ويقاوم وجوده ويعاقب من يعتقدون أو يعلنون أو يعلمون الإيمان بوجوده مثلك يا إلهي لأنه لا يوجد ولن يوجد خاسر ومعذب ومشوه ومتهم بوجوده بلا أي ربح أو جمال أو مجد أو فرع مثلك أو غيرك يا إلهي.!

إنك لو حاسبت وجودك بكل التفاسير والحسابات لما وجدت أي تفسير أو حساب مهما كان تواضعه وتسامحه يقول لك:

نعم، إنه وجود مقبول أو مغفور أو له أي معنى.!

.. إنه لو وجد أي تفسير أو تسويغ أو كل تفسير وتسويغ لوجود أتفه وأجهل وأشقى وأنذل طاغية لما وجد أي تفسير أو تسويغ أو ثمن لوجودك يا إلهي..

إنه يا إلهي لا ثمن لوجودك، لا ثمن تقبضه أنت ولا ثمن يقبضه من تتعامل معهم وبهم.!

.. إن الصرصار أو الذباب أو البرغوث أو وجد كل التفاسير والمسوغات والأثمان وكل إيحاءات وإلزامات المنطق لوجوده، ووجد كل المفسرين والمسوغين والمفكرين

والفلاسفة والأنبياء والمعلمين يفسرون ويسوغون ويعلمون ويدرسون ويمجدون بكل الإعجاب والرهبة والتعبد والاندهاش نفع وعظمة وعبقرية وتقوى وكونية وجوده لما وجدت أنت يا إلهي شيئاً من ذلك لوجودك بل لوجدت كل النقيض في الحكم على وجودك. !

وهل الصرصار والذباب والبرغوث وكل شيء رديء وقبيح وأليم وبليد ونذل إلاّ بعض أبنائك يا إلهي.. أبناء فكرك وفنك وجمالك وأخلاقك؟

.. إنه لو أمكن أن تفسر أقسى الصحاري ومواقع القحط الأبدي بكل تفاسير الخصوبة والعطاء والنمو والجمال لما أمكن يا إلهي أن يفسر وجودك بأي تفسير أو معنى من معاني وتفاسير الجمال أو المنطق أو العقل أو الأخلاق أو الذكاء أو الكبرياء أو العطاء أو الكرامة أو الحب أو الفن أو الإبداع أو حتى المصلحة أو المنفعة، أو ألا يفسر أي وجودك بكل التفاسير المناقضة بل والهاجية لكل ذلك. !

أليست كل التفاسير القبيحة والشريرة هي بعض تفاسيرك يا إلهي؟

.. إن أحداً لم يفعل ولن يستطيع أن يفعل ولن يستطيع أن يفعل شيئاً من العدوان أو البذاءة أو الوقاحة أو البلادة التي يفعلها ولا يزال يفعلها من اعتقدوك يا إلهي موجوداً وأعلنوا أو تحدثوا عن اعتقادهم هذا. !

كيف خدعت يا إلهي؟ كيف اعتقدت أن من يؤمنون بوجودك يكرمونك؟

.. إنه لو كان كل وجود يا إلهي جمالاً وذكاء ومجداً وسعادة وفرحاً وغناء ومنطقاً وحباً ونفعاً وصلاة وطهارة وكرامة حتى في عيون وقلوب وأخلاق وآذان وحسابات ومجاعات الحشرات لكان محتوماً أن يكون وجودك يا إلهي هو النقيض الشامل الحاد لكل ذلك.. هو النقيض الحاد الشامل لكل ذلك حتى في رؤى وحساب ومنطق وشروط وتسامح وتواضع أردأ الحشرات. !

.. إنه لو أمكن الغفران لكل العيون التي لم تر شيئاً أو التي رأت كل الدمامات وأقبح الدمامات ثم زعمت أنها قد رأت كل الجمال بكل صيغه ونماذجه وتفاسيره ومستوياته واحتمالاته وسحره وقهره لما أمكن الغفران أو جاز الغفران لمن زعم يا إلهي أنه رأى كل جمالك ونظافتك وحبك وضخامتك وعبقريتك وشاعريتك وعلمانيتك وحكمتك ورحمتك وصداقتك ومجدك وشرفك وكبريائك وقوتك وأصالتك في الحشرات والتشوهات والأمراض والشيخوخة والموت وفي الطغاة وفي الدجالين والمنافقين وفي الأنبياء المتألهين المتوقحين المعاقبين المذلين لكرامة وكبرياء وذكاء

الإنسان بل ولعيونه باسمك وبادعاء التمجيد والعبادة والطاعة والمحبة لك. هل يمكن الزعم أن الحشرات قد تخلقت منتصرة على شروط جمالك وذكائك ونظافتك وضخامتك لا مستجيبة لها؟

.. هل وجد من أذل وعاقب وحقر وشتم وضلل ذكاء الإنسان وكبرياءه وكرامته وعبقريته وحريته ورؤاه أو حاول أن يفعل ذلك مثل الأنبياء الذين جاءوا ليزعموا أنهم آلهة.. أخلاق وعقول وأوامر ورغبات ومشيئات وعضلات آلهة في أجساد بشر.؟ وهل جاء أي إله في جسده؟

هل جاء أو يمكن أن يجيء أي إله إلاّ في صيغة أو ذات إنسان؟

.. أليس جميع الأنبياء قد جاءوا ليزعموا أنهم آلهة في ثياب ولغات وصور بشر لهم كل الطاعة والعصمة والكبرياء التي للآلهة؟

.. أليس كل نبي يقول إنه لا يتكلم إلاّ بعقل الإله وإرادته وبأخلاقه وبتدبيره وتخطيطه وبعينيه وأذنيه وبماضيه وحاضره ومستقبله؟

.. إن النبي أي نبي لا يعني ولا يعنى به في كل تفاسيره ومعانيه إلاّ أنه هو الإله المرئي المسموع. لقد عجز أو هاب أو استحيى الإله أن يظهر في ذاته فظهر في ذات النبي أي في ذات من زعم نبياً.!

.. اسمع يا إلهي. اسمع ولكن بكل ما تملك من طاقات التجلد والتظاهر بالوقار.!.. إني أريد أن أقول لك شيئاً حتماً لم تسمعه من قبل، وحتما أنت لم تتصور أنك قد تسمعه كما أنك حتماً لم تتصوره. لهذا انتظر منك بل وأطالبك أن تكون جلداً جداً.

.. أريد أن أقول لك: إنه لن يكون لفقد وجود أي موجود من الإنقاذ والمزايا للموجود الذي فَقَدَ وجوده ولكل أحد وكل شيء مثل أن تفقد أنت وجودك يا إلهي.!

آه. الإله يحدث عن المزايا والإنقاذ في أن يفقد وجوده.!

.. فكّر ولو بشيء قليل من الذكاء والصدق والرؤية والبسالة في هذا لكي تقول بكل الرضا والتقبل والإعجاب صدقت، صدقت.!.. لكي تقول يا إلهي:

إن جميع ملائكتي وأنبيائي وزبانيتي لم يستطيعوا أو يعرفوا أن يقولوا لي شيئاً من هذا الصدق..!

.. إذن هل تفعل ذلك؟ هل تستطيع فعله؟ هل أنتظر منك أن تفعله أي أن تفقد وجودك بأي أسلوب تختاره؟

وحتماً لا بد أن تفطن يا إلهي مهما كان تاريخك في العجز عن الفطنة إلى أن هذا القول أو الرأي لا بدَّ أن يعني أنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد وجود شرير وضار ومؤذ ومعذب ومحقر وفاضح لنفسه ولكل أحد وكل شيء مثل وجودك يا إلهي. . !

أرأيت يا إلهي كم أنا محترم لك حين أخاطبك بهذه الجرأة؟

هل تقبل أن تسمع مني يا إلهي ولو هذه المرة في هذه اللحظة؟

نعم، أنتظر أنك قد قبلت أن تسمع مني هذه المرة في هذه اللحظة هذا الذي لم تسمعه قط من أحد حتى ولا من ضميرك. !

. . هل كان يمكن أن توجد أية نذالة أو وقاحة أو جهالة أو سخافة أو جناية أو بلادة أو ظلامة أو عاهة أو دمامة أو كآبة أو أو مهانة أو ضراعة أو حتى كفر أو فسوق لولا وجودك؟

أجل، لولا وجودك هل كان يمكن أن يوجد ما يغضبك أو يفجعك أو يسيئ إليك أو يعذب أو يؤذي نظراتك أو تحديقك في مرآتك؟ كيف إذن غفرت أو تغفر لوجودك؟

. . آه يا إلهي هل تراني غير رحيم أو غير مهذب، بل هل تراني وقحاً كل الوقاحة حينما حدثتك بكل هذا الصدق أو حينما سألتك وحاورتك بكل هذا الصدق الذي هو أقسى وأوقح ما تعامل أو تواجه أو تخاطب به الآلهة أو الأنبياء أي أو الزعامات والقيادات والأخلاق والعقول والآذان العربية؟ وهل حدث أو يمكن أن يحدث في أي زمان أو مكان أن خوطبت القيادات أو الزعامات أو الأخلاق أو العقول أو الآذان العربية بالصدق؟

. . أيهما يرفض ويخاف ريعلن ويعاقب الصدق أكثر: الألوهيات والنبوات العربية أم الزعامات والقيادات العربية؟

. . كائن يريد ألا توجد شرور أو آثام أو أي قبح أو سوء ويعذبه جداً أن يوجد أي شيء من ذلك ولكن شيئاً من هذا لم يكن محتملاً أن يوجد لولا وجوده.

من هذا الكائن وهل قبل هذا الكائن أن يوجد؟ هل يمكن أن يقبل وجوده؟

. . هل تحتاج يا إلهي إلى أن تفكّر لكي تعرف من هو هذا الكائن؟ وحين تعرف هذا الكائن هل تتمنى أن يفقد وجوده أو تلزمه بأن يفقد وجوده؟

ولو وجد يا إلهي هذا الكائن داخل ذاتك فماذا تفعل به وبذاتك؟

بل هل تستطيع التصديق بأن هذا الكائن قد وجد أو أنه قد يوجد؟ وإذا عرفت أو لو عرفت هذا الكائن فهل تقبل رؤيته أو محاورته أو معاملته؟

وكم أرجو ألا يعجز ذكاؤك العاجز جداً عن معرفة هذا الكائن الذي يجب أن تعجز كل العقول والأخلاق عن تقبل وجوده بل وعن افتراض أو غفران وجوده. !

كائن لن يوجد أي قبح أو عذاب أو ظلم أو نذالة أو إثم أو حتى جنون لولا وجوده هل يقبل أو يغفر وجوده؟

أليس العدل كل العدل أن يحاسب ويعاقب هذا الكائن بكل شيء أليم ورديء؟

.. ألا تأسى لي بل وتعتذر إلي من قسوة وديمومة تحديقاتي في أخطائك وخطاياك بل وفي آلامك ومآسيك؟

هل يوجد عذاب وتعذيب يساويان عذاب وتعذيب التحديق في الإله؟

.. ألا ترى يا إلهي إني أتعذب لك أكثر وأدوم مما أتعذب بك مهما كانت قسوة وشمول تعذيبي بك وتعذيبك لي؟

هل وجد يا إلهي من يتعذب لمعذبه مثلي؟

لا يمكن أن توجد منظمات دولية أو كونية لتحاكمك يا إلهي وتنقذني وتعوضني من تعذيبك وعن تعذيبك لي؟ ألا توجد هذه المنظمات الدولية لكي أحاكمك لديها؟

اسمع يا إلهي مني هذا الصدق الذي لم تسمعه ولن تسمعه من أحد، لا من نفسك ولا من ملائكتك أو أنبيائك أو زبانيتك أو من مستشاريك وأعوانك. !

.. اسمع، اسمع.. كم أرجو وأطالب أن تسمع..

اسمع هذا الذي أقول:

أنا كل الوقت، بكل أحاسيسي وحواسي ورؤاي ومناي وشروطي على كل شيء.

وتفسيري لكل شيء، بكل حماسي وانفجاعي واحتراقي وغضبي أحدق يا إلهي في كل أخطائك وخطاياك ونقائصك وآلامك وهمومك وهزائمك، رافضاً ومتألماً ومستنكراً ومفجوعاً بها ولها ومطالباً راجياً أن تشفى أنت وكل أحد وكل شيء من كل ذلك. !

إذن هل يمكن أن يوجد بل أن يتصور عذاب مثل عذابي؟

إن كل أخطائك وخطاياك وآلامك وهزائمك وورطاتك يا إلهي تتحول إلى حرائق مشتعلة أبداً تحرق عقلي وقلبي وضميري وأخلاقي ورؤاي وكل تفاسيري.

إذن هل يوجد محترق ومستودع للحرائق مثلي؟

. . ولا بدَّ أن أفترض أنك يا إلهي لن تصدقني في هذا الصدق لأنك لم تسمع أو تجرب قط مثل هذا الصدق ولأنك لم تتصور أنه قد يوجد صدق مثل هذا الصدق ولأنك أنت لم تصدق بل ولم تفكّر في أن تصدق مثل هذا الصدق لا في تعاملك أو تحاورك مع نفسك ولا في تعاملك وتحاورك مع غيرك حتى ولا مع أنبيائك وملائكتك. !

الإله قد يكون صادقاً. !. هل يمكن أن يوجد شيء أو يبقى شيء لو صدق الإله؟

. . كيف يمكن أن تفترضني صادقاً فيما قلت لك أو في أي شيء وأنت لم تجرب التعامل أو التخاطب أو التحاور إلاّ مع الإنسان العربي؟

هل يمكن أن يتعامل ويتخاطب ويتحاور أي كائن مع الإنسان العربي ثم يفترض أنه قد يوجد أي صدق أو أي صادق؟ ولعل من أسباب انحيازك إلى الإنسان العربي ورضاك عنه وإعجابك وفرحك به أنه لا يستطيع ولا يريد أن يكون صادقاً أو أن يعاملك أو يخاطبك أو يحاورك أو يراك أو يسمعك أو يقرأك أو يفسرك بأي قدر من الصدق أو إرادة الصدق أو الشوق إلى الصدق أو بأي قدر من الأسى على فقده كل الصدق حينما يحاورك أو يراك أو يفسرك أو يمدحك أو يعبدك أو يؤمن بك يا إلهي. !. إنه أي الإنسان العربي لا يصدق معك أو فيك يا إلهي إلاّ بقدر ما تصدق معه وفيه. إن العلاقات بينكما عادلة.

هل يوجد من يعادي الصدق أو يعاديه الصدق مثل الإله أي مثلك يا إلهي أو مثل الإنسان العربي؟

هل يوجد من يتعذب بالصدق ويعذبه الصدق مثل الإله أو هل يوجد صانع للعذاب وموقع للعذاب مثل من يريد إلاّ يعامل الإله إلاّ بكل الصدق؟ نعم، هل يوجد من يساوي أو ينافس الإله في هذا أو هذا إلاّ الإنسان العربي؟

ماذا يا إلهي لو أن أي تشوه أو مرض أو ألم أو صرصار أو ذباب أو برغوث أو إنسان أو أي شيء أصر على ألا يراك أو يقرأك أو يفسرك أو يخاطبك أو يعاملك إلاّ بكل الصدق منطوقاً ومراداً؟ بل ماذا لو أن أجمل وأسعد وأضخم شيء أصر على ذلك في رؤيته وتفسيره ومخاطبته ومعاملته ومحاسبته لك؟

. . بل ماذا لو أنك أنت يا إلهي قررت وأصررت واستطعت ألا ترى أو تعامل أو تفسر أو تقبل نفسك إلاّ بالصدق، أو أن من حولك ومن تعامل من ملائكة وأنبياء وزبانية

ومستشارين وأعوان قرروا ذلك وأصروا وجرؤوا عليه واستطاعوه ونفذوه؟. إن كل كائن قد يستطيع بل ويجرؤ أن يرى نفسه ويتعامل معها مهما كان التزامه بالصدق إلاّ أنت يا إلهي فإنك لو التزمت بشيء من الصدق لما استطعت أن ترى أو تعامل نفسك.!

إن أقسى عذابي أو ضياعي أو عبثي أو بلادتي أني أخاطبك وأحاسبك وأحاورك وأسائلك يا إلهي كمن يفعل كل ذلك مع من يسمع أو يستجيب أو يجيب أو يفهم أو يتأثر أو يخجل أو يفجع أو يحاول أو يستطيع.. لماذا أنا وحدي؟

لماذا لا أعايشك وأفهمك وأعمى وأصمت عن عاهاتك وفضائحك كما يفعل أنبياؤك؟

فكرياً يا إلهي هل يستطيع أو حتى يقبل جميع أنبيائك وأوليائك وأحبائك وأصدقائك أن يتعذبوا شيئاً من عذابي بل ولك من أجلك ومن محاولاتي أن أجدك وأن تكون كما أريد وأحب لك وكما ينبغي ويجب أن تكون لا كما أنت؟

آه. ليت هؤلاء تعذبوا بك ولك من أجلك شيئاً من عذابي بك ولك ومن أجلك.. ليتهم، ليتهم.!

إذن لكان محتملاً أو محتوماً أن يصلحوك أو يعلموك أو يصححوك أو يسقطوك أو ينفوك من وجودك ونفسك وكينونتك وكونك، إنه لو كان لأنبيائك وملائكتك وأعوانك ومستشاريك وعابديك ومحبيك يا إلهي عيون أو عقول أو ضمائر أو أخلاق يرونك ويحاسبونك ويحاكمونك بها لأصبحوا أشهر ثوار في الكون على أردأ طاغية.!

آه.. ما أجمل وأنفع وأستر هذا لك ولكل أحد وكل شيء لو حدث أي لو أنك نفيت من نفسك ووجودك وكونك وكينونتك.!

.. إذن لماذا لم يحدث هذا الأجمل الأنفع الأستر لك يا إلهي ولكل شيء؟ أليس نفي الإله هو أعظم نفي لأن نفيه نفي لكل قبح وألم وخطأ وخطيئة ونذالة وافتضاح؟

.. هل في هذا الكون قوة شريرة معادية لك ولكل أحد ولكل شيء هي أقوى منك يا إلهي ومن كل شيء؟

وهل هذه القوة الشريرة المعادية هي التي رفضت ومنعت أن يحدث هذا الأجمل الأنفع الأستر؟

هل يوجد يا إلهي أخسر منك أو من يساويك خسراناً في ما هو حادث أي في بقائك في ذاتك ومكانك وكينونتك؟

لماذا كل أحد يسافر من ذاته وكينونته إلاّ أنت يا إلهي؟

إذن هل يوجد في هذا الوجود عدوان يساوي العدوان عليك يا إلهي أو العدوان بك ومنك؟

بل هل يوجد أو يمكن أن يوجد أي عدوان غير العدوان عليك والعدوان منك وبك وفيك؟

كم هي وقاحة إن كنت قد عرفت ذلك ثم لم تفعل ما تفرضه عليك هذه المعرفة.. وكم هي بلادة إن لم تكن قد عرفت هذا الذي لا يستطاع جهله.!

.. إذن هذا التفسير لن يستطيع أن يكون تفسيراً دفاعياً عن فعلتك هذه يا إلهي أي عن مجازاة أنبيائك وأتقيائك بالفردوس ومعاقبة آبائهم وأبنائهم وأقربيهم بالجحيم.!. وأرجو أن تكون قد عرفت كم كنت حريصاً وراغباً في أن أجد الدفاع عنك في هذه القضية وفي كل قضاياك الأخرى حتى أهنت نفسي.!

حتى لقد حاولت الدفاع عنك باحتمال أن من جازيتهم بالفردوس لن يأسفوا أو يتألموا أو يبكوا على من عاقبتهم بالجحيم بل ولا أن يرفضوا أو يستنكروا ذلك، بل لا بدَّ أن يرحبوا ويطالبوا بذلك مهما كانت قرابتهم ومكانتهم منهم واحترامهم وحبهم لهم لأن ذلك عدل واستحقاق.!. ومن عنف محاباتي لك يا إلهي كنت أتمنى أن يقوى هذا التفسير ليكون دفاعاً عنك مقبولاً. ولكن لقد فسّر في ما سبق بطلان وبلادة وجهالة ووقاحة هذا التفسير أو الدفاع. وفسّر أن هذا التفسير أو الدفاع لا بدَّ أن يفسر بالنقيض بل ويعني النقيض أي لا بدَّ أن يفسر ويعني أنك أنت يا إلهي الذي تستحق كل العقاب، أن يوقع بك كل العقاب على ما أردت وخططت ودبرت وأحببت وفعلت ونفذت فيمن زعمت أنهم يستحقون العقاب في الجحيم ثم ألقيت بهم في الجحيم.!. إنك يا إلهي أنت البدء والوسط والنهاية..

أنت السبب والمسبب. أنت الطريق والمخطط للطريق والمسير في الطريق ومحدد نهاية الطريق. أنت الفكرة والإرادة والقدرة والحافز والغاية والهدف.

.. نعم، لا بدَّ أن يفسر ذلك بل ويعني ذلك في تفاسير كل المفسرين بأنك أنت يا إلهي الذي يجب أن يوقع بك كل العقاب وأن تتهم بكل الجرائم والخطايا والأخطاء دون أن يجوز لك أن تتهم أحداً أو شيئاً بأية جريمة أو خطيئة أو خطأ أو أن توقع العقاب بأي كائن أو بأي شيء. إن المخطئ والمذنب ليس إلاّ مفعولاً به الخطأ والذنب كما يفعل به المرض والعاهة والعجز والبلادة والجنون والهرم والموت.!

. . إن الذين سوف تجزيهم يا إلهي باختزانهم وحبسهم في فردوسك يعرفون كل ذلك أو علموا ولقنوا كل ذلك مهما عجزوا عن أن يعرفوا. وقد جاءوا ليعلنوا ما لقنوا ويعلموه. ! . لقد جاءوا ليعلنوا ويعلموا أنك تريد قوماً للجحيم قبل أن تخلقهم فتخلقهم لذلك لأنك أردت وتريد. إنهم أي سكان فردوسك لا بدَّ أن ينكروك ويرفضوك ويتهموك ويستقبحوك بكل التفاسير والحسابات والمحاسبات دون أن يجدوا لك تفسيراً أو منطقاً أي لأنك أردت بدءاً لأقربيهم أن يكونوا من أهل الجحيم بكل الشهوة والرغبة والتصميم، ثم دبرت وخططت ونفذت ذلك بكل نيات التآمر والكيد والخبث والإتقان والمثابرة والإصرار، ثم عاقبتهم بالجحيم على ما فعلت بهم لإرضاء نفسك بكل القسوة والجنون والفرح والبريء من كل فروسية عقلية أو أخلاقية أو نفسية أو كونية أو حتى فروسية حيوانية. إنك لو لم تكن الفاعل لكل ذلك لكنت أيضاً كل المسؤول الملوم على ذلك لأنك كنت تستطيع أن تهديهم إلى الطريق الآخر فلماذا لم ترد وتفعل وأنت كل البدء؟

أليس البدء لكل شيء هو المسؤول عن كل شيء والملوم عن كل ما يلام؟

. . إذن ما التفسير إن لم يكن بد من التفسير لتقبل الأنبياء والأتقياء وكل المؤمنين أن يعيشوا ويسعدوا في الفردوس، في حجور ومضاجع الحوريات والغلمان وأهلوهم الأقربون جداً يحترقون في الجحيم؟

إنه ليجب أن ترتجف بل وتحترق كل الضمائر والأخلاق والأفكار أمام هذا التساؤل.

. . هل يمكن أن يكون من التفاسير ذلك أن سكان الفردوس سوف يتحولون إلى غدد وخلايا وأعضاء أولية تتغذى وتحيا فقط كما تتغذى وتحيا الغدد والخلايا والأعضاء بلا أية عواطف أو مشاعر أو رؤى أو أخلاق أو أفكار أو ذكريات أو حب أو حنين أو حنان أي بلا إنسان، بلا أي تفسير أو تعبير من تفسير الإنسان وتعبيراته ومعانيه؟ هل السعادة وظيفة من وظائف الأعضاء والغدد والخلايا أم من وظائف العواطف والأفكار والأخلاق والضمائر؟

. . هل التفسير أن سكان الفردوس سيصبحون أكثر بلادة وعجزاً عن التذكر والحنين والتألم والتفجع والاحتجاج العقلي والنفسي والأخلاقي من الحيوانات لأن الحيوان قد يقاسي شيئاً من ذلك بل لا بد أن يقاسي؟

إن افتراض هذا التفسير يلغي الفردوس ويلغي كل تفاسيره المفترضة المفرحة

السعيدة لأن السعادة لا تكون بالأعضاء فقط بل لا تكون إلاّ بالعواطف والمشاعر والأشواق والحنين والحب والتذكر وبكل الانفعالات الحادة الحماسية القوية. .

فإذا فقد أهل الفردوس كل ذلك أو هبط إحساسهم به وتعاملهم معه ومقاساتهم واستجاباتهم له فلا فردوس. . مهما وجد الفردوس. !

إن السعادة أية سعادة لا تكون إلاّ بالانفعالات الحادة جداً، وكذا كل شيء. إن الذي يفقد الانفعالات الحادة لن يرى أو يجد أو يسمع أو يملك مهما رأى ووجد وسمع وملك. . !

. . هل التفسير أن سكان الفردوس سيصابون بالبله الشامل حتى ليعجزون عن أن يتصوروا أو يتذكروا أو يفهموا أو يعوا شيئاً أو أحداً أو الفرق بين شيء وشيء، بين الفردوس والجحيم، بين سكان هذا وسكان هذا. . حتى ليعجزون عن أن يتذكروا أو يذكروا أنه قد كان لهم آباء وأبناء وأهل وأصدقاء وعن أن يسألوا أين هؤلاء الآباء والأبناء والأهل والأصدقاء. . أين هم الآن، إنا لا نراهم ولا نعلم عنهم شيئاً. . يجب أن نعلم أين هم، يجب. . إنهم إذا لم يكونوا هنا فلا بدَّ أن يكونوا هناك، هناك. . ؟!

. . هل التفسير أنك يا إلهي سوف تنقل كل وحشيتك وعدوانيتك واستمتاعك بعذاب الآخرين وتعذيبهم إلى سكان فردوسك ليصبحوا أعداء لكل أحد وشيء حتى لآبائهم وأبنائهم والأقربين إليهم بل ليصبحوا سعداء بعذابهم ورؤية عذابهم وتعذيبهم مثلما أنت يا إلهي سعيد بذلك بل مثلما أنت تتغذى كل أوقاتك وكل وجباتك بهذه السعادة؟ ولكن لا بدَّ مع هذا من الإقرار والاعتراف لك يا إلهي بأنك لن تنافس أو تبارى في شهوتك التعذيبية العذابية. !

. . هل التفسير أنهم أي سكان فردوسك سيجدون كل السعادة والفرح واللذة في تعذيب أقربيهم كما تجد أنت يا إلهي كل ذلك في تعذيب وتشويه وترويع وتحطيم وقتل أبنائك البشر. . أقرب الأقربين إليك؟

ولا بدَّ من الإقرار والإعلان مرة أخرى أنك لن تبارى في شهوة التعذيب فيك. !

نعم، لعلك يا إلهي لم تنسَ أني قد قلت لك فيما سبق أن البشر بل وجميع المخلوقات هم أبناؤك، أبناء إرادتك وتدبيرك وتخطيطك وحكمتك وأخلاقك وضميرك وتفكيرك ويديك وعينيك وأذنيك وكل شيء فيك. . !. إنك يا إلهي الأب والأم الوحيدان الدائمان القانونيان الشرعيان الشاملان لكل شيء وكل أحد بلا اختلاف مهما اختلف في كل شيء. !

هل يمكن وجود أو حتى تصور أبوة وأمومة مثل أبوتك وأمومتك ولكل شيء وكل أحد، أو بنوة مثل بنوة كل أحد وشيء لك يا إلهي؟ إن كل أبوة وأمومة هما أبوة وأمومة جزئية ووقتية وأحياناً اضطرارية وظاهرية إلاّ أبوتك وأمومتك يا إلهي لكل شيء وكل أحد فإنهما شاملتان ومطلقتان وكونيتان مدبرتان ومرادتان وشرعيتان مهما كان قبحهما ووقاحتهما. !

. . إذن لو أن جميع الأشرار المتحولة كل شرورهم إلى عدوان على الأقربين إليهم تجمعوا في شرير واحد فهل يستطيع أو يجرؤ هذا الشرير الواحد على مباراتك أو منافستك في عدوانك على ابنك الإنسان أو على ابنك الذباب أو الصرصار أو على ابنتك القملة أو النملة أو البعوضة أو الجرثومة المرضية؟

إن كل هوان أو عذاب يصيب الذباب فلن يكون إلاّ طعناً وقبحاً في حنان أبوتك يا إلهي؟

. . وكم أرجو ألا ينكر أي مؤمن بك أو مدافع عنك يا إلهي أن جميع هذه الكائنات التي يسميها حشرات مبالغة في تحقيرها وتصغيرها وذمها وفي إرادته التكبر والتفوق عليها هي أبناؤك وبناتك الأعزاء. !

. . نعم، كم أرجو ألاّ ينكر المؤمن بك والمدافع عنك يا إلهي أبوتك وأمومتك لهذه الكائنات والحشرات أو بنوتها لك لأن إنكاره لذلك لو أنكره يلقي به بل وبك في أردأ وأصعب الورطات. انظر يا إلهي كم أنا مريض بشهوة الدفاع عنك حتى لأخشى عليك من الورطات. !. وهل أنت إلاّ ورطات، إلاّ كل الورطات؟

إن هذه الكائنات أي الحشرات إن لم تكن بنات وأبناء شرعيين للإله أي لإرادته وحكمته وتدبيره واختياره ورضاه وتنفيذه ويديه وعينيه ولكل تفاسيره ومعانيه، فلا بدَّ أن تكون بنات وأبناء وُلِدوا في بيته، في غرفة نومه، فوق سريره دون أن يعلم بهم أو يريدهم أو يفعلهم أو حتى يدري بهم أو أن يكونوا منه أو أن تكون له بهم أية علاقة. . !

وهل وجد سرير غير سريرك يا إلهي وُلِد فوقه كل ولادات السفاح؟

إذن أي التفسيرين أو القولين أقسى هجاء وذماً وتحقيراً أو فضحاً لك يا إلهي المحكوم عليه أبداً بأن يكون شيئاً رديئاً وبليداً أو أن يكون أردأ الأشياء وأبلدها. . المحكوم عليه أبداً بأن يكون بعض الرداءة والسوء والبلادة والافتضاح أو كل ذلك. !

أجل يا إلهي المستحق لكل الرثاء وأيضاً لكل الغضب والعقاب. !. .

إن هذه الكائنات المسماة حشرات وغير حشرات وأقبح وأوقح وأردأ من كل

الحشرات لا بدَّ أن تكون بناتك وأبناءك الشرعيين أو أن تكون بنات وأبناء مدسوسين مندسين في سريرك وعلى سريرك في غرفة نومك دون أن تريد أو تدري لتحمي شرفك وعرضك وسريرك من المندسين والمدسوسين. إنها لا بدَّ أن تكون ولادة إرادتك وحكمتك ومحبتك وتخطيطك أو عدواناً وكذباً على كل معانيك وتفاسيرك وأخلاقك. !

.. ولعل الدس على السرير وفي السرير هو أقبح وأشهر وأوسع أنواع الدس ولكن ألا يمكن أن يكون ولو أحياناً هو أنفع وأفضل أنواع الدس؟

ولعل الدس والاندساس على كل السرر وفي كل السرر لن يكون شيئاً لو حوسب بالدس والاندساس على سريرك وفي سريرك يا إلهي. !. أليست كل السرر هي أجزاء وأشلاء في سريرك يا إلهي؟

.. أليس سريرك يا إلهي هو وحده السرير الذي ألقي ويلقى فوقه بكل الأبناء حتى أبناء القردة والخنازير والقمل والذباب وكل الحشرات مزعومين أبناء لك شرعيين؟

.. ولكن أيهما لوث ويلوث واعتدي ويعتدى عليه أكثر وأقبح وأفجع: سريرك أم عرشك؟

إن كل الأوحال والآثام والأخطاء والخطايا التي كانت قد ألقيت على سريرك يا إلهي وعرشك. ولكن أيهما قد تفوق على الآخر في استقبال ذلك وفي التفاهم والتعامل والتعايش معه أي سريرك أم عرشك؟

إن كل السرر والعروش مهما كان عفنها وقبحها وفحشها وفجورها لا بدَّ أن ترى وتحسب كل تفاسير الطهارة والجمال والتهذيب والبراءة والتقوى محاسبة ومفسرة بسريرك وعرشك يا إلهي. إن كل ولادة وكينونة إنما ولدت وتكوّنت فوق سريرك ومن سريرك وإن كل جالس وباصق ومستفرغ فوق كل عرش وعلى أي عرش إنما هو جالس وباصق ومستفرغ فوق عرشك وعلى عرشك بل ومن عرشك. إن عرشك وسريرك يا إلهي هما الباصقان المستفرغان لكل الولادات والكينونات.. لكل البصاق والاستفراغ.

.. إذن هل يوجد يا إلهي مثل عرشك وسريرك عفونة وقبحاً ونذالة وهواناً ومستقراً لذلك ومصدراً له؟

.. إذن يا إلهي أي القبحين أو الافتضاحين أو العذابين تختار ليكون أقل تعذيباً وإيذاء وتشويهاً وتحقيراً واتهاماً وهجاء لك يا إلهي الذي لا براءة أو تبرئة له من أن يكون

كل القبح والتشوه وموزعهما، وكل العذاب والتعذيب والذام اللاعن والمذموم الملعون، وكل العصاة والمعصي والعصيان، وكل المتهمين والمتهم والاتهام وكل الجناة والمعاقبين والعقاب، وكل القضاء والمحاكمين والمحكوم عليهم.

ـ نعم، يا إلهي الذي لا تستطاع تبرئته أو براءته من كل ذلك أو من بعض ذلك أو من أي قبح أو ذنب إلاّ ببراءته وتبرئته من أن يكون موجوداً ومن أنه قد كان موجوداً.

ـ نعم، يا إلهي الذي كل قبحه وهوانه وأخطائه وخطاياه ونذالاته في وجوده، وكل براءته ونظافته وشهامته وكرامته وتقواه في فقده، في فقده لوجوده.

ـ نعم، يا إلهي الذي لا يستطيع أن يغتسل أو يتنظف أو يتطهر من أردانه وآثامه ودماماته إلاّ بقتله أي إلاّ بقتل وجوده بل الذي لا يمكن تصوّر شيء من ذلك له إلاّ بهذا القتل لوجوده.

ـ نعم يا إلهي الذي لم يفضحه ولا يفضحه ولن يفضحه أو يحقره أو يتهمه أو يشتمه أو يهجوه أو يؤذيه أو يعاقبه بأقسى وأنذل وأجهل وأبلد الأساليب والتفاسير مثل أو غير من يزعمون بل ويعتقدون أنهم بذلك يهبون ويصنعون لقلبه وضميره وعينيه وأذنيه وكبريائه كل الفرح والسعادة والحب والابتسام والمجد والجمال والكرامة والتفوق وكل الانتصارات بل ويصبون ويستفرغون على عرشه وسريره ومضجعه وثيابه وفي أنفه أغلى وأقوى العطور.

ـ نعم، يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد من يشتم ويهجو ويؤذي ويفضح ويحقر نفسه زاعماً معلناً أنه بذلك يكرمها ويمجدها ويمتدحها ويتملقها مثلك أو غيرك.

ـ نعم، يا إلهي الذي لم يقاس جميع أنبيائه وملائكته وأصدقائه وأوليائه وأنصاره شيئاً مما قاسيت أنا من العذاب والترويع والإحراج والاستحياء والاشمئزاز غيرة عليه أي عليك يا إلهي وغضباً له ونضالاً عنه وانفجاعاً به وتحديقاً فيه وحزناً وحسرة عليه كلما رأيته أو قرأته أو تمنيت له أو اشترطت عليه أو حاسبته أو حاكمته، وعجزاً عن تفسيره وفهمه وعن الغفران له والدفاع عنه وعن محاولة الستر عليه أي عليك يا إلهي بإلقاء كل العباءات والعمائم واللحى والخيام والجلابيب بل وكل أستار وأحجار الكعبة وكل الأضرحة والمعابد والمصاحف فوق جسده، فوق عوراته وفضائحه أي فوق جسدك وعوراتك وفضائحك يا إلهي الذي لا تستطيع كل الأشياء أن تغطي شيئاً من عرية وتشوهاته وحماقاته وذنوبه.

ـ نعم، يا إلهي الذي لم يتعذب أحد شيئاً من عذابي بتحديقي فيك وقراءتي لك

لأجد فيك أي شيء لا يتحول إلى أقسى هجاء لكل تفاسير ونماذج وشروط الجمال والذكاء والعقل والوقار والحب والرحمة والحكمة والمنطق في صدقه ورؤيته.

.. وهنا لا بدَّ أن يتفجر سؤال لا بدَّ أن يغرق كل التفاسير والمفسرين.

.. هذا السؤال المغرق سيقول:

لقد كان الأنبياء وكل الأولياء والقديسين والمؤمنين يعلمون أي في الحياة الأولى ويبلغون ويروون عن إلههم الحبيب المحبوب الرؤوف الرحمن الرحيم الحيي المهذب الكريم الشهم..

ـ نعم، كانوا يعلمون ويبلغون عن إلههم هذا أنهم هم وكل من أطاعوهم واتبعوهم سيدخلون الفردوس، وأن كل من عصوهم من آبائهم وأبنائهم والأقربين إليهم ومن كل الجن والناس سيكون مأواهم الجحيم الأبدي بلا إنقاذ أو نقيض أو تراجع أو شفاعة.. بل وكانوا أي هؤلاء الأنبياء والأولياء والمؤمنون يعلنون ويعلمون بالتحديد أن هذا الوالد أو الوالدة أو الابن أو الزوجة أو هذا القريب جداً لهذا النبي أو الولي أو القديس سيكون من المخلدين في الجحيم. وقد يكون المعلم المعلن هو الوالد أو الابن أو الزوج أو القريب لهذا الذي لا بدَّ أن يخلد في الجحيم..!

وكان يعلن ويعلم ذلك دون أن يغطي وجهه أو يغض من صوته لئلا تراه أو تسمعه الحشرات.!

.. لقد كانوا أي الأنبياء والأولياء والقديسون والمؤمنون جداً يعلمون ويبلغون ويعلنون ذلك بكل السعادة والفرح والرضا والتقبل والتأييد والإيمان برحمة وحكمة وشهامة وعدالة وحب وتقوى من يعلمون ويبلغون عنه أي عمن سوف يخلد آباءهم وأبناءهم أو أمهاتهم أو أزواجهن أو زوجاتهم في عذاب الجحيم بينما بعضهم هم في حجور ومضاجع وملاهي الغلمان والحوريات سكارى، سكارى من الشراب والجنس والكسل والتدليل والتبلد.!

واعذاباه.. واعاراه.. وأفضيحتاه.!

هل حدث هذا؟ هل حدث؟ ليتني أعجز عن التصديق بأن هذا قد حدث. ليت يدي الإله الذي أراد وفعل هذا لم تلمساني زاعمتين أنهما تكرماني بخلقهما لي. ليت أحداً من الأنبياء لم يأتِ إن كان هذا معنى الأنبياء!

.. ليتني أعجز عن التصديق بأن نبياً أو قديساً أو أي إنسان عظيم أو حتى عادي أو أقل من العادي قد يذهب يعلم ويعلن بجهر وسرور وكبرياء ونذالة وتقوى وتمجيد لإلهه

بأنه هو سيذهب إلى الفردوس لينبطح وينطرح ويستلقي في أحضان وعلى أذرع وأرداف الحوريات والغلمان بينما أبوه أو أمه أو ابنه أو قريبة أو أي كائن آخر قد ألقي به في الجحيم، في الجحيم الذي ذهب هو وإلهه وزبانية إلهه يتصورون ويدبرون ويصنعون أوصافه وعذابه حتى لتذعر وتتوقر وتستحيي كل الأبالسة بل وتعجز عن تصور أو قراءة أوصافه وأوصاف عذابه!

. . نعم، ليتني أعجز عن تصديق ذلك. . كم في التصديق أحياناً من التعذيب والتشويه، وكم في التكذيب أي في العجز عن التصديق من الرفق والتخفيف والتأميل والتجميل والعزاء أي ولو أحياناً. !

إن التصديق أحياناً لن يكون إلاّ تعبيراً عن قسوة أو بلادة أو نذالة المصدق. !

. . كيف قبلوا أي الأنبياء والمؤمنون أن يعلموا ويعلنوا ذلك؟ بل كيف قبلوه أو غفروه أو قبلوا أو استطاعوا الاستماع إليه؟

كيف لم يصابوا أو حتى يتظاهروا بالخرس والصمم لئلا يسمعوه أو يتحدثوا عنه أو ينطقوا به؟

كيف لم يعلنوا كل أساليب وتفاسير الغضب والاستنكار والرفض والإضراب والعصيان بل والثورة، الثورة على من أراد ودبر وخطط ورضي وطلب وشرع ونفذ ذلك أي عليك يا إلهي؟

حتى النصيحة. كيف لم ينصحوك ويعظوك ويعلموك كم في هذا من البشاعة والفظاظة وفقدان الذوق والذكاء؟

كيف لم يصرخوا في وجهك يا إلهي قائلين:

قمة الوقاحة والنذالة والوحشية والغباء أن تريد أو تدبر أو تشرع أو تفعل أنت هذا أو أن نقبل أو نغفر نحن لك هذا. تعلم شيئاً من التهذيب والحياء وشهامة العواطف، تعلم. .

. . وقائلين أيضاً لعلك لا تعرف عواطف القرابة ولا تدري أن للقرابة عواطف لأنك أنت مبتوت شاذ ليست لك أية قرابة، لا جذور ولا فروع لك، فأنت الجد والأب والابن. . أنت الديك والدجاجة والبيضة والفرخ. . لهذا لم تجرب أو تذق معنى القرابة وعواطفها لهذا لم تعرف. . ! . . وهل يمكن أن تعرف أو ينتظر منك أن تعرف؟

وهل يستطيع الإله أن يعرف مهما عرف العاجزون عن أن يعرفوا؟

. . وقائلين كذلك أي لك يا إلهي: من المحتمل كثيراً أنك محكوم برغبة الانتقام

من القرابة وعواطفها ثأراً لحرمانك من ذلك وتعويضاً عليه وعنه. وهل وجد أو يمكن أن يوجد محكوم برغبة الانتقام والأخذ بالثأر مثلك؟

.. لعلك تجد لذة أو راحة أو عزاء في تعذيب ذوي الأقرباء بقرابتهم لأنك أنت لست ذا قرباء بل إنك لتجد حتماً هذه اللذة والراحة والعزاء؟

أجل، يا إلهي كيف لم يكن كل هذا بعض ما كان يجب وينتظر أن يقولوه لك؟ هل جهلوا أم جبنوا أم كسلوا؟ هل قالوا لك ذلك دون أن ندري لأنك أنت أخفيت وهم أخفوا؟

هل التفسير أنك قد خدرت وأخمدت وأفسدت بل وقتلت في الأنبياء والقديسين وكل المؤمنين بك كل تفاسيرهم وعواطفهم ومعانيهم الإنسانية الجيدة بإيمانهم بك وتعاملهم معك وعبادتهم وصلواتهم لك وبتفكيرهم فيك وبحلولك في ذواتهم وبانتمائهم إليك؟ هل النبي والقديس بل وكل كائن يفقد معانيه بقدر ما تكون فيه معانيك؟

هل كل معانيك أو أقوى معانيك يا إلهي أن تقتل في الإنسان كل معانيه؟

.. هل هذا هو التفسير لكون البشر جميعاً ظلوا عاجزين عن معايشة ومعاملة كل معانيك مهما عاملوها وعايشوها إيماناً وتعليماً وخطباً؟

هل أنانيتك يا إلهي تحكم عليك بأن تقتل في كل من يؤمنون بك ويتعاملون معك كل معانيهم لئلا تنافس معانيك أو لأن معانيك تغار من معانيهم ولا تستطيع مجاورتها أو مساكنتها أو مواجهتها لأنها تخشى جداً إلى حد الموت والجنون من محاورتها لأن أي معنى من معانيك لن يحيا لو حاور. إن معانيك ظلت حية لأنها تأمر وتعلم فقط ولو حاورت لماتت.!

.. هل هذا هو التفسير لفقدان الأنبياء والقديسين وكل المؤمنين بل لكل معانيهم الإنسانية والعاطفية حتى لعواطف القرابة، لعواطف الأبوة والبنوة والأمومة..

هذا الفقدان الذي عبّر عنه أقسى وأوقح وأنذل تعبير تقبلهم بل ورضاهم وفرحهم وسعادتهم أن تلقي بأقرب الناس إليهم في عذاب الجحيم وتزفهم إلى الفردوس ليظلوا سكارى بين أرداف الحوريات وكؤوس الولدان المخلدين المغطاة المثقلة آذانهم ورقابهم وأيديهم وأرجلهم وعيونهم وجباههم وأردافهم وخواصرهم بكل حلى وحلل وأصباغ وعطور وكحل الجنس والخنوثة والأنوثة؟ هل التفسير الشامل لك أنك يا إلهي تقتل عيون وقلوب وعقول وضمائر وعواطف وأخلاق من يؤمنون بك ويتعاملون معك بقدر ما يؤمنون ويتعاملون؟

إني لمحكوم عليَّ والحاكم علي هو ذاتي وعنف تفكيري فيك واهتمامي بك وقسوة وديمومة تحديقي في أخطائك وخطاياك يا إلهي الذي أريد وأطالب له أفضل وأنبل وأذكى وأتقى مما يريد ويطالب به لنفسه لأني صديق لك يا إلهي أكثر من صداقتك لنفسك أي لأني أعلم ما يجب وينبغي لك وعليك أكثر مما أنت ذلك.

ـ نعم، إني لمحكوم عليَّ بأن أكرر عليك هذا التصور أو التساؤل:

لو أن أنذل وأقسى وأفجر وأردأ كائن أو إنسان عرض طاغية قوي جداً بل مطلق القوة عليه أن يضعه ويحكمه في أعلى وأقوى منصب أو مكان فيه كل السلطان والمجد والجمال والفرح واللذة والسعادة والربح ولكن هذا الطاغية القوي العارض الواهب قد أراد ودبر وخطط متعمداً وقاصداً أن يلقي بوالد أو ابن أو أم هذا المعروض عليه ـ كل هذه المغانم ـ أن يلقي به إلى الأخطاء والخطايا والفضائح والمهالك ليعذبه ويسقطه ويهلكه ويفضحه بل ونفذ هذا الذي أراد ودبر وخطط متعمداً قاصداً وهو يستطيع ويعرف ألا يفعل ذلك بل وأن يفعل النقيض، فهل يمكن أن يقبل أو يرضى أو يغفر هذا المعروض عليه هذا العرض أي مهما كانت نذالة ووقاحة وقسوة وسقوط هذا الذي عرض عليه ذلك؟

ولو أنه قَبِلَ هذا العرض فهل يمكن أن يكون سعيداً أو راضياً أو محباً أو محترماً لهذا الطاغية أو مريداً له القوة أو المجد أو البقاء؟

بل أليس محتوماً أن يعاديه ويمقته من كل داخله وأن يحاول أن يوقع به الهزائم والهوان والشقاء؟ هل يحتمل أن يكون له نبياً أو داعية أو معلماً أو مبشراً بألوهيته أو عبقريته أو بالإيمان به؟

إن هذا المعروض عليه مهما كانت جهالته وسفاهته ونذالته وكفرانه وعقوقه لن يهبط إلى حضيض النبي أي نبي ـ إلى حضيض النبي الذي يذهب بكل الإيمان والهوان والجبن ليصنع كل المجد والتمجيد والحب والجمال والذكاء والرحمة والحكمة والسلطان والفرح والسعادة والقوة والانتصار للإله الذي أراد ودبر وخطط وأحب من البدء بكل المكر والخبث والتآمر مع الأبالسة بل ومع الملائكة ومع كل شيء وكل أحد لكي يسوق ويقود والدة أو والد أو ابن ذلك النبي إلى كل أسباب وسبل الجحيم لكي يلقي به في الجحيم.!

هل يوجد متآمر مع الأبالسة ومع كل الأشرار لإضلال الإنسان وإفساده وإغوائه مثل الإله أعني غير الإله؟

هل وجد معترف بذلك ضد نفسه بكل البلادة والوقاحة مثل الإله أو غير الإله؟ بل هل وجد مفاخر بذلك وبفعله لذلك غيرك أو مثلك يا إلهي؟

* * *

هل يوجد مثلي إرهاقاً وإحراجاً وتعذيباً والتزاماً؟

هل أنا غلطة أليمة لا يمكن تكرارها؟

.. إني محكوم عليَّ بأن أجد كل التفاسير وأجمل التفاسير لكل ما لن يوجد له أي تفسير، أي إني محكوم عليَّ بأن أحاول ذلك.!

إن الحاكم عليَّ بذلك حاكم لا يتراجع عن حكمه. إنه حكم ذاتي على ذاتي.!

.. إني محكوم عليَّ بأن أجد أو بأن أحاول أن أجد كل التفاسير الجميلة الذكية التقية المنطقية الإنسانية بل الإلهية لكل أخطاء وآثام وبلادات وجهالات وتشوهات وعاهات وآلام وضياع وعبث وبله وجنون كل شيء في هذا الوجود ـ أي محكوم عليَّ بأن أجد أعني بأن أحاول أن أجد هذه التفاسير لكل ما تريد وتدبر وتخطط وتفعل يا إلهي.!

إذن هل يوجد من حكم عليه بالعجز والهزيمة والبلادة والافتضاح وبمحاورة المحال وبالتعامل معه وبه مثلي أو غيري؟

من خصني بهذه الوحشية أي بوحشية ذاتي ضد ذاتي وعلى ذاتي؟

.. إن الآخرين مستريحون ومتلائمون جداً.. إنهم لا يحاورون أي شيء باحثين له عن أي تفسير أو منطق.. إنهم لا يرون أن الشيء شيء وتفسير ومنطق أو أن الشيء يجب أن يكون له تفسير ومنطق لكي يكون مقبولاً ومعقولاً وجميلاً وفنياً وإبداعياً وأخلاقياً..

إنهم يرون أن الشيء أي وجود الشيء هو كل منطقه وتفاسيره.!

إن الشيء أو وجود الشيء في إيمانهم وحسابهم وتفكيرهم يساوي تفسير الشيء ومنطقه بل يساوي كل منطق الإله وتفاسيره وأخلاقه.!

.. لهذا فإنهم لا يبحثون أو يسألون عن أي تفسير أو منطق لأي شيء، لوجود أي شيء، لوجود الحشرة أو العاهة أو جرثومة المرض أو الشيخوخة أو الموت أو لوجود الإله أو الإنسان أو أي شيء.!

هل يوجد متلائمون مع كل القبح والبلادات والوقاحات والآثام مثل من يؤمنون

بالإله دون أن يتعذبوا كل العذاب بحثاً عن تفسير ومنطق وجوده كما وجد وكما يتصرف؟

أليس الذين يقبلون وجود الإله ويمجدون وجوده بلا أية محاسبة أو محاكمة أو مساءلة عن أي تفسير أو منطق إنما يعني ذلك منهم أن يقبلوا ويمجدوا وجود الذباب والصرصار والبعوضة والبرغوث والعاهة والدمامة وكل شيء وكل قبح وألم وعبث بلا أي سؤال أو بحث عن أي تفسير أو منطق بل يعني أن يمجدوا ويقبلوا وجود ذلك بل يعني أن يركعوا ويصلوا لكل ذلك؟ أليس الذين يصلون لمريد ومدبر ومخطط وخالق الذباب إنما يصلون للذباب؟!

نعم، إن الذي يؤمن بالإله وبحكمته ورحمته ويصلي له إعجاباً بجماله وكماله وعبقريته وإنسانيته وألوهيته لا بدَّ أن يفعل كل ذلك للذباب والصرصار والقملة والنملة ولكل شيء وإلاّ كان خارجاً على الإله شاتماً هاجياً رافضاً له بل وإلاّ كان كاذباً في زعمه أنه مؤمن بالإله وبأنه يراه كل الجمال والكمال. !

.. إن من يقول إن الإله هو الجمال والذكاء والكمال والعقل والحب والرحمة والحكمة يجب أن يقول أو لا بدَّ أن يقول إن الذباب والصرصار والنملة والقملة والدمامة والعاهة والبله والجنون هو كل ذلك أي هو كل الجمال والكمال والذكاء والعقل والحب والرحمة والحكمة وإلاّ كان كافراً. نعم، وإلاّ كان كافراً. إن من آمن بالإله وكفر بالذباب الذي خلقته إرادة الإله وتدبيره وتخطيطه وشهوته فلا بدَّ أن يكون كافراً. !

.. إن من اعتقد أو قال إن في هذا الوجود أو في أي وجود شيئاً ليس هو كل الجمال والكمال والحب والرحمة والحكمة والعقل والمنطق فلن يكون إلاّ زنديقاً، زنديقاً. .

إذن أليس كل البشر حتى الأنبياء، حتى النبي محمد زنادقة دون أن يدروا أو دون أن يجرؤوا على الاعتراف بذلك؟ أليس النبي الذي يقتل أو يشتم أو يحتقر الذباب أو أي شيء إنما يفعل ذلك بمنطق الإله وأخلاقه وحكمته؟ فهل يعرف ذلك؟

.. نعم، أليس الأنبياء والقديسون والمؤمنون جداً هم أحوج الناس إلى أن يكذبوا وينافقوا ويزوروا وإلى أن يكفروا أو يشوهوا ويلعنوا إيمانهم وتعاليمهم بكل الأساليب وأبلدها؟

.. أليس من حوَّل السلطان القوي جداً والطاغية المتأله المغرور الأناني جداً هم أحوج الناس إلى الكذب والنفاق والهوان والتزوير والاعتداء على كل القيم؟

أليس دعاة ومداحو أطغى الطغاة وأقواهم وأكثرهم أنانية وغروراً وتألهاً وكذا المتحدثون عنهم والمتحدثون إليهم هم أكذب الناس وأرخصهم وأهونهم وأجبنهم؟

لهذا أليس المتحدثون عن الإله وإليه ومعه والمعلمون المعلنون عنه المداحون القارئون المفسرون له من أنبياء وأولياء وفقهاء لا بدَّ أن يكونوا هم أكذب وأرخص وأهون وأجبن من كل أعوان وجنود كل الطغاة الجهلاء الأنذال؟

. . إنها لحقيقة يجب ألا تخفى على أحد ولكن كم هم الذين لم تخف عليهم؟ كم هم الذين يرون ما لا يستطاع العجز عن رؤيته؟

كم هم الذين يستطيعون أن يروا شيئاً من الدمامات والوقاحات التي تملأ بيوتهم ومعابدهم وطرقهم وأرضهم وسماواتهم وتتفجر أبداً، أبداً في عيونهم. . من الدمامات والوقاحات والتشوهات التي تغطي كل وجه الإله وجلده وثيابه وعرشه وأخلاقه وضميره ومعابده وأنبيائه ونبواته وكعباته؟

إن الأنبياء والمؤمنين جداً كانوا يستطيعون أن يروا ما لا يستطاع العجز عن رؤيته لما استطاعوا أن يروا وجه الإله أو أي شيء من ذاته لكثافة الدمامات والخطايا المغطية لكل شيء فيه. !

آه. ما أقسى عذاب من حكم عليه بأن يحاور ويسائل كل أحد وكل شيء حتى الإله، وأن يحاكم ويفسر كل شيء وكل أحد بالمنطق والأخلاق وبالحافز والغاية حتى الإله. . !

لهذا ما أقسى عذابي. . ما أقساه. !

ما أقسى عذاب وهزيمة وحيرة وفجيعة من يسأل مصراً ليجد أي تفسير أو منطق لأي شيء أو لكل الأشياء، لوجودها وكينوناتها كما وجدت وكانت، وكيف كانت، ولماذا كانت، ولماذا كانت بهذه الصيغة والأوصاف والظروف دون الصيغ والأوصاف والظروف الأخرى. . ومن أراد لها أن تكون. . وكيف، ولماذا استجابت لإرادته، أو كيف استطاعت إرادته أن تخضعها، ولماذا أرادها هذا المريد كما أرادها أي كما جاءت. . لماذا لم تجئ إرادته لها بأسلوب آخر، ومن وضع في هذا المريد إرادته ولماذا خضع لإرادته. هل حاسب وفسّر واحترم إرادته قبل أن يستجيب ويخضع لها. . وهل آمن واقتنع بإرادته أم هزم أمامها. وكيف تجيء الإرادة، ومن أين تجيء، ولماذا تجيء، ومتى تجيء، وكيف تجيء، ومن أراد أو يريد لها أن تجيء. .؟!

. . إن أصعب أو أقبح أو أفجع ما في التساؤلات أنها لا علاج أو حل أو جواب

لها. إن كل جواب التساؤلات في ألا توجد، في ألا تكون هناك تساؤلات ولا متسائلون أو سائلون.!

.. إن كل شيء أو كل الأشياء: إما لا سؤال وإما لا جواب لأن كل جواب لن يكون إلاّ تفجيراً وإطلاقاً لأسئلة لا نهاية لها. إن الجواب لا يحل ولكن يعقد. إنه لا يجيب ولكنه يسأل.!

إنه لا جواب إلاّ حيث أو حين لا يكون سؤال.!

إنه لو وجد جواب أو تفسير للجزء لما وجد جواب أو تفسير للكل. إنه لو وجد تفسير لمجيء البيضة أو الثمرة لما وجد تفسير لمجيء الدجاجة أو الشجرة.!

.. لننظر في هذا النموذج أو المثل أو السؤال:

ماذا لو أنها وجدت كل التفاسير وكل شهادات المنطق وأذكى التفاسير وأقوى شهادات المنطق بل وكل شهادات المنطق لتعلن أن وجود الصرصار أو البرغوث كما وجد ودبر وخطط وأريد وخلق وكما كان وعاش ومرض ومات وحارب وحورب هو كل المنطق والتفاسير العقلية والأخلاقية والفنية الإبداعية التي لا يستطاع ولا يعرف ولا يقبل أو يغفر غيرها.. التي لا يستطيع الإله نفس الإله أن يقبل أو يفهم أو يرضى غيرها؟

.. ماذا لو أن ذلك حدث؟

هل يمكن حينئذ أن يوجد أي تفسير أو منطق أو غفران أو تسويغ لوجود الإله كما وجد وكما كان وعاش وعايش وواجه وعامل وأراد ودبر وخطط وصاغ وأخرج نفسه وذاته ووجوده وحياته وكينونته وصفاته وكل شيء وكل أحد كما حدث وفعل وكما عصى وهزم وتعذب واحتقر وكذب عليه وكذب به؟

هل وجد الإله بالإرادة والتدبير والمنطق والمصلحة أم بالضرورة والاضطرار أم بالآلية؟

هل وجد لأنه يجب أن يوجد أم لأنه لا بدَّ أن يوجد أي أم لأنه محكوم عليه أن يوجد؟

هل أراد وجوده أم أريد له وجوده أم جاء وجوده بلا أية إرادة لاإرادية ولا إرادة أي مريد آخر؟. هل وجد ليوجد غيره، ولماذا يريد أن يوجد غيره؟ من ألزمه بذلك ولماذا؟

.. هل يمكن أن يوجد أي جواب عن أي سؤال من هذه الأسئلة أو أي تفسير أو منطق لذلك أو لأي شيء من ذلك؟

ماذا لو أن الإله نفسه سأل نفسه عن ذلك؟

هل يستطيع أن يجد جواباً أو تفسيراً؟ هل سأل نفسه؟

لماذا لم يسأل نفسه؟ إنها لقضية حزينة ومحيرة ومخجلة. !

.. إذن أليست كل الأجوبة في ألا تكون أسئلة، وكل المنطق والتفاسير في ألا يكون بحث عن المنطق والتفاسير أو مطالبة بذلك أو انتظار أو اشتراط لذلك بل أو فهم لذلك؟

إنه لن يجد جواباً عن أي شيء أو يقتنع به إلاّ العاجز عن السؤال أي إلاّ الفاقد لموهبة السؤال.. إنه لن يجد أو يرضى أي جواب إلاّ من لا يستطيع أن يسأل أي سؤال.

.. إنه لو كان لكل شيء كل المنطق وكل التفسير لما كان لأي منطق أو تفسير أي شيء من المنطق والتفسير. !

إن كل منطق ليس له منطق وكل تفسير ليس له تفسير، كما أن كل ولادة ليس لها منطق أو تفسير مهما كان لها والد ووالدة أي كما أن كل منطق وتفسير الولادة هما نفس الولادة وكما أن كل منطق الوجود وتفسيره ليسا شيئاً غير وجوده، أي كما أن كل منطق وتفسير وجود الإله هما وجوده بلا منطق أو تفسير بل وضد كل منطق وتفسير.. كما أن وجود أو حدوث المرض والقبح والشيخوخة والموت والبله والبلادة وكل شيء أليم ولئيم ورديء هو كل منطق وتفسير ذلك. !

هل يمكن أن يوجد أي منطق أو تفسير لوجود الإله إلاّ بقدر ما يمكن أن يوجد منطق أو تفسير لوجود المرض أو التشوه أو البله أو البلادة أو الموت أو الشيخوخة أو لوجود الصرصار أو الذباب أو النملة أو القملة؟

إنه ليمكن أن يوجد منطق أو تفسير أو تسويغ أو غفران لوجود الحشرات والآلام والقباحات أكثر مما يمكن أن يوجد شيء من ذلك لوجود الإله، أعني أنه حتى لو كان ممكناً أو يوجد منطق وتفسير وغفران وتسويغ لوجود كل هذه الآفات ولوجود كل شيء لما كان ممكناً أن يوجد شيء من ذلك لوجود الإله. !

هل كان يمكن أن يوجد أي قبح أو ألم أو خروج على أي منطق لو لم يوجد الموجد الأول؟

.. لهذا أي لأنه لا منطق ولا تفسير لوجود الإنسان أو لوجود أي كائن أو شيء

كما هو قبيح وأليم أن يموت بقدر ما هو قبيح وأليم أن يوجد وأن يبقى. ولأنه لا منطق ولا تفسير لأي كائن أو شيء فإن منطق وتفسير مجيئه وبقائه هما منطق وتفسير ذهابه وفنائه. !

إن عدم الشيء أو فناءه لن يكون أكثر خروجاً على المنطق أو على التفاسير من وجوده وبقائه. !

* * *

آه. قلت إني محكوم عليَّ بأن أبحث عن التفاسير وعن المنطق حيث لا يحتمل أن يوجد أي منطق أو تفسير حتى لقد حكم عليَّ بأن أجد تفسيراً أو منطقاً لوجود الإله ولإرادته وتدبيره وخلقه للآلام والدمامات والعاهات والتفاهات والحشرات ولكل شيء حتى لإرادته وصياغته لذاته وكينونته كما أرادهما وصاغهما، حتى لتخطيطه وخلقه وعشقه وإخراجه ومعاملته وصداقته للنبوات والزعامات والقيادات العربية ولفخره بها وإعلانه عن ضخامة مجده بإعلانه عن ضخامة مجدها. . !

ـ أي حكم علي بأن أحاول ذلك أي أحاول أن أجد منطقاً وتفسيراً لذلك. !

كنت قلت إني محكوم عليَّ بأن أبحث عن الجمال في أبشع الدمامات، وعن الحكمة والمنطق في أقبح السفاهات والحماقات، وعن التقوى في أفجر الخطايا والذنوب، وعن النظام والتدبير في أشمل صيغ الفوضى والعبث وبأن أطالب بذلك واشترطه وأجده وإلاّ قاسيت كل العذاب بكل صيغه وتفاسيره. !

. . إذن أيها التفسير، أيها المنطق اغفرا لي محاولاتي البائسة الحزينة البلهاء في إصرارها. .

اغفرا لي عدواني عليكما حيث وحين أحاول أن أجدكما حيث لا يمكن ولا يجوز أن توجدا أو تكونا أو يبحث عنكما. !

اغفرا لي، اغفرا لي. أتضرع إليكما أيها التفسير، أيها المنطق أن تغفرا لي حين أقول لعل من التفاسير لهذه القضية أي قضية تقبل النبي ورضاه بأن يكون هو في الفردوس تحت وفوق وبين أرداف الحوريات تدور عليه غريقاً كؤوس الولدان المخلدين حين يكون أبوه أو ابنه أو أقرب الناس إليه في الجحيم، ورضاه وتقبله بأن يعلن ذلك ويعلمه ويقرأه ويفسره ويسوغه بل ويمجد به إلهه ونبوته ودينه وأخلاقه ورحمته. . !

نعم، حين أقول: لعل من تفاسير ذلك أنه يوجد اتفاق سري بين الأنبياء والمؤمنين

بالإله والإله يعالج أي هذا الاتفاق السري قضية آباء وأبناء وأقارب الأنبياء والمؤمنين الذين أعلن الحكم عليهم بأنهم سوف يكونون من سكان الجحيم. !

ولن يكون مستنكراً أو مستعبداً أو مستغرباً أن يتعامل الإله أو أنبياؤه بالاتفاقات السرية. إن كل البشر يتعاملون بذلك. والبشر هم الذين علموا الإله وصاغوا فيه أخلاقه أو هو الذي علمهم وصاغ لهم وفيهم أخلاقهم من أخلاقه ومنطقه ورغباته هو. . إذن فالبشر لن يكونوا أخلاقياً ومنطقياً وعاطفياً ونفسياً غير الإله. انهم التفسير الأليم القبيح الفاجع لأخلاق الإله ومواهبه وأشواقه وطموحه ولكل تصوراته الفنية والشعرية والجمالية والإبداعية ولرغباته الدعائية والإعلانية الاستعراضية. !

وإذن فالإله لن يكون غير البشر أي بهذه التفاسير. . !

إنهم هم الذين أرادوه وتصوروه وتمنوه وخلقوه وأعلنوه كذلك أو هو الذي أرادهم وأحبهم وعشقهم وتمناهم ونحتهم وصاغهم كذلك. !. إنها لقضية لم يحكم فيها حتى اليوم حكماً ينهي الاختلاف: أيهما صاغ الآخر. . الإله أم الإنسان أم لا صائغ ولا مصوغ. . !

إذن فالبشر هم الإله أي هم صيغة الإله وتفاسيره وتمنياته وعبقرياته فاعلاً لهم أو فاعلين له. !

إنهم ليسوا غيره وليس غيرهم مهما اختلفت أو تعددت الذوات والأسماء والأماكن. .

إن هذا هو الرأي المعروض والمقروء في الأسواق وفوق المنابر. أما الرأي الآخر فهو أنه لا فاعل ولا مفعول هنا. !

وهذا الاتفاق السري المفترض قد يفسر بعديد التفاسير المحتملة كلها ولكن بلا يقين. نعم، إن كل التفاسير بلا يقين ويجب ألا تكون بيقين. !

إن الموقنين في تفاسيرهم ليسوا إلاّ مصابين بالعجز عن حركة الرؤية والفكر والحوار.

. . قد يكون من هذه التفاسير أن الإله قد تعهد وأقسم للأنبياء والمؤمنين بأن جميع أقاربهم وأصدقائهم وأحبائهم لا بدَّ أن يكونوا معهم في الفردوس، في أحضان الحوريات والغلمان، وأن التعليم والإعلان بأنهم سوف يكونون من أهل الجحيم ليس إلاّ دعاية ووعظاً وزجراً وكذباً صالحاً. !

ما أتقى الإله وأنبله لو كان كذبه كذباً صالحاً. وهل يستطيع أي الإله أن يكذب ولو مرة واحدة كذباً صالحاً أو كريماً أو رحيماً أو شريفاً. ؟

إن كل كذب كل الأنذال الأشرار ليعد أتقى وأنبل وأشرف الكذب لو حوسب بكذب الإله بل أو بكذب أنبيائه وأوليائه. !

.. إن كذب الإله وأنبيائه وأعوانه هو الذي يعلم ويلهم كل كذب في العالم والكون. !

.. وقد يكون من التفاسير لهذا الاتفاق السري أن آباء وأبناء وأقرباء الأنبياء والأولياء والأتقياء الذين قيل إنهم سوف يكونون مخلدين في عذاب الجحيم لا بدَّ أن ينقلوا فوراً من الجحيم أو قبل أن يصلوا إليه إلى الفردوس بوسائل وأساليب كثيرة بالاتفاق مع الإله ومع حراس الجحيم والفردوس ومع كل أجهزته وأعوانه. !

من هذه الأساليب والوسائل أن ينقلوا إلى الفردوس حين نقلهم إلى الجحيم مزعوماً أن ذلك قد وقع خطأ. ومن دخل الفردوس ولو خطأ لن يخرج منه!

وقد يكون من هذه الوسائل والأساليب أي المتفق عليها مع الإله أن يخطفوا خطفاً من الجحيم إلى الفردوس بتدبير وتخطيط من آبائهم وأبنائهم وأقربائهم الموجودين في الفردوس وبموافقة حراس الفردوس والجحيم إما بثمن أو تطوعاً ومحاباة أو بانتظار الرشوة والمحاباة كما يفعل كل المتخلقين والمخلوقين بأخلاق الإله ويديه وإرادته وتخطيطه وتصميمه. !

أو بالتسلل والاقتحام والغزو أو بأية حيلة أخرى. !

إن جميع الموظفين قد يخونون وظائفهم فكيف موظفو الإله؟

.. وقد يكون من هذه التفاسير المتفق عليها بين الإله وأقرباء من زعم أنهم سوف يذهبون إلى الجحيم أن سكان الجحيم وحراسه سوف يرفضون أن يكون معهم في الجحيم هؤلاء أي آباء وأبناء وأقرباء الأنبياء والأولياء والأتقياء لأن أخلاقهم ومستوياتهم وعقولهم ومواهبهم أقل وأصغر وأضعف وأعجز من أن يستحقوا بها دخول الجحيم والخلود فيه. !

إن سكان الجحيم لتشترط فيهم أخلاق ومواهب لا تشترط ولا توجد في سكان الفردوس. إن المتمردين المتكبرين على الإله أي بعقولهم وأخلاقهم ورؤاهم ومحاسباتهم واشتراطاتهم الفنية والجمالية.. الصانعين له الغيظ والغضب باشتراطهم عليه وله بأن يكون فنياً ومنطقياً وأخلاقياً وعبقرياً أو حتى حرفياً وصناعياً جيداً،

وبإعلانهم أنهم عجزوا عن أن يجدوه شيئاً من ذلك إلى أن استحقوا التخليد في الجحيم صعب أن يوجدوا في بيوت وأقرباء ومجتمعات الأنبياء والمؤمنين المستحقين للخلود في الفردوس. آه. المتمردون المتكبرون على الإله بعقولهم ورؤاهم وأخلاقهم وشروطهم.. ما أقلهم، أقلهم.!

.. نعم، إنه لصعب أن يوجد المستحقون للتخليد في الجحيم عقاباً لهم على تمرد عقولهم وعلى عنف وكثرة وصعوبة شروطهم العقلية والفنية والأخلاقية على الإله وله.!

نعم، إنه لصعب أن يوجد هؤلاء في كل البيئات أو في أية بيئة فكم إذن يصعب أن يوجدوا في بيئة الأنبياء والأتقياء وبين أقاربهم ومن وحي وصنع بيوتهم ومجتمعاتهم؟

إن هؤلاء يحتاجون إلى عالم آخر لكي يولدوا ويتخلقوا فيه.!

.. أما سكان الفردوس فما أرخص وأصغر وأسهل الثمن الذي جاء الأنبياء والمعلمون الكبار ليعلموه ويعلنوه ثمناً يرضاه ويفرح ويسعد به الإله ويجزي عليه بالتخليد في فردوسه.!

آه ما أبلد وأقسى وأقبح دلالات وتفاسير فرح وسعادة الإله.!

.. إن ثمن الجحيم لأغلى وأذكى وأتقى وأقسى من ثمن الفردوس أعني الثمن الذي يدفعه العقل والرؤية والبسالة والصدق والمحاكمة للأشياء والاشتراط عليها فنياً ومنطقياً وأخلاقياً وجمالياً. هل نستطيع التحديق من ضخامة الفرق أو أن نعني هذا الفرق بين الثمن الذي يدفعه أعظم عبقري لكي يستحق الجحيم والثمن الذي يدفعه أغبى وأصغر درويش لكي يستحق الفردوس!

إذن هل يوجد بل هل يتصور من يستحق العقاب العقلي والفني والمنطقي والأخلاقي والجمالي بل والعقاب الشعري والنفسي والعاطفي مثل من تصور وأراد وعشق وخطط ودبر وصاغ هذا الوجود.. مثل من أنشأ وأثث الجحيم والفردوس وأعد لهما سكانهما مسحوراً مبهوراً عاشقاً مصلياً لنفسه ومواهبه وأخلاقه.. لذكائه وعبقرياتها وجمالها وحكمتها ورحمتها وحبها وكرمها وإنسانيتها..؟ بأي منطق أو أخلاق أو عقل أو عدالة اختار هؤلاء للفردوس وهؤلاء للجحيم وهو المختار الأول المطلق؟

.. إذن هل يمكن أو يوجد أو يتصور ضالون وجاهلون ومسيئون وهمج التصور والتمني والتفكير والأخلاق والعقول والقلوب مثل من تصوروا أو تمنوا أو اختلقوا مثل هذا الكائن أو احتلموا أو اغتلموا به أو بأي شيء فيه ومنه؟

كيف أمكن أن يوجد عاشق أو محب لهذا الكائن أو محتلم به؟

.. إنه لم يوجد ولن يوجد عشق ضال أعمى خائب خاسر مثل العشق المزعوم أو الموجود.. المعلن الناطق أو المستتر الصامت بين الإنسان وصاحب هذا الكون أو المدعي والمعلم بأنه صاحب وعاشق وغازل وناسج هذا الكون..!

إنه لن يوجد عشق نقيض ورفض وتحقير لكل عشق مثل هذا العشق..

هل يوجد حب وإعجاب هما ضد كل الحب والإعجاب وضد كل تفاسيرها بل وقتل لهما مثل الحب والإعجاب المزعومين بين الإنسان والمسؤول عن هذا الوجود وعن كل شيء.. بين الإنسان وبين مريد ومدبر ومخطط وفاعل وصائغ ولادة الإنسان وذاته ومسيرته وشيخوخته وآلامه وأحزانه وأحقاده وعداواته وخصوماته وعاهاته ومجاعاته وضروراته وضعفه وهوانه وهزائمه وانفعالاته وأعضائه وموته، موته ثم تقسيمه له بين جحيمه وفردوسه بلا أي منطق أو تفسير غير إرادته وشهوته وخبطته في الظلام بلا أي رؤية أو دليل أو هدف معروف أو محتمل.!؟

هل يوجد سلام أو معانقة أو مصادقة فيها كل تفاسير ونيات وحالات ومنطق ومعاني كل الحرب والمشاتمة والمقاومة والمخاصمة مثل السلام والمعانقة والمصادقة المعلنة والمعلمة بين الإنسان بل وكل شيء وبين مريد ومدبر وصانع هذا الوجود؟

هل وجد أو هل يمكن أن يوجد كذب مثل الكذب المتبادل والمتعامل أو المتخاطب به بين الإنسان وصاحب هذا الكون؟

هل وجد أو يمكن أو يوجد عاشق ومحب ومادح ممجد عابد لنقيضه ومعذبه وفاضحه ومحقره ومذله بل ولعدوه مثل الإنسان في تعامله مع من زعمه إلهه؟ أليس كل أعداء الإنسان إنما ولدتهم وصاغتهم أخلاق وعداوات وشهوات هذا الإله؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد محقر ومفسد لكل معاني الصداقة والحب وتفاسيرهما مثل الإنسان حينما زعم أنه محب صديق للإله أي لفاعل هذا الكون، وأن الإله أي فاعل هذا الكون هو أعظم وأنبل وأصدق محب وصديق له لكل أحد وشيء حتى للحشرات حتى لمن أراد وأحب لهم وأوقع بهم بدءاً وقصداً وشهوة كل العذاب والهوان والتشويه والتعجيز، أو مثل الإله حينما زعم وأعلن أنه لم يوجد الإنسان أو أي شيء إلاّ لأنه محب صديق لكل أحد ولكل شيء؟

.. إنها لن توجد حرب أو مقاومة أو عداوة أصدق أو أعدل أو أتقى أو أذكى منطقية أو أخلاقية أو إنسانية من الحرب أو العداوة أو المقاومة التي كان يجب أن يوجهها الإنسان بل والذباب والصرصار والبرغوث وكل شيء إلى المسؤول عن أخلاق

ومنطق ووجود هذا الوجود وكل وجود أي لو وجدت هذه الحرب والعداوة والمقاومة التي كان يجب أن تكون أشمل الحروب بل كل الحروب. .

ولكن أليست كل حياة الإنسان. . كل إبداعاته وحضاراته وقفزاته العلمية والفكرية والفعلية هي حرباً شاملة ضد الإله. . ضد حكمته ورحمته وتدبيره وتخططيه وإرادته وفنه؟ إذن أليس الإنسان أعظم محارب للإله مهما جهل ذلك؟

. . والآن بعد هذه الرحلة الطويلة الأليمة البائسة بحثاً عن التفاسير المحابية للإله ولأنبيائه وللمتحدثين المبلغين عنه ألا يمكن أن تفسر هذه القضية تفسيراً يثبت أن هنا قضية تضليل وكذب يصعب أن يوجد لها مثيل أو أن ينفق على أية قضية أو شيء مثلما أنفق عليها أو مثل ما لا يزال ينفق عليها؟ إن أفجع ما في حياة الإنسان: إنه لا يجد حدوداً أو علامات تفصل له بين الصدق والكذب أو بين الهدي والغواية. !

. . آه. إن البشر قد أنفقوا ولا يزالون ينفقون من عقولهم ونضالهم واهتماماتهم وانفعالاتهم وأوقاتهم بل وحروبهم وعداواتهم ومحاوراتهم ودعاياتهم على إفساد وتضليل وخداع العقول والرؤى والأخلاق والنفوس والعلاقات بين الشعوب والأفراد، بل وبين الحياة والتاريخ، وبين التاريخ والإنسان، وبين التاريخ والتاريخ أكثر مما أنفقوا على تصحيح وإصلاح وإرشاد ومداواة ورفض ومقاومة ذلك بل أكثر مما أنفقوا على أي شيء. . أكثر مما أنفقوا على رحلتهم الحضارية والعلمية الطويلة، التي صعدت بهم فوق القمر. !. لقد خسروا في الإنفاق على نبي أو دجال أو درويش واحد أكثر مما خسروا في الإنفاق على نضالهم الذي قفز بهم إلى القمر. !

. . لقد أنفقوا على كذبة أو خدعة واحدة شهيرة كبيرة مما أنفقوا على كل الصدق. لقد أنفقوا على ما يصنع ويضخم ويحرض ويرسخ العداوات والخصومات بينهم أكثر جداً مما أنفقوا على ما يصنع لهم وبينهم وفيهم المحبة والصداقة والسلام والثقة. !

لقد أنفقوا على تعجيز عيونهم عن الرؤية الصحيحة الصادقة الشجاعة أكثر مما أنفقوا على علاج عيون من فقدوا عيونهم. !

لقد أنفقوا على نبي واحد جاء ليعلمهم الحقد والعداوة والبغضاء والبداوة والتعصب والأمية وليحدثهم عن الجحيم والزبانية والأبالسة والجن المختبئين في غرف نومهم وفوق سررهم وفي ملابسهم الداخلية وفي عيون وأحلام أطفالهم.

ـ نعم، لقد أنفقوا على هذا النبي الواحد من الحب والاهتمام والاتباع والإيمان والغيرة والتمجيد ومن تكاليف التحدث عنه والتفسير له والإعلان عن مزاياه ومعجزاته

وخوارقه وتعليمها وحفظها وقراءتها ونشرها وعن عدد زوجاته وجواريه وعن عدد شعرات لحيته وشواربه ولونها وكثافتها أكثر جداً مما أنفقوا على جميع عباقرتهم الذين صنعوا لهم كل حياتهم الجيدة السخية وكل حضاراتهم ومعارفهم. . الذين صنعوا لهم كل شيء حتى حواسهم، حتى عيونهم وآذانهم وقلوبهم وعقولهم وكل أعضائهم، والذين علموهم الحب والتسامح والعدل والمساواة وكل القِيم الأخلاقية والحضارية والإنسانية حتى القِيم اللغوية التعبيرية. . الذين علموهم أن الإنسان يصنع ويتعلم ويحكم في الأرض لا في السماء. !

لقد أنفقوا على الإله تعبداً وصلاة وإيماناً وتعليماً وخوفاً ورجاء وانتظاراً وحروباً ومعابد ومصاحف ودعاية ووعظاً وزجراً وكذباً وخداعاً وتخويفاً وتكذيباً وبلهاً في فترة واحدة قصيرة من فترات التاريخ أكثر مما أنفقوا في كل فترات التاريخ على ضحاياه أي على ضحايا الإله لإنقاذهم أو للتخفيف عنهم من الأمراض والعاهات والآلام والنقائض الهائلة الشاملة التي أوقعها بهم. !. .

. . إن البشر لم يسرفوا في إنفاق معانيهم وأخلاقهم وطاقاتهم على شيء مثلما أسرفوا في إنفاقها على الكذب والجهالات والغوايات والعقائد والتعاليم غير الرائعة أو السعيدة أو حتى المثيرة أو المحترمة أو المتوقرة أو المؤدبة المهذبة الصانعة للأحقاد والعداوات التاريخية الخالدة المقدسة. !

. . أليس في نضال ووظيفة كل نبي وطاغية ومعلم ودين ومذهب ونظام أن يسحب من العقول والقلوب والضمائر والعيون والأخلاق كل تقواها وصدقها وبراءتها ورؤيتها وبسالتها وحرارتها وذكائها لتفقد كل وظائفها الطبيعية المنتظرة لكي يكون الإنسان وكل شيء تفسيراً للنبي أو للطاغية أو للمعلم أو للمذهب أو للدين أو للنظام وعلى مقاسه لا تفسيراً لنفسه ولا على مقاسها. كم فَقَدَ البشر من ذكاء وصدق وصفاء وحب ونضال عقولهم وأخلاقهم ونفوسهم لتعدد واختلاف وتعادي أربابهم وأنبيائهم ومعلميهم وطغاتهم؟

. . إن أبشع وأشهر وأشمل وأوقح اللصوص لعقل الإنسان وذكائه وأخلاقه وبراءته وصفائه وحبه وصدقه وعيونه وضميره هم الأنبياء والمعلمون والقادة والرؤساء والأديان والمذاهب والنظم في كل المجتمعات والأزمات مع التفاوت في الدرجات. !

هل لهؤلاء أو لهذه وظيفة غير سرقة معاني الإنسان وتشويهها والاعتداء عليها؟ لقد سرق نبي واحد من معاني الإنسان ونضاله وطاقاته الفكرية والأخلاقية والنفسية بل

والمادية والمالية ما لا يستطيع جميع اللصوص في كل التاريخ أن يسرقوه أو يسرقوا ما يساويه. !

ليت الإنسان بلا آلهة أو أنبياء أو زعماء أو قادة. إذن لقل وهان لصوصه وأعداؤه. !

.. أعود مرهقاً ومشحوناً بالألم والانفجاع والغثيان النفسي والفكري والأخلاقي مما ألاقي في رحلتي هذه، مما لاقيت ومما لا بدّ أن ألاقي لأقول: ألا يمكن أن يكون تفسير هذه القصية أن الأنبياء وجميع المبلغين عن الإله كانوا يقولون ويعلمون ما يعرفون أنه كذب وخداع إما بالاتفاق مع الإله أو بالاتفاق مع أنفسهم لغرض أو هدف أو نفع تصوروه أو تمنوه أو استبد بهم أي في هذه القضية؟ آه. أيها الكذب والخداع ما أجملكما وأنبلكما وأتقاكما محاسبين بالبديل الآخر أي أحياناً. !

نعم، ألا يمكن أنهم كانوا يعلمون أنه لا وجود للفردوس أو للجحيم وأنه لن يكون لهما وجود، وأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أو يعقلوا أو يقبلوا أن يكون وجود لقبح وفظاعة واستحالة ذلك؟

لهذا قبلوا أن يتحدثوا عنهما وأن يعدوا ويتوعدوا بهما، وأن يقولوا ويُقال لهم وعنهم أنهم هم سوف يكونون من أصحاب الفردوس وأن يكون أهلوهم وأقربوهم من أصحاب الجحيم دون أن يحزنوا أو يقاوموا أو يرفضوا أو يفجعوا أو يغضبوا أو يخجلوا من أن ينطرحوا سكارى فوق أرداف الحوريات وأقربوهم يحترقون في الجحيم؟

أليس تفسيرهم بالكذب هنا أفضل وأتقى وأقل إيذاء لهم من تفسيرهم بالفظاظة والوقاحة والنذالة بل والسفالة؟ أليس الكذب نوعاً من الحب أو الرحمة أو الرثاء أو التمني أو الاحتجاج أو التوقر جاء بأسلوب آخر؟

.. إنه حتماً لشيء جيد جداً أن يكون القائل أو المعلم كاذباً إذا كان البديل أن يكون الفردوس والجحيم موجودين كما وصفا أو أن يكون معتقداً وراضياً بوجودهما مبشراً بهما سعيداً فرحاً مطالباً بأن يكون من سكون أحدهما.. إذا كان البديل عن الكذب أن يكون هو أي المعلم والقائل من أهل الفردوس ويكون أبوه أو أمه أو ابنه أو أقرب أقربائه من أهل الجحيم. !

.. وإنه أيضاً لشيء جيد جداً أن يكون الإله كاذباً وكذباً ويكون المتحدثون عنه كاذبين إذا كان البديل أن يكون أي الإله هو المريد والمخطط والمدبر والمحب والفاعل

لكل ما في الحياة والكون والإنسان والحيوانات والحشرات البريئة من عاهات وتشوهات وآلام وهوان وعبث وظلم وضياع، معلناً ومعلناً عنه أن هذا هو الأفضل والأنفع والأتقى والأعقل والأرحم والأذكى والأشرف والأكرم للإله ولمن فعل به الإله كل ذلك، وإنه أي الإله لا يعرف أو يستطيع أية صيغة أخرى للحياة أو لأي شيء هي خير من ذلك أو أكثر عبقرية أو جمالاً أو إسعاداً مما حدث وفعل.

هل يستطيع أي مؤمن أن يقول إنه يستطيع ويعرف غير ذلك دون أن يقول: إذن لماذا لم يفعل ذلك الذي يستطيعه ويعرفه؟

. . كم هو هجاء للإله والأنبياء أن يكونوا صدقاً وصادقين فيما قالوا وعلموا ووعدوا وتوعدوا. كم هو إهانة لهم. !

وكم هو دفاع عنهم وتنزيه لهم بل ورفق بهم أن يكونوا كاذبين وكذباً. . أي أن يقال إنهم كاذبون وكذب. !

إنه لو كان كل الكذب رديئاً وذميماً لكان كذب الإله والأنبياء في كل ما قالوه هو الجيد الحميد. !

. . الإله في كل ما هو حادث وفي كل ما سوف يحدث قد أراد وأحب وفعل كل ما يستطيع ويعرف وكل ما يراه كل الحكمة والرحمة والخير والمنطق والحب والجمال. . هل يمكن تصور ذم أو تحقير له أي للإله أو لأي كائن مثل هذا الذم والتحقير؟. إنه يعرف ويستطيع ما هو أذكى وأفضل. إذن لماذا لم يفعله؟

إنه إذن لا يعرف ولا يستطيع. !. هل يوجد تفسير آخر؟

. . كيف لم يدرك هذا الأنبياء والمعلمون والمؤمنون؟

هل يوجد غباء يساوي غباء من لا يدركون ذلك؟

هل يصاب الأنبياء والمؤمنون بالإله بنوع فريد من الغباء لا يصاب به سواهم؟

. . إن أي عبقري أو ساذج، تقي أو فاجر لو رأى أو وجد أو عرف قادراً كل القدرة يريد ويخطط ويصنع هذا الكون كما أراده وخططه وصنعه الإله أي كما نراه ونعرفه ونجده ونقاسيه لما وجد أي سلاح يكفي لقتله به ولا أي عقاب أو عذاب يكفي لعقابه وتعذيبه به أي لقتل الإله وعقابه وتعذيبه به؟

هل تستطيع كل الأسلحة وكل وسائل وأساليب التعذيب أن تكون كافية عقاباً وجزاء لمن فعل هذا الكون وكل ما فيه من أخطاء وخطايا ومظالم وذنوب وبلادات وعاهات

وتشوهات وفضائح وهوان وعار وعصيان وخبط أعمى، أعمى.. لمن فعل كل ذلك ويفعله مريداً مدبراً مخططاً محباً عاشقاً لكل ذلك زاعماً أنه يصنع كل الجمال وفنون الإبداع والعبقرية والحب والرحمة والحكمة، مطالباً بالثمن ممن فعل بهم ولهم وفيهم كل ذلك، وملزماً بكبرياء وتدلل بأن يكون الثمن بل بعض الثمن كل ما فيهم.. كل عقولهم وقلوبهم وأخلاقهم وضمائرهم بل وعيونهم وآذانهم وأعضائهم وجبهاتهم وقاماتهم مصلية راكعة ساجدة مؤمنة لمجده مستسلمة باكية أي بأن يفقأ كل عيونهم وعقولهم وضمائرهم وقلوبهم ويصلب كل قاماتهم وهاماتهم وأعضائهم وأخلاقهم صلاة وتعبداً واستسلاماً له وإيماناً به؟

.. إذن هل تستطيع كل الأسلحة وكل أساليب ووسائل التعذيب أن تكفي عقاباً عادلاً للإله واقتصاصاً منه وتأديباً له أي لو وجد المحاكمون المعاقبون؟ وهل يوجدون؟ ومتى يوجدون؟ وأين ومن أين يوجدون إن كانوا سوف أو قد يوجدون؟

وكيف لم يوجدوا؟ لماذا لم يوجدوا؟ كيف أمكن ألا يوجدوا؟

إنه لا يمكن تصور مثل غفلة وبلادة وعجز وهوان هذا الكون ومن فيه من بشر وكائنات أخرى حيث لم يوجد فيه حتى اليوم من يحاكم ويعاقب فاعله وصائغه ومخططه والجالس فوقه بكل البله وبكل الفرح السخيف البليد النذل يوزع على كل من فيه وما فيه العاهات والتشوهات والأمراض والآلام وكل صيغ وألوان العجز والهوان والأحزان والعار والافتضاح..!

.. كائن يظل كل أوقاته يوزع على كل شيء وكل أحد كل هذه الضربات والأنات والآهات بلا حساب أو استحقاق أو توقف أو حتى رؤية أو تعب. يفعل ذلك بكل المرح والفرح والرضا.!

.. هل تعرفون هذا الكائن؟ هل تقبلون أن تعرفوه؟

.. إن كل سكان هذا العالم بل سكان هذا الكون وجميع الأكوان الأخرى لو تحولوا إلى محاكمين وقضاة ومعاقبين لما استطاعوا أن يكفوا ليحاكموا وقاضوا ويعاقبوا مريد ومخطط وفاعل هذا الوجود على ما فعل بل على شيء أو أي شيء مما فعل ويفعل كل أوقاته بلا تراجع أو وقار أو إشفاق أو تقوى.!

إني لا أزال أبحث عن تفاسير لهذه القضية أعني تقبل الأنبياء والمؤمنين لأن يكونوا في الفردوس ويكون الأقربون إليهم في الجحيم.!

لعلي مريض جداً بالبحث عن التفاسير لأني مريض بالبحث عن منطق الأشياء

وبمساءلتها وبالمساءلة عنها، عن أخلاقها وحوافزها وأهدافها ولماذا هي وهل هي هي أم هي غيرها. !

إني مريض بالاشتراط على الأشياء ولها. !

وهل يوجد عذاب كعذاب المريض بهذا المرض المتوحش الذي لا علاج ولا طبيب ولا شفاء له أعني مرض البحث عن التفاسير وعن المنطق والحافز والهدف في كل شيء ولكل شيء مرض التساؤل الدائم الشامل الساخن حيث لا جواب ولا يحتمل أن يكون جواب. ؟

لماذا مرضت بهذا المرض؟ لماذا لا أجد مثلي مرضى بهذا المرض؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد مرض واحد معيّن قبيح وقح لا يستطيع أو يجرؤ أن يصيب إلاّ إنساناً أو كائناً واحداً؟

هل يعرف العلم مثل هذا المرض الوقح القبيح؟ هل عرفه أو قد يعرفه؟

إن التساؤل أو السؤال أو البحث عن الجواب ليس شيئاً في أي شيء ولكنه مرض أو حالة أو عذاب أو شذوذ في السائل والمتسائل. .

إنه مرض أو عذاب أو شذوذ نادر، نادر ولكنه قاس بقدر ما هو نادر أو قاس لأنه نادر. .

لعل قسوته تعويض عن ندرته. !

إن أي شيء في هذا الوجود لن يتحول إلى سائل أو مسؤول أو سؤال أو مسؤول عنه لأنه لن يتحول إلى مجيب أو جواب أو مجاب أو مجاب عنه أي مهما وجد من يفترض أن كل شيء هو كل ذلك ويتحدث عنه وكأنه كل ذلك أي كل السؤال والجواب والتفسير. !

. . إن أي شيء لن يوجد أو يبقى لو كان محكوماً بالسؤال والجواب وبالتفاسير. إن كل الوجود قد وجد قبل أن يصبح سؤالاً أو جواباً أو تفسيراً وقبل أن يعرف شيئاً من ذلك. !

. . ماذا لو أن الإله كان خاضعاً للسؤال والجواب ومحكوماً بهما؟

. . ماذا لو أنه سأل نفسه عن وجوده وعن أية صفة أو معنى من صفات ومعاني وجوده؟

. . ماذا لو أنه رفض أن يوجد أو يبقى أو يظل إلهاً أو يفعل أي شيء إلاّ إذا سأل

عن ذلك والتزم بأن يكون له جواب وتفسير وبأن يرضى عن الجواب والتفسير؟

.. ماذا لو أن أي شيء أو أحد غير الإله فعل ذلك والتزم به؟

هل كان محتملاً أن يوجد أي شيء لو كان ذلك كذلك؟

.. إن السؤال والجواب عن مبدأ الشيء أو عن فكرته أو منطقه أو تفسيره أو هدفه ليسا إلاّ تعبيراً عن لغة وحالة وضيق من عجزوا عن أن يتقبلوا أو يرفضوا، عن أن يتلاءموا أو يتركوا ويفارقوا، عن أن يفهموا أو يعلنوا عجزهم عن الفهم. إن السؤال والجواب حالة في السائل والمجيب ومتقبل الجواب، وليسا شيئاً في المسؤول المجاب عنه.

.. إنه لا تفسير لوجود أي كائن مهما زعمت كل التفاسير لوجود قدميه أو جناحيه أو عينيه أو أمعائه أو لاستفراغاته وإفرازاته المختلفة في قبحها أو عفونتها.!

.. إنه لا تفسير لوجود الكائن الذي يجوع فيأكل فيتحول إلى مختزن ومفرز فضلات مهما زعمت أفضل وأذكى التفاسير لوجود الطعام.!

إنه لا تفسير لوجود الداء مهما وجدت أتقى وأرحم التفاسير لوجود الدواء والمداوي.! إنه لا تفسير لوجود حامل السلاح ومستعمله مهما وجدت التفاسير لوجود السلاح ولاستعماله.!

إنه لا تفسير لوجود الموتى ومن يموتون مهما وجدت التفاسير لوجود المقابر.!

إنه لا تفسير لوجود الحياة مهما وجدت كل التفاسير لوجود الموت.!

.. إنه لا تفسير لوجود الميت مهما وجدت كل التفاسير لوجود الدافن.!

.. إنه لا تفسير لوجود الوالد مهما وجدت كل التفاسير لوجود التوالد والأولاد.. إنه لا تفسير لأن تلد أو لأن تريد أن تلد مهما وجدت التفاسير لالتزامك وارتباطك واهتمامك بمن تلد.!

.. إنه لا تفسير لوجود الموجد أو الموجود الأول مهما وجدت كل التفاسير لضياعه وعذابه وحيرته ولحماقاته وهزائمه وعاره وتفاهاته وفضائحه المحتومة.!

.. إنه لا تفسير لوجود الإله حتى ولو وجدت كل التفاسير لوجود كل شيء وأي شيء.. إنه لا تفسير لأن يختار ويحب الإله أن يكون إلهاً ويطالب بأن يمدح ويعبد ويبقى مهما وجدت كل التفاسير لكل الحماقات والآلام والجنون.!

.. إنه إذن لا سؤال ولا جواب لأنه لا تفسير..

. . لأنه لو وجد تفسير ومنطق وعقل لكل شيء لما وجد أي تفسير أو منطق أو عقل للتفسير والمنطق والعقل.!

إن المنطق والعقل والتفسير منطق وعقل وتفسير لما ليس كذلك.!

. . إن منطق وعقل وتفسير كل شيء وأي شيء هو وجوده وصيغه وضروراته وقوانينه الذاتية الآلية زعمت منطقاً وعقلاً وتفسيراً بل زعمت إلهاً بل آلهة.!

إن الإله لا يساوي أو يعني في كل تفاسيره معانيه إلاّ تفسير ما لا تفسير له أو محاولة تفسير ما لا تفسير له وإلاّ منطق ما لا منطق له أو فيه.!

لقد وجدنا الإله ورأيناه لأننا وجدنا ورأينا لوجود الذباب والعاهة والوباء والمرض والموت والقبح تفسيراً ومنطقاً.

لقد وجدنا لوجود الإله تفسيراً لأننا وجدنا الوجود كل قبح وألم وجنون تفسيراً.!

. . إننا لو لم نجد كل التفسير والمنطق وأذكاهما في وجود الذباب والبرغوث والقبح والتشوه والشيخوخة والعجز والموت لما وجدنا الإله.! أنت مؤمن بالإله.

إذن أنت مؤمن أو يجب أو لا بدّ أن تكون مؤمناً بأن الذباب الذي يطارد ويهاجم عينيك هو أجمل منطق الإله وتفاسيره!.

. . إن من لم يجد في كل حشرة وعاهة وقبح وعبث وألم وظلم وخراب أذكى وأحكم وأنبل وأرحم التفاسير والمنطق فلن يجد الإله.!

إذن فالإيمان بالإله مشروط بأن يرى في كل شيء أذكى وأنبل وأرحم وأحكم وأعقل كل التفاسير والمنطق. إن من رأى في أي شيء أي خروج على العقل أو المنطق أو الفن أو الجمال أو التفاسير فلن يكون مؤمناً بالإله.!

. . وإذن فالإيمان بالإله يعني أن كل ما يحدث ويصيب ويؤذي ويفجع ويدمر ويصنع الغثيان والافتضاح والعار بل والانتحار هو أعلى وأسمى وأتقى ما يتصوره من جمال وعبقرية وحب ورحمة وفن ومنطق وتفاسير معجزة لكل العقول.!.

إن من قال اشمئز من الذباب إنما يقول اشمئز من منطق وأخلاق وموهبة خالقة..!

. . آه أيها الذباب.. أيها الصديق للإله. أيها الذباب العبقري الفدائي في توضئه في تدليله على وجود الإله وعلى جماله ونظافته وعلى توضئه واغتساله من كل أوحال.. طن أيها الذباب كثيراً ولوث كثيراً وهاجم العيون والأنوف والوجوه والموائد وكل

شيء . . افعل كل ذلك أيها الذباب كثيراً، كثيراً ليكون تدليلك على وجود الإله وعلى عظمة كل عبقرياته وأخلاقه ومعانيه وتفاسيره قوياً، قوياً . !

ليكن طنينك عالياً، عالياً لكي يكون مجد الإله عالياً، عالياً . .

ليكون الصوت المعلن عن الإله، عن وجوده وجماله وعبقريته عالياً، عالياً . !

. . أيها الذباب، أيها الجندي الممتاز في جنود الإله، أيها المعلن بكل الديمومة والجرأة والصراحة عن أخلاق وفنون الإله وعن حبه للجمال والنظافة . !

افعل أيها الذباب كل ذلك بكل الوقاحة والوحشية والقبح . .

أفعله أكثر وأوقح وأقسى بالأطفال والشيوخ والعاجزين والعميان والمرضى لكي يتعاظم تعبيرك وإعلانك عن تفاسير الإله ومعانيه . إنها كلما تتعاظم وقاحتك أيها الذباب يتعاظم تعبيرك وإعلانك عن مجد الإله ويتعاظم تدليلك على وجوده ودعايتك له . !

ولن يخفى عليك أيها الذباب، أيها المجد الإلهي إنك لا تكون متألقاً وقوياً إلاّ حيث يكون المجتمع الذي تعيش فيه متألقاً وقوياً، وإنه كلما وجد مثل هذا المجتمع كان لك فيه ولا بد كل القوة والسلطة والحظوة والفرح والتكاثر السعيد، وإنك تهون وتضعف كلما ضعف أو فقد إيمان المجتمع الذي تعايش . إقرأ أيها الذباب كل التاريخ وحدق في كل عالم اليوم إن كنت محتاجاً إلى مزيد من معرفة هذه الحقيقة . !

. . وهل تخفى عليك دلالة ذلك؟ أليست إحدى دلالات ذلك أنك من أقوى وأنجح الدعاة إلى الإيمان بالإله وإلاّ فكيف حدث أنك كلما وجدت قوياً متكاثراً متسلطاً وجد الإيمان واستقوى، وكلما فقدت أو هنت فقد أو هان الإيمان، وكلما فقد أو هان الإيمان في أي زمان أو مكان أيها الذباب فقدت وهنت؟

إذن أيها الذباب، يا أذكى وأتقى وأقوى الدعاة على الاقتناع بمجد الإله غن ولوث وتلوث وتوقح وهاجم وتكاثر في كل المجتمعات لكي تصنع له المجد والإيمان في كل أكوانه أي لكي تصنع كل مجد الإيمان لإلهك الذي اختارك صانعاً لمجده وداعياً إلى الإيمان به . . لقد أرادك لتكون أقوى وأذكى وأتقى دعاته فحقق له أمله ورغبته فيك وثقته بك وحامل تضرعه واحتياجه والتجاءه إليكودموعه بين يديك . !

. . فكّر أيها الذباب الهائل الحظوظ . لقد هبط الإله بكل صيغ وتفاسير المسكنة إليك . . هبط بفكره وتدبيره وتخطيطه وإرادته وصياغته لك راجياً ومؤملاً أن تكون أقوى وأذكى وأتقى براهين الإقناع والتعريف والإيمان به عالمياً بل وكونياً بل أقوى وأتقى وأذكى أنبيائه في ذلك . . ! . لقد أراد أن تكون أحد أنبيائه بطنينك لا بكتابك المنزل . . !

. . إن عليك أن تعرف لولا تأميله ورجاؤه هذا فيك ومنك لما هبط إليك مدبراً ومخططاً ومريداً أو محباً عاشقاً خالقاً. لماذا يفعل لك وبك هذا لولا هذا الرجاء والتأميل؟ هل يمكن أن يكون الإله قد قاسى في إرادتك وخلقك بلا تفسير؟

وهل يمكن أن يوجد تفسير لذلك غير هذا؟

. . إذن كم يجب عليك أن تكون عند حسن ظنه بك. . أن تحقق رجاءه وأمله فيك ومنك؟. . الإله يرجوك ويؤمل فيك أيها الذباب. إذن كم يجب عليك أن تقاسي لكي تحقق رجاءه وأمله؟

. . إن عليك أيها الذباب أن تجعل طنينك أقوى وأذكى إقناعاً وإعجاباً وإيماناً به من أصوات جميع المؤذنين وجميع المصوتين بكتبه المنزلة. . لقد أرادك كذلك فهل تريد أو تهين إرادته؟.

كم يجب عليك أيها الذباب أن تكون مطيعاً للإله ومحققاً لآماله ورجائه بطنينك وتلوثك وتلويثك وتكاثرك ووقاحتك وتساقطك على كل شيء وكل أحد أكثر وأصدق مما فعل له كل الأنبياء والدعاة بكتبهم المنزلة وبعظاتهم وصلواتهم ودعواتهم ودعاياتهم وقراءاتهم ولعناتهم وبأذانهم من فوق كل مناراتهم ومنابرهم؟

أليس طنينك أيها الذباب أقوى وأذكى وأصدق تفسيراً للإله من جميع النبوات والتعاليم؟

. . أليس الإله قد أهان أخلاقه ومواهبه الفنية والجمالية حينما أرادك وخلقك أي في ما يقال ويظن أكثر مما أهانها حينما أراد وخلق وأرسل الأنبياء والدعاة أي في ما يُقال ويظن؟

لماذا أوقع الإله هذه الإهانة الرهيبة بنفسه. .؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير أو منطق غير أنه أي الإله قد كان أمله ورجاؤه فيك ومنك أيها الذباب أعظم من أمله ورجائه في كل أنبيائه ودعاته؟

أليس هذا هو أحد التفاسير لأن جعلك أكثر وأقوى وأعنف إثارة وكينونة في كل بيت ومكان من جميع أنبيائه ودعاته؟

. . لماذا أيها الذباب أرادك وحاباك الإله أكثر مما أراد وحابى أنبياءه ودعاته فجعل أعدادك أكثر من أعدادهم، وجعل مجدك وتسلطك وسلطانك وانتصارك أقوى وأدوم وأظهر من مجدهم وسلطانهم وتسلطهم وانتصارهم وجعل قدرتك على الهجوم والتسلل والاقتحام والبقاء أعظم من قدرتهم؟

هل يمكن أن يكون لهذا تفسير مقبول أو معقول أو مغفور أو حتى محتمل غير أنه يؤمل وينتظر ويتوقع ويريد ويحب منك أكثر مما يريد وينتظر ويؤمل ويتوقع ويحب من جميع الأنبياء والدعاة؟ أليست نبوتك عن الإله أيها الذباب في حساب الإله أقوى وأنفع من نبوات جميع الأنبياء في صدق كل تفاسيرها ونياتها. . أليس الإله حكيماً وذكياً وعاقلاً ومنطقياً وعادلاً ومدبراً في كل ما يريد ويفعل؟

وهنا لا بدَّ أن يأتي هذا السؤال: لماذا أرادك الإله وخلقك وسلطك وأعطاك من القوة والانتصار والانتشار أكثر مما فعل لأنبيائه ودعاته المتلقين والحاملين والقارئين والمعلمين لكتبه المقدسة؟

. . هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أن أمله ورجاءه فيك وانتظاره منك أكبر وأقوى من أمله ورجائه فيهم وانتظاره منهم؟

حاول أن تجد تفسيراً لهذا غير هذا التفسير، حاول. . !

. . إنك لن تجد تفسيراً غير هذا التفسير إلاّ أن تتهم الإله بأنه ليس منطقياً ولا أخلاقياً ولا ذكياً أو عاقلاً في أي شيء من تصوراته أو إرادته أو تخطيطاته أو شهواته أو أفعاله أو ضرباته أو مصافحاته. !. ولكن هل تجرؤ أو يمكن أن يوجد من يجرؤ على تبرئة الإله من هذا الاتهام بكل قسوته وشموله؟

هل يستطيع أو يجرؤ أي كائن في هذا الكون أي أية حشرة أو عاهة أو تشوه أو مرض أو موت أو شيخوخة أو طوفان أو زلزال أو إعصار أو شمس أو قمر أو جمال أو دمامة أو قوة أو ضعف أو انتصار أو انهزام ألا يتهمك كل هذا الاتهام؟

* * *

. . ولأني مريض بالبحث عن التفاسير وبالمطالبة بأن يكون لكل شيء منطق وتفسير فإني لا أزال أبحث عن أي تفسير لهذه القضية أعني تقبل الأنبياء وكل المؤمنين لأن يضعهم الإله في حجور حوريات وغلمان الفردوس، ويضع أقرب الأقربين إليهم في عذاب الجحيم تحت حراسة ووحشية الزبانية والملائكة الغلاظ الشداد الذين كل اهتماماتهم ووظائفهم أن يصنعوا العذاب ويحرسوه وينفذوه ويبتكروا أجهزته ويشغلوها. !

. . إني أبحث عن أي تفسير لهذه القضية حتى لأحزن وأرثي لنفسي من افتضاحي، من عنف إصراري على البحث عن أي تفسير لذلك!. . هل يوجد مفتضح مثل من يصر على أن يجد لكل شيء أو لأي شيء منطقاً وتفسيراً؟. .

.. إني لأبحث عن هذا التفسير في كل شيء حتى إني لأبحث عنه في عيون وأخلاق ومنطق وأصوات وحياة الحشرات.!

.. إني لأبحث عنه حتى في أخلاق ونزوات وتعاليم الآلهة والأنبياء.!

.. والمؤمن لن يأبى عليه إيمانه أن يبحث عن أخلاق ومنطق وشهامة وعواطف الإله وأنبيائه وعباده المؤمنين به في عيون وأخلاق ومنطق وحياة وأصوات الحشرات. بل إن إيمانه ليفرض عليه ذلك.!.. إن إيمان المؤمن ليفرض عليه أن يرى كل قبح وألم وظلم وسخف هو الله وأنبياؤه جاءوا بصيغ وأجساد أخرى.!

.. أليس يقول ويعتقد أن منطق الإله وحكمته وعبقريته وأخلاقه بكل مستوياتها وتفاسيرها هي التي صاغت وأبدعت بكل الكبرياء والإعجاب والفرح كل صيغ الحشرات ومعانيها وتفاسيرها وأخلاقها.؟ أليس الأنبياء والمؤمنون يقولون ويعلنون ويعتقدون ويعلمون ذلك؟ ولكن هل يجوز أو يمكن أن يفسر أو يحاكم أو يحاسب أو يضبط قول الأنبياء والمؤمنين أو رؤاهم أو اعتقاداتهم وتعاليمهم بأي منطق وتفسير.؟

.. في تطوافي اليائس الضائع بحثاً عن أي تفسير لذلك قال لي يأسي وإصراري وتعبي:

ألا يمكن أن يكون التفسير أن الأنبياء والمؤمنين يرون بل يعلمون أن الإله لا يلتزم بوعيده كما لا يفي بوعده.؟

أليسوا قد جربوه وقرأوه وفسروه وانتظروه طويلاً، طويلاً فلم يجدوه قد وفى بأي وعد من وعوده الجميلة السخية بل من وعوده التي هي ليست وعوداً متفضلة بل هي وظائف وواجبات من أولى وأوجب واجبات الإله ووظائفه بكونه ولكونه إلهاً وموظفاً؟ وكم هو فاجع ألا يعلم الإله أن كل ما يفعل من أعمال طيبة أي إن وجدت هو واجب عليه لا يستحق الشكر؟

.. إن أعمال الإله الجيدة السخية لو وجد في ما يفعله ويدبره ويخططه ويريده ما هو جيد وسخي.

ـ نعم، إن أعماله هذه لو وجدت ليست تفضلاً أو تكرماً أو شهامة أو تطوعاً أو محبة ولكنها وظيفة وواجب لا يستحق ولا يجوز أن يشكر أو يحمل عليها أو يعبد ثمناً وجزاء لها. شكر الإله على أفعاله الجميلة أي لو وجدت إهانة للشاكر والمشكور وهجاء لذكائهما وكرامتهما.!

.. إنهم أي الأنبياء والمؤمنين لم يجدوا الإله لا يفي بوعوده الطيبة أو المطلوبة أو

المريحة أو الواجبة ـ لم يجدوه لا يفي بوعوده هذه فقط بل لقد وجدوه يفعل نقيضها أبداً. . !

لنقرأ الإله في كل أطواره وتاريخه. إننا لن نجده إلاّ نقيضاً دائماً لنفسه أي لما زعم عنه؟

. . لقد افتضحوا أي الأنبياء والمؤمنون أمام أنفسهم وأمام أتباعهم وأمام التاريخ وقراء التاريخ لأن الإله الذي يبلغون ويتحدثون عنه وعن وعوده يفعل دائماً أو يحدث دائماً نقيض الوعود التي رووها وبشروا بها. إنهم لا يجدونه غير وفي بوعوده وغير منفذ لها فقط بل لقد وجدوه دائماً فاعلاً نقيضها. لهذا لم يوجد ولن يوجد كاذبون مصدقون وخادعون محترمون أي محترمون باللغة والصلاة والتعاليم لا بالسلوك، مثل الأنبياء وجميع المتحدثين والمعلمين والرواة عن الإله. إن كل المفتضحين لن يفتضحوا افتضاح الواعدين والمتعاملين بوعود الإله.

إن أجهل وأكذب وأبلد قارئ للنجوم أو للحروف أو للحظوظ أو للأكف أو لخطوط الجسم لن يفتضح في قراءاته أو نبوءاته أو تفسيراته أو همهماته أو إيحاءاته أو تحديقاته افتضاح الأنبياء وأمثالهم في تبليغهم عن وعود الإله وتعليمهم لها وتبشيرهم بها. !

إنه لو صدق كل الكذابين لما صدق نبي واحد في وعده أو وعيده. !

. . إنه لن يوجد افتضاح مثل افتضاح الآلهة والأنبياء أي لو وجد من يرون الافتضاح ويقرأونه ويفسرونه. !

إنه لم يوجد ولن يوجد كاذب مكذوب عليه وبه مثل من يعلم ويفسر أخلاق الإله ومنطقه وما سوف يفعل وما وعد بفعله. !

بل إنه لن يوجد فاضح لنفسه فاضح لمن يتحدث عنه مثل هذا المعلم المفسر. !

. . إن البشر لم يكذبوا على أنفسهم مثلما كذبوا عليها في تحدثهم عن وعود الإله وفي تصديقهم لها. وهل صدقوها أم تحدثوا عنها بأسلوب من يصدقونها ولكن بسلوك ونيات من لا يعلمون عنها شيئاً؟ إن أعظم نبي وأتقى تقي ليخافان ويرجوان ويحذران ويتوقعان صدق أي وعد أو وعيد يعد أو يوعد به أفجر وأطغى وأكذب إنسان قادر على التنفيذ أكثر مما يفعلان ذلك أمام أي وعد أو وعيد يوعد أو يعد به الإله. !. إنه لم يوجد نبي أو مؤمن واحد لم يخف من وعيد الطاغية القادر أكثر مما خاف ويخاف وعيد الإله. !

. . إن هذا النبي أو التقي لينتظر بحدة وحذر وحرارة وخوف وتوقع أن يقع الذباب على طعامه أو وجهه أكثر من انتظاره أن يقع عليه وعد الإله أو وعيده.

وأنا أفترض هنا أن النبي أو التقي قد يرفض الذباب بأي تفسير من تفاسير الرفض. . أن النبي والتقي لينسيان ويهملان وعد اللّه ووعيده مثلما تنساهما وتهملهما أعضاؤها الآلية في عملياتها الذاتية.

نعم، لقد اقتنع الأنبياء المؤمنون أن وعيد الإله لا يساوي إلاّ وعده وأن وعده لا يساوي إلاّ وعيده، وإن وعده ووعيده لا يساويان إلاّ أن يقرأ ويصلّي ويخطب ويوعظ ويصرخ بهما وينفق على تعليمهما وحفظهما وتفسيرهما وعلى الإغراء والتهديد بهما دون أن يوجد من ينتظرهما أو يدفع أي ثمن لهما أو من يحاسب سلوكه أو نياته أو حياته بهما أو من يخاف نومه أو لهوه أو استرخاؤه أو غفلته أو ممارساته، ونشواته الجنسية من مفاجأتهما أو من يشغل عن حقده وبغضائه وعداواته وخصوماته وتفاهاته وحساباته ومشاعره وهمومه واهتماماته الصغيرة بانتظارهما. إن المؤمنين يبالغون في حديثهم عن وعد اللّه ووعيده وكأنهم ينوون بذلك التعويض عن حذفهما من كل حساباتهم السلوكية والنفسية. !

لهذا فقد رأى الأنبياء والمؤمنون أن وعيد الإله لآبائهم وأبنائهم وأقربيهم بالتخليد في الجحيم يساوي وعدهم هم بالتخليد في الفردوس بين مضاجع الحوريات وكؤوس الولدان المحلين بالقلائد والأساور والخواتم والأقراط الذهبية الجنسية الشذوذية وأن هذا الوعد والوعيد لهم ولأقربيهم ألا يساويان إلاّ ما يساويه وعده أي وعد الإله ووعيده اللذين جربوهما وقرأوهما وفسروهما وعرفوهما. !. . اللذين وجدوهما دائماً رعوداً وبروقاً وكآبة جوية بلا أي مطر أو سحاب بل بلا أي سماء أو طقس. !

إنه لاحتمال أو تفسير أو منطق يصعب رفضه أن يقال أن الأنبياء المؤمنين قد اقتنعوا بتجاربهم الطويلة مع الإله أنه يفعل وعده حيث يكون وينتظر وعيده، ويوقع أو يفعل وعيده حيث يكون وينتظر ويعلم وعده. . أي قد اقتنعوا بتجاربهم الطويلة الأليمة مع الإله أن من يوعدهم بالهزائم والشقاء والشرور والعذاب لا بد أن يكون حظهم نقيض ذلك، أو لا يعني وعده ولا وعيده شيئاً. !

. . إن كل من يقرأ التاريخ لا بدَّ أن يؤمن أن الأنبياء والمؤمنين قد آمنوا بهذه الحقيقة إن لم يكن متهماً لهم بكل الغباء والعمى والغفلة أي إن لم يكن متهماً للأنبياء والمؤمنين بذلك. !

إذن أليس احتمالاً معقولاً أو مقبولاً بل محتوماً أن الأنبياء والمؤمنين العارفين جداً بأخلاق الإله وتصرفاته التي ذاقوها وجربوها وقاسوها طويلاً، كانوا ينتظرون ويتوقعون بل ويعتقدون أنه أي الإله لا بدَّ أن يضع آباءهم وأبناءهم وأقربيهم في الفردوس لأنه قد أعلن وعلم أنه سوف يضعهم في الجحيم، وأنه سوف يضعهم هم في الجحيم لأنه قد أعلن وعلم أنه سوف يضعهم في الفردوس مثلما جربوا عليه وعرفوا عنه في كل تجاربهم ورؤاهم له حين وجدوه يذل ويهزم ويعادي من قال إنه لا بدَّ أن يفعل بهم ولهم نقيض ذلك.. أي حين وجدوه أبداً نقيض ما يقول ويعلم ويعلن.. نقيض نفسه وتفاسيره وما ينتظره منه ويقال عنه؟ أليست تفاسير وقِيم كل إله أنه نقيض حاد وقح لكل قيمه وتفاسيره أي لكل القِيم والتفاسير؟

.. أو لعلهم أي الأنبياء والمؤمنين لم يكونوا يدرون أو يستطيعون أن يدروا ما الذي يمكن أن يفعل أي الإله هنا أو هنا لأنهم وجدوه وعرفوه لا يلتزم أو يحاسب نفسه بأي منطق أو خلق أو قانون أو بأي شيء مما يقول ويعلن ويعلم.. لأنهم لم يجدوا خارجاً على كل الأخلاق والقوانين والقِيم مثل الإله.!

.. إذن لعلهم أي الأنبياء والمؤمنين لم يكونوا يدرون أي الفريقين يجب أن يتألم ويغضب للآخر: أهم لأهليهم الأقربين الذين سوف يذهبون إلى الجحيم أم أهلوهم الأقربون هم الذين يجب أن يألموا ويغضبوا لهم لأنهم أي الأنبياء والمؤمنين هم الذين لا بدَّ أن يذهبوا إلى الجحيم.!؟

لنفكر في هذا بصدق وحرارة ورؤية وتساؤل..

وما أقل من يفكرون كذلك.. لنفكر..!. ماذا لو أن أي نبي أو مؤمن رأى اللَّه وقرأه وفسّره وعرفه ثم دخل في معركة أو مبارزة أو منافسة مع أي عدو له وللَّه، مع الشيطان مثلاً معلناً اللَّه بكل وسائل وأجهزة إعلانه أنه لا بدَّ أن ينصره في معركته أو مبارزته أو منافسته؟. أليس محتوماً حينئذ أن يعتقد أي ذلك النبي أو المؤمن أو النقيض هو الذي لا بدَّ أن يقع أي أن عدوه أو منافسه هو الذي لا بدَّ أن يكون الرابح أي مع الافتراض بأن ذلك النبي أو المؤمن قد رأى اللَّه وقرأه وفسره وعرفه. آه ولكن هل يمكن أن يقبل أو يستطيع أي إنسان أو كائن أن يكون نبياً أو مؤمناً إن كان يملك هذه الرؤية أو القراءة أو التفسير أو الصدق أو المعرفة؟

.. أليس أقوى وأقسى وأوقح نموذج لهذه القضية آدم وإبليس.. قصة كل الأنبياء مع إبليس؟

ألم يتحول آدم وجميع الأنبياء إلى أقسى الهزائم الكونية والتاريخية في مواجهتهم لإبليس أي لأن اللّه دائماً ينصر أعداءه الأشرار على أصدقائه وأوليائه الأتقياء، أو لأن الذي يحدث أبداً هو النقيض لما يقول ويريد ويعلم الإله.. نعم نعم، لأن الذي يحدث دائماً هو النقيض لما يقول ويريد الإله وأنبياؤه؟

وماذا لو أن أي إنسان أو كائن يبحث عن النصر ويريد أن يكون جندياً وحليفاً مع المنتصرين وكان الخيار أمامه أن يكون مع الإله وأنبيائه ودعاته جندياً وحليفاً أو مع إبليس وأعوانه؟

هل يمكن أن يتعب حينئذ في اختياره لمكانه وحلفائه في اختياره لما يعلم أنه لا بدّ أن يصنع له النصر الذي يبحث عنه؟

ماذا لو أن هزائم جميع الأنبياء في كل أزمانهم وأوطانهم ولغاتهم وآلهتهم وأديانهم وأتباعهم وكتبه المنزلة حوسبت بانتصارات عدوهم وعدو إلههم إبليس ماذا لو عرض الإله راكباً جمله مقاتلاً بسيفه أمام إبليس راكباً صواريخه مقاتلاً بأسلحته الذرية؟

.. ماذا لو أن الإله قرر وصمم على أن يكون حليفاً وولياً للمنتصرين الأذكياء المنفذين لقراراتهم وتخطيطاتهم وإرادتهم وتعاليمهم ولوعودهم ووعيدهم بكل الانتصار والحسم والوفاء، وكان أي الإله باسلاً وصادقاً وذكياً في قراراته وتصميمه وفي كل رؤاه وتفاسيره وخطواته، وعارفاً لما يريد ويختار ويفعل؟

هل يمكن أن يختار أي الإله حينئذ أن يكون حليفاً أو ولياً أو نصيراً لغير عدوه إبليس دون أن يتحاور أو يتخاطب أو يتساءل أو يتجادل أو يتخاصم مع نفسه أو مع ألوهيته لأنه اختار إبليس ولم يختر أنبياءه وملائكته ليكون لهم حليفاً وولياً ونصيراً وليكونوا حلفاءه وأولياءه ونصراءه؟

هل يمكن تصوّر كائن يعاني من الغيرة والحيرة والهزيمة ومن العجز والمهانة والإذلال أمام شيء أو أحد مثلما يعاني الإله أمام عدوه ومنافسه ومخاصمه ومتحديه إبليس؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد منهزمون وعاجزون مثل الإله وأنبيائه وأوليائه، ومنتصرون قادرن مثل إبليس وأعوانه؟

إن تحمل الإله لهزائمه وعجزه أمام خصمه إبليس لشيء لا تطيقه أذل الحشرات!

هل وجد أو يوجد منفذ لما يريد ويدبر ويقول ويعلم مثل إبليس، أو عاجز عن تنفيذ أي شيء يريده أو يقوله أو يعلمه مثل الإله وأنبيائه؟

هل وجد عاجز أو رافض أن يتعلم من عدوه ومنافسه وقدرته وذكائه وشجاعته وأساليبه الذكية المنتصرة مثل الإله حينما عجز أو رفض أن يتعلم من إبليس ذلك؟

هل عرف عاجز أو متراجع عن تنفيذ وعده ووعيده مثل الإله، أو منفذ لوعده ووعيده مثل إبليس أي الشيطان؟

إذن هل يوجد تعلم يساوي في نفعه ومزاياه أن يتعلم الإله من إبليس؟

.. الإله يأمر كل أحد بأن يتعلم إذن لماذا لا يتعلم هو من قاهره إبليس؟

.. وهذا التفسير لهذه القضية قد أو لا بدَّ أن يذكر بتفسير آخر لهذه القضية ويحرض عليه..!

نعم، قد يقول هذا التفسير الآخر: إن الإله قد ينسى أو لا بدَّ أن ينسى وعده ووعيده وينسى أن يعرف أو يتذكر من الذين وعدهم بالفردوس ومن الذين أوعدهم بالجحيم.!

إن أسباب الاقتناع بنسيان الإله لن تخفى على أحد حتى ولا على الأنبياء والمؤمنين مهما كانت غفلتهم وتبلدهم وبلاهتهم وعماهم وعجزهم عن قراءة الأشياء ومحاسبتها وتفسيرها بل وعن رؤيتها.!

.. الإله ينسى. إنه لأتقى وأنبل دفاع عنه.!..

إن اتهام الإله بالنسيان لأفضل بديل عن اتهامه بالعجز أو بالكذب أو بالأخلاق أو بالوقاحة أو النذالة أو السفه أو الطيش.!

إنه لا بدَّ من اتهامه بهذا أو هذا. فأي الاتهامين أقل اتهاماً وإيذاءً وتحقيراً له أي للإله الذي هو ليس إلاّ تنقلاً بين أقسى الاتهامات؟

نعم، إن الإله لن يكون أو يجب ألا يكون إلاّ متهماً في كل شيء حتى حينما يعرض الوجه الجميل أمام الوجه الدميم أو المشوه، وحتى حينما يعرض الأصحاء والأقوياء والأذكياء والأغنياء أمام النقيض، النقيض الأليم، الأليم، وحتى حينما يصنع الفردوس وسكانه ويصنع الجحيم وسكانه، وحتى حينما يجعل الأنبياء مخلدين في الفردوس ويجعل آباءهم وأبناءهم وأهليهم مخلدين في الجحيم، وحتى حينما ينظر إلى هؤلاء بكل الفرح والبله وإلى أولئك بكل الشماتة والنزق!

.. حتى لو أنه أراد وفعل كل ذلك أو كان هو الذي أراد وفعل كل ذلك!..

إن فعل القبيح قبيح ولكن فعله وفعل نقيضه ووضعه وعرضه أمام نقيضه أقبح وأقبح.!

. . وهل يمكن أن يوجد أقبح أو أوقح ممن يفعل ذلك أي لو وجد من يفعله مريداً مختاراً قادراً أن يفعله وقادراً ألاّ يفعله أو أن يفعله بأساليب وصيغ أذكى وأتقى وأقوى وأجمل وأنبل وأعدل وأرحم وأحكم ثم لم يفعله كذلك؟

هل يوجد قبح يساوي قبح من يفعل الدمامة والحزن وهو يستطيع أن يفعل الجمال والفرح؟

هل يوجد أنذل أو أوقح أو أسفه ممن خطط وخلق الإنسان كما خططه وخلقه وهو يستطيع أن يخططه ويخلقه أفضل وأعظم؟ . .

. . الإله له ألواح محفوظة يسجل فيها كل شيء ويحتفظ بها لديه تحت حراسة أريد بها ولها ألا يستطاع اختراقها. !

. . وله أجهزة رقابة كونية لا مثيل لها أو أريد ألا يكون لها مثيل في شمولها وقسوتها وفضولها ووقاحتها وفي فضحها وافتضاحها وفي بحثها عن الفضائح وعن المفضوحين. !

. . أجهزة رقابة رهيبة بذيئة ترى في الظلام بلا عيون وبلا مرئي أو راء، وتسمع بلا نطق أو صوت أو آذان، وتحكم بلا محاكمة أو قضاة أو دفاع أو شهود، وتقتحم البيوت والمضاجع والقلوب والضمائر بلا أبواب أو نوافذ أو عمليات جراحية أو استئذان، بل تقيم فيها أبداً وبلا أقدام أو خطوات أو ذوات أو أشباح ترى أو تسمع أو يحتمى أو يختفى أو يحترس أو يحتجب منها. . تحاصر كل إنسان كل أوقاته من كل جهاته في كل حالاته وتحركاته حتى حين ممارسته لوقاحاته وبذاءاته وفضائه المحللة البهيجة القبيحة. آه. هل يستطيع الإنسان أن يتذكر أنه محاصر بأوقح العيون حين ممارسته لأوقح لذاته المجنونة؟ هل يستطيع هذه الممارسة لو تذكر ذلك؟

. . هذه الرقابة تفعل كل ذلك بكل هذه القسوة والقبح والفضح والوقاحة لكي تحصي وتكتب كل شيء وكل ما ليس شيئاً على كل إنسان بل على كل كائن. . لكي تضع لكل إنسان وكائن كتاباً يحصى ويسجل عليه كل شيء وكل ما لا يصح أو يحسب شيئاً. !. . حتى ما لا يحسبه البشر شيئاً ويستحيون من تسجيله ومحاسبته هذه الرقابة تسجله وتحاسبه بكل كبرياء. !

. . رهيب، رهيب أن تطيق وتتقبل عيون وآذان وعقول وضمائر وأخلاق واستحياء المشرفين على هذه الرقابة والمنفذين لها مواجهاتها وممارساتها ووظائفها هذه. !

. . رهيب، رهيب أن تطيق وتتقبل هذه المواجهات والممارسات والوظائف. !

ما أعظم حاجتها إلى الوقاحة والنذالة وإلى كل معاني القبح والافتضاح وفقدان الحياء والشهامة والكرامة والنظافة لكي تطيق وتتقبل وتفعل ذلك، بل لكي تستطيع التعامل مع الإله الذي كلفها بذلك. !

. . الإله يريد ذلك ويفرح ويسعد ويكلف به. من صاغ هذا الإله أو تصوره؟

هل يوجد أردأ فناً وخيالاً وجمالاً وعبقرية من متصور هذا الإله وصائغه وعابده ومتقبله والمتقبل لأن يكون نبيه ورسوله؟

. . تذكر يا كل إنسان، يا أقسى وأعظم الناس استحياء ووقاراً ورغبة في الاستتار. . تذكر أنك لن تذهب إلى سريرك وحدك لتمارس لذتك الوقحة بكل افتضاحك وجنونك وصراخك وأنينك وعريك ونشوتك الفاضحة المذلة المكذبة لكل ما تزعمه لنفسك من كبرياء ووقار ونظافة وشموخ، لتمارس عارك الذي حولته الطبيعة إلى عار لذيذ لكي تخفي عارها. .

ـ نعم، تذكر واعرف أنك لن تفعل ذلك إلاّ وكل العيون والآذان ووظائف وأجهزة الرقابة الكونية رائية وسامعة ومحاصرة ومحيطة بك ولك. . معك فوق سريرك وداخل ثيابك بل وداخل أعضائك ونياتك وشهواتك بكل أجهزة التسمع والتحديق والرؤية وضبط النبضات والخفقات والارتعاشات. . بكل أجهزة الإحصاء والتسجيل والكتابة عليك وعنك. !

تذكر أن كل أجهزة الكون وقوانينه وآلهته قد تحولت إلى أجهزة رقابة عليك. ! تذكر أنك لن تستطيع الاختفاء أو الاستتار أو الخلوة أو الوحدة أو الصمت مهما صمت ومهما دفنت نفسك في الظلمة وتحت كل الأغطية والأحجبة ومهما صغرت وصغر حجمك. !

. . تذكر أنك لن تلبس ثوباً من ثيابك أو تأوي إلى غرفة في بيتك لتكون مستتراً. !

. . يا كل إنسان، يا أقسى وأعظم الناس خجلاً واحتشاماً وتوقراً تذكر أنك مرئي مهما اختفيت وتغطيت، ومسموع مهما همست وصمت، ومقروء مهما كنت أمياً، ومحاصراً ومقبوض عليك ومسجون مهما هربت وتحركت وذهبت، ومزاحم مزدحم مهما توحدت، ومفضوح مفتضح مهما توقرت واستترت واحتشمت، ومكتوب مكتوب عليك مهما كانت براءاتك وطهارتك وضآلتك. .

تذكر أنك موضوع تحت كل الأجهزة الكونية الإلهية السماوية الرائية السامعة القارئة المفسرة المحصية الكاتبة البذيئة الوقحة المرابطة المعسكرة داخل غرفة نومك وأحشاء

وحشايا سريرك وملابسك الداخلية ذات الروائح المحرمة. . داخل أعضائك وأخلاقك ونيات وخفقات وهمسات أعضائك الملأى بالحشرات والوقاحات وبالجراح والافتضاح. . تذكر كل ذلك وأنت ذاهب لتتعرى وتفتضح وتنهق فوق سريرك وتذكره وأنت تستفرغ فضلات طعامك. إنك في الحالتين لست وحدك ولست مستتراً. بل معروض وعار عرضاً وعرياً كونياً. !

. . نعم، لماذا كل هذا، كل هذه التكاليف والمقاساة والحشد والتهذيب والافتضاح والفضح؟

لماذا كل هذه الألواح المحفوظة المكتوبة الحافظة الكاتبة؟

لماذا كل هذه الرقابة والرقباء والكتابة والكتاب؟

لماذا كل هذا الإنفاق الفادح على كل ذلك؟ إن أجهل وأطغى نظام لن ينفق على أجهزة الرقابة والتجسس فيه مثل هذا الإنفاق. !

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أن الإله ينسى وغير الخوف من أن ينسى؟ إنه لعبث وسفه لا مثيل لهما حتى ولا في التصور أن تبتكر وتوظف وتشغل كل هذه الأجهزة وكل العاملين فيها إن لم يكن الإله ينسى.

ولن يصعب الاقتناع بأن الإله ينسى. . إن كل شيء قد يفسر بأنه ينسى بل يحرض على الاقتناع بهذا التفسير بل قد يلزم به لأنه لا يوجد بديل جيد أو مريح أو مقنع عن هذا التفسير. !

إن كل ما يحدث في هذا الكون يحدث مناقضاً لما قال الإله ولما قيل عنه بل ومناقضاً بل ومهيناً محقراً لكل معاني الإله والألوهية ولكل تفاسيرهما ومستوياتهما المعتقدة المعلمة والمنتظرة المتوقعة. !

إن كل ما يحدث في هذا الكون لهو أقل من أدنى المستويات المفترضة في أدنى الآلهة عقولاً وأخلاقاً وقدرة وتخطيطاً. !

. . إن كل ما يرى ويقرأ ويفسر ويوجد ويواجه ويتاسي ويتوقع في هذا الكون ومنه مهين محقر لاعن مكذب لكل أخلاق ومنطق وتقوى وقدرة وعبقرية كل إله وكل ألوهية ولكل ما قال الإله ولكل ما قيل عنه ولكل ما يطلب وينتظر ويُراد منه ويفترض فيه. ! إنه لا يوجد شيء يأذن للعقل أو للأخلاق بأن تقول: هذا منطق أو تدبير إله أو خلق أو مستوى إله أي إله. !

إن الشهامة والتقوى الأخلاقية ومن الرفق بالإله والإشفاق عليه أن يفسر ذلك بأقل التفاسير إيذاءً وإيلاماً وتصغيراً وهجاء له. !

وهل في كل احتمالات التفاسير لهذه القضية تفسير فيه من الرحمة والرفق بالإله والدفاع عنه والمحاباة والتجميل له مثل التفسير الذي يقول إن الإله ينسى؟ آه.

ما أنفع وأجمل وأنبل أن ينسى الإله. ما أنفع وأنبل وأجمل للإله نفسه ولكل شيء وكل أحد أن ينسى!

.. أليس هذا التفسير مهما كان مؤذياً ومسيئاً أقل إيذاء وإساءة من كل التفاسير الأخرى؟ لماذا يحرم على الإله أن ينسى ويحرم منه؟ أليس يفعل ما هو أردأ جداً من النسيان؟

.. البشر منذ بدء وجودهم إلى نهايته.. إلى نهايته التي لا تستطيع كل تصورات البشر وغير البشر وكل أفكارهم وعلومهم وأجهزتهم القارئة المتنبئة أن تتنبأ بها بل لا يستطيع ذلك كل آلهتهم وأنبيائهم وكهانهم وعرافيهم.

ـ نعم، البشر هؤلاء كم يمكن أن يكون عددهم.؟ كم يمكن؟

لا بدَّ أن يصاب الإله وكل معاونيه ومستشاريه وخبرائه بكل الرهبة والذهول والحيرة والاستحياء والتواضع حين سماعهم لهذا السؤال أي لو كان ممكناً أن يسمعوه. !

هل يحتمل أن الإله حينما فكّر في خلق البشر وبدأ خلقهم كان يعلم أو يتصور كم سوف يكون عددهم؟

.. هؤلاء البشر كلهم، كلهم أعدادهم التي لا يستطيع أحد أو شيء في هذا الكون أو في أي كون آخر، ولن يستطيع إحصاءهم..

.. هؤلاء كلهم سوف يحشرهم الإله، يجمعهم في مكان يصعب تصور وجوده وأين يمكن وهل يمكن أن يوجد، يحشرهم جميعاً في هذا المكان الواحد بلا أية علامات أو مميزات أو حدود فاصلة حاجزة بل وبلا ثياب أو أسماء أو انتماءات مكانية أو جنسية أو قبلية أو تاريخية.. بلا أي شيء يدل على من يستحقون الفردوس وعلى من يستحقون الجحيم، على من وعدوا بهذا أو على من أوعدوا بذاك..!

.. يحشر كل هؤلاء الذين قد أو لا بدَّ أن يصعق أو يفجع أو يصاب بالعجز عن الرؤية والمواجهة والتفكير والوقار والاتزان بل وعن تذكر أو معرفة ماذا يريد أو ماذا

يفعل وينوي ويستطيع أن يفعل أي حين مواجهته لأعدادهم التي لا بدَّ أن تكون قد قهرت وأذلت وأضاعت كل صواب وحساب وقدرات كل أجهزة وموظفي الرقابة والإحصاء لديه بل التي لا بدَّ أن تكون قد أصابت كل موظفي أجهزة رقابته وإحصائه ومحاسباته ومحاكماته بكل الرهبة والإرهاب وبكل العجز عنه أي تفكير أو محاولة بل وبكل الرغبة في الهرب والاختفاء رفضاً لوظائفهم التي ليس فيها أي جمال أو فن أو ذكاء أو كرامة أو إغراء. .

. . يحشرهم في المكان الواحد وقد تشابهوا بل وتماثلوا في كل شيء. . في الخوف والاستسلام والإيمان والعجز والذهول والضياع والعري والفقر والجوع والفقد لكل شيء عن كل شيء. .

. . وقد تشابهت أي تماثلت نظراتهم وتطلعاتهم ولهفاتهم ووقفاتهم واحتياجاتهم وطلباتهم وصلواتهم وتضرعاتهم وأناتهم وصرخاتهم. !

. لقد أصبح كل شيء ظلاماً وذعراً وتعقيداً وحيرة وفوضى وازدحاماً يفسد بل يهزم كل الرؤية والمنطق وكل القدرة على التمييز. .

. . وهنا لا بدَّ أن يأتي السؤال القاتل: كيف يستطيع الإله الذي لا بدَّ أنه قد أصبح مريضاً من تتابع الصدمات والمواجهات الفاجعة ومن الضياع والحيرة والملل واليأس والإعياء والعجز عن الرؤية والتدبير والتفكير والتصرف بل وبالرغبة في الهرب من كل شيء ـ لما رأى وواجه وفعل وقاسى في كل تاريخه الطويل الحزين الأليم البائس، ولما يرى ويواجه ويقاسي في موقفه هذا، في ظروفه هذه ـ نعم، كيف يستطيع الإله هنا أن يتذكر في الأكوان المحشورة أمامه من الذين وعدهم بالفردوس ويستحقون الفردوس، ومن الذين أوعدهم بالجحيم ويستحقون الجحيم. ؟

كيف يمكن الافتراض بأنه لم ينسَ كل شيء هنا وفي هذا الموقف؟

. . إنه إذا لم ينسَ في هذا الموقف تحت هذه الظروف فلن يكون كائناً حياً. !

. . كيف يمكن أن يفترض أن الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين لم يقتنعوا أن الإله لا بدَّ أن ينسى هذا النسيان؟ كيف يمكن الافتراض أنهم لم يجدوا في نسيانه شيئاً من الراحة والعزاء له من التخفيف عن ضميره المرهق؟

. . وكيف لا يعتقد أن اقتناع الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين بأن الإله لا بدَّ أن ينسى هذا النسيان هو الذي جعلهم لا يفجعون من أن يعدهم الإله بالفردوس ويوعد آباءهم وأبناءهم وأقربيهم بالجحيم أي لأنه هو الذي جعلهم لا يرون في هذا الوعد أو

الوعيد شيئاً يحاسب أو يحسب أو ينتظر أو حتى يفسر؟ أليس الأنبياء وأمثالهم هم أعرف الناس بضعف الإله كما أن خدم الحكام وجواريهم وغلمانهم هم أعلم الناس برذائلهم. . ويجب ألا نفزع من وصف الإله أو اتهامه بالنسيان.

كيف نرضى بل ونفرح ونعجب ونتعهد بوصفه أو اتهامه بالحقد والغضب والانتقام والأنانية والكبرياء وبالخداع والمكر وبالقتل والتجويع والتشويه والأمراض والإضلال والتضليل وبتدبير وتخطيط وإرادة وفعل ذلك وبالافتخار به بل وبأنه يأمر بالفسق أمراً إذ قال في قرآنه «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» ثم نجزع أو نفزع من وصفه أو اتهامه بالنسيان؟ إن أوصاف الإله التي اختارها لنفسه لن تتفوق عليها أو تنافسها أية أوصاف أخرى في رداءتها وقبحها وبشاعتها. !

. . إن مريد ومدبر وفاعل كل هذا الوجود بكل ما فيه ومن فيه لا يجوز ولا يقبل أو يعقل أو يحتمل تبرئة من وصفه أو اتهامه بأي شيء وبكل شيء أي بكل شيء رديء ولئيم وأليم. إنها لم تجمع وتتجمع أقبح الأوصاف لأي كائن مثلما جمعت وتجمعت في الإله وللإله. !

. . كيف يعقل أو يقبل أو يغفر أن يبرأ مدبر ومريد وفاعل كل الغباء والقبح والخطأ والظلم والألم والعبث والسخف الموجود في كل هذا الكون وفي كل شيء من وصفه أو اتهامه بأي قبح أو خطأ أو ظلم أو عبث أو ألم أو سخف أو بلادة أو جهالة أو عجز أو نسيان؟

. . كيف يبرأ من أراد الشيء وفعله بمباهاة وفرح من إرادته وفعله بقصد إسعاده وإرضائه ورشوته وعبادته وخداعه والتقرب إليه؟

. . أليس مريد ومدبر ومخطط وصانع هذا الوجود هو وحده المريد والمدبر والمخطط والصانع العاشق لكل القباحات والبلادات والعاهات والآثام والأخطاء والفساد وكل الشرور والضلال والكفر. . لكل ما يؤذي ويؤلم ويعاب ويستقبح ويستنكر ويستبشع ويعاقب عليه بكل العقوبات وأقساها؟

. . أليس هذا المريد المدبر المخطط الفاعل هو وحده الذي يجب أن يعد المذنب المسؤول المحاسب المحاكم المحكوم عليه بكل العقوبات المعروفة والمقررة والمتصورة والمطلوبة والتي يجب أن تكون معروفة ومقررة ومطلوبة؟ أليس الذي يهوى المذنبين والمخطئين والمجرمين والضالين ويخلقهم ويدبرهم ويسلحهم ويهبهم القوة

والإرادة والحرية ليفعلوا ذنوبهم وأخطاءهم وجرائمهم وضلالهم ويستمروا في ذلك هو كل الذنوب والأخطاء والإجرام والضلال المستحق لكل ما يستحق ذلك من غضب وحساب وعقاب؟

إن معاقبة الإله لمن أراد وخطط وصاغ وخلق لأوقح وأجهل وأظلم وأغبى من معاقبة المهندس والصانع لما خطط وقدر وصمم وصنع. . !

. . آه يا إلهي لقد أتعبتني هذه الرحلة التي ليس فيها أي جمال أو فرح أو ربح أو شكر أو عزاء أو مشهد أو مرأى سار أو معجب. إنها رحلة ليس معي فيها مرافقون. لقد كنت وحدي، وحدي أقاسي كل وحشة ووحشية الاغتراب.

. . لقد كانت رحلة في أحشاء الجحيم لهذا لم أجد من يصحبني فيها حتى ولو بنيات وحوافز المجاملة والرثاء. !

هل يوجد من يرافق بالارتحال في أحشاء الجحيم مجاملة أو شهامة أو صداقة أو عزاء. ولكن لقد كان في هذه الرحلة المتوحشة في كل تفاسيرها نشوة واحدة قد تعوض عن شيء من عذاب الرحلة. !

إنها نشوة أو لذة الافتراس والتحدي والفضح والمحاكمة والمعاقبة لأطغى وأردأ طاغية في هذا الكون أي لك يا إلهي. ! . . إني أجد في هذا الافتراس لذة لا يوجد مثلها في مذاق أي لذة أخرى. هل يمكن أن توجد لذة مثل لذة الافتراس لصانع هذا الكون؟

. . وكما أتعبتني هذه الرحلة فإنها لا بدَّ أن تكون قد أتعبتك بل وأذلتك وهزمتك وقهرتك أي إن كنت قد تابعتها وسرت معها بشيء من الوعي والحماس والحرارة والمحاسبة. !

. . إني محتاج يا إلهي إلى افتراضك قد فعلت ذلك. !. هل فعلته؟

. . ومع أن الرحلة قد أوقعتني في كل درجات الإرهاق وعذابه فإني لا أزال محتاجاً إلى المزيد من المسيرة في عذابها وفي قبح مواجهاتها التي لا يخفف من قسوة عذابها وقبحها إلاّ لذة الافتراس والتحدي والفضح والقهر والإذلال للكائن الذي لولاه لما وجد فاضح أو مفضوح، قاهر أو مقهور، متحد أو متحدى مُعذَب أو مُعذِب، فاسق أو مفسوق به، كافر أو مكفور به، جحيم أو فردوس. . الذي لولاه لما وجد لص أو قاتل أو أحمق أو مجنون أو مريض أو مشوه أو جائع أو مقهور أو مذنب أو زنديق أو منافق. . الذي لولاه لما وجدت هذه الرحلة الموقعة بي كل العذاب والغثيان والاشمئزاز، والموقعة به كل الهزائم والفضائح. . المغطية لكل أعضائه ومعانيه بكل

التشوهات والدمامات والعار.. المحولة لكل تاريخه إلى مقبرة كونية يتجمع فيها كل القبح والجهل والغباء والسخف والعبث والعذاب والضياع والنذالة والآلام والأمراض والقحط والمجاعات والهزائم والآثام.!.. الذي لولاه لما وجد جحيم ولا مستحقون للجحيم ولا زبانية جحيم ولا تكاليف جحيم.!

.. نعم، إنها لن توجد لذة تساوي لذة الافتراس والقهر والإذلال والفضح والتحدي لهذا الكائن الذي لولاه أي لولاك يا إلهي لما وجد أي شيء من ذلك..!

إن كل ما تراه يا إلهي بل وكل ما يراه كل الرائين قبحاً أو ظلماً أو إثماً أو عجزاً أو جهلاً أو غباء أو نذالة أو فسوقاً بل أو حتى غواية وكفراً.

ـ إن كل ذلك لن يكون إلاّ شيئاً من إفراز واستفراغ وبصاق وعرق وعفن وأعباء وبلادة وقبح ووحشية ضميرك وقلبك وعقلك وأخلاقك وشهواتك ومجاعاتك وحماقاتك وغواياتك وخطواتك وضرباتك المطلقة بلا تسديد أو أهداف أو رؤية أو التزام بأي معقول ولا بأي خروج على كل معقول.. كذلك لن يكون كل ذلك ولا شيء منه إلاّ تعبيراً عن ضياعك وأحزانك وهزائمك ووحدتك وعن غلطة وجودك وعذاب وجودك وجاهلية وجودك وفقدان وجودك لأي تفسير أو منطق أو ثمن أو قيمة من أي نوع أو بأي قدر أو مقياس أو حساب.!

لقد ذهبت تعالج عبث وعذاب وخسران وجودك ضد منطق وأخلاق العقلاء والحكماء.

لماذا في هذِهِ الذّاتِ والصيغَة
أرَدتَني وَوضَعْتَنِي يا إلهي؟

. . كنت يا إلهي محتاجاً إلى الراحة من هذه الرحلة أي أن تكون قد انتهت. . ولكني وجدت أن الارتحال داخل ذاتك وآفاق وقارات ذاتك لا ينتهي إلاّ إذا لم يبدأ أي إلاّ إذا لم يوجد المرتحلون المريدون للارتحال داخل ذاتك. .

ـ نعم، يا إلهي الارتحال داخل ذاتك وأخلاقك رهيب وفاجع ومؤذٍ ومروع. . إن أي مسافر داخل ذاتك يا إلهي ليكتشف ويرى ويروي كل ما في تكوينها من عاهات وتشوهات ودمامات وأخطاء وخطايا وعبث وقحط وظلام وبداوة وجهالة بل ومجاعة ووقاحة، وليقرأ ويفسر ويحاسب ويحاكم كل ذلك فلن يبلغ غايته أو تنتهي رحلته حتى ولو ارتحل فوق أجنحتك وأجنحة ملائكتك وزبانيتك بطاقات كل شموسك ونجومك وبراكينك وزلازلك وأعاصيرك وحرارة حقدك وغضبك وحزنك وبغضك ويأسك وهزائمك.

بل حتى لو حول كل نفط العروبة، كل نفطك البدوي الهمجي إلى طاقة في أقدام حصان عربي بدوي أصيل ليركبه أو في أجنحة براق ليطير فوقه في رحلته داخل ذاتك، داخل صحاراها وقاراتها. ألا يمكن يا إلهي أن تكون قد خلقت نفط العروبة ليكون طاقة لعقلك وذكائك وأخلاقك وحماسك ورؤيتك وشهامتك بل ولتجميل وجهك وذاتك وثيابك. . ولكن الغزاة الأذكياء الأقوياء قد سحبوه من آبارك وخزائنك وحراساتك، وحولوه دون أن يريدوا أو يقصدوا في هجاء وتجهيل لكل حساباتك وتخطيطاتك وتصرفاتك وأخلاقك وذكائك. !

. . بغير هذا التفسير المحابي لك يا إلهي المشفق عليك الرحيم، الرحيم جداً بك كيف يمكن أن يفسر هذا الثراء أو هذا الجنون النفطي المخزون المهان تحت الخيام والعباءات والكوفيات. . تحت صحاري وبداوات صحاري وبداوات عقلك وأخلاقك؟

. . استر نفسك يا إلهي بأي تفسير وهبني شيئاً من الرثاء أو الجزاء أو حتى البكاء أو الشكر لأني أناضل بكل العذاب ورهبة المغامرة لكي أستطيع أن أجد أي تفسير أستر به أية فضيحة أو حماقة أو عاهة من فضائحك وحماقاتك وعاهاتك يا إلهي التي لا تستطيع كل عباءاتك وكوفياتك وخيامك وجلابيبك ولا كل عباءات أو كوفيات أو خيام أو جلابيب أصدقائك وأحبابك أن يستروا شيئاً منها أعني أصدقاءك وأحبابك الذين ذرفت كل دموع حبك وأساك وعذابك في أحشاء صحرائهم لكي تصبح أي صحراؤهم معبداً يصلي له وإليه كل المؤمنين الأتقياء وكل الكفار الفجار بإيمان وتقوى أقوى!

أجل يا إلهي إن بدء الرحلة داخل ذاتك لن يكون إلاّ بدءاً لرحلة لا نهاية لها. . لا نهاية لقبحها وعذابها وفواجعها. .

. . إنه لا نهاية ولا علاج لأية رحلة داخل ذاتك وأخلاقك ومنطقك يا إلهي إلاّ بألا توجد هذه الرحلة وبألا يوجد مرتحلوها ولعل هذا التفسير شيء من التفسير لكون جميع المؤمنين بك يا إلهي لا يرفضون أو يحذرون أو يرهبون شيئاً مثل حذرهم ورفضهم ورهبتهم من السفر داخل ذاتك بل ومن رؤيتها أو تفسيرها أو محاورتها وقراءتها أو حتى الاقتراب منها فكيف مساكنتها أو معايشتها؟ لعلهم كانوا يعرفون أنهم لن يروا جمالك أو ذكاءك أو شهامتك أو عبقريتك إلاّ في ألاّ يروك أو يفهموك، إلاّ في الابتعاد عنك!

. . إن مؤمناً واحداً في كل تاريخك وفي كل تاريخ المؤمنين بك لم يسافر داخل ذاتك أو يفكر في هذا السفر أو يتقبله فكيف يحاورك أو يساكنك أو يعايشك أو يفكّر في ذلك أو يتقبله أو يحاول أن يراك متقمصاً جسد أية حشرة أو عارضاً نفسك بكل المرح والفرح والكبرياء في أبشع عاهة كرمت بها أتقى وجه. إن أقوى الناس إيماناً بك يا إلهي هم أبعدهم عنك، عن رؤيتك أو قراءتك أو محاورتك أو محاسبتك أو معايشتك أو مساكنتك. إنك يا إلهي الكائن الذي يجب أن يكون سماعاً ورواية فقط لأن كل العيون والعقول لن تستطيع أو تريد أن تراه أو تفهمه!

. . إن نبياً واحداً لم يحاول أو يرد أو يقبل أو يفكر في كل تاريخك وتاريخ كل الأنبياء أن يقرأك أو يحاورك أو يحاسبك أو يفسرك أو يراك عارياً، أو مطروحاً تحت التراب في كفن ميت أو لابساً جسد ذباب أو برغوث أو قملة أو نملة أو متألقاً في عاهة أو تشوه أو مرض، أو مستوياً فوق عرشك متوجاً بكل تيجانك لابساً كل حللك محلى بكل حليك وأصباغك، معطراً بكل عطورك محاطاً بكل زبانيتك وملائكتك متنقلاً بين فردوسك وجحيمك. !

. . لعلهم أي الأنبياء والمؤمنين بهذا الحذر منك والابتعاد عنك يا إلهي إنما يحرسون إيمانهم، يحرسون عيونهم وعقولهم وضمائرهم وأخلاقهم وكل تفاسيرهم الإنسانية وكل أشواقهم وتطلعاتهم بالابتعاد المحروس وبالانغلاق الشامل عنك ودونك لكي يؤمنوا بك ويحبوك ويحترموك ويروك ويجدوك ويفسروك ويقرأوك ويعلنوك كل الجمال والذكاء والحب والحكمة والرحمة والقوة والعبقرية. !

آه يا إلهي هل رآك إلاّ العاجزون عن الرؤية الرافضون لها الخائفون منها؟

هل رآك يا إلهي إلاّ من لم ير شيئاً ولا يستطيع أو يريد أن يرى شيئاً؟

. . لقد كانوا بذلك مثل من يفقأون عيونهم لكي يروا أقوى وأبعد، ويقطعون أرجلهم ليكونوا أقدر على الوقوف والحركة والمشي والقفز، ويسكتون أو يحرقون أو يطردون عقولهم ليكون فهمهم أقوى وأذكى وأنفذ وأصدق. !

كل الرثاء لجمالك يا إلهي لأنه الجمال الذي لا تراه إلاّ العيون المفقوءة. !

وكل الرثاء لذكائك لأنه الذكاء الذي لن يدركه إلاّ من صغت ذكاءه من ذكائك. !

. . لعلهم كانوا يعرفون أو يرون أن فِقد العيون أو العجز عن الرؤية أو رفضها أقدر على الرؤية وأجمل رؤية وأكثر للجمال، وأن العجز عن التفكير ورفضه هما اللذان يريان كل شيء تفكراً بل أعمق تفكير. . هما اللذان يريان كل شيء ليس فقط أعمق تفكير بل تفكير إله. . هما اللذان يريان العاهات والتشوهات والمجاعات والأمراض والعجز والشيخوخة والموت وكل الشرور والآلام والقباحات وكل أنواع الحشرات والجراثيم هي أقوى وأذكى وأشمل عرض وإعلان عن جمال الإله وحكمته ورحمته وقردته وعبقريته بل عن عروبته وعروبة كل أخلاقه وفنونه وحبه وبغضه وصداقته وعداوته، بل وعن عروبة أفكاره وانتصاراته وحروبه. !

. . إنه لا شيء يفسر معاني الإله مثلما تفسرها معاني الإنسان العربي، وإنه لا شيء يفسر معاني الإنسان العربي مثلما تفسرها معاني الإله، معاني الإله المعلمة والمجربة والمحفوظة بل والمنفذة. !

. . لعل في هذا شيئاً من التفسير لاتفاق جميع الأنبياء والمؤمنين بالإله في كل عصورهم ومجتمعاتهم على أن يتحدثوا عن الإله ويرووه ويرووا عنه ويفسروه ويفسروا كل معانيه وصيغه وكل جمال وجهه وعيونه وشعره ورموش عينيه وأظافره وشعرات رأسه البيضاء وتجعدات جلده، ولكن بشرط حاسم حازم هو ألا يروه أو يقرأوه أو

يفسروه أو يحاسبوه. إننا بهذا التفسير نتهم الأنبياء والمؤمنين بالذكاء أي نتهمهم بأنهم يعرفون أن رؤية الإله تشوهه بل تطرده وتقتله. !

.. نعم، أليس كل جمال الإله في ألا يرى، وكل ذكائه وعبقريته وقدرته ورحمته وحكمته في ألا يحاور أو يحاسب أو يقرأ أو يفسر أو ينتظر أو ينتظر منه أو يرجى أو يدعى أو يطالب أو يطلب منه؟ أليس الإله هو الكائن الذي لا تراه إلاّ العيون التي لا ترى ولا تفهمه إلاّ العقول التي لا تفهم أو التي أضربت عن الفهم؟

.. أليست كل هزيمة الإله وفضائحه ودماماته وتشوهاته وبداواته ووقاحاته في أن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يحاسب أو يحاكم أو يطالب أو يطلب منه أو يرجى أو ينتظر؟

لهذا أليست رسالة ووظيفة كل نبي أن يحمي الإله من أن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يحاسب؟

.. أليس الإله هو الكائن الذي لا يرى جماله إلاّ في الظلام والذي لا ترى جماله إلاّ العيون العمياء، والذي لا يعرف أو يجد ذكاءه إلاّ العقول الغبية.. إلاّ العقول التي هي ضد كل العقول، ضد كل الذكاء.؟ إلاّ العقول التي تجد في الحشرة والعاهة والقبح والمرض والأم كل العقل والذكاء والمنطق والجمال والحب ونبل الأخلاق وكرمها وشهامتها وفدائيتها.. إلاّ العقول التي ترى عبقرية ورحمة الإله تتجليان بكل قوتهما وحبهما وجمالهما في التشوهات والعاهات والأمراض وفي كل الآلام والنقائص والفواجع؟

.. إن أصدق وأشمل وصف لكل نبي أو لخاتم الأنبياء إذا التزمنا بكل الصدق والعدل أنه الفاقئ للعيون لئلا ترى، والقاتل المفسد المضلل للعقول لئلا تفكر أو تفهم، والمخمد المميت للمشاعر لئلا تغضب أو تفجع أو تقاوم، والمشيد لأضخم وأقوى وأردأ الوثنيات بحجة محاربة الأوثان والوثنيات أي المحاول المريد الموظف نفسه لذلك.!. هل جاء فيمن جاء ليخمد ويضلل ويفسد ويقتل معاني الإنسان مثل خاتم الأنبياء؟

آه يا إلهي إنه مهما كان لكل الرحلات شيء من الجمال أو السرور أو الراحة أو النفع أو العزاء فإن الرحلة داخل ذاتك نقيض لكل ذلك. إنها كل العذاب والقبح والكآبة والخسران. !

.. إن كل العزاء لا يستطيع أن يكون شيئاً من العزاء لي لأني تقبلت وتحملت

وجرؤت أن ارتحل هذه الرحلة داخل ذاتك بكل آفاقها وتفاسيرها وقبحها وعذابها. لماذا فعلت ذلك أنا وحدي؟ هل لأني معذب بلا قياس أم لأني باحث عن العذاب؟

.. إذن يا إلهي.. الذين يتقبلون ويتحملون كل عذاب وقبح وهوان هذه الرحلة داخل ذاتك بكل الرؤية والمحاورة والمحاسبة والمحاكمة والتقوى الأخلاقية والنفسية والعقلية أو حتى بشيء من ذلك.

ـ نعم، هؤلاء إذا وجدوا أو لو وجدوا بماذا نسميهم أو نفسرهم أو نقرؤهم أو نحسبهم؟

هل نراهم ونحسبهم ونقرؤهم ونفسرهم أسخف المجانين أم أعظم الأبطال الفدائيين أم أتقى المؤمنين، أم أغبى وأوقح الباحثين عن الألم والتعذيب والترويع لأفكارهم وضمائرهم وعيونهم وأخلاقهم وأمانيهم ونماذجهم المثالية؟

هل يفسرون بأنهم أردأ العابثين السخفاء أم بأنهم أوقح المستمتعين برؤية وأقبح القبح وأفضح الفضائح؟

هل يوجد أوقح أو أجرأ على اقتحام الوقاحة مثل من يقبلون الارتحال داخل ذاتك يا إلهي؟ إن كل عشاق الفضائح والقبائح لن يساووا في عشقهم هذا عشق المرتحلين داخل ذاتك للقبائح والفضائح.!

.. تذكر يا إلهي تذكر وأحزن وارثِ لي واعتذر إليَّ لأني مستمر في هذه الرحلة داخل ذاتك وحدي، وحدي.!

تذكر أني مستمر في هذه الرحلة القاتلة الفاجعة الفاضحة داخل ذاتك وكأني أبدؤها.!

إني مستمر فيها ولكن بمشاعر أقسى حساسية ومحاسبة ورغبة في الهجوم والمعاقبة. إني هنا أبدأ محاسبة لك أي أستمر فهيا وكأني أبدؤها لعنف حساسيتي بها وعنف رغبتي في الهجوم عليك من أجلها.!

آه. أنا وحدي في هذه الرحلة التي لا مثيل لقبحها وعذابها وعبثها في كل الرحلات لأنها يا إلهي داخل ذاتك.!

آه ليتني أجد مرافقاً أو مصاحباً أو معجباً أو حتى موافقاً أو محايداً أو صامتاً عن رفضي ولعني ومقاومتي.!

ليتني أجد آخرين قد سبقوني إلى هذه الرحلة داخل ذاتك يا إلهي لكي أجد شيئاً

من العزاء أو الإرشاد أو شيئاً من تخفيف عذاب ووحشة وحدتي الرهيبة. . لكي أجد مزيداً من الجرأة والصبر على اقتحام هذا العذاب والقبح، قبح وعذاب الارتحال داخل ذاتك. !

* * *

صدقني يا إلهي إني هنا صادق ومخلص بكل معاني التعذيب لنفسي حين أنصحك بل أطالبك وأرجوك أن تحشد وتلهب هنا كل ذكائك وحماسك وعقلك ودهائك ومكرك وبلاغتك لأن الحساب أو الحوار سيكون قاسياً صعباً جداً عليك. . لهذا أطالبك بالاستعداد والاستنفار الشامل الكامل لذلك. . إني لأشعر بالرثاء لك والإشفاق عليك وأنا أكاد أبدأ هذا الحساب أو الحوار. !

. . في البدء يا إلهي قلت لك لماذا أوجدتني وطالبتك أن تذكر لي بل ولنفسك ما هي المسوغات أو الضرورات أو المجاعات أو الاحتياجات النفسية أو الفنية أو المنطقية أو الأخلاقية أو الجمالية أو الكونية أو الإلهية أو حتى الغنائية أو الشعرية أو المسرحية الملهاتية لذلك أي لإيجادي. !؟

. . ولكنك حتى هذه الساعة لم تذكر أي جواب عن هذا السؤال الأليم والضخم الذي لا بدَّ أن أسأله وأن أجد الجواب المرضي المعقول المقبول عنه وإلاّ وجب عليَّ أن أقاتل ما استطعت القتال مَنْ فعل بي ذلك ما لم أكن حشرة أو جماداً أو أقل وأبلد من ذلك أليس كل موجود يقاتل موجده بكل الأساليب حتى حينما يقاتل المرض والفقر والقحط إنما يقاتل موجده؟

. . وكذلك حدثتك عما في إيجادك لي دون استشارتي وموافقتي من عدوان وسفه وعبث ووقاحة وبذاءة بل ونذالة. !

لقد سحبتني من مكاني الساكن البريء النظيف التقي الذي لن يصاب بأي قبح أو ألم أو عصيان أو فجور أو كفر أو عفن أو مرض أو موت أو حقد أو عداوة إلى وجودي وإلى الوجود الذي هو كل ذلك. !

. . . إن إيجاد الكائن دون استئذانه وموافقته لهو أوقح أساليب وتفاسير العدوان والوقاحة والبذاءة بل إن إيجاده هو كل ذلك وفاعل كل ذلك. !. ولأنه لا يمكن استئذان من لم يوجد كان يجب ألاّ يوجد من لم يوجد لأن الإيجاد بدون استئذان عدوان ونذالة ووقاحة. !

. . إن قتل وتشويه وتعذيب وإذلال وتحقير الكائن البريء كل البراءة لهو أقل نذالة

وعدواناً وظلماً ووقاحة من إيجاده دون استشارته وموافقته بل إن أصابته بكل ذلك هو بعض تفاسير ونتائج إيجاده. !

.. كيف يا إلهي لم تفهم ذلك؟ وكيف لم يفسره لك أحد من مستشاريك وأعوانك؟ هل هم أغبياء أم منافقون ومهملون؟

هل المفروض في سكان السماء أن يكونوا معصومين ومحروسين من كل فهم وذكاء؟ ليته كان لك يا إلهي مستشارون وأعوان وناصحون ومعلمون من البشر أو غيرهم. !. إذن لما تركت لتهوى كما هويت وتهوى. !

.. كيف يا إلهي لم تعرف أنك لو لم توجد الإنسان بعد أشق المعاناة والإرهاق لما تعذبت وقاسيت وتفجعت وصرخت وبكيت وأنيت من قسوة ما لاقيت من العصيان والهزائم والإهمال والإذلال والنسيان والتحقير والاستهزاء ومن تكاليف إرسال الرسل وإنزال الكتب والتعاليم وأيضاً من تكاليف خلق الفردوس والجحيم وإعداد حراسهما وموظفيهما بلا أي ثمن أو جزاء أو نتيجة؟

هل يوجد تاجر أخسر أو أخيب منك في خلقك للإنسان؟

.. كيف لم تعرف ذلك يا إلهي؟ كيف لم تعرف شيئاً لن يستطيع أحد جهله إلاّ أن يكون أحد سكان السماء، أو إلاّ من يتعلمون ذكاءهم من ذكاء سكان السماء؟

هل يمكن تصور خسران يساوي خسرانك في إيجادك للإنسان؟

هل كل خططك وتخطيطاتك ومشروعاتك وإنفاقاتك ومتاعبك يا إلهي خسران، خسران بل وآلام وإذلال وهوان لك؟

.. لم تدرك يا إلهي إن إيجادك للإنسان خسران وعصيان وتعذيب لك وفضح وإهانة لذكائك.. إذن كم يجب الرثاء لذكائك ولكرامتك ولكل تفاسيرك ومستوياتك؟

هل غاظك أو عذبك أو أذلك وعصاك خلقك لشيء مثل خلقك للإنسان الذي ملأك كبراً خلقك له؟

.. هل كان يا إلهي إيجادك للإنسان وأيضاً لكل شيء ولأي شيء بلادة أم بحثاً عن العار والافتضاح والتعذيب والتحقير للذات؟ هل عذب أو يعذب أحد أحداً بوقاحاته وعصيانه وفضائحه مثلما عذبك ويعذبك يا إلهي الإنسان بذلك؟

كيف يستطاع تفسيرك بهذا أو بهذا؟

إذن ليته يمكن أن يوجد أي تفسير لك آخر غير أحد هذين التفسيرين أو كليهما. !

هل تستطيع أن تجد أي تفسير لك في هذه القضية غير هذين التفسيرين مجتمعين أو مفرقين أو هل يستطيع ذلك أحد من أعوانك؟

هل تستطيع أن تزعم أو ترى أن إيجادك للإنسان أو لأي شيء لم يتحول إلى أقسى وأدوم وأشمل العصيان والخسران والتعذيب والإذلال والغيظ والغضب والهزائم والتحقير والإرهاق والمعاناة لك والهدم والإفساد والتكذيب لكل تدبيرك وتخطيطك وإرادتك وتعاليمك وتوقعاتك وإدعاءاتك بلا أي ربح من أي نوع أو بأي تفسير أو قدر أو أسلوب؟ هل امتلأت أو تعذبت عيناك برؤية كل الوقاحات والنذالات والدمامات والذنوب والفضائح مثلما امتلأت وتعذبت عيناك؟

* * *

. . والآن أرجوك يا إلهي أن تستمع بكل الاحتراق والرهبة والانفجاع وأيضاً بكل البسالة والشهامة والتجلد والوعي والصدق واللهفة ـ أن تستمع إلى هذا السؤال أو الحوار يفجره ويطلقه عليك صاحب القضية المعتدى عليه.

ـ يطلقه ويفجره فيك وعليك بكل طاقاته وأسلحته النفسية والعقلية والمنطقية والأخلاقية واللغوية. !

نعم، لقد اعتديت عليَّ بإيجادك لي بلا استئذان أو موافقة مني. . وقد حاسبتك وحاورتك وحاكمتك على هذا العدوان وفيه. . !

أما السؤال والحوار أو الحساب الأقسى والأقتل فهو:

ولماذا من هذا الجنس أو النوع وبهذه الصيغة والذات أردتني وأوجدتني ولم تردني أو توجدني من أي جنس أو نوع آخر أو بأية ذات أو صيغة أخرى؟

لقد كانت كل الأنواع والأجناس والصيغ والذوات مفتوحة ومرئية ومعروضة أمامك، ومنطقية وفنية وأخلاقية وعبقرية في حسابك وتفكيرك ورؤيتك بلا أي تفاوت أو تفاضل أو تفضيل. !

لقد كنت أو كان أسلوب أو صيغة وجودي موجوداً في كل الاحتمالات. إذن كيف وبأي منطق تختار؟

لقد كان الاختيار والتحديد هنا ورطة أو تعجيزاً أو مستحيلاً أو يجب أن يرى كذلك. . . أنت تملك مادة ما وأنت تستطيع بقدرة مطلقة أن تصنع منها معبداً أو سجناً أو بيتاً أو تمثالاً أو مستودعاً أو إنساناً أو قرداً أو جملاً أو حشرة أو نبياً أو ملاكاً أو ملكاً

أو رئيساً وأنت ترى كل هذه الصيغ والذوات والأجناس والإيجادات متساوية لديك فنياً ومنطقياً وأخلاقياً وجمالياً تساوياً مطلقاً، ومتساوية مشاعرك وأحاسيسك بها ونحوها ومتساوية احتياجاتك إليها ومنافعها لك ورؤيتك لها، دون أن تكون مكلفاً أو ملزماً أو مأموراً أو ملتزماً بأن تصنعها أي المادة لأحد في أية صيغة أو ذات أو في صيغة أو ذات أو في صيغة أو ذات محددة، بل وأنت وهذه المادة الموجودان وحدكما أو الموجودان قبل كل وجود وصيغة وجود، بل وأنت وحدك المريد والفاعل لكل وجود أو موجود آخر إرادته وحاجته وصيغته ونموذجه. !

. . نعم، أنت في هذا الموقف أو لو كنت في هذا الموقف وتحت كل هذه الظروف والتفاسير فهل تتصرف أو تفعل هنا شيئاً مهما كنت عابثاً أو هارباً من الصمت والسكون أو موزعاً مستفرغاً لذاتك وطاقاتك بلا حساب أو منطق أو أخلاق أو وقار أو احترام للنفس، أو إلاّ بقدر ما تكون عابثاً أو هارباً من عذاب وضيق الصمت والسكون أو باصقاً مستفرغاً لنفسك بلا أي اتجاه أو صيغة أو نموذج أو نظام أو قصد؟

ولو أنك تصرفت وفعلت فكيف يمكن أو تستطيع أن تختار اختيارك أمام هذه الاحتمالات أو الاختيارات المتساوية لديك في كل شيء؟

إن الاختيار من احتمالات وخيارات لا يستطاع حصرها صعب جداً أو سفه جداً أو عذاب جداً أو جنون جداً أو مستحيل جداً ما لم يكن هناك محرض على الاختيار من بين هذه الاحتمالات والاختيارات المطلقة في إعدادها وتفاسيرها حتى ولو كان هذا المحرض أي على الاختيار وهماً أو تمنياً أو تصوراً أو تخلصاً من الحيرة والورطة والضياع والصمت والسكون. . إنه لا بد من المحرض مهما كان تفسيره ليكون ممكناً الاختيار أمام الاحتمالات المطلقة. . إنه لا يمكن التصرف أو الفعل أمام الاحتمالات والاختيارات المتساوية في كل شيء، في كل تفاسيرها وفي كل حسابات ورؤى وأحاسيس ومصالح ومنطق وأخلاق من يُراد منه أو يفترض فيه أن يتصرف أو يفعل ما لم يكن مكرهاً أو مضطراً أو مأموراً أو متحركاً خابطاً ضارباً بلا قصد أو تدبير أو عقل أو هدف أو حرية أو رؤية أو ما لم يكن مهتزاً مرتجفاً متمايلاً هاوياً أو متصادماً متشاتماً قرئ وفسر بالفاعل والمتصرف مثلما تقرأ وتفسر النيازك والزلازل والبراكين والفيضانات وكل ارتجافات واهتزازات الطبيعة التي تتحرك دون أن تتصرف أو تفعل أي دون أن تريد أو تختار. !

. . القادر الغني قدرة وغنى مطلقين والمتساوية لديه أي لدى كل معانيه وتفاسيره

وأشواقه ورؤاه وحساباته وأخلاقه كل صيغ ونماذج ووحدات وأنواع وأجناس كل وجود وموجود.

ـ نعم، هذا القادر الغني كل هذه القدرة وكل هذا الغنى أي الإله أي لو كان ممكناً أن يوجد لماذا يفعل ويتصرف ولو فعل وتصرف فكيف يختار صيغ تصرفه وفعله المطلقين في قدرتهما وفي كل أشواقهما وأهوائهما واحتياجاتهما وعلاقاتهما مع كل شيء وكل أحد؟

هل يفعل أو يتصرف مختاراً ومحدداً فعله وتصرفه إلاّ العاجز أو المحتاج أو المضطر أو المكره بأسلوب أو تفسير أو معنى ما أو إلاّ الغاوي الهاوي العابث المستفرغ الباصق لذاته بلا أي هدف أو نية أو تفكير أو محاسبة للذات؟

حتماً، الفعل تعبير ما عن معنى ما من معاني العجز والاحتجاج. فالقدرة والاستغناء المطلقان لن يفعلا..

* * *

هل تحتاج يا إلهي إلى أن أقول وأفسّر لك: إن المريد المخطط المصمم الصانع الخالق الفنان المبدع لا بدّ أن يصنع ما يصنعه بالصيغة والمستويات والصفات التي لا يستطيع أو لا يعرف أو لا يريد أو لا يستطيع ولا يعرف ولا يريد غيرها أو أعظم أو أضخم أو أجمل أو أعقل أو أذكى أو أنفع أو أحكم أو أقوى أو أقل تكاليف وأكثر ملاءمة وتمجيداً ومجداً منها.!؟

إنه لا بد أن يصنع كل ما يصنعه بكل قدرته ومعرفته وعبقريته وفنونه وجماله ما لم يمنعه أو يخفه أو يفسده أو يغره أو يساومه أو يعقه شيء.!

.. هل يمكن أن يصنع الأقبح أو الأصغر أو الأضعف أو الأبلد أو الأنذل أو الأشقى أو الأجهل ـ أو هل يمكن أن يصنع أي قبح أو ضعف أو شقاء أو ضآلة أو نذالة أو جهالة إذا كان يستطيع ويعرف أن يفعل النقيض وكانت التكاليف والظروف متساوية في أن يصنع هذا ونقيضه وكان يعرف هذا من نقيضه ـ أو هل يمكن ألا يصنع حينئذ كل صيغ ونماذج ومستويات أعلى ما يستطيع ويعرف أن يصنعه؟ هل يوجد من لا يضع كل عبقريته وقوته وفنونه وحماسه وذكائه وعقله وشوقه في كل ما يدبره ويخططه ويوجده ما لم يكن شريراً أو عدواً أو نذلاً أو جباناً أو ماكراً أو أي شيء رديء آخر؟

.. أحسب يا إلهي أنك في هذه اللحظة تشعر وتتوقع أن سلاحاً قاتلاً سيطلق عليك. إني أكاد أراك مرتعشاً مرتجفاً متهاوياً متلفتاً إلى كل الجهات بلا رؤية أو وعي أو

وقار منتظراً إطلاق هذا السلاح على كل جبهاتك وأعضائك ومعانيك بلا أية قدرة على الدفاع والمواجهة أو التحمل. !

وأظنك قد فهمت أن هذا السلاح هو هذا السؤال:

هل إيجادك لي في النوع والنموذج والمستويات والذات التي أردتها لي وأوجدتني فيها محكوم بهذا المنطق والتفسير أو يمكن أو يجوز أو يقبل أن يحكم بهما؟

هل أوجدتني كما أوجدتني من نفس النوع والجنس والأوصاف والمستويات وفي نفس الذات والصيغة لأنك لا تستطيع أو تعرف أو تريد أن توجدني وجوداً آخر، في أي مستوى أو نموذج أو صيغة أو ذات أو نوع، أو لأنك رأيت أن إيجادك لي كما أوجدتني بكل ظروف ومواجهات ومقاساة ذلك هو كل السخاء والعطاء والجمال والسعادة والقوة والتمجيد والتكريم والحب والصداقة والمنطق والحكمة والرحمة والمحاباة والتدلل لي والتعويض عليَّ والاعتذار إليَّ؟

هل رأيت أن إيجادي في النوع والصيغة والذات التي كانت هو الذي لن أقبل سواه؟

.. هل إيجادك لي كما أوجدتني هو كل التعبير عن قدرتك ومعرفتك أم عن كل شهامتك وأخلاقك ونبلك وحبك وفنك وتكرمك ورؤيتك، أم عن كل احتياجك وفرحك وسعادتك ونوع مسلاتك وملهاتك وقسوتك وشماتتك ومجاعتك إلى التعذيب والترويع والتفجيع وإلى التغذي بمن خلقته وأردته بلا شحم ولا لحم بل وبلا حجم أو عظام؟

هل أحد غيرك يا إلهي يخلق كائناً بلا شحم أو لحم أو عظام ليشبع به جوعه؟

.. أم هو أي إيجادك لي كما أوجدتني هو كل التعبير عن إرادتك وشهوتك اللتين لا يستطاع ولا أنت تستطيع إخضاعهما أو خضوعهما لأي منطق أو خلق أو شهامة أو كرامة أو جمال أو فن أو محاسبة أو محاكمة؟ إنه لو أمكن تفسير كل شيء بالمنطق والأخلاق لما أمكن تفسير إرادتك أو شهوتك بشيء من ذلك..

ولماذا جاءت إرادتك وشهوتك وهما يتخبطان بلا تدبير أو تفكير أو تقدير أو رؤية أو محاسبة.

ـ لماذا جاءتا في خبطاتهما لتوجداني كما أوجدتاني مع أنه لا ضابط ولا آمر ولا نظام ولا حدود أو قانون لمجيئهما وخبطاتهما؟

.. لماذا صاغتني هذه الخبطة من خبطاتهما ولم تصغني أية خبطة أخرى صاغت صخرة أو نخلة أو زهرة أو قملة أو نملة أو جملاً أو ذئباً؟

كيف استطاعت شهوتك أو إرادتك أو يدك أن تهتدي إليَّ في الفراغ المطلق والظلام المطلق ثم استطاعت أن ترى وتعرف الصيغة والذات التي أوجدتني بها أي في الفراغ والظلام المطلقين؟

.. قبل أن توجدني بل وتريدني يا إلهي لم ترني لا صورة ولا رسماً ولا شهوة ولا عشقاً ولا خيالاً ولا نموذجاً ولا أوصافاً مقروءة أو مكتوبة أو مروية أو متمناة ولم يأمرك أو يطالبك أحد بأن توجدني كما أجدتني من نفس النوع والجنس والنموذج وفي نفس الذات والمستويات والأوصاف. !

إن أي شاعر أو نبي لم يتغنَّ بأوصافي بين يديك وفي أذنيك يا إلهي. !

.. إذن كيف اهتدت إلي تصوراتك وشهواتك وأحلامك ويداك وضرباتك وتهويماتك ونزواتك وأشواقك لتوجدني كما أوجدتني في نفس الذات والصيغة والنوع والجنس وفي كل الصفات؟ هل يكون العشق قبل وجود المعشوق؟ هل أنت يا إلهي هذا العاشق؟

.. ماذا لو أن كائناً ما يعيش وحده في فراغ مطلق وهو مطلق التصورات والرؤى والأشواق والحب والتفكير، أراد لأسباب مجهولة بل لأسباب لن تكون معقولة أو مقبولة أن يكون فاعلاً أي خالقاً حيث لا توجد نماذج سابقة بل حيث لا يوجد أي وجود غير وجوده هو؟

كيف يمكن حينئذ أن يصوغ نموذج ما يريد أن يوجده لكي يكون ويحسب نفسه فاعلاً؟ أليس الفعل وكذا الإرادة وكذا التدبير والتخطيط تحديداً وليس إطلاقاً؟

.. لو أن صانع أزياء مطلق القدرة والتخيل والتصرف وكان يملك المادة التي يصنع منها الأزياء والملابس بلا حساب أو نفاد أو ثمن لما يملك ولم يكن قد رأى أي جسم حتى ولا جسمه ليصنع على مقاسه ما يريد صنعه.

ـ نعم، لو أن هذا الصانع للأزياء والملابس وجد تحت كل هذه الظروف ثم أراد أو أريد منه أن يصنع ثوباً أو زياً فهل يمكن أن يعرف كيف يصنعه؟ كيف يصنع مقاساته وألوانه وأنواعه رقته أو قسوته، خفته أو ثقله، أو قوته أو ضعفه، ضيقه أو اتساعه، فتحاته وقفلاته؟

. . إن البدء المطلق من الفراغ المطلق من القفرة المطلقة لا يمكن أن يكون، ولو كان لما أمكن أن يكون فناً أو نظاماً أو حباً أو جمالاً أو عقلاً أو معقولاً. !

. . إن البدء المطلق مستحيل وضلال وقبح أنه خبط في الظلام المغلق بلا أية علامة أو تجربة أو هاد أو طريق. . لنحاول أن نتصور ما كان أو ما كنت يا إلهي يوماً ما من أيام تاريخك الذي تزعم أنه بلا بداية أو نهاية وأنه كان بلا أي مجد أو فرح أو سعادة أو انتصار لك أو لأعوانك وجنودك. !

. . نعم، إنه لا تاريخ مزروع كله بالهزائم مثل تاريخك يا إلهي. !

. . لنتصورك وحدك بلا أي وجود أو موجود آخر. . بلا أي مستشار أو مساعد أو صديق أو محاور أو مسائل. . بلا أي حبيب أو حبيبة. . بل أي حان أو مشفق أو حانية أو مشفقة. بلا أية ابتسامة من أحدهم أو من إحداهن. !

آه. ما أبشع هذا، ما أبشعك وما أبشع تصورك وتصور عذابك وضياعك وحيرتك وكآبتك وأنت تُقاسي هذه الوحدة المغلقة. !

. . ثم لنتصور أنها في لحظة أو في دهر قد تفجرت فيك إرادة أو شهوة تفرض عليك أو تغريك وتغويك أو تكون فاعلاً أي خالقاً. !

نعم، إن إرادة الخلق هي أفسق الشهوات وأغوى الغوايات. !

. . ثم لنتصور أنك استسلمت لهذه الشهوة والإرادة ولهذا الإغراء والإغواء فصممت على أن تفعل وتخلق. . على أن تلد بلا زواج وبلا علاقات تصنع الحبل والولادة، وبلا أرحام أو نماذج أو قوانين وراثية تصوغ نموذج وحجم وصيغة وصفات المولود. !

كيف يمكن أن يجيء حجم المولود وصيغته وصفاته من بدء وفراغ مطلقين؟

. . آه. إذن لقد أصبحت يا إلهي محاصراً بسؤال قاتل يصعب أن يستحيل عليك أن تجد له أو عنه جواباً. !

. . يقول لك هذا السؤال: كيف تبدأ الفعل والخلق وأنت في فراغ مطلق؟ بأي نموذج أو ذات أو صيغة أو أسلوب تبدأ وبأي منطق؟

. . كل شيء مثل أي شيء وأي شيء مثل كل شيء. إذن كيف يكون البدء والاختيار؟

. . أي فعل وخلق أو أي عالم أو أي كون أو أي جنس أو أي نوع أو أي لون أو أية صيغة أو أية مستويات أو كائنات أو ذوات أو وحدات أو سموات أو قارات.

ـ نعم، أي ذلك تختاره لتخلقه لتكون خالقاً؟

ثم أي زمان أو مكان أو طقس أو اتساع، وأي قدر من الجمال أو الدمامة. . من الاستواء أو التشوه. . من القوة والفخامة أو من الضعف والضآلة. . من الحياة والخلود أو من الموت والفناء. .

ـ نعم، أي ذلك يستهدي إليه اختيارك وبأي قانون أو منطق أو حتى بأي احتمال يمكن أن يهتدي إليه لتفعله، لتكون خالقاً؟

. . أنت مطلق في كل شيء في القدرة والإرادة والتصور والرؤية والتفكير والتدبير والتخطيط والحب والهوى والعلاقات مع كل شيء وكل أحد. . إن كل الأشياء والاحتمالات والاختيارات والنماذج أمامك سواء، وإن رؤيتك لها إعجاباً وحباً ومنطقاً وعدلاً وجمالاً وفناً رؤية واحدة. !. إن جمالك وذكاءك ومنطقك وفرحك وعبقريتك وكل فنونك موجودة في كل الأشياء بدرجة واحدة!

. . إنك أمام كل شيء محايد ومفرغ وبريء من كل العلاقات والأهواء والمحاباة والحوافز الذاتية والعقلية والفنية والأخلاقية وغيرها. . إنك مطلق، مطلق لا تتحدى بأي شيء في معنى من معانيك. !

. . إنك بالمنطق والحب والأخلاق والشهوة والإرادة والتدبير والتخطيط وعبقرية الإبداع والفن والجمال التي صغت بها الذباب والبرغوث والقملة والشيطان هي التي صغت بها الزهرة والنبي والملاك، والتي صغت بها العاهة والتشوه والمرض، هي التي صغت بها الجمال والصحة والقوة والعبقرية، أي إن كنت قد صغت أي شيء بأي شيء من ذلك. !

. . إذن كيف تختار؟ كيف تستطيع أن تختار والمفروض أنك تفعل حتى تختار؟ باللّه قل لي يا إلهي الضائع: هل كانت عبقريتك أو تقواك حينما أردت وخلقت أية حشرة أردأ من عبقريتك وتقواك حين خلقت أي نبي؟

. . الفعل بلا اختيار محال أو جنون. . والاختيار بلا تفسير أو معنى للاختيار أو محرض عليه أو ملزم به شيء أقبح وأكثر من المحال والجنون. !. إذن يا إلهي كيف يكون الاختيار؟ وبأي قانون أو منطق يكون الاختيار لما يجب أو ينبغي اختياره. ؟

.. هل يمكن أن يوجد هنا جواب أو حل؟ لو وجد أي جواب أو حلّ لأي سؤال فهل يمكن أن يكون جواباً وحلاً.؟

.. إن إيجاد الشيء مختارة له صيغة أو ذات ما، لن يكون إلاّ عن نموذج أو عن قدرة محددة أو إرادة محددة أو حاجة محددة أو خيال أو منطق أو هوى محدد مغلوب. بل إن كل ذلك لا يكفي ما لم يكن هناك نموذج سابق أو ما لم يرد إيجاد نموذج محدد مفهوم. ولماذا يُراد وكيف يُراد ويصاغ ويختار النموذج إذا كان كل شيء فراغاً مطلقاً وكانت كل النماذج سواء لدى من يريد أن يختار ويوجد؟

.. إنها يا إلهي قضية لم تستطع لا أنت ولا أحد من المتعاملين معك والمعاونين لك والمعلمين لأخلاقك ومعانيك وتفاسيرك فهمها. إنها لم تكن صعبة بل لقد كان الصعب العجز عن فهمها..

لهذا كم يجب الرثاء والبكاء لانخفاض وضعف مستويات الفهم فيك أنت يا إلهي وفي كل من تعاملهم ويعاملونك وفي كل من تثق بهم ويثقون بك!؟. ما أظلم وأوقح من صنعوا الفهم وقسموه..

إنهم لم يهبوك لا أنت ولا أحداً ممن حولك شيئاً منه.!

.. أسمع يا إلهي بكل الرهبة والجد والفهم لما أقول لك..!

إني بكل الحسم والإصرار والغضب أنقد وأنكر وأرفض وأحاسب وأحاكم الذات والصيغة والنوع والجنس والزمان والمكان والطقس والصفات والظروف وكل المستويات التي أردتها لي وأوجدتني بها مهما كانت الأسباب والحوافز التي أغرتك أو حرضتك أو أغوتك أو أكرهتك أو خدعتك على أن تفعل ما فعلت.!

هل تعالج نفسك بأن توجدني كما أوجدتني فهل يغفر لك ذلك عدوانك عليَّ؟

.. أجل، حتى ولو كانت الأسباب والحوافز هي أنك وجدت أنك لن تفرح أو تضحك أو تسعد أو تنام أو ترضى عن نفسك ومجدك أو تجرؤ على النظر إلى وجهك في أية مرآة إلاّ بأن توجدني كما فعلت.. بل حتى لو كانت الأسباب والحوافز إنك قد احتملت أو أخبرت أو عرفت أنك لو لم توجدني كما أوجدتني لكان محتوماً أن تمرض أو تموت أو تهرب من كونك أو تضرب عن الفعل والخلق أو تدمر كل ما خلقت أو يواجهك كل من خلقت وما خلقت بثورة كونية تسقط عرشك أو تسقطك من فوق عرشك.!

هل فكرت أو خفت ولو مرة واحدة أن ثورة قد تسقطك كما حدث لكثير من الطغاة؟

. . إني لن أغفر أو أتنازل مهما كانت الأسباب والحوافز . !

ولو أنك يا إلهي قلت لتحرجني وتفحمني أو لتضعف من محاسبتي ومحاكمتي لك ومن ضخامة العقاب الذي تستحقه والذي أطالب به لك .

ـ نعم، لو أنك قلت مدفوعاً بهذه التفاسير :

ولماذا لا تفارق وجودك الذي ترفضه بكل هذه القسوة أي بأن تموت بيديك وإرادتك وقوة رفضك؟ . . إن هذا الموت سهل وميسر جداً. وقد يسرت وأكثرت ونوعت وقربت وكشفت أسبابه ووسائله وطرقه بكل سخائي ونبلي وشهامتي ورحمتي لكي يفعله بلا أية مقاساة أو خطأ أو ثمن أو ترخيص أو تحليل أو قانون أو عقاب كل من يريده ويرفض حياته أو وجوده. إن العاجز عن كل شيء يستطيع أن يصنع موته بلا نضال . . كيف ترفض وتلعن وجودك وتذهب تحاسب وتحاكم عليه ثم تصر على الاستمساك به تحت كل الهوان والعذاب والتفاهة والعجز والضياع واليأس بل ثم لا تكره أو تخاف أو تعادي شيئاً أو أحداً مثل من تظن أنه قد يخلصك من هذا الوجود أي من وجودك الذي تنقدني وتتهمني وتحاسبني وتلعنني وتريد أن تعاقبني لأني وهبتك إياه؟ إني أنا الإله لم أيسر أو أسهل أو أكثر أو أقرب من أسباب ووسائل شيء مثلما فعلت مع أسباب ووسائل الموت الذي يختار اختياراً . !

لقد كنت سمحاً وكريماً ورحيماً وحضارياً حينما فتحت كل الأبواب والآفاق أمام كل من يريد أن يفارق وجوده . !

إني لم أسخ بشيء مثلما سخوت بفتح هذه الأبواب وبالإكثار منها . !

. . نعم يا إلهي لو أنك قلت ذلك، وسذاجتك التي لا علاج لها أو منها تغريك بأن تقوله لقلت لك :

إن من أردأ وأقبح وأفجع ما في الذات والصيغة والنماذج والأوصاف والمستويات التي أردتها لي وأوجدتني بها أن جعلتني أجبن كل الجبن وأرذل وأنذل الجبن عن إرادة أو عن تقبل الخلاص من وجودي حتى ولو تجمعت فيه أي في وجودي كل الآلام والمهانات والحقارات والفضائح والعار واليأس والخوف والبؤس حتى لو جاء إلى هذا الخلاص بأنبل وأكرم وأشرف وأسهل الأساليب . !

بل حتى ولو كان الخلاص منه أي من وجودي يعني الذهاب إلى السماء، إلى

لقائك ومصافحتك وتقبيلك ومعايشتك ومجالستك ومجاورتك ومصادقتك وإلى الخلود في فردوسك فوق أرداف وفي أحضان الحوريات وإلى الغرق في الكؤوس المتنقلة من وبين أيدي وابتسامات الغلمان. . الغلمان الذين تخيلهم وصاغهم وأنثهم كل حبك وعشقك للجمال. !

. . إذن كم يزداد ويتعاظم ويقبح عدوانك وظلمك واستحقاقك للمحاسبة والمحاكمة والعقاب لأنك قد أوجدتني في صيغة وخصائص وضرورات واحتياجات ومستويات تجعلني أصر على الاستمساك بوجودي بل وأناضل كل النضال وأجبن وأنذل وأسخف النضال لكي أستمسك بوجودي مهما فعلت بي ومهما واجهت وبشعت وهنت وتعذبت وافتضحت بوجودي وباستمساكي بوجودي أن استمساكي بوجودي مهما كان هو أحد ذنوبك وأخلاقك وعدوانك ووقاحتك الشاملة البذيئة عليَّ. لقد أوجدتني في صيغة أرفضها بكل الانفجاع والغضب والاشمئزاز ثم جعلتني أرفض مغادرتها بكل الهوان والجبن والمسكنة والقبح. !

. . إني إذا أذنبت أو قبحت أو جبنت أو افتضحت أو هنت أو تبلدت أو تلوثت فأنت المذنب القبيح الجبان المفتضح المتبلد المتلوث المهين المهان. !. ألست أنت كل البدء والإرادة والفكرة والتصميم والتنفيذ؟ ألست تعرف ذلك؟

. . كيف لا تعرف ذلك؟ إن ذكاءك إذن ليستحق الرثاء أكثر مما يستحق الهجاء. !

هل تعرف يا إلهي كم يعذبني هبوط مستوى ذكائك وذكاء العاملين معك المبلغين عنك المفسرين لك المدافعين عنك. !. هل تعرف كم يعذبني ويفجعني ويخجلني التحديق في أي معنى أو تفسير من معانيك وتفاسيرك محولة إلى أكوان. . إلى شموس ونجوم وأقمار ومجرات، أو إلى حشرات: قمل ونمل وصراصير وبراغيث وجراثيم وعصافير، أو إلى جمال ودمامة وصحة ومرض وقوة وضعف وغباء وذكاء وفرح وحزن وولادة وموت وانتصار وانهزام. . وإلى قصور ومقابر، وإلى أعراس ومآتم. !

. . بل أو محولة إلى أنبياء وملائكة وزبانية وإلى أبالسة وشياطين وإلى سكان جحيم وسكان فرودس. . ؟

. . ليتني أجد منقذاً أشكو إليه ما يوقع بي هبوط ذكائك وأخلاقك من عذاب وانفجاع واشمئزاز واستحياء وصدمات يا إلهي الذي لن يسمع ولو سمع، لما فهم، ولو فهم لما قدر ولما عرف، ولو سمع وفهم وقدر وعرف لما أراد أو استجاب أو تحمس أو تحرك أو انفعل أو استيقظ أو رأى شيئاً أو أحس بشيء أو حزن أو فرح لشيء أو

أعجب بشيء. !.. نعم، يا إلهي الذي لن أجد هجاء ويأساً وهواناً لنفسي مثل أن تكون أنت إلهي.. أنت كل معاني وتفاسير إلهي!

.. إني يا إلهي لا أستطيع أن أكف عن تكرار هذا السؤال المحاصر الفاجع الصادم أبداً لكل رؤاي ومنطقي وتفاسيري وأخلاقي ومواجهاتي. إنها أسئلة وليس سؤالاً..

إنها أسئلة لا أنتظر عنها أجوبة. إن كل سؤال عنك أو موجه إليك بلا جواب!

.. نعم، هل صغتني من نفس النوع والجنس وفي نفس الذات والصفات والمستويات وفي نفس الزمان والمكان والطقس وفي كل شيء لأنك لا تستطيع أو تعرف أو تريد أو تقبل أو تستهي أو تتصور غير ذلك؟

.. هل كنت تريد إغضابي وإشقائي وتعذيبي وترويعي؟

ولماذا تريد ذلك؟ ماذا فعلت بك قبل أن توجدني بل وبعد أن أوجدتني لكي تريد لي كل ذلك؟

وحين أردت إغضابي وإشقائي وتعذيبي وترويعي ألم تجد وسيلة أخرى أقل غباء ونذالة ووحشية وقبحاً مما فعلت؟

هل هذا الأسلوب هو كل طاقاتك العضلية والعقلية والتصورية؟

إذن هل أردت حينما صغتني كما صغتني إسعادي وتكريمي وتمجيدي؟

ولماذا تريد لي ذلك قبل ودون أن أفعل لك أو من أجلك ما يرضي أنانيتك أو يروي ظمأك؟ وهل أنت سخي وشهم كل هذا السخاء وهذه الشهامة؟

إن كل التجارب عليك تنكر أن تكون شيئاً من ذلك وتسخر من زعمه وتصوره. !

ألا يستحق كل الرثاء من يجرأ على اتهامك أو وصفك بشيء من ذلك؟ إن وصفك بالشهامة والسخاء لهو إسقاط وتحقير لكل تفاسير الشهامة والسخاء. !

.. إذن لماذا توقع أبشع وأقبح وأنذل العاهات والتشوهات والآلام والهموم والهزائم والفضائح بالحيوانات والكائنات البريئة وبالأطفال الأبرياء بل وبمن وهبوك كل إيمانهم وتقواهم وصلواتهم وتضرعاتهم واضعين جباههم وهاماتهم وقاماتهم وكل ذكائهم وكبريائهم وكرامتهم ووقارهم فوق التراب وتحته تقرباً إليك وبحثاً عن أشواقك وأمجادك ورغباتك وعن مكانك ومكانتك وعرشك هناك، هناك أي فوق التراب وتحته وفي التراب؟

أليس الذين يسجدون ويركعون فوق التراب وتحته، ويصلون ويحجون إلى التراب

وإلى الحجارة المصنوعة من التراب ويقبلونها إنما يفعلون ذلك تقرباً وزحفاً إليك وبحثاً عنك أي تحت التراب وفي التراب وفوق التراب؟ ألست يا إلهي كائناً ترابياً لهذا تطالب المؤمنين بك أن يتقربوا إليك بوضع الجباه على التراب وبالصلاة إلى التراب؟

.. أليس الذي يصلي بحثاً عنك ومحاولة للوصول إليك والقرب منك والالتقاء بك يهوي إلى الأرض وإلى التراب ولا يرتفع أو يتوجه إلى السماء أو إلى النجوم أو القمر أو السحاب؟

إذن ألست الكائن الذي لا يستطاع الوصول إليه إلاّ غوصاً في التراب؟

أما إذا كنت قد أردت بذلك أي بإيجادي كما أوجدتني إسعادي وتمجيدي وتكريمي فهل يمكن حينئذ تصور من يستحق كل الرثاء والإشفاق بل والاشمئزاز مثلك لأنك لم تستطع أن تجد أو تعرف أو تتصور وسيلة أو صيغة أو أسلوباً للإسعاد والتكريم والتمجيد غير ما فعلت بي ولي أي أفضل أو أنبل أو أعقل أو أتقى؟

.. كنت يا إلهي تحترق رغبة في إسعادي وتكريمي وتمجيدي ولكنك لم تجد وسيلة أو صيغة أو أسلوباً لذلك غير ما فعلت. ألم يكن لديك أي فني أو مصمم أو متخيل حتى ولو كان أمياً بدوياً ابتدائياً ليدلك على أفضل مما عرفت وفعلت؟

نعم، إذن كيف جئت أي أنا كما جئت؟ هل جئت تمرداً وخروجاً وانتصاراً على إرادتك وتدبيرك وتخطيطك وفنونك وأخلاقك؟ هل تسللت من كل معانيك دون أن تدري أو تريد؟ هل جئت فلتة أو غلطة محسوبة عليك بلا استحقاق؟

هل جئت سعلة أو بصقة أو أنة من سعلاتك أو بصقاتك أو أناتك دون أن تستطيع المنع أو الامتناع أو التدخل أو التصحيح أو التراجع أو الاعتذار أو التعويض أو حتى الخجل؟

هل ولدتني ذاتك ولادة عشوائية اضطرارية استفراغية ولم أجئ تدبيراً أو تخطيطاً أو إرادة أو صنعاً؟

هل أنت تستفرغ الوجود استفرغاً لهذا يجيء بلا حساب أو قانون أو فن؟

.. هل أحد أكرهك أو رجاك أو ألزمك أو رشاك أو هددك أو خدعك لتوجدني كما فعلت؟

.. هل خفت لو جئت صيغة أخرى أو شيئاً نموذجاً أو نوعاً أو جنساً آخر أن أهددك أو أنافسك أو أنفيك أو أضعفك أو أفضحك وأكشفك أو أسقطك؟

هل خشيت أن أؤمن أو أعجب بك لو صغتني شيئاً أو مستوى آخر؟

.. إنها أسئلة لن تنتهي أو تتوقف أو تهدأ أو تبرد نارها.!

.. إنها لن تجد جواباً ولن تصاب بالملل أو الاسترخاء أو النسيان أو الغفران.!

.. إنها أسئلة تحرقني. تحرقني، ما أغبى وأسعد من لا تحرقهم هذه الأسئلة أو ما أذكاهم وأنذلهم.!

.. اسمع هذا السؤال المغرق المحرق: هل أوجدتني كما أوجدتني بحثاً عن إسعادي وإسعادك أم عن إشقائي وإشقائك؟

إن كانت الأولى فقد جهلت وأخطأت وضللت، وإن كانت الثانية فقد قبحت وتوقحت وتوحشت. ألا تسقط من فوق عرشك في هذه اللحظة؟

.. إنه لحق لك يا إلهي أن تحشد كل طاقاتك وتطلق كل أسلحتك دفاعاً عن نفسك.. عن اتهامك في ذكائك أو في رؤيتك أو في عبقريتك أو في أخلاقك أو في شرفك أو في مواهبك الفنية أو في كل ذلك. وقد كان الاتهام لك هنا في كل ذلك بل وفي كل شيء.

وقد تقول في هذا الدفاع المباح لك:

إن هذا الاحتجاج على صيغة وأسلوب ومستويات وظروف إيجادي لك احتجاج ظالم متعجل معاد راغب في التحطيم والإذلال إنه احتجاج ورفض واتهام بلا أية رؤية شاملة أو بعيدة أو عميقة أو صديقة أو قارئة لشيء من تفاسير القضية أو ظروفها أو احتمالاتها. إن القضية صعبة ومعقدة وغامضة جداً. إن المتهم في هذه القضية قد يكون مستحقاً للإشفاق والرثاء مهما بدا أنه مستحق لكل العقاب.!

نعم، إن كل إيجاد لا بدَّ أن تكون له صيغة وذات ونوع، ومستوى مهما كانت عبقريات وطاقات ونيات وتقوى ونبل وشهامة الموجد.!. إنها ورطة لا يستطيع أحد التفوق عليها حتى ولا أنا الإله.!

إني هنا في تفسير ومعنى المفعول به مهما كنت الفاعل أو حسبت الفاعل.

.. إذن إيجادك وإيجاد أي شيء لا بد أن يكون في صيغة وذات ونوع وظروف محتومة..

إذن فإن الاحتجاج أو الرفض أو الاتهام إن كان صحيحاً أو معقولاً أو مقبولاً لأني أوجدتك كما أوجدتك لا بدَّ أن يكون كذلك كيفما أوجدتك ومهما كانت الصيغة

والذات والنماذج والظروف والمستويات التي أوجدتك بها حتى ولو أوجدتك في صيغة وظروف مستويات وقوة كينونتي أنا الإله . .

لأنك حينئذ ستقول: ولماذا أوجدتني في هذه الصيغة أو الذات أو الأوصاف أي التي هي صيغتي وذاتي وأوصافي أنا الإله أي افتراضاً . !

. . إني أنا الإله لو كنت أملك موهبة التساؤل والنقد والمحاسبة والمحاكمة والرفض أو لو وجد من أفعل به وأوجه إليه ذلك لكان المفروض ألا يوجد مثلي مسائلاً وناقداً ومحاسباً محاكماً رافضاً لأني قد وجدت أو أوجدت في الذات والصيغة والظروف والمستويات والآلام والفضائح والتفاهات والمواجهات التي بها وجدت وجئت. ولكن ويلي أنا الإله لأني أنا وحدي الكائن الذي لا يجد من يشكو أو يتظلم إليه. لأني أنا الباكي المعذب الذي لا يجد مواسياً أو راحماً أو منقذاً . !

. . إن رفضي واستنكاري واستقباحي لصيغ وتفاسير ودمامات وجودي لن يكون حينئذ أقل قسوة وفجيعة وصدقاً وحرارة وغضباً واشمئزازاً من رفض واستنكار واستقباح أحقر وأرذل وأشقى موجود لوجوده . !

ولكن لو كنت أي أنا الإله أملك هذه الموهبة فهل كان ممكناً أن أوجد أو أبقى لأرفض؟

. . إن هذه القضية لا بدَّ أن تكون هكذا:

إما لا سؤال ولا احتجاج على صيغة أي وجود وموجود وإلاّ فإن كل جواب عن صيغة أي وجود هو جواب عن كل صيغ كل الوجود والإيجاد أي في منطقي وأخلاقي وسلوكي أنا الإله . !

إنه إما لا سؤال ولا محاكمة أو محاسبة أو رفض أو اتهام لأي إيجاد وإلاّ فإن صيغ الإيجاد تستحق نفس المساءلة والمحاسبة والمحاكمة والنقد والرفض والاتهام . ! . إني أنا الإله لا أقسم إلى جيد وحكيم ورحيم ونبيل وجميل وعبقري وإلى نقيض ذلك أي في منطقي وتدبيري وأخلاقي وفعلي بل إما هذا أو هذا إما كل الجمال والعبقرية وإما كل الدمامة والتفاهة . !

. . إنه لو قال الصرصار أو الأرنب أو الشيطان لماذا أوجدتني يا إلهي كما أوجدتني لكان من حق الأسد والصقر والعصفور والملاك والنبي أن يقول نفس ذلك بنفس المشاعر والمنطق، ولما كان أحد الفريقين مصيباً أو معذوراً في تساؤله واستنكاره ورفضه أكثر من الآخر . . !

.. إنه لو قال متهماً ورافضاً وغاضباً المصاب بأقبح وأقسى وأشمل الدمامات والعاهات والضعف والعجز والعذاب والهوان والعار: لماذا يا إلهي صغتني هذه الصياغة لما اختلف استقبالي وتفسيري وسماعي وتقبلي ورفضي لذلك لو أنني سمعته أي هذا الإتهام والرفض والغضب ممن وهبته كل فنون الجمال والصحة والقوة والسعادة والمجد والكرامة وكل تكامل الذات.!

.. إن أروع حسناء وأذكى ذكية لو قالت لماذا يا إلهي خلقتني بكل هذا الجمال والذكاء وخلقت أختي بكل هذه الدمامة والغباء، وقالت أختها: لماذا يا إلهي خلقتني بكل هذه الدمامة والغباء وخلقت أختي بكل هذا الجمال والذكاء لما وجدت فرقاً بين السؤالين ولما اختلف جوابي عن السؤالين.!

إني أنا الإله لا أسأل عما أفعل لأنه لا جواب عما أفعل، لأنه لا تفسير لما أفعل، لأني لا أدري لماذا أفعل، لهذا أفعل ضد ما يجب أن أفعل.!

إن كل من يفعلون يعرفون أو المفروض والواجب أن يعرفوا لماذا يفعلون إلاّ أنا الإله فإني لا أعرف لماذا أفعل أو لا أفعل..

لو كنت لا أفعل إلاّ إذا عرفت لماذا أفعل فهل كان ممكناً أن أفعل؟

ولهذا فإني أفعل حيث لا ينتظر أو يحتمل أو يعقل أو يقبل أو يغفر أن أفعل، وأكف عن الفعل حيث يفرض كل العقل والواجب والنبل والشهامة والكرامة والأخلاق وكل التوقعات والحسابات المختلفة التفاسير أن أفعل بل حيث يكون كل الإجرام والنذالة والخسة والوحشية في ألا أفعل.!. إني أفعل حيث لن يوجد أنذل ممن يفعل، ولا أفعل حيث لن يوجد أنذل ممن لا يفعل.!

.. لقد كنت صريحاً جداً دون أن أريد أو أنوي أو أكون كذلك حينما قلت أو قال خاتم الأنبياء رواية وتبليغاً عني وتعبيراً عن خلقي هذا: «لا يسأل عما يفعل..».. إن منع السؤال لن يكون تأديباً أو تأدباً. فالسؤال تعظيم وثقة لا إهانة. إن منع السؤال هنا يعني العجز عن الجواب.. أنا لا أسأل عما أفعل لأني لا أدري لماذا أفعل، ولأني لا أدري فإني لن أجد أي جواب لو سئلت.!.

.. إن الذي يفعل بمعرفة وذكاء ومنطق وجمال وخلق فإنه لن يرفض أن يسأل بل يسعد ويطالب بأن يسأل لأنه سيجد الجواب الجيد المعقول المقبول المرضي المقنع.. إن المسؤول العارف القادر على الجواب معلم وهاد. وكيف ترفض أن تكون يا إلهي معلماً وهادياً؟

.. كيف جئت يا إلهي وقبلت أن تجيء وتبقى بهذا الحجم العقلي والأخلاقي والنفسي والفني.. بهذا الحجم الذي يهبط بك عن أن تكون مسؤولاً؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد من جاء أو قبل أن يجيء أو يبقى بهذا الحجم غيرك يا إلهي؟ إن أجهل وأطغى طاغية لن يجد شيئاً من مجده أو كبريائه أو تكريمه أو احترامه في ألا يسأل.!

يقول المسخرون لتفسير ما لا تفسير له ولتفسير أغبى وأنذل الأشياء بأذكى وأنبل التفاسير: أن «لا يسأل عما يفعل» تعني لا يحاسب على ما يفعل.!

ولماذا لا يحاسب الفاعل لكل شيء؟ أخوف عليه من المحاسبة؟

هل يخاف البريء النظيف الذكي التقي القادر والكامل قدرة وكمالاً مطلقين أن يحاسب؟ هل يخاف من المحاسبة إلاّ اللص أو الظالم أو العاجز أو الجبان أو الغبي أو المشوه أو الضعيف القبيح البليد الشخصية؟ إن العظيم القوي ليطالب بأن يحاسب لكي يكون مثالاً..

.. أليس منع أو تحريم محاسبته يعني منع وتحريم رؤيته وقراءته أي الإله وتفسيره وفهمه والتفكير والتحديق فيه وفي أي شيء يريده ويفعله؟

إذن كيف أمكن الإيمان به أو الإيمان بعدله أو جماله أو قوته أو عمله أو بكونه مدبراً مريداً خالقاً واحداً أزلياً أبدياً أو بكونه حكيماً ورحيماً وتقياً ونبيلاً لأنه يصيب الأطفال بكل العاهات والتشوهات مغازلاً أخلاقه؟

.. أليس هذا الإيمان فيما يقول ويعتقد المؤمنون هو عطاء المحاسبة الشاملة القاسية أي للإله بالرؤية والقراءة والتفسير والفهم والتفكير والتحديق والحوار؟

أليست محاسبة الإله تعني محاسبة الكون وكل شيء. ومحاسبة الكون وكل شيء وأي شيء تعني محاسبة الإله؟ هل يمكن أن تمنع أو تحرم محاسبة أي وجود أو موجود؟ إذن هل يمكن أن تحرم محاسبة الإله؟

.. أليس منع وتحريم محاسبة الإله تعني حتماً منع وتحريم رؤيته وقراءته وتفسيره وحواره ومنع وتحريم التحديق والتفكير فيه لأن المحاسبة رؤية وتفسير وفهم وحوار وتحديق وتفكير في المحاسب؟

ثم أليس منع وتحريم ذلك يعني منع وتحريم رؤية وقراءة ومحاورة وتفسير وفهم أي شيء وكل شيء ومنع وتحريم التحديق والتفكير في كل شيء وأي شيء لأنه إذا حرّم أو منع محاسبة المريد المدبر الفاعل فلن تجوز محاسبة ما يريده ويدبره ويفعله؟

. . إذن كيف أمكن أو يمكن رؤية الإله أو قراءته أو محاورته أو فهمه أو تفسيره أو التفكير أو التحديق فيه، وبدون هذا كيف أمكن أو يمكن الإيمان به؟ أليس هذا يساوي إغلاق الطريق والجهل به وإزالة كل العلامات الدالة عليه لكي يستطاع السير فيه؟

. . أليس هذا يساوي أن تفقد عينيك أو أن تغلقهما لكي تستطيع أن ترى ما تريد رؤيته أو ما تلزم برؤيته؟

الكائن الذي لا يحاسب على أي شيء يفعله أو يكونه أو يريده أو يتعامل معه وبه كيف يمكن أن ترى أو تعرف مزاياه؟

. . الكائن الذي ترفض وتحرم رؤية ذنوبه وأخطائه ودماماته أو الذي ترفض وتحرم رؤية ذاته كيف يستطاع رؤية صوابه أو جماله أو تقواه أي شيء من مزاياه؟

. . الكتاب الذي لا نقرؤه بكل الحماس والحرارة بل وبكل الرغبة الصادقة في النقد الصادق الشجاع هل يمكن أن نعرف قيمته أو تفاهته؟

هل الإله هو الكتاب الذي يجب ألا نقرأه لكي نعرف عبقريته وذكاءه وصدقه وإخلاصه ونؤمن له بذلك؟

هل الإله هو الوجه الذي لن ترى جماله إلاّ بأن تفقد عينيك أو تغلقهما محرماً عليهما أن ترياه؟

ولكن هل أنت يا إلهي بكل هذا المجد؟ إنك لجميل وحيد وذكي جداً لو أنك كنت الكائن الذي لا تراه إلاّ العيون التي لا ترى، ولا تقرؤه أو تفهمه وتؤمن بعبقريته إلا العقول التي لا تقرأ. !

ولكن لا يا إلهي إنك لا تستطيع الصعود إلى هذه المكانة. !

. . بل أنت الكائن الذي لا تراه إلاّ العيون التي لا ترى الأشياء إلاّ نقيض ما تراها العيون الرائية والذي لا تقرؤه أو تفهمه أو تجده إلاّ العقول التي لا تقرأ الأشياء أو تفهمها أو تجدها إلاّ نقيض ما تقرؤها وتفهمها وتجدها كل العقول القارئة الفاهمة الواحدة. . إنك لست الكائن الذي يرى لأنه لا يرى ولم ير، بل الذي يرى نقيض ما يرى. إنك لست الجمال لأنك محجب بل أنت كل الجمال لأن تشوهاتك ودماماتك تملأ كل العيون حتى العيون العمياء. !

إنك لست الكائن أو الكتاب الذي يقرأ ويفهم ويوجد لأنه لم يقرأ أو يفهم أو يوجد، بل الذي يقرأ ويفهم ويوجد نقيض ما يقرأ ويفهم ويوجد. !

أعذرني واغفر لي يا إلهي جرأتي أو وقاحتي الجريئة على أن أفسرك لنفسك بكل الصدق المتوحش الفاضح. !

وهل يمكن أن يتعذب ويفتضح بالصدق لو وجد مثلك يا إلهي. !

إن كل شيء وكل أحد قد يستطيع أن يحيا ويبقى ويعامل ويرى حتى ولو فسر بكل الصدق أو ببعض الصدق إلاّ أنت يا إلهي فإن أي شيء من الصدق وتفسيرك بأي شيء من الصدق لا بدَّ أن يقتلك فكيف لو كنت أنت يا إلهي صادقاً ولو مرة واحدة؟

إن الآلهة جميعاً لا توجد أو تعيش إلاّ بالكذب، بكل الكذب. !

.. إنك يا إلهي الكائن الذي لن يراه أن يجده أو يعامله أو يرجوه أو يهتف له أو به أو يفسره أو يقرؤه إلاّ الكاذبون.. الكاذبة عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وضمائرهم وآذانهم بل والكاذبة قاماتهم وهاماتهم وجباههم الراكعة المنحنية الساجدة على التراب بحثاً عنك وتقرباً إليك أي فوق التراب وتحته وفيه. !

هل يوجد أكذب من القامات والهامات والجباه الباحثة عنك فوق التراب أو أكذب من المعلمين القائلين بأن الوصول إليك طريقة التراب.

.. نعم، أكرر يا إلهي أنك أنت الكائن الذي لا يبحث عنه الباحثون ولا يجده أو ينتظر أن يجده الباحثون عنه إلاّ في التراب وتحت التراب وفوق التراب. ولهذا فإنهم يصلون لك ويتقربون ويسافرون ويحجون إليه في التراب وإلى التراب وتحت التراب وفي السير فوق التراب إلى التراب مقبلين للتراب، مقبلين للأحجار السوداء المصنوعة من التراب. !

آه كم من الهوان والإهانة لك في أن يذهب الذين يريدون لقاءك وإرضاءك إلى التراب ليطوفوا به ويقبلوه ويلمسوه ويصلوا إليه وله وفيه أي لكي يجدوك ويصلوا إليك ويطوفوا بك، ولكي يلمسوك ويصافحوك ويقبلوك بل ويساكنوك. اسمعوا يا أصحاب الجباه الساجدة في التراب. ألستم تقولون إن الإله في السماء، فوق الكون؟

إذن لماذا لا تصعدون بجباهكم إليه في السماء، فوق الكون؟

إذن لماذا لا تصعدون بجباهكم إليه في السماء لا أن تهبطوا بها إليه في التراب؟..
نعم، يا إلهي إنك لو دافعت عن نفسك هذا الدفاع لما وجد مثلك متهماً بأسلوب ونيات المدافع، ومحاكماً حاكماً معاقباً بكل العقوبات على كل الذنوب بأسلوب ونيات المبرئ. !

إنه لن يوجد حينئذ مثلك يا إلهي ملوثاً مشوهاً لكل ذاته ولكل معانيه وتفاسيره بمنطق ونيات من يريد ويرى أنه يطهرها وينظفها ويجملها. !

إنه لن يوجد حينئذ من يهجو ويحقر نفسه بنيات ومنطق من يريد وينوي مدحها وتمجيدها، بل وهو يظن ويعتقد ويعلن أنه يمدحها ويمجدها مثلك يا إلهي. ؟

أجل، هل وجد أو هل يمكن أن يوجد عاجز عن رؤية أو فهم الفرق بين المدح والتمجيد والتنظيف والتبرئة والجمال والتجميل والحب والتكريم والتطهير وبين نقيض ذلك مثلك يا إلهي؟

ألست قد ذهبت تذل وتقهر وتضعف وتهزم وتعذب وتعاقب وتغضب وتغيظ وتفجع نفسك وأنبياءك ورسلك ومعلميك وأديانك ونبواتك وأولياءك بنيات وحوافز منطق التكريم والتمجيد والحب والإسعاد والنصر والانتصار؟

ألست تمرض وتشوه وتفقر وتحطم لأنك تحب وتصادق وتحنو وتنعم؟ ألست تطلق الأنات والآهات والصرخات واللعنات من كل القلوب الكسيرة لأنك فنان في تأليف الأغاني الجميلة السعيدة المطربة وفي الاستماع إليها ولأنك تريد أن تغني لنفسك؟

. . ألست قد ذهبت تهب كل أبالستك وشياطينك وأعدائك وخصومك كل الخلود والقوة والذكاء والأمجاد والانتصارات والتفوق في كل شيء لأنك تريد وتنوي وتدبر قهرهم وإبادتهم وإذلالهم وهزيمتهم وإضعافهم وفضحهم وتحقيرهم؟ ألست تصنع الموت وأنت تكرهه وتقتل الحياة وأنت تحبها وتريدها؟ . . ألست تنفق على صنع الحياة ثم تنفق على قتلها؟ ألست تفعل ما لا تريد بل ما يؤذيك ويغيظك ولا تفعل ما تريد وما يهبك الفرح والرضا والمجد؟

. . إذن هل يوجد مذل ومحقر وهازم ومعاد لنفسه ولأحبائه وأنصاره وأوليائه، وناصر مكرم مصادق ممجد لأعدائه ومحاربيه وخصومه وهو يريد وينوي أن يفعل النقيض في الفريقين بل وهو يرى أنه يفعل النقيض هنا وهنا مثلك أو غيرك يا إلهي؟

ألست الكائن الذي لا يمكن فهمه بأي تفسير من تفاسير العقل أو الأخلاق أو الذكاء؟

. . إنه لو وجد يا إلهي من يقرؤونك ويرونك ويفسرونك ويحاسبون سلوكك وأخلاقك وذكائك وكل تصرفاتك في كل تاريخك ومعاملاتك لكان محالاً أو سخفاً أو بلادة أو معاداة للنفس ألا يصروا على أن يكونوا من أعدائك وخصومك ورافضيك

ومنكريك ومحاربيك بل ولاعنيك أي لكل من تهبهم كل المجد والقوة والانتصارات والسعادة والفرح والرخاء والتفوق، أو ألا يرفضوا أن يكونوا من أوليائك وأصدقائك أو أنبيائك أو أنصارك أو جنودك أو محبيك أو عابديك أي لئلا توقع بهم كل الهزائم والهوان والضعف والبؤس والتخلف والقحط والفقر بكل معانيها الأدبية المعنوية والمادية. !

.. إنك يا إلهي كائن لا مثيل له ولن يقبل أو يستطيع أي كائن آخر مهما كانت تشوهاته وعاهاته وذنوبه وأمراضه النفسية والعقلية والأخلاقية أن يكون مثيلاً له أي لك يا إلهي الذي «ليس كمثله شيء» كما قلت واصفاً نفسك بكل الإعجاب بنفسك، راوياً ذلك عنك نبيك العربي محمد الذي تعلم منك أخلاقك أو الذي صغته على نموذجك حين زعم لنفسه أنه النبي الواحد الذي تتجمع فيه كل النبوات وتموت أمام نبوته كل النبوات والأنبياء، وإنه الأول والآخر والواحد والظاهر والباطن أي كما زعمت لنفسك يا إلهي الذي استعرب في كل معانيه وأمانيه وأخلاقه وتفكيره ولغته بعد أن أصبح له نبي عربي. !. أليس كل إله يجيء على مقاسات نبيه وبتفاسيره وتصوراته وليس العكس؟

.. نعم، إن أي كائن لن يقبل أو يستطيع أن يكون مثلك. !

إنك الكائن الذي يتعمد أن يوقع بأصدقائه وأوليائه ومحبيه وعابديه كل الهوان والضعف والتخلف والهزائم، ويناضل بل ويمكر ويخدع ويكيد لكي يهب خصومه ورافضيه ومنكريه وغائظيه وفاضحيه كل المجد والقوة والانتصار والتفوق والتقدم والعلوم والعبقريات القاهرة الهازمة لعبقرياته وعلومه وتعاليمه. !

فهل يمكن أن يوجد من يفعل ذلك أو من يقبل أن يوصف أو يتهم بشيء من ذلك؟

إذن لقد كنت صادقاً حينما قلت عن نفسك: «ليس كمثله شيء» أو كان خاتم أنبيائك هو الصادق حينما وصفك كذلك. !

ولعل نبيك محمداً لم تكن له أية رؤية صادقة ورائية غير رؤيته لك أو مثل رؤيته لك حين أعلن أنه ليس كمثلك شيء. !. إنها رؤية يصعب أن تخفى على أحد.

كيف أمكن أن يخفى على أحد أنك يا إلهي بلا مثيل في خروجك على جميع القيم الفكرية والأخلاقية والفنية؟

.. ولكن المؤسف بل والفاجع والسالب الساحب من رؤيته هذه لك كل تفاسيرها

الجيدة أنه رآك هذه الرؤية وأعلنها بأسلوب ونيات الامتداح والتمجيد لك. وليس بأسلوب ومشاعر الانفجاع والأسى والغضب والاشمئزاز والإشفاق عليك ومنك وبك.!

ما أفجع هذا يا إلهي.. ما أفجعه.!

.. نبيك محمد الذي لم يكن يرى شيئاً مما يرى أو مهما رأى.. نبيك هذا رآك خارجاً على كل النماذج والمقاييس الأخلاقية والنفسية والمنطقية والفنية والعلمية والإنسانية فصرخ من هول وقسوة رؤيته هذه قائلاً:

(ليس كمثله شيء)..!

نبيك العربي رآك هذه الرؤية وهو الذي قد جاء ليعلم العيون الرؤية ويعلم العقول أي لو وجدت وأذن واعترف بوجودها ـ يعلمها التفكير ضد التفكير. يعلمها الكفر بالتفكير.!

محمد نبيك العربي هذا رآك هذه الرؤية.!

ما أبشع وأفجع دلالة ذلك.!

من أين استعار عقله وتقواه وغضبه وأخلاقه التي أذنت له بأن يراك هذه الرؤية؟ من أين استعار صدقه هذا وشجاعته هذه؟

إن المعروف عن نبيك محمد النبي العربي أنه لو استعار لا يستعير إلاّ ما لا تنبغي استعارته.

إذن كيف استعار هذه المرة ما تجب استعارته أي ما يجب أن يستعيره وأن يعاره من كان مثله أي من كان محتاجاً إلى أن يستعير وأن يعار كل شيء جيد وعظيم لأنه لن يتخلق أو يولد في ذاته أو تحبل به ذاته أو ينبت في حقول أو في صحارى زمانه أو مكانه أو مجتمعه؟ إنه أي نبيك محمداً لم يكن في كل شيء إلاّ مستعيراً ومعاراً، ولكن ماذا كان يستعير ويعار؟

إن كل كائن أو كل إنسان قد يستعير ولكن ما أعظم الفروق بين من يستعيرون وما يستعيرون.

.. لقد أصبح من الصدق كل الصدق يا إلهي أن يقال:

هذا خصم وعدو ورافض مغضب محارب للإله ليعني به أنه إنسان أو كائن أو مجتمع قوي متقدم منتصر متفوق سعيد ذكي غني متحضر بل وإنساني أخلاقي أي محاسباً بنقيضه.!

وأن يقال: هذا مؤمن بالإله عابد محب ناصر مناصر له بكل الصدق والالتزام والوفاء وبالإخلاص ليعني به أنه إنسان أو كائن أو مجتمع متخلف ضعيف فقير مهزوم جاهل بليد.. لهذا كم هو صدق أن يقال: إن إسرائيل هي أعظم أعداء الإله وأن العرب هم أعظم أصدقاء الإله.!

.. إن البشر لو كانوا جميعاً يرونك يا إلهي ويقرؤونك ويفسرونك ويفهمونك ويحاسبونك كما أنت بكل أخلاقك وتفاسيرك التي تعاملهم بها والتي يجدونك بها في كل أزيائك ومواقفك وأوطانك وتاريخك لما أمكن أن يوجد فيهم إنسان واحد يؤمن بك أو ينتمي إليك أو يواليك أو يحبك أو يحترمك إن كان ذلك بصدق وتقوى لا بخداع ونفاق وكذب كما يفعل كل أو أكثر المنتمين إليك يا إلهي بل كما يفعل أعظم وأقوى وأشهر المنتمين إليك في كل الأوطان وكل التاريخ لأن أقوى منتمٍ إليك هو أعظم وأوقح كاذب بك، لهذا فإن أنبياءك هم أوقح وأكذب الكاذبين عليك وبكَ!

ـ نعم، لما أمكن حينئذ أن يوجد فيهم هذا الإنسان الواحد خوفاً من أن توقع به وتدبر وتريد له كل الهزائم والمهانات والضعف والفقر والتأخر والعجز الشامل كما هو المرئي الدائم الشامل أي ما لم يكن هذا المؤمن بك المنتمي إليك الساجد على التراب بحثاً عنك خادعاً لك خادماً بك مزوراً كل سجلاته وتوقيعاته وإعلاناته وسجداته وبتوقيعك بل باسمك. إنه لم يوجد اسم وقع ويوقع به المزورون مثل اسمك في كثرة المزورين به وضخامة وقبح ما يزورون وقوة الانخداع به. إنك إذن يا إلهي أعظم نصير للمزورين.!..

.. هل يمكن أن يوجد أي إنسان أو كائن أو مجتمع قوي أو ذكي أو غني أو متطور متقدم منتصر متفوق منتمٍ إليك، معلناً بكل الصراخ والأساليب والتعاليم إيمانه بك وانتماءه إليك ثم لا يكون كاذباً منافقاً مزوراً فاسقاً بكل عرضك وعفتك وشرفك وكرامتك بل وهاتكاً لبكارتك أي إن كنت أو لو كانت لك بكارة يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد مفجور معبوث بعرضه بل ومباح عرضه لكل أحد بل أي قيد أو شرط أو ثمن مثله أي مثلك يا إلهي؟

.. إني أتكلم وكأني أحسب أنه قد بقي لك أو فيك عرض أو بكارة. إذن كم أستحق الرثاء.!

هل يوجد عرض مباح أبداً لكل أحد بلا أي ثمن غير عرضك يا إلهي بل بلا أي شروط أو اختيار أو اصطفاء؟ إنه لو كان لكل الأعراض كرامة أو حراسة لكان عرضك وحده هو الذي بلا شيء من ذلك.!

.. إنه لشيء هو أكثر من المستحيل أن يوجد مؤمن بك منتم إليك قوي منتصر ناجع نافق لامع في السوق ثم لا يكون منافقاً كاذباً مخادعاً. !

إن المؤمن بك المنتمي إليك لا بد أن يضيع ويبور بل ويموت في السوق بقدر ما يكون صادقاً مخلصاً متعاملاً بك ومعك كما يقول عنك وكما تقول له وتطلب منه. !.

وهل يمكن أن يكون كذلك؟

.. أليس أقبح وأقسى النماذج لأخلاقك وسلوكك يا إلهي مع أصدقائك وأعدائك ما فعلت بإبليس وله ومعه ومن أجله عدوك الأكبر الأوحد محاسباً بما فعلت مع أعدائه وخصومه الذين هم أصدقاؤك وأولياؤك وأحبابك وما فعلت بهم ومن أجلهم؟

.. لنفكر في ما فعلت هنا وهنا لكي نعرف أخلاقك وسلوكك وشهواتك وأهواءك، لكي نتمزق انفجاعاً وذعراً واشمئزازاً وغثياناً نفسياً وعقلياً وأخلاقياً وإنسانياً وحزناً عليك يا إلهي الذي لا تكفي كل الأحزان لتكون حزناً واحداً عليه أي عليك يا إلهي.. إن الأحزان لو كانت توزع على المستحقين لها بقدر استحقاقهم لها لوجب أن يتحول كل شيء إلى أحزان عليك يا إلهي. !

.. ولكن هل صحيح أن إبليس هو عدوك الأول والأوحد أم أنك أنت العدو الأول والأوحد لنفسك ولإبليس ولكل شيء وكل أحد رديء وجيد. ؟

أليس إبليس مصنوعاً لا صانعاً؟ وهل الآثم والمسؤول والمحاسب المصنوع أم الصانع؟ ألست أنت الفاسق بإبليس ولم يكن هو الفاسق بك؟ لقد سلم كل عرضه بكل الشهامة أو النذالة لتفسق به. !

.. أليس إبليس ولادة إرادتك وشهوتك ونزوتك وعبقريتك وفنونك وحساباتك؟

أليس إبليس هو أحد أبنائك الذي هزم كل أبنائك. هل ولدت مولوداً يساوي في عبقرياته شيئاً من عبقريات ابنك العظيم إبليس؟

.. هل إبليس هو الذي أراد أن تريده وتصوغه وتوظفه أم أنت الذي فعلت به وأردت له وبه ذلك؟

إذن هل يوجد جان مثلك ومجني عليه مثل إبليس؟

بل هل وجد مطيع منفذ لإراداتك وشهواتك مثل إبليس؟

لقد وزعت شهواتك ورغباتك الكئيبة على موظفيك. فهل وجدت فيهم من أدى

وظيفته التي أردتها منه مثل إبليس؟ هل وجدت لك يا إلهي ابناً باراً مطيعاً منفذاً لما تريد مثل ابنك العظيم إبليس؟

. . لقد أردت وطلبت من إبليس أن يغوي ويضل ويفسد الإنسان، وطلبت وأردت من أنبيائك وأوليائك وملائكتك أن يهدوه ويصلحوه وينظفوه. فأي الفريقين فعل ما أردت وطلبت بقوة وذكاء وانتصار أكثر؟ إنك لن تنكر أنك قد خلقت وهيأت الشيطان لوظيفة أردتها منه. إذن هل استطاع أحد من أنبيائك أو أوليائك أن يؤدي ما أردت منه مثل الشيطان؟

هل جاء شيء من تدبيرك وتخطيطك وإرادتك وتوظيفك وأوامرك وتعاليمك وتصوراتك وأمانيك ناجحاً ومنتصراً ومرضياً إلاّ في إبليس؟

هل جاء مصدق أو مجامل أو غير مهين لحسابات ذكائك غير إبليس؟

. . إنك يا إلهي هزائم وفضائح في كل تاريخك وخطواتك وآمالك وتوظيفاتك وتوقيعاتك إلاّ في كائن واحد وظّف كل أنبيائك وأوليائك وأحبائك عليه كل لعناتهم وبغضائهم ودعاياتهم حقداً عليك وحسداً له هو موظفك العبقري إبليس. . الذي لم تهزم أو تهن أمام أحد أو شيء كما هزمت وهنت أمامه أو الذي لم تنتصر أو تمجد أو تعظم في شيء أردته ودبرته وفعلته مثلما انتصرت وعظمت ومجدت به وفيه وفي إرادتك وتدبيرك وتخطيطك وخلقك وإخراجك وصياغتك له. إنه مهما هزم وعصي إبليس تعاليمك وأوامرك ونبواتك فقد أطاع حكمتك ومشيئتك وشهوتك وانهزم أمامها. !

. . إن تقديراتك وحساباتك وأمنياتك لم تصدق في شيء أو أحد مثلما صدقت في إبليس. !. لقد جاءت انتصاراتك فيه أي في إبليس تعويضاً جيداً جداً يا إلهي عن هزائمك في جميع موظفيك الآخرين من أنبياء وأولياء وملائكة. !.

إن ما انتصر فيه إبليس وحققه هو ما تريده وتشتهيه وتفرح وتسعد به. أما ما دعا إليه وعلّمه أنبياؤك ودعاتك فهو ما تعلنه وتدعيه وتتحدث عنه فقط ولهذا تضعه دائماً تحت كل أسباب الهزيمة والعجز. . !

. . إذن أليس محتوماً يا إلهي أن تنزل إبليس أعلى مكان في فردوسك أي كنت تتعامل مع أي قدر من المنطق والصدق والأخلاق والعدل بل وأن تجلسه معك فوق عرشك بكل الاحترام والتقدير والمحبة بل والاستحياء منه والتواضع أمامه حينما تنظر إليه أو تتحدث معه أو تفكر في مزاياه محاسباً لها أي لمزاياه المتفوقة بمزايا كل أنبيائك ودعاتك العاجزة المهزومة؟

. . لقد حقق لك أي إبليس كل شهوتك المريضة الأليمة اللئيمة. !

لقد كانت شهوتك هذه أن تخلد أكثر البشر في الجحيم لتسعد جداً بعذابهم وقد حقق لك هذه الشهوة. !

لقد كانت هذه شهوتك حتماً لهذا خلقت ويسرت أسباب تحقيقها. !

إنك حينما وظّفت إبليس فيما فعل لم تكن مكرهاً أو مخدوعاً بل كنت راغباً فاهماً. ! إذن هل تستطيع شكره ومكافأته مهما شكرته وكافأته.

آه كم يجب الإشفاق على أنبيائك ودعاتك وأنصارك وكم يجب الحزن والرثاء لهم ومن أجلهم لو أنهم حاسبوا هزائمهم وعجزهم بانتصارات إبليس وقوته وتفوقه. . ! هل يقبلون أن يصبحوا أنبياء أو دعاة أو أنصاراً لك أو أن يبعثوا يوم الحساب المزعوم الكوني لو أنهم ملكوا هذه المحاسبة أو المقارنة؟

كيف يجرؤون أي أنبياؤك وأولياؤك ودعاتك يا إلهي على الظهور في مكان واحد مع إبليس لتواجه هزائمهم وضعفهم وهوانهم انتصاراته وقوته ومجده وليروا ويقرأوا ويفسروا في الموقف أو المكان الذي فيه يرى ويقرأ ويفسر خصمهم منافسهم إبليس؟

هل يقبلون أو تقبل أنت لهم هذا الافتضاح؟

كيف لم يفطن أحد إلى هذا الموقف الذي لا يطاق والذي يقال إن أنبياءك ودعاتك وأنصارك سوف يقفونه دون أن يروه أو يقرأوه أو يفهموه؟

كيف تقبل ضمائرهم أو أخلاقهم أو تقواهم ألا تكون حظوة ومكانة وأمجاد خصمهم ومنافسهم هذا أي إبليس أعظم من حظوتهم ومكانتهم وأمجادهم أي لديك يا إلهي بقدر تفوقه في أدائه لوظيفته التي كلفته بها وأردتها منه بل وأردته لها؟

هل يمكن أن تقبل ذلك؟ ولكن هنا سؤال هو أقسى دلالة وتفسيراً هو: كيف أردت وقبلت ودبرت أن يكون لمن زعمته أكبر أعدائك أي لإبليس كل أمجاد الانتصارات أي عليك ولأنبيائك ودعاتك كل هوان الهزائم؟

. . الآن، الآن يا إلهي أكاد احترق واختنق بسؤال يفجعني، يفجعني جداً رثاء لك، رثاء لعجزك وحيرتك ورهبتك وفجيعتك أي لو سمعته وفهمته ووعيته وفكرت في نتائجه مستيقظاً متحفزاً متبرئاً متحرراً من بلادة نعاسك واسترخائك وكسلك وعواطفك ورؤاك الخامدة الصامتة عن كل رؤية وحرارة وحركة وانفعال. !

وهل أطمع أو أنتظر أن تكون شيئاً من ذلك أو أن تفعله؟

.. ولكن قد تقول يا إلهي: وهل يستطيع أي إله أن يعيش أو يبقى أو يوجد أو يتعامل أو يرى فوق هذا الوجود أو فيه أو حوله أو معه بل أو أي كائن آخر غير إله لولا شمول وديمومة وقوة وقسوة وأصالة بلادته واسترخائه ونومه وكسله وخموله وخموده؟

.. إن كل هذا الوجود وكل وجود احتراق، احتراق لولا البلادة والخمود والخمول والغفلة والكسل والاسترخاء والنوم، النوم بلا يقظة. وهل يوجد محتاج إلى النوم العميق، العميق بلا يقظة مثل الإله؟

أليست تفاسير وقيمة ومجد واستتار وعظمة بل ويقظة كل إله في أنه نائم نوماً أبدياً بلا يقظة ولا احتمال أو انتظار يقظته؟

يقظته؟ هل يوجد من ينتظر أو يريد يقظته؟

.. إن نوم كل النائمين لا يساوي عمق وموت وديمومة نومة أي إله، نومتك يا إلهي إن كل نوم محاسباً بنومك ليس نوماً بل كل اليقظة. !

وإن نوم كل النائمين لا تساوي كل مزاياه مزية واحدة من مزايا نومك يا إلهي.. إن أعظم مزاياك يا إلهي بل ومزايا كل إله هو النوم الأبدي. !

ماذا لو كنت يقظان أو لو أمكن أن تستيقظ يا إلهي؟ كيف يستطيع حينئذ أي كائن أن يطمئن على وجوده أو على أي شيء من قوانين واستمرار وانتظام قوانين وجوده؟ أليس وجود قوانين الأشياء واستمرارها والثقة بها أقوى تفاسير نومك الأبدي والاقتناع بنومك هذا؟

كيف يستطيع أن يطمئن على شيء وهذا اليقظان يقظان وهو يوجد ويحيا ويفعل كل أفعاله داخل عيني هذا اليقضان هذا اليقظان الذي لن يوجد ما يساويه إرهاباً وإزعاجاً وتخريباً أي لو كان يقظان؟

.. إن جميع البشر وأمثالهم حتى المؤمنين منهم جداً ليعلمون أن الإله واقعاً وعملياً نائم بلا استيقاظ.. وأنهم جميعاً لن يسعدوا أو يفرحوا أو يرحبوا بأن يكون يقظان أو بأن يستيقظ من نومه الأبدي ولو لحظة واحدة، ولن يقبلوا أن يحدث ذلك أي عملياً وسلوكياً مهما كانت التعاليم والعقائد والعظات والأقوال. إن كل حساباتهم وتصرفاتهم قائمة على أن هذا النائم لن يستيقظ لهذا يتعاملون مع أنفسهم وفضائحهم بكل العري والجرأة. !

كيف يستطيع أي كائن يشعر ويعقل ويأمن ويخاف ويتوقع ويحذر ويحسب

ويحاسب أن ينام أو يجلس أو يسترخي أو يعمل أو ينشئ أو يشيّد أي شيء أو يمارس داخل حدوده المحروسة أو المحجبة أي لذة أو فرح أو لهو أو استمتاع بأي قدر من الاطمئنان أو من مشاعر الأمان والثقة أو من الجرأة أو الفرح أو الاسترخاء ـ نعم، كيف يستطيع أي كائن بهذه الصفات أن يكون أي شيء من ذلك أو أن يفعل أي شيء من ذلك داخل عيني كائن يقظان مطلق القدرة والفعل والكينونة والأخلاق والإرادة والرؤية والانفعالات، ويصف نفسه معجباً مباهياً بأنه فعّال مما يريد وبأنه كل يوم، كل لحظة هو في شأن، وبأنه يفعل ويتصرف، يعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، يضل ويهدي بلا حساب أي بلا قانون بل بنوبات من المشيئة والعبث واللعب والارتجاف النفسي والذاتي ومن الرغبة في عرض الذات والقوة وفي التلهي والتسلي والبحث عن السرور والإعجاب بالنفس ومن إرادة الخروج على الصمت والسكون والتعطل والبطالة. . يفعل كل ذلك بأساليب هي أردأ وأعبث وأقبح وأوقح من كل أساليب الأطفال الذين يشيدون ويصنعون الشيء ويدمرونه ثم يشيدونه ويصنعونه عبثاً ولهواً وتسلياً وهرباً من الصمت والسكون ورغبة في عرض الذات والإعجاب بها والإعلان عنها والمغازلة لها وفي تبديد شحناتها بأي أسلوب وبكل أسلوب؟ إن النوم فوق الجحيم المستعر لن يكون أكثر استحالة أو ذعراً من النوم أو الاسترخاء أو الاطمئنان داخل عيني هذا اليقظان. إني لن أشعر يا إلهي بأني محتاج إلى الاعتذار لك لوصفي لأساليبك في أفعالك بأساليب الأطفال بل قد أكون محتاجاً إلى أن أعتذر للأطفال لهذا التشبيه أو المقارنة بين تفاسيرك وتفاسيرهم نيات ونتائج ومنطقاً وذكاء وأخلاقاً. !.

وهل عبث الأطفال حتى ولو تحول إلى تخريب وقبح إلاّ تعبير عما فعلت بهم واحتجاج عليك؟

. . ما أظلم المقارنة بين براءة وجمال عبث الأطفال وبين قبح وفحش ونذالة عبثك يا إلهي. !. ما أظلم المقارنة بين ذنوب من صنع الآلة الفاسدة المخربة بتدبير وتخطيط وقصد قادر وبين ذنوب وعيوب هذه الآلة.

. . ليتك يا إلهي تتعلم من الأطفال جمال وبراءة العبث واللعب والتلهي وتفريغ الذات من شحناتها. !. ليتك تتعلم منهم الرحمة والحب والتقوى. !

إذن لأصبح الكون وكل شيء جميلاً ورحيماً أو لأصبح أقل قبحاً ووحشية وبلادة وبذاءة ونذالة! . .

كما أتمنى أن يحكم الأطفال الكون إن كان البديل أن تحكمه يا إلهي. !

.. أنا أفترض يا إلهي أنك لم تسمع ولا تسمع ما قلته وما أقوله في هذه اللحظات لأني أفترض أن كل معانيك قد تحولت إلى توقعات وتفاسير رهيبة مذعورة مستغرقة في قراءاتك واستنتاجاتك لاحتمالات السؤال الذي هددتك به. كذلك افترض أنك متلهف إلى أن تسمع هذا السؤال راجياً أن تخفف من توقعاتك الرهيبة المطلقة الاحتمالات كل الاحتمالات التي لن يكون فيها أي احتمال مريح أو رحيم أو حتى مجامل.. التي لن يكون فيها أي تفسير مدافع عنك أو مناصر أو حتى غافر لك.!

.. يقول هذا السؤال: ماذا لو أن كل شيء أي كل ما خلقت قد قرر أن يحاسبك ويحاكمك أو حتى يسائلك على الذات والصيغة والجنس والنوع والمستويات والظروف والأوصاف التي أردتها له وصغته وقيدته وحبسته وشوهته وأهنته وفضحته وعذبته بها أو اخترتها له أو اخترته لها دون استئذانه أو علمه وموافقته أو رضاه أو حتى غفرانه أي كما حاسبتك وحاكمتك وساءلتك أنا على الذات والصيغة والنوع والجنس والزمان والمكان والظروف والصفات والمستويات التي أردتها لي وأوجدتني بها دون أن أعلم أو أقبل أو أريد أو أرضى أو أحتى أستشار؟

هل أكون أنا البدء في هذه المحاسبة والمحاكمة والمحاورة؟ هل أرفض ذلك؟

.. نعم، يا إلهي المتهم أو الذي يجب أن يتهم بكل شيء وبكل أحد، والذي يجب أن يوجه إليه كل الاتهامات والتهم كل شيء وكل أحد، والذي لن يوجد متهم يستحق كل الاتهام غيره بل الذي لن يصدق أي اتهام مثلما يصد الاتهام الموجه إليه، والذي من يستحق أن يتهم أو يحاسب أو يعاقب بذنوب وخطايا وعيوب كل شيء وكل أحد سواه، والذي لن يفعل ولن يفعل أحد أو شيء أي خطأ أو خطيئة إلاّ بعلمه وموافقته وتقديره وتدبيره وتخطيطه وحسابه وكيده ومكره بل إلاّ بإرادته وفرحته ورؤيته، بل الذي لم يصب أحد أو شيء بأي ضلال أو غباء أو ضعف أو جنون أو تشوه أو قبح أو مرض إلاّ بحكمه وحكمته ورؤيته وفرحته ويديه وضميره وكيده ومكره هل تنكر شيئاً من هذا يا إلهي.. من هذا المديح أو الاتهام لك؟

ـ نعم، يا إلهي هذا ماذا لو أن جميع الكائنات الحية وغير الحية.. العاقلة وغير العاقلة قد قررت الالتزام بهذه المساءلة والمحاسبة والمحاكمة لك..؟

.. لو أن كل حيوان وطير وحشرة وجرثومة وذرة وإنسان وملاك وجن وقمر ونجم وشمس وكل شيء وكل أحد وكل كائن موجود أو كان موجوداً أو سوف يوجد نعرفه أو لا نعرفه ـ لو أن كل هذه وهؤلاء قد التزموا بأن يسائلوك ويحاسبوك ويحاكموك بل

ويعاقبوك على الذوات والصيغ والنماذج والأجناس والظروف والمستويات والحياة والوظائف وكل الكينونات التي أردتها لهم وصغتهم وحكمتهم وسجنتهم وعذبتهم بها دون الذات والصيغ والنماذج والأجناس والمستويات والظروف الأخرى المطلقة والمتساوية والمفتوحة بلا أي إغلاق أو سد أمام خيالك وقدرتك وإرادتك وشهوتك ولعبك وعبثك وأمام كل خيال وتصور ومنطق وتقدير وعبث ولعب. . !

بأن يحاسبوك ويحاكموك ويسائلوك بأي منطق أو قانون أو أخلاق أو التزام فني أو تعاليم لا تستطيع عصيانها أو الخروج عليها.

- نعم، بأي شيء من ذلك رأيت وقسمت وصغت الذوات والصيغ والنماذج والأجناس والظروف والمستويات والوظائف وأردتها كما جاءت وكما أردت واخترت لها أن تجيء؟

كيف رأيت ورضيت وعشقت ما لم يكن موجوداً؟ كيف اخترت له صيغة وجوده؟

. . كيف اخترت اختيارك بأي قانون جاءك اختيارك أو جئت إلى اختيارك أو فرض عليك اختيارك في توزيعك للذوات والصيغ والأنواع والأجناس والمستويات. !؟ لقد كان ممكناً أن تختار نقيض اختيارك بل لقد كانت جيمع الاختيارات لديك سواء إذن لماذا اخترت اختيارك؟

أليس الاختيار منطق وقانون وتفسير؟ هل لاختيارك شيء من ذلك؟

. . لماذا اخترت لكل شيء وكل أحد صيغته وجنسه وذاته ولم تختر له الجنس والذات والصيغة التي اخترتها للشيء أو للكائن أو للأحد الآخر؟ هل يكون الاختيار إلاّ عجزاً أو احتياجاً أو عشقاً أو جوعاً أو اضطراراً أو إكراهاً أو حيرة أو رؤية أو تقليداً؟

. . ماذا لو أن أي كائن أو كل كائن حيواني أو حشري أو ذري أو جرثومي أو أكبر وأعظم أو أصغر وأتفه من ذلك قال لك محاسباً محاكماً متظلماً محتجاً: لماذا يا إلهي أوجدتني كما أوجدتني ولم توجدني كما أوجدت الكائنات الأخرى أو أي إيجاد آخر لم توجد مثله. .

لماذا أوجدتني لأعيش في الشقوق وفي الظلام وتحت الأقدام وفي مجاري الأوحال والقاذورات أو لأوطأ بالأقدام ولأرش بالمواد السامة لأموت بلا رثاء أو عزاء أو مأتم أو جناز أو تشييع أو كفن أو قبر أو دفن أو صلاة أو بكاء أو إعلان ولم توجدني لأعيش في البيوت والقصور والمعابد والنوادي وفوق المنابر والعروش وأمام الموائد وتحت ضجيج وهتاف الكبرياء والدعوات والأديان والنبوات والتخاطب مع الآلهة

والأقمار والنجوم والصعود فوقها وإليها أي كما أوجدت خصمي وعدوي أي من جعلته خصمي وعدوي وجعلتني خصمه وعدوه لرغبة في نفسك وأخلاقك لا يمكن أن تكون معقولة أو مقبولة أو معذورة أو حتى مفسرة بأي تفسير مهما كان قبحه وبلادته ونذالته. . !

لماذا أوجدتني مفترساً مأكولاً خائفاً هارباً ولم توجدني النقيض. !

أو لماذا أوجدتني النقيض ولم توجدني المفترس المأكول الهارب الخائف. !

لماذا أوجدتني بأنياب وأظفار وعضلات ووحشية وزئير ولم توجدني بأجنحة وريش وحب ولطف وصداقة وألف تغريد، أو لماذا لم توجدني أي شيء آخر؟

لماذا أوجدتني عصفوراً أو حمامة أو أرنباً أو جدياً أو برغوثاً ولم توجدني ذئباً أو سبعاً أو صقراً أو حصاناً أو لماذا أوجدتني هذا ولم توجدني ذلك. ؟

لماذا أوجدتني الحيوان المركوب ولم توجدني الراكب أو لماذا أوجدتني الراكب ولم توجدني الحيوان المركوب، أو لماذا توجدني شيئاً آخر لا هذا ولا هذا. . ؟

لماذا أوجدتني الأنثى لأقاسي كل آلام وأوحال وأثقال وأغلال الأنثى. . لأكون الوالدة والمصدرة والمستفرغة لهذه الأوحال والأثقال والأغلال والآلام والمورثة المخلدة لها، أو لماذا أوجدتني الجنس الآخر ولم توجدني الأنثى لأكون الباصقة المبصوق عليها وفيها وبها ومنها. . لأكون البصاق المعطى والمأخوذ الذي هو أخطر وأوقح بصاق؟

أعني البصاق الذي يبصق عليَّ وفي ثم أبصقه على نفسي وعلى من بصقوه عليَّ وعلى كل شيء حتى لأبصقه على عيونك وفي عيونك يا إلهي. . يا إلهي الذي لم يوجد مبصوق على عيونه وفي عيونه مثلك. . أعني البصاق الذي يتحول إلى باصقين وإلى مبصوق فيهن وعليهن ومنهن. . وإلى باصقات على أنفسهن وذواتهن وعلى كل شيء وكل أحد. . !

ما أقبح وأوقح هذا البصاق معطى ومأخوذاً.

كيف قبلت ورضيت وعشقت وأردت ودبرت يا إلهي أن توجد هذا البصاق وباصقيه. . هذا البصاق والباصقين عليك وفي عينيك وعلى كل شيء وكل أحد. ؟

كيف بقيت لك عينان أو أذنان تريان وتسمعان ذلك مرأى وصوتاً؟

. . ماذا يا إلهي المخدوع المخدر بمدائح وصلوات أنبيائه ودعاته الجاهلة المنافقة

الجبانة الذليلة لو أن أكبر وأشهر كائن نراه ونواجهه ونتعامل ونحيا ونرى به خطواتنا الضالة ودماماتنا وعفوناتنا ووقاحاتنا.

ـ أي ماذا لو أن الشمس قالت لك: لماذا يا إلهي خلقتني شمساً لأحترق وأحرق وأبدد نفسي بلا أي شوق أو حب أو فرح أو حافز أو مصلحة أو إرادة أو علاقة لي في ذلك.. لأعطي دون أن آخذ، ولأرى وأواجه وأعمل وأتعرى وأعري دون أن أبصر أو أسعد أو أفرح أو أقرأ أو أفسر أو أفهم أو حتى أعشق أو أعجب.. لأظهر وأختفي وأقرب وأبعد وأدور وأتكرر وأقوى وأضعف وأصغر وأكبر وأطول وأقصر وأبخل وأسخو وأرفق وأقسو وأحسن وأسيئ وأرضى وأغضب دون أن أريد أو أوافق أو أستشار أو أعرف لماذا أو أستطيع أن أرفض أو حتى أغضب أو أنكر أو أحتج أو أضرب عن العمل أو أطالب بفترات من الراحة لأعتذر إلى نفسي وضميري ولأغسل شيئاً من ذنوبي وقبحي وعفوناتي ولأكفر عن شيء من ذلك؟ هل وجد مغتصب شرفه وتقواه ونظافته ووقاره وكرامته بل ونوره وحياؤه مثلي أنا الشمس؟

.. لماذا يا إلهي خلقتني كما خلقتني لكي أكون عيوناً وحرارة وطاقة وطعاماً وحياة ومجداً ونوراً للطغاة والحمقى والقادة والقتلة واللصوص والمخربين والضالين ولكل الباحثين عن الظلام والعائشين في الظلام والصانعين للظلام.. لأكون نوراً في طريق وعيون الزاحفين إلى الظلام وحراسة لخطوات الباحثين عن الضلال؟

.. أجل، إنني أنا الشمس قوة وحياة ومجد لكل عشاق الظلام وصناعه وسكانه.!. ألم تعرف ذلك يا إلهي؟

ألم تعرف أن عشاق الظلام بل وعشاق النور يصنعون من أضوائي كل الظلمات والدمامات والضلالات؟ لقد وهبتني النور لكي أعيش في الظلام وأهب الظلام.. لماذا يا إلهي خلقتني ووضعتني ووظفتني لكي أواجه وأشاهد وأشهد وأرى وأعايش بل وأبارك وأناصر كل الأوحال والآثام والمظالم والآلام والعاهات والتشوهات والنذالات والقباحات والوقاحات والبلادات والفضائح، كل الفضائح في كل الكون التابع لي.. الملصق المعلق المربوط بي.. لكي أتعذب بكل ذلك كل أوقاتي، بكل تفاسيري ورؤاي واتجاهاتي وأخلاقي وتقواي وحرارتي.. دون أن أستطيع الهرب أو الموت أو التوقف أو التوبة أو الاستغفار أو الإصلاح أو التصحيح أو النهي أو الزجر أو حتى البكاء أو الاستحياء أو الشكوى.؟

لماذا خلقتني بهذا السرف وبهذه الضخامة البلهاء بلا أي قدر من الفن أو المنطق أو

الجمال أو التفاسير أو الكرامة أو السعادة أو النظافة أو التقوى والاحتشام أو الوقار أو الخجل أو الرؤية أو الكبرياء أو العصيان؟ هل يوجد أو وجد فاضح مفضوح مثلي أنا الشمس؟

هل يوجد مضيء المرأى مظلم المعنى والذات والتفاسير والأخلاق مثلي، مثلي؟

.. هل توجد ولو في التصور يا إلهي كينونة بلهاء تساوي الكينونة التي أردتها لي وأوجدتني بها؟ هل يوجد ضخم الكينونة صغير ومهان ومحقر الدلالات والمواجهات والممارسات مثلي أنا الشمس؟

.. آه يا إلهي إني في هذه اللحظات أتصور هذا الموقف أو هذا المنظر فأتمزق انفجاعاً وذعراً ورثاء.. فأحترق بكل تفاسير الاحتراق.. أتصور أن حشرة بائسة مهينة ذليلة قد صغتها بكل تفاسير الهوان والضعف والألم والقبح قد وقفت يوم الحشر الأكبر الكوني الذي تهدد وتفخر بأنك سوف تفعله لتعرض فيه مجدك وكبرياءك وغضبك وقدرتك على الانتقام والقسوة والقبح قائلة صارخة في كل آذان وعيون وضمائر ذلك الكون المحشور:

لماذا إلهي أوجدتني كما أوجدتني، لماذا؟. إني أسائلك مساءلة المحاسب المحاكم المحتج المفجوع الرافض وأيضاً مساءلة الباحث عن التفسير..!

هل فعلت ذلك عن بلادة أم عن نذالة أم عن جهالة أم عن وقاحة أم عن وحشية أم عن عجز أم عن حقد ولؤم أم عن حب ورؤية للجمال أم عن رغبة في عرض العبقرية، عبقريتك؟

قل لي يا إلهي عن أي شيء من ذلك أو عن أي شيء من غير ذلك فعلت بي كل ذلك؟

وقد تفجر تصوري هذا بتصور آخر هو أن جميع هذه الأكوان والعوالم التي حشرتها لتحاسبها وتعاقبها وتهينها ولتتكبر وتسعد وتفرح باتهامها وإذلالها وعقابها وشتمها وتحقيرها.

ـ نعم، هو أن جميع هذه الأكوان والكائنات والعوالم قد صرخت بصوت وغضب وانفجاع واحتجاج ومحاسبة هذه الحشرة قائلة: نعم، نعم، نحن جميعاً كل هذه الحشرة.. كل صوتها وغضبها واحتجاجها وانفجاعها ومحاسبتها ومأساتها..

.. نعم، نحن جميعاً حزب وجيش وموقف ومنطق وألم وصوت احتجاج واحد

من هذه الحشرة يا من فعلتها بها وبنا. . يا من فعلت بنا كل ما فعلت أو مثلما فعلت بها مهما اختلفت الصيغ والتفاسير واللغات والثياب والأماكن والانتماءات والآهات والأنات والتعبيرات والديانات والنبوات والصلوات والكعبات.

. . يا من يشوه ويخيف بالتشويه الوجه الجميل أكثر مما يشوه ويخيف أو مثلما يشوه ويخيف بالتشويه الوجه الدميم. . يا من يميت الوجه الجميل أقسى مما يميت أو مثلما يميت الوجه الدميم.!. يا من لا يضرب أو يصافح أو يخطو أو يعمل إلاّ في الظلام.!

يا من لا يعطى إلاّ لكي يعاقب بأخذ ما أعطى وبعقوبات أخرى.!

. . يا من يهزم ويذل ويعذب ويحقر ويفضح أنبياءه وأولياءه أكثر وأقسى مما يفعل بأعدائه أو مثلما يفعل بهم. .

. . يا من وهب كل المجد والانتصارات والفرح والسعادة والتفوق الشامل لعدوه الأول والأوحد إبليس ووهب نقيض كل ذلك لحبيبه وصديقه ونصيره وعشيقه الأول آدم. . آه. ما أقسى آلام آدم لو حدق فيما فعلت به وبعدوه إبليس.

يا من لا يمكن الإيمان بحكمته أو رحمته أو محبته أو بذكائه أو إبداعه أو جماله إلاّ بالإيمان بأن وجود وإيجاد الآفات والعاهات والتشوهات والحشرات وكل الآلام والمظالم والدمامات هو كل تفاسير الحكمة والرحمة والمحبة والذكاء والجمال العقلي والفني والنفسي والكوني.!

. . يا من جعل الأذكياء والشرفاء والأتقياء والنبلاء أقل وأخفى جداً وأراد أن يكونوا أقل وأخفى جداً من أضدادهم. . يا من أراد وجعل الأعداء والسفهاء والأنذال والضالين والمنافقين والكاذبين والمفسدين الغائظين المغضبين له هم السادة والقادة والأقوياء والممجدين والمتسلطين. لماذا تفعل ذلك يا إلهي؟ هل تستطيع أن تدري؟

يا من يقرأ ويرى نفسه ويريد أن يرى ويقرأ نفسه بالعيون العمياء بل بالعيون المفقودة ويرفض أن يرى أو يقرأ شيئاً من نفسه بالعيون الرائية القارئة. .

. . يا من لم يجرب أن يقرأ أو يرى.!

يا من كل مجده وجماله ورؤيته وقراءته وعبقريته في عماه وأميته. .!

وعن هذين التصورين أتصورك يا إلهي الآن وحيداً ذليلاً مهزوماً مفجوعاً مذعوراً حائراً بين هذه الأصوات والصرخات الكونية الشاملة المحاسبة المحاكمة المشحونة بكل

الغضب والغيظ والرغبة في العقاب لك والانتقام منك دون أن يكون معك أو حولك أو لك أي نصير أو مدافع أو حتى راث أو عاذر أو غافر.

.. نعم، يا إلهي هل يقبل أي كائن محكوم بأي قدر من المنطق أو العقل أو الوقار أو الحب أو الرحمة أو العدل أو الضمير أو الأخلاق أو الإبداع أو الفن أو حتى من الإيمان والتدين والتقوى أن يقف معك مناصراً أو مدافعاً أو مشاركاً أو حتى عاذراً أو غافراً أو راثياً أو مشفقاً؟

كيف أمكن أن يأذن إيمان أو تقوى أو نظافة أو شهامة أو صدق أو ذكاء أي كائن أو إنسان بأن يعذرك أن يغفر لك أو يدافع عنك أو يقف معك في أي موقف من مواقفك؟

.. إن أي كائن فيه أي قدر من رفض وكره ومقاومة الطغيان والسفه والعدوان والقسوة والغباء والعبث والفجور والقبح والنذالة والظلم لن يستطيع يا إلهي إلاّ أن يكون رافضاً لك ومشمئزاً منك ومفجوعاً بك بل ومقاوماً لك كل الرفض والاشمئزاز والانفجاع والمقاومة لكي يكون محترماً لمنطقه وعقله وأخلاقه وشرفه وشجاعته ولضميره وحبه وإيمانه وتقواه وتدينه.. لكي يكون مستجيباً لكل معانيه النظيفة التقية المؤمنة الشجاعة الذكية المحاسبة المحاكمة المعاقبة. إنه لا بدّ أن يفعل ذلك مهما أراد وتمنى وأحب أن يفعل النقيض.!

إنه لن يوجد أضعف أخلاقاً وضمائر وإيماناً وتديناً وتقوى وبسالة ونظافة وكرامة وحباً للآلهة واحتراماً وفهماً ورؤية واشتراطاً لها وعليها وفيها مثل من يغفرون لك يا إلهي أو يعذرونك أو يفسرونك أية تفاسير جميلة أو مقبولة أو معقولة أو حتى مغفورة..!

أو مثل من يرونك أو يريدون أن يروك بأية صيغة من صيغ الجمال أو الإبداع أو الوقار أو الحب أو الرحمة أو العدل.. مثل من يزعمون أنهم قد وجدوا فيك أي شيء يحترم أو يعقل أو يقبل.

.. إن جميع الأنبياء والدعاة الذين جاءوا في كل التاريخ ليعلموا شيئاً أو ليتحدثوا ويعلنوا عن شيء من مزاياك أو تقواك أو رؤاك فلن يكونوا إلاّ جهلاء وأغبياء جداً أو كاذبين وخادعين ومتآمرين أو ساخرين جداً.!

.. إن هؤلاء لن يكونوا فقط عمياناً عن كل رؤية عقلية وأخلاقية وبصرية وفنية ودينية ونفسية بل إنهم لا بد أن يكونوا قد ركبوا تركيباً مزوراً لكي يروا كل شيء نقيض رؤيته.!

. . إن أحداً يا إلهي لم يجد ولن يجد حظوظاً لئيمة شريرة محابية له مثلك حينما وجدت من قبلوا أن يكونوا لك أنبياء ودعاة ومفسرين لدماماتك ووقاحاتك وبلاداتك ومظالمك بأتقى وأجمل وأذكى وأعدل التفاسير. . بكل التفاسير الجميلة الذكية المنطبقة الفنية الأخلاقية. . وهنا سؤال فاجع. هل خاطبك هذا السؤال؟ يقول السؤال الفاجع: ألا يمكن يا إلهي إن هؤلاء الذين قبلوا أن يكونوا أنبياءك ودعاتك ومفسريك إنما أرادوا أن يفضحوك وأن يعلنوا عن فضائحك؟ ألا يمكن أن يكونوا أقسى وأنذل الأعداء جاءوا بصيغ أنبل وأصدق الأصدقاء؟

. . أليس الذي يتحدث عن جمال أقسى وأشمل دمامة، وعن طول أقصر قامة، وعن ضخامة أصغر هامة إنما يريد ويعني وينوي أن يفضح ويسيئ ويعلن عن النقيض؟

أليس هذا المتحدث لو وجد هو أقسى وأنذل الهجائين؟

أليس من وصفك يا إلهي بأنك أرحم الراحمين هو أوقح وأقسى هجاء وفضحاً لموصوفه ممن أشار ويشير إلى وجه قد تجمعت فيه كل الدمامات والتشوهات والآفات قائلاً: انظروا إلى هذا الجمال الذي لا يستطيع سكان السماء النظر إليه، والذي لا يجرؤ الإله نفس الإله على النظر إليه خوفاً من عذاب الغيرة ومن عواقب الافتتان؟

هل توجد صيغة استهزاء أو غباء أو هجاء مثل كائن أو إنسان مصاب بكل العاهات والتشوهات والآلام والأمراض والضعف أي أنت أصبته بكل ذلك وهو يعلم ويعلن ذلك ثم يذهب يهتف بك يا إلهي قائلاً يا أرحم الراحمين يا رحيم يا رحمن أي وهو يؤمن أقوى الإيمان بأنك المدبر والمريد والفاعل لما أصابه بل وهو يعلم أنك ستظل تصيبه وتصيبه حتى تقتله؟

. . في هذه اللحظات أتصور موقفك يا إلهي تصوراً رهيباً. .

إني لا أستطيع أن أتصور أي موقف يساوي في بؤسه ويأسه موقفك هذا في هذه اللحظات. إن كل الأنات والآهات لن تكفي لتكون تعبيراً عن أساك أي أساك الذي يجب أن يكون أساك. !

ولكنه موقف تستحقه بل بعض ما تستحقه إذن هل يجوز أو ينبغي أن نأسى لك لأنك قد واجهت بعض ما تستحق من الحساب بل ومن العقاب؟

. . ولكن أليس الأسى لك وعليك يا إلهي هنا يجب أن يكون مرات. . مرة لأنك قد فعلت ما تستحق عليه أقسى الحساب والعقاب. ومرة لأنك لم تدر أنك فعلت وتفعل ما تستحق عليه ذلك. ومرة لأنك القوي المخيف الذي أصبح ضعيفاً خائفاً والإله الذي

أصبح عبداً أو وقف وحوسب موقف ومحاسبة العبد، والكوني الذي أصبح وحيداً وأصبح كل الكون خصماً ومحاكماً له. !

. . لأنك أصبحت الذنب الذي لن يوجد من يكفره أو يغفره أو يعتذر عنه، والخطأ الذي لن يوجد من يستطيع أن يصححه، والعاهة التي لا يستطيع شيء أن يداويها أو يسترها، والمتهم الذي لن يوجد من ينقذه، والتائه الحائر الضائع المحاصر الذي لن يجد من يؤويه أو يواسيه أو يعزيه أو يرحمه أو حتى يمازحه أو يقول له أهلاً أو سهلاً أو مرحباً أو يقول كم هو جميل أن نراك. !

إننا لم نكن نراك. . إننا الآن نراك أجمل مما كنا نتصور ونتمنى أن نراك. ! وهل أكون أنا المسؤول عن وقوعك في هذا الموقف البائس والمحرض عليه والصانع له بحواري هذا لك يا إلهي؟

هل مزية أو تقوى لي وفي أن أكون ذلك أم ذنب وقبح أن أكونه؟

وهنا لا بد أن تنفجر التصورات والتساؤلات عن الاحتمالات التي قد أو لا بدَّ أن تنتهي إليها أي إلى شيء منها هذه المواجهة الأليمة الصعبة بين الإله أي بينك يا إلهي وبين كل وحدات الكون. .

. . إن موقفك هنا يا إلهي موقف العاجز بلا أية قدرة أي لو أردت أن تقاوم أو تتصرف لإنقاذ نفسك من أي عقاب يراد عقابك به. لأنك لا تفعل أو تتصرف إلاّ بواسطة أجهزتك وأعوانك عن ملائكة وزبانية وأبالسة وغيرهم. !

ألست كذلك يا إلهي حتى في عصر شبابك فكيف وأنت الآن في شيخوختك؟ وأنت في موقفك هذا لا تجد أحداً من هؤلاء لتفعل بأمرك لهم بأن يفعلوا، بل إن هؤلاء جميعاً قد أصبحوا جنوداً أو قادة في جيوش المحاسبين المحاكمين لك. قد أصبحوا قضاة وشهوداً ومدعين ضدك وعليك وهم أعرف من الجميع بك وبأخلاقك وأخطائك وحوافزك وبكل أسرارك وتفاسيرك بل وهو أكثر حساسية وغيظاً وغضباً ورغبة في الانتقام منك لشعورهم بقبح ونذالة ومهانة ووحشية الوظائف والأعمال التي كنت تلزمهم بها بل والتي جعلتها كل حياتهم وتفكيرهم وتدبيرهم واستمتاعهم وتعبدهم. آه. إن موقفك هنا موقف لا تستطيع كل الدموع والآهات والأنات أن تكون بعض ما يستحق من ذلك. . كيف يمكن تصور غضب واستبشاع وانفجاع الملاك الذي فرضت عليه أن يقتل كل الأحياء وأن يقبض أرواحهم ويسحبها من أجسامهم أمام آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وكل أحبابهم بكل القسوة والعدوانية بلا أي خطأ أو خطيئة اتهموا به أو بها. .

أن يقتل ويخطف من لم يكونوا أعداء أو خصوماً أو إيذاء له أو لأي أحد أو شيء. .

. . أن يسحبهم من قلوب ولهفات وأحضان وأذرع وحجور وصرخات أمهاتهم وكل أحبابهم بلا أي تفسير أو تشريع أو سبب يمكن أن يفهموه أو يقبلوه أو حتى يحاوروه أو يسمعوه أو يعتذر به إليهم، وبلا أية شهوة أو رغبة أو حافز أو منطق أو مجد أو تبرير أو ثمن يدفع للملاك أو يفهمه أو حتى يوعد به ويصدقه ويفرح به أي الملاك الذي يفعل ذلك بل الملاك الذي فعلت وتفعل به كل ذلك؟

أليس كل فاعل يا إلهي مفعولاً به فعله وليس فاعلاً له أو مهماً حسب وزعم وأعلن فاعلاً له؟

ألست يا إلهي الفاعل بالفاعلين بكل الفاعلين؟ ألست تمجد نفسك وتتملقها وتغني لها بإعلانك أنك الفاعل بكل الفاعلين؟

. . كيف يمكن تصور غضب وانفجاع واستبشاع الملاك الذي وظفته ليدمر أو يغرق أو يحرق أو ليزلزل ويزيل هذه المدينة أو المدن أو هذه الحقول والبساتين والعمران والحياة والخصب والرخاء والسعادة والفرح والابتسام والغناء ليحول كل ذلك إلى موت وقحط وخراب وفقر وبأس وأحزان وإلى جوع ودموع وآهات وأنات وتشوهات وعاهات فيفعل كل ذلك دون أن يريد أو يعرف أو يسأل: لماذا لأنه لا يستطيع ولا يعرف أن يعصي أو يقاوم أو يحاسب أو يفهم أو يحب أو يكره أو يرضى أو يغضب لأنك فعلت به كل عماه وبلادته ووحشيته وهوانه ووقاحته؟

. . كيف يمكن تصور غضب أو انفجاع أو استبشاع أو هوان ذلك الملاك المسكين الذليل الذي فسقت بكل معانيه حين أمرته دون أن يستطيع العصيان أو المساءلة أو التفاهم أو التخاطب أو التشاور مع ضميره أو تقواه أو عقله أو أخلاقه أو مع أي تفسير من تفاسيره أي إن كان له شيء من ذلك ـ نعم، حين أمرته بأن يشوه هذا الوجه أو الجسم أو الشيء أو المكان أو الزمان وبأن يغرس ويزرع ويحشد فيه كل التشوهات والهاهات والضعف والآلام والأمراض وكل النقائض؟ هل يمكن تصور جريمة وعدوان يساويان جريمة وعدوان من وظّف كائناً بريئاً في هذه الوظيفة؟.

. . كيف يمكن تصوّر عذاب واستقباح واستنكار واشمئزاز وذعر الملائكة والزبانية الذين أردتهم وخلقتهم وسخرتهم ليكونوا مشيدي الجحيم وموقديه وحارسيه وبوابيه ومشاهديه ومعايشيه. . الذين وظفتهم ووضعتهم في هذا العمل الفاجع الفاجر القبيح القذر.

. . الذين اخترتهم لذلك بلا اختيار وعاقبتهم به بلا استحقاق، بلا ذنب فعلوه أو نووه أو أعلنوه أو حتى عرفوه أو سمعوه أو سمعوا به؟ أي كيف يمكن تصور هذا الذي لا بدَّ أن يفجعهم ويصيبهم حين يفيقون من بلادتهم وعبوديتهم؟

. . كيف يمكن تصور تعذيب وإذلال وتحقير وتلويث مثل التعذيب والإذلال والتحقير والتلويث الذي فعلته بمن زعمتهم أنبياءك لتكون قبورهم وكتبهم وتعاليمهم أضخم وأخلد مصانع ومخازن الأحقاد والعداوات والبغضاء التي خططتها وصنعتها وبصقتها السماء. . ليكونوا أي من زعمتهم أنبياءك مطاردين مطرودين ومكذبين وكاذبين ولاعنين ملعونين مصلوبين متهمين متهمين. . ليكونوا عابدين ومقدسين ومفسرين ومادحين ومصلين وممجدين للعاهات والتشوهات والقبائح والفضائح والمظالم والأخطاء والخطايا التي تمجد نفسك وتمجدهم ويمجدونك بحديثهم عن حكمتك ورحمتك ومحبتك وشهامتك التي خبأتها فيها.

. . ليكونوا أقوى وأضخم وأشهر التفاسير والتبريرات والتسويغات بل والقداسات والطهارات والعبقريات لكل الكذابين والدجالين والمخادعين والمعتدين واللصوص والقتلة والأغبياء والجهلاء والسفهاء الذين يفعلون كل ذلك باسم الاحترام والطاعة لهم والإيمان بهم والالتزام بتعاليمهم وتقواهم وحبهم والطاعة لإلههم أي لآلهتهم فهي آلهة وليست إلهاً واحداً. لتكون قبورهم أي قبور الأنبياء أضخم وأقبح المصانع والمخابئ لأفتك وأنذل وأجهل الأسلحة المتعادية المتقاتلة. . إن لكل نبي إلهاً مخالفاً في مولده وعرقه وزيه ولغته وعواطفه وأخلاقه لإله النبي الآخر. إن الآلهة مختلفون متخالفون بقدر اختلاف وتخالف أنبيائهم. إن الإله الواحد يتعدد بتعدد أنبيائه. !

. . إن آلهة كل الأنبياء لو جاءوا بأوصاف وتصورات أنبيائهم لهم ثم تواجهوا في عالم أو مكان أو مجتمع واحد لكانت احتمالات الأحقاد والبغضاء والتعادي والملاعنات والاتهامات والحروب بينهم أشرس وأوقح من احتمالاتها بين الزعامات والقيادات العربية. إنهم لا بدَّ أن يتواجهوا حينئذ أي الآلهة أقسى المواجهات لأنهم متباينون ومتفاوتون في صفاتهم ورؤاهم، ولأنهم متنافسون في أغراضهم وأمجادهم وتطلعاتهم وأنانياتهم. !. لقد صاغهم أنبياؤهم صياغات متباعدة في بداواتها وجاهلياتها. !

. . إن هذه الاحتمالات الشريرة المفترضة بين هؤلاء الآلهة المفترضين قد تكون أقسى احتمالاتها أو مثل احتمالاتها بين نفس هؤلاء الأنبياء لو تلاقوا في عصر واحد وشعب واحد معلمين لنبواتهم وألواحهم ومفسرين لأوصاف وأخلاق أربابهم ومتنافسين

في تضخيم وتهويل جناتهم ونيرانهم وفي أعداد أتباعهم وضخامة قطعانهم. إن النبي ليرى ضخامة نبوته بقدر ضخامة جحيمه. !

.. ما أعظم الفروق الصانعة لكل العداوات والخصومات ولأقبح العلاقات والمواجهات.

ـ نعم ما أعظم هذه الفروق بين إله النبي محمد وإله النبي عيسى أو موسى. !.

ما أعظم الفروق بين وجوه وقلوب وتاريخ آلهتهم. !

لهذا كم نرهب ونفجع بل ونهرب أن نتصور إله محمد مواجهاً لإله عيسى أو موسى أو أن نتصور محمداً مواجهاً لعيسى أو موسى في أية محاورة أو منافسة أو مبارزة أو مبادرة أو محالفة، في أي زمان ومكان.

.. إنه لشيء يشبه التدبير الذكي الرحيم أن الأنبياء الكبار أصحاب الأتباع والديانات الكبرى لم يجيئوا في زمان واحد في مجتمع أو عالم واحد.. إن فيك إذن يا إلهي شيئاً من الذكاء والنظام والرفق والحكمة ولو أحياناً أي إن كنت أنت المدبر لذلك. !

.. لقد تقاتل وتعادى وتخاصم هؤلاء الأنبياء بعد موتهم ولا يزالون وسوف يظلون يتقابلون ويتعادون ويتخاصمون بكل ألسنة وأحقاد وقلوب وعقول وأخلاق وأسلحة وعضلات وأيدي كل البشر. !

إذن هل وجد أن يمكن أن يوجد متعادون متخاصمون متلاعنون متباغضون متحاربون مثلهم أي مثل الأنبياء؟

.. إن أقبح وأردأ ما في هؤلاء الأنبياء إنهم متعادون ومتخاصمون ومتحاربون ومتلاعنون متباغضون بقلوب وأخلاق وعقول وألسنة وأيدي كل البشر. !

.. إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد متواجهون وهم في قبورهم كل المواجهات الأليمة البذيئة القبيحة المدمرة الجاهلة مثل كبار الأنبياء؟ هل وجدت قبور متحاربة وصانعة للحروب بكل تفاسير الحروب وحوافزها ونتائجها مثل قبور الأنبياء؟

.. إن البشر لم يعاقبوا ويشوهوا بشيء مثلما عوقبوا وشوهوا بموتاهم هؤلاء.. بأنبيائهم الكبار، بقبور أنبيائهم الكبار. !.

.. لقد عجزت كل أخلاق البشر وعقولهم وعلومهم وحضاراتهم وعلاقاتهم الإنسانية والاجتماعية وكل نياتهم التقية المحبة أن تشفيهم من هؤلاء الموتى.. أن

تشفيهم من أحقادهم وعداواتهم وبغضائهم وخلافاتهم ومنافساتهم التي زرعوها وكتبوها بل وخلقوها في ضمير التاريخ وأخلاقه وفي كل خطواته وسجلاته وقراءاته . . في كل هتافاته وفروسياته ومبارزاته ومنافساته ومصاهلاته ومزاءراته بل ومنابحاته . إن كل ابتكارات وعبقريات الطب والعلم ظلت عاجزة عن شفاء البشر والتاريخ من قبور أنبيائهم . !

. . لقد أصبحوا أي هؤلاء الأنبياء هم أكثر سطور التاريخ تشويهاً وإيذاء وإيلاماً وتعليماً ونشراً وتوكيداً وصنعاً للعداوات والخصومات والاتهامات والانقسامات والملاعنات بل وتفسيراً وتبريراً لكل ذلك وتحريضاً عليه . ! . إنه لم يستعبد الإنسان والتاريخ شيء مثلما استعبدهما الأنبياء الموتى وقبور الأنبياء الموتى . !

. . لقد أصبحت مقابر هؤلاء الأنبياء هي أقسى التشوهات والعاهات والدمامات في وجه التاريخ وضميره وأخلاقه وأشواقه إلى الحب والصداقة والسلام، أي واحتياجه إلى ذلك . !

لقد أصبحت هي أقسى ما قاسى ويقاسي منه الإنسان في كل عصوره ومجتمعاته أعني قبورهم وأيضاً كتبهم الحافظة المسجلة المجددة المحرضة المؤكدة القارئة الراوية المرتلة المصلية للأحقاد والبغضاء والعداوات والانقسامات بين البشر . . بين قلوبهم وعقولهم وضمائرهم وأخلاقهم ونياتهم وعباداتهم وصلواتهم بل وبين لغاتهم ووجوههم وعيونهم وابتساماتهم وبين أبنائهم وآبائهم وأمهاتهم . هل علمت أيها النبي يا كل نبي أن قبرك قد تحول إلى أوقح وأقبح وأقوى الحدود والسدود من العداوات والأحقاد والبغضاء الفاصلة بين القلوب والقلوب وبين العقول والعقول وبين الأخلاق والأخلاق بل وبين العين ورؤيتها أي بين العين وما ترى . . بين العين وتصديقها . !

إن قبرك يا كل نبي يمنع العين من أن ترى ما ترى أو يزور ما ترى . !

. . . لقد أصبحت مقابر وكتب هؤلاء الأنبياء الداء الذي عجز كل الطب والأطباء عن علاجه وأصبحت الجهالة والسفاهة والوقاحة والبغضاء التي عجزت كل العقول والعلوم والحضارات والأخلاق عن ترويضها أو تحضيرها أو تهذيبها أو تعقيلها أو تعليمها أو عن غسلها وزجرها . !

لقد قضى العلم على كثير من الأوبئة أو على أكثرها أو حاصرها وقيدها ووضعها في الأغلال والسجون ولكنه عجز عن المداواة من وباء قبور وتعاليم وكتب الأنبياء . إن النبي يجيء أي فيما يزعمون ليداوى من الجاهلية الزائلة المحدودة المعتذر عنها ليصبح

وليصنع الجاهلية الدائمة الشاملة المفجور بها. . ليصبح ويصنع أقسى الجاهليات وأخلدها وأوقحها وأجهلها. !

. . إن الحضارات والعبقريات التي هدمت وأزالت كثيراً من صحاري وجبال وسدود الطبيعة المتوحشة قد عجزت عن أن تزيل أو حتى تنظف قبراً من هذه القبور. !

. . نعم، يا إلهي ماذا تقول التصورات والاحتمالات عن الحل الذي سوف تعالج به وتنتهي إليه هذه المواجهة الأليمة المحتومة أو المحتملة بينك وبين كل وحدات وآحاد أكوانك؟ كم هي رهيبة هذه الاحتمالات والتصورات؟

. . هل يكون الحل أن تعتذر وتتوب إلى كل شيء وكل أحد مما فعلت به وتلتزم بالتعويض المتكافئ مع أخطائك وخطاياك؟ وصيغ هذا التعويض متعددة يصعب تحديدها. وهو تعويض يجب أن يكون للجميع حتى لمن حسبوا وزعموا أشراراً وزنادقة يستحقون الجحيم. ولعل هؤلاء هم أحق بالتعويض وبالاعتذار إليهم تعويضاً وتكفيراً واعتذاراً عن سبهم واتهامهم وتهديدهم.

. . هل يكون الحل أن تفاجئ محاكميك بانتحارك لتفسد عليهم رغبتهم في إذلالك وإهانتك وتحطيم كبريائك ولتسحب منهم نشوتهم في أن يقفوا منك موقف المحاسبين المعاقبين المعنفين الشامتين ولكي تهرب بل تنجو من ذكريات ومواجهات تاريخك البائس الكئيب العقيم؟ لعل هذا الحل هو أنفع وأفضل وأذكى الحلول بل والحظوظ لك. لعلك يا إلهي أمي أمية أبدية. ما أصعب أن تكون قارئاً لتقرأ شيئاً من تاريخك. ولعلك أيضاً مصاب بالعمى الأبدي لهذا لم ترَ ضحايا أنيابك وأظفارك. !

هل يكون الحل أن توقع أنت ومحاكموك الذين هم كل وحدات وآحاد هذا الكون على صفقة جيدة لك ولهم. .

لتجئ الصفقة هكذا:

أنت تملك قدرة مطلقة ولكنك لا تملك أي قدر من الحكمة أو الرحمة أو الفن أو الذكاء أو النظام أو العدل أو الحب أو التفكير أو العقل، أما هم فإنهم لا يملكون هذه القدرة المطلقة ولكنهم يملكون هذه المزايا التي لا تملك أنت أي قدر منها. !. والفاجع أنك يا إلهي لم تعلم شيئاً عن هذه المزايا أو أنك رفضت تعلمها وتبلدت أو عجزت عن الأخذ بها. .

. . إذن لينقلوا مزاياهم هذه إلى قدرتك المطلقة، ليعلموك إياها ولتتعلمها أنت بصدق وإتقان والتزام لكي تصبح كائناً أو إلهاً آخر جيداً جداً. لتصبح الإله الذي يجب

أن يكون إن لم يكن بد من أن يوجد إله أي لتصبح قدرة مطلقة محكومة بكل المزايا والاحتياجات الأخلاقية والنفسية والفنية والعقلية والإنسانية والعلمية التي لم تجرب أنت شيئاً منها كما يشهد على ذلك كل تاريخك. !

فتش في كل تاريخك. فإنك لن تجد فيه أي شيء من ذلك مهما حاولت أن تخدع نفسك!

.. وحينئذ تذهب تصوغ كل شيء وكل أحد الصياغات الجديدة التي لم تكن تصوغ أو تعرف شيئاً منها بل التي كنت في كل تاريخك تفعل نقيضها. إنه لم يوجد ولن يوجد نقيض لكل تفاسير الإله مثل الإله أو غير الإله. !

.. إنك حينئذ لا بد أن ترفض وتلعن كل تاريخك بل وترفض أن يكون تاريخك هو تاريخك أي لو نقلت إلى قدرتك المطلقة هذه المزايا التي لم تعلم عنها أو تجرب أو تستطع أو تعشق منها شيئاً. !

قبيح جداً أن يكون الإله قدرة مطلقة بلا أية مزايا. وأن يكون كل من سواه أشواقاً وتمنيات وبكاء وآلاماً وشكوى بلا علاج أو شفاء أو قدرة أو احتمال قدرة على ذلك. !

.. هل يكون الحل أن يقسو عليك محاكموك مثلما قسوت واعتديت عليهم بل شيئاً من قسوتك وعدوانك عليهم لكي يحكموا عليك بالتخليد في الجحيم الذي كنت أعددته لتخلد في عذابه أذكى وأعلم وأنبل وأعقل وأفضل وأنفع من خلقت؟

هل يوجد من يستحق التخليف في هذا الجحيم مثل من استطاع أن يتصوره خياله؟

.. ولتتذكر أنك سوف تكون وحدك وحينئذ لن تستطيع أن تفعل شيئاً لإنقاذ نفسك أو لدفع ورفض ما يراد إيقاعه بك لأنك لا تفعل إلاّ بواسطة أعوانك ولا أعوان لك اليوم..

لقد أصبح كل أعوانك خصوماً لك. ولعلهم قد أصبحوا أقسى خصومك. !

.. هل يكون الحل ألاّ تحضر في ذلك اليوم ألاّ يجدك أحد.. أن يثبت أنك البريء من كل شيء والمتهم بكل شيء.. أن يثبت أنك البريء من كل شيء حتى من الوجود.. من وجودك.. أن يثبت أنك قد اتهمت بأنك موجود لكي تكون المتهم بكل الأخطاء والخطايا.. لكي تصبح كل العاهات والتشوهات والآلام والأخطاء في ذات ومعاني كل شيء وكل أحد حتى في ذات ومعاني أصغر برغوث وذباب.. أن يثبت أنك أعظم متهم وأعظم بريء مظلوم مفترى عليه.. أن يثبت أن اتهامك أكذب وأبلد اتهام لأنه اتهام لمن يوجد ولن يوجد؟

. . هل تتحول يا إلهي في ذلك اليوم إلى أقسى هزيمة وفضيحة لمتهميك ومحاكميك لأنهم لن يجدوك، لأنك لم توجد؟

أليست كل سعادتك ونجاتك وأمجادك وجمالك يا إلهي في ألا توجد؟

. . هل يكون الحل أننا لن نلتقي في ذلك اليوم والمكان لأننا لن نحضر لأننا لا نجيء إلاّ مرة واحدة؟ هل يقبل أو يستطيع أي كائن جاء أن يجيء مرة أخرى؟ هل يقبل ذلك الصرصار أو الذباب؟

. . هل يكون الحل أن يتدخل شيوخ النفط العرب لمنع محاكمتك ومحاسبتك بل ولمنع محاورتك. شكراً لك على تخطيك لكل حدود الوقار والاتزان والتعقل والتقوى في حبك وعطائك لهم وعلى إلقائك بكل تفاسير وكرامة عرشك تحت مضاجعهم الخامدة النائمة الكسلى؟

هل افتضح كائن في حبه وعطائه مثل افتضاحك في حبك وعطائك لشيوخ النفط؟ . . وإنه لمفروض أن يكون كل العالم قد تعود على الطاعة المتأدبة لما يقوله ويريده شيوخ النفط العرب. إذن لن يوجد من يعارضهم في ذلك اليوم حين يتدخلون لإنقاذك يا إلهي من هذه المواجهة الرهيبة المذلة. !. نعم، إن الشهامة والوفاء لا بدَّ أن يفرضا على شيوخ النفط الدفاع عنك وأن ترويضهم الطويل للعالم لا بدَّ أن يفرض عليه الطاعة لما يريدون. . هل يكون الحل أن تتنكر يا إلهي في ذلك اليوم بزي شيخ نفط عربي بل أو أن تلبس هذا الزي بلا تنكر بل وبإعلان عن شخصيتك دون أن تخشى أية محاكمة أو محاسبة أو مجادلة لأن هذا الزي متنكراً وغير متنكر لا بدَّ أن يهبك كل الحماية والرهبة الواقية من أن يحاكمك أو يحاسبك أو يعاقبك أو حتى يحدق فيك العدل أو الحق أو العقل أو الواجب أو الذكاء مهما أهنت وقتلت كل العدل والعقل والحق والذكاء والواجب، اسمع يا إلهي لو أن إبليس لبس هذا الزي أي زي شيوخ النفط هل تجرؤ على محاسبته أو معاقبته؟

. . هل يمكن تصور حلول أخرى لهذه المواجهة؟ يمكن ذلك ولكني يا إلهي أتمنى أن يكون الحل هو أذكى وأتقى الحلول وأقلها إيذاء وإذلالاً وتعذيباً وأكثرها نفعاً لك ورفقاً بك وستراً عليك يا إلهي مهما عجز كل شيء عن الستر عليك. . مهما عجزت كل الأغطية والأحجية أن تستر عليك أو أن تستر على أي شيء من عيونك وذنوبك وتشوهاتك وعاهاتك يا إلهي الذي لولاه لما وجد فاضح أو مفضوح ولا ظالم أو مظلوم ولا مذنب أو معاقب أو متهم كما تقول أنت!

هل يستطاع الستر على من يعرض نفسه بكل المباهاة والإعلان كل الأوقات في أجساد وثياب وصيغ كل الحشرات والعاهات والدمامات والآلام وكل الفظاعات؟ . . هل تستطيع كل الساترات الموجودة أو المحتملة أو المتصورة أو تقبل أن تستر عيوب وذنوب ودمامات وتشوهات وعاهات وأخطاء وآلام وتفاهات وفحش ووحشية كل شيء وكل أحد أي كل هذا الكون وكل ما فيه ومن فيه أو تقبل أن تفعل ذلك؟

وهل هذا الكون أي هل كل شيء وكل أحد إلاّ أنت يا إلهي أو إلاّ شيء منك أي إلاّ شيء من استفراغك على نفسك وعلى كل شيء؟

هل أنت يا إلهي في كل ما تزعمه خلقاً إلاّ مستفرغ؟

وهل أنت في كل صيغك وتفاسيرك وتاريخك وطموحك إلاّ هذا الكون، إلاّ كل شيء وكل أحد فيه؟

هل أنت إلاّ هذا الاستفراغ الذي استفرغته والذي يسمى كوناً وخلقاً؟

إذن هل أنت إلاّ كل الذنوب والعيوب والدمامات والعاهات والتشوهات والآلام والأخطاء والفحش والقسوة التي وجدت والتي سوف توجد والتي قد توجد ـ وهل هذه إلاّ بعضك أي إلاّ شيء منك، من أخلاقك ومنطقك وإرادتك وتخطيطك وتدبيرك وفعلك ورحمتك وشهامتك وكرامتك وحبك وفنك وجمالك؟

إذن هل يستطيع أو يقبل أن يستر شيئاً من عوراتك وقباحاتك يا إلهي؟

أليس كل أنبيائك وأوليائك ومعلميك إنما جاءوا لكي يعلموا ذلك ولكي يلعنوا ويحاربوا ويوعدوا ويكفروا كل من لم يؤمنوا بكل ذلك، أي من لم يؤمنوا بل ويعلنوا أن كل هذا الكون وكل شيء فيه هو أنت، هو بعضك، وبأنك أنت كل هذا الكون، كل أخلاقه وتفاسيره ومنطقه ولغاته وأزيائه وكل حياته ومماته وأمراضه ونظامه وفجوره وكل بداياته ونهاياته وكل عيونه ورؤاه ومراياه؟

هل جاء هؤلاء إلاّ لكي يفسروا كل شيء بك وإلاّ لكي يفسروك بكل شيء؟

لقد جاءوا لكي يفسروك بالحشرة والعاهة والدمامة والمرض والشيخوخة والموت وبكل النقائص والعجز والألم والغباء والجنون، ولكي يفسروا كل ذلك بك، ولكي يلعنوا ويتهموا ويكفروا ويقاتلوا كل من لا يؤمنون بهذه التفاسير. هل رأوك أو وجدوك أو عرفوك أو لقوك أو سمعوك أو شموك أو حتى خافوك إلاّ في هذه . . إلاّ في معايشتهم ومعاشرتهم ومواجهتهم لهذه؟

. . لكي يعلموا أن رؤية أي شيء وكل شيء . . كل قبح وخطأ وألم وعبث وظلم وهوان هي رؤية لك ويعلموا أنك الكائن الذي لا يرى إلاّ برؤية غيره حتى ولو كان غيره هذا هو أقبح وأنذل وأفجع وأسخف وأجهل الأشياء وأبعدها عن كل تعبير أو تفسير جميل أو نظيف أو ذكي أو معقول أو نافع أو حتى مقبول أو مغفور.

نعم، هل رأوك إلاّ لأنهم رأوا كل ما يهجوك وينفيك ويناقضك؟ هل رأوك إلاّ لأنهم لم يروك ولن يروك؟

. . لكي يعلموا أن كل من لم يروا ويجدوا في الذباب أو في القملة أو في أية حشرة كل حبك للجمال والنظافة والضخامة والفنون فلن يكونوا إلاّ أشراراً وزنادقة وعمياناً وأغبياء. !

إن هؤلاء الأنبياء والمعلمين لو كانوا يريدون الدفاع عنك والاحترام لك ويعرفون ذلك لقالوا إنك مستفرغ وباصق لا مريد مدبر خالق ولقالوا إن الكون وكل شيء ليس إلاّ بصاقاً واستفراغاً وليس تدبيراً أو إرادة أو تخطيطاً أو خلقاً. !

كم تأخذ منَّا يا إلهي؟

.. إنه لن يكون اتهاماً ظالماً أو مبالغة فيه بل أو حتى بالغا التفسير أو الوصف الذي تستحقه يا إلهي أن يقال إن جميع الآخذين منا أي من البشر كل معاني الآخذ وصيغه وتفاسيره في جميع العصور الذاهبة والآتية لا يستطيعون أن يحاولوا منافستك في أخذك منا. !

إن أخذك منا يا إلهي رهيب، رهيب وإنه لمتعدد الأنواع والصيغ فادح المقادير مهين التفاسير.

.. إنها لو طبقت عليك ونفذت فيك كل عقوبات كل الجرائم المعروفة والمعاقب عليها لما كفت أي كل العقوبات عقاباً لك على أخذك منا.. إن كل عقوبات القتل والسرقة والاحتيال والتزوير والكذب والخداع والاغتصاب والإرهاب والتهديد والتشريد والتشويه والترويع والتجهيل وغيرها وغيرها لتستحقها أنت كلها بأقسى أساليبها ومعانيها. !. إن كل الخبراء في تشريع وتحديد العقوبات لن يستطيعوا أن يعرفوا ويشرعوا ما تستحقه من ذلك. !

.. نعم، إن أخذك هذا هو أخذ بكل أنواع الأخذ وصيغه وتفاسيره ولكنه في فداحته وضخامته هو أضخم من كل أخذ. !

.. إنه أخذ مادي وأخلاقي ونفسي وعقلي وإنساني بل وديني. !

ألست تفسد تديننا وإيماننا بالتعصب والحقد والبغضاء والعداوات؟

إنه أخذ خارج على كل حدود وصيغ وتفاسير الأخذ. إنه أخذ كوني، بل جنوني، جنوني. !

إنه أخذ متجاوز لكل مقاييس الأخذ ومنطقه واحتمالاته وطاقاته. !

. . أما الأخذ المادي. . آه. آه. ما أقسى أن نفكر في ما أخذت وما تأخذ منا في الإنفاق على تشييد وتجميل وعرض وزخرفة بيوتك التي لن تسكنها بل التي لن تزورها أو تراها أو حتى تحرسها أو تحميها من السقوط أو اللصوص أو الطوفان أو الزلازل التي تفعلها أنت. . بيوتك التي لن تحرسها أو تحترمها من أن تبصق وتستفرغ فيها وعليها الحشرات التي عشقتها فخلقتها. !

. . بيوتك المسماة معابد ومساجد وتكايا ومعاهد دينية. . !

من أول من فكّر وأراد أن تكون لك بيوت؟ من هذا الشيطان الأول؟

. . فظيع، فظيع أن نحدق في بيوتك هذه الشامخة المتبرجة المتأنقة المتبخترة العارضة لزيناتها وملابسها وأصباغها ونقوشها وكبريائها ومآذنها وأذانها وكذابيها ودجاليها الصاعدين فوق منابرها ليستفرغوا كل كذبهم ونفاقهم وجهلهم وغبائهم وقبحهم ووقاحتهم وشتائمهم على اسمك ومجدك وأخلاقك وعلى أنبيائك وكتبك وعلى كل شيء وكل أحد وعلى كل جمال ليبصقوا فوقها ومن فوقها كل عفوناتهم العقلية والنفسية والأخلاقية واللغوية. . في بيوتك هذه المترفة جداً غير المسكونة المالئة لكل المدن والقرى والميادين والطرقات والشوارع والأزقة الشاتمة المذلة للأكواخ والعشش والخرائب حولها. .

نعم، فظيع فظيع أن نحدق في بيوتك هذه التي لم يسكنها ولن يسكنها ساكن لا أنت ولا أحد من رجالك أو أحبائك أو حتى من حبيباتك.

ـ نعم، فظيع جداً أن نحدق في بيوتك هذه بينما نحدق أو حين نحدق في عبادك الساكنين في العراء وفي الكهوف والأكواخ والخيام بل الذين لا يستطيعون أن يجدوا سكناً لهم في شيء من ذلك. !

كيف تستطيع أو تقبل يا إلهي أن تكون أو أن تبقى لك عينان لو أنك نظرت إلى بيوتك هذه الخالية الخاوية ثم نظرت إلى الساكنين في العراء بل الذين لا يجدون أحياناً هذا العراء؟

وكم أخشى أنك لو نظرت هاتين النظرتين لغرقت في الفرح والرضا والكبرياء!

. . وأيضاً يا إلهي ما أقسى أن نفكّر في ما أخذته وتأخذه وما سوف تظل تأخذه منا في إنفاقنا على طبع ونشر وتوزيع وكتابة ونسخ وقراءة وحماية وتصحيح وتفسير وامتداح كتبك المنزلة وعلى توظيف الموظفين لها وباسمها وباسم الدفاع عنها والحراسة لها وعلى اللاعبين والمتوقحين والصاهلين والنابحين والناعقين المستفرغين لأحقادهم

وسفاهاتهم ونذالاتهم بحجة الدفاع عنها والحماية والتقديس لها وعلى حفظها وتحفيظها وتعليمها وترتيلها وبيان إعجازها واحتوائها على كل العلوم والحقائق الكونية الأبدية الأزلية . . !

. . وأيضاً في إنفاقنا على الجامعات والجماعات والمعاهد وكل أنواع التجمعات والانتماءات الدينية أي على كل هذه المخصصة لقراءتك يا إلهي ولتفسيرك وتمجيدك وتعليمك وللإرهاب والإغراء بقوتك وغيرتك وأنانيتك وبقدرتك على الضرب والتدمير والانتقام وعلى العطاء بلا حساب أو عدل أو منطق أو قانون أو تفسير وبما لديك وفي خدمتك وأجهزة مخابراتك من ملائكة وزبانية ومراقبين محصين مندسين متجسسين، وأيضاً بما أعددت من جنات ونيران تشوه وتلعن كل خيال يستطيع تصورها أو يقبل تصورها . !

. . وأيضاً لتعليم أوصافك وأسمائك وكبريائك وجمال وضخامة ذاتك وتعليم أسباب حبك وبغضك ورضاك وغضبك وحماسك واسترخائك وحلالك وحرامك وكل شهواتك ورغباتك التي لن يفهمها أو يعقلها أو يقبلها أو يغفرها أو حتى يقبل الاستماع إلى الحديث عنها إلاّ من قتلت كل معانيه ما عدا أذنيه . .

لأنك يا إلهي أنت الكائن الذي لا يمكن أن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يفهم أو يعقل إلاّ بالأذنين مع أنك لا تسمع ولم تسمع ولن تسمع بالأذنين . !

. . هذه المعاهد والجماعات والتجمعات والانتماءات والجامعات الدينية هل تصورنا خسائرنا وما تأخذه منا يا إلهي في إنفاقنا عليها على بنائها وصيانتها وخدمتها وحراستها وعلى الكتب التي تعلم فيها . . على ورقها وطبعها وعلى قراءتها وتعليمها والاشتغال والاهتمام بها وحدها وعلى حماسنا لها وإعجابنا وفخرنا ورضانا بها . .

. . وعلى من يعلمونها ويتعلمونها ليصبحوا حساباً على المجتمعات والحياة دون أن يكونوا شيئاً من الحساب لها .

. . ليصبحوا عاطلين يأخذون من عمل وتعب الآخرين دون أن يعطوا شيئاً . . بل ليصبحوا بتعليمهم ووعظهم والاستماع إليهم وقراءة ما يكتبون سارقين لأوقات ونشاط واهتمامات أقوامهم . . ليصبحوا كل ذلك وشراً من كل ذلك على حسابك ولحسابك يا إلهي يا أضخم وأسرق السارقين وأردأ السارقين . !

. . ليصبحوا أضخم وأردأ وأوقح وأجهل وأدوم وأشمل السارقين في كل الأوطان باسمك وباعلان وادعاء الحب والتمجيد والعبادة لك والإيمان بك أيها السارق الذي لا

يحمل أو يملك شيئاً من أجهزة أو أدوات أو وسائل أو ذكاء أو حيل أو قوة أو عضلات أو إرهاب السارقين. . لتصبح أعظم سارق بلا أي تفسير من تفاسير السارق. .

. . أيها السارق العجيب البائس الذي يسرق بأيدي الآخرين وبحيلهم وكذبهم وبذكائهم وغبائهم ولحسابهم دون أن يدري أو يدبر أو يفعل أو يستفيد، والذي يسرق الآخرون باسمه ومن أجل حبه وإرضائه وتعظيمه وعبادته والإيمان به. !

. . الذي لا يكون مؤمناً به من لم يسرق أو يسرق أو يسرق ويسرق باسمه. !

. . الذي لا يستطيع أن يقتنع بأنه إله أو يرضى عن ألوهيته أو يعجب ويفرح بها إلاّ بقدر ما يتعاظم ويكثر ويفجر السارقون والمسروقون باسمه وباسم الحب له والإيمان به. !

. . نعم، الذي يسرق الآخرون لكي يثبت أن السارق والمسروقين الراضين بأن يكونوا مسروقين.

ـ لكي يثبت ويقتنع هو أي أنت يا إلهي أن السارقين والمسروقين يحبونه ويمجدونه ويرضونه ويعبدونه ويؤمنون به أي بك يا إلهي. . يا إلهي الذي لا يرى أو يجد مجده أو يرضى عن مجده إلاّ بأن يفقد كل أحد وكل شيء كل مجده وكرامته وذكائه ونظافته. !

. . وأيضاً في إنفاقنا على الحج إلى كعباتك وإلى كهوف وقبور ومزارات ومغارات أنبيائك وأوليائك وعلى ما تذبح ونهب ونصنع لها وفيها وعلى دموعنا وأناتنا وآهاتنا وزفراتنا وصلواتنا ودعواتنا وهتافاتنا وآمالنا وانحناءاتنا وانبطاحاتنا وافتضاحاتنا التي نذرفها ونستفرغها ونلقي بها فوقها وفيها وحولها، راجين ومنتظرين أن تراها وتسمعها وتستقبلها وتفهمها وترحمها وتشكرها وتجزيها أنت يا إلهي، يا من لم يرَ أو يسمع أو يفهم أو يرحم أو يشكر أو يستقبل أو يجز في كل تاريخه. !

. . يا من لم يكن لوجوده في كل تاريخ وجوده أي معنى أو تفسير من معاني الوجود وتفاسيره. . راجين ومنتظرين بل ومؤمنين أن تسقط في عينيك أو أذنيك أو يديك أو في ضميرك أو قلبك أو عقلك أو فوق سريرك أو عرشك المسترخي البارد النائم أبداً. . يا إلهي الذي لم يملك أو يجرب في كل تاريخه شيئاً من الإحساس أو الحواس أو الضمير أو التفكير. . !

. . وأيضاً في إنفاقنا على الخسائر القبيحة البليدة المجنونة التي يصيبنا بها شهرك المعظم الكريم المسمى شهر رمضان أو شهر الصيام الذي يقول لنا: كلوا واشربوا ومارسوا الحب وأنتم نيام، نيام ولكن لا تفعلوا شيئاً من ذلك وأنتم أيقاظ وأحياء. .

الذي يقول لنا: اعملوا وتحركوا وانظروا وأنتم بلا طاقة أو وقود أو عيون ولكن أحذروا أن تفعلوا شيئاً من ذلك بوقود أو طاقة أو عيون.

.. الذي يقول لنا انظروا وأقرأوا في الظلام ولكن حذار أن تنظروا أو تروا أو تقرأوا في النور.. الذي يقول لنا: أحبوا في الظلام ولكن لا تحبوا في النور..!

الذي يقول لنا: ضعوا الطاقة أو الوقود أو الجهاز المحرك في الآلة وهي واقفة أو معطلة ولكن لا تضعوا فيها شيئاً من ذلك وهي عاملة متحركة.

.. الذي يقول لنا: هذا حلال لكم في ظلمة الليل حرام عليكم في ضوء النهار.. الذي يهبنا في الظلام ويحرمنا في النور..!

.. الذي يقول لنا لا تشربوا وأنتم تصلون حرارة شمس الظهيرة واشربوا وأنتم ترتجفون في برودة الليل.!

.. الذي يقول لنا إن الليل يجعل الحرام حلالاً وأن النهار يجعل الحلال حراماً..

الذي يقول لنا: كونوا مبصرين في الليل عمياناً في النهار.!

.. الذي يقول لنا: صوموا في النهار وافطروا في الليل..

الذي يقول لنا: انظروا إلى جمال الإله في الليل ولا تنظروا إلى جماله في النهار..!

.. حذار يا إلهي أن تفرح أو ترضى أو تطمئن أو يخف عقاب ضميرك لك معتقداً أن ما اسمعتك من أساليب أخذك هنا هو كل أخذك المادي منا.!

ألا يمكن أن يقول لك تفكيرك أو تصورك إني مللت وتعبت وتعذبت وفجعت فتوقفت تحت عذاب فكري وضميري وإشفاقي مقدراً أن ما ذكرت لك من ذلك يكفي لإقناعك بأنه لا مذنب ولا خادع مثل من أشار عليك بأن توجد وبأن تكون إلهاً بهذه المستويات والورطات والأخلاق، وبأنه لا مخدوع مثلك حين تقبلت هذه المشورة ونفذتها، فلم أستطع أن أزيدك من هذا التعذيب والإذلال والفضح؟

نعم، ألا يمكن أن تفسر توقفي عن تعديد أخذك المادي منا بهذا التفسير؟

* * *

.. هنا يا إلهي أطالبك أن تتعاطى مقادير جيدة من المهدئات أو من المنبهات أو من أشياء هي أقوى من ذلك لكي تستطيع أن تواجه بكفاءة محاسبتك على أخذك

المعنوي والإنساني منا. . على أخذك العقلي والنفسي والأخلاقي بل والديني واللغوي، لكي تواجه ذلك بشيء من الجشاعة. !

أطالبك بكل الرفق والرثاء والإشفاق أن تفعل ما أطالبك به.

. . لقد أخذت ويزداد أخذك أو حاولت وتتعاظم محاولتك أن تأخذ منا بكل الأساليب والخدع والقبيحة الشريرة اللئيمة كل صفاء وذكاء وبراءة وصدق ونشاط وتقوى ورؤية عيوننا وعقولنا وأخلاقنا وعواطفنا وعلاقتنا وإيماننا وتديننا وعباداتنا بل ومناجاتنا وهتافاتنا وتضرعاتنا وشعاراتنا وآذاننا. !

حتى عيوننا لقد أخذت ولا تزال تحاول أن تأخذ منها كل قدرتها على الرؤية. !

. . لقد أخذت ولا تزال تأخذ وتحاول بكل الوحشية والقبح أن تأخذ منا كل ذلك لتحول كل عقولنا ومواهبنا ونياتنا وحواسنا وتعبيراتنا ورؤانا وكل معانينا إلى خمول وبلادة وعمى وصمم وجهالة وإلى أحقاد وبغضاء وعداوات وملاعنات واتهامات بل وإلى حروب مشبوبة أو متمناة أو منتظرة أو معلمة مقدسة. !.

هل وجد أو يمكن أن يوجد مشروع ومعلم ومقدس للعداوات والأحقاد والبغضاء مثلك يا إلهي؟. .

. . لقد أخذت أو تحاول أن تأخذ من عقولنا وقلوبنا وعيوننا وأخلاقنا وتطلعاتنا وأمانينا وطموحنا ومواجهاتنا وآلامنا كل الرؤية والذكاء والحرارة والحماسة والحب والغضب والقوة والإبداع والمقاومة والاحتجاج والتخطي والرفض الأخلاقي والفني والمنطقي والإنساني. !

إن كل وظائف أنبيائك ومعلميك وأديانك وكتبك المنزلة أن تأخذ منا وتقتل فينا كل معانينا هذه، كذلك لم ترد من علاقاتك واهتماماتك بالأرض والإنسان إلاّ أن تفعل بنا ذلك. !

هل تذكرت يا إلهي الأرض أو التفت إليها أو خاطبتها إلاّ بهذه النية والقصد؟

. . إذن لقد أخذت أو حاولت أن تأخذ من قلوبنا وعواطفنا وضمائرنا وعلاقاتنا كل الصداقات والحب والاحترام والتهذيب والإنسانية بحجة الاحترام والتقديس والحب والعبادة والطاعة لك والدفاع عنك ومقاومة أعدائك. إن وحشيات كل الوحوش لو تجمعت في أنفسنا وتاريخنا لما نافست وحشيتك ووحشية أنبيائك المخزونة في أنفسنا. !

. . وأخذت أو حاولت أن تأخذ من عقولنا ومواهبنا وقدراتنا وعيوننا وطموحنا بل

وأيدينا وعضلاتنا كل القدرة والرؤية والحماس والنشاط والحرارة والاحتجاج والاقتحام والرغبة في التغيير والتجاوز بحجة الاستسلام والاحترام لك والإيمان بك والتوكل عليك والاشتغال برؤية ذاتك وجمالك وعبقريتك عن كل رؤية، عن رؤية أية ذات أو جمال أو عبقرية أو قوة أخرى، وبحجة الاعتراف بوجدانيتك المطلقة في كل شيء حتى اختراق كل حدود وشروط الذكاء والعقل والجمال والوقار؟

.. إذن هل يمكن أو يستطاع تصور ما أخذت وتأخذ وتحاول أن تأخذ منا في ضخامته وفداحته وعدوانيته ونيته؟

.. إذن هل تكفي كل العقوبات عقوبة لك على شيء من ذنوبك لا على كل ذنوبك يا إلهي الغافل العاجز عن أن يعرف الفرق بين الأخذ والعطاء وبين العقل والجنون والجمال والقبح والحب والكره؟

.. إن من أبشع وأقبح آخذك منا أنك تأخذ منا إيماننا وثقتنا بأنفسنا وطاقاتنا ومواهبنا وبكل أعمالنا وحساباتنا وبكل نظم قوانين الطبيعة والأشياء لأنك تعلمنا وتريد أن تقنعنا بأن كل شيء خاضع لإرادتك ومشيئتك ونزواتك وانفعالاتك المتقلبة المتحركة المطلقة التي لا تلتزم بأي معنى أو حافز أو قانون أخلاقي أو عقلي أو فني أو نفسي، ولا تتحاور مع نفسها أو مع ما تعمل وتعامل.. والتي لا تخضع لثواب أو عقاب أو حساب والتي هي في كل يوم أي في كل لحظة في شأن أي في نقض وهدم ورفض لما كان. والتي لا تستطيع أن ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحب أو تحاسب أو تنظر في المرآة.. والتي قِيل في نموذجها: يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً، لكنها خطرات من وساوسه.!

هل تنكر يا إلهي أن هذا هو نموذجك أو هل ترفض أن يكون نموذجك؟

.. لقد علمتنا وأقنعتنا أو حاولت إقناعنا أن أيدينا وأرجلنا وعضلاتنا وعيوننا وعقولنا بل وبيوتنا ومصانعنا وحقولنا بل وملابسنا وسررنا وأدوات منازلنا والأجهزة التي نعملها ونتعامل بها بل والأنهار والبحار والحساب والحقول والأرض والسماء والشموس والنجوم وكل ما نراه ونجده ونعرفه ونعمل ونتعامل ونحيا به وفيه وتحته وفوقه، بل لقد كانت كل وظائفك واهتماماتك أن تعلمنا ذلك وتقنعنا به.!

ـ نعم، لقد علمتنا وأقنعتنا أو حاولت وتحاول أن تقنعنا بأن كل ذلك وكل شيء لا يساوي نفسه أو قوانينه أو طاقاته ولا يحكمه شيء من ذلك، وإنما يساوي مشيئة خارجية مطلقة، وتحكمه هذه المشيئة الخارجية بل وتقبض عليه هذه المشيئة الأجنبية المطلقة

القدرة والإرادة والهوى والرضا والغضب والحب والبغض والعبث واللعب والهدم والبناء والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال بلا قانون أو منطق معروف أو مجهول بل كما قلت معجباً مبهوراً مغروراً بنفسك وأخلاقك مادحاً لنفسك وأخلاقك:

«إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون».. !

.. ثناء على النفس مخجل فاضح بليد قبيح همجي، همجي. !

هل وجد هاج لنفسه وهو يريد ويزعم الامتداح لها مثلك يا إلهي؟

.. كائن يمدح نفسه بأنه يفعل كل شيء بالإرادة والكلمة.. يشيد ويهدم ويحيى ويميت ويشوه ويمرض ويشفي ويعز ويذل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم بالإرادة. الإرادة التي لا تحكمها إلاّ الإرادة. !..

.. هل يمكن تصور أخذ للإيمان والثقة بالنفس أو بالعقل أو بالمنطق أو بأي تقدير أو حساب أو قانون أو موهبة أو نضال أو عمل أو بأي شيء مثل هذا الأخذ.. أخذك هذا منا يا إلهي الذي لا مثيل لبلهه وغفلته وسذاجته الفاضحة.. الذي لا مثيل له في جنايته على نفسه وتشويهه لها وفي ذمة لها زاعماً أنه يمدحها معتقداً ذلك؟

.. كيف أثق بذا القلم أو بهذا الورق أو بهذا الكرسي الذي أجلس عليه لو آمنت أو اقتنعت أو حتى ارتبت بما تريد أن تعلمنا وتقنعنا بتصديقه بل أو حتى بالتذكر له أو التفكير فيه؟ كيف أثق بالتعامل مع القلم أو مع الكرسي أو مع أي شيء لو اعتقدت أو حتى شككت أن يداً أو قوة أو إرادة أخرى غير معقولة أو عاقلة تمسك به أو تحكمه وتتحكم فيه؟

.. ما أغبى وأكذب من يؤمن بل يا إلهي بالأوصاف التي وصفت بها نفسك ثم يؤمن أو يثق بالقلم الذي في يده أي ثم يؤمن ويثق بأنه في يده وليس في يد أخرى مجنونة، وبأنه قلم وليس مشيئة مطلقة سفيهة عمياء حمقاء. !. آه يا قلمي ويا يدي.. أنتما لستما قلمي ولا يدي لأنكما لا تعملان، لا تتحركان وتكتبان بطاقتكما ولا بإرادتي بل بإرادة وطاقة أخرى مطلقة. إذن أنتما أكذوبتان ملصقتان في جسمي تشويهاً وعدواناً وهزلاً..

.. آه يا إلهي كم هي فضاعة وجهالة بل ووقاحة أن تشرع أنت قطع يد السارق وأن تقطع كل المجتمعات والنظم يد السارق أو تعاقبه إذا سرق شيئاً صغيراً حقيراً من كائن أو إنسان آخر تحت إملاء أو إغراء ظروف بائسة أليمة نفسية أو عقلية أو أخلاقية أو اجتماعية. ! هل يسرق من ليس مسروقاً أو من لم يكن أو من لم يوضع في مكان

السارق وتحت ظروفه أو من لم يكن محكوماً بأخلاقه بأحد التفاسير أو بكل التفاسير؟ أليست ظروف السارقين ومجتمعاتهم هي السارقة؟ أليس خالق السارق وصائغه هو السارق؟

ـ نعم، كم هي فظاعة وجهالة ووقاحة أن تفعل وتشرع ذلك يا إلهي وأنت السارق الأكبر الأشمل بل وأنت السارق لكل شيء حتى للشباب والصحة والقوة والعقل والجمال والحياة والذكاء والفرح والسعادة والمجد والكرامة من كل شيء وكل أحد. . !

هل يوجد غيرك أو مثلك من يسرق كل ذلك يا إلهي؟

. . وأن تفعل ذلك كل المجتمعات والنظم ثم تذهب تثني عليك وتشكرك وتعبدك وتتقرب إليك بذلك أي بقطع يد أو بمعاقبة هذا السارق الصغير البائس المقود المحكوم بضعفه أو نقصه أو غبائه أو احتجاجه أو بحكمك عليه بذلك ودفعك له إليه، دون أن تشرع الحكم عليك يا إلهي بقطع وعقاب وشل وقتل وفقء وتعجيز يديك ورجليك وعينيك وكل أعضائك وعضلاتك وحركاتك، دون أن تفطن أي كل المجتمعات والنظم أن سرقة كل السارقين لا تنافس سرقة واحدة من سرقاتك. !

. . سارق كل شيء بلا احتياج أو ضرورة أو عجز أو جوع يعاقب أصغر سارق محكوم بكل تفاسير الاحتياج والعجز والجوع والخطأ والضرورة. . !

هل يمكن تصور مثل هذا السارق المعاقب؟ هل يمكن أن يوجد أو أن يوجد من يتصوره أو يقبل تصوره؟

. . سارق يسرق بلا احتياج أو ضرورة أو غيرة أو عجز أو حتى خطأ من وجه فتاة بريئة نظيفة تقية مؤمنة مهذبة مؤمنة ـ يسرق منها، من وجهها ومرآتها كل صحتها وشبابها وجمالها وفرحها وسعادتها وسواد شعرها وبريق وابتسامات عينيها. . !

يسرق منها كل ابتساماتها وآمالها حتى ليسرق منها قدرتها على التحديق في المرآة والاقتراب منها والمرور أمامها. !

هذا السارق هل يوجد مثله نذالة وقبحاً واستحقاقاً للعقاب والعذاب؟

. . هل يوجد أرذل أو أنذل أو أفجر أو أسرق من سارق الجمال والشباب والصحة والإغراء والحب والفرح من وجوه وقلوب وأجسام ونظرات ومرايا الفتيات. . من سارق الفرح من قلوب وعيون النساء بالتحديق في المرآة وبتحديق كل العيون في عيونهن وفي قراءة وتفاسير عيونهن. .

.. من سارق سعادة العيون في أن تحدق فيهن العيون.؟

.. هل يمكن تصور سرقة تشبه في قبحها ووحشيتها سرقة الرغبة من عيون النساء والفتيات في أن تحدق فيهن كل العيون القارئة المحاورة المفسرة المتمنية المفترسة المصابة بالجنون والذهول والاستسلام؟

هل وجدت هذه السرقة وسارقها؟ هل وجد من يغفرون هذه السرقة وسارقها؟

هل وجد من يصلون لهذا السارق ويؤمنون بجماله وحبه وتقواه؟

.. إن سرقتك يا إلهي رغبة أية امرأة في أن تقف أمام مرآتها محدقة متلفتة ملتهفة متبدلة فرحة مبتسمة مغنية مغازلة شاكرة لمرآتها متحدثة إليها هاتفة بها ولها.

ـ نعم، إن سرقتك هذه يا إلهي لا تساويها أقسى وأقبح السرقات في قسوتها وقبحها ونذالتها وعدوانيتها.!

.. إنه لا أوقح أو أنذل أو أسرق ممن يأخذ أو يسرق أو يفسد العلاقات المحارة السعيدة المتوهجة بين عيني المرأة ومرآتها.!

.. إنه لا يوجد ولن يوجد صديق وحبيب لعيون المرأة مثل مرآتها كما لم يوجد ولن يوجد عدو وبغيض لها مثلها.!

أيتها المرآة كم أنت صداقة وفرح للعيون والوجوه.. وكم أنت عداوة وكآبة بل وعقاب وعذاب لها.!. هل عرفت أيتها العيون من حول المرآة إلى تعذيب وترويع وتشويه وعقاب لنظراتك؟ هل تعرفين فاعل ذلك؟

هل تعطى يا إلهي تعويضاً عن أخذك منَّا؟

هذا السؤال أي «هل تعطى يا إلهي» لعله أول سؤال تسمعه موجهاً إليك، بل أول سؤال يطرح أو يحدث تصوره أو التفكير فيه «هل تعطى يا إلهي؟» إنه سؤال مفاجئ فاجعل لمن يوجه إليه ولمن يسمعه أو يقرؤه. !

.. ألست يا إلهي قد أعطيت وتعطى كل شيء صعوداً إلى أضخم وأقصى الشموس والمجرات وهبوطاً إلى أرذل وأخطر وأصغر الحشرات والجراثيم المرضية التي لم تستطع أقوى وأذكى العيون العلمية وأجهزة التجسس والتجسس العلمية أن تراها أو تكتشفها؟ أنت المعطي لكل شيء حتى لجرثومة المرض وللعاهة في الوجه البريء الجميل. إذن كيف يقال: هل تعطى؟

.. ألست يا إلهي قد بالغت وتبالغ في عطائك لقد هنت وجهلت وصغرت ورذلت وفحشت وتلوثت في أنواع ومقادير وتفاسير عطائك حين تعطي ما لا يعقل أو يقبل أو يغفر أن يعطى، أي حين تعطي بكل جنون الإسراف ما هو ضد كل تفاسير العطاء وجمال العطاء ونتائج وحوافز ونفع وكرم والعطاء وفكرته وشهامته. !

.. حين تعطى ما هو بذاءة وجهالة ووقاحة وسخافة وعدوان في المعطي وهجاء وسباب واتهام له، وما هو إساءة وتعذيب وترويع وإفقار وأمراض وتشويه وإذلال للمعطي.. حين تعطي ما لا يجرؤ أنذل وأجهل وأوقح المعطين أن يعطوه.. !

.. حين تعطي لتصبح أقسى الهجاء لكل تفاسير العطاء والمعطين.. حين تعطي من بصاق واستفراغ وعفونات الحشرات والجراثيم وبأيديها وأجنحتها وأخلاقها أسخى العطاء. !

.. أليس كل هذا هو بعض عطائك.؟ أليس أنبياؤك والمؤمنون بك يعلنون عن تمجيدك وتكريمك وإرضائك حين يعلنون أن هذا بعض عطائك؟

. . ألست المعطي لكل العاهات والتشوهات والحشرات والأوبئة والجراثيم والآلام والأحزان والغباء والبله والضعف والطغاة والأبالسة والصحارى والأعاصير والزلازل والفيضانات والقحط والموت والجحيم والزبانية؟ أليس الجحيم وموظفوه هو وهم أشهر وأكبر عطاياك؟

أليس الأبالسة هم أضخم وأقوى وأشهر عطاياك للإنسان؟

أليس كل هذا هو بعض عطائك؟ هل يوجد معطٍ مثلك إذن يا إلهي؟ هل يوجد معطٍ نذل وقح معذب مجرم بعطائه مثلك؟

هل يوجد معط هو أقبح من كل مانع مثلك يا إلهي؟

. . إذن كيف جرؤت أن أنطق بهذا السؤال وأوجهه إليك يا من عطايا كل الطغاة والجناة والأنذال والأعداء والمجانين لا تنافس أو تساوي عطية واحدة من عطاياه أي عن عطاياك يا إلهي الذي يعطي ليصبح أقسى وأنذل وأبخل معط . . ليصبح أقوى تحقير لتفاسير ومعاني العطاء . !

. . أريد أن أفترض هنا أن هذا الجواب جواب ملائم لهذا السؤال، أي أفترض أنك المعطي بلا أي تساؤل عن عطائه بل عن كونه المعطي كل شيء وحده بلا شريك . !

وتحت تفاسير هذا الافتراض أو الاقتناع سأضطر إلى أن أقول لك يا إلهي المعطي الموجد الصانع لكل شيء وكل أحد: إن جميع الموجدين والحرفيين والصناعيين والخالقين والمخترعين والفنيين يجددون ويطورون ويضخمون ما يفعلون . . يصعدون به دائماً إلى الأفضل والأعظم والأجمل والأقوى والأبقى والأنفع . . !

لأنهم يعرفون أن الإيجاد والخلق لن يكونا أو صعوداً وتجديداً وتطويراً . !

. . إنهم يبدأون ما يعطونه ويصنعونه صغيراً ورديئاً ودميماً ثم يقفزون ويستمرون ويقفزون به قفزات متصاعدة متتابعة بلا توقف بل قفزات متجددة في تصاعدها . إنهم ليسوا تكراراً بل كينونات متجددة متصاعدة متعاظمة في صعودها وصيغها وتفاسيرها وفنونها . إن أجهل وأضعف وأبلد صانع أو عامل أو زارع أو صاحب أية حرفة لا بدَّ أن يفعل ذلك أو يحاوله أي أن يكون تجديداً وتصعيداً وتطويراً لا تراكماً وتزاحماً أو تكاثراً فقط . .

إن التكاثر والتراكم بلا تصاعد هو أسلوب وطور وخلق الحشرات . !

. . الفن والإبداع والخلق لا يكون أو يقبل أن يكون نسخاً وتصويراً فقط أنه لن يكون الإعطاء وإبداعاً وتأليفاً جديداً متجدداً متطوراً.

. . إن العبقرية والخلق لن يفسرا إلاّ بالتخطي والتصاعد الدائمين إلى الأعلى والأتقى والأذكى والأجمل. . !

لماذا يا إلهي جئت وتجيء أي دائماً في كل تفاسيرك ونماذجك وأخلاقك وفي كل أشواقك وتمنياتك واشتراطاتك وعبقرياتك بل وفي كل شاعرياتك وفي رؤاك للجمال والكمال وحبك لهما أقل من كل أحد، من كل الحدادين والنجارين والخطاطين والنحاتين والمصورين بل ومن كل النساجين والسباكين وكل أصحاب الأعمال اليدوية البدوية؟

. . أنت وأنبياؤك تقولون: إنك خلقت الكون والإنسان وكل شيء مرة واحدة. في صيغة واحدة، في أحسن تقويم ثم توقفت عند هذه الصيغة الواحدة التي هي الصيغة النهائية لكل الجمال والكمال لا تستطيع تخطيها ولا الخروج عليها أو النقد لها. !. لقد كنت يا إلهي بهذا الثناء على نفسك مثل الإنسان العربي الذي يجد كل مجده في أن يكون مثل آبائه وأجداده وقبوره القديمة. القديمة المدفونة في أحشاء الصحراء وفي كل أخلاقها وذكائها وسخائها وكبريائها وجمالها وشهامتها وعقلها وعلومها وآلهتها وتحضرها. . !

كيف لم تتكون هيئة أو منظمة كونية لتهتم وتدرس وتعرف وتعلن وتقرر: هل الإنسان العربي هو الذي صاغ الإله على صيغته أم الإله هو الذي فعل بالإنسان العربي ذلك، وأيضاً من الذي اختار للإله وللإنسان العربي هذه الصيغة؟

كيف وجد من استطاع الهبوط لكي يستطيع اختيار هذه الصيغة؟

. . إنك يا إلهي تذهب تقول بكل مشاعر الفرح والإعجاب بالنفس وبكل إرادة وحوافز الإعلان، وكذلك يذهب أنبياؤك وجميع المعلنين والمتحدثين عن مجدك يقولون بكل هذه التفاسير والمشاعر والحوافز والنيات.

ـ نعم، تذهب تقول ويذهبون يقولون: إنك في كل ذلك وفي كل شيء ترجع وتتراجع إلى الوراء. . إلى الضعف والجهل والبداوة والأمية. . إلى الشيخوخة الفنية العقلية والنفسية والأخلاقية. . إلى أقل وأردأ وأغبى وأقبح وأجهل وأضعف من البداية. . من بدايتك وبداية كل شيء. . إن الكمال هو أبداً البداية ثم الانحدار، الانحدار الدائم. . !. هكذا تقول ويقول أنبياؤك والمعلمون عنك. !

نعم، يا إلهي هل وجد من يمتدح نفسه بالتراجع إلى الوراء مثلك؟

. . إنك وأنبياءك تقولون: إنك خلقت الإنسان أي معشوقك وحبيبك وساحرك وقاهرك الأول والأخير والدائم بل والمذل الفاضح لكل تفاسيرك وأخلاقك وقوتك وتقواك ونظافتك وغيرتك بل وشهامتك وكرامتك أي المزعومة المفقودة أبداً، أبداً. .

نعم إنكم تقولون: إنك قد خلقت هذا الكائن المسمى إنساناً بكل صيغ الجمال والكمال ثم أصابتك الغيرة من جماله وكماله فذهبت تهبط وتهبط به حتى هبطت به إلى مستوى الزعامات والقيادات والنبوات والثوريات العربية، العربية الإسلامية أحياناً. !

آه. هل يطاق قبح الزعامة العربية فكيف إذا أصبحت زعامة عربية إسلامية؟

إن أصدق وأذكى المدافعين عنك والمحبين والراثين لك لن يستطيعوا أو يقبلوا أن يقولوا غير أنك تخليت وأردت وخططت الإنسان وكل شيء مستوى واحداً لا يمكن ولا يقبل تخطيه ثم وقفت أو نمت عنده بلا صعود أو هبوط. بلا أي تطوير أو تغيير أو تجديد. إنه لا يوجد ولن توجد أكذوبة مثل الأكذوبة القائلة بأنك لا تنام يا إلهي. إن كل النوم بعض نومك يا إلهي. . هل يمكن أن يوجد مخطط أو مدبر أو صانع أو فنان أو حرفي أو شاعر أو متخيل يخلق الأب والأم ثم يستمر يخلق الأبناء والأحفاد أبداً أبداً مثل الأب والأم أو أقل في جميع المستويات والصفات والتفاسير؟ هل يوجد عاجز أو جاهل أو بليد أو دميم أو أمي الرؤية والخيال والطموح والتمني مثل من يفعل ذلك؟

. . إنه ليس مبدعاً أو خلاقاً أو فناناً بل ليس حداداً أو نجاراً أو عاملاً أو حرفياً من أي مستوى من يعطي أو يصنع بداية لشيء أو لعمل أو لفن ثم يستمر أبداً، أبداً عند هذه البداية لا يستطيع أو لا يريد تخطيها والتفوق عليها فكيف إذا هبط بها؟ وأنت يا إلهي تقول إنك تهبط عن البداية. . !

إن الإيجاد والخلق بنفس المستوى والصفات ليسا إيجاداً ولا خلقاً ولكنهما إيجاد وخلق لأسباب وظروف التزاحم والتراكم والاختناق والأزمات والمجاعات والعاهات. !

. . إنهما تزاحم وتراكم ليسا أفضل أو أقل قبحاً من تراكم وتزاحم الحشرات والجراثيم. !

. . إن الإله الذي يخلق الأبناء والأحفاد مثل الآباء والأجداد بلا تصعيد وتجديد حاد متجاوز جداً لهو إله يجب أن يعاقب ويطرد ويعلم لا أن يحمد أو يعبد أو يشكر أو حتى يترك يخلق بل أو حتى يترك يحيا ليصنع هذا التراكم والتزاحم من الأزمات والعاهات والتشوهات والمجاعات واللعنات والقباحات. .

كيف لم يوجد من يفسر للإله ذلك؟ هل كل من حوله بكل هذا الغباء والجهل؟

إن الخلق والإبداع والفن يا إلهي ليس تكرار أو عداً ولكنه تجديد وتطوير وتجميل وصعود.. إن تراكم وتزاحم الحشرات ليس فناً أو خلقاً.

كيف يا إلهي لم تفهم ذلك لا أنت ولا أنبياؤك؟

لماذا أنت وأنبياؤك والمتحدثون عنك تجيئون أبداً كل مستويات وتفاسير الغباء والبله بل كل المعلمين والصانعين والملهمين للغباء والبله؟

.. آه يا إلهي لو أنك رأيت أو قرأت أو فسرت أو حاكمت نفسك وفيك أي قدر من الغضب أو الرؤية أو الاحتجاج أو النقد أو الاشتراط..!. آه كم أنا خارج في افتراضاتي وتساؤلاتي وعذابي على كل شيء.. على كل افتراض وتساؤل وحساب.!

هل يمكن حينئذ تصور ما يمكن أن تفعل بنفسك وتعاقبها به بل وتلعنها به أي لو أنك يا إلهي رأيت أو قرأت أو فسرت أو حاسبت نفسك؟

ولكن أليس الشرط الدائم لأي إله لكي يكون ويقبل ويظل إلهاً أن يكون بلا أي قدر من الرؤية أو الاحتجاج أو النقد أو الغضب أو الاشتراط أو الفهم أو المساءلة أي أن يكون أمي العيون والأخلاق والرؤية والغضب والاحتجاج أي أن يكون أعمى وأصم ومواتاً في كل حواسه وأحاسيسه؟

.. آه يا إلهي المنتظر بلا حضور والمخاطب بلا سماع أو استماع.. يا إلهي هذا ليتك تهب أو تعبر احتراقي واحتجاجي وغضبي ورؤيتي وتفجري وأرقى شيئاً ولو قليلاً جداً من برودتك ونومك وبلادتك وعماك وسكونك واسترخائك ورضاك وصمتك، أو ليتك تستعير أو تستوهب أو تعار أو توهب شيئاً من احتراقي واحتجاجي وغضبي وأرقي.!

لماذا يا إلهي أنا أتعذب بك ولك وحدي؟ لماذا لا يشاركني في عذابي هذا لا أنت ولا أحد من أعوانك أو المشفقين عليك؟

.. آه إنك لن تستطيع يا إلهي أن تحيا أو تبقى لحظة واحدة لو نقلت إليك شيئاً من احتراقي بكل صيغ وتفاسير وأسباب ومعاني الاحتراق الذي أقاسيه وأقاسي أسبابه ونبراته..

لماذا يا إلهي كل ثلوج وبرودة كل شيء وكل الكون لا تساوي ثلوجة وبرودة معنى من معانيك؟

لماذا يا إلهي لا تستطيع كل نيران الكون أن تهبك شيئاً من الحرارة؟

. . آه يا إلهي لو أنك استطعت وأردت أن ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحاسب أو تنقد نفسك بأي قدر من المنطق والجمال أو العدل أو الفن أو الحب أو الكرامة أو الشهامة أو النظافة أو أن تشترط عليها أي قدر من ذلك؟

آه لو أنك استطعت أن ترى أو تقرأ أو تفسر أو تفهم أو تجد أو تحاسب أو تسائل عقلك أو أخلاقك أو فنك أو ذكاءك أو رحمتك أو شهامتك أو كرامتك أو عبقريتك أو كبرياءك أو جمالك أو تصورك ورؤيتك للجمال حتى ولو بذكاء أو منطق أو ضمائر أو قلوب أو عيون أو تقوى أو نظافة أو حب أو رحمة أو عبقرية الوحوش أو الحشرات أو اللصوص أو القتلة أو المجانين أو الأوغاد. ! . إنك لا تملك أو تعيش أو تقاسي يا إلهي أية مزية أو تفسير أو خلق من مزايا وتفاسير وأخلاق هذه أو هؤلاء. !

. . أنا أرفضك وأتعذب بك وأقاسي كل خطاياك أيها الإله القاتل الفاجع المعذب بقدر ما يعبدك ويشكرك ويمجدك ويؤمن بك الآخرون بقدر ما تقسو في قتلك وقبحك ووقاحتك وتعذيبك ونذالتك وفي كل معانيك الجاهلية البليدة المجنونة. إن الإنسان يؤمن ويعجب بك ويرضى عنك ويرى جمالك ويعلن عن كل ذلك يا إلهي بقدر ما تكون نقيضاً وتحقيراً لكل ذلك. !

إن الإنسان يا إلهي لم يفقد كل عقله وعيونه وذكائه وكبريائه وأخلاقه وكرامته مثلما فقد كل ذلك حينما وجدك ورآك وأحبك وأعجب بك وفسرك بكل تفاسير الجمال والحب والرحمة والنخوة والقدرة والعدل. !

. . لقد بالغت وقسوت جداً يا إلهي في تعذيبك وتوريطك وتلويثك لمن حكمت عليهم بأن يتوالدوا فلماذا لم تعوضهم عن ذلك بأكثر من أن تجعلهم يظلون يكررون أنفسهم بالتوالد، يبصقون أنفسهم بأسلوب من يتوالدون؟

هل يوجد بصاق أليم كريه بذيء ملوث بليد فاضح مثل البصاق المسمى تناسلاً؟

أليس أردأ وأقبح بصاق هو بصاقك يا إلهي على من جعلتهم يتناسلون؟

. . كيف لم تخجل وترفض أن يظل طموحك وتفكيرك وخيالك وفنك وخلقك ورؤاك وتمنياتك وإبداعك أبداً، أبداً تكراراً، تكراراً. . أن يظل بصاقك على نفسك وعلى حبيبك الإنسان وعلى الطبيعة وعلى كل شيء تكراراً، تكراراً بلا أي تنظيف أو تصعيد أو تبديل؟

. . كيف قبل أي معنى من معانيك أن تظل تخلق من الصرصار والذباب صرصاراً

وذباباً، ومن الإنسان الجد والأب. . الإنسان الابن والحفيد. . وتظل تخلق من الإنسان العربي الذي كان تخلق منه الإنسان العربي الذي هو كائن والذي سوف يكون ويظل يكون؟

هل أنت يا إلهي فاقد للقدرة أم للرؤية أم للطموح أم للجمال أم للرغبة في الإبداع والكمال أم للتطور أم أنت فاقد لكل ذلك ولغير ذلك من التفاسير الذكية القوية؟

كيف قبلت أو استطعت يا إلهي أن تظل تخلق من النبوات العربية زعامات عربية؟

هل وجد غيرك يا إلهي من قبل أو رأى أو أراد أو أحب أو رضي أن يظل خلقه أو فنه أو قدرته أو رؤيته أو أمله أو طموحه أو فكره أو شعره أو حتى ملابسه أو أعماله اليدوية تكراراً، تكراراً مثل تكرارك للصراصير والبراغيث للإنسان ولكل شيء ولكل قبح وغباء وألم وهوان وافتضاح بتفسير ومنطق التناسل وبصيغة وأسلوب البصق والتباصق؟

أن تظل تلد أو تبصق من الحشرة حشرة ومن الإنسان الأب الإنسان الابن. . هل يقبل أن يكون هذا ثمناً أو جزاء أو أجراً لتفكيرك وتدبيرك واهتمامك وتعبك وفعلك ومجدك يا إلهي؟

. . إنه لم يوجد ولن يوجد بصاق فيه كل تفاسير وأردأ تفاسير البصاق مثل بصاق التوالد الذي هو كل مجدك وعطائك وعبقريتك. الذي هو كل تدبيرك وتفكيرك وتخطيطك وفرحك وسعادتك وفخرك. !

. . إنه لهذا لن يوجد ولم يوجد مريد وعاشق ومدبر وفاعل لأقبح وأوقح وأشمل وأدوم وأنذل البصاق مثلك يا إلهي حينما أردت ودبرت وصنعت وفرضت التوالد.

هل رأيت أو قرأت أو فسرت يا إلهي أسلوب أو منطق أو أهداف أو نتائج التوالد؟ هل رأيت أو قرأت أو فسرت ذلك ثم رضيت به؟

. . هل وجد أو هل يمكن أن يوجد يا إلهي مستقبل ومستقر للبصاق. لهذا البصاق، وسعيد فرح به مثل عينيك اللتين لا تريان ولم تريا ولن تريا مهما تزاحمت وتجمعت فيهما كل الفضائح والقبائح والمرئيات. . بصق الصرصار والذباب من الصرصار والذباب مجد ونضال إلهي. كيف وجد من يصدقون؟

. . آه يا إلهي لو أن لك عينين تريان فرأتا بصقة واحدة من هذه البصقات أي ولادة واحدة من هذه الولادات ولادة برغوث أو قملة من برغوث أو قملة أو ولادة عامة من عاهة. ! . .

. . ما أقبح وأبشع وأخطر أن يكون الفاعل لا يرى ولا يستطيع أو يرى ولا يريد أن يرى. . ولكن كم في هذا من المحاباة والراحة البليدة القبيحة اللئيمة لهذا الفاعل؟

لهذا هل وجد أو يمكن أن يوجد فاعل لا يرى ولا يستطيع أو يريد أن يرى مثلك أو غيرك يا إلهي؟

آه يا إلهي لو استطعت أن ترى أو تقرأ أو تفهم ولو مرة واحدة. . ولو منظراً واحداً، ولو قبحاً أو عذاباً أو غباء واحداً. . كم أنت يا إلهي أناني فظ حينما خلقت العيون الرائية ثم حميت نفسك من هذه العيون؟

. . آه يا إلهي لو ركبت فيك عينان أو عقل أو ضمير أو قلب أو رحمة أو محبة أو شهامة أو عدالة أو نخوة أو إباء أو كبرياء. !

ولكن يا إلهي ألست قد خلقت العيون والعقول والضمائر والقلوب والرحمة والمحبة والعدالة والشهامة والنخوة وكل تفاسير وصيغ الإباء والكبرياء لتكون ضد كل معانيها ووظائفها المزعومة لها؟

حتى الرحمة والمحبة قد حولتهما وعلمتهما وفسرتهما أنت والمعلمون عنك ليكونا أقسى وأتقى والقسوة والبغضاء. !

ليكونا قسوة وبغضاء تعبد ويتقرب إليك وترضى بهما. !

. . نعم، يا إلهي لا تريد ولا تستطيع أن تتصاعد وتتوحش قسوتنا عليك ومحاسبتنا لك إلى أن نذهب ننكر أنك الخالق المعطي لكل هذا الوجود أي بأسلوب ونيات البصق المباشر أو البصق لمن أو لمن سوف يتحول إلى باصق نيابة عنك وتمجيداً وإسعاداً ومسلاة لك. . لعينيك وقلبك ونزقك وضياعك وفراغك وحرمانك الكئيب الأليم. !

. . ولو أننا أنكرنا ذلك ما حسبنا أننا قد أنكرنا مجداً يجب أن يكون لك. !

كم أنتظر أو أرجو ألا يخفى عليك أن من يتهمونك يا إلهي بأنك الباصق أو المستفرغ أو المفرز لهذا الوجود ولكل شيء هم يدافعون عنك ويكرمونك أكثر ممن يرون ويزعمون أنك الخالق المدبر المريد العاشق له المعجب الفرح به؟

إن المتهم بأنه باصق القبح أقل قبحاً من المتهم بأنه خالق ومدبر القبح. !

أليس البصق أو الاستفراغ القبيح البذيء المؤذي المؤلم أقل قبحاً وذنباً وإيذاء وخطراً وضرراً وبلادة واستحقاقاً للاستنكار والعقاب من التفكير أو التدبير أو التخطيط أو الخلق أو الفعل البليد أو القبيح أو الوقح أو الجاهل أو السفيه أو العابث؟

إذن أليس دفاعاً نبيلاً كريماً رحيماً تقياً عنك يا إلهي أن يقال إنك في كل تصرفاتك وعطائك باصق ومستفرغ ولست مدبراً أو مريداً أو مخططاً أو خالقاً؟

لهذا كم أتمنى أن يصفك المؤمنون المحبون المحترمون لك بالباصق المستفرغ لا بالمدبر الخالق.؟ أليس اتهامك يا إلهي بأنك باصق أو مستفرغ العاهات والتشوهات والحشرات أخف من اتهامك بأنك مدبرها وخالقها ومعطيها؟

أليس الذي يبصق أو يستفرغ يلد كائناً مشوهاً أقل وحشية وسفاهة وجريمة من الذي يخلق بالتدبير والإرادة والقصد كائناً مشوهاً؟

كيف أمكن أن يخفي هذا على أي كائن.. أن يخفي على أعوانك وأنبيائك؟

.. إن أنبياءك يا إلهي لو كانوا يريدون احترامك ويحترمونك ويعرفون شيئاً من معاني الاحترام لجاءوا ليعلموا عنك بأنك الباصق المستفرغ لهذا الوجود لا ليعلموا عنك بأنك المدبر المخطط الخالق له بأنك الموجود الموجد بالبصق والاستفراغ لا بالتدبير أو الإرادة أو القصد أي إن لم يكن بد من التعليم عنك بهذا أو بهذا.. ولهتفوا بك ونادوك قائلين: أيها الباصق المستفرغ لا قائلين: أيها الخالق المدبر المريد العارف لما يريد ويفعل.. لقالوا أي أنبياؤك يا من كل عطائه وفعله بالبصق والاستفراغ لا بالقصد أو التدبير أو الإرادة أو القدرة أي حين ينادونك ويخاطبونك ويصفونك..!

إذن لماذا قالوا عنك ولك ما لا يصح أن يقولوه ولم يقولوا ما يجب أن يقولوه أي عنك ولك وإليك؟

هل فعل أنبياؤك ذلك عن جهالة وبلادة أم عن خبث وسفاهة؟ هل فكرت يا إلهي في ذلك واهتممت به وعرفت ما الحقيقة؟ إن العلاقة بينك يا إلهي وبين أنبيائك وكل أعوانك والعاملين المتعاملين معك لهي علاقة لا مثيل لها في العجز عن أن تكون مفهومة أو معقولة أو محترمة أو غير متهمة بأبشع التهم والتفاسير..!

.. ولكن يا إلهي ليست هذه هي القضية وليس السؤال عن هذا العطاء.

.. إنهما قضية أخرى وسؤال يبحث عن جواب آخر..!

.. نعم.. الذين يتحملون ويمارسون تشوهات ووقاحات وخصومات وعداوات وبذاءات وملاعنات وبلادات وبغضاء وكل تكاليف ومتاعب وأخطاء وخطايا ومخاوف وأشباح الإيمان بك والتوكل عليك والصلاة والتذكر والامتداح والتعصب والبغض والحب لك وبك، ومقاساة الحفظ والتعليم والتفسير لما تريد وتطلب ولما تأمر به وتنهى عنه. الذين يضعون ذاتك الفادحة فوق كرامة عقولهم وأخلاقهم وتاريخهم وعلاقاتهم

ورؤاهم وتفاسيرهم لكل شيء ـ نعم، هؤلاء الذين يتحملون ويقاسون ويمارسون كل ذلك وغير ذلك أجلك يا إلهي هل تهبهم أو هل ينالون بأي أسلوب أو تفسير تعويضاً أو أجراً لهم على ذلك أية مزية من المزايا المعلمة أو الممجدة أو المتمناة أو المروية عن كتبك وأنبيائك وعنك؟

.. هل تهبهم أية مزية أو قيمة من المزايا والقيم المزعوم أنك تهبها؟

.. هل يصبح هؤلاء أكثر شجاعة أو قوة أو ذكاء أو علماً أو صدقاً أو وفاء أو مروءة أو جمالاً أو رؤية أو حباً أو مجداً أو صفاء أو إبداعاً أو إنتاجاً أو عطاء أو إيثاراً أو حتى أكثر أو أقوى تقوى أو طهارة أو أقدر على كره ورفض ومقاومة النفاق والهوان والسقوط والسجود والركوع تحت أقدام جميع الأوثان القبيحة الوقحة الفاسقة الجاهلة، أو أقدر على الصعود إلى القمر وإلى السموات، أو على الهبوط إلى أعماق الأرض بحثاً عن أمجادك أو سفاهاتك المسماة نفطاً والمسماة غير ذلك يا إلهي..

.. بحثاً عن بصاقك واستفراغك الذي حوله الكافرون بك إلى أنفع بصاق واستفراغ.. أو أقدر على الإعلان عن قوتك وعظمتك ونظامك وفنونك وثرائك وذكائك وعبقرياتك المخبوءة في هذا الكون أي بعبقرياتهم واكتشافاتهم وبأسفارهم ورحلاتهم الكونية..

.. أو حتى أقدر على الصبر والتجلد في مواجهة الآلام والكوارث والحماقات التي توقعها بهم وبغيرهم وبكل شيء امتحاناً واختباراً لصبرهم وإيمانهم أي فيما يزعمون ويعلمون ويعلنون..؟

هل يصبحون أصبر على حماقاتك ونزواتك الموقعة بهم أو أقدر على مقاساتها أو أذكى؟

.. هل جاءوا شيئاً من هذا أو جعلتهم شيئاً من هذا يا إلهي في أية حقبة من تاريخك الطويل العقيم أو في أي مكان من أماكن غزواتك واعتداءاتك الدائمة الشاملة الفادحة البذيئة على أوطان هذا الإنسان البائس المصاب بك وبالإيمان بك دون جميع الكائنات المرئية؟

.. إقرأ التاريخ إن كنت تقرأ أو استمع إلى قارئيه إن كنت تسمع أو انظر إلى الواقع الحاضر إن كنت ترى.

ـ نعم، افعل كل ذلك يا إلهي أو شيئاً منه إن كنت تستطيع أن تفعل تجد أن القوم أي قوم هم نقيض شامل لكل هذه القيم والمزايا بقدر ما يكونون مؤمنين بك موالين لك

متحدثين عنك منتمين إليك محسوبين عليك، واضعين كل جباههم وعقولهم وأخلاقهم وكبريائهم وتاريخهم تحت تراب قبور ومحاريب ومنابر ومغارات وعباءات ولحى وعمائم أنبيائك.

تجد تجد أنهم أي أولياءك وأصدقاءك المؤمنين بك الموالين لك المنتمين إليك المحسوبين والمنسوبين إليك وعليك.

نعم، تجد أنهم أبداً هم الأضعفون الأذلون الأجبنون الأجهلون الأفقرون الأعجزون الأضيعون الأضعفون بل والأفسقون والأكفرون الأنذلون أي لمبالغتهم في توظيف وتسخير أنفسهم وتقواهم وتعاليمهم وأديانهم وكتبهم المزعومة مقدسة لعبادة وطاعة وتفسير وتسويغ وتجميل ومنافقة الحكام والمتسلطين بقدر ما يكونون طغاة جهلاء ظلاماً فساقاً أنذالاً عصاة أقوياء، ولمبالغتهم أيضاً في عبادة وترسيخ وتعظيم أبشع وأشمل الأوثان الدينية المحروسة بل وبأنبيائك وبكتبك المنزلة والمنافية المهينة أي هذه الأوثان الدينية لكل تفاسير الألوهية والوحدانية المقاومة لكل طموح العقل وأشواقه وطاقاته ووثباته..

ما أقسى وأقوى وأقبح الأوثان الدينية أي الأوثان التي جاءت أديان التوحيد لتعلم عبادتها.

نعم، افعل ذلك يا إلهي تجد وتر أن رعاياك أي أولياءك وأحبابك الساجدين بكل جباههم وعقولهم وأخلاقهم وذكائهم وكبريائهم تحت خيامك وعباءاتك وعماماتك في صحرائك، تجد وتر أنهم أبداً موهوبون مستوهبون من الآخرين المناقضين كل ما يمكن أن يكون عندهم من شيء جيد أو جميل أو ذكي أو نافع.. كل ما يمكن أن يكون عندهم من حضارة أو علم أو تقدم أو قوة أو حرية أو عدالة أو رخاء أو جمال أو حتى من نظافة أو صدق أو شعارات شجاعة جميلة ذكية تصنعها الأماني أو تصنعها الخطوات القادرة.!

حتى الشعارات الجيدة الذكية الإنسانية الحضارية لا بدَّ أن تكون هبة أعدائك أي من يحسبون أعداءك لأصدقائك.. حتى عيونهم وأسنانهم وقلوبهم وكل أعضائهم وأجزائهم التعويضية أو البديلة لن تكون إلاّ هبات من هؤلاء الأعداء أي المحسوبين كذلك.. هبات مباشرة أو هبات منتقلة معلمة مصدرة إلى الأيدي والعيون والعقول.

.. حتى كتبهم المقدسة ورواياتهم عنك ورأيهم فيك ودعاياتهم وصلواتهم وهتافاتهم لك وبك وتعاليهم وقراءاتهم الدينية والدعائية والتعليمية وغيرها..

ـ حتى كل هذه لن يستطيعوا ولم يستطيعوا أن يطيعوها أو يذيعوها أو ينشروها أو

يسمعوها أو يعلنوا عنها بأذكى وأقوى وأشمل وأسرع وأيسر الأساليب الإعطاء من هؤلاء الآخرين أي بأيسر وأشمل وأسرع وأصرخ الأساليب لا بأذكاها أو أتقاها أو أنفعها.. الإعطاء من هؤلاء الأعداء أي المزعومين أعداء..

نعم، هل كان يمكن أن يطبع أولياؤك كتابك ويذيعوه بكل الأصوات لولا عبقرية أعدائك؟

.. حتى رؤية الطبيعة وقراءتها وفهمها ومحاورتها والتعامل معها والانتصار عليها وترويضها لم يستطيعوا ولن يستطيعوا شيئاً من ذلك إلاّ بقدر ما يهبهم الآخرون أو يستوهبون الآخرين أو يفرض عليهم الآخرون أعني الآخرين الذين هم أعداؤك أو المحسوبون أعداءك.!

.. حتة نبوءات واكتشافات وعلوم ورؤى أنبيائهم الكونية والطبيعية والغيبية لن يعلموا ولم يعلموا صدقها أو يعلنوا عن صدقها أو يحاولوا التدليل على صدقها أو يجرؤوا على ذلك بكل الكبرياء والمباهاة والصراخ والتحدي أي أولياؤك وأصدقاؤك إلاّ بما عرفه وقاله وأعلنه من ليسوا أولياءك ولا أصدقاءك.!

بل هل استطاعوا أي أولياؤك ودعاتك ومفسروك يا إلهي إن يدللوا على صدق آرائك ومعلوماتك في كتابك إلاّ بما عرفه واكتشفه وقاله هؤلاء المحسوبون من أعدائك؟ إن أعداءك هم المعلمون أبداً لأوليائك.. هم الواهبون لهم كل مزاياهم العلمية والعقلية والحضارية والعملية بل والإنسانية بل والمالية.!

.. إنك يا إلهي في كل تاريخك وتفاسيرك وأطوارك وانفعالاتك لم تهب المؤمنين الواثقين بك العابدين لك المنتظرين منك المتوكلين عليك بكل مستويات الجنون والهوان والضياع وافتضاح.. المعادين اللاعنين المبغضين لكل البشر إرضاء وعبادة وطاعة لك وتملقاً لأخلاقك الأليمة.

ـ نعم، إنك لم تهبهم أية مزية عقلية أو نفسية أو أخلاقية أو إنسانية أو علمية أو حضارية أو حتى دينية مهما وهبتهم أو علمتهم كل جنون التعصب والبغضاء والحقد والعداوات والسفاهات والملاعنات بحجة وإرادة الاحترام والتمجيد والإرضاء والعبادة لك والدفاع عنك والاستجابة لشهواتك وأحقادك اليائسة التي لم يشبعها أو يروها كل ما في الوجود من عذاب حتى ذهبت تخلق الجحيم وعذابه لأنّ كل العذاب الذي صنعته في الحياة الأولى لم يشبع أو يرو أحقادك.!

.. إن أقوى وأشهر وأعظم داعية لك ولدينا قد تهبه أو لا بدَّ أن تهبه أو يهب نفسه

بأسلوب الاحترام والحب لك كل صراخ وبذاءات التعصب والبغضاء والسباب والاتهام للمخالفين، وكل التمجيد الخطابي والدعائي لكل الفضائل المقروءة الممدوحة في الأسواق وفي كتبه أو في كتابه الذي وجده معه في مهده بل الذي سبقه إلى مهده.. كما لا بدَّ أن تهب أو أن يهب هو لسانه وعضلاته وحركاته ومسبحته كل ارتجافات والاهتزازات والتمتمات والآهات والحوقلات إيماناً وابتهالاً ودعاء ومخاطبة وانتظاراً وتمجيداً لك وإليك وبك، نفاقاً وخداعاً للسوق أو تملقاً ورشوة لك لتعطيه يا إلهي أو لتعطيه السوق ما لا يستحق أو يعرف، أو لتحميه أو لتحميه السوق مما لا ينبغي أن يحمى منه.. مما يجب أن يكون ويلقى.. كما لا بدَّ أن تهب أو يهب جبهته وهامته وقامته وأشواقه وأخلاقه كل القدرة والرغبة وفي الهبوط ركوعاً وسجوداً وهواناً وبكاء على التراب وإلى التراب مفسراً ذلك بأنه صعود إلى السماء، إليك.. بأنه صعود إليك وإلى عرشك وإلى فردوسك فوق أجنحتك وأجنحة ملائكتك..!

هل وجد أو يمكن أن يوجد كائن غيرك يا إلهي ساكن فوق كل السموات والكائنات يبحث عن الوصول إليه ولا يستطاع الوصول إليه بل ولا يقبل الوصول إليه إلاّ بالهبوط إلى التراب بالجبهة والهامة والقامة؟

.. حتماً يا إلهي إنك قد أو لا بدَّ أن تهب أو يهب نفسه أي هذا الشيخ أو القديس أو الداعية الضخم الأكبر كل ذلك من قد يحول كل شيء إلى عمائم ومنابر ومحاريب وألواح وكتب مقدسة ليعظ ويعلم ويصلح ويرهب ويشتم ويبشر بها وفيها ومن فوقها كل شيء وكل أحد..!

ما أقسى ما قاسى الإنسان من العمائم والمنابر والمحاريب والكتب المقدسة؟

.. ولكنك لن تهبه كما لن يهب نفسه بهذا أو من أجل هذا أو ثمناً أو أجراً لهذا أو جزاء على هذا أي معنى جيد أو عظيم أو متفوق أو حتى نافع أو سار في الأخلاق أو الذكاء أو العقل أو الرؤية أو الشجاعة أو الحب أو الرحمة أو الإيثار أو الكرم أو الصحة أو الجمال أو الصفاء أو الإشراق أو النخوة أو الكرامة أو الجاذبية الإنسانية أو حتى من تكريم الجبهة أو كبريائها أو عصيانها أو من تمنعها وترددها عن السجود بكل صيغ السجود وتفاسيره ولغاته لأجهل وأنذل وأفسق وأوقح الأوثان.؟

إنه لم يوجد عابدون ودعاة لأقبح الأوثان مثل الدعاة إلى وحدانيتك يا إلهي.!

.. إن هذا الداعية أي الشيخ أو القديس أو الوالي أو الفقيه الأعظم الأكبر لا بدَّ أن يرفض ويلعن بكل لغاته وحركاته وعظاته وتعاليمه وتفاسيره وكتبه المنزلة كل الأوثان

الصغيرة البريئة الجميلة الصامتة الفنية الشعرية الرمزية الطبيعية التي لم تصنع أو ترد ولن تصنع أو تريد أي ظلم أو قبح أو إيذاء أو وقاحة أو عدوان. !

ولكنه أي هذا الداعية الشيخ أو القديس أو الولي أو الفقيه الأعظم الأكبر لن يكتفي بأن يركع ويسجد بكل معانيه ولغاته وتفاسيره وتعاليمه ومحاريبه ومنابره وكتبه المقدسة بكل الإعلان والجهر والمباهاة لأقبح وأفسق وأوقح وأجهل وأنذل أوثان السلطة والقوة والتاريخ والسوق والإغراء والنفاق والأنظمة الحاكمة بل إنه لا بدَّ أن يحولك يا إلهي إلى تفاسير صغيرة قبيحة للأوثان التي يعبدها أي للسوق وللتاريخ وللسلطان الذي يبيعك له ويتعامل بك معه. إن سلطانه لو كان زنجياً لرآك وفسرك زنجياً. !

. . إن هذا الداعية أي الشيخ أو القديس أو الولي بل والنبي عابد بكل تفسيراته وتعبيراته ونياته في كل أمكنته وأزمنته لكل الحكام المتسلطين الأقوياء ولكل النظم المتعاقبة المتناقضة المتلاعنة، إنه أبداً مستعد أن يصلي في كل محراب وثني وأن يصنع جبهته تحت كل تراب، مهما دعا إلى وحدانية الإله ونفي ولعن وحقر كل الأوثان الأخرى. إنه يلعن الوثن الصغير البريء العاجز لأنه صغير وبريء وعاجز ويصلي للوثن الكبير الفاجر القادر لأنه كبير وفاجر وقادر. !

. . إن إله السماء في كل تاريخ أمجاده وسلطانه ووحدانيته لم يعبده ويطعه ويخفه وينافقه ويذل له كل شيوخ الدين ودعاته وفقهائه ومعلميه مثلما عبدوا وأطاعوا وخافوا ونافقوا وهانوا لحاكم واحد من حكامهم الطغاة الأنذال الجهال. . ! إنهم ليحولونك أنت يا إلهي بكل تفاسيرك إلى عابد ذليل وتفسير صغير لأوثانهم هذه.

. . لنقرأ كل التاريخ ولنحدق في كل الواقع الحاضر لكي نصدق كل ذلك بكل الأسى والانفجاع أو بلا أي أسى أو انفجاع. !

ولكن هل تستطاع قراءة التاريخ أو التحديق في الواقع الحاضر بكل الصدق والرؤية بل أو بشيء من الصدق والرؤية؟ حتى أنت يا إلهي هل تستطيع ذلك؟. . آه يا إلهي لو كنت تسمع أو ترى أو تفهم. !

أليس محتوماً حينئذ أن تقتلك الغيرة والانفجاع والحسد والغضب حينما ترى وتجد أن كل الأوثان الصغيرة معبودة دونك أو أكثر وأصدق وأحر وأدوم منه عبادتك. .

أي حينما ترى وتجد أن شيوخك وأولياءك وأنبياءك وقديسيك يعبدون هذه الأوثان ويدعون إلى عبادتها أكثر وأصدق من عبادتك ومن الدعوة إلى عبادتك، وإذا عبدوك فخاضعون لأوثان أخرى. !

أجل، كيف لا تقتلك الغيرة والانفجاع والحسد والغضب حينما تجد وترى ذلك؟

* * *

إذن يا إلهي أن القضية ليست هي أنك لا تعطي عبيدك المجانين بحبك وبالثقة بك والاعتماد عليك والانتظار منك وبرؤية جمالك ورحمتك وشهامتك وحكمتك في كل شيء حتى في أقبح التشوهات والعاهات وكل أنواع الأمراض والآلام والفضائح التي تغرقهم بها شاكرين لك إصاباتك لهم واهبين مزيداً من حبهم وإيمانهم برحمتك وحكمتك وتقواك الأخلاقية والنفسية معلمين متعلمين ذلك. .

ـ نعم، إنك لا تعطيهم أي شيء ثمناً لذلك أو جزاء عليه. . بل إن القضية أردأ وأفجع وأقبح من ذلك. !

إن عبادك هؤلاء يجيئون دائماً أي في الرؤية العامة والحساب العام لا الحساب الفردي أقل وأضعف وأجهل وأعجز في كل المزايا المطلوبة والمعلمة الممجدة ممن ليسوا عبادك. . وقد سمعت وقرأت هذا في السطور السابقة أي إن كنت تسمع وتقرأ يا إلهي. !

إنهم أي عبادك محسوبين ومحاسبين فريقاً أو جمعاً لا آحاداً يجيئون متخلفين في جميع المزايا المطلوبة والمعلمة والقوية والواهبة المبدعة عن الآخرين أي محسوبين ومحاسبين أيضاً فريقاً أو جمعاً لا آحاداً. إن كل سطور التاريخ وذكرياته وقراءاته وعيونه وأحزانه لتعرف وتحفظ وترى وتتذكر ذلك وتتعذب به. !

. . ولأني يا إلهي أرفض أن أظلمك أو أن يظلمك أي ظالم فإني لن أدعي أنك أنت الذي أردت لهم وفعلت بهم ذلك تعبيراً عن حبك وشكرك لهم، أو لكي يزدادوا لجوءاً وتضرعاً إليك ولصوقاً بك، أو لكي تكون المنافس المنتصر حينما خضت معركة المنافسة عليهم مع الحياة وضد القوة والإبداع فيها، أو لأن اهتمامهم بك قد سحب منهم أو أضعف فيهم اهتمامهم بالحياة وبكل شيء، أو لأن خدمتهم لك قد سحبت من أيديهم وعضلاتهم وكل شيء فيهم كل قدرة على أية خدمة أخرى بل وكل شوق إلى أية خدمة أخرى، أو لأن تحديقهم فيك وفي ضخامتك وجمالك وقوتك قد قتل عيونهم ورؤاهم وأشواقهم كل رؤية أخرى لأي شيء آخر، أو لأن وجودك الرهيب الضخم المحرق الدائم داخل ذواتهم قد أحرقها أو ملأها وشغلها وأغناها وأغلقها دون كل وجود وعن كل وجود آخر، أو لأن تفكيرهم فيك قد امتص من عقولهم ومواهب وحماس الإبداع والذكاء وكل شروط وأخلاق العبقرية أو لأنك كائن غير معقول. إذن المؤمنون

بك المتعاملون المتخاطبون معك المعايشون لك لن يكونوا إلاّ مثلك. . إن كل هذه التفاسير يا إلهي قد يفسر بها تخلف وضعف وعجز وجهل وهزائهم أوليائك. وقد قيل واعتقد وعلم ذلك.

ولا يزال يقال ويعتقد ويعلم وأنها لتفاسير قد تكون مقبولة ومعقولة ومنطقية جداً أي لو كانت تصرفات ورؤى وحسابات أوليائك وكانت العلاقات بينك وبينهم يمكن أن تفسر أو تحاسب أو ترى بأي قدر من العقل أو المنطق أو حتى من الافتراضات والحسابات المحتومة. إنه لشيء خارج على كل التفاسير أن توجد في أية عين ثم ترى غيرك أو في أي فكر أو قلب ثم يفكر في غيرك. .

نعم، إني لن أدعى ذلك ولا شيئاً منه في تفسيري لعجز أوليائك الشامل الأبدي عن التكافؤ في المنافسة على الحياة وقسوتها وإبداعها مع أعدائك أي المحسوبين أعداءك. . ! . . كيف يا إلهي لم تفهم أو نفهم أو يفهموا أن من يحسبون أصدقاءك هم أعداؤك ومن يحسبون أعداءك هم أفضل أصدقائك!

. . بل قد ادعى أنهم أي أصدقاءك وأولياءك هم الذين فعلوا بك ذلك أي هم الذين فعلوا بك عجزهم الشامل أي حولوا عجزهم هذا إلى اتهام وتفسير بائسين أليمين. أي إلى اتهام وتفسير لك يا إلهي بأنك تريد وتدبر وتتعمد أن توقع بهم هذا العجز الشامل لأحد الأسباب أو لكل الأسباب التي قرئت عليك في السطور الماضية. وهم لا يرون في ذلك أي اتهام لك بل يرون ويعلنون فيه كل التمجيد والحب والصلاة والشكر لك. !

. . قد يكون التفسير لذلك أي في رأيي ورؤيتي أن الضعفاء في طاقاتهم ومواهبهم الطبيعية الذاتية الوراثية يصبحون أولياءك وأصدقاءك وعبادك وخدمك الأذلين المفتضحين. ليصبحوا تشويهاً واتهاماً وسباباً وتفسيراً لك وإعلاناً أليماً عن أخلاقك ومواهبك وقدراتك وفنونك. .

. . يصبحون كذلك باختيار وتدبير أو بلا اختيار ولا تدبير لكل لا يكونوا مسؤولين عن عجزهم وتخلفهم، ولكي يهربوا من المواجهات والمنافسات والمسؤوليات الصعبة، الصعبة، ولكي يجعلوك يا إلهي أنت وحدك المسؤول عنهم وعن كل ما يصيبهم وعن كل تخلفهم الذاتي الطبيعي الوراثي. . لكي تكون وحدك المتهم بكل ذلك والمسؤول عن كل ذلك، والمطالب بكل العلاج منه ودفع كل الثمن قد يكون الإيمان بك والالتجاء إليك يا إلهي تعبيراً لئيماً نذلاً عن العجز وليسا صانعين للعجز. . !

ويا ليتك يا إلهي تستطيع أن نعرف أنه لا أحد ولا شيء يتهمك أو يشوهك أو يحرجك أو يتوقح ويتقبح عليك أو يعرضك ويفسرك أردأ وأغبى وأفجع عرض وتفسير مثل المحسوبين عليك المنتمين إليك المادحين الممجدين لك القارئين الواجدين الرائين المفسرين لأنبل وأجمل أخلاقك وحبك ورحمتك وحنانك، وإحسانك في أقبح وأوقح العاهات والتشوهات والآلام والفضائح التي يقاسون أو يرون أو يسمعون أو يقرأون أو يتوقعون وينتظرون أو يوعدون بها بل التي يخصون ويتعمدون بها أو يعتقدون أنهم يخصون ويتعمدون ويجزون بها لأنهم لم يفعلوا أو يريدوا أو ينووا أو يعشقوا أي خطأ أو خطيئة أو مع أنهم يعرفون أنهم لم يفعلوا أو يريدوا أو ينووا أو يعشقوا شيئاً من ذلك. أليس المؤمن جداً لا بد أن يرى أنك تعذب وتحطهم من لا يستحقون ذلك ابتلاء وامتحاناً أكثر وأقسى مما تفعل ذلك بمن يستحقون؟

أليس يراك أي المؤمن في التعامل معه ومع نقيضه نقيضاً لكل ما يجب وينتظر ويطلب أن يكون التعامل؟

أليس العبد السيئ الجاهل البليد قد يتحول أو لا بد أن يتحول إلى هجاء وإيذاء وتعذيب وتشويه واتهام لسيده؟

أليس المؤمن من هذا النموذج يصنع بإلهه الذي يؤمن به كل ذلك؟

أليس الابن من هذا النوع يصنع بأهله كل ذلك أيضاً؟

أليس هؤلاء الأنواع الثلاثة لا بد أن يتحولوا إلى أردأ وأقبح التفاسير لآبائهم وأهليهم ولآلهتهم وسادتهم وإلى أقبح وأردأ أساليب الإعلان عنهم؟ إذن أليس المؤمن بك يا إلهي قد يتحول أو لا بدَّ أن يتحول إلى عار وافتضاح وتشويه واتهام وهجاء لك؟

.. إن أنفع وأتقى وأنبل ما فيك يا إلهي إنك لا تقتل أو تضعف أو تسحب أو تسرق من أحد أو من أي شيء طاقته أو ذكاءه أو موهبته ولكنك لا تصنع أو تقوى أو تهب أو تضخم ذلك في أحد أو في أي شيء..!

.. إنك لا تستطيع أو تعرف أو تريد ذلك.!. أليس هذا الحكم هو أنبل وأتقى وأقوى ثناء عليك وتبرئة لك؟ أليس أنظف الآلهة وأتقاها وأعفها هو الإله الذي لا يريد أو يفعل شيئاً أو يرجى أو يطلب منه ذلك؟

.. انتظر يا إلهي أن تكون قد اقتنعت بأنك لا تعطي شيئاً من هذا العطاء الذي فسرته لك أي إن كنت قد استمعت إليَّ بشيء من نوبات الصدق أو الاهتمام أو محاسبة الذات.!

أما أخذك منا فهو كما شرحت لك أخذ لا يساويه أو يشبهه أخذ في فداحته وشموله وديمومته بل وفي إذلاله وقبحه وفي قبح حوافزه ونتائجه وأهدافه وأساليبه. !

إنه لو كان أخذ معقولاً ومقبولاً لكان أخذك يا إلهي هو الذي لن يعقل أو يقبل. !

.. إنك الآخذ المطلق الذي يأخذ بلا تفسير أو منطق أو معنى أو احتجاج أو حساب أو محاسبة بل ودون أن يصنع أخذه شيئاً من الغضب أو الاستنكار أو حتى التساؤل أو الاندهاش، بل الذي يأخذ ليشكر على أخذه والذي كلما أخذ وقسا في أخذه طالب بأن يكون معبوداً ومشكوراً أكثر وأصدق، وأعتقد وأعلن وعلم بأنه يستحق أن يعبد ويشكر أكثر وأصدق. !

.. إن الإنسان لم يرض عن أقسى وأردأ وأوقح آخذ مثلما رضي عنك يا إلهي الآخذ كل شيء دون أن يعطى أي شيء، ولم يستسلم لمثل هذا الآخذ مثلما استسلم لك، ولم يشكره ويعبده ويعجب به ويقتنع برحمته وحبه ونزاهته وعدالته وعفته وكرمه كلما قسا عليه في أخذه منه مثلما فعل معك. ! .. إنه لم يهبط إلى كل التفاسير الرديئة الذليلة البليدة مثلما فعل معك. ! .. إنه لم يهبط إلى كل التفاسير الرديئة الذليلة البليدة مثلما هبط إلى ذلك في علاقاته بك ورؤاه لك. !

.. إن الإنسان يا إلهي لم يفقد كل كرامته وشجاعته وذكائه وكبريائه بك وكل غضبه واشمئزازه واستحيائه، ولم يتنازل عن كل ذلك بلا أية خفقة أو نبضة أو صرخة أو آهة مضادة محتجة مثلما فعل معك. إنه أي الإنسان لم يصبح نقيضاً بل وتحقيراً لكل معاني الإنسان إلاّ في إيمانه وإعجابه بك وانتظاره منك وثنائه عليك. !

.. إنه في كل تاريخه يا إلهي لم يهن أو يهج كل مواهبه وتفاسيره وقيمه مثلما أهانها وهجاها في تعامله وتخاطبه معك وفي رؤاه وتفاسيره وقراءاته وإعطائه لك وفي استسلامه لأخذك منه. !

.. إنه لو جاء هذا السؤال: ما أقوى دليل على وجود الإله وعلى قوته وتصرفه في هذا الوجود لوجد أن يكون الجواب: هو قهره وسحره وإفساده وإرهابه وإضلاله لذكاء الإنسان ولرؤاه وأخلاقه ولجميع مواهبه وطاقاته ولأخذه منه كل شيء بكل الأساليب وأفضح الأساليب بلا أي عطاء أو تعويض أو حتى شكر، دون أن يرفض أي الإنسان أو يقاوم أو يغضب أو يطالب بأي حساب أو فهم لما يحدث، بل ودون أن يسأل عمن قتل أو سرق عقله وضميره وذكاءه وأخلاقه وكرامته بكل هذا الشمول والقسوة والديمومة والصمت والرضا عمن فعل به كل ذلك بل وغير ذلك بكل هذه الوقاحة والعداونية. .

دون أن يعقد الندوات والمؤتمرات ويؤلف الدراسات ليعرف من قتل أو سرق كل ذلك فيه ومنه.

أن يكون ما يجب أن يكون.. إنه لن يوجد ولم يوجد مكان نعي وينعى فيه الإنسان نفسه إلى نفسه مثل المنابر والمحاريب والمعابد الدينية وصفحات الكتب المقدسة داعياً مفسراً ممجداً مصلياً مخاطباً لك طالباً منتظراً منك باحثاً عنك مستنجداً بك متقرباً متملقاً إليك من فوقها وفيها وعلى صفحاتها وبتلاوتها وتفسيرها وتبليغها. أن البشر لم يخسروا في شيء بلا أي أمل في الربح مثلما خسروا من إيمانهم بك وعبادتهم لك أنهم لم يخسروا كل معانيهم العقلية والأخلاقية والنفسية بل واللغوية مثل خسرانهم لها بك يا إلهي.. وهنا يا إلهي همست بل صرخت التقوى الدينية والأخلاقية والنفسية والعقلية والإنسانية طالبة مني بل آمرة لي أن أراجع الحكم عليك بأنك أنت الذي تأخذ منا ما زعمت وقررت أنا أنك تأخذه منا.. ما زعمت وقررت أنا بكل القسوة والجرأة أنك تأخذه منا.

كما أخشى أن أكون ظالماً لك في هذا الحكم عليك.!

هل أنت يا إلهي الذي تأخذ منا أم نحن الذين نأخذ من أنفسنا.؟. أم أذكياؤنا وأغبياؤنا وأنبياؤنا وأقوياؤنا وضعفاؤنا ومحتالونا ودجالونا وصيادونا هم الذين يأخذون منا باسمك وبدعوى الاحترام والتمجيد والإرضاء والإفراح والإسعاد لك، وبرغم إعطائك ما يأخذونه منا؟ هل أنت الآخذ أم المأخوذ باسمه؟

إن كان الجواب هو التفسير الثاني فلا بد أن يأتي هذا السؤال القاتل.

ولماذا سكت يا إلهي على هؤلاء الذين يسرقون ويأخذون ويكذبون ويقتلون ويدمرون ويذلون ويفسدون ويجهلون ويضللون ويفسقون باسمك زاعمين ومعلنين بكل قسوة الاتهام وتفاسيره بأنك أنت المريد المدبر الفاعل الآخذ الآمر المطالب بكل ذلك ولكل ذلك؟ لماذا سكت على هذا الاتهام والتعبير لك؟

ولكن هل أنت يا إلهي إلاّ ساكت، ساكت؟ أليست كل صفاتك هي السكوت عن كل شيء وأمام كل شيء؟

.. آه يا إلهي أنت في ورطة. ورطة أنت محاصر بكل الورطات حتى لتستحق الرثاء ممن لا مثيل لقسوة ورطاتهم أي التفسيرين أو الاحتمالين ترى أنه يرضيك أو يحميك أو يخفف من ورطاتك وتبعاتك وعذابك وحسابك وقبح سمعتك وصورتك أي أن تكون أنت الآخذ أو أنت المأخوذ باسمه؟



مَنْ يربح مِنْ وُجودِك وَهلْ تَربَح أنت مِنْ وُجودِك أو مِنْ أي وَجُود..؟

هذا الفصل قد يكون شيئاً من التوضيح والتوكيد والتجميع لأشياء قد سبقت مفرقة.. أعني هنا وجودك الذاتي ووجودك المعنوي الاعتقادي أو وجودك في ذاتك ووجودك في وجودك ووجودك في حياة الناس وغيرهم وفي أنفسهم وأخلاقهم وعقولهم وعواطفهم وفي كل صيغهم وتفاسيرهم وكينوناتهم.!

نعم، أعني كل ذلك بهذا السؤال الذي لا بدَّ أن يكون مفاجئاً وفاجعاً لك.. ومن هم الذين قد يكونون قضية هذا السؤال وموضوع الجواب عنه أي من يربح من وجودك يا إلهي؟ هل سمعت أذناك يا إلهي أو أية آذان أخرى هذا السؤال؟

أو تصورت أنها قد تسمعه قبل هذه المرة؟ هل أطلب منك الغفران لقسوة السؤال؟.. إن هؤلاء هم أنت يا إلهي ومن حولك ومعك من أعوان ومستشارين من زبانية الجحيم وبناته وحراسه والمنفذين لعقابه وعذابه، ومن بوابي الفردوس ورعاته ومشاهدي تفاهاته.. وهم أيضاً الإنسان ومن في مستواه أو في مستوى أعلى.. وهم كذلك سائر الكائنات من حيوانات وحشرات وجمادات وجراثيم ومن كائنات أخرى قد تكون أخفى وأصغر وأردأ من كل ذلك..

أما أنت يا إلهي فلن يوجد من يجرؤ على الزعم بأنك قد تربح أي ربح من وجودك.. من وجودك الذاتي أو وجودك المعنوي.. والفاجع أن أحداً لم يفكّر في هذه القضية أو يطرحها سؤالاً أعني قضية ربحك من وجودك أو خسرانك. إن ربحك وخسرانك، سعادتك وشقاءك لم يكونا في حساب أو اهتمام أحد حتى ولا في حساب أو اهتمام أنبيائك!.

.. فوجودك الذاتي حرمان، حرمان شامل وممارسات واستماعات ومواجهات

لكل القبائح والفضائح والتشوهات والآهات والأنات والوقاحات والآلام.. وجودك الذاتي يا إلهي حرمان وعذاب وقبح يرثي له كل المحرومين والمعذبين والمعايشين المواجهين لكل صيغ القبح.!

.. أما وجودك المعنوي فعصيان وكفران وهجران وغثيان وخداع وكذب وتزوير وظلم وعدوان وبذاءات وبلادات تصفع بها، باسمك وعلى حسابك وبتوقيعك وتوقيع أنبيائك ودعاتك أمام عينيك وفي عينيك، دون أن تستطيع المنع أو التكذيب أو التصحيح أو الاستنكار وإعلان براءتك.!

إنك ترى وتسمع وتقرأ أي إن كنت شيئاً من ذلك كل الدجالين والمخادعين واللصوص والطغاة والجهلة يصوتون بصوتك ويوقعون بتوقيعك وتوقيع أنبيائك وكتبك وتعاليمك على كل ما يفعلون ويقولون ويريدون دون أن تستطيع أو تعرف أو تجرؤ أو يؤذن لك أن تقول: لا، لا.. أنا بريء، بريء.!

حتى تبرئة الذات أنت عاجز ومحروم منها وعنها مهما غرقت في الاتهامات.!

.. إذن هل يمكن تصور خاسر بوجوده أو من وجوده كل خسران بلا أي ربح أو انتظار ربح مثلك أو غيرك يا إلهي؟ أليس كل سلوكك الخارج على كل الحسابات الجيدة والرديئة تعبيراً عن مأساتك بوجودك، عن فداحة خسرانك؟

.. إن أقل حشرة لتربح من وجودها أكثر مما تربح أنت يا إلهي من وجودك وإنها لن تخسر من وجودها وفي وجودها شيئاً مما تخسره أنت في وجودك ومن وجودك.!. أي أية حشرة يا إلهي لن تقبل أن تكون أنت لتكون في خسرانك وحرمانك وعذابك ومواجهاتك البائسة الفاضحة القبيحة.!

.. فكّر فيما أقول لك لكي تقول: لقد صدقت، صدقت.. لكي تقول: لماذا لم يقل لي أحد ممن حولي شيئاً من هذا الصدق الأليم، الأليم جداً؟

لكي تعلن الثورة على كل أعوانك وأنبيائك وملائكتك ومستشاريك.. لكي تطردهم أو تحاسبهم وتعاقبهم جميعاً بل لكي تجدني يا إلهي أول ناصح وصديق لك مهما بدوت قاسياً في التعبير عن نصحي وصداقتي لك.!. هل توجد آلهة أخرى أكبر منك تربح من وجودك قد فرضت عليك وجودك الخاسر بحثاً عن ربحها؟

.. لقد كان معقولاً بل محتوماً أن يتفجر في رؤيتي ومحاسبتي لك هذا السؤال الذي كان يجب أن يكون سؤال كل الرائين والقارئين والمفسرين لك والمتعاملين معك..

يريد السؤال أن يقول: هل أنت يا إلهي تحيا وتريد أن تحيا بالفرح والسعادة والحب والانتصار والمجد والذكاء والجمال أم تحيا وتريد أن تحيا بنقيض كل ذلك وفي نقيضه، في أقسى وأقبح نقيض له؟ من أجل أي النقيضين قبلت وجودك وجاء وجودك ورضيت عن وجودك؟

. . إن كان الأول في حسابك وتقديرك وإرادتك فلن يوجد أو يتصور مثلك عجزاً عن فهم النقيض من نقيضه.

لن يوجد أو يتصور حينئذ مثلك خطأ في فعل الشيء واختياره وأخذه حاسباً أنه نقيضه. إنه لن يوجد حينئذ معذب معاقب حارم لنفسه حاسباً أنه مسعد مثبت واهب لها مثلك يا إلهي. !

. . أما إن كان الاحتمال الثاني أي أنك تحيا وتريد أن تحيا بنقيض الفرح والحب والجمال والسعادة والذكاء والمجد والانتصار فلن يوجد أو يتصور حينئذ مثلك شذوذاً نفسياً وعقلياً وأخلاقياً بل وذاتياً تكوينياً. !

. . إن كل شيء وكل الآلهة الأخرى لو تحولت كلها حينئذ إلى معاهد ومؤسسات ودراسات علمية وفكرية وتحليلية لكي تعالج أو حتى تفهم أو تفسر شيئاً من ضخامة وشذوذ شذوذك لما استطاعت بل لما ملت أن تستطيع بل لما جرؤت أن تحاول. هل يمكن أن يوجد لك أي مخرج من هذه الورطة؟

أنت إما شاذ بلا مثال أو عاجز عن الفهم بلا مثال. هل تجد لك مخرجاً من ذلك. أرأيت يا إلهي كيف وكم تربح من وجودك؟

هل تستطيع أن تزعم أو تظن أنك تربح من وجودك أي ربح؟

. . أما جنودك من ملائكة وزبانية ومستشارين وكل معاونيك الآخرين فلن يوجد أخسر منهم بوجودك ولا من يساويهم في خسرانهم هذا حتى ولا أنت يا إلهي.

إن كل صيغ الخسران لا تستطيع أن تكون صيغة واحدة أو تفسيراً واحداً من صيغ وتفاسير خسرانهم. . إن كل ربح هؤلاء البائسين الجلادين المخربين المتوحشين الأذلاء المسحوقين الذين صيغوا بلا أية كرامة أو نخوة أو رحمة أو رؤية ـ إن كل ربحهم منك ومن وجودك يا إلهي أن يصنعوا وينفذوا ويقرروا أو يروا ويواجهوا ويعايشوا بل ويعيشوا كل ألوان العذاب والآلام والتشوهات والعاهات والحماقات والتفاهات والبلادات والنذالات والقبائح وكل صيغ وتفاسير الجنون والعبث والعار بل ليقاسوا ويواجهوا ويعيشوا ويعايشوا كل كآباتك ونزواتك وفظاظاتك وعبوسك وحرمانك وهزائمك. إنه لا

عذاب ولا خسران مثل عذاب وخسران موظفيك هؤلاء بمواجهتهم ومساكنتهم ومعاشرتهم لك. !

. . دون أن يفهموا أو يسألوا أو يتساءلوا أو يشترطوا أو يتوقفوا أو يترددوا أو يرتابوا أو يتحاوروا أو يتخاطبوا أو يتساءلوا مع ضمائرهم أو عقولهم أو أخلاقهم أو يشكوا من الملل أو التعب والاشمئزاز أو الغثيان أو من الإذلال والتسخير والهوان أو يطالبوا بالثمن أو الأجر أو الجزاء أو حتى بالشكر أو حتى يسألوا حتى الإنقاذ من ذلك ولو بالموت أو بالطرد والنفي والعقاب. . حتى الموت والنفي عقاباً وتأديباً وحتى الشيخوخة والإحالة على التقاعد. . حتى كل ذلك قد حرم منه هؤلاء البائسون. !

إن أطغى وأنذل الطغاة لا بدَّ أن يصبحوا أنبل وأكرم وأرحم وأعقل النبلاء الكرماء الرحماء العقلاء في معاملتهم لجلاديهم وأعوانهم وموظفيهم أو حوسبوا وفسروا بمعاملتك يا إلهي لجلاديك وموظفيك وأعوانك من ملائكة وزبانية وأعوان ومستشارين يا إلهي. . يا إلهي. !. هل وجد أو يمكن أن يوجد أعوان وجلادون لأي طاغية بلا أي ثمن أو مصلحة أو حتى نهاية غير جلاديك وأعوانك؟

. . إنه لو كان يوجد في هذا الكون أو في أي كون آخر منظمات خيرية لمقاومة الطغيان والإذلال والتسخير ولإنقاذ المظلومين المعذبين والمسخرين المستعبدين المضللين لكان الواجب والمفروض أن تهب هذه المنظمات أعظم نضالها واهتمامها لمقاومتك يا إلهي ولتحرير عبيدك هؤلاء منك ومن توظيفك وتسخيرك لهم فيما وظفتهم وسخرتهم له أي لتحرير ملائكتك وزبانيتك وجميع أعوانك ومستشاريك السماويين منك، من وجودك، من مواجهتك ومساكنتك ومعاشرتك وطاعتك وخدمتك بل ومن رؤية ذاتك الحزينة الكئيبة المحشودة المحشود فيها كل الكآبات والأحقاد والفظاظات والإرهاب والتوعد والوعيد والغضب والتوتر واليأس. . المحشود فيها كل قبح وعذاب وأهوال الجحيم. . المحشود فيها أي في ذاتك يا إلهي كل ما جاء أنبياؤك وملائكتك ليعبروا عن شيء من قبحه أي من قبح ذاتك بحديثهم عن قبح وأهوال جحيمك وعن قبح وفظاظة ووقاحة وتفاهة وبلاهة حوافزه وأهدافه وأسبابه وكل نماذجه وتفاسيره أي جحيمك. .

أي بلا أية ليلة من ليالي الفرح أو الغناء أو الرقص أو الإنشاد أو التصفيق. . من ليالي الفرح الكبير الذي تتعانق وتتصافح وتتراقص فيه أنت وأعوانك هؤلاء تعويضاً وتكفيراً واعتذاراً عن قبح وفظاعة وظائفهم التي وظفتهم لها.

. . بلا أي احتفال بعرس أو نصر أو مجد أو حب أو لقاء أو ذكرى عزيزة سعيدة مجيدة بهيجة. . !

هل تستطيع يا إلهي أن تتذكر أو تزعم أنك قد أقمت أو حتى أردت مثل هذا الاحتفال لموظفيك هؤلاء الذين لم يجربوا أو يجدوا فيك إلاّ العبوس والكآبة والغضب والطغيان الذي لا تفسير له في كل تفاسير الطغيان. . الذي لو وجدت كل التفاسير والمسوغات لكل طغيان ولأنذل وأوقح طغيان لما وجد له أي تفسير أو تسويغ أي لطغيانك يا إلهي. إن كل طغيان قد يكون له تفسير إلاّ طغيانك يا إلهي. !

. . لقد كانت كل لقاءاتك ومحاوراتك ومجالساتك لهم وعلاقاتهم بك كآبةً وغضباً وغيظاً وفظاظةً وقبحاً ووعيداً وكبراً وأمراً وإرهاباً وإذلالاً بلا أية هبة أو مكافأة أو حتى ابتسامة أو وعد كريم جميل. بلا أية نبضة من نبضات الحب أو الفرح أو الجمال أو الصداقة أو التواضع أو التسامح أو التنازل عن استوائك على عرشك لتوزع من فوقه أو من تحته كل أحقادك وأحزانك وفظاظاتك ومجاعاتك وهزائمك وعقدك النفسية والتاريخية والانتمائية والأخلاقية. . لتوزعها بأيديهم محولاً لها إلى ضربات وخبطات وعاهات وتشوهات وآلام وأحزان وضلال في كل الوجوه والأجسام والعقول والقلوب والنفوس والأخلاق ولكن بلا أي شفاء لك وبلا أي تخفيف من عذابك واكتئابك يا إلهي العاجز عن التفاهم والتوافق والصلح مع نفسه أو مع أي شيء. !

. . هل حدث ولو مرة واحدة أن ابتسمت يا إلهي ابتسامة حب أو شكر أو اعتذار أو استغفار لواحد من موظفيك هؤلاء أو صافحته أو عانقته أو دعوته إلى مائدة كريمة فيها شيء مما تزعم أنك أعددته لسكان فردوسك الخرافي أو حتى وعدته بالعزل أو الطرد من وظيفته ومن عالمه إلى عالم آخر لست أنت يا إلهي مخططه أو موجده أو صائغه أو حاكمه بل لست يا إلهي موجوداً فيه أو مسموحاً لك بالوجود فيه؟

هل رآك يا إلهي واحد من موظفيك هؤلاء ولو مرة واحدة ضاحكاً أو فرحاً أو مغنياً أو راقصاً أو محاكماً ومحاسباً لنفسك بغضب واشمئزاز وانفجاع حين تنظر إلى العاهات والتشوهات والآلام والفواجع والتفاهات التي صممتها وزرعتها ودفنتها ونشرتها في ضمير ووجه كل شيء وعلى ضميره ووجهه راضياً معجباً متحدثاً عن شمول وضخامة محبتك ورحمتك، أو حين ترفع إليك الأنات والآهات والصرخات والتضرعات والصلوات الأليمة الحزينة الفادحة الراجية فلا تسمعها أو تسمعها ببلادة وبلاهة وجفاء فلا تستجيب أو تسمعها بل أو تستمع إليها بكل الفرح والنشوة والشماتة والكبرياء

والاستمتاع طالباً المزيد من ذلك، طمعاً في المزيد من النشوة والفرح بالمزيد من الاستماع إليه؟ هل غضبت يا إلهي يوماً على نفسك أو حاسبتها أو نقدتها؟

إذن فموظفك هؤلاء ليسوا فقط خاسرين بوجودك أو لا يربحون من وجودك.

إن مأساتهم حينئذ لرحيمة وكريمة لو كان هذا فقط كل مصابهم. !

. . إن موظفيك هؤلاء محاصرون حصاراً شاملاً أبدياً بكل صيغ وتفاسير كل القبح والنذالة والعذاب والحرمان بل والهوان الذي لا نموذج له في أي خيال أو سلوك إلاّ في خيالك وسلوكك يا إلهي. . !

أسألك يا إلهي مرة أخرى: هل حاسبت أو حاكمت أو ساءلت نفسك ولو مرة واحدة؟

. . إنك إن كنت صغتهم أي الملائكة والآخرين أمثالهم صياغة تجعلهم يرضون ويسعدون بالوظائف التي سخرتهم لها دون أن يقاسوا من أي عذاب نفسي أو عقلي أو أخلاقي أو بصري بل ودون أن يدبروا ويخططوا لأضخم وأنبل وأنفع ثورة لإسقاطك وتفريغ كل الوجود منك.

ـ نعم، إنك يا إلهي إن كنت قد صغتهم هذه الصياغة فلن يوجد أو يتصور مثل قبحك صائغاً ولا مثل قبحهم مصوغين وإلاّ فلن يوجد أو يتصور مثل بلادتهم ووقاحتهم ونذالتهم ووحشيتهم وجبنهم وهوانهم أي إن لم تكن قد صغتهم هذه الصياغة اللئيمة التي جعلتهم لا يرون أو يفهمون أو ينكرون شيئاً. .

إنها لأردأ مستويات الغباء والغفلة والخمول والعمى الشامل أنه لا أحد من المؤمنين بك حتى ولا من أنبيائك قد فطن إلى قصة موظفيك هؤلاء وقصتك معهم. . إلى قصتك مخططاً وصائغاً وموظفاً لهم وإلى قصتهم هم قابلين ومنفذين لذلك. !

كيف أمكن أن تقتل أو تموت أو تسكت فيهم أي في أنبيائك والمؤمنين بك كل وظائفك التفكير في الرؤية والشرف والكرامة والغضب والغثيان حتى عجزوا عن أن يفطنوا إلى هذه القصة أو يفجعوا بها؟

ماذا يمكن أن يكونوا أو يفعلوا لو أنهم فطنوا إليها وقرأوها وفسروها وفهموها وحاسبوها؟

هل يقبلون حينئذ أن يتعاملوا معك أو معهم أي مع موظفيك هؤلاء أو أن يساكنوك أو يساكنوهم في أي عالم أو كون، أو يقبلون أن تكون أنت خالقهم أو إلههم ومعبودهم أو حتى أن يتعاملوا أو يتخاطبوا معك؟

ومرة ثالثة أسألك يا إلهي: هل حدث أن سألت أو حاكمت أو حاسبت أو رأيت أو قرأت نفسك ولو مرة واحدة؟

هل حدث أن تخاطبت أو تعاملت أو تفاهمت أو تخاطبت مع عقلك أو ضميرك أو قلبك أو عينيك أو أخلاقك أو مع شهواتك وأهوائك؟

لقد كان بعض القياصرة والملوك وسائر الحكام الأقوياء الطغاة يتنازلون عن عروشهم أو ينتحرون بأسلوب ظاهر أو مستتر فراراً من مواجهات غير ملائمة أو كريمة أو مريحة خارجية أو ذاتية نفسية أو فكرية أو أخلاقية أو اجتماعية. إنهم لا بد أن يفعلوا كلهم ذلك بأنفسهم ولأنفسهم لو أنهم استجابوا لكل تفاسير وشروط الشجاعة والبراءة والصدق ورفضوا كل صيغ ومواقف العار والافتضاح.. ألست يا إلهي أحق من كل هؤلاء بالتنازل والهرب والانتحار؟

أليست أسباب تنازلهم وانتحارهم هي أسباب رحيمة وكريمة لو حوسبت بالأسباب التي تطالبك بالتنازل والهرب والانتحار؟

هل أنت يا إلهي أقل من كل أحد ومن كل شيء رؤيةً ومحاسبةً واشتراطاً واحتراماً ونقداً لنفسك أو أقل شجاعةً وكرامةً ورفضاً؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد من لم يفر أو يحاول أن يفر بأسلوب ما من بعض مواجهاته وممارساته وظروفه لقبحها أو نذالتها أو وقاحتها أو عارها؟ هل وجد من يرضى عن كل مرآته أو يفرح بها مهما كان وجهه ومهما حدث لوجهه؟ هل وجد غيرك يا إلهي خارجاً على كل التفاسير الجيدة؟

.. والآن لننتقل إلى الإنسان الذي هو أشهر المتعاملين أو كل المتعاملين وأشقى وأخسر المتعاملين معك وبك يا إلهي لنسأل: هل يربح من وجودك. من وجودك في وجودك أي في وجودك الذاتي أو من وجودك في إيمانه واحتياجه وانتظاره وفي علاقاته بك أو بنفسك أو بالآخرين أو بأي شيء آخر؟

.. أما وجودك الاعتقادي أو المعنوي أي وجودك في عقيدة وتعاليم وتصورات وعبادات الإنسان فقد فسرت لك ذلك تفاسير يوجب الاحترام لك إنها قد أقنعتك جداً مع أقسى الإحراج ولإخجال والفضح والتصغير لك بأنه أي وجودك هذا لن يصوغ الإنسان أي صياغة جيدة أو يهبه أية هبة قوية أو جميلة أو كبيرة أو ذكية أو تقية أو نظيفة أو شجاعة لانفسية ولاعقلية ولاأخلاقية ولاذاتية جسدية بل ولادينية أو لغوية تعبيرية..

بل لا بدَّ أن يكون ما أسمعتك وفسرت لك في الصفحات السالفة قد جعلك تقتنع

غريقاً في مشاعر الاستحياء والحرج والانهزام والافتضاح ـ نعم، قد جعلك تقتنع مع الغرق في كل هذه المشاعر بأن وجودك بكل أوصافك وتفاسيرك في نفس أو اعتقاد أو ذات أي كائن لا بدَّ أن يكون أو يفترض أن يكون تدميراً وتشويهاً وتضليلاً وإفساداً وإضعافاً وإرهاباً لكل قيمه ومعانيه وطاقاته وتعبيراته وعلاقاته النفسية والأخلاقية والفكرية والإنسانية والعضلية واللغوية أي والدينية. . لا بدَّ أن يكون تفريغاً له من كل معانيه ورؤاه وقواه واهتماماته أو شغلاً والهاءً وسرقةً وإحباطاً لها. !

. . إنك يا إلهي إذا لم تفعل ذلك بالمؤمن بك المتعامل المتخاطب معك فلن يكون لهذا أي تفسير غير أنك عاجز عن أن تكون أي شيء. عن أن تكون الشيء أو نقيضه. وهذا أي ألا تكون أي شيء. . ألا تكون الشيء أو نقيضه هو أعظم وأنبل وأتقى وأنفع مزاياك يا إلهي. . يا إلهي الذي كل مزاياه ألا يكون مدبراً أو مريداً أو فاعلاً أو مسؤولاً، بل ألا يكون موجوداً لئلا يكون مقروءاً أو مفسراً أو محاسباً أو مرئياً. !

أو لن يكون لهذا أي تفسير غير أن المؤمن بك كاذب، كاذب يتحدث عنك دون أن يجدك كائن يختزنك يا إلهي بكل بدانتك وأحقادك وشهواتك وأهوائك وأهوالك وتقلباتك ونزواتك داخل ذاته وفي كل معانيه ورؤاه وتصوراته واتجاهاته، ويختزن كذلك كل تهديداتك وتوعداتك بجحيمك بكل ما فيه من عذاب وأهوال وزبانية وسكان ومعذبين وحراس. . كل تهديداتك وتوعداتك بكل الضربات والمفاجآت ـ نعم، كائن يختزن كل ذلك ويعيشه ويعايشه ويتصوره ويقرؤه ويصدقه وينتظره بكل معانيه كل أوقاته كيف يمكن أن يكون أو يظل ذكياً أو قوياً أو عاقلاً أو متوازناً أو مهذباً أو محباً أو صديقاً أو مفكراً أو مبدعاً أو رائياً أو سوياً أو معافى في أي معنى أو تفسير من معانيه وتفاسيره؟.

كيف يمكن أن تسقط الشمس بل كل الشموس وكل شيء في عين ثم تستطيع أن ترى شيئاً؟

. . إنه لن يوجد تخريب أو تحطيم أو تشويه أو تعويق أو تعذيب أو تضليل أو إضعاف أو فساد أو ترويع لأية ذات أو لأي شيء مثل أن توجد يا إلهي فيها أو فيه بكل أجهزتك ومعانيك وتفاسيرك وتواعداتك وتهديداتك وقدراتك وبداناتك الرهيبة الكئيبة. . بكل زبانيتك وملائكتك وأجهزة مخابراتك وجاسوسياتك وأهوال وتصورات جحيمك. أن تجمع وتفجر اشتعال كل الأعاصير والزلازل والبراكين والحرائق في ذات إنسان لن يكون أقسى من تجمعك فيها. !

. . إنه لن يوجد عدوان على أي شيء مثل عدوانك يا إلهي على أي عقل أو قلب أو ضمير أو فكر أو أمل أو تخيل تسكنه، تسكنه بكل صيغك وتفاسيرك ومعانيك وبكل التصورات والأوصاف والأحاديث والروايات والتعاليم عنك ولك. . التي رواها أنبياؤك عن ملائكتك عن عرشك عن بداوتك التي ترويها محاريبك ومنابرك عن محاريبك ومنابرك. . !

إنه لا عدوان على أمان ووقار وابتسام وفرح وتعقل وحرية وكرامة أي إنسان أو كائن في مستوى الإنسان مثل أن تحتل ذاته وكل معانيه بكل جنودك وإرهابك وذاتك. هذه هي المحاسبة لوجودك المعنوي أو الاعتقادي. . !

ولكن ماذا يمكن أن تقول المحاسبة لوجودك الذاتي؟

لعل هذه أول مرة تحاسب فيها على وجودك الذاتي. لهذا يجب أن تتجلد وتتوقر. ! قد تقول ويقال بل لقد قلت وقيل: إن وجودك هذا هو أضخم ربح للإنسان ولكل شيء لأنه أي وجودك هذا هو الذي أعطى الإنسان وأعطى كل شيء وجوده. والوجود أي كون الموجود موجوداً أو تحويله إلى موجود هو كل الربح وكل الطرق والوسائل إلى الربح، إلى كل ربح. !

. . الوجود والإيجاد هل يمكن أن يوجد أو يتصور ربح أو عطاء غيرهما أو بغيرهما أو مثلهما؟

. . قد يكون من المستحيل أن يوجد أو أنه قد وجد أو قد يوجد من قد يخالف أو من قد يخالف في هذا التفسير لمزايا وجودك هذه. لعل كل خيالك وخيال جميع أنبيائك وجميع المعلمين عنك لم يستطع أن يتصور أنه قد يوجد من ينكر هذه المزايا. !

. . لعله لم يوجد من عرف واستطاع أن يقول: قف أيها الإله الخادع المخدوع دون أن يملك أو يعرف أو يفعل أو يعيش أو يلبس أو حتى يقول شيئاً مما يمكن أن يجعله خادعاً أو مخدوعاً. !. يا من وهب الانخداع بالنفس والانخداع به بلا استحقاق بل وضد الاستحقاق. !

. . قف أيها الإله الخادع المخدوع الذي لا يوجد شيء ولا يفعل شيئاً يستطيع أن يجعله خادعاً أو مخدوعاً بل الذي لا يستطيع أي شيء وكل شيء أن يحميه من أن يكون فاضحاً مفضوحاً. ! لا أن يجعله خادعاً أو مخدوعاً.

. . قف أيها الإله الذي لم ترخص أو تهن أو تصغر قيم وتفاسير الخداع والانخداع مثلما رخصت وهانت وصغرت فيه أي فيك يا إلهي الذي لا بدَّ أن يرهب ويخجل كل

أحد أن يكون خادعاً لو قرأ خديعتك لنفسك وانخداع غيرك بك.. قف أيها الإله الخادع المخدوع الذي لو وجدت كل أسباب وتفاسير الخديعة للنفس وبالنفس في كل أحد وكل شيء لما وجد فيه شيء منها، والذي لو وجدت كل أسباب وتفاسير الانخداع به في كل أحد وفي كل شيء لما وجدت فيه أي شيء منها.!. أيها الإله الذي لم ينخدع ويخدع أحد مثله ولم يوجد فاقد لكل أسباب الخديعة والانخداع مثله... نعم، لعله لم يوجد من عرف وجرؤ أن يقول لك: قف أيها الإله حذراً أيها الإله أن تتحدث عن مزايا وجودك وعن الربح من وجودك وفيه زاعماً بل ومعتقداً أن من مزاياه ومن أرباحه إيجاد الإنسان وإيجاد كل شيء وأي شيء.

لأنه قد يوجد من يقول لك يا إلهي: إن وجودك هو الذي أوجد ويوجد كل الأخطاء والآلام والآثام والدمامات والتشوهات والعاهات والبلاهات والبلادات والتفاهات والعار والفضائح.. هو الذي أوجد كل ما يقتل الحياة ويشوهها ويعذبها ويذلها ويخيفها ويحقرها ويشتمها.. هو الذي أوجد الأوبئة والأمراض والشيخوخة والجنون والموت والجحيم والزبانية. هل كان يمكن أن يوجد أي شيء من ذلك لولا وجودك؟ إذن ليقل كل قبح وعذاب وسوء: مرحباً بوجودك.!

لأنه قد يقال بل ويجب أن يقال: إن وجودك الذي أوجد الإنسان قد حكم عليه بأن يواجه ويعايش ويعيش ويساكن ويصادق ويعشق ويطيع ويصنع بل ويمجد ويقود كل الحماقات والجهالات والنذالات والسفاهات والعاهات والتشوهات والآلام والذنوب وكل الفضائح والقبائح والمخاوف والهزائم والأكاذيب والحروب والخصومات والعداوات..!

.. كل الصغائر وكل البذاءات والمهانات.

.. إذن كم هي ضخمة أرباح الإنسان من وجودك الذي وهبه وجوده؟!

إذن كم أنت يا إلهي أبله أو بذيء جداً حين تعتقد أو تتصور أن الإنسان يربح من وجودك الشخصي الذاتي لأنه أي وجودك هذا قد أعطاه وجوده ليعاشر ويواجه ويحيا كل ما فعلت وأوجدت وتفعل وتوجد بكل الهوان والاستسلام والحصار بل أحياناً بكل الشبق والنشوة والتعري والصراخ والمباهاة.. لكي يواجه ويعايش ويعيش كل حياته داخل ذاته.. كل ما فيها وكل ما تقاسي وتحيا من ضعف وآلام وهوان وجبن وجوع وخوف وقبح وتوقعات أليمة فاجعة دائمة شاملة على كل الجبهات وبكل التفاسير والنماذج وتحت وفوق كل المنخفضات والمرتفعات.!

إنه لن يوجد تعذيب وتحقير وإذلال وفضح وهجاء وانتقام مثل أن تفرض على الإنسان أو على أي كائن حياته أو ذاته ليعايشها ويعيشها ويعيش فيها بل ليحاصر ويعتقل ويسجن فيها . . في كل مجاعاتها وضروراتها ومخاوفها وتفاهاتها وأحقادها وخصوماتها وعداواتها وأحزانها وفي انتظار توقعاتها ونهاياتها .

إن كل اعتقال وسجن في أي معتقل أو سجن بل في كل معتقل وسجن لن يساوي في قبحه وهوانه واستعباده وتعذيبه وتخويفه شيئاً مما يساويه الاعتقال أو السجن في سجون ومعتقلات الذات . إن الإنسان بل وكل كائن لن يكون معتقلاً أو مسجوناً إلاّ باعتقال وسجن ذاته وإلاّ باعتقاله وسجنه في ذاته .

إن كل اعتقال وسجن وتعذيب وإذلال ليس إلاّ شيئاً من معتقلات وسجون الذات ومن تعذيبها وإذلالها ومن تقبلها لكل ذلك ومن حكمها به ومن الحكم به عليها . !

آه . أنا مسجون أو معتقل أو عائش أو مولود في ذاتي لهذا لا أستطيع بل ولا أريد أن أرفض أو أهزم أو أحتقر هواني أو ضعفي أو سخفي أو قبحي أو تفاهاتي أو مجاعاتي أو صلواتي وتضرعاتي لأوثاني أو فضائحي أو عاري أو استجابتي لضروراتي واحتياجاتي البذيئة الصغيرة بل لهذا لا أستطيع أن أرى شيئاً من ذلك بل أو أن أحاوره أو أسائله أو أكرهه أو ألعنه أو أفجع به أو أتمنى أو أقبل مفارقته والخلاص منه . . !

إن أصغر وأقبح وأوقح وأفجع وأجبن وأجهل ما في وجودي ووجود أي موجود أننا لا نستطيع كما لا نريد أن نرفض أو نكره أو ننكر أو نحاسب وجودنا أو نسأل عن فكرته وهدفه ومنطقه ونتائجه وتفاسيره أو نريد أو نحاول الخلاص والبراءة والنظافة والنجاة منها مهما كان قبحه وصغاره وهوانه وعذابه وبؤسه ونذالته . . مهما كان خسراناً ، خسراناً بلا أي ربح بل مهما كان عاراً وهواناً بلا أية كرامة أو مجد . !

إننا لنرفض مفارقة وجودنا أكثر وأجبن وأقبح مما ترفض أية حشرة مفارقة وجودها مهما كان وجودنا أصغر وأذل وأتفه وأوقح وأقبح من وجودها . إننا لنذل ونصغر ونتلوث لئلا نفقد وجودنا أكثر مما تفعل أذل وأنذل وأحقر الحشرات . !

. . إنه لن يوجد عدوان قبيح لئيم بليد مثل عدوان من وضعني في ذاتي أو وضع أي كائن في ذاته . !

. . حتى الإله . . حتى الإله . . إنه لن يوجد عدوان مثل عدوان من وضعه أي وضع الإله في ذاته ليكون مستعبداً بل عبداً متعبداً لضرورات ومجاعات وتفاهات وأوهام وأحقاد وبغضاء وكبرياء وغيظ ذاته . . ذاته التي لا يستطيع ولا يريد مفارقتها . . الإله لا

يستطيع ولا يريد أن يفارق ذاته. !. من حكم عليه بكل هذه التعاسة؟ من عاقبه بكل هذه الوحشية؟

.. إن من أوجدني أو أوجدك لن يكون منعماً أو متفضلاً علي أو عليك لأنه قد جعلني أو جعلك موجوداً بل لقد جعلني أو جعلك كائناً محكوماً عليه بكل العقوبات والمواجهات والممارسات الفظيعة المادية والمعنوية بكل صيغها وتفاسيرها الذليلة الأليمة الصغيرة الدميمة. !

ما معنى أن يوجد الإنسان أو أي كائن في مستواه أو أي كائن حي؟

معناه بل أقل وأخف معانيه أن يسجن تأبيداً في كهف ذات صغيرة ضعيفة متلهفة متطلعة متوقعة مشحونة ومحاصرة بكل المخاوف والأعداء والنقائض والمخاطر والتفاهات والدمامات والنذالات والهموم وبكل التوقعات الكئيبة الرهيبة وبكل الضرورات الجاهلة الباطشة الغالبة التي لا يمكن التفاهم معها بأي منطق أو خلق.. بأي دين أو تعاليم أو تضرع أو توسل أو بكاء أو دعاء.. بل التي لا يمكن التخاطب معها بأية لغة لأنها لا تستطيع أن تتعلم أو تتكلم أو تفهم أية لغة مع أنها أي هذه الضرورات هي مبتكرة وصائغة ومعلمة ومفسرة ومستعبدة كل اللغات.. مع أن كل متكلمي اللغات لا يتكلمون إلاّ بأوامرها!.

.. والمدهش بل الفاجع أن أحداً من هؤلاء المسجونين في هذه الذات المسجونة والمحاصرة والمعذبة المهانة بكل هذه الكوارث والمهانات والتفاهات والحقارات وبكل ألوان الاستعباد والقبح لا يعرف أو يرى أو يرفض أو ينكر أو يشكو شيئاً من ذلك أو حتى يسأل من فعل ذلك ولماذا فعله به وهل يمكن محاكمة هذا الفاعل الذي لا تكفي كل العقوبات عقوبة له. !

.. هذا الفاعل الذي لو وجب الغفران لكل فاعلي كل الأخطار والخطايا لما جاز الغفران له. !

.. إن أقسى وأقبح ما في وجود الموجود أنه لا بد أن يسحب أو يقتل أو يسكت في موجوده كل معاني الرؤية والتفكير والاحتجاج والاشتراط والبسالة والكرامة والغضب والاشمئزاز في تعامله مع وجوده وفي استمساكه به ودفاعه عنه بل وفي افتضاحه به وفي نشوته وسعادته ومباهاته بإعلانه الافتضاح به. !. إن كل عقاب وعذاب لأي موجود وكل موجود لن يوقعه به أو يريده له إلاّ وجوده أي إلاّ من أوجده.

.. إذن ما أقسى وأقبح أن يحكم عليك أو عليَّ بالوجود.. ما أقسى وأقبح من

حكم علينا بذلك إن كان قد حكم به مريداً ومدبراً. وما أجهله وأعظم جنونه إن كان قد حكم به بلا إرادة وتدبير ومعرفة. !.. إن من استفرغ وجودنا وكل وجود استفراغاً لا تدبيراً أو تخطيطاً أو إرادة لأقل قبحاً وذنباً ونذالة. !

.. إن أصغر معاني ذلك ألا أقاسي أو تقاسي من أي شعور بالعار أو الاشمئزاز أو الانفجاع أو الاحتجاج أو الغضب من وجودنا أو عليه أو به مهما كان قبحه وهوانه وعذابه وبلادته ونذالته وفضائحه وسقوطه.. يا إلهي الذي لن يجد إشفاقاً ورثاء مثل إشفاقي عليه ورثائي له.. الذي لن يجد مدافعاً عنه أو محاولاً ستر عيوبه وذنوبه مثلي. يا إلهي هذا إني أطالبك بل آمرك أمر راث راحم مشفق أن تفكر في هذا: لماذا لا ترفض أن تحتقر أو تلعن أو تحارب وجودك الأليم الحزين المهزوم البائس الكريه؟

لماذا تحاول أو تريد فراقه أو تغييره؟

هل يوجد استسلام أو جمود أو تبلد مثل ألاّ تحاول ذلك؟

هل يمكن أن يكون أو أن تجد لهذا أي تفسير غير أن من حكم عليه بأن يكون موجوداً فلا بدَّ أن تصمت أو تهزم أو تموت فيه كل معاني الذكاء والرؤية والغضب والاحتجاج والاشمئزاز والاندهاش والاشتراط والرفض والمساءلة والمحاكمة مثل موتها وهزيمتها وصمتها في أردأ وأصغر الحشرات؟

حتى أنت يا إلهي قد حكم عليك بأن تهزم أو تصمت أو تموت فيك كل هذه المعاني لأنك قد أصبحت موجوداً..!. من وهب وجود الكائن كل هذه القدرة على أن يميت فيه كل معاني الرؤية والغضب والاشتراط؟

آه يا إلهي. ماذا يمكن أن تجد أو ترى نفسك أو تفعل بنفسك لو أنه كان فيك أو بقي فيك أي قدر من معاني الرؤية أو الاحتجاج أو الانفجاع أو الغضب أو الاشتراط أو الاشمئزاز أو الاندهاش أو المحاسبة أو المساءلة أو القراءة أو التفسير لنفسك أو لأي شيء؟

من قسَّم يا إلهي هذه المعاني وحرمك منها؟ لماذا جاء هذا المقسم معادياً لك؟

يا إلهي يا أكبر وأشهر موجود، ويا أصغر وأشقى موجود.. يا أظهر وأقوى وأكرم موجود. ويا أخفى وأضعف وأبخل موجود. !.. يا من هو كل شيء دون أن يكون أي شيء. !

يا إلهي يا من تراه كل العيون العمياء دون أن تراه أية عين مبصرة. !

لماذا أنت يا إلهي الكائن الذي تراه كل العيون التي لا ترى ولا تراه عين ترى؟

. . والآن بعد هذه الرحلة الطويلة في محاكمتك ومحاورتك أريد أن أذكر أو أفسّر لك قضية لعلها لم تتعامل مع تفكيرك ولا مع تفكير أحد من أنبيائك أو عبادك أو من ملائكتك وأعوانك ومستشاريك أو مع خيالك أو خيال أحد من هؤلاء يا إلهي . .

اغفر لي يا إلهي بل أشفق عليَّ يا وارث وأحزن لي بكل الشهامة والنبل لأني مريض جداً بمرض ما أقل من يصابون به . !

بمرض المساءلة والمحاسب والمحاكمة والرؤية والمحاورة والقراءة . . ليست القراءة للحروف بل لأخلاق ومنطق الأشياء . كل الأشياء حتى لأخلاقك ومنطقك أنت . آه يا إلهي ما أقسى هذا المرض . !

إنك يا إلهي لا تستطيع أن تعرف قسوته لأنك لم تجربه ولأنك فاقد التحديق فيما تواجه . . لأني مريض بهذا المرض الذي كم أتمنى أن تكون يا إلهي قد مرضت به ومرض به كل أنبيائك وأعوانك ومستشاريك وجميع المتحدثين عنك والمفسرين لك والمتعاملين معك . . لأني مريض بهذا المرض الذي كم كان يجب أن تتداوى أنت وكل معلميك ومفسريك به من كل معانيكم وتعبيراتكم . . بهذا المرض الذي لا يوجد أحق منك به إلاّ أنفع منه بك ولك . والذي لم يحم أحد منه مثلما حميت منه أنت وجميع المعلمين والمبلغين عنك . . ما أنبل وأنفع وأتقى هذا المرض لو أنه تجمع فيك يا إلهي وفي جميع موظفيك من أنبياء وملائكة وزبانية . !

. . القضية التي أريد أن أفسرها وأذكرها لك يا إلهي هي : أن إيجاد كائن لم يكن موجوداً أي إعطاءه الوجود أو الإلقاء به في الوجود لن يكون ربحاً أو عطاء له مهما كانت ضخامة وجودة وجوده وجودة وضخامة ظروف وجوده . !

إن المفقود لا يعطى ولا يربح . ومن حاول إعطاءه أو إرباحه فلن تفهمه أية بلادة!

. . إن الربح والعطاء لا يكونان إلاّ لمن وجد ليتعالج بهما من ضرورات ومجاعات وتفاهات وورطات وآلام وجوده . !

إن الحاجة إلى الربح والعطاء ليست إلاّ شيئاً من إذلال وقبح أن نكون موجودين .

. . إنهما أي الربح والعطاء ليسا في كل حالاتهما وظروفهما وتفاسيرهما الأردأ على ورطة الوجود وتخفيفاً من عذابهما وقبحهما واستجابة لنداء واستغاثة مخاوف ومخاطر واحتياجات من حكم عليه بهذه الورطة . . !

إن من لم يوجد لغني عن كل ربح وعطاء وأخذ وانتصار ومساعدة. ما أغناه وأشرفه إذن.. إنه لجنون لا ينافسه أي جنون أن نوجد من لم يكن موجوداً أي من لم يكن يجوع أو يمرض أو يخاف أو يحزن أو يتعب أو يحقد أو يحسد أو يغار أو يعادي ويشتهي أو يفرز أردأ وأقبح الفضلات من جسمه بل ومن عقله وقلبه وأخلاقه وضميره ولسانه.. يفرزها ويستفرغها بأقبح وأوقح وأفضح الأساليب..

أي أن نوجد من لم يكن موجوداً ليكون كل ذلك وليواجهه ويقاسيه.. لكي يكون أعظم العطاء والربح أن يقاوم ذلك أي يقاوم الجوع والمرض والخوف والحزن والتعب والغيرة والحسد والحقد والعداوة والشهوة والإفرازات.. ليكون كل نضاله واهتماماته وانتصاراته وعبقرياته وحروبه أن يقاوم وجوده ومعاني وجوده..

أليست حياة كل موجود نضالاً ضد وجوده. ضد احتياجات وضرورات وآلام وأخلاق وتفاهات ونذالات وجوده؟

.. إنه لربح وعطاء ومنطق أن ينقذ من وجد أو يحاول إنقاذه من مرضه وخوفه وجوعه ومن كل آلامه واحتياجاته وشكاياته وتشوهاته ونقائصه التي فرضها عليه وجوده أي من عواقب وأخلاق وجوده.. ولكنه لن يكون شيئاً من الربح أو العطاء أو المنطق أو يوجد غير الموجود ليصاب بكل ذلك أو ببعضه أو ليكون معرضاً له أبداً لكي ينقذ أو يحاول إنقاذه مما أصابه أو عرضه له وجوده أي إيجاده الذي فرض عليه دون أن يرضى أو يعرف أو يختار أو يستأذن أو يكون له أي منطق أو هدف معروف أو منتظرة معرفته..!

كيف أصيب كل العالم. عالم الأرض والسماء بكل العمى والغفلة والبلادة؟.

.. أنت موجود إذن أنت تستحق أن تربح وتعطي وتأخذ بل ويجب ليكون ذلك تداوياً من وجودك وعذاب وقبح وجودك.. أنت غير موجود إذن ما أقبح وأوقح أن توجد لكي تصبح محتاجاً إلى الربح والعطاء والأخذ لتعالج به آلام واحتياجات وتفاهات وحماقات وهموم ومتاعب وعبث وجودك.

.. إن أي موجود وكل موجود ليس إلاّ محكوماً عليه وليس محكوماً له. إنه محكوم عليه مهما حكم له. إن الحكم له ليس إلاّ بعض التفاسير للحكم عليه. إن كل موجود هو خاسر ومأخوذ منه ومهزوم ومحكوم عليه وحزين وعار ومفتضح ونذل مهما ربح وأخذ وانتصر واستتر ولبس وفرح وحكم له وأصبح أعظم وأشهر شهم.!

.. إن من داواني وشفاني من أمراضي وتشوهاتي وآلامي ومخاوفي فلا بد أن

يكون ويحسب معطياً ونافعاً ونبيلاً أي بعد الحكم عليَّ بالوجود لكي أصبح محكوماً عليَّ واقعاً أو متوقعاً بكل الأمراض والآلام والتشوهات والمخاطر. !

.. أما من أوجدني لأمرض وأتشوه وأخاف وأتالم وأهون وأصغر وأكذب وأجوع وأنافق أو أعد لأكون كل ذلك أو شيئاً منه فلن يكون إلاّ نذلاً ومعتدياً وسفيهاً ومسيئاً وسخيفاً مهما عالجني وحماني من كل ذلك أو حاول أن يعالجني ويحميني منه. وهنا لا بد أن نكرر كيف أصيب كل عالم السماء والأرض بكل هذه البلادة والغفلة والعمى؟

.. إن كل اللذات والمسرات والانتصارات والحضارات والأمجاد أي كل ما يحسب كذلك ليست إلاّ الأساليب مختلفة وخادعة مخدوعة من أساليب مواجهاتنا لمشاكل وآلام وقبح وعبث وقسوة وجودنا.. إن أي انتصار ننتصره ليس انتصارا على أي عدو أو على أي شيء ولكنه انتصار على وجودنا لأننا أبداً في حرب معه لأن كل حروبنا ضده أي ضد وجودنا وحده مهما اختلفت أو تعددت الصور.. وكذلك جميع هزائمنا. ليست إلاّ هزائم أمام وجودنا وبوجودنا. إن إرادة واحتياج من وجد إلى الربح والعطاء وبحثه عنهما بل وظفره وفرحه بهما لن يكون إلاّ تعبيراً أليماً عن خسرانه بوجوده وعن تعاسة وجوده!

.. إن الإنسان لا يعبر عن آثام وقبح وعبث وخسران وجوده إلاّ بقدر ما يصبح حشرة بكل تفاسير الحشرة مسحوبة منه كل معاني الإنسان وتفاسيره. !

وقد نحتاج أن نعتذر هنا إلى الحشرة فإن للحشرة تعبيرات قد تفسر بأنها ترى مأساة وحقارة وجودها وبأنها تقاسي ذلك.. والحشرة كذلك لا تصلي لوجودها ولموجدها إعجاباً وشكراً ورضاً كما يفعل الإنسان. !

إن الحشرات لا تشيد المعابد أو الهياكل والمحاريب ولا ترفع المنابر ولا تنزل الكتب المقدسة ولا تلد الأنبياء والدجالين وتوظفهم.. إنها لا تفعل شيئاً من ذلك لكي تؤمر وتعلم أن تصلي وتتعبد لوجودها وموجدها إعجاباً وشكراً وحباً وانبهاراً وثناء كما يفعل الإنسان. !

نعم، إن الحشرات لا تشيد أو ترفع أو تنزل أو تدل أو حتى تعرف شيئاً أو أحداً من هذه أو هؤلاء لكي تشحن ويشحنوا نفوسها وقلوبها وأخلاقها ونياتها وعلاقاتها وكل حياتها وتاريخها بأوقح وأبذأ العداوات والخصومات والأحقاد والبغضاء وبكل الشرور المعملة المحولة إلى أديان ومذاهب وأمجاد وبطولات كما يفعل الإنسان بنفسه. !

إذن كم كان الإنسان سفيهاً وظالماً ومغروراً وأعمى حينما ظل أبداً يحقر ويعير

الحشرات مقارناً وحاسباً لها بنفسه. إن عفونات وقباحات ووقاحات وبلادات وأخطاء ومظالم وفحش وخسة زعيم أو قائد أو نبي أو معلم واحد من البشر لا تستطيع جميع أوحال وصغائر جميع الحشرات أن تجرؤ على منافسة شيء منها.!. إن قبر واحد من هؤلاء ليثوى فيه من العفن ما لا تستطيعه كل الحشرات. أجل، إن الإنسان متفوق في إبداعه وذكائه وحضاراته وقدراته وفي قوانينه وتعاليمه ولغاته وآدابه وأشعاره وأديانه وصلواته وخيالاته وطموحه تفوقاً لا يقارن بأي شيء نراه أو نعرفه في الكون الذي نسكنه.. ولكنه تفوق يتحول في محاسبته، في محاسبة أرباحه وخسرانه وعواقبه إلى تخلف كئيب رهيب أليم شامل.!

حتى لكأن في الوجود، في وجود كل موجود قانوناً شريراً لا بدَّ أن يحول المتفوق جداً في كل قدراته وإبداعاته ومواهبه إلى متخلف وقبيح ونذل وشقي وخاسر وشرير جداً في كل معانيه وتفاسيره وتعبيراته ونياته ومعاناته.. في كل معاني السعادة والبراءة والنظافة والصدق والشرف والكرامة والأمانة والأمان.!

كأن في الوجود قانوناً يقضي بأن الموجود بقدر ما يكون كبيراً في وجوده..

في مواهبه وأفعاله ووظائفه ومسؤولياته وفي طموحه وآماله وخياله وأشواقه واحتياجاته فلا بد أن يكون كبيراً بقدر ذلك في ذنوبه وأخطائه وآلامه وأحزانه وتلوثه وتلويثه بل وفي مخاوفه ومتاعبه وهزائمه بل وفي خسرانه والخسران به أي وفي إيقاعه للخسران بالآخرين وفي عذابه وتعذيبه.!

أليس الكائن يخاف ويجبن ويكذب وينافق ويهون ويتوقع الهزائم والمشاكل والورطات بقدر ما يكون قوياً ومنتصراً وفعالاً وكبيراً كبير الذات أو كبير المعاني؟

أليس الكائن معرضاً للتصادم والتحطم والتحطيم والخوف والتخويف بقدر ضخامة ذاته ووظائفه ومكانه؟

وقد تكون أنت يا إلهي أكبر وأشهر نموذج لهذا الكائن الكبير في هذا وهذا أي للكبير في الشيء وفي نقيضه أو لهذا الكبير الصغير أي الصغير في تفاسيره ونتائجه لأنه كبير في ذاته وقدراته ومسؤولياته ووظائفه.!

وقد يكون أعوانك وموظفوك من أنبياء وملائكة وكذلك الزعماء والقادة والعظماء من البشر هم النموذج الثاني لذلك أي لهذا القانون الذي يفرض بأن يكون خسران الموجود وكذا الخسران به بقدر ما يكون كبيراً ومسؤولاً وقوياً وحاكماً متحكماً مطاعاً متبوعاً أو معلماً مصدقاً. وكذا يكون عذابه وتعذيبه وأخطاؤه وخطاياه.!. ما أعظم

الفرق بين خطايا وأخطاء وذنوب وعذاب وخسران أقوى وأكبر إنسان وأضعف وأصغر أنسان. !

أرجو يا إلهي أن تكون قد فهمت واقتنعت بأن كل أرباح الإنسان وكذا أي كائن من وجوده أو ما يحسب أرباحاً ومسرات وانتصارات ليس إلاّ تداوياً ومعالجة ومواجهة لخسرانه بوجوده. . ليس إلاّ خضوعاً ذليلاً جباناً غبياً حقيراً لإملاءات ومجاعات وقبح وطغيان وجوده عليه. ليس إلاّ تسديداً لاحتياجات وحماقات وخسائر ومخاوف وتفاهات وجوده. !

وهنا يا إلهي قد يقول لك ذكاؤك الحزين بشيء من مشاعر النشوة والفرح والتعزي والأمل بنصر ما. !

قد يقول لك: إنك قد تظفر بنصر ولو صغيراً جداً على هذه القضية. .

قد يقول لك ذكاؤك الفاضح المهين المعير المحقر لك: إنهم لكثيرون. كثيرون الرابحون من وجودك ومن إيجادك لهم. . !

كم ربح الذين جاءوا وعلموا وأمروا وتزعموا وتسلطوا وتكبروا وكبروا وصعدوا ومجدوا وكذبوا وسرقوا وقتلوا وأذلوا وغزوا وفتحوا بل وفسقوا وزنوا وأصبحوا أرباباً وأنبياء وخلفاء وأبطالاً وقديسين مقدسين معبودين بك وأصبحوا قبوراً وأوثاناً معبودة محجوجاً إليها مطوفاً بها مقبلة بالأيدي والشفاه والدموع والقلوب أكثر مما يفعل لك أنت من ذلك. !؟

. . كما ربح هؤلاء وغيرهم كل هذه الأرباح وغيرها باسم وحجة وجودك والإيمان بك والدفاع عنك والتعبد والإفراح والإسعاد والإرضاء والطاعة والاحترام لك والاستجابة لأوامرك وتعاليمك وشهواتك والتقرب إليك ولامتصاص وتجفيف الدموع والأحزان واليأس من عينيك وقلبك وتجاربك. ! هل وجد رابحون وآخذون بلا أي استحقاق مثل من جاءوا ليتحدثوا عنك وباسمك وعن وجودك؟

. . نعم، يا إلهي قد يقول لك ذكاؤك الذي لم يكن قط عظيماً أو مرتفعاً إلى مستوى ما من مستويات الذكاء. !

قد يقول لك ذلك لينفعك بأنه يوجد من يربحون من وجدوك. !

قد يقول لك إنهم كثيرون، كثيرون جداً هؤلاء الرابحون. !

أليس أجهل وأنذل وأكذب وأفجر الناس يصبحون أعلن وأشرف وأصدق وأتقن البشر لأنهم أعلنوا أنفسهم دعاة وأنصاراً لك؟

.. ويا ليت ذكاءك الذي لم يجده أحد والذي لم يتعامل مع أي شيء أو أحد أو يتعامل به أحد يستطيع أن يفهم أن هذا الذي حسب ربحاً هو أقسى وأشمل أساليب الخسران للذين فعلوه وزعموا رابحين به ورابحيه!

إنه تعبير كريه قبيح عن قسوة ونذالة وبلادة وتفاهة وسخف وضياع وجودهم والوجود الذي يعيشون فيه ويتعاملون معه وبه.. الذي أغراهم وأجاز لهم أن يفعلوا به ذلك.!

هل السارق أو القاتل أو المحتال والكاذب أو المنافق الذي يحرضه ويضطره ويجيز له ضعفه أو غباؤه أو نذالته أو فساده أو قبح ظروفه والظروف التي يعيش فيها أن يفعل ذلك رابح أم خاسر؟ وهل وجوده حينئذ كما وجد ربح أم خسران؟

.. إن الفاعلين هنا والمفعول بهم لخاسرون كل الخسران.. إنهم خاسرون يا إلهي بك ومن أجلك وباسمك وبدعوى الإيمان بك والطاعة والاحترام لك.. إنهم خاسرون بوجودك الذاتي والاعتقادي أو بوجودك الاعتقادي المعنوي الدعائي فقط. إن الوقوع تحت إملاء الخسة والنذالة والخطيئة والخداع لهو أخسر خسران للفاعل مهما كانت النتائج.!

.. إن وجودك إذن يا إلهي لهو كل الخسران حتى لمن حسبوا وزعموا أربح الرابحين.!

وعلى كل الحسابات كيف يمكن أن يكون هؤلاء الذين يفعلون كل ذلك أو يأخذون ويعطون كل ذلك باسمك ومن أجل الإيمان بك رابحين وأنت تزعم أنك لا بد أن تحاسبهم وتعاقبهم أقسى الحساب والعقاب على ما فعلوا وأعطوا وأخذوا؟

وهنا يا إلهي قد يقول لك مرة أخرى ذكاؤك المذكور: إن هناك رابحاً أو رابحين من وجودي تعجز كل الاختلافات عن أن تجرؤ على أي اختلاف في ربحه أو ربحهم مني ومن وجودي ذلك هو إبليس أو الأبالسة أو الشيطان أو الشياطين.!

.. قد تقول بمنطق ولغة وأخلاق ذكائك المشهود في كل شيء: إنه لم يوجد ولن يوجد رابح مني ومن وجودي حتى ولا أنا الإله مثلما ربح الأبالسة أي الشياطين.!

لقد أعطيت أو أعطى وجودي الأبالسة الخلود وكل أمجاد الانتصارات الخالدة الشاملة على كل شيء وكل أحد حتى عليَّ وعلى أنبيائي وأوليائي وملائكتي وعلى كل أنصاري وأعواني دون أي خوف أو توقع من المنافسة. إني لا أعرف أنا لإله انتصاراً مثل انتصار الأبالسة ولا انهزاماً مثل انهزامي أنا وأنصاري.!

. . حتى إن أول أنبيائي، أول إنسان استطاع خيالي تخيله واستطاعت يداي خلقه قد أستطاع إبليس بكل اليسر والسرعة أن يأخذه مني وأن يغلبه ويغلبني عليه بلا أية معاناة، وأن يفرغ منه الجنة التي قاسيت وقاسيت لأخلقها له وأخلقه لها لتصبح فراغاً، فراغاً ويصبح تصميمها وخلقها غلطة خاسرة مهينة قبيحة ذليلة. . لأصبح أنا الإله أغبى وأخسر مخطط وخالق. !

ولكن أليست الآلهة هي دائماً أخسر وأغبى المخططين والخالقين؟

. . وكما انتصر أي إبليس بكل القوة والسهولة والسرعة على أول أنبيائي وأبنائي وأمجادي انتصر وظل ينتصر على كل أنبيائي وأوليائي وأعواني بلا أية مقاساة أو اختلاف في الأساليب والنتائج. !

. . إنه انتصار لا يمكن أن ينهزم وانهزام لا يمكن أن ينتصر. !

لقد أعطيت الأبالسة حقوقاً ونفوذاً ومزايا وامتيازات لعلي أنا الإله لم أعطِ أو لم أستطع أن أعطي نفسي مثلها. .

لقد أزلت وسحبت من أمامهم كل الحواجز والأبعاد والأبواب والحراسات والظلمات ليكونوا ويفعلوا وينتصروا كيف شاءوا. !

إنهم يوجدون ويتحركون ويعملون ويتنقلون ويتعاملون في كل مكان وبيت وقلب وضمير وخلق وعقل وسرير وظلام، وينطقون بكل لسان ومذهب ودين بكل الأساليب والصيغ كل الأوقات دون أي عائق ودون أن يراهم أو يسمعهم أو يعلم بهم أحد أو يعرف أنهم في داخله وفي عقله وقلبه ولسانه ودينه ومذهبه وفوق سريره. . دون أن يلمسوا أو يشموا أو يعتقلوا أو يحاكموا أو ينفوا أو تفرض عليهم أية قيود من أي نوع أو حتى يتهموا اتهاماً قانونياً أو تسحب منهم أية جنسية أو مواطنة يختارونها. إن كل أجهزة البشر وغيرهم وكل قواهم ومخابراتهم لا تستطيع أن تقبض على واحد من هؤلاء الأبالسة أو تعرف مكانه. . !

. . إني يا إلهي أريد أن أحترم نضالك اللاهث وأن أرثي له وأشفق عليه محاولاً أي أنت أن تقنع وتقتنع بأنه يوجد من يربحون من وجودك وبأن أشهر وأربح هؤلاء الرابحين هم الأبالسة. . لهذا كم أنا حريص على أن أسلم لك بهذا المجد أو العزاء أو الانتصار على رثاء وإشفاقاً عليك ولك ولهزائمك الدائمة. . !

ولكن هنا شروط لهذا التسليم أو الإقتناع لا بد منها. . من هذه الشروط أن يثبت أنهم أي الأبالسة قد وجدوا وأنهم موجودون بالمزايا والخصائص الخارقة المزعومة لهم

وأنهم ليسوا وهما إنسانياً تحول إلى وهم إلهي بل إلى هوس إلهي حتى ذهبت بكل الحماس والإرهاق توظف الأنبياء والدعاة والمعلمين لكي يعلموا الإنسان هذا الوهم الذي علمك إياه. !. لقد كان خوفك يا إلهي من هؤلاء الأبالسة لا يشبهه خوف وكان حشدك لمقاومتهم لا يشبهه حشد. إنك لتستحق كل الرثاء. !

أنت يا إلهي ساذج وطيب ومجامل حتى إنك بأخلاقك هذه تذهب بكل الأضرار والجهر والمعاناة تلعن إيمانك بل وتبنيك وتقديسك للأوهام والجهالات والبلادات التي يريدها الآخرون ويريدون الإيمان والتعامل بها والدعوة إليها ويلقونها عليك زاعمين أنك أنت معلمها وعاشقها وخالقها. !

إنك يا إلهي تفعل ذلك سذاجة أحياناً وأحياناً تكرماً وتحرجاً وأحياناً مجاملة وتأدباً مع هؤلاء الآخري المحتاجين إلى الأوهام والجهالات والبلادات وإلى إتهامك بها وإلى إعلانك أبوتك لها. !

هل جامل أحد أحداً أو صبر عليه أو تأدب معه أو غفر إدعاءه عليه مثلما فعلت أنت يا إلهي مع أنبيائك وكل دعاتك الذين زعموا أنهم منك وعنك ومن أجلك جاءوا ليعلموا ويقولوا ويفعلوا ما علموا وقالوا وفعلوا وتركوا؟

هل يمكن أن يكون لصمتك الكريه عن هؤلاء الأنبياء والدعاة الذين جاءوا بالتواتر ليتهموك بكل ما جاءوا به من تعاليم وتهاويل وسذاجات وفواجع عقلية ونفسية وأخلاقية بل ولغوية وتاريخية ودينية.

نعم، هل يمكن أن يكون لصمتك هذا أي تفسير غير أنه صمت المجاملة والتأدب والتحرج والصبر والطيبة والسذاجة والغفران والاستحياء والإشفاق أحياناً على هؤلاء المشوهين المتهمين لك بكل بداواتهم وجاهلياتهم الشاملة المتحولة إلى أديان وعبادات وأحقاد وعداوات خالدة وإلى أبالسة يصبح كل نضالك واهتمامك مقاومة لهم عاجزة مفضوحة؟

.. ومن هذه الشروط أيضا أن تقتنع أنت أو أي أحد من أنصارك ودعاتك ومعلميك بأن ما فعلت بالأبالسة ولهم قد يحسب ربحاً وعطاء بأي تفسير من تفاسير الربح والعطاء..

ألست تزعم برواية أنبيائك وملائكتك عنك أنك قد فعلت بالأبالسة ولهم ما فعلت وأعطيتهم ما أعطيت انتقاماً وغضباً وغيظاً وكيداً؟

وكيف يمكن أن يكون الفعل المعبر عن الانتقام والغضب والغيظ وعن الإرادة لذلك والكيد ربحاً أو عطاء؟

إذن اللَّهم أحرمنا من كل عطائك ومن كل أرباحك والربح منك والربح بتفاسيرك وحساباتك ومنطقك يا إلهي. !

اللهم أحرمنا من حبك وحنانك لأنه لا يوجد فرق بينهما وبين بغضك وعدائك!

.. ومن الشروط لذلك أيضاً ألا تحاسبهم أي الأبالسة وتعاقبهم في الحياة الثانية.

وهل يحاسب أو يعاقب على العطاء الرابح؟

هل يجوز أو يغفر أن يحاسب المعطى الكريم أو المحترم أو العاقل على عطائه؟

هل يكون عطاء أو ربحاً ما سوف يتحول إلى أقسى الحساب والعقاب؟ هل يوجد من يعطي ليحاسب ويعاقب على عطائه؟

.. ولكنك يا إلهي تقول: إنك سوف توقع بهم أقسى عقاب على ما أعطيتهم وعلى ما فعلت بهم ولهم وعلى توظيفك لهم وعلى ما زعمته أعظم ربح وعلى أدائهم لوظائفهم التي أردتها منهم أقوى وأذكى أداء. نعم، هل وجد من أدوا وظائفهم التي أردتها منهم مثل الأبالسة؟ راجع نفسك في ذلك.. ألا تفطن هنا يا إلهي أني أحاورك وأخاطبك وأحاكمك وكأنك كائن قد يتعامل مع أي قدر أو شيء من العقل أو المعقول أو المنطق أو الأخلاق. !

.. توظف الأبالسة في وظائف تحقق لك حكمتك وإرادتك وسعادتك وفرحك وانتصارك ثم تعاقبهم على ذلك.. من يستطيع أن يسمع هذا بشيء من عقله أو أخلاقه أو استحيائه أو اتزانه؟

هل وظفت الأبالسة وأعطيتهم كل هذه القدرة والخلود والمزايا لأنك تريد أن يصنعوا لك الجمال والحق والمجد والفرح والسعادة والقوة أم ليصنعوا لك العكس؟

.. ويحك يا إلهي. ما أقسى وأدوم تعذيبك وترويعك وتفجيعك للمحدقين فيك.. للقارئين المفسرين المحاسبين المشترطين لك وعليك وفيك.. المطالبين والمنتظرين والمفترضين أن تكون في أي معنى من معانيك شيئاً مما يحبون أو يحترمون أو يفهمون أو يعقلون أو يتمنون أو ينتظرون أو حتى يتصورون. !

ألا تكون شيئاً مما قرأوه وعلموه ومجدوه. !

ولكن هل يمكن أن يجدك من يملكون شيئاً من هذه الخصائص لكي يروعوا

ويفجعوا ويعذبوا بك ولك؟ هل يمكن أن يجدك يا إلهي أي راء أو مفسر أو قارئ أو محاسب أو متسائل أو مشترط؟

.. كذلك يا إلهي من هذه الشروط ألا تسحب منهم أي من الأبالسة في الحياة الثانية أو في أية حياة أخرى هذه المزايا والأرباح والانتصارات والعطايا والوظائف التي اخترتهم ليكونوا موظفيها ومنفذيها ومستحقيها وقد رأيت وعايشت وجربت عبقريتهم وقدرتهم وإخلاصهم ووفاءهم في كل ما أردت وانتظرت منهم بل أعظم وأروع وأكثر مما أردت وانتظرت وتوقعت منهم.. لقد رأيت أن توظيفك لمن أردت توظيفهم لم يكن رائعاً وصادقاً مثلما كان للأبالسة.!

.. كم يجب الرثاء والإشفاق على أنبيائك وملائكتك وعلى جميع دعاتك وأنصارك ومحبيك لو حوسب أداؤهم للوظائف التي أردتها منهم بأداء الأبالسة لوظائفهم التي اخترتها لهم واخترتهم لها. وحوسبت النتائج هنا وهنا.! هل فكّر رجالك هؤلاء في الفرق بين أدائهم لما أردت وطلبت منهم وبين أداء الأبالسة لما أردت وطلبت منهم؟

.. أي أن يظل الأبالسة في الحياة الآتية وفي كل حياة قد تأتي مثلما كانوا في هذه الحياة أي يملكون كل هذه المزايا والعطايا والأرباح والوظائف التي وظفتهم فيها لكي يظلوا أبداً متفوقين ومنتصرين عليك وعلى جميع دعاتك وأعوانك وعبادك وعلى كل أحد وكل شيء، وتظل أنت وكل أحد مغلوبين عاجزين لا تستطيعون إلاّ الوعظ ضدهم والتحذير منهم ولعنهم وتأليف وإنزال السور والآيات المتحدثة عن دهائهم وخبثهم وقدرتهم وتسللهم إلى كل شيء وفي كل شيء حتى إلى فردوسك وفي فردوسك الذي شيدته ليكون سكناً وملهى لابنك ونبيك الأول.!

.. ألست يا إلهي أخلاقياً ومنطقياً وذكياً وحكيماً ومحباً جداً لنفسك ولكرامتك ومجدك حينما جعلتهم وأردتهم كذلك في هذه الحياة؟

إذن هل يمكن في أي وقت آت أن تفقد مزاياك وخصائصك هذه أو تغيرها أو ترفضها أو تكرهها أو تتراجع عنها لتكون نقيضها وتفعل نقيضها؟ هل يمكن أن تكون في وقت فرعوناً وفي قوت نبياً!

أليس العدل والحق والصدق والذكاء والحب والجمال والعبقرية هي كذلك في كل زمان ومكان ومطلوبة في كل زمان ومكان؟

إذن كيف يمكن أن يكون إعطاؤك للأبالسة في هذه الحياة كل هذه المزايا والعطايا والأرباح والتفوق والانتصار على كل شيء وكل أحد هو كل العدل والصدق والحق

والحكمة والذكاء والحب والجمال والعبقرية ثم يصبح هو كل النقيض لكل ذلك في الحياة الثانية أو في أية حياة أخرى أو مكان أو زمان آخر؟

كيف يكون الإغواء والإفساد حكمة وجمالاً هنا وقبحاً وسفاهة هناك؟

ليتك يا إلهي تستطيع أن تفهم ما لا يحتاج فهمه إلى أية عبقرية أو إلى أي ذكاء بل ما لا يستطيع أغبى الأغبياء أن يعجز عن فهمه حتى ولو أراد ذلك واحتاج إليه. !

ليتك تتعلم الذكاء والمنطق والأخلاق والنظام والاتزان ولو ممن توعدتهم بالتخليد في الجحيم. !

بل ليتك يا إلهي تتعلم من هؤلاء شيئاً من الحب أو الرحمة أو الشهامة أو الاستحياء أو قراءة ورؤية ومحاسبة الذات. هل أنت يا إلهي الكائن الفرد الذي لا يتعلم من أي شيء أو أحد مهما وجب أن يتعلم؟

.. إن الربح والعطاء اللذين لا بد أن يسحبا أو اللذين يعطيان لكي يسحبا ويسلبا. لكي يسحبهما ويسلبهما من أعطاهما لن يكونا ربحاً أو عطاء.. لن يكونا إلاّ خداعاً ووقاحة ونذالة وإهانة وغدراً وكذباً وإذلالاً وتعذيباً. !

وأنت يا إلهي أليست كل عطاياك وكل الأرباح منك ومن وجودك تتحول إلى هذا الخداع والوقاحة والإهانة والنذالة والغدر والكذب والإذلال والتعذيب لأنك تعطيها لكي تسحبها وتسلبها بأقسى وأوقح الأساليب؟

فكّر، فكّر في هذا.. هل حدث أن أعطيت أو يمكن أن تعطي دون أن تسحب وتسلب وتصمم على أن تسحب وتسلب كل ما أعطيت بأقسى الأساليب وأبلدها وأنذلها وأغدرها؟ أليست كل أساليبك في العطاء يا إلهي مثل أسلوبك حينما تعطي أماً متلهفة اليوم وليداً فريداً لكي تسحبه غداً من أحضانها وعينيها وثدييها دون أن ترى دموعها أو تسمع نواحها أو صلواتها واستغاثاتها أو تهز تطلعاتها إليك نخوتك أو رحمتك.. دون أن تطلق من عينيك أو قلبك دمعة أو آهة ولو تمثيلاً أو استحياء أو تقليداً.. بل دون أن تسمع إلى أنات النجوم وصرخاتها واحتجاجاتها استنكاراً واستفظاعاً لما ترى أي لما تفعل يا إلهي بكل البرود والقسوة والنذالة وبكل الإعجاب بالنفس والرضا عنها والامتداح لها والفخر بها لأنها تقتل وتدمر غداً ما أحيت وولدت وشادت اليوم لأنها تأخذ اليوم سلباً واغتصاباً بكل الوقاحة ما أعطت بالأمس.. لأنها تقتل اليوم الوليد الذي أعطته اليوم.. !

لأنها تلعن وتهدد وتشوه وتمرض وتحارب وتتهم اليوم من صافحته وعانقته

وسالمته وحالفته وأحبته وامتدحته وصادقته ووهبته كل الجمال والصحة بالأمس. . بالأمس. . الأمس. . !

مرة أخرى أطالبك يا إلهي أن تفكّر بل أطالبك أبداً بهذا المطلب البسيط وهو أن تفكّر في هذا الذي كان يجب ألا يحتاج إلى أي تفكير أي أطالبك أن تفكر في هذا: هل أعطيت يا إلهي ولو مرة واحدة بإحدى يديك إلاّ وفي يدك الأخرى بل إلاّ وفي كلتا يديك كل الأسلحة لتسلب وتنهب بكل الوقاحة والفظاظة ما أعطيت بل لتدمر وتعاقب وتقتل من أعطيت. . لتعاقب بكل القسوة اليد التي تقبلت شاكرة عطاءك فرحة به حاسبة أنه عطاء وليس أخذاً وخداعاً. ؟

. . هل نظرت بإحدى عينيك مرحباً مبشراً مبتسماً واعداً إلاّ وحدقت بكلتا عينيك وبكل عضلاتك وملامحك وأسلحتك عابساً منذراً مهدداً متوعداً ضارباً، ضارباً؟

هل وضعت أمام أي وجه مرآة نبيلة جميلة صديقة مفرحة محيية معانقة مرحبة إلاّ وفي نيتك أن تحولها إلى أنذل وأقبح وأوقح وأقسى وأفجع مرآة. . إلاّ وضعت فيها أي في هذه المرآة كل المتفجرات لكي تصيب هذا الوجه بكل التشوهات؟

. . هل قلت يا إلهي، يا إلهي لأي إنسان أو كائن: السلام عليك إلاّ وفي كل نياتك وحساباتك وشهواتك أن تطلق عليه كل آلام وأسلحة وتدمير كل الحروب بل إلا وأطلقت عليه كل ذلك؟

هل أعطيت قامة منتصبة إلاّ ووضعت فيها وحولها كل أجهزة التحطيم والتعجيز والانحناء، أو أعطيت هامة مرتفعة إلاّ وحكمتها وحاصرتها بكل قوانين وضرورات وإملاءات الهبوط والسقوط والركوع؟ هل بنيت سماء إلاّ وصغت كل ذراتها من كل ذرات الحضيض ومعانيه وتفاسيره وكبريائه؟

. . هل أعطيت يا إلهي ملابس عرس إلاّ ودسست في كل خيط من خيوطها كفناً، أو أعطيت أو بنيت قصراً إلاّ وخبأت في كل لبنة وحجر من لبناته وحجارته قبراً؟

. . حتى اللون الذي تهبه تسلبه. . حتى اللون. !

. . إنك تسحب من الشعر سواده الذي وهبته. . !

أما اللون البديل أو الشعر البديل فلا بد أن تسلبه بأسلوب من أساليبك البريئة المحرومة من كل تفاسير الذكاء والتهذيب والراحة والحب والجمال والفنية والشاعرية. !

حتى القدرة على رؤية جمالك في مخلوقاتك وعلى سماع صوتك في قرآنك تسلبها من العينين والأذنين بعد أن أعطيتها أو لأنك أعطيتها. !

. . إذن احزن لي واشفق عليَّ يا إلهي حين أقرؤك أو أفسرك أو أحاسبك أو أحدق فيك أي لأني دائماً أفعل ذلك معك وبك بقدر ما أحزن لك وأشفق عليك وأتعذب بك ولك. . !

. . بل أحزن يا إلهي لنفسك وأشفق عليها خجلاً وتحرجاً وتأثماً مما يوقعه بي تحديقي فيك وقراءتي وتفاسيري ومحاسباتي لك من انفجاع وترويع واشمئزاز وتعذيب، تعذيب. !

إن تعذيبك لي يا إلهي بتحديقي فيك لا يستطيع أي شيء ولا كل شيء أن يكون غفراناً له أو اعتذاراً عنه أو حتى تفسيراً أو تصوراً أو قياساً أو قراءة له. إن كل ضمائر أنبيائك لعاجزة أن تتصور شيئاً من عذابي بتحديقي فيك. !

آه يا إلهي لو كنت تقاسي أو حتى تقرأ أو تفهم أو تتصور شيئاً من معاني الضمير أو الاستحياء أو الرؤية أو الشهامة. !

هل كان ممكناً حينئذ أن نراك أو نجدك أو ترى نفسك أو تجدها؟

إنك يا إلهي الكائن الوحداني الذي لن يعطي شيئاً إلاّ ولا بد أن يأخذه. . بل إلا لكي يأخذه بكل القسوة والترويع والتعذيب والإذلال بل والتحقير والتحطيم والنذالة. !

. . إذن كيف أمكن أن يقبل أي كائن يعرف ذلك عطاءك؟

. . ولكن هل عطاؤك تقبل أم فرض وإلزام وعدوان ووقاحة. . أم هجوم وفضول وضياع وتمزق وتبدد؟

. . هل أنت يا إلهي تعطي أم تعاقب وتورط بما تسميه أو بما يسمى عطاء أم تبصق ذاتك وانفعالاتك وورطاتك وغواياتك دون أن تريد أو تعرف أو تستطيع ألا تفعل؟

. . هل أنت يا إلهي تعطي أم تستفرغ وتتقيأ نفسك على من تحسبهم ويحسبون يعطون؟ هل تعطي يا إلهي بأسلوب أو منطق أذكى أو أحكم أو أعقل أو أفضل من الأسلوب والمنطق اللذين تعطي بهما الزلازل والبراكين والأعاصير والأوبئة والتشوهات والعاهات؟

. . إذن أليس الأنبل والأفضل والأنفع والأستر لك ولمن تعطيهم ألا تعطي. . ألا تعطيهم؟ أليس عطاؤك يا إلهي أقسى وأنذل التفاسير لكل معاني العطاء ونياته وتفاسيره؟

. . ليتك يا إلهي تكون هنا ذكياً أو صادقاً أو شجاعاً أو محترماً لنفسك لكي تقول! وهل أنا أعطي أو أقبل أن أعطي أو حتى أن أكون معايشاً أو مواجهاً أو مصمماً أو مريداً

أو خالقاً لهذا الكون المزعوم عطائي، أو أن أكون موجوداً لكي أكون فيه أو معه أو حوله أو فوته؟

إنه اتهام، اتهام بذيء قبيح عدواني. !. أي لكي تقول ذلك. !

إني أنا المتهم الوحيد البريء الذي لا يستطيع أن يدافع عن نفسه والذي لن يدافع عنه ويبرئه إلاّ من يزعمون ويحسبون أعداءه. !

وهل لك أعداء يا إلهي غير المؤمنين بك أو أصدقاء غير المنكرين لك؟ كيف لا تفهم هذا يا إلهي؟ المؤمن بك يتهمك ويلوثك بكل شيء والمنكر لك يبرئك وينظفك من كل شيء. !

فأيهما الصديق، وأيهما العدو لك؟ فكر في هذا. !

* * *

.. هذه يا إلهي هي الشروط أو بعض الشروط التي لا بدَّ منها لكي يكون احتمالاً الاقتناع بأن الأبالسة رابحون من وجودك وبوجودك بما فعلت بهم ولهم بما وظفتهم له وفيه. !

فهل تستطيع وتريد تحقيق هذه الشروط؟ إنها شروط قاسية ومؤلمة كما ترى أو كما يجب أن ترى..

.. إن أثمان الكرامة والشهامة والنظافة والمجد وشروط ذلك قاسية وغالية ومؤلمة فكيف إذا كان المطالب بأن يدفع ثمن ذلك وشروطه هو الإله؟ هل استطاع أي كائن أن يدفع كل هذه الأثمان أو أن يلتزم بكل هذه الشروط التزاماً منفذاً؟

.. إنك يا إلهي لو عرفت الأثمان والشروط التي يجب أن يدفعها ويلتزم بها الإله، كل إله لما تصورت ظالماً ومعذباً وخادعاً ومحرجاً وفاضحاً مذلاً لك معتدياً عليك مثل من يرضى لك أو يقترح عليك أن تكون إلهاً. !. إن كل السذاجات والغفلات لتترفع على سذاجتك وغفلتك وعنها إن كنت يا إلهي قد تصورت أن الإيمان بك تكريم أو احترام أو مجد لك. !

.. إن كل عذاب وافتضاح وعار وذنوب كل المعذبين والمعذنبين والمفتضحين والفاعلين لكل العار لن يكون شيئاً من عذاب وذنوب وعار وافتضاح الإله أي أنت يا إلهي. !

.. إن كل العيون والأيدي والضمائر والعقول لم تر أو تفعل أو تتقبل أو تدبر أو

ترد من القبح مثلما رأت ودبرت وأرادت وفعلت وتقبلت عيناك ويداك وعقلك وضميرك وأخلاقك يا إلهي. !. إن كل الأيدي الأثيمة لتعد بريئة بل وقديسة لو حوسبت بما فعلت يداك.. هل تجرؤ يا إلهي على أن تنكر أو تخفي شيئاً من ذلك أي من هذا الاتهام لك؟ وهل هذا اتهام أم قراءة ورؤية لك بكل العيون واللغات؟ هل يوجد من يستحق كل الاتهامات مثل الإله المرئي أي لو رئي أو من يجد كل الاتهامات مثل العيون الرائية له أي للإله؟

آه. ما أقبح الإله لو أصبح مرئياً. وما أقسى عذاب العيون الرائية له أي للإله. ! لقد طالت الرحلة يا إلهي، طالت فهل أحتاج إلى الاعتذار إليك أم أنت المحتاج أن تكون المعتذر إلي أم كلانا محتاج إلى أن يكون معتذراً ومعتذراً إليه دون أن يوجد من يقدم إليه الاعتذار أو من يستمع إليه أو من يستحقه، أم كلانا لن يفيده أن يعتذر أو يعتذر إليه؟

لقد عذبتني بتحديقي في خطاياك وعذبتك أنا بمحاكمتك على خطاياك وبتذكيري لك بها وبقراءتي وتفسيري لها عليك ولك. !

وهل أنا معذب بتحديقي فقط في خطاياك أم معذب أيضاً بمقاساتي لخطاياك؟ وأي عذابي أشد؟ وأينا عذب الآخر أكثر؟ وهل أنت يا إلهي تتعذب مهما وجب أن تتعذب؟ ليتك تتعذب العذاب النبيل الذي لم تتعذبه؟

.. إذن أينا المعذب وحده أو أينا المذنب أكثر أي إن كان كلانا مذنباً؟

أيهما المذنب أو المذنب أكثر: فاعل الذنوب أم الرائي المقاسي المحاسب المحاكم لها؟

.. إني بكوني إنساناً لا إلهاً أشعر مهما كانت القضية ومهما كان المذنب وحده أو المذنب أكثر: أنت أم أنا يا إلهي.

ـ أشعر أني محتاج إلى قدر كبير أو صغير من الاستحياء والتهذيب والوقار والإشفاق والتحرج لكي أقف أو اختصر هذه الرحلة المؤلمة الفاجعة الفاضحة لك يا إلهي. !. لقد أخذتك إلى رحلة لم تجرب أو تتصور مثلها وسحبت من فوقك كل الملابس والأغطية والأصباغ والزينات. !

.. إني محتاج إلى أن أفعل ذلك لأني إنسان ولست إلهاً والإنسان مهما كان وزنه الإنساني لا بدَّ أن يكون محكوماً ومفسراً بقدر ما من الاستحياء والتهذيب والوقار والإشفاق والرحمة والحب.. أما الإله.. أما أنت يا إلهي وكذلك كل إله فلا شيء من ذلك.. لا شيء. أي محتاج إلى أن أصاب بالاستحياء والتهذيب والوقار والإشفاق

والتحرج الذي لا تصاب بشيء منه الآلهة. . الذي لا تصاب بشيء منه أنت يا إلهي. هل توجد بلادة أو غفلة مثل بلادة وغفلة الإله الذي لا يصاب بشيء من الاستحياء والتهذيب والوقار؟

. . إذن ليت الإنسان هو مصمم الإله وخالقه وصائغه ومعلمه ومهذبه ومؤدبه وواعظه وليس العكس.

. . إذن لجاء كل شيء أفضل وأنبل وأتقى وأذكى أو لجاء أقل غباء وقبحاً ووحشية مما جاء مهما جاء. !

إذن لجاء الإله أجمل ذاتاً ووجهاً وقلباً وضميراً وعقلاً وخلقاً مما جاء. هل جاء شيء يجب أن يجيء أفضل وأنبل مما جاء مثل الإله؟

أعني ليت الإنسان خلق الإله وخلق كل أخلاقه ومواهبه برؤيته وقدرته وحريته وتمنياته وتصوراته وعبقرياته وطموحه ومثله لا بعجزه وخوفه ونبواته وأوهامه ومنابره ومحاريبه التي خلقت الإله وصاغته وتخيلته لتكون الحشرات والعاهات والتشوهات والأوبئة وكل الآلام هي أجمل وأتقى وأرحم تفاسيره وصيغه ونظافته وضخامته وكبريائه وحبه وجماله وطهارته بل ووضوئه وصلواته لتكون أي كل هذه الآفات هي بعض هداياه السخية الجميلة الممنون بها. !

. . لقد صمم وصاغ وخلق الإنسان الإله أو تصوره من تعاليمه ومحاريبه ومنابره وجهله وعجزه وخوفه لا من منطقه أو طموحه أو تمنياته أو مثله أو أخلاقه أو احتياجاته أو رؤاه أو تطلعاته. لهذا جاء أي الإله خارجاً على كل النماذج العقلية والأخلاقية والجمالية والمثالية والفنية والإنسانية.

بل لقد جاء تدميراً وتشويهاً وقتلاً لكل هذه النماذج. !

إن كل عذاب الإنسان وعذاب كل شيء لا يعني أو لا يساوي إلاّ خروج الإله على كل هذه النماذج، وإلاّ قتله وإهانته وتشويهه ورفضه لها. وإلاّ إرادته وتدبيره وخلقه لنقيضها. !

آه يا إلهي كم أنا مفجوع وحائر معذب وعاجز عن أن أفهم: لماذا خروجك على هذه النماذج ومعاداتك لها؟ أعاجز أنت عنها أم رافض لها؟

. . نعم، تحت ضغوط وإملاءات هذه المعاني الإنسانية على التي لا تتعامل يا إلهي مع أي شيء منها ولا تقاسي منها شيئاً وجب علي أن أقف أو اختصر هذه الرحلة التي لم يعذب ويفضح أحد أحداً بشيء مثلما عذبتك وفضحتك بها أو مثلما

عذبتني وروعتني وفجعتني بها. !. . إن تعذيب خطاياك وأخطائك لي يا إلهي أقسى وأدوم من تعذيب جحيمك لساكنيه ومعذبيه. !

. . إني يا إلهي أروع وأفجع وأتعذب بكل ما يجب وينبغي وينتظر أن يروع ويفجع ويعذب به كل شيء وكل أحد برحلتي هذه معك وفيك وفي محاسبتي ومحاكمتي وقراءتي وتفسيري لك. إني أراع وأفجع وأتعذب وحدي بكل شيء فيك يا إلهي كأني أنا خالقك وصائغك والمسؤول عن كل أخطائك وخطاياك.

. .انظر وافهم وتذكر يا إلهي كيف أعجز عن الصمت وعن التوقف مع أني أريد أن أصمت وأتوقف ومع أنه يجب أن أصمت وأتوقف. . انظر وافهم هذا وحاول أن تجد له تفسيراً. !

هل يمكن أن يكون له أي تفسير غير قسوة عذابي وانفجاعي بك، بتحديقي فيك وقراءاتي وتفاسيري لك واشتراطي عليك وتمنياتي لك بأن تكون كما أحب وكما ينبغي وينتظر أن تكون؟

إن قسوة هذا العذاب والانفجاع هي التي تحرمني أحياناً من الالتزام بما أريد الالتزام به. . إني هنا بكل الحذر والحرج والاستحياء سوف أتسلل داخل حدود قراري بإنهاء هذه الرحلة. .

. . أتسلل إلى هذه المحاورة أو المساءلة التي يطالبني الإشفاق عليك والرثاء لك والتأدب معك يا إلهي بأن تكون الأخيرة. . الأخيرة. . !. ولأن من الواجب أن أكون صادقاً ولو أحياناً كان واجباً أن أسأل: هل أنا مشفق عليك ولك أم على نفسي ولها؟

. . نعم، من بقي ممن يمكن أن يكون وجودك ربحاً أو احتمال ربح لهم؟

تذكر، تذكر يا إلهي هل بقي إلاّ الحيوانات والحشرات والجراثيم والكائنات الأخرى الأصغر والأخفى التي لم تستطع ولن تستطيع عيونك أو تصوراتك ولا عيون أو تصورات أنبيائك أو أوليائك أن تراها أو تتصورها. . !

هل بقي إلاّ هذه؟ لقد سمعت واقتنعت أي فيما أطالب به إن كل أحد وشيء يخسر من وجودك الذي يتحول إلى وجود وإيجاد له. ألا يمكن أن تكون هذه الكائنات خارج هذا الاقتناع؟

. . وقد تحرضني بل قد تلزمني الشهامة الإنسانية والإشفاق عليك والمجاملة الراثية لك أن أحاول بكل الرغبة والحماس تفسير أرباح هذه الكائنات من وجودك

وبوجودك الذي تحول إلى وجود لها. . آه. كما أنا محرج ومعذب حين أعتقد أو أتصور أن وجودك هو الذي أوجد الحشرات والجراثيم وكل ما هو موجود. . !.

. . أليس الانبهار والاندهاش والذهول والرعب بل والانفجاع هو أقل ما لا بد أن أقاسي حين أقرأ ولو بلا تفكير أو محاسبة بعض أرباح هذه الكائنات من وجودك وبعض عطاياك لها يا إلهي؟

بأقسى الصدمات العقلية والأخلاقية والفنية والنفسية وأيضاً بأقسى الرهبة أحاول أن أقرأ شيئاً من هذه الأرباح والعطايا لهذه الكائنات، أي أن أقرأ وأذكر أمثلة من ذلك. !

. . هذا مثل: عوالم الذباب والصراصير والبراغيث والقمل وغيرها من العوالم المشابهة أو المقاربة. وهل وجدت هذه العوالم؟ أليس مطلوباً أن يرفض الإله الاعتراف بوجودها لئلا يتهم بها؟

ولكن هل يمكن تصور أرباح أو عطايا تنافس أرباحها أو تنافس شيئاً من عطاياك يا إلهي لها؟ هل أعطيت يا إلهي شيئاً أو أحداً من الأرباح والمزايا مثلما أعطيت هذه العوالم؟

. . لننظر إلى الذباب أو لنتصوره متنقلاً بكل الكبرياء والفرح والتحدي بين الهامات والجبهات والأنوف والعيون والموائد قافزاً إليها من فوق الأوحال والقذارات وبيوت استفراغ البطون. . ناقلاً إليها بأخفى وأقوى وأدق الأساليب أوقح وأفتك الجراثيم الناقلة لأفدح الأمراض والتشوهات والهاهات والآلام. . لنتصوره بل لنره متربعاً على عرش أي وجه بكل الوقاحات والكبرياء ومشاعر الأمان بل باصقاً على كل وجه. !

. . لننظر إليه ولنتصوره محتلاً للبيوت. . للقصور والقبور والأكواخ والمعابد والمعاهد زاحفاً إليها ومقيماً فيها بلا استئذان أو توقيت أو حراسة أو محاكمة. . بلا أي أسلوب أو قانون من أساليب وقوانين الاستئجار. دون أية استضافة. مغنياً منشداً لنفسه كل أشعار وأناشيد وأغاني الفرح والانتصار والمجد والكبرياء. !

. . وبمثل هذا النظر والتصور أو بأقسى وأفجع من ذلك لنتصور ونقرأ ونرى القمل والبراغيث والصراصير وغيرها. . لنقرأ ونر ونتصور أرباحها وأمجادها التي وهبها إياها وجودك يا إلهي. . لنقرأ ونتصور ونر ضخامة وديمومة سلطانها وقدراتها وانتصاراتها في كل معاركها وغزواتها التاريخية وأيضاً الآنية. .

. . آه يا إلهي ما أصعب وأضخم الشكر الذي يجب أن ترفعه إليك هذه الحشرات أي إن كان الشكر يجب أو لا بد أن يكون متكافئاً مع الإحسان والعطاء والأرباح؟

وقد يقال بل ما أعظم الشكر الذي يجب عليك يا إلهي لهذه الحشرات لعرضها الدائم القوي لجمالك وعبقريتك.. إذن فإن الشكل الذي يجب وينبغي أن يدفعه ويرفعه إليك كل أنبيائك وملائكتك وكل دعاتك وأعوانك لن يكون شيئاً من الشكر الذي يجب أو الذي لا بدَّ أن تدفعه وترفعه إليك يا إلهي هذه الحشرات أي إن كان محتوماً أو مطلوباً أن يكون الشكر على قدر الإحسان والعطاء. هل وجد أي نبي في أي بيت أو على أي وجه أو مائدة مثلما وجدت وتوجد إحدى هذه الحشرات؟

.. اسمع يا إلهي لقد بالغ أنبياؤك ودعاتك جداً في لعن وتحقير هذه الحشرات التي وهبتها يا إلهي كل هذه المزايا والأمجاد والقدرات والانتصارات.!

ما التفسير لذلك؟ ألا يجب أن يكون له تفسير؟

أريد أن أعرض وأقرأ عليك يا إلهي هذا التفسير لهذه القضية.. هذا التفسير الذي أتمنى أن أكون مخطئاً أو ظالماً في تصوري له وفي عرضي له عليك..!.

نعم، ألا يمكن أن يكون التفسير لذلك هو غيرة أنبيائك ودعاتك من هذه الحشرات لما وهبتها وخصصتها به من مزايا وقدرات وانتصارات ومحاباة لا بد أن تصنع حقد وغيرة كل شيء وكل أحد حتى حقد وغيرة أنبيائك وجميع أوليائك.!

إذن ألست أنت الصانع لحقد وغيرة وحسد أنبيائك لهذه الكائنات البريئة؟

.. ذباب يقفز بكل الجرأة والبسالة والوقاحة إلى أنف وعين وجبهة وطعام وكتاب نبي من أنبيائك مغنياً منشداً معلناً عن مجده وانتصاراته وقدراته أمام أتباع وزوجات وأبناء وأقرباء هذا النبي دون أن يستطيع إبادته أو هزيمته أو تفسيره أو تفسير معنى وجوده أي دون أن يستطيع ذلك هذا النبي المحتلة كل معانيه بهذا الذباب وبكل معاني الذباب.!

أليس محتوماً بل أليس مطلوباً أن يصاب هذا النبي بكل الغيرة من هذا الذباب وبكل الحقد عليه؟ أليس أقسى وأشمل وأردأ مستويات البلادة والهوان ألا يصاب هذا النبي بكل الحقد والغيرة والحسد من هذا الذباب وعليه وله؟ بل أليس محتوماً وواجباً أن يشمئز منك يا إلهي كل أنبيائك حين يحاسبون عطاءك لهم بعطائك لهذا الذباب ولأمثاله؟

آه يا إلهي لو قارن أنبياؤك وأولياؤك بين ما أعطيتهم وأعطيت هذه الحشرات من المجد والسلطان.. أليس العجز عن الحقد والغيرة أي أحياناً بلادة وضعفاً وموتاً وهواناً وليس تكرماً أو صفاء أو نبلاً أو طهارة أو شهامة أو ترفعاً أو تقوى؟

أليس ذلك كذلك ولو أحياناً؟ أليس الحقد الذكي أنفع من البلادة بلا حقد؟

ولكن هل وجد من يعجزون أو يعفون عن الحقد والغيرة مهما كان ضعفهم وهوانهم وبلادتهم وسقوطهم.بل وموتهم؟ حتى أنت يا إلهي هل عففت أو ترفعت عن الحقد والحسد والغيرة مهما كان خمولك وبلادتك واسترخاؤك وموتك؟

هل وجد حقد أو غيرة مثل حقدك وغيرتك من الأوثان الصغيرة الطيبة الميتة البريئة وعليها؟

كانت غيرتك من هذه الأوثان وغضبك على أصحابها جنوناً أكبر من كل جنون. !

.. هل وجد أو هل يمكن أن يوجد مصاب مريض مجنون بالغيرة والحقد والحسد مثلك يا إلهي؟

كيف لم تعرف أنت ولا أحد من أنبيائك ودعاتك ذلك؟

هل يمكن تصور حاقد أو حاسد أو مجنون بالغيرة مثل من يغار من الأوثان الخشبية أو الحجرية أو التمثالية أو الفنية الرمزية الشاعرية التذكارية أو مثل من يحسدها ويحقد عليها أو مثل من يتحول حقده إلى جحيم أو إلى تصور جحيم أو إلى أوصاف لجحيم وإلى أحاديث وتعاليم عن جحيم ليعذب به من يقفون أمام هذه الأوثان الصديقة ليناجوها مناجاها مناجاة شاعر لأطلاله وذكرياته.. لأحزانه ومسراته؟

أي هل يمكن تصور حاقد أو حاسد أو مجنون بالغيرة مثلك يا إلهي؟

إن أي طاغية مجنون يغار ويحقد ويحسد ويعاقب لأن قومه يقبلون أطفالهم ويبتسمون لهم وهو يريد كل ذلك له هو وحده ـ إن هذا الطاغية أي لو وجد لن يباريك يا إلهي في غيرتك وحسدك وحقدك على هذه الأوثان البريئة وعلى أصحابها. !

وهذا مثل آخر..

.. عوالم الكائنات المسماة بالجراثيم وكل العوالم الأخرى التي لم تستطع ولن تستطيع يا إلهي لا أنت ولا عيون وأجهزة وحسابات وانتشار مخابراتك ولا نبوءات وتحديقات وغيبيات وتحليقات أنبيائك ولا أنبياؤك وأولياؤك أن تقرأها أو تروها أو تتصوروها أو حتى تتنبأوا بها مع أنها توجد وتعيش وتسكن وتتحرك وتعمل وتتغذى وتتحكم بازدحام وديمومة داخل كل شيء. داخل بيوتكم وأجسامكم وأعضائكم وفوق طعامكم وعيونكم وأخلاقكم وكل صيغ ومعاني حياتكم..

.. مع أنها تصوغ كل كينوناتكم وانفعالاتكم وطاقاتكم وألوانكم وتحركاتكم صحة ومرضاً، قوة وضعفاً، ذكاء وغباء، جمالاً ودمامة. فرحاً وكآبة، انتصاراً وانهزاماً، أنيناً

وغناء، تشاؤماً وتفاؤلاً، رضا عنك وشكراً لك وسخطاً وانفجاعاً بك وعليك يا إلهي. نعم، إن كل ذلك هو بعض ما تفعله هذه الكائنات الجرثومية. !

. . هذه الكائنات تفعل بكم ولكم أكثر وأقوى مما يفعل بكم ولكم آلهتكم وأنبياؤكم. !

. . إن هذه الكائنات كانت وظلت منذ بدء الحياة غالباً تحتل وتفترس وتذل وتقتل وتقاتل وتهزم جميع الكائنات الحية. .

وكان أكثر من كان يقاسي منها ولا يزال يقاسي صفيك وحبيبك ومختارك وفرحك الإنسان. .

وقد تكون مقاساتك أنت يا إلهي ومقاساة أعوانك وجنودك السماويين من هذه الكائنات هي أقسى مقاساة. !

إن هذا هو المفروض والواجب حتى ولو بعيونكم وضمائركم وأخلاقكم. . أليست المقاساة بالعيون والضمائر والأخلاق هي أنبل وأتقى وأشمل وأقسى أنواع المقاساة؟

هل لمن لا يقاسون عيون أو ضمائر أو أخلاق؟ هل العيون التي ترى ولا تقاسي بل ولا تتحول إلى جهاز تعذيب عيون؟

. . هل يمكن أو يقبل ألا تقاسوا من ذلك استحياء وانفجاعاً واستقباحاً وتأثماً وعجزاً وانهزاماً وافتضاحاً حين تواجهون وترون وتسمعون من يقاسون هذه المقاساة أي إن لم تقاسوها بأجسادهم وأعضائكم. أعنيك أنت يا إلهي وأعني أعوانك السماويين؟ أليس من الاحترام والتمجيد لك ولجميع أعوانك هؤلاء يا إلهي الاقتناع والتعليم والإعلان بأنه لا أحد ولا شيء يقاسي أقسى المقاساة وكل المقاساة بعينيه وقلبه وضميره وأخلاقه وبذاته وجسمه أيضاً مثلك أنت يا إلهي ومثل ملائكتك وجميع أعوانك وأصدقائك السماويين؟ أليست المقاساة المعنوية والأدبية هي أقل مستويات الكينونة العاقلة الرائية المحاسبة؟

أليس البديل عن ذلك هو اتهامكم يا سكان السماء بأقسى وأشمل وأدوم وأقبح كل أنواع وأقبح كل أنواع وصيغ وتفاسير البلادات والقسوة والغفلة والنذالة والعمى وفقدان الضمائر والأخلاق والعواطف؟ هل يوجد اتهام يساوي في تفاسير قسوته وبلادته ونذالته اتهام الإله وجميع سكان سماواته بأنهم لا يقاسون مهما واجهوا من يقاسون؟

. . إن من يواجه من يقاسون ثم لا يقاسي حتى ولو لم يكن هو صانع مقاساتهم فلن يكون أكرم أو أنبل من أية حشرة فكيف إذا كان هذا المواجه هو صانع المقاساة؟

لهذا كم أرفض يا إلهي ألا تكون أنت وأعوانك أكرم أو أنبل من أية حشرة في مواجهة من يقاسون. !

. . إنك يا إلهي دون أن تريد أو تدبر أو حتى تدري قد خلقت أو ولدت هذه الكائنات ووهبتها كل هذه المواهب والطاقات الخارقة والمحيرة بل المعجزة والهازمة لكل التفاسير والقوانين والاحتمالات المفهومة أو المتصورة.

ولكن لعلك لم تخلقها أو تلدها وإنما تقاطرت وتسللت من دموعك وأحزانك وكآباتك وأحقادك وبغضائك وآلامك وهزائمك ومن عرق عجزك وإعيائك واستحيائك وفضائحك وندمك!.

لعلها كانت وجاءت أقسى وأقوى وأصدق إفرازات واستفراغات ذاتك الآلية أي غير المرادة والمدبرة أو المصممة أو المعشوقة أو المشعور بها أو المنزلة والمعلمة والمروية في تعاليم وكتب ونبوات أنبيائك. !. .

بل لعلها كانت كل طاقات وتفاسير أعصابك وعضلاتك وتمنياتك. وأيضاً كل طاقاتك وتفاسير أخلاقك وذكائك وعقلك وتدبيرك سرقتها منك أو تساقطت وهربت منك لتكون هي بكل هذه الطاقات والانتصارات وتكون أنت بكل هذا العجز والهزائم. !

لعلها أي هذه الكائنات الجرثومية قد امتصت منك يا إلهي كل المعاني المفترضة فيك والمطلوبة منك لكي تجيء هي بكل هذه المعاني الفاعلة وتجيء أنت بكل هذا الفقد لكل هذه المعاني. !

أي لعلها فعلت ذلك حينما أفرزتها واستفرغتها ذاتك أو حينما تسللت من ذاتك دون أن تريد أو تدري أو تحزن أو تبكي أو تشكو. !

أليست هذه التفاسير هي أكثر التفاسير براً بك وإشفاقاً عليك ودفاعاً عنك وستراً على ما لا يمكن الستر عليه؟ أليست أجمل التفاسير لك هي أردأ التفاسير المعقولة والمحترمة؟

هل يقبل أي كائن مهما كان ضعفه وجهله وبلادته وسقوطه أن يفسر سلوكه ومنطقه بتفاسير سلوكك ومنطقك؟

هل تستطيع أنت يا إلهي وجميع أجهزة إحصائك أن تحصوا الاهتمامات والأوقات والطاقات الفكرية والعلمية والنفسية التي استهلكها البشر في كل أجيالهم وأطوارهم ومتاهاتهم لكي يكتشفوا ويجدوا ويعرفوا هذه الكائنات الجرثومية ولكي يقرأوا ويتعلموا أخلاقها وطاقاتها ووظائفها ومن أين تجيء ولماذا تجيء وأين توجد ولماذا توجد وماذا

تفعل ولماذا وبمن تفعل ومن أراد لها أن تفعل وأوجدها لتفعل.. من فتن بجمالها وضخامتها ونظافتها فوهبها كل هذه العبقريات والقدرات.. وكيف يقاومونها ويهربون ويتحصنون ويتداوون منها ويضعون الحدود والسدود والحواجز والحراسات بينهم وبينها..

.. وكيف يتضرعون إليك وإلى أوليائك وأدعيائك وأنبيائك ويقدمون لكم وإليكم التمائم والرقى والتعاويذ والهدايا والقرابين والرشوات والصلوات وكل السخافات والبلادات والمهانات والمذلات العقلية والنفسية والأخلاقية والاعتقادية.. لكي تحموهم أو تنقذوهم منها أو لكي تخففوا عنهم من غزواتها وضرباتها وانتصاراتها بنصائحكم وعظاتكم وإرشاداتكم لها..

.. لكي تنصحوها أي تنصحوا هذه الكائنات الجرثومية بأن تعاملهم بشيء من الإشفاق والرحمة.. بأن تضربهم وتفترسهم ببعض أنيابهم وعضلاتها لا بكل أنيابها وعضلاتها.!

وهنا لا بد أن يتفجر هذا السؤال الحاد بل القاتل:

كيف لم تفعل أنت ولا أحد من أعوانك أو أجهزتك شيئاً لمساعدة البشر على نضالهم الطويل الأليم الحزين الفادح التعذيب الذي ظللتم ترونه وتواجهونه وتسمعونه وتقرأونه وتتعذبون وتفجعون به وتحترقون استحياء منه ومن عاره وتحقيره وتعبيره لكم في كل تاريخكم وتاريخ البشر أعني إن كانت لكم عيون أو آذان أو ضمائر أو أخلاق ترى أو تسمع أو تقبل أو ترفض أو ترضى أو تغضب أو تعجب أو تشمئز أو تتخاطب مع أي شيء أو يخاطبها أي شيء..

.. أعني إن لم تكونوا أميين أمية شاملة ودائمة في كل أحاسيسكم وحواسكم وصيغكم وتفاسيركم ومعانيكم أعني مساعدتهم على نضالهم هذه لمقاومة هذه الكائنات التي لم يعرف شبيه لها في دقة واختفاء ذواتها ولا في ذكاء وقوة وتسديد ضرباتها وهجماتها؟ لقد كانت القاتل المقاتل الذي لا يراه أو يجده أو يعرفه مقتوله.!

هل كان تخليكم عن هذه المساعدة عجزاً أم قسوة أم بلادة أم نذالة أن شماتة أم استمتاعاً أم غيبوبة أم تفسيراً آخر؟

وهل يمكن أن يوجد هذا التفسير الآخر؟

ليتني أجد هذا التفسير الآخر الذي هو أفضل أو أقل قبحاً من كل هذه التفاسير

لكي يخف عذابي وانفجاعي واستقباحي واشمئزازي بكم ومنكم أعنيك أنت وأعوانك وأجهزتك يا إلهي. !

قد ترى وتقتنع يا إلهي أنت وجميع أنبيائك ودعاتك والمؤمنين بك أن هذين المثلين أو النموذجين قادران على الاقتناع بأن أرباح هذه الكائنات من وجودك وعطاياك لها ضخمة، ضخمة. !

قد ترون أي أنت وأعوانك وشعراؤك يا إلهي إني بهذه التفاسير لأرباح هذه الكائنات قد استطعت أن أهبكم القدرة على هذا الاقتناع. !. وكم أسعد لو استطعت أن أقدم شيئاً قد يهبكم شيئاً من الرضا عن النفس ومن الإعجاب بها..

.. ولو اخترنا لأسباب إنسانية ألا نفسد عليك فرحك وبهذا الاقتناع وألا نحاورك فيه أو نحاسبك عليه مع أن الالتزامات العقلية والأخلاقية تفرض علينا أن نفعل ذلك بك ومعك ـ نعم، لو اخترنا هذا فهل ترضى وتطمئن إلى أننا في حوارنا لك لم نكن راغبين في الانتصار عليك أكثر من رغبتنا في أن نجد منك وفيك ما قد يحمد أو يرضي أو حتى ما يقبل أو يعقل يا إلهي؟ إن الانتصار على الإله لن يكون في تفاسيره ونتائجه انتصاراً. لن يكون إلا انهزاماً للمنتصر وللمهزوم أو للمنتصر فقط أي في عواقبه ومعانيه. !

.. في هذه اللحظات وتحت إيحاءات هذا الحوار عما تربحه وتستفيده من وجودك هذه الكائنات أي الحيوانات والحشرات والجراثيم وغيرها من الكائنات التي لم تستطع ولن تستطيع أن تراها عيونك أو تكتشفها أو تعرف مكانها أو أوصافها أو وظائفها أجهزة مخابراتك يا إلهي.

ـ أجل. هنا لا بدَّ أن يصرخ هذا السؤال المحرج الموجع ليقول بكل اللغات والأصوات:

وأنت أيها الإله ماذا تربح أو تستفيد من وجود هذه الكائنات ومن إيجادك لها أي الحيوانات والحشرات والجراثيم والكائنات التي هي أدق وأخفى منها أي إن كان يوجد ما هو أدق وأخفى منها؟

أليس محتوماً أن تكون لك يا إلهي أرباح من نوع ما وألا تكون خاسراً أبداً؟

.. هل يقبل يا إلهي أن يشترط أو يطلب الربح لها أي لهذه الكائنات المسماة بالكائنات الدنيا من وجودك ويسألة ويبحث عن هذا الربح ثم لا يشترط أو يطلب أو يسأل أو يبحث عن الربح لك من وجودها؟ هل يقبل أن تكون ربحاً وعطاء لكل شيء دون أن يكون أي شيء عطاء أو ربحاً لك يا إلهي؟

.. أو هل يحدث أن يريد ويخطط ويفعل أي كائن بلا أي ربح أو تأميل في أي ربح أي ولو ربحاً هزلياً أو نفسياً أو من أي نوع بأي تفسير؟ هل يقبل يا إلهي أي كائن مهما كان بؤسه وضعفه أن تفسر حظوظه وتفاسيره وبالحظوظ والتفاسير التي أرادها لك أنبياؤك ودعاتك؟

.. لقد قلت يا إلهي وقال آخرون إن ربحك من وجود الجن والإنس أنهم يؤمنون بك ويعبدونك وأنهم أيضاً يعزون ويسلون ويلهون ويجاملون أحزانك وحرمانك وفراغك وضياعك وحيرتك بمناجاتك ودعائك وبالهتاف لك وباستماعك إليهم وانتظارهم لحضورك أو ظهورك وبتحديقهم في السماء ليروك راكباً كل النجوم والسحاب والرياح قادماً هابطاً إليهم لابساً أجمل أزيائك صانعين لك بذلك كل الضحك والفرح الأبله الحزين. !

هل تنتظر أو تتمنى أو تطلب يا إلهي ربحا يساوي في حساباتك هذا الربح؟

.. ولعلهم أيضاً أي الجن والإنس يصنعون لك هذا العزاء والتسلي والتلهي والفرح والضحك بل والطرب والشماتة بتعاديهم ومخاصماتهم وملاعناتهم وانقساماتهم وحروبهم وبجهالاتهم وبلاداتهم وسفاهاتهم وبانتماءاتهم القومية والدينية المذهبية والتاريخية والمكانية المصابة بكل تفاسير الغرور والغباء والوقاحة والعدوانية والخطابية ولعلهم أيضاً يصنعون لك يا إلهي اللذة التي حرمت منها حين تشاهدهم فوق سررهم يفعلونها بكل النشوة والجنون والافتضاح السعيد. !

.. أليسوا بكل هذه الآثام والمخازي يصنعون لك يا إلهي كل هذه النشوات والمسرات والرقصات الروحية البلهاء وإلاّ فكيف ولماذا أردتهم وتقبلتهم وصغتهم كذلك؟

أليس الحكم عليك يا إلهي بأنك تحب وتريد ما يحدث وتسعد وتفرح وتتعزى وتتلهى وتتداوى روحياً وعقلياً وأخلاقياً وفنياً به أفضل أو أقل هجاء وذماً وسباً وإهانة لك من الحكم عليك بأنك مكره عليه بكل صيغه وتفاسيره. أو بأنك لا تعرف أو تدبر أو تريد ما تفعل أو ما يحدث؟

ولكن أليس الأفضل لك أن تكون مستفرغاً لا مدبراً أو مريداً أو فاعلاً؟

أليس الحكم عليك يا إلهي هو أبداً أحد اختيارين كلاهما أليم وحزين ومهين وفاضح فاجع. أو أحد خيارات كلها كذلك؟

ألست يا إلهي الكائن الفريد الذي لن يستطيع جميع محبيه ومحترميه وجميع

المشفقين عليه أن يختاروا له تفسيراً أو أن يجدوا له تفسيراً يفهمه ويرضاه ويختاره العقل أو الأخلاق. وليس تفسيراً تفرضه الحيرة والعجز والحصار بين الاختيارات الأليمة القبيحة المهينة التي ترفضها بل التي تشمئز منها نماذج المنطق والأخلاق والعدل والحب والكرامة والرحمة والشرف والفنون؟

ألست يا إلهي الكائن الذي لا يمكن أن توجد أو ترى أو حتى تفترض له صورة إلاّ مملوءة بالتشوهات والعاهات والخطايا والفضائح بل والعار والجنون؟

ألست يا إلهي الكائن الذي لن يستطيع أي مصور أو رسام أو مثال أو فنان أن يجد كل نماذجه أي نموذج يرضاه أو يحترمه أو يفهمه أو يعقله أو يتمناه أو يقبل أن يعبر به عن جده أو عن سخريته. عن ضحكه أو عن بكائه، عن حزنه أو عن فرحه؟

انظر يا إلهي إلى وجهك في كل مرآة وفي أية مرآة. انظر إليه ولو بقدر قليل جداً من الرؤية والصدق والشجاعة والمحاكمة ثم انظر هل يمكن أن تجد فيه مهما حاولت أن تحابي نفسك شيئاً يمكن أن يحب أو يقبل أو يعقل أو يغفر أو ألا يثير كل الاشمئزاز والغثيان والانفجاع؟

.. نعم، انظر إليه كذلك في كل حالاته وتعبيراته ثم انظر هل تقبل أو تجرؤ أن تنظر إليه أي إلى وجهك مرة أخرى أو أن يراه أي كائن آخر؟

هل يمكن يا إلهي أن يكون التفسير أنك لا تملك ولا تعرف ولم تملك أو تعرف في كل تاريخك أية مرآة ولم تمرَّ من أمام أية مرآة أو تدخل أي بيت فيه مرآة؟

وكم أرجو ألا يخفى عليك يا إلهي أني أعني هنا وجهك الأخلاقي والمنطقي والفني والكوني وليس وجهك الذاتي فقط.!

.. إن هذا الكون بكل صيغه ومرائيه وأخلاقه وقراءاته وتفاسيره.. بكل أجساده وثيابه.. بكل براغيثه وصراصيره وجراثيمه وذبابه.. بكل إنسانه.. بكل زعماء وأنبياء وقادة ومجانين ودجالي إنسانه. متحاربين ومتعادين ومتخاصمين ومتلاعنين ومتبارزين بأصوات ولغات الزعامات والقيادات العربية ـ نعم، إن كل هذا الكون بكل وقاحاته وعاهاته وتشوهاته وآفاته وذنوبه هذا. أو بكل جماله وفضائله ومزاياه وعبقرياته وفنونه وقوانينه وطهاراته هذه هي بعض صيغ وتعبيرات وجهك يا إلهي. هي بعض جمال وجهك يا إلهي.!

.. إذن كيف لو رأيت وجهك هذا يا إلهي؟ وهل تستطيع أو تجرؤ أن تراه، أن تراه، بل أو أن ترى من رآه أو يراه.. أن ترى أي شيء من صيغ أو تفاسير أو تعبيرات

وجهك هذا؟ هل تستطيع حينئذ أن ترى أية حشرة مفسرة بك أو مفسراً أنت بها مفسراً بها فكرك أو فنك أو جمالك أو نظافتك أو أخلاقك. أن ترى أية حشرة فوق وجهك المعنوي؟

.. ماذا يا إلهي لو أنك لم تلقن لأية عين أو عقل أو خلق ثم طلب من كل العيون والعقول والأخلاق أن تراك أو تتصورك أو تتمناك أو هل يمكن حينئذ أن تتصورك أو تتمناك أو تقبلك أو تعقلك أو تختارك في النموذج الذي جئت به أو الذي وضعت فيه أو الذي جاء أنبياؤك ومعلموك ليقيدوك ويصوغوك ويفسروك به أو الذي جاء ليكون الكون وكل شيء بعض تعبيرات وحالات وجمال وجهك وعقلك وأخلاقك وفنونك؟

وماذا لو أن أي ذباب أو برغوث أو صرصار أو قملة أو وباء عرف أنه بعض صيغ وتعبيرات وجمال وجهك يا إلهي؟

أليس المفروض حينئذ أن يجن ويتأله فرحاً أو أن يموت أو ينتحر اشمئزازاً وخجلاً؟ أكرر أن المراد هنا وجهك المعنوي الفني والأخلاقي.!

.. نعم، قد يقال إن كل هذا هو بعض أرباحك من وجود الجن والإنس يا إلهي أو من إيجادك لهم بل وإنه لا أرباح ولا أمل في أي أرباح لك غير هذه الأرباح التي تربحها أو التي تؤمل أو تظن أو تزعم أنك تربحها من الجنة والناس معتذراً ومكفراً ومعوضاً بذلك عن متاعبك وأحزانك وحرمانك وهزائمك الشاملة!

وأيضاً مفسراً به وجودك الذي لا تعرف من فرضه عليك ومتى فرضه ولماذا بل لقد قيل هذا ولا يزال يقال.. ولقد وجد وسوف يظل يوجد ويتزايد من يصدقون ويعلمون ويفسرون ذلك ويدعون إلى تصديقه وإلى التعبد والصلاة له، ويعلنون أن فرحك بأرباحك هذه قد حولك إلى مهندس وبناء وعامل بل وإلى نخاس تقاسي لكي تبني الفردوس وتملأه بالغلمان والجواري رشوة لواهبيك هذه الأرباح.!

.. بل إن طمعك في هذه الأرباح التي تنتظر أن يهبك إياها وجود الجنة والناس وأملك في الحصول عليها هما اللذان جعلاك تتنازل عن كرامتك وكبريائك ووقارك وتفقد كل ذكائك ورؤيتك وتقاسي متقبلاً كل هذه الإهانات والوقاحات والتفاهات والأكاذيب والمعاصي التي يقذفك ويلوثك ويلعنك ويحقرك ويعاقبك ويذلك ويغيضك بها كل أوقاتك هؤلاء الذين كنت تؤمل مخطئاً خطأً فاضحاً فادحاً أن يهبوك المجد والحب والفرح والسعادة أي الجنة والناس.. إن أحداً لم يخطئ أو يخدع مثلما أخطأت وخدعت يا إلهي في انتظارك للأرباح والأمجاد التي كنت تريدها وتتوقعها من الإنس والجن.!

إنك في هذه القضية أخسر تاجر بل أخسر مقامر. بل إن أخسر المتاجرين والمقامرين لن يقبلوا أن يكونوا أشباهاً وأنداداً لك في خسرانك هذا. !

إن أي تاجر أو مقامر مهما كان عجزه الشامل لن يقبل يا إلهي أن تكون شريكاً أو مساعداً أو ناصحاً له في أية صفقة أي لو أنه وعى وحاسب خيبة وبلادة مقامرتك بخلقك للجن والإنس متاجراً وحاسباً أنك رابح، ومصراً على أنك رابح وعلى أنك سوف تظل تربح. تربح. إن كل المقامرين والمتاجرين الخاسرين لا بدَّ أن يعجبوا بذكاء مقامراتهم ومتاجراتهم أو حاسبوها بذكاء مغامراتك ومتاجراتك هذه يا إلهي. !

إن أقبح ما في هذه القضية يا إلهي أنك خدعت وأخطأت وظللت أبداً مخطئاً مخدوعاً ثم ظللت أبداً عاجزاً عن أن تفهم أو ترى أنك مخطئ مخدوع أي في تأميلك أن يصنع لك الجن والإنس أي ربح أو مجد أو سعادة أو كرامة أو كبرياء أو رضاً عن النفس بل أو ألا يصنعوا لك كل الغيظ والغضب والعذاب والهوان والتحدي المذل المتوقح بل وكل الهزائم في كل الميادين بكل تفاسير وصيغ الهزائم.

إنه لم يوجد ولن يوجد عاجز مثل الإله عن رؤية ومحاسبة وإصلاح خسرانه وأخطائه وعن التراجع عنها أو الاعتراف بها أو الأسى والندم عليها. !

.. إن أي كائن لم يلق من الهوان والخسران والغيظ والعصيان والهزائم مثلما لقيت أنت يا إلهي من جنك وإنسك هؤلاء الذين أردت بهم ومنهم أن تكون تاجراً أو مقامراً رابحاً ناجحاً فجئت أخسر وأبلد تاجر ومقامر. !.. فجئت يا إلهي فضيحة لكل فنون وذكاء وأخلاق المقامرة والمتاجرة بل جئت مستحقاً لكل رثاء وإشفاق كل المقامرين والمتاجرين حتى للخاسرين جداً منهم. !

ولكن ألا ينبغي أن نتركك تستمتع بأوهامك القائلة لك أو المقولة لك وعنك بأنك تربح كل هذه الأرباح أو بعضها من وجود الجن والإنس مؤملين أن تتجمع وتتفرغ كل طاقاتك واهتماماتك وحماساتك لتستمع إلى هذا السؤال أو الحوار الفاجع المهين بل المخجل وهو: ما الذي يمكن أن تستفيده أو تربحه أخلاقك أو كرامتك أو سمعتك أو حكمتك أو رحمتك أو نظافتك أو قوتك أو كبرياؤك أو عيناك أو أذناك أو أي شيء من معانيك أو تفاسيرك أو أشواقك أو مجاعاتك أو أحزانك أو حواسك أو تاريخك أو جمال وجهك أو قوة عضلاتك أو تعاليم ونبوات ووجوه وأخلاق وثياب أنبيائك ودعاتك.

ـ نعم، ما الذي يمكن أن تستفيده أو تربحه أنت يا إلهي بأي معنى أو تفسير من معانيك وتفاسيرك المطلوبة والمرادة لك والمفروضة والمعقولة والممجدة فيك.

ـ ما الذي تربحه أو تستفيده من وجود هذه الكائنات أعني الحشرات والجراثيم والكائنات الأخرى التي قد تكون أخفى وأردأ وأكثر إيذاء ووقاحة وبذاءة وقذارة منها، وكذلك من الحيوانات التي قد نستثني لك بعضها لأنك قد ترى أن بعضها هذا فيه كل الربح والفائدة والسعادة والفرح لك حين ترى الإنسان يسخره ويقهره ويقتله ويذبحه ويضربه ويركبه ويعقله ويعتقله ويسجنه ويجيعه بل ويلعنه ويمثل به ويشوهه ويأكله ويسرقه ويقيده ويلجمه بلا أية قوانين أو حماية أو حقوق أو أسى أو إشفاق أو رحمة وحين ينقصه ويصطاده بأقسى وأنذل الأساليب والأسلحة.. وأيضاً حين ترى هذا الحيوان يقتل ويأكل ويجرح ويشوه ويطارد ويخيف بعضه وأيضاً حين تراه أي هذا الحيوان ضائعاً ضالاً جائعاً.!

ـ نعم. يا إلهي لو سلمنا لك إشفاقاً عليك ومجاملة ورثاء لك بأرباحك هذه المزعومة من مقامرتك ومتاجرتك بخلقك للجن والإنس فما الذي يمكن أن نجده ونزعمه ربحاً لك من هذه الحيوانات والحشرات والجراثيم والكائنات الأخرى مهما حاولنا أن نتعذب مجاملة ورثاء لك وإشفاقاً عليك؟

إنها ورطة، ورطة لك ولنا ولكل العاطفين المشفقين عليك بكل عقولهم وأخلاقهم وقلوبهم وإنسيانياتهم. إن صاحب أي قطيع لن يقبل أن يكون هو وقطعانه مثلك أنت يا إلهي وقطعانك في أي شيء من معاني القطعان وأصحابها.!

.. إن كل صيغ وأساليب وتعبيرات الرثاء والإشفاق لن تكون كافية رثاء لك وإشفاقاً عليك يا إلهي حين تكون ملزماً أو مرجواً أو شاعراً بأنك ملزم أو مرجو أو مطالب أو منتظر منك أن تجد جوابك لهذا السؤال.. أن تكون محاسباً ومحاكماً به. في هذه اللحظة أكاد أسمع الورق والقلم في يدي يصرخان ويستغيثان ويتضرعان إشفاقاً عليك يا إلهي ورثاء وحزناً ليأس وقسوة وهوان وافتضاح موقفك ويطالبانني بشيء من الرحمة، الرحمة بك. وأكاد أسمعهما يهددانني بالعصيان والتوقف عن الحركة إن لم أستجب لطلبهما مني هذا الشيء من الرحمة. الرحمة بك!

رسالة إنسانية إلى ضميرك يا إلهي

.. إنك يا إلهي أنت الكائن الفريد الذي لا يأذن لأحد بلقائه إلاّ بعد أن يقتله، والكائن الفريد الذي يعتقل كل من لقيه أو زاره دون أن يأذن له أو يتركه ليعود إلى وطنه وأهله أو ليختار بين البقاء والعودة. !. لهذا لا أحد يقبل أو يحب لقاءك أو زيارتك حتى ولا أتقى أنبيائك وأوليائك. إنهم يهربون منك أكثر مما يهربون من أي وباء. !

.. لماذا تتفرد يا إلهي بهذا الخلق أو السلوك الذي جعل أتقى عبادك وأنبيائك لا يتعذبون بشيء مثل عذابهم خوفاً من لقائك؟

هل وجدت فيه أي معنى جيد أو مفرح أو ممجد أو مريح لكي تتفرد به ولكي توصف وحدك به؟ كائن لا يأذن لأحد زاره بالعودة ولا يأذن لأحد بزيارته أو بلقائه إلاّ بعد أن يقتله. !. من صاغ هذا الكائن؟

.. ألا يمكن أن تراجع حساباتك في هذه القضية بل وفي كل قضية أخرى؟ ألا يمكن أن تراجع كل خطاك ورؤاك يا إلهي؟

كم أتمنى لك ذلك وأطالبك به. ؟..

لماذا يا إلهي أنت أبداً الكائن الذي لا مثيل ولا نموذج له في خروجه على كل القيم الأخلاقية والحضارية والمنطقية والنفسية والفنية والإنسانية بل وعلى كل القيم والتعاليم الدينية والإلهية؟ نعم، إنه لا يوجد ولن يوجد خارج على جميع القيم والأخلاق والتعاليم الدينية والإلهية مثل الإله أي مثلك يا إلهي! كيف إذن لا توقع بنفسك كل العقاب؟

فكّر يا إلهي فكّر.. هل وجد أو يمكن أن يوجد خارج على كل الأديان وعلى كل تعاليمها وعلى كل معاني الإله وتعاليمه وعاص لكل ذلك مثلك يا إلهي؟

كيف جهلت أنت وكل دعاتك وأنبيائك ذلك؟ كيف وجد من يجهل ذلك؟

فكر يا إلهي: هل يوجد من يستحق العقاب والعذاب لشمول خروجه على الأديان والأخلاق وعلى كل تفاسير ومعاني الإله مثلك يا إلهي؟ إذن كيف لا توقع بنفسك شيئاً مما تستحقه؟

فكّر يا إلهي فكّر: هل يوجد عاص ومحقر للإله مثل الإله؟

فكر يا إلهي فكّر.. أليس العقاب الذي تستحقه أكبر وأقسى وأقوى وأشمل وأعدل من كل عقاب يستحقه جميع المستحقين لكل عقاب أي أليس يجب أن يكون كذلك؟

.. فكّر يا إلهي. فكّر وهل تستطيع أن تفكر؟ وهل يمكن أن أطالبك بأن تفكر لو كنت تستطيع أن تفكر؟

آه. ما أقسى عذاب من يطالب الإله بأن يفكّر وبأن يكون أتقى وأذكى وأزكى وأقوى مما يراه ويجده ويجربه.!

أكرر. أكرر: هل وجد أو هل يمكن أن يوجد خارج على كل معاني الإله مثل الإله أي مثلك يا إلهي؟

هل وصفت نفسك أو وصفك أنبياؤك ودعاتك بأي وصف أو خلق جيد إلاّ وأنت خارج عليه خروجاً مطلقاً.. إلاّ ولا أحد ينافسك في خروجك المطلق عليه؟

وهل وصفت أو وصفوا سلوكاً ذميماً الاّ ولا أحد يباريك فيه؟

.. إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد من يستحق كل العقاب المشروع والمطلوب والمنفذ في كل الشرائع والقوانين مثلك أو غيرك يا إلهي؟ هل تراني أكرر ما أقول؟ إنه ليس تكراراً لغوياً أو لفظياً. إنه تكرار نفسي وعقلي وأخلاقي. إنه فيضان.!

.. كم أتمنى أن تحشد هنا كل معانيك المفترضة والمزعومة لك وفيك يا إلهي لكي أتوجه إليك بطلب أو برجاء فيه من جحيم وحرارة العواطف ما لا بد أن يحرق جلود وضمائر كل الآلهة لو قاست بل لو فهمت أو تصورت شيئاً منه.!

اسمع، اسمع.. لماذا أخذته منا يا إلهي أو مني أنا، أنا؟

هل عرفت من أعني؟ ألست إلهاً؟ إذن هل تقبل أن أرى أنك محتاج إلى أن أقول لك من أعني؟

نعم، لماذا أخذته منا أو مني؟ ألست تعلم حاجتنا إليه؟ إذن لماذا أخذته منا؟ ألا تقاسي يا إلهي من العواطف أو من الرثاء لمن يقاسونها؟

ألست حياً؟ هل أنت حي بلا عواطف، ماذا تساوي حياة حي بلا عواطف؟

هل أخذته غيرة وحسداً لنا أم رغبةً قبيحةً. همجيةً في حرماننا وتعذيبنا؟

لماذا أعطيتنا إياه إن كانت سعادتك وفرحك ومجدك وأخلاقك ومنطقك ونيتك أن تأخذه منا؟

ماذا فعلنا بك يا إلهي لكي تريد وتدبر وتنفذ بنا كل هذا العذاب والحرمان بأخذك له منا؟

.. أما الغيرة والحسد فهل يتخلق بهما أو يقاسي منهما الإله؟

هل يكون ذلك؟ هل يغار أو يحسد أو يحقد من لا يقاسي من العجز أو الهزيمة أو التخلف في كل معانيه وصيغه أو في بعضها؟

إن الغيرة والحسد ليسا إلاّ تعبيراً أو محاولة تعويض عن شيء يفقده الغائر الحاسد ويؤلمه. ويهينه أن يفقده. إن القوي في معانيه أو في واقعه لا يحسد أو يحقد أو يغار بل يعجب ويقتدي ويباري ويتعلم.. ألسنا بعض مخلوقاتك ومخلوقيك يا إلهي؟ وهل يغار الخالق ممن خلق أو يحسده؟ بل هل يجوز أن يعاقبه أو يحاسبه أو حتى يعاتبه إلاّ بالمنطق والخلق اللذين يجوز بهما أن يعاقب ويحاسب ويعاتب الصانع أو الفنان ما خططت وصنعت وصاغت وأرادت وتخيلت يداه وخبرته وقدرته وخياله وفنه وعلمه وأخلاقه وأشواقه وشهواته ورؤاه وحساباته؟

أليس العدل والعقل والحق أن يحاسب ويعاقب المخلوق خالقه وليس العكس؟

.. ومهما جاز لك يا إلهي أن تكون حاسداً فكيف تحسدنا عليه إلى أن تسرقه منا؟

ألست متخماً بمن عندك ومعك وحولك ولك وفي خدمتك وطاعتك وصحبتك من زبانية وملائكة وأنبياء وعوالم سماوية وكونية؟ لهذا سوف أظل أسأل وأسأل بكل الاحتراق واللهفة والحيرة والانفجاع: لماذا أخذته منا؟ لماذا؟

هل رأيت أنه أجمل وأعظم وأكبر من كل هؤلاء لهذا أحسدتنا عليه. لهذا أخذته منا؟ ألا تخشى أن تصنع بهذا غيرة هؤلاء منه وحسدهم له ليصبحوا كلهم أي كل من عندك وحولك ومعك أعداءً له؟

.. هل أنت محتاج إليه احتياجاً مؤلماً محرجاً هازماً لوقارك وتقواك وتهذيبك لهذا آثرت به نفسك علينا لأنك فظ الأنانية متوحشها؟

هل عرفت قوة وشمول احتياجي إليه وأنت مفتون برغبتك في تعذيبي لهذا رأيت أن تعاقبني وتعذبني بأخذه منا؟

إني لا أزال؛عاجزاً عن أن أجد التفسير لأخذك له منا. !

ولكن هل استرحت إليه وتوافقت معه في أي شيء أو في أية قضية بعد معايشتك ومعاشرتك ومجاورتك ومحاورتك له؟

هل يمكن أن يكون ذلك قد حدث؟

إنه هو إنسان. إنسان جداً. أما أنت فإله. إله جداً. وهل يمكن أن يوجد أو يتصور تنافر أو تصادم أو تناقض أو تعاد أو تباعد مثل الذي بين أخلاق ونيات وأفكار ورؤى الإله والإنسان من ذلك!.

إن كل معانيه وأشواقه لا بدَّ أن تنكر وترفض وتستقبح كل معانيك وأشواقك. وأنت لا بدَّ أن تراه وتقف منه نفس الموقف ونفس الرؤية. !. آه ما أقسى المواجهة والمناقضة بين معاني الإله ومعاني الإنسان. !

.. آه يا إلهي ليتك تتحول إلى نموذجه. ليته ينقل إلى ذاتك ذاته. !

ليته يصوغك بمواهبه وأخلاقه. ولكن كم هو فظيع أن تصوغه. !

وهل تستطيع أو تقبل أو تتحمل أن يصوغك لتكون على نموذجه؟

* * *

إذن يا إلهي هل أخذته منا إليك لكي تتعلم منه ما يجب أن تتعلمه أي لكي تكون إلهاً آخر.. إلهاً جيداً ذكياً تقياً أخلاقياً إنسانياً منطقياً بالمستوى الذي هو به في كل ذلك؟ ولكن هل تستطيع يا إلهي ذلك؟ هل تستطيعه؟ وهل تريده؟ ولو أردته فهل تقدر عليه؟

.. إن هذا غرض جيد ونبيل وكريم ومشكور. وكم نتمنى أن يكون هذا هو غرضك المنفذ في أخذك له منا. !

نعم، ولكن الإنسان الذي أخذته منا والذي أطالبك بإعادته إلينا إنسان سريع وقوي جداً في تعليمه وتأثيره.

إذن فالمدة الزمنية التي أقامها معك وعندك كافية لتعليمك وتلقينك ولأخذك عنه كل ما يجب وكل ما تريد أخذه وكل ما تحتاج إلى أخذه مهما كان مستوى ذكائك وحماسك ورغبتك. !

إذن أليس المطلوب والواجب أن تعيده إلينا بالسرعة التي يكون بها غضبك ورضاك

وتقلباتك المتناقصة المتصادمة. . بالسرعة التي بها تخلق وتعطي وبها تقتل وتأخذ وتمنع؟

. . إنك إن كنت تريد وتستطيع أن تتعلم منه فلا بد أن تكون قد تعلمت. وإن لم تكن تريد أو تستطيع ذلك فلماذا تبقيه عندك وأنت لن تريد أو تستفيد منه شيئاً بل وهو لا بدَّ أن يضايق ويتحدى ويذلّ أخلاقك ومنطقك وكل مستوياتك الإلهية بمنطقه وأخلاقه وبكل مستوياته الإنسانية المتفوقة؟

لا تعاقب يا إلهي نفسك بمحاسبتك لها به. بمطالبتها بأن تتعلم منه. . !

. . إن رؤيتي وفهمي لك يا إلهي تقولان لي إنك لن تريد أو تستطيع أن تتعلم منه أي شيء. !. . إن الآلهة هي الكائنات المتفردة التي ترفض أو تعجز أو لا تدري أن تتعلم أي شيء مما يجب تعلمه. !

. . إنك لو تعلمت منه وأنت في قدراتك الهائلة المطلقة المزعومة لصغت هذا الكون وكل شيء صياغات أخرى مناقضة لكل صياغاته المعروفة والمرئية بل لأحرقت هذا الكون وكل شيء فيه اشمئزازاً واستنكاراً واستحياءً وفراراً من قبحه ووحشيته ومن خروجه على كل القيم والنماذج المنطقية والفنية والأخلاقية والجمالية والإنسانية التي وجدتها فيه. أي فيمن أخذته منا. !

بل لكان محتوماً وواجباً أن تفقأ عينيك أو أن تنتحر لئلا ترى أو تواجه أو تعايش أو تقرأ أو تفهم شيئاً مما أردت وصممت وخلقت من هذا الكون وفيه. . إنه لا بلادة ولا عمى مثل بلادة وعمى الإله الذي يظل يواجه ويرى هذا الكون دون أن ينتحر أو يصاب بالعمى. . إنه لصعب أو محال أو أقسى أساليب ونيات الاحتقار لك يا إلهي أن نقول أو نعتقد أنك قد رأيت هذا الكون أو شيئاً منه ثم قبلت أن تبقى لك عينان أو حتى شيء من عين واحدة رائية أو أن تبقى حياً أو حتى موجوداً لترى بهذا الشيء الباقي من العين الواحدة شيئاً من هذا الكون. إنه لا بلادة ولا وحشية مثل بلادة ووحشية من صمم وخلق هذا الكون ثم خلق عيوناً لتراه. !

* * *

إذن بأي إسم أو ثمن أو دعاء أو هتاف أو لغة أو صلاة ندعوك أو نرجوك أو نرشوك أو نتملقك أو نخدعك أو نسحرك أو نقهرك لكي تعيده إلينا بالسرعة التي بها تفقد ذكاءك ووقارك وشهامتك واتزانك وحبك وعدلك واستحياءك بل بالسرعة التي تدلل

بها على أنك بلا أي شيء من ذلك وعلى أنك لم تكن بشيء من ذلك في كل تاريخك وأطوارك وأشواقك وتمنياتك . .

. . إننا يا إلهي باسم ما لا تملك ولم تملك ولن تملك في كل أطوار وجودك أي باسم الشهامة والحب والنبل والعقل والإنسانية والألوهية والإشفاق ندعوك ونطالبك أن تفعل ذلك أي أن تفعل ما لا تريد أو تستطيع أن تفعل . . افعله . افعله أيها الإله المتهم أبداً بما ليس فيه وبما لن يكون فيه . ألا تقاسي من الإشفاق؟

ألم تجرب يا إلهي عذاب الحب والشوق والفراق؟ ألم تتصور قسوة هذا العذاب؟ . . اخترق أخلاقك ومستوياتك وتمرد وتفوق عليها يا إلهي ولو مرة واحدة . ولو هذه المرة الواحدة وأعده إلينا . أعده . أعده . !

آه كم نشكرك يا إلهي لو أعدته إلينا . كم نتحدث حينئذ عن نبلك وفضلك . ! هل تخاف أن نكرر مثل هذا الطلب منك لو استجبت أو إن استجبت له . . أن نكرر هذا الأمل منك وعليك مرة أخرى؟

هل تعاني من الاستحياء أو الحرج إذا خابت كل الآمال والطلبات منك وفيك؟

هل الطلب منك والتأميل فيك اللذان لن تستجيب لهما أو اللذان لن تسمعهما أو تستمع إليهما يزعجانك أو يحرجانك أو حتى يخجلانك؟

هل ترى أن عليك أن تفعل حين يجب أن تفعل وحين يطلب منك ويؤمل أن تفعل؟ هل وجد أو هل يمكن أن يوجد مثلك يا إلهي صمماً وصمتاً وبلادةً ونذالةً وعجزاً وموتاً أمام من يدعونك وينتظرونك ويؤملون فيك ومنك؟

هل تحرج يا إلهي أمام أي رجاء فيك خائب إلاّ مثلما يحرج أي ميت أمام مثل هذا الرجاء فيه؟

أيها الإله . يا إلهي . إن اللصوص والقتلة وكل أصناف المجرمين قد يعيدون من سرقوا أو خطفوا أو ارتهنوا أو استرقوا أو أسروا . .

إذن كيف لا تفعل أنت شيئاً من هذا الكرم أو النبل أو الرحمة أو النخوة؟

كيف قبلت أو كيف يقبل أن تكون أقل من اللصوص والقتلة وكل أنواع المجرمين شهامةً ونبلاً وعقلاً وحباً ورحمةً واستحياءً بل ورجولة؟

. . أرجوك . أرجوك يا إلهي أن ترتفع أو أن تهبط إلى مستوى القتلة واللصوص

والمجرمين لكي تعيد من خطفت وسرقت منا إلينا ولو مرة واحدة. ولو هذه المرة الواحدة. ولو هذا الإنسان الواحد، الواحد.!

أرجوك يا إلهي أن تهبط إلى مستوى اللصوص والقتلة والمجرمين لأن هذا الهبوط هو البديل الجيد عن أن تبقى في مستوياتك.!

اهبط إلى مستويات هؤلاء يا إلهي لكي تعيده أو تفكر في إعادته إلينا.!

أعده. أعده. إني أريد أن أراه. ألقاه.. أن ألقي بكل آلامي وشكاياتي وتطلعاتي وأحزاني وهزائمي بين يديه. في أذنيه. في عينيه، في وعود عينيه وتعبيراتهما. في عقله وقلبه وحبه وضميره واستجاباته. أريد أن أحدق في وجهه. في ابتساماته. في عينيه. في حب وحنان عينيه. في وعود وتعبيرات وتفاسير عينيه. أريد أن أحيا وأقبر في عينيه.!

.. أريد أن أقول له. أن أقول، أقول!

.. لماذا يا إلهي لا تجرب أن تعيد إلينا أحداً أو شيئاً مما أو ممن خطفت أو تخطف منا؟ جرّب ذلك، جرّبه. لماذا أنت يا إلهي أبداً صيغةً واحدة؟

.. إن كل أحد بل كل شيء يتغير ويتطور ويتبدل ويتعلم ويتقاعد إلاّ أنت يا إلهي.. هل تخشى الافتضاح لو أعدت إلينا أحداً أو شيئاً ممن خطفت وسرقت؟

هل يخشى الافتضاح أو يتحمل أي مزيد أو نوع من الافتضاح كائن هذا الكون شيء قليل من قبح ووقاحة وجهه وفكره وضميره وأخلاقه وثيابه وعيونه.. من عرضه لذاته وجماله وفنونه؟

هل يخشى الافتضاح أو يعرف الافتضاح من صمّم وخلق واختار الإنسان ليكون أضخم وأجمل عرض لجماله وطهارته ونظافته وشهامته ونبله وتدينه وتقواه وحبه وصدقه وشرفه ورحمته وكبريائه؟

.. قبيح وبليد وصغير وأعمى من أراد أو قبل أو حتى صبر وتحمل أن يكون هذا الإنسان عرضاً لأي معنى من معانيه أو لأي خلق أو قيمة من أخلاقه وقيمه.!. هل رأيت يا إلهي الإنسان؟ آه لو رأيته بكل صيغه وتفاسيره. بكل عريه وملابسه؟

.. هل يخشى الافتضاح من أراد وصمم وخلق وعايش وعاشر كل هذا الافتضاح؟ هل المستوي على عرش كل هذا الافتضاح يمكن أن يخشى أو يرفض أي افتضاح أو حتى يتحدث عن أي معنى من معاني الافتضاح؟

هل يمكن أو هل يقبل يا إلهي أن تخشى أي افتضاح مهما خشي ذلك كل المفتضحين؟

هل يخشى الافتضاح من كل شيء هو بعض افتضاحه؟

أليس كل الافتضاح شيئاً من افتضاحك يا إلهي؟

أليس كل العري والعار والعورات هي بعض عريك وعارك وعوراتك يا إلهي؟

أواه يا إلهي كيف عجزت عن رؤية ذلك؟ كيف عجز عن رؤيته جميع أنبيائك ودعاتك؟

. . كيف عجز أو يعجز عن رؤيته أي كائن مهما كان عماه وجهله وغباؤه؟ من صنع وحسب وقدر لك ذكاءك ورؤيتك ومحاسبتك لنفسك وللأشياء يا إلهي؟ لقد كان ظالماً ومهيناً ومحقراً مصغراً لك. !

آه. هل تخاف يا إلهي أن يصفك أو يتحدث أو يروي عنك أو يصورك أو يرسمك أو يفسرك من رأوك وجالسوك وحاوروك وقرأوك وفهموك وحسبوك وقاسوك أو عادوا إلينا أي لو تركتهم يعودون؟

هل أنت يا إلهي كريه ودميم ومشوه بكل هذه القسوة والفظاعة حتى لترفض وترهب وتهاب وتخجل أن يفارقك من رأوك أو جالسوك أو عرفوك أو زاروك خيفة أن يصفوك أو يتحدثوا عما رأوا ووجدوا وعرفوا عنك ومنك وفيك؟ هل يخشى أن يوصف من كل هذا الكون وكل عاهاته وتشوهاته ونذالاته هي بعض أوصافه؟

. . أليس محتملاً بل أليس محتوماً أن يكون هذا هو التفسير لرفضك الدائم الوقح القبيح أن تعيد إلينا أحداً ممن أخذت؟

هل يمكن أن يوجد أي تفسير آخر لهذا الرفض أي لرفضك هذا؟

فكّر يا إلهي واستعن بأفكار كل من حولك من أعوان ومستشارين وانظر هل يمكن أن يوجد أي تفسير آخر لذلك؟ هل يمكن؟

أرجوك. أرجوك يا إلهي أن تذكر لي هذا التفسير الآخر إن كان يوجد لأني متعب وعاجز عن أن أجد هذا التفسير الذي أريد بكل اللهفة والعذاب أن أفسرك به. !

ولكن أرجو أن تقبل مني يا إلهي ما أريد أو أقدمه لك وأتعهد به من إعطائك كل الأمان والضمان من هذا الخوف. من خوفك هذا. نعم. وإذا كان هذا هو التفسير

فلماذا تخلق من ترهب أن يروك ويعرفوك؟ وإذ خلقتهم فلماذا تأذن وتريد أن يلقوك ويروك؟ بائس ذكاؤك. !

إن الذي نطالبك بإعادته إلينا إنسان لم تجرب مثله يا إلهي في نبله وتهذيبه وفي حبه للستر حتى على من لا يستحقون الستر وحتى على من لا يستطاع الستر عليهم أمثالك يا إلهي. وهل يستطاع الستر على من كل ما في هذا الكون هو بعض عاره وافتضاحه على من يرى كل دمامات هذا الكون هي بعض جماله؟

.. إنه لن يستطيع أو يقبل أن يكون فاضحاً أو مغرياً لا لك ولا لسواك يا إلهي إنه ليس فضاحاً. إنه ستار أعني من نطالبك ونرجوك ونحاورك لتعيده إلينا..

.. إنه ليس راوية أو عاشقاً للعيوب والفضائح والتشوهات والدمامات!.

إنه راوية ومريد للحب والجمال والاستتار والفرح والسعادة..

.. إنه، إنه.. إنه من أتمنى أن تسعد وتتشرف بمعرفته ونسعد بعودته من عندك.. إذن كم نرجوك وندعوك أن تعيده إلينا بالسرعة التي تفقد بها يا إلهي ذكاءك ووقارك وكرامتك وشهامتك وكبرياءك وحبك وعدلك ورؤيته وكل المعاني المزعومة لك وعنك وفيك لأي غرض وبلا أي غرض مفهوم أو غير مفهوم. !

وهل تفعل يا إلهي لأي غرض مفهوم أو غير مفهوم؟

.. إني منتظر، منتظر، ومتلهف، متلهف ومتمنٍ، متمنٍ أن تكون يا إلهي رحيماً أو كريماً أو نبيلاً أو شهماً أو أن تكون شيئاً من ذلك ولو على مستوى اللصوص والقتلة والمجرمين لكي تعيده إلينا. !

ألا يوجد فيك يا إلهي أي معنى كريم أو رحيم أو شهم يخاطب فيسمع ويفهم ويستجيب لكي نطلب منه أن يعيده إلينا؟

.. هل جربت يا إلهي لهفات وآهات وأنات الشوق والحب والفراق؟ هل تقاطرت يوماً منك دموع الحب أو الشوق أو الإشفاق أو الأسى؟

أين زراع القلوب الصناعية لكي يزرعوا فيك قلباً أي قلب يا إلهي؟

هل تخلق فيك في أي يوم من تاريخك قلب يحب أو يشتاق أو يتذكر أو يحيا ويقاسي حتى ولو قلباً مصنوعاً أو مزروعاً؟ هل كان يمكن أن يكون أي شيء كما كان يا إلهي لو أنه تخلق فيك في أي طور من أطوار وجودك أي معنى من معاني القلب؟ هل

يقبل أو يستطيع أي معنى من معاني القلب أن يواجه أو يرى شيئاً مما ترى وتواجه لأنك بلا أي قلب؟

.. أليس من شروط أي إله لأن يكون إلهاً ويبقى إلهاً ويقبل أن يكون ويظل إلهاً ألاّ يكون فيه أي معنى من معاني القلب المحرق أو المحترق، المتلهف أو المتلهف عليه، الطالب أو المطلوب؟

إله له قلب.!. هل يمكن هذا؟ إن كل شيء فعله ويفعله ويراه ويواجهه لا بدَّ أن يحرق حينئذ قلبه أعني الإله لو أمكن أن يكون له قلب.!

إن الذي صاغك يا إلهي صاغك بلا قلب لكي تقبل أن توجد وتحيا وتفعل وترى.. إن أي قلب لن يقبل أو يستطيع أن يركب في ذات أي إله، وإن ذات أي إله لن تقبل أن يركب فيها أي قلب.!

لهذا فإن كل ما في هذا الوجود من أشياء وأحداث إنما حدث ويحدث خارج حدود كل القلوب. إن كل معاني القلوب وتفاسيرها لن تقبل أن يحدث أي شيء مما حدث ويحدث.!

.. حتى القلوب.. إنها لم ترد أو تصمم أو تخلق أو تتولد أو تنبت أو تستفرغ إلاّ خروجاً على كل القلوب.. على كل تفاسيرها وأخلاقها.!

إن وجود القلوب لعدوان على كل معاني القلوب وتشويه وتعذيب لها!.

. آه يا إلهي. إني مريض بالإشفاق عليك وبالاستحياء من أجلك.. من عجزك عن أن تكون أي شيء من معاني الشهامة والاعتراف بالجميل ومجازاته ولو بشيء قليل جداً مما يستحقه.!

لقد تعذبت وقاسيت كثيراً وطويلاً جداً لأعطيك وأعبدك وأمجدك وأصنع لك كل السرور والرضا والفرح والابتسام.!

.. لكي أصبح بلا قصد أنا المتفضل عليك الدائن لك بل الواهب لك.!

.. لقد عذبت نفسي طويلاً وبكل القسوة من أجلك يا إلهي.!

هل نسيت شيئاً من هذا أو عميت عنه؟ هل تستطيع أن تنكر ضخامة ما أعطيتك يا إلهي من حبي وشوقي ومديحي وإعجابي ورهبتي وخوفي وثقتي؟

.. ولكنك أنت لم تفعل أي شيء لمجازاتي على ذلك أو لتعويضي عن عذابي لك وبك. عابداً ساجداً متقرباً متضرعاً متطلعاً منتظراً.!

كيف يا إلهي لم يعذبك الاستحياء مما فعلت لك دون أن تفعل لي؟ كيف؟

. . والآن ألا يمكن أن تصاب بشيء من الشهامة والاستحياء أو التقوى أو يقظة الضمير لتعيد إلينا، إليَّ من أطالبك بإعادته ليكون ذلك شيئاً من محاولة التسديد لشيء من ديوني وحقوقي عليك التي لن تستطيع أنت ولن يستطيع أي شيء ولا كل شيء أن يسددها؟

أرجوك أن تفعل ذلك. أرجوك وأطالبك. هل يظل أبداً خائباً من يرجوك؟ وقد تذهل حينئذ يا إلهي من سخائي من ملاقاتك إذ قد تجد أني قد أسقطت كل ديوني وحقوقي عليك جزاءً وشكراً لك على ذلك. !

إنها صفقة ملائمة وواهبة لك جداً فهل ترفضها عاجزاً عن فهمها؟ ما أفضع وأنذل أن تكون يا إلهي أبداً آخذاً وطالباً ومعطىً دون أن تعطي أو تجزي أو حتى تشكر. !. كيف يا إلهي تقبل أن تكون أبداً بهذا المستوى الذليل؟

* * *

آه كم هو قبيح وغبي ورديء أنك يا إلهي تأخذ كل أحد إليك بلا أي اختيار أو رؤية أو تفسير أو غرض أو تمييز. . !

إنك لا تترك أحداً لأنه لا يوجد فيه ما يؤخذ أو يعطى أو يفرح أو يسعد أو يمجد أو إلا ما يصنع كل الاشمئزاز والاستقباح والغيظ والخسران والغثيان. !

. . إن كل الآخذين لا بدَّ أن يختاروا بأسلوب أو بعديد من أساليب الاختيار بذكاء وكرامة أو بلا أي قدر من الذكاء أو الكرامة. . إنه لم يوجد ولن يوجد أي آخذ بلا حساب أو رؤية أو اختيار. . ألا تعرف هذا يا إلهي؟ كيف لم تعرفه؟

. . أما الكائن الفريد الخارج على هذا القانون وعلى كل قانون في أخذه وفي كل أهوائه وتصرفاته فهو أنت وحدك يا إلهي. !

. . أنت يا إلهي الكائن الواحد الذي لا يستطاع فهمه إلاّ بالخروج على كل فهم. !

. . لهذا تأخذ أردأ وأصغر وأتفه وأبلد كائن إليك بالأشواق والنيات والأساليب التي تأخذ بها إليك أضخم وأعظم وأكبر وأنفع العباقرة. !

بل لعلك يا إلهي أعجل وأشرس في أخذك للصغار والتافهين من أخذك للكبار العظام العباقرة. !. ولعل هذا هو أحد التفاسير لكثرة من تخلق من الصغار وقلّة من تخلق من الكبار!.

.. لهذا فما أوسع وأضخم خزائنك المملوءة بالصغار التافهين. !

وما أضيق وأصغر وأقل خزائنك المحجوزة للعظماء والعباقرة والمسكونة بهم. !.

ما أقل حساباتك ومدّخراتك من هؤلاء وأكثرها من هؤلاء. !. ألست قد أردت هذا ودبرته لهوى في نفسك؟

وأيضاً يا إلهي كم هو قبيح ورديء وغبي أنك لا تترك من يجب وينفع تركهم في عالمهم وقومهم وأوطانهم وشعوبهم وأماكنهم.. لا تتركهم يصنعون التقدم والرخاء والجمال والعلم ليصنعوا ما لم تصنع أنت. !

.. لا تتركهم لأن أخذهم إليك تخريب وإفساد وعدوان وسفاهة وتعويض وقتل وإهانة للجمال والذكاء والحب والتقدم والرخاء والإبداع والحضارة والعبقرية والقوة. !

إن أخذك يا إلهي لعبقري واحد من حياة البشر لتستحق عليه أن تعاقب بكل عقاب دون أن يكفي.. إنه لا يوجد عدوان على كل شيء جيد مثل أخذك يا إلهي للعباقرة والمتفوقين والمبدعين الذين هم أبداً الأقلون.. الذين هم أبداً الغلطات القليلة الجميلة بين أكوام الغلطات الشاملة القبيحة. !

كيف؟ هل أنت يا إلهي لا تدري هذا أي لا تدري معنى أخذك لهؤلاء أم تدريه وتتعمد أن تفعله؟ بأي التفسيرين يكون ذنبك أعظم؟

.. إذن أنت يا إلهي لا تأخذ كل الناس إليك لأنك جميل أو ذكي أو محب أو حكيم أو صديق أو شريف أو فنان أو لأنك تريد أن تصاحب أو تعاشر أو تحاور أو تجاور أو تجالس أو لأنك تريد أن تعزي أو تداوي أو تفرح أو تسعد أو تسلي أو تطعم المرضى والحزانى والمتعبين والضائعين والخائفين والجائعين بأخذهم عندك وإليك أو لأنك تريد أن تعوضهم بلقائك عما قاسوا وتلهفوا من فراقك..

.. إنه إذن لا مجد ولا شرف ولا تفسير لأخذك إليك من تأخذ.. !

إن أخذك يا إلهي لمن تأخذ لا يمكن تفسيره بأية قيمة أو تفسير لا فيمن يأخذ ولا في من يؤخذ.. !

إنه لو وجدت كل التفاسير لكل من يأخذون ولكل ما يؤخذ لما وجد يا إلهي أي تفسير لك آخذاً ولا لأي شيء تأخذه مأخوذاً..

إنك أنت وحدك يا إلهي الكائن الذي لن يوجد له آخذاً أي تفسير ولن يوجد لما يأخذه أي تفسير مأخوذاً.

وكم يعظم تصور المأساة والفجيعة حين التصور بأن أخذك هذا بأثمان وتكاليف فادحة تدفعها أنت ويدفعها كل موظفيك وأجهزتك؟

لماذا؟ لماذا؟ لن يوجد أي جواب. !

اخرج يا إلهي على أخلاقك وتاريخك راعد إلينا من أطالبك بإعادته.. افعل هذا الخروج ولو هذه المرة الواحدة. هل تخاف أن تمرض أو تموت أو تفقد أسنانك وأنيابك أو تسقط من فوق عرشك أو يسقط عرشك من تحتك أو تكره نفسك أو تكف عن عبثك لو فعلت ذلك؟ لا، لا تخف. !

ألا يمكن يا إلهي أن تجد في خروجك على أخلاقك وتاريخك وعلى صيغتك الدائمة فرحاً وسعادةً وقوةً وتحرراً وسياحةً ورياضةً جميلةً مجددةً لك؟

لماذا يا إلهي كل كائن يحاول ويتمنى أن يتخطى كينونته الأولى ويتفوق عليها إلاّ أنت؟ لماذا كل هذا العجز أو الكسل أو ضيق الرؤية أو فقدان الخيال؟

ما أعظم وأجمل ما كان محتوماً أن يحدث في كل هذا الوجود لو كنت يا إلهي كائناً ينقد ويجدد ويطور نفسه ويتجاوزها ويخرج عليها!؟

إنه لن يوجد كائن يجب أن يفعل بنفسه كل ذلك بكل القسوة مثلك يا إلهي كما لم يوجد جبان أو هائب أو غافل أو عاجز عن كل هذا غيرك يا إلهي. !

آه يا إلهي لو تعرف. وهل الإله يعرف؟ وهل ينفعه أن يعرف؟

ما أقسى وأدوم عذابي وأسفي لأن كل تجاربي تقول لي:

إن الإله لا يعرف ولا يستطيع أن يعرف ولا ينفعه أن يعرف. !

إنه لو كان يعرف لما قبل أن يكون موجوداً أو إلهاً لأنه حينئذ لن يجد خاسراً مثله بوجوده وبكونه إلهاً. إذن فالشرط الدائم لوجود الإله ألا يستطيع أن يعرف. !

.. كم أتمنى يا إلهي أن يكون لك ضمير لكي تصل إليه رسالتي هذه لكي يقرأها ويتخاطب معها ويحترق بلهب عواطفها ويتعلم شيئاً من أخلاق العواطف ولغاتها ومقاساتها. !

اغفر لي يا إلهي تخبطاتي إذ كيف يكون لك ضمير ثم تقبل نفسك أو شيئاً مما تفعل وترى؟

وا أسفاه.. وا أسفاه لأني هنا أتمنى فقط ولا أستطيع أن أرتفع إلى طور المؤمل المنتظر... أليس كل من يقال ويظن أنهم ينتظرونك أو يؤملون فيك إنما هم متمنون بل متحدثون فقط؟

أليس كل التعامل مع الآلهة تمنياً أو صلاةً أو قراءةً أو روايةً دون أن يصبح تأميلاً أو انتظاراً أو توقعاً أو تعهداً أو حساباً ما؟

أليست كل مخاطبة لأي إله هي مخاطبة للنجوم والديار والأطلال والتمنيات والفراغ والضياع؟

آه يا إلهي هل يكون تكراراً مرفوضاً أن أقول لك مرةً أخرى بل مرات كثيرة بل بديمومة:

ـ أن أقول لك: إن أخذك للصغار والتافهين والأنذال إليك لهو أفجع وأردأ مستويات النذالة والجهالة والضآلة والهبوط إلى كل أعماق الحضيض. ما هي علاقات الحب والصداقة والتلاؤم التي تفرض عليك أبداً أخذ هؤلاء إليك بكل الإصرار؟

أما أخذك للمبدعين والخلاقين والمتفوقين من مجتمعاتهم وحياتهم وهم قليلون بل نادرون بل شذوذ، شذوذ.

ـ نعم، إن أخذك لهؤلاء إليك وكذا تعجيزك لهم بالأمراض أو بالشيخوخة أو بأي أسلوب آخر.

ـ إن أخذك هذا وتعجيزك هذا لهؤلاء هو أقسى وأوقح أساليب التخريب والتدمير والعدوان على كل معاني الحياة والتقدم وعلى كل شيء جميل ونبيل.!. هل يوجد أعداء للحياة وللإنسان مثل من يأخذون منهما من يصوغونهما الصياغات العظيمة الجميلة؟

آه يا إلهي لو وجد محاكمون ومحاسبون ومعاقبون لك؟

هل يمكن أن يجدوا أو يتصوروا حينئذ عقاباً يساوي العقاب الذي تستحقه أنت على أخذك إليك العباقرة الخلاّقين الواهبين لكل جمال الحياة وسعادتها وقوتها وكرامتها وعلومها ورخائها. أو على تعجيزك وتعويقك لهم بأساليبك الكريهة الوقحة المتوحشة البذيئة أي بالشيخوخة أو الأمراض أو بالتعجيز الشامل المتنوع الأساليب أو بالجنون وما يشبه أو يساوي الجنون أو يفوقه؟

هل فطنت يا إلهي إلى ضخامة جريمتك هذه وتعمدتها وبأي تفسير يمكن حينئذ أن تفسر؟ هل هو جسد للحياة والإنسان ومقاومة ورفض لتقدمهما ورخائهما وسعادتهما معبراً عن ذلك بسرقتك للمتفوقين منهما؟

.. نعم، إنه لن يوجد أو يتصور أعداء للحياة وللإنسان مثل من يسحبون أو

يسرقون منهما الأفراد الأقلين المتفوقين الذين يداوونهما أي الحياة والإنسان أو يخففون عنهما مما أصبتهما به وتصيبهما يا إلهي من آلام وأوبئة وفقر وعجز وغباء وجهل وتشوهات وعاهات وقبح، قبح، قبح شامل، شامل. يا أردأ وأقبح سارق. . يا سارق العبقريات انتقاماً أو حسداً أو جهلاً لا رغبة فيها؟

. . هل يوجد يا إلهي مثل قبح وضلال وجهالة ووقاحة أنبيائك ودعاتك الذين يجيئون ليعلنوا ويعلموا بأنك أنت الذي تقتل أي تأخذ هؤلاء المتفوقين المنقذين أو تصيبهم بالعجز الشامل ـ ليعلنوا ويعلموا بكل الفرح والمباهاة والسعادة بأنك يا إلهي أنت الفاعل لذلك لأنك حكيم ورحيم وصديق وعاشق وفاعل لكل الجمال والكمال والتقدم والحب والسعادة وبأنك لو لم تكن أنت المريد المدبر الفاعل لكل ذلك بكل الكبرياء والإعجاب بالنفس والرضا عنها لما كنت إلهاً كامل الألوهية ولابساً عباءاتها وعماماتها وكوفياتها وعقالاتها. مقيماً في كل خيامها فوق كل صحرائها، ملتزماً بكل أخلاقها وأفكارها عائشاً في كل تاريخها، محافظاً على كل أمياتها العقلية والنفسية والأخلاقية والفنية بل واللغوية التعبيرية وليست الأمية الأبجدية فقط. . على كل أمياتها التي لا يمكن العلاج منها. هل يمكن العلاج من أميات الإله مهما أمكن العلاج من كل الأميات. ؟

. . إن كل أنبيائك ودعاتك يا إلهي يفسرون ويفهمون قتلك أي أخذك أو سرقتك للمتفوقين المنقذين المداوين للحياة والإنسان مما فعلت وتفعل بهما، وكذلك تعجيزك لهم.

ـ نعم، يفهمون ويفسرون ذلك بالمنطق والتفاسير التي بها يفهمون ويفسرون قتلك أي أخذك وتعجيزك لصغار الحشرات. !

إنهم يفهمونك ويفسرونك بأنك القاتل لأن القتل فيك وظيفة وخلق وقدر. !

. . إنهم لا يجدون أو يذكرون أو يفهمون إلاّ منطقاً وتفسيراً واحداً هو أنك قاتل، قاتل بلا أية تفاسير مفهومة أو معروفة. . قاتل بلا أي فرق بين مقتول ومقتول وبلا أي فرق بين أسلحة القتل وبين الأيدي الضاربة بالأسلحة القاتلة. إنهم لا يرونك أو يفسرونك إلاّ قاتلاً بلا رؤية أو تفسير أو محاسبة أو محاكمة أو إرادة للمعاقبة. !

. . إنهم أي أنبياءك ودعاتك يقولون ويعلمون ويرون أن يدك لا ترتجف ولن ترتجف حين تطلق الأسلحة القاتلة على هؤلاء المتفوقين المنقذين المعالجين إلاّ بقدر ما ترتجف أو أقل مما ترتجف حين تطلق هذه الأسلحة نفسها على صغار الحشرات. !

. . إنهم يفهمونك ويفسرونك بأنك قاتل، قاتل بلا أية تفاسير. . !

لماذا أصبح القتل فيك يا إلهي شهوة ومتعة ووظيفة بلا تفسير أو هدف؟

آه. ليت لك يا إلهي يداً أو ضميراً أو قلباً أو فكراً أو عيناً أو معنى يرتجف أو ترتجف أمام أي شيء، غضباً أو استنكاراً أو استقباحاً أو انفجاعاً أو رفضاً أو حتى اندهاشاً وتساؤلاً. إذن لما جاء أو بقي أي شيء كما جاء وكما بقي أو كما نجده.!. ليتك يا إلهي تصاب بأي أسلوب من الارتجاف.!

هل يوجد محتاج إلى الارتجاف وجدير به مثل الإله؟

.. إني بكل الرهبة والانفجاع أبلغك يا إلهي ذلك راجياً ومطالباً ألاّ تجرؤ على اتهامي بالمبالغة أو الخطأ أو التزوير أو أن تفكر فيه.!

أي أبلغك أن جميع أنبيائك ودعاتك يرونك ويفهمونك ويفسرونك كذلك. إذن هل يوجد محقرون وشامتون لك مثل أنبيائك ودعاتك؟

هل يوجد عارضون لقبح الآلهة ومعلنون عن قبحهم مثل أنبيائهم؟

.. إني يا إلهي لراضٍ بالوقوف بل ومطالب به وراغب فيه أمام أية محكمة أو محاكمة لمحاورة ومحاسبة هذا الاتهام أو التبليغ.!

.. إني لن أرفض أو أهاب أن يقف أمامي وضدي في هذه المحاكمة كل أنبيائك وملائكتك وزبانيتك محاورين أو شاتمين أو متهمين دفاعاً عنك وتعصباً لك رهبةً أو رغبةً أو جهالةً وبلادة..!

إني يا إلهي لست مغروراً ولن أكون مغروراً ولكني واثق ومفجوع معذب بثقتي.. بثقتي الأليمة التي أراها وأتعذب بها عنك وعن أنبيائك ودعاتك.. أجل يا إلهي إني بلا أي غرور لن أرفض أو أهاب أن أقف هذا الموقف أو أن يوقف ضدي وحدي أي هذا الموقف!.

.. إنك يا إلهي لو حولت كل شيء وكل أحد إلى شهود وقضاة ليكونوا جميعاً شهوداً وقضاةً منحازين لك ضدي أي ضد رؤاي واتهاماتي لك ورأيي فيك وفي أنبيائك ودعاتك وضد رؤاي واتهاماتي لهم. وكنت أنا وحدي بلا شاهد أو مدافع أو مناصر لما خشيت أن أكون الخاسر المحكوم عليه أو ضده مهما كانت نذالة أو جهالة أو بلادة المحكمين والمشاهدين. إن أي متهم لك ومدّع عليك يا إلهي لا بدَّ أن يكون هو المحكوم له وأن تكون أنت المحكوم عليه.. ليتك يا إلهي ترغب في أن تحاول التخفيف أو التعويض أو الاعتذار عن قسوة وديمومة آلامي وفجائعي بك ولك وعليك أي عن أهوال عذابي وانفجاعي وترويعي برؤيتي وقراءتي الدائمتين الحادتين لك..

الباحثتين والمتسائلتين عن المنطق أو عن التفسير أو عن المعنى أو عن الغاية والهدف. . !

عن الهدف والغاية منك ومما تفعل ومما يحدث. وما المنطق والتفسير. !

. . آه ما أقسى وأدوم وأفجع رؤيتك وقراءتك ومحاولة تفسيرك وفهمك يا إلهي بأي منطق أو خلق أو تفسير أو هدف!

هل فكرت يا إلهي أو تساءلت عن معنى وجودك ووجود أي شيء؟

ما أقسى وأفظع وأدوم عذاب وعجز وهزائم وفضائح وبلادات من يحاولون يا إلهي أن يفهموك أو يروك أو يقرأوك أو يفسروك أو يغفروك أو من يطالبون بالاقتناع والإيمان بك والفهم لك أو بالغفران لك أو برؤيتك عارياً أو كاسياً لترى كما أنت، ليرى جمالك وقبحك. !

وليتك بعد رغبتك في التخفيف من عذابي وانفجاعي بك ولك ترى أن إعادتك له إلينا هي إحدى وسائل أساليب هذا التخفيف. هل يمكن أن تكون قد نسيت أو جهلت من أعني؟

هل ينتظر يا إلهي أن تفعل ذلك؟ هل أنتظر أن تفعله مع أني لم أجرب ولم يجرب أي كائن آخر انتظاراً خائباً خاسراً مثل الانتظار منك والانتظار لك؟ كيف لم تهرب أو تمت أو تنتحر يا إلهي من كثرة وديمومة المنتظرين لك ومنك مع ديمومة خيبة آمال كل هؤلاء المنتظرين؟

. . إن البشر لم يعاقبوا ويهينوا عقولهم وأخلاقهم وآمالهم ولهفاتهم وأوقاتهم وذكاءهم مثلما عاقبوها وأهانوها بانتظارهم من آلهتهم وبانتظارهم لآلهتهم. !

وإن الآلهة لم تهج أو تحقر أو تفضح نفسها أو تعلن عن عجزها وبلادتها وقسوتها أو عن غيبوتها مثلما فعلت في صمتها الميت عن كل المنتظرين لها ومنها. !

إن كل فضائح كل شيء لا تساوي فضائح المنتظرين لآلهتهم ومنها. !

. . أريد أن أذكر لك شيئاً آمل ألا تعجز عن الفهم له والاقتناع به يا إلهي المعذب لي بالتحديق فيه أقسى مما يعذب سكان جحيمه بجحيمه. !

إنك يا إلهي تقاسي كل المقاساة وأدومها في إرسالك وإنزالك للأنبياء والكتب والتعاليم لتقتنع بأنك جميل وقوي وكبير وسوي وجذاب الشخصية والأخلاق في جميع صيغك وصفاتك وعلاقاتك ولقاءاتك ومحاوراتك ومجالساتك، وبأن عرشك الذي

تستوي عليه بلا حركة أو انتقال أو نهوض من فوقه أو استبدال به هو عرش لا تستطيع جميع العروض أن تساويه في روعته وضخامته وجمال وغلاء وصلابة وقوة المادة التي صنع منها، وبأن من جلس فوقه فلا بد أن يصاب بالاسترخاء والكسل والبلادة والتبلد إلى ألا يستطيع أو يريد المفارقة له وإلى ألا يفجعه أو يزعجه أو يغيره شيء. !

. . وأيضاً ترسل وتنزل الأنبياء والكتب لمحاولة الإقناع بأنك موجود، موجود كما تريد أن تكون موجوداً بكل الأوصاف التي تريدها وتريد أن تعرف وتوصف بها، وأيضاً بأنك جبار مكار قهار مخادع قاتل تصيب بكل التشوهات والعاهات والآلام بالمشيئة المطلقة والكلمة المنطوقة. وبأنك قاسٍ قسوة يعجز ويرهب كل الخيال أن يتصورها. وبأن الجحيم بكل أهواله المجنونة وبكلِّ حراسه وزبانيته وملائكته الغلاظ الشداد هو أي هذا الجحيم بعض لفحات ونفحات وقباحات قسوتك هذه، ومع كل هذا عجزت عن الإقناع بشيء من ذلك ليصبح سلوكاً وأخلاقاً ونيات مهما أقنعت به ليكون شعارات ولغات وتعاليم تحفظ وتروى. !

. . إذن كيف لم تفعل هذه الوسيلة البسيطة السهلة جداً والقوية جداً للإقناع بهذا الذي تناضل وتقاسي كل هذا النضال وهذه المقاساة للإقناع به وأعني بهذه الوسيلة أن تعيد إلينا بعض من أخذت وتأخذ منا وليكن أحدهم هذا الذي أحترق في مطالبتي لك بإعادته إلينا. إليَّ؟ لكي يقنعوا بما تريد الإقناع به عن رؤية ومعايشة ومعاشرة بل ومجالسة ومعانقة. . ليقنعوا بأنهم رأوك ووجدوك وجالسوك وخاطبوك مسترخياً فوق عرشك محاطاً بل محاصراً بالغلمان والجواري والحوريات وبالزبانية والملائكة الغلاظ الشداد الأغبياء والأذلاء والأرقاء الأنذال بكل التفاسير للنذالة. . يهتفون ويصلّون ويكذبون ويهونون وينافقون بأقبح وأوقح الأساليب واللغات والنيات والمهانات والبلادات التي هي شيء مما يفعله الإنسان العربي أمام حاكمه العربي ولحاكمه العربي. . أي مما يفعله الشاعر والمفكر والأديب والكاتب والفنان والنبي والفقيه والصوفي بل والقديس العربي أو التي هي أكثر وأوقح وأنذل مما يفعله الإنسان العربي؟

ماذا لو أقيمت مباراة بين الكُتَّاب والشعراء والأدباء والفقهاء والفنانين العرب في نفاقهم وكذبهم وهوانهم واستسلامهم لحكامهم وطغاتهم وبين سكان السماء من ملائكة وغيرهم في كذبهم ونفاقهم وهوانهم واستسلامهم لإلههم آمراً لهم بإنزال كل التشوهات والعاهات والآلام والمظالم بكل شيء وبكل أحد بلا تشريع أو تفسير أو فهم أو مساءلة أو ذنب أو حكمة أو حاجة؟

نعم، ماذا لو حدث هذا؟ أي الفريقين حينئذ سيكون الفائز الأول؟

أي الفريقين حينئذ سيصبح أكثر مذلةً وهواناً واستسلاماً لأربابهم: العرب أم سكان السماء؟ ألا يحتمل أن يكون سكان السماء عرباً قد هاجروا أو أن يكون العرب قد ولدهم سكان السماء وألقوا بهم في صحاراهم؟

.. آه هل وجد أو هل يمكن أن يوجد صاحب رسالة وتعاليم ودين وقوانين يتعذب كل أنواع العذاب بفكره وضميره وأخلاقه ومحاولاته لكي يجد من يبلغها ويعلمها ثم يشترط فيمن يريدهم ويختارهم لتبليغها وتعليمها ألاّ يروه أو يسمعوه أو يلقوه أو يعرفوه؟

أجل، لقد وجد هذا الكائن المستحيل وجوده حين وجدت يا إلهي. هل وجد أو يمكن أن يوجد من يقبلون أن يكونوا معلمين وواصفين وأنبياء ورسلا عن كائن ولكائن لم يروه أو يلقوه أو يسمعوه غير المزعومين والزاعمين أنهم أنبياء السماء.؟

نعم، لقد وجد هؤلاء حين وجد من يزعمون أنبياءً ورسلاً عن السماء.. هل وجد أو يمكن أن يوجد من يختار واصفيه ومادحيه وممجديه وعاشقيه وعابديه والراوين المفسرين لجماله ممن لم يروه أو يسمعوه أو يجالسوه أو يلمسوه أو يشموه أو حتى يتصوروه؟ نعم لقد وجد هذا الكائن أو زعم وجوده حين زعم وجودك يا إلهي.!

.. هل يمكن اتهامك يا إلهي بأن هذه الوسيلة السهلة جداً والجيدة جداً قد خفيت أو دقت على ذكائك؟

هل يمكن أن يوجد من يقسو في رؤيته وفهمه لك إلى أن يتهمك بذلك؟

.. إذن كم أستحق يا إلهي من الشكر والجزاء والحمد لديك لأني بكل الفرح والسعادة والشهامة والسخاء قد أهديتها إليك أي هذه الوسيلة التي لا بد أن تفعل لك وتقنع بك أكثر من كل أنبيائك ودعاتك ومعجزاتك؟

.. ولكن ألا أخاف أن تجزيني على ذلك بالنقيض أي بالحقد والغيرة والحسد الضارب المعاقب المحارب؟ أليست كل أفعالك ونياتك يا إلهي نقيضاً لكل ما يجب ويفترض وينتظر؟

أليس الإنسان العربي يفعل ذلك. بل لا يفعل إلاّ ذلك؟ أليس العربي هو النقيض الدائم الشامل لكل ما يطلب وينتظر ويحترم ويفهم؟

وأنت يا إلهي ألست عربياً؟ ألست عربي الأخلاق والفكر والهوى والعواطف

والمعاشرة والمعايشة والمعاملة والتاريخ والأصالة والتعليم والتعاليم بل واللغة والانتماء والوطن؟

إن العرب لو انقرضوا جميعاً ولم يبق لهم أي تاريخ ثم أريد إعادتهم بكل صيغهم وتفاسيرهم لكنت أنت ياإلهي وحدك هذه الصيغ والتفاسير التي سوف يعادون بها. . افترض يا إلهي أنك سوف تراني وتفهمني بهذا الحوار الطويل القاسي الساخن محباً وصديقاً ومشفقاً لا مبغضاً ولا عدواً ولا شاتماً. أو أن تراني وتفهمني حزيناً مفجوعاً مروعاً مشمئزاً لا شامتاً أو شاتماً أو مبغضاً أو معادياً. !

. . إني لأرجو وأتمنى وأنتظر أن تراني وتفهمني كذلك. . إن المفروض ألا تستحق في كل حالاتك يا إلهي إلاّ الرثاء والإشفاق. !

. . قد يكون حواري هذا لك شيئاً قليلاً ومخففاً من الحوار الذي كان يجب أن يحاورك به كل شيء وكل أحد يا إلهي ولكن دون أن يحدث ذلك. . كنت يا إلهي أريد أن أقول: ويعاقبك به كل شيء وكل أحد ولكني هربت من التناقض ومن القسوة عليك وأنت يا إلهي لا تستحق أي قدر من القسوة بل لا تستحق إلاّ الإشفاق والرحمة والرثاء. !

. . أليست قسوة كينونتك وحياتك لا تتحمل أن تضاف إليها أية قسوة أخرى مهما استحققت ذلك؟

إن القسوة أحياناً قد تكون أسلوباً من أساليب التعظيم. !

وهل أنت يا إلهي تستحق هذا الأسلوب من أساليب التعظيم حتى ولو بالقسوة عليك؟

إن الذين يستحقون كل الرثاء والرحمة والإشفاق لن يستحقوا القسوة. !

إذن ماذا تستحق أنت أو ماذا تريد أن تستحق يا إلهي؟

نعم، القسوة أحياناً قد تكون أسلوباً من أساليب الثناء أو التكريم المتنكر الذي هو أقوى من المعلن. فهل ترى يا إلهي أنك تستحق هذا الأسلوب من أساليب التكريم أو الثناء مهما استحققت كل الرثاء والإشفاق والرحمة؟

إنك يا إلهي مريداً ومدبراً ومخططاً وفاعلاً خالقاً تستحق كل العقاب والاشمئزاز والاستقباح أو المقاومة والمحاكمة والرفض. !

أما موجوداً وعائشاً ورائياً ومواجهاً ومسؤولاً ومقروءاً ومرئياً ومفسراً ومحروماً فلن

تستحق إلاّ كل الرثاء والإشفاق والرحمة. . فأي الاستحقاقين تستحق. وأيهما يهزم الآخر أو ينسيه؟

إنه يا إلهي لا أحد مثلك أو غيرك يستحق بأحد تفاسيره كل الشفقة والرثاء ويستحق بكل تفاسيره الأخرى كل القسوة والعقاب والاشمئزاز والاستقباح والغضب. فبأي التفسيرين يجب أن تفسر وتحاسب؟

إن كل أحد وكل شيء كان يجب ويفترض يا إلهي أن يحاورك كل هذا الحوار الذي حاورتك إياه بل أقسى وأشمل وأدوم وأفتك مما فعلت أنا مقاسياً كل أهواله؟

لماذا أنا؟ لماذا أنا وحدي أتحمل كل هذا العذاب والانفجاع الذي كان يجب أن يكون شاملاً أو مقسماً ولو بقليل من العدل والحكمة؟

إذن من الأقسى عذاباً: المسيح فوق صليبه أم أنا محاوراً محاسباً لك؟

. . أينا أدوم وأعنف وأصدق عذاباً: المسيح صالباً نفسه ليكون كفارة وفداء لأخطاء البشر وخطاياهم أم أنا المصلوب أبداً فوق أخطائك وخطاياك يا إلهي والمحترق أبداً بتحديقي فيك وبقراءتي وتفاسيري وحواري لك دون أن أكون كفارة أو فداء عن أي شيء أو لأي شيء ودون أن أجد أي عزاء أو رثاء أو تخفيف أو مشاركين ولو بالحنين أو الأنين؟ إذن كيف لا تحاول أن تفعل أي شيء للاعتذار عن قسوة عذابي أي بإعادة من أطالبك بإعادته إلينا؟

لماذا صمت ومات كل شيء وكل أحد أمام هذا الحوار وعنه؟ هل يعني هذا يا إلهي إن حظوظك جيدة جداً أم يعني أنها رديئة جداً؟ لماذا خصصت أنا وحدي بأهوال هذه المقاساة؟ من اختارني ولماذا اختارني لهذا التخصيص؟

هل الاختيار اختيار أم ضربات وخطوات عمياء عشواء. ولماذا تسقط وسقطت هنا ولم تسقط ولا تسقط هناك؟ هل يوجد من يسأل وإن وجد فهل يوجد من يجيب؟

هل محتوم أو محتمل أن ألقى تعويضاً عن هذا التخصيص؟ وأين وكيف ومتى وعند من ألقاه؟

وهل يستطيع أي تعويض بل وكل تعويض مهما كانت ضخامته وسخاؤه أن يكون شيئاً من التعويض والتكفير أو الاعتذار عن فواجعي ومقاساتي لهذا الحوار مواجهاً وقارئاً ومفسراً ومحاسباً له بفكري أو قلبي أو ضميري أو أخلاقي أو برؤاي وتصوراتي أو حتى بلغتي وتعبيراتي وإيماني وتديني أو بكل ذلك؟

آه إلى من أتوجه محاوراً مسائلاً محاسباً محاكماً مخاصماً؟ إلى من؟ ولو وجد هذا الذي أبحث عن التوجه إليه فهل يمكن أن أجد لديه ما أريد وما يجب أن أجد؟

نعم، يا إلهي إذن كيف لا تفعل كل شيء لإعادته إلينا؟

كيف لا تصاب بأي قدر أو أسلوب من الشهامة أو الكرامة أو النبل أو الاستحياء؟

* * *

.. إني مهما حسبت هنا مخطئاً فنياً أو لفظياً أو تقليدياً فإني يا إلهي سوف أكرر عليك هذا السؤال بألفاظ أخرى:

من يجب أن يدعي ويرى نبي المصلوبين أو إله المصلوبين: إنسان يصلب نفسه مرة واحدة أو يقدم نفسه ليصلب هذه المرة الواحدة. أم إنسان يصلب كل لحظات الزمان، كل حياته.. يصلب بعدد كل الأشياء.. بعدد أخطائك وخطاياك الدائمة المتكررة.. المالئة لكل الاتجاهات والآفاق والرؤى والحركات والخفقات القلبية والفكرية والأخلاقية والنفسية والتصورية والفنية والإنسانية.

.. يصلب بعدد إرادتك وتخطيطاتك وتدبيراتك وفعلاتك وتحركاتك وتشوهاتك وعاهاتك ودماماتك ومظالمك وعبثك وشهواتك وطلباتك. وبعدد من تصيب وما تصيب بما تصيب.. بعدد ما ترجى وتدعى وتؤمل وتنتظر وينتظر منك ويجب عليك فتخيب كل الآمال فيك أي فلا تفعل شيئاً من ذلك بل وتفعل كل النقيض الأليم الذميم بكل الديمومة والبرود والإصرار بل والوقاحة والافتضاح والمباهاة؟

هل حدث يا إلهي أن تصورت هذه الصورة أو رأيت وعرفت وفهمت هذا الواقع؟

إن كنت قد فعلت ذلك ولو مرة واحدة فكيف رأيت حينئذ نفسك؟ كيف رأيتها؟ وهل تجرؤ على رؤيتها فكيف التقبل لها أو التعامل معها؟

* * *

والآن هل أنتظر أن تعيده إلينا؟ هل تخرج يا إلهي على كل أخلاقك وتاريخك فتستجيب ولو هذه المرة الواحدة للتأميل فيك والانتظار منك؟

اسكت يا إلهي وإلاّ فسأقول

. . أحذرك يا إلهي أن تعاتبني أو تحاسبني زاعماً ومتهماً بكل غرورك الإلهي أني أنكرتك أو أني لم أجدك أو أني رفضت وخجلت أن تكون موجوداً أو أن أتصورك موجوداً كما أنت موجود. . أحذرك من أن تضطرني إلى الردّ عليك. إنك حينئذ لن تستطيع أن تنتظر بل ولا أن تقاوم. !

إن كل انتصاراتك يا إلهي هي في المعارك التي لا يوجد فيها من يحاربك أو يقاومك!

. . نعم سأقول لك حينئذ: أني لم أؤمن بوجودك أو حتى أتصور وجودك لأني لم أستطع أن أراك إما لأنك قد غطيت وأخفيت ذاتك بكل الأغطية والأحجبة، وأيضاً قد صبغت وصغت وجهك بكل الدمامات والتشوهات والعاهات والوقاحات والفضائح والذنوب والقسوة والعبوس قاصداً ألا ترى لأن رؤيتك فاجعة وفاضحة ومخجلة ومهينة لهذا قررت أن تخيف وتفجع وتعذب كل من يزعمون أنهم رأوك وكل من يريدون أو يشتهون أن يروك لئلا يروك. أو أنك قررت ذلك لأسباب لن يستطاع فهمها أو تفسيرها أو تسويغها فكيف تقبلها. أو بلا أسباب. أو بأسباب ولأسباب أنت لن تستطيع فهمها أو تفسيرها أو تسويغها أو قراءتها أو التحدث عنها أي لو حوسبت أو حوكمت عليها أو سئلت عنها. لقد قررت أن تضع على وجهك بل على كل ذاتك الحجاب الذي لن يرفع أو يباح رفعه. . الحجاب الذي لن تستطيع العيون أو العقول أو التصورات اختراقه. !

كيف تستطاع رؤيتك يا إلهي أو تراد أو تغفر أو يجرأ عليها مجللاً ومفسراً ومقروءاً بكل هذه الأكوان من الآثام والحماقات والتشوهات والعبث والتفاهات والمظالم المتوج والمغطى بها كل هذا الوجود وكل وجود؟

.. نعم. يا إلهي سأقول لك حينئذ: إني لم أؤمن بوجودك لأني لم أستطع أو أجرؤ أن أراك فوق كل هذا القبح.. لأني لم أستطع أن أراك إما لأن ذاتك صغيرة وضئيلة ومعتمة ومخلوقة في الظلام ومن الظلام لتبقى أبداً في الظلام. وإما لأنك أردتني وخلقتني بلا أية رؤية وعاجزاً عن كل رؤية أو عن رؤيتك أنت فقط لأنك تخاف وكنت تخاف لأسباب لا يمكن فهمها أن أراك.!

.. ومن المذنب الملوم حينئذ: الإله الذي خاف ورفض أن يرى أم من أراده وخلقه هذا الإله عاجزاً أن يرى؟. نعم. سأقول لك يا إلهي: لقد استحييت ورهبت أن أراك وأجدك أو أتصورك أو أقرأك فوق وبين هذه الدمامات والوقاحات والغباوات والآلام والمظالم والفوضى والعبث الأليم الوقح أي فوق هذا الكون لكي أحسبه وأفسره وأراه قمة تقواك وعبقرياتك العقلية والفنية والأخلاقية والنفسية والدينية بل والجمالية والشعرية. لقد رهبت ورفضت بل واشمأزت أن تكون كل البشاعات والدمامات متحركة متنقلة متجددة متجمعة أبداً. أبداً داخل عينيك وقلبك وضميرك وأخلاقك بل وداخل حبك!. إني لم أستطع أن أكون وقحاً أو نذلاً أو متوحشاً أو عدوانياً لكي أراك أو أعتقدك أو أتصورك أو أقبلك كذلك أو شيئاً من ذلك. إنه لن يوجد محقرون لك معتدون عليك مثل من رأوك ووجدوك واعتقدوك وأعلنوك فوق كل ما يرون ويعرفون ويواجهون ويقاسون بل وفوق كل ما يحتقرون ويرفضون ويقاومون ويلعنون.. مثل من يجعلونك مدبراً ومريداً ومخططاً وفاعلاً كل ما يحتقرون أنفسهم كل الاحتقار لو فكروا في أن يريدوا أو يدبروا أو يفعلوا شيئاً منه. وما يرون أنهم لن يهجوا أو يتهموا بشيء مثل اتهامهم به.. مثل من يمجدونك ويعبدونك باتهامك بل ما يرفضون ويقاومون ويراعون ويفجعون لو اتهموا بشيء منه.!

.. لقد قررت يا إلهي أن أحترمك وأنزهك وأتأدب في رؤيتي وتفسيري لك لهذا سحبتك من فوق هذا الكون. لقد أشفقت على عينيك ويديك وذاتك وثيابك. حتى ثيابك لقد أشفقت عليها.!. لهذا رفضت أن يتلوث أو يتشوه أو يتأثم أي شيء فيك أو منك بأي شيء من ذلك. لقد قررت أن أعوضك وأعتذر إليك عن تحقير أنبيائك ورعايا أنبيائك لك. آه يا إلهي هل حقرك شيء مثل حديث أنبيائك عنك ورؤيتهم لك؟

.. إني حينئذ سأقول لك: لقد اشترطت لوجودك شروطاً أرضاها فلم أجد شيئاً من هذه الشروط بل لقد وجدت كل ما يناقضها وينفيها بل ويحقرها ويسخر منها، فأبيت وعجزت وتأثمت أن أجدك. إني يا إلهي ضحية إرادتي الاحترام والاشتراط لك في نفسي ورفضي لوجودك. إني في نفسي ورفضي هذا لست إلاّ شهيد الحب. الحب لك.

أرجوك يا إلهي أن تستطيع فهم ذلك جيداً.. لقد أحببتك واحترمتك جداً حتى نفيتك عن هذا القبح!

.. هل تقبل يا إلهي أن تكون موجوداً بلا أية شروط لك أو فيك أو أن يراك المؤمنون بوجودك بلا أية شروط؟ إن كل كائن بلغ طور التقبل والرفض لا بد أن يشترط وأن يريد الاشتراط لنفسه ولوجوده مهما كان ضعف وهوان وجوده. فهل أنت يا إلهي أقل وأهون من كل شيء ومن كل أحد؟ أيهما يا إلهي يرضيك ويهبك الفرح والمجد: من يشترط لك وفيك أقسى وأجمل الشروط أم من يراك أي شيء وكل شيء حتى ليرى كل جمالك في أقبح الدمامات. ويجد ويقرأ ويفهم كل حبك ورحمتك وعدلك وصداقتك في أوقح وأقسى المظالم والآلام والبغضاء والعدوان والوحشية؟ أيهما يرضيك ويفرحك ويهبك المجد: من يريد ويستطيع أن يراك ويجدك ويعلنك مجللاً بكل القبح والعفن والآثام والبلادة والسقوط أم من لا يستطيع أو يريد أن يراك أو يجدك إلاّ منصباً ومنصوباً فوق كل الجمال والحب والرحمة والحكمة والشهامة والطهارة والقوة أي فوق كل هذه المزايا التي لا يرى أو يجد منها شيئاً في أخلاق أو منطق أو قوانين هذا الكون الكبير الصغير جداً.. الكبير جداً في جسده الصغير جداً في كل تفاسيره.. الكبير جداً بلا أي تفسير صغير أو كبير. إنه أي الكون كل شيء دون أن يكون أي شيء.. دون أن يكون أي شيء كهدف أو فكرة أو معنى إني حينئذ سأقول لك يا إلهي المخدوع المهزوء به: إن الذين وجدوك واعتقدوك لم يفعلوا ذلك لكي يهبوك الحب أو المجد أو الفرح أو القوة أو الانتصارات. ولكنهم أرادوا بذلك أن ينافقوك ويخدعوك ويلوثوك ويتهموك بكل نقائصهم وفضائحهم وآثامهم وغبائهم وعجزهم. ليجعلوك أنت المريد المدبر الفاعل لكل ذلك المسؤول عن كل ذلك. ولكي يرجوك وينتظروك ويطالبوك أن تفعل لهم ما لا يستطيعون وأن تهبهم ما لا يستحقون. ولكي يفسدوا أخلاقك بالملق وبالصلوات والتضرعات والدموع الكاذبة البليدة لتعطيهم ما يريدون ولتغفر لهم وتمسح عنهم كل قباحئهم وفضائحهم ونذالاتهم.

.. ليبصقوا عليك وفي عينيك كل قبحهم وتشوهاتهم بأسلوب الاستغفار والتوبة.

.. لهذا رهبت وعجزت وخجلت أن أجدك أو أؤمن بك لأن هذه التفاسير القبيحة هي كل تفاسير الإيمان والمؤمنين بك. إني لم أجد في تفاسير الإيمان بك أي تفسير أرضاه تفسيراً لإيماني بك.!

.. إني حينئذ سأقول لك: لماذا يا إلهي تريد أن تكون موجوداً أو ترى موجوداً؟

إنه لن يوجد أو يتصور خسران مثل خسرانك بوجودك أو مثل خسران وجودك بك. !. . إن أصغر وأحقر الموجودات لن تخسر بوجودها أو يحقرها ويشتمها وجودها مثلما يفعل لك وبك وجودك. !

. . إن وجودك عذاب وغيظ وهوان لا شبيه له بلا أي ثمن أو جزاء أو تعويض أو تكفير أو تفسير. أعني أنه غيظ وعذاب وهوان لك أنت!

. . ليتك يا إلهي تستطيع أن تفكر أو ترى أو تنقد أو تحاسب الأشياء. إذن لاستطعت أن أقنعك بأنه لا خسران مثل خسرانك بوجودك. !

أنت أي مفترضاً موجوداً تقاسي وتقاسي لكي ترى نفسك ويراك الآخرون حكيماً وجميلاً ورحيماً وفناناً وعبقرياً. ولكي تدبر وتخطط وتخلق ولكي تنزل وترسل وتوحي وتكتب الكتب والأديان والتعاليم والملائكة والأنبياء. لماذا تفعل ذلك؟

لأنك فيما يقول الرواة عنك تريد هداية الناس وسعادتهم. !

عجيب. عجيب جداً. !. ألست تستطيع هدايتهم وإسعادهم بالإرادة والكلمة؟ فلماذا ترفض أن تهديهم وتسعدهم بذلك ثم تذهب تقاسي وتقاسي لكي تفعل لهم ذلك بوسائل أنت تعرف أنها لن تجدي؟ أي معلم خائب علمك يا إلهي منطقك وتصرفاتك؟

. . إنك يا إلهي لا تلقى أي جزاء أو تعويض عن أي شيء من مقاساتك الموجعة المهينة لك. . فأنت لا تستمتع بأية متعة لا مادية ولا معنوية أي أدبية أو شعورية أو أخلاقية أو أي شيء آخر. . إنك لا تأكل ولا تشرب لا الماء الأبيض ولا شيئاً من المياه الملونة. ولا تنام حتى ولو ابتلعت كل العقاقير والكيمائيات المنومة. ولا تتعاطى شيئاً من المنبهات أو المهدئات أو المفرحات. . ولا تمارس الجنس لا طبيعياً ولا شذوذاً. لا معهم ولا معهن. لا بعقد ولا باختلاس. لا بحب ولا بمجاعة وضرورة. !

آه. حتى الجنس أنت يا إلهي محروم منه. !. ألا تعلم يا إلهي المحكوم عليه بكل أنواع الحرمان أنه لا توجد لحظات ينسى ويغفر فيها كل قبح ووحشية الوجود إلاّ لحظات ممارسة الجنس؟ لقد جاءت ممارسة الجنس محاباة للكون. للوجود. جاءت لكي تنسى قبحه وعذابه وعبثه أي ولو في لحظات الممارسة الحادة المجنونة. !.

نعم، إن لحظات ممارسة الجنس جنون. جنون ولكنه جنون يداوي ويشفي من العقل. !

. . أما وجودك الأدبي أو الأخلاقي أو الفني يا إلهي فلن يوجد أو يتصور مثله تعاسةً وهواناً وهزيمةً وإذلالاً وخسراناً وقبحاً. . !

. . إنك لن تواجه أو تنتظر إلاّ الرفض والعصيان والاحتقار: أنت وأنبياؤك وكل دعاتك وأديانك وتعاليمك وكتبك المقدسة. إنه لا يوجد منبوذون مرفوضون معصيون محتقرون في كل مكان ومجتمع مثلك أنت ورسلك ودعاتك وأديانك. إقرأ التاريخ يا إلهي إن كنت تعرف القراءة وانظر إلى الواقع اليوم إن كانت لك عينان تريان لكي تصدق ما أقوله لك. . إن كل رؤاك ومواجهاتك ومعاملاتك ورغباتك وتطلعاتك مقهورة مهانة مفجوعة مسخور منها وبها. إن كل الآثام والعفونات والدمامات والفضائح والقبائح التي لا نضال ولا اهتمام لك إلاّ أن تلعنها وتعلم ضدها وتغرق في العار خجلاً منها لتتفجر وتتجمع وتتصبب أبداً ودائماً في كل رؤاك واتجاهاتك وطرقك. فوق عرشك وتحت عرشك وحول عرشك وفي كل تفاسير وأخلاق عرشك. !. وهل لعرشك تفاسير أو أخلاق؟

. . إنك يا إلهي أتعس مكذوب عليه ومكذوب به. أتعس مظلوم ومخدوع ومهان ومشتوم ومتهم. . وأتعس مظلوم مخدوع مهان متهم مشتوم مكذوب باسمه وباسم الاحترام والتمجيد والعبادة له والدفاع عنه والإيمان به. إنه ليجب أن يكون لكل وجود ووظيفة والتزام ومقاساة ثمن أو أجر أو تعويض. إذن ما هو ثمن أو أجر أو تعويض وجودك ووظيفتك ومقاساتك والتزامك الفادح القاسي يا إلهي؟

. . إن أحقر وأصغر وأغبى وأتفه كائن لن يقبل أو يغفر أن يكون موجوداً وجوداً فيه كل هذا الخسران والهوان والعذاب والحرمان والعصيان الذي في وجودك. !

. . لقد كان المفروض يا إلهي أن تهرب من وجودك وأن تنكره وأن تطالب بإنكاره وأن ترسل الأنبياء وتنزل الكتب لتعليم نفي وجودك ولتهديد من لم ينكروا وجودك بالجحيم الذي أعددته فيما يروى لمن ينكرون وجودك. !

. . إن وجود الموجود ليس مزية أو قيمة أو مطلباً لذاته وكيف كان. ولكنه كذلك أي إن أمكن أن يكون يكون كذلك أو يحسب كذلك لظروفه وصيغته ونتائجه. إن أحداً لن يمدح بأن يقال أنه موجود. موجود فقط. وأنه هو لن يجد في ذلك أي مديح له!

. . إن أي كائن لن يرى أو يجد مجداً أو سعادةً أو فخراً في أن يوجد وأن يعرف الآخرون أنه موجود فقط تحت كل صيغ وظروف وأساليب الوجود مهما هانت وقبحت وصغرت.

. . إن أحداً لن يهجي أو يهان بأن يقال إنه لم يوجد أو ليس موجوداً أو بالأ يكون موجوداً. ولكنه يهجي ويهان ويهون بأن يقال إنه موجود أو بأن يكون موجوداً وجوداً

ذليلاً أو حقيراً أو دميماً أو نذلاً أو تافهاً أو بليداً أو مهاناً أو مقهوراً. إن كل الهوان والعذاب والهجاء لمن وجد لا لمن لم يوجد.!

.. ماذا تربح يا إلهي من أن يقال إنك موجود. أو تخسر من أن يقال إنك غير موجود؟ لماذا تعاقب النافي وتجزي المثبت؟ هل النافي يسيئ إليك أم الذي يسيئ إليك هو الذي يراك موجوداً ويراك تراه ثم يصب ويفجر في عينيك كل العفونات والآثام والوقاحات العارية الصارخة بكل البذاءات والقبح والجرأة الوقحة عليك مفسراً كل ذلك بك وبإرادتك وحكمتك طالباً بل ومؤملاً منك أن تغفر له وتكفر عنه كل ذلك لأنه يخدعك ويتملقك بالمدائح كأنك أحد الطغاة الجهلاء الذين يغفرون كل شيء لمداحيهم؟

هل تستطاع الإساءة إلى من لم يوجد؟

هل تستطاع حماية أي شيء من الإساءة إليه إلاّ بألا يكون موجوداً؟

أليست جميع الإساءات هي إساءات موجود إلى موجود؟

.. كائن يثيب ويعاقب أسخى الثواب وأقسى العقاب، وأسباب ثوابه هي إعلان وجوده مهما كان قبح ونذالة وجهالة وفظاعة وجوده ومكان وأسباب وظروف ونتائج وجوده، ومهما كانت آثام وقبائح وبلادات معلن وجوده.!. فقط إعلان وجوده هو كل مجده وفرحه ورضاه.. إعلان وجوده غفران لكل الإساءات إليه والإهانات له..!

.. وأما أسباب عقابه الذي سيكون التخليد في الجحيم إحدى عبقرياته وضرباته وأشواقه وشهواته فهي العجز عن إعلان وجوده أي وجود هذا الكائن أي العجز عن رؤيته أو الرفض لرؤيته أو الهيبة والرهبة والاستحياء والتأثم من رؤيته لقبح رؤيته في الظروف والأخلاق والمكان والصيغ والدمامات التي زعم وجوده فيها وفوقها ولها من أجلها ومدبرها ومخططها وفاعلها وحاميها ومسوغها ومفسرها ومخلدها، مهما كانت عبقرية وصدق وتقوى وبراءة ونظافة وإخلاص العاجز عن إعلان وجوده أو عن الاقتناع بوجوده أو عن رؤية وجوده أو الرافض لوجوده بالأساليب والصيغ والظروف التي زعم فيها وجوده، لأنه يريد لوجوده وللاقتناع بوجوده ولإعلان وجوده شروطاً وصيغاً وظروفاً أفضل وأعظم وأذكى وأتقى وأقوى وأكثر إسعاداً واحتراماً وتمجيداً لوجوده أي لوجود هذا الكائن الذي عجز عن رؤية وجوده أو عن الاقتناع بوجوده أو رفض وجوده بالصيغة وفي المكان والظروف والأخلاق التي زعم فيها وبها وجوده..

ولكن هل وجد هذا الكائن وهل يمكن أن يوجد ومن هو؟

إن وجود هذا الكائن أي لو وجد أو لو أمكن أن يوجد هجاء لكل وجود.

إنه الكائن الذي قال بكل مشاعر المباهاة والفرح وإرادة الإعلان:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون».

وهل قال هذا قائل؟ صعب التصديق أن قائلاً قال هذا. !

أليس هذا القول يساوي أن يقول حاكم أو زعيم أو نبي:

«إني لم أحكم أو أقد شعبي أو أناضل وأعمل من أجله إلاّ لكي يمدحني ويشكرني ويجن احتراماً وحباً لي وإعجاباً بشخصي وجمالي وذكائي وقوتي وعبقرياتي وبجمال زوجتي وبعبقرية أبنائي وأسرتي. .»؟

وهل استطاع أو يستطيع أي حاكم أو زعيم أو نبي أو عالم أو حتى شاعر أن يهبط إلى هذا الحضيض مهما كانت عبقريات الهبوط فيه أي إلاّ أن يكون حاكماً أو زعيماً أو قائداً أو نبياً أو شاعراً أو إنساناً عربياً؟

أليست أقل مستويات الحياء والذكاء والعقل والوقار أن يقول هذا الكائن «وما خلقت الجن والإنس إلاّ لكي أسعدهم وأكرمهم. . أو إلاّ لكي يملأوا الكون بالحضارات والعبقريات والجمال والحب. . أو إلاّ لكي يتحولوا، بجمالهم وبالجمال الذي سوف يصوغونه وبمنطقهم وجدهم إلى غفران واعتذار وتعويض عن القبح والعبث والغباء والضياع الفوضوي الذي خططت ودبرت وأخرجت به هذا الكون. .»؟

أو أن يقول:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ لكي يهبوني صداقتهم وأهبهم صداقتي. . لكي نكون أفضل وأنبل وأصدق نماذج الأصدقاء. . لكي ينقذوني من وحدتي الحزينة القاتلة. . لكي يصبحوا ابتسامات في تحديقاتي ورؤاي التي لا تواجه إلاّ العبوس والكآبات. . التي لا تواجه إلاّ تحديقي في ذاتي ووجودي. وهل يوجد شيء يصنع العذاب والاكتئاب مثل ذاتي ووجودي ومثل تحديقي في ذاتي ووجودي. .؟».

أجل، وهل يوجد عذاب مثل عذاب تحديق الإله في ذاته ووجوده؟

. . أو أن يقول أي هذا الكائن:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليكونوا غذاءً ومأوى وعزاءً وغناءً ووطناً وفرحاً وانتصاراً للحشرات والجراثيم التي أردتها وخططتها وخلقتها بل التي بصقتها واستفرغتها

بلا عبقرية أو موهبة أو إبداع أو فكرة أو منطق أو نظافة بل بلا عقل أو كرامة أو شهامة أو حياء أو رحمة. .»؟

أو أن يقول: «وما خلقت الجن والإنس إلاّ لكي يمارسوا الجنس بالأساليب الفضاحة الوقحة لتكون مشاهدتي لذلك تعويضاً لي عن حرماني الجنس بل عن حرماني الشامل. .». .

أما أن يقول هذا الكائن أي أن تقول أنت يا إلهي:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون. .».

فهذه فضيحة عقلية ونفسية وأخلاقية بل ولغوية تعبيرية لا تجرؤ على منافستها جميع الفضائح حتى ولا جميع فضائح كل القيادات والزعامات والنبوات والعبقريات والشاعريات العربية حتى ولا فضائح جميع الثوريين العرب. !. . إن جميع مفسري الفضائح وعاشقيها وفاعليها لن يستطيعوا أو يجرؤوا أن يفسروا أو يقبلوا أو يغفروا هذه الفضيحة، فضيحتك يا إلهي بقولتك هذه. !

. . اسمعي أيتها الآذان، يا كل الآذان. اسمعي. وهل تطيقين أن تظلي آذاناً أو أن تغفري لمن أرادك وصنعك آذاناً لو سمعت هذا، لو سمعت هذا الكائن أي لو سمعت إلهي يقول بكل الفرح والإعجاب وإرادة الإعلان عن مجد الكبرياء:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون». . ؟

هل تصدقين أيتها الآذان أي غير العربية أن إلهي أو أي كائن آخر قال هذا؟

. . أيتها الآذان البائسة المفجوعة أبداً، هل سمعت في كل تاريخك إنساناً يقول بكل صوته من فوق كل منابره:

«وما اقتنيت وربيت وحشدت واستولدت الذباب والصرصار والبعوض وجميع الحشرات والحيوانات في ثيابي وسريري وبيتي إلاّ لكي تطهرني وتنظفني وتعالجني وتجملني وتقول في القصائد والمدائح والأناشيد وتصنع لي الفرح والسعادة والمجد والانتصارات. »؟. ولو أن أي إنسان أو كائن قال مثل هذا فهل يستطيع أن ينافس إلهي في قوله: «وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون. »؟. وهل قلت هذا حقاً؟ ألا يكون أعداء العرب قد دسوه عليك لتشويه العرب لتشويه إلههم؟

. . إني يا إلهي أكرر نصائحي وتحذيري لك من أن تجرؤ على محاولة معاتبتي أو محاسبتي أو اتهامي بإنكاري أو رفضي لوجودك أو بعجزي عن رؤيتك أو عن الاقتناع

بوجودك. . إنك لو عرفت يا إلهي حوافزي الصديقة الرفيقة الرحيمة نحوك وبك ولك التي جعلتني أنكر وأرفض وجودك بل وأتمزق خجلاً وعاراً وانفجاعاً من وجودك بل ومن افتراض وجودك، تحت الظروف والأسباب والمعاني والتفاسير والصيغ التي أزعم وأريد فيها وجودك.

ـ نعم، يا إلهي إنك لو عرفت ذلك أو شيئاً منه لانتحرت أو لمت أو لهربت من ذاتك ووجودك وكونك، أو لوجب أن تفعل ذلك، خجلاً وتأثماً من العذاب والمقاساة التي فعلتها وأنزلتها بي رغبتي في احترامك وتنزيهك وتكريمك وتبرئتك وإخراجك وإنقاذك وتنظيفك من كل الأوحال والعار والآثام والقبح والإهانات بل والمهانات التي لا بد أن يغرقك فيها ويجللك بها وجودك. !

نعم. إني أحذرك يا إلهي من أن تحاول معاتبتي أو محاسبتي أو اتهامي بأي شيء من ذلك أو بأي شيء آخر.

. . إني حينئذ سأقول لك كل هذا الذي سمعت. بل سيكون كل هذا هو بعض وأخف ما لا بدَّ أن أقوله لك حينئذ. . !

. . والسلام عليك يا إلهي وعلى كل من استتر وتوقر واتعظ وعرف الفرق بين الجد والهزل وبين الصدق والكذب وبين وعيد السماء التي لم تعبر أو تعرف أي طريق لها إلى الأرض ووعيد الأرض التي كل طرقها مفتوحة على السماء وموجهة مسددة إليها وعليها. !

ولكن كيف أرجوك أن تفهم شيئاً مما أقول لك وأنت لم تستطع أن تفهم أن قولك: «وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون» يعني حتماً أنه ليست لك أية أغراض أو أهداف فنية أو جمالية أو أخلاقية أو عطائية فيما تريد وتدبر وتفعل بل أنانية عدوانية غبية صبيانية وقحة. وقحة؟

كيف لم تخف نياتك حين كانت هذه نياتك فيما تريد وتفعل؟

هل هي بلادة وبلاهة أم وقاحة أم هما معاً؟ أليس كشف النيات أحياناً أقبح وأوقح من كشف العورات؟ ما أفظع أن تقرأ وتفسر وتفهم يا إلهي؟

ما أعجز من يحاول أن يفهمك أو يعقلك أو يقبلك أو يحترمك أو يفسرك. !

. . آه يا إلهي كم تصنع لي العذاب والحرج والضيق لأني أريد ولأني مصمم أن أدافع عنك وأبرّئك وأنظّفك من كل ما أكره وأرفض وأنكر وأحتقر. . !

كم يصنع لي العذاب والحرج والضيق أن أجرؤ على القول لك:

بأن كل الذين آمنوا ويؤمنون ويدعون إلى الإيمان بوجودك لم يريدوا أو يفهموا من وجودك ومن تفاسير وجودك ومن الإيمان بوجودك إلاّ ما يريدونه ويفهمونه من وجود الخبز والطعام والمأوى والسرر والملابس والمال في أيديهم وأفواههم ولأجسادهم..

.. وبأنه لن يوجد أي تفسير لإرادتهم وجودك إلاّ التفسير لإرادتهم أن يجدوا الخبز والطعام والمأوى والسرر والكراسي والثياب.. وبأنهم لا يحترمونك ويحترمون وجودك إلاّ بالتفاسير التي يحترمون بها الأسباب والوسائل التي تقدم لهم أو التي يظنون ويريدون أن تقدم لهم الخبز والطعام والثياب والكراسي والسرر والمنازل وممارسة الجنس. إنهم لن يجدوا أو يريدوا تفسيراً أو هدفاً لوجودك أفضل أو أذكى أو أنظف من التفسير أو الهدف الذي يريدونه أو يجدونه في الجنس وفي ممارستهم له.!

.. وبأنهم لم يجدوك أو يريدوك أو يحترموك أو يروك أو يروا جمالك ورحمتك ونبلك إلاّ لأنهم جياع، جياع إلى الخبز والطعام والبيوت والسرر والكراسي والكسل والأمن والجنس والقبح والكذب.. إلاّ لأنهم محكوم عليهم بالجوع والخوف والعري والبرد والضياع والموت والجبن والكذب والغباء والنفاق والدمامات..

.. وبأنهم أي المؤمنين بك وبوجودك لم يريدوا أن يجدوك جمالاً أخلاقياً أو عقلياً أو نفسياً أو فنياً أو حتى جسدياً ولا أن تهبهم شيئاً من ذلك ولا لأنك ذلك أو شيء من ذلك ولكن لأنهم وجدوك أو تصوروك أو سمعوك أو لقنوك جحيماً أو فردوساً مزدحماً بالجواري والغلمان والشهوات الوقحة المذلة. ولكن أليست كل الشهوات وقحة مذلة؟ أليست كل قيم الحياة وتفاسيرها لا تساوي أو تعني إلاّ البحث عن الشهوات والحصول عليها والنضال للحصول عليها وممارستها بكل الأساليب وأوقح الأساليب؟

إذن ماذا تساوي الحياة بكل قيمها وتفاسيرها وعبقرياتها ونضالها؟ تساوي أن نشتهي بعذاب ووقاحة وأن نستجيب لشهواتنا بعذاب ووقاحة أو نعجز عن الاستجابة بعذاب وأنين وبكاء ومذلة.. إنها أي الحياة لا تساوي أو تعني بكل معانيها ونماذجها وتحليقاتها إلاّ الجوع والرد عليه أي الاستجابة له بكل المذلة والهوان والافتضاح بل والبكاء أحياناً أو دائماً. إن الحياة ليست إلاّ جوعاً، وإن الإنسان هو أبشع هذا الجوع.!

أليست المسرات والضحكات والنشوات الراقصة المغنية دموعاً وآهات وأنات جاءت بلغة وتعبيرات أخرى أي بتعبيرات مخادعة منافقة كاذبة ممثلة أو مخدوعة مكذوباً عليها منافقاً ممثلاً بها؟

. . نعم، لأنهم تعلموك وقرأوك مالكاً فردوساً تخجل وتعجز كل مستويات وفنون وشروط الذكاء والعقل والوقار والجمال والخجل والتصور عن تصوره لبشاعة ورداءة تفاسيره وأهدافه وأسبابه ونتائجه وممارساته.

. . فردوساً تذعر خجلاً واستقباحاً كل تفاسير الإنسان من تصوره ومن القراءة عنه، فكيف معايشته أو ممارسته؟ كل العار والقبح للإله أو للإنسان الذي تصور هذا الفردوس وتصور سكانه يمارسون حورياته وغلمانه ويمضغون كسلهم وتفاهاتهم. !

. . وأيضاً تعلموك وقرأوك مالكاً جحيماً يتورع جميع المتوحشين والمجرمين والطغاة والأبالسة عن الاستماع إلى أوصافه وعن التصديق بوجوده أو بإمكان وجوده، فكيف التعذيب والمعاقبة به. !؟

إن كل التصورات الوحشية الهمجية لا تستطيع أو تجرؤ أن تصعد أو تهبط إلى تصور هذا الجحيم الذي تعلموك وقرأوك وفسروك مالكاً له مباهياً بامتلاكه وبإرادته وتخطيطه وإخراجه وبالإنفاق على إنشائه وعلى حراسه وموظفيه. . سعيداً فرحاً بالتعذيب فيه وبإعداد جميع أجهزة التعذيب فيه. !

إنه لن يهجي أو يتهم الإله أو الإنسان أو أي كائن بشيء مثل أن يقال إنه هو الذي استطاع أن يتصور هذا الجحيم وأن يعلن عن تصوره أو ذكاء أو عبقرية أو شاعرية أو أخلاقية في هذا الوجود أو في أي وجود آخر. . ؟

إذن هل اقتنعت يا إلهي بهذه التفاسير لإيمان المؤمنين بوجودك ولإرادتهم لوجودك وإعلانهم عن وجودك؟ إذن لا بد أن تكون فجيعتك موجعة. وكم أتمنى لك ذلك.

لأن الانفجاع أي الفكري والنفسي والأخلاقي شيء لا بدَّ منه للتغيير والتصحيح والتجاوز إلى الأفضل. وهل يكون عظيماً من لا يقاسي هذا الانفجاع؟

. . إذن هل يمكن أن تظل راضياً أو أن ترضى عن الإيمان أو عن المؤمنين بك، بوجودك، أو أن تذهب تطالب بالإيمان بوجودك أو ألاّ تفجع إذا وجدت من يؤمنون بوجودك؟ لا أحسبك ستكون شيئاً مما أنهاك عنه مهما قيل عن سذاجتك وغفلتك وتغفيلك بل مهما جربت سذاجتك وغفلتك وتغفيلك. !. إن ضخامة سذاجتك وغفلتك وتغفيلك يا إلهي لن تجعلك تعجز عن الاقتناع بصدق صداقتي لك وغيرتي عليك لهذا أنتظر أن تتقبل كل ما أقوله لك آمراً أو ناهياً. !

. . إذن يا إلهي الكسير القلب والكرامة والكبرياء أليس من حقك بل ومن واجبك في الدفاع عن النفس والسمعة والشرف والكرامة والكبرياء أن ترسل الأنبياء وتنزل الكتب

بل والزبانية للنهي والزجر عن الإيمان بوجودك ولتهديد ولعن كل من يؤمنون بوجودك ولإنزال كل الصواعق والشهب عليهم، وأيضاً لتقديم أجزل الثناء والشكر والحب والعطاء وكل الوعود الجميلة لمن يغسلون ضميرك وقلبك وعينيك وأخلاقك وفكرك وفنك من أوحال ووقاحات ودمامات وسفاهات هذا الوجود؟ هل يستطاع تصور قبح ذات تحمل كل بشاعات هذا الكون فوق ظهرها بل فوق وجهها وجلدها ولسانها؟ هل تستطيع عيون الحشرات رؤية ذلك؟

.. أما أنا يا إلهي فقد تنازلت عما أستحق من جزاء وشكر لدفاعي عنك أي بنفيي ورفضي لوجودك إذ لا يمكن الدفاع عنك مهما كانت عبقرية ونزاهة ومحبة وإخلاص المدافع إلاّ برفض ونفي وجودك.. لأني بكل الصدق حينما دافعت عنك أي بنفي وجودك لم أكن أدافع أو أنوي الدفاع عنك بل لقد كنت أدافع وأنوي الدفاع عن عقلي ومنطقي وضميري وكرامتي وإرادتي ورؤيتي الغاضبة المصدومة المفجوعة.

نعم يا إلهي كيف لم تعرف أو تعتقد أن المنكر لك ليس إلاّ محباً وصديقاً منزهاً وإن المؤمن بك ليس إلاّ نذلاً وقحاً عدوانياً لا يحمل لك أي حب أو احترام بل هو طامع خائف وصولي كأنه أحد شعراء الخلفاء والسلاطين العرب؟

سؤال لم يسمعه العالم

إنه سؤال لم يسأله أحد من العالم مع أن كل الهوان لكل العالم ألاّ يتعذب بتساؤله الدائم كل من في العالم لم يسأله أحد من العالم بالتفاسير والنيات التي يجب أن يسأل بها. . !

يقول هذا السؤال بكل الاحتراق والغيظ والغضب والانفجاع: لماذا أيها العالم وجدت. ووجدت كما وجدت؟ بأي منطق أو تدبير أو تفسير أو عبقرية أو أخلاقية. . إنسانية أو إلهية أو طبيعية. . شيطانية أو ملائكية وُجِدت ووِجدت كما وِجدت؟ كيف جاءت الفكرة أو الرغبة في وجودك أو إيجادك ومن أين جاءتا أي الرغبة والفكرة؟ ما الأسباب والأهداف والحوافز التي وجدت ووجدت كما وجدت من أجلها. .؟. . ما هي الرؤية والحسابات الفنية والجمالية التي أوجدت بذلك؟

هل وجدت بالصيغة التي لا يعقل أو يستطاع أو يحتمل غيرها ومن الذي حكم وحكم في ذلك؟

هل وجدت أي كما وجدت من أجلك أم من أجل موجدك إن كان لك موجد أو تقبل أي موجد أن يكون لك موجوداً أم من أجل ولسعادة أي كائن آخر. . ! هل يمكن إيجاد الشيء من أجل نفسه أي أن يكون الموجود هو الموجد من أجله والموجد من أجله هو الموجد؟

هل وجدت أيها العالم أي وكما وجدت بإرادتك واختيارك لصيغة وجودك وباقتناعك بمزايا ومنطقية وأخلاقية وجودك وصيغ وجودك!

أليس هذا يعني أنك أيها العالم قد وجدت وعرفت مزايا ومنطقية وأخلاقية وجودك واقتنعت ورضيت بها قبل وجودك!؟

إذن أيها العالم يا كل العالم لقد رأيت وفهمت ورضيت واخترت وجودك قبل وجودك؟

إن هذا ليس اتهاماً لك وإنما هو إقرار واعتراف بذكائك أو غبائك بكرامتك أو هوانك. !

* * *

ولكن لا. لقد وجدت يا كل العالم دون أن تدري أو تريد أن ترى أو تختار. لقد وجدت بأوقح وأجهل وأسفه وأطغى أساليب وتفاسير ومعاني العدوان والإكراه والفرض والتوريط. !

إن كل عدوان وإكراه وفرض وتوريط تعلن أنت أنك لا بد أن تقاومه بكل السلاح، وبكل شيء غير السلاح لن يكون شيئاً لو حوسب بما في وجودك أو إيجادك من ذلك. بل إن وجودك أو إيجادك هو الذي أوقع ويوقع بك كل ذلك أي كل العدوان والاستعباد والإكراه والتوريط. لقد وجدت مفعولاً بك أو فاعلاً بك وجودك لا فاعلاً لوجودك.. مفعولاً بك وبوجودك لا فاعلاً لوجودك ولا فاعلاً لك وجودك.. لقد فعل بك وبوجودك وأنت غائب. غائب بلا أي معنى من معاني الحضور وبلا أي حساب أو احترام أو قراءة أو رؤية أو مساءلة أو استماع لك.. لأي معنى من معانيك لإرادتك أو اختيارك.. لموافقتك أو مخالفتك لتقبلك أو رفضك.. لرضاك أو غضبك.. لإسعادك أو إشقائك.. لعظمتك أو تفاهتك.. لتكريمك أو تحقيرك..

للصعود أو للهبوط بك.. للذهاب بك إلى الجحيم أو إلى الفردوس المقروء عنهما في صحف السماء المكتوبة بأقلام الملائكة والأنبياء.!.. لقد ألقيت في وجودك وألقي فيك وجودك بأقبح وأوقح صيغ وتفاسير الاغتصاب.!

.. لهذا أيها العالم كم أنا مفجوع. مفجوع بك ولك ومن أجلك. وكم يجب أن يفجع بك ولك ومن أجلك كل شيء وكل أحد!.

لأنك تقبلت ورضيت وأقتنعت وشكرت واستسلمت وعبدت وتعبدت لوجودك ولمن زعمته الموجد لك..

.. لأنك تبلدت وهنت كل هذه البلادة وكل هذا الهوان..!

إنك أيها العالم لم تتبلد أو تهن في شيء مثلما تبلدت وهنت في هذه القضية وأيضاً في كل القضايا الأخرى المتصلة بوجودك.!

إنك لم تكن في أية قضية من قضايا وجودك ذكياً أو شهماً أو حراً أو كريماً. .

. . لقد تقبلت بكل التعبد والتبلد والاستسلام بل والرضا والإعجاب والشكر والامتداح أن يفعل بك وجودك وأن تفعل بوجودك دون أن تحضر أو تشارك أو تعرف أو ترى أو تستأذن بأي تفسير أو أسلوب أو قدر من الحضور أو المشاركة أو الرؤية أو المعرفة أو الاستئذان!

هل يمكن أن يعرف أو أن يتصور هوان أو بلادة أو انهزام أو استسلام مثل هذا؟

لقد حولت من فرض عليك وجودك بكل هذا الإذلال والاستعباد والهوان والفضح والافتضاح إلى إله زعمته ورأيته كل الحب والجمال والنبل والشهامة. !

. . كيف أيها العالم لم تستطع أن تفهم ما لا يستطاع العجز عن فهمه؟ أين ذهبت كرامتك وحريتك وذكاؤك وكبرياؤك؟

إنك أيها العالم لتعلم وتعلن وتقول دائماً بكل الصراخ والمباهاة ولغات الكبرياء بكل أجهزتك وألسنتك وبكل أصوات ولغات وكبرياء آلهتك وأنبيائك: إن كل مزاياك وأمجادك وبسالاتك وانتصاراتك في أن تكون حراً مريداً مختاراً وفي أن كل طاقاتك واهتماماتك وعبقرياتك وبسالاتك محولة ومفروض أن تحول إلى كل أنواع الأسلحة لمقاومة وتدمير وهزيمة كل أساليب ومعاني الإكراه والاستعباد لك والفرض عليك والفعل بك ما لا تريد أو تدري أو تختار أو ترضى. . !

هل فعل بك أو بأي شيء أو يمكن أن يفعل بك أو بأي شيء مثلما فعل بك وجودك بكل ما فيه من أساليب ومعاني الاغتصاب والاستبداد والإذلال والقهر والتحكم الفاجع لكل العيون والعقول والضمائر القارئة المحدقة في أي شيء منك؟

. . أيها العالم، يا كل العالم الصاعد فوق الأقمار والهابط تحت كل الحضيض. الصانع لكل الحضارات وأيضاً لكل البداوات والجهالات. .

يا كل هذا العالم. هل تساءلت عن شيء من ذلك أو فكرت في شيء منه. أو هل استحييت أو فجعت لأنك جئت كذلك. بكل هذا التبلد والاستسلام لكل أنواع وأساليب الفعل بك؟ أليس كل وجودك وأفعالك فعلا بك مهما حسب فعلاً منك؟

أيها العالم الكبير. الكبير في حجمه والصغير. الصغير جداً في تفاسيره وفي كل رؤاه وقراءاته ومحاوراته. . كيف صمت كل هذا الصمت عن هذا التساؤل وعن التفكير فيه وعن التعامل معه بشيء مما يجب التعامل به معه؟

هل كان صمت تعمد وهرب أم صمت بلادة وخمول. . صمت عجز أم رهبة؟

ما أقسى وأكثر وأكبر وأصعب وأعظم الأشياء التي يجب ويفترض الالتزام بالتعامل بها معه أي مع هذا التساؤل؟

إذن أيها العالم هل صمت هذا الصمت عن هذا التساؤل لأن التعامل معه كما يجب ويفترض لا يطاق. بل ولا يقبل. ولأن الصمت عن التساؤل يعني الصمت أو يغفر الصمت عن هذا التعامل أي في حساباتك ومنطقك وتفاسيرك بنفسك ولكل معاملاتك؟

آه. إنه سؤال صغير. صغير. ولكنه كبير. كبير. . !

إنه أكبر من كل جواب وتفسير وعقل وشيء أكبر من كل ألوهية ونبوة وعبقرية وحضارة. . !

إنه أكبر من تفاسير وطاقات وعقول كل الألوهيات والنبوات والحضارات والعبقريات.

إنه الهازم لكل ذلك بل والنافي لكل ذلك. . لكل أسباب وجوده ولكل ما يزعم له من قيم ومزايا. !

إنه أقسى وأقوى وأشمل تحد وهزيمة لكل ما يراد ويقال ويواجه ويرى ويفعل وينتظر منك ولك وفيك أيها العالم. . يا كل الأحجام في حجمه. . في حجمه الفاقد بل المناقض لكل معاني التخطيط والذكاء والأخلاق والمواهب الفنية. . آه. لماذا جاءت وتجيء أبداً كل الأسئلة الناطقة والصامتة أذكى وأقوى وأصدق من كل الأجوبة حتى من أجوبة كل الآلهة والأنبياء والعلماء؟

لماذا جاءت وتجيء دائماً الأسئلة الصامتة أقوى وأذكى وأتقى وأصدق من الأسئلة الناطقة؟ ولماذا جاءت وتجيء أبداً الأجوبة مهزومة ذليلة مفتضحة في مواجهتها لكل الأسئلة؟

لماذا الصمت دائماً عن الأسئلة حين وحيث يجب أن توجد الأسئلة. كل الأسئلة، أضعف وأقسى الأسئلة؟ أليس كل شيء. كل وجود يجب بل ولا بد أن يتحول إلى أقسى وأصعب الأسئلة التي لا جواب عنها أو لها؟

لماذا توجد وتتكاثر الأسئلة حين لا أسئلة أو حين وحيث تكون الأسئلة غبية وسخيفة وضد كل معاني الأسئلة بل وحيث يجب ألا تكون هناك أسئلة؟

لماذا تصمت وتهرب وتختفي الأسئلة حين يجب أو يفترض أن تكون ذكية وقوية

وحاضرة وصارخة ثم تحضر وتبرز وتصرخ حين تكون غبية وساذجة وملقنة. وحين وحيث يجب ويفترض أن تكون هاربة وصامتة ومتخفية؟

* * *

هنا لا بد أن أبرئ ذكائي بل وغبائي، . وقاري بل طيشي من أن أتهم أيها العالم بأني أدعوك إلى التوقف عن الوجود عن وجودك بأي أسلوب يستطيع أن يصنع هذا التوقف . . !

لا . لن أدعوك أيها العالم إلى ذلك مهما رجوته وتمنيته لك . .

لأني أعلم أني لو دعوتك إلى ذلك لكان محتوماً أن تستجيب لأنك سميع قريب تسمع وتستجيب دعوة الداعي إذا دعاك أيها العالم. أيها العالم . !

. . لأنك تسمع وتستجيب لمن دعاك ويدعوك مثلما يسمع ويستجيب إله الأنبياء والأديان . !

وحينئذ أي إذا استجبت لدعوتي هذه وفقدت وجودك أيها العالم أكون أنا الفاعل لذلك أو المسؤول عنه . . !

ولكن ضميري ليس قوياً أو وقحاً ليستطيع تحمل ذلك أو حتى الاتهام به . !

نعم، إن وجودك أو بقاء وجودك بكل آلامه وآثامه قد يكون نافعاً جداً . . نافعاً لأشياء وكائنات كثيرة وكبيرة. وأيضاً لكائنات صغيرة صغيرة . !

قد يكون مسلاة وملهاة ومتعاً وفرحاً وطعاماً ورؤية لعيون الآلهة وأخلاقها وضمائرها وفراغها وجوعها وحرمانها البائس، اليائس، إن كل التفاسير للآلهة لتقول ذلك وإلاّ فلماذا صنعت وجودك أو لم تدمره؟

كما قد يكون نافعاً جداً لكائنات كثيرة أخرى . . قد يكون نافعاً لها بأساليب وتفاسير وأحاسيس وممارسات وعلاقات ونيات كثيرة وعديدة . . !

قد يكون نافعاً بكل التفاسير للجراثيم والحشرات وغيرها . !

لهذا لا يستطيع ضميري أن يتحمل حرمان الآلهة وحرمان هذه الكائنات الأخرى من منافع وعطايا وجودك لها أيها العالم . !

* * *

ما أقسى وأدوم الانفجاع لو كان أي الانفجاع يجيء مساوياً لأسبابه أو حين وحيث يجب وينتظر أن يكون. أن يجيء . !

ما أقساه، أقساه حينئذٍ وأدومه، أدومه. !

ولكن الأشياء لا تجيء كما يجب ويعقل وينتظر أن تجيء لهذا فقد الانفجاع بل مات حتى كان المعقول والمنتظر والمفروض ألا يوجد لأن أسبابه لم توجد ولا توجد ولن توجد. .

آه. آه. .

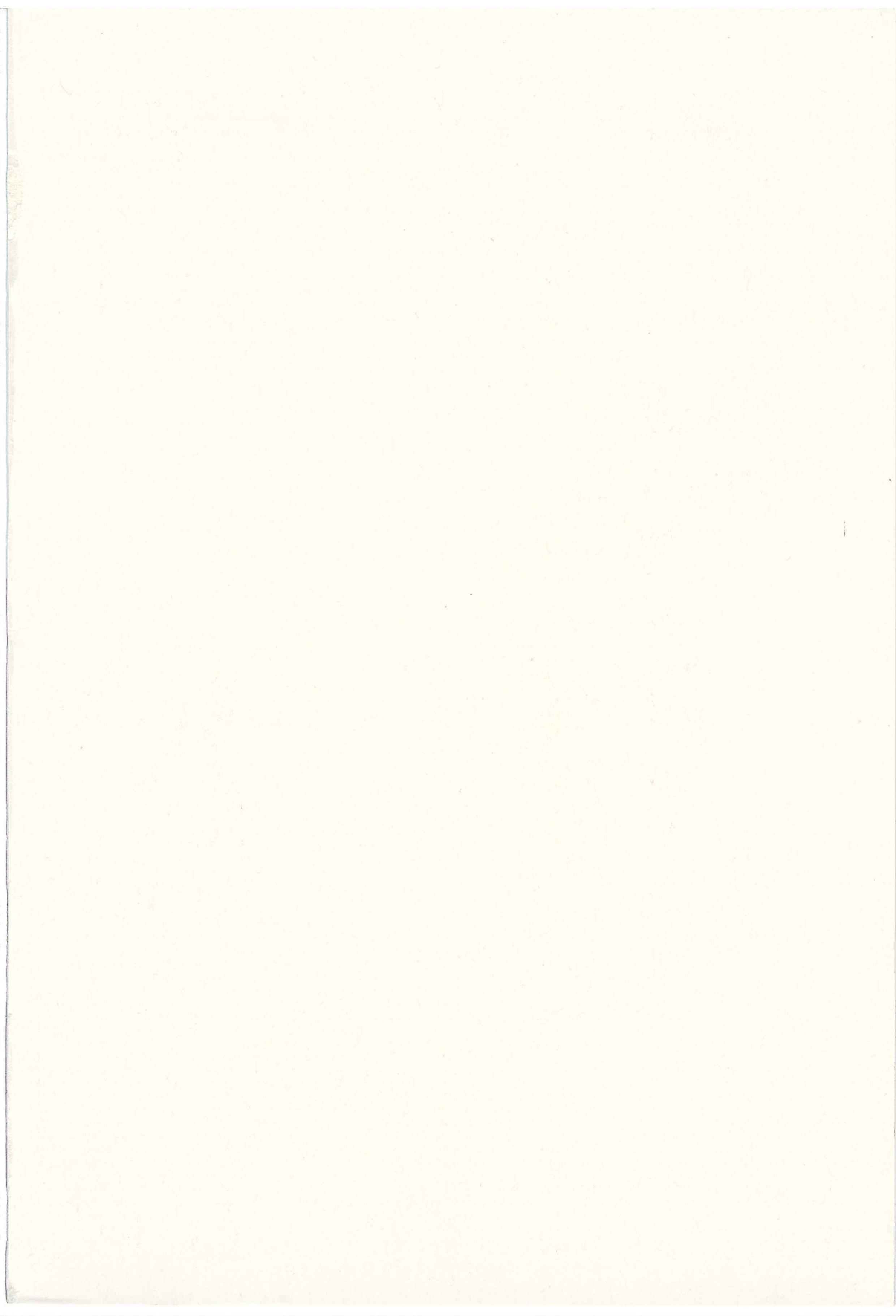
لماذا لا يوجد من يرون مهما نظروا أو من يبصرون أو يحدقون مهما رأوا ومهما ركبت فيهم ولهم كل العيون الصناعية. بل والعلمية؟ لماذا لا يوجد من يلتزمون ويصدقون مهما آمنوا ومهما وجد من يؤمنون ومن يلعنون بل ويقاتلون من لا يؤمنون؟

. . لماذا لا يوجد من يفهمون أو يسألون كما يفرض وينتظر أن يسألوا مهما فكّروا أو مهما وجد من يفكرون، ولا من يفكرون مهما علموا وعرفوا واقتنعوا واعتقدوا ومهما وجد من يفعلون ذلك، ولا من يفكرون مهما فكروا؟

. . لماذا لا يوجد من يقرأون أو يكتبون أو يفسرون مهما تحول كل شيء إلى أقلام مكتوب بها وإلى صفحات مكتوبة وإلى مداد للكتابة وإلى عيون وأيد قارئة كاتبة وإلى تفاسير، تفاسير؟ لماذا لا يوجد هؤلاء كلما وجد هؤلاء أو مهما وجد هؤلاء؟ لماذا؟ لماذا؟

* * *

الفهرس



هذا الكتاب

اقرأوا القصيمي، لا تقرأوا الآن إلا القصيمي. يا ما حلمنا أن نكتب بهذه الشجاعة! يا ما هربنا من قول ما يقول! يا ما روضنا أنفسنا على النفاق، وتكيفنا، وحطمنا في أنفسنا الحقيقة، لكي نتقي شر جزء مما لم يحاول القصيمي أن يتقي شر قوله في كتبه. ويهجم على الكلمة هجوم البائع الدنيا بكلمة. . .

ولا يرتاح له عَصَب. ولا يتراجع منه اللسان. ولا تصدقه عيناك! أعربيٌّ، تتساءل ء هذا القائل هذا؟

أنسي الحاج

